

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث وموادعة الحرب بين علي ومعاوية

فكان في أول شهر منها - وهو المحرم - موادعة الحرب بين علي ومعاوية ،
 قد توادعا على ترك الحرب فيه إلى انقضائه طمعاً في الصلح ؛ فذكر هشام
 ابن محمد ، عن أبي مسخنف الأزدي ، قال : حدثني سعد أبو المجاهد الطائي ،
 عن المحل بن خليفة الطائي ، قال : لما توادع علي ومعاوية يوم صفين ،
 اختلف فيما بينهما الرسل رجاء الصلح ، فبعث علي عدى بن حاتم ويزيد
 ابن قيس الأرحبي وشبث بن ربعي وزياد بن خصفة إلى معاوية ، فلمّا
 دخلوا حميد الله عدى بن حاتم ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنّا أتيناك ندعوك إلى
 أمر يجمع الله عز وجل به كلمتنا وأمّتنا ، ويحقن به الدماء ، ويؤمن به السبل ،
 ويصلح به ذات البين . إنّ ابن عمك سيّد المسلمين أفضلها سابقة ، وأحسنها
 في الإسلام أثراً ، وقد استجمع له الناس ، وقد أرشدهم الله عز وجل بالذي
 وأوّا ، فلم يبق أحد غيرك وغير من معك ، فانتبه يا معاوية لا يصبك الله
 وأصحابك بيوم مثل يوم الجمل . فقال معاوية : كأنك إنما جئت متهدداً ،
 لم تأت مصلحاً ! هيهات يا عدى ، كلاً والله إني لابن حرب ، ما يققع لي
 بالشنان ، أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان رضي الله عنه ، وإنك لمن
 قتلته ، وإنني لأرجو أن تكون ممن يقتل الله عز وجل به . هيهات يا عدى
 ابن حاتم ! قد حلبت بالساعد الأشد . فقال له شبث بن ربعي وزياد بن
 خصفة - وتنازعا جواباً واحداً : أتيناك فيما يصلحنا وإياك ، فأقبلت تضرب
 لنا الأمثال ! دَعْ ما لا يستفيع به من القول والفعل ، وأجبنا فيما يعمنّا وإياك
 نفعه . وتكلم يزيد بن قيس ، فقال : إنا لم نأتك إلا لنبلغك ما بعثنا به إليك ،
 ولنؤدّي عنك ما سمعنا منك ، ونحن على ذلك لم ندع أن ننصح لك ، وأن
 نذكر ما ظننّا أن لنا عليك به حجة ، وأنك راجع به إلى الألفة والجماعة .

إنّ صاحبنا من قد عرفت وعرف المسلمون فضله ، ولا أظنه يخفى عليك ؛
إنّ أهل الدين والفضل لن يعدلوا بعلى ، ولن يميلوا بينك وبينه ، فاتق الله
يا معاوية ، ولا تخالف علياً ، فإننا والله ما رأينا رجلاً قطّ أعمل بالتقوى ،
ولا أزهّد في الدنيا ، ولا أجمع لحصال الخير كلّها منه .

فحمّد الله معاوية وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم دعوتكم إلى الطاعة
والجماعة ، فأما الجماعة التي دعوتكم إليها فعنا هي ، وأما الطاعة لصاحبكم فلإنا
لا نراها ؛ إن^(١) صاحبكم قتل خليفتنا ، وفرّق جماعتنا ، وآوى ثأرنا وقتلنا ،
وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله ، فنحن لا نردّ ذلك عليه ، أرايتم قتلنا صاحبنا ؟
ألسنتم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم ؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم^(٢) به ، ثم
نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

٣٢٧٦/١

فقال له شبّث : أيسرك يا معاوية أنك أمكنيت من عمّار تقتله !
فقال معاوية : وما يمنعني من ذلك ! والله لو أمكنيت من ابن سُميّة ما قتلته
بعثمان ، ولكن كنت قاتله بناتل مولى عثمان . فقال له شبّث : وإله الأرض
وإله السماء ، ما^(٣) عدلت معتدلاً ، لا والذي لا إله إلاّ هو لا تصل إلى عمّار
حتى تندّر الهام عن كواهل الأقوام ، وتضيق الأرض الفضاء^(٤) عليك برحبها .
فقال له معاوية : إنه لو قد كان ذلك كانت الأرض عليك أضيق .

وتفرّق القوم عن معاوية ، فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد بن خصيفة
اليمى ، فخلا به ، فحمّد الله وأثنى عليه ، وقال : أمّا بعد يا أخا ريبة ، فإن
علياً قطع أرحامنا ، وآوى قتلنا صاحبنا ، وإني أسألك النصر عليه بأسرتك
وعشيرتك ، ثم لك عهد الله جلّ وعزّ وميثاقه أن أوليّتك إذا ظهرت أىّ
المصريّين أحببت .

قال أبو مخنف : فحدثني سعد أبو المجاهد ، عن المحلّ بن خليفة ،
قال : سمعت زياد بن خصيفة يحدث بهذا الحديث ، قال : فلما قضى

(١) ابن الأثير والنويرى : « لأن » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « ولنقتلهم » .

(٣) ط : « أمّا » ؛ والوجه ما أثبت .

(٤) ابن الأثير : « والفضاء » .

معاوية كلامه حمدتُ الله عزَّ وجل وأُثْنِيتُ عليه، ثم قلت: أما بعد، فإنني على بينة من ربي وبما أنعم عليّ، فلن أكون ظهيراً للمجرمين، ثم قمت. فقال معاوية لعمر بن العاص - وكان إلى جنبه جالساً: ليس يكلم رجل منا رجلاً منهم فيُجيب إلى خير. ما لهم عَضِبَهُمُ الله بشر! ما قلوبهم إلا كقلب رجل واحد.

قال أبو مِخْنَفٍ: فحدثني سليمان بن أبي (٢) راشد الأزديّ، عن عبد الرحمن ابن عبيد أبي الكنود، أن معاوية بعث إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهريّ وشُرْحَبِيل بن السَّمْط ومعن بن يزيد بن الأخنس، فدخلوا عليه وأنا عنده، فحمد الله حبيب وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان خليفةً مهدياً، يعمل بكتاب الله عزَّ وجلّ، ويُنِيب إلى أمر الله تعالى، فاستقلتم حياته، واستبطأتم وفاته، فعدوتم عليه فقتلتموه؛ فادفع إلينا قتلة عثمان - إن زعمت أنك لم تقتله - نقتلهم به، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شوري بينهم، يولّي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم. فقال له عليّ بن أبي طالب: وما أنت لا أمّ لك والعزل وهذا الأمر! اسكُت فإنك لست هناك ولا بأهل له! فقام وقال له: والله لترينني بحيث تكره. فقال عليّ: وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك! لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ؛ أحقرّةً وسوءاً! اذهب فصوب وصعد ما بدا لك.

وقال شُرْحَبِيل بن السَّمْط: إني إن كلمتك فلعمري ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي قبل، فهل عندك جواب غير الذي أجبت به؟ فقال عليّ: نعم لك ولصاحبك جواب غير الذي أجبت به. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الله جلّ ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق، فأنقذ به من الضلالة، وانتاش به من الهلكة (٣)، وجمع به من الفرقة، ثم قبضه الله إليه وقد أدّى ما عليه صلى الله عليه وسلم، ثم استخلف الناس أبا بكر

(١) في اللسان: «الغضب: القطع، وتدعو العرب على الرجل تقتول: ما له غضبه الله! يدعون عليه بقطع يده ورجله».

(٢) انتاش به من الهلكة، أي أنقذ.

(٣) ساقطة من ط

رضى الله عنه ، واستخلف أبو بكر عمر رضي الله عنه ، فأحسننا السيرة ، وعدلنا في الأمة ، وقد وجدنا عليهما أن توليا علينا - ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم - فغفرنا ذلك لهما ، وولى عثمان رضي الله عنه فعمل بأشياء عابها الناس عليه ، فساروا إليه فقتلوه ، ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمورهم ، فقالوا لي : بايع ، فأبيت عليهم ، فقالوا لي : بايع ، فإن الأمة لا ترضى إلا بك ! ، وإننا نخاف إن لم تفعل أن يفتق^(١) الناس ؛ فبايعتهم ، فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني ، وخلاف معاوية الذي لم يجعل الله عز وجل له سابقة في الدين ، ولا سلف صدق في الإسلام ، طليق ابن طليق ، حيزب من هذه الأحزاب ، لم يزل لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين عدواً هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين ، فلا غرو^(٢) إلا خلافتكم معه ، وانقيادكم له ، وتدعون آل نبيكم صلى الله عليه وسلم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافتهم ، ولا أن تعدلوا بهم من الناس أحداً . ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإمامة الباطل ، وإحياء معالم الدين^(٣) ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، ولكل مؤمن ومؤمنة ، ومسلم ومسلمة .

٣٢٧٩/١

فقالا : اشهد أن عثمان رضي الله عنه قُتل مظلوماً ، فقال لهما : لا أقول إنه قُتل مظلوماً ، ولا إنه قتل ظالماً ، قالوا : فمن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوماً فنحن منه برآء ، ثم قاما فانصرفا . فقال علي : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْقَمِيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٤﴾
ثم أقبل علي على أصحابه فقال : لا يكن هؤلاء أولى بالجد في ضلالهم منكم بالجد في حقكم وطاعة ربكم .

قال أبو مخنف : حدثني جعفر بن حذيفة ، من آل عامر بن جؤين ،

(١) ابن الأثير والنويري : « يفتق » . (٢) لا غرو : لا عجب .

(٣) ابن الأثير والنويري : « وإحياء الحق ومعالم الدين » .

(٤) سورة النمل : ٨٠ ، ٨١ .

أن عائذ بن قيس الحزمري^(١) واثب عدى بن حاتم في الرأية بصيفين - وكانت حزم أكثر من بني عدى رهط حاتم - فوثب عليهم عبد الله بن خليفة الطائي السبواني عند على ، فقال : يا بني حزم ، على^(٢) عدى تتوثبون ! وهل فيكم مثل عدى أو في آبائكم مثل أبي عدى ! أليس بحامي القرية^(٣) ومانع الماء يوم روية ؟ أليس بابن ذى المرباع^(٤) وابن جواد العرب ؟ ! أليس بابن المنهوب ماله ، ومانع جاره ؟ ! أليس ممن لم يغدر ولم يفجر ، ولم يجهل ولم يبخل ، ولم يمنن ولم يحبن ؟ ! هاتوا في آبائكم مثل أبيه ، أو هاتوا فيكم مثله . أليس أفضلكم في الإسلام ! أوليس وافدكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! أليس برأسكم يوم النخيلة ويوم القادسية ويوم المدائن ويوم جتلواء الوقعة ويوم نيهانند ويوم تستر ؟ ! فإلهم وله ! والله ما من قومكم أحد يطلب مثل الذي تطلبون . فقال له على بن أبي طالب : حسبك يا ابن خليفة ، هلتم أيها القوم إلى ، وعلى جماعة طيئ ، فأتوه جميعاً ، فقال على : من كان رأسكم في هذه المواطن ؟ قالت له طيئ : عدى . فقال له ابن خليفة : فسلهم^(٥) يا أمير المؤمنين ، أليسوا راضين مسلمين لعدى الرياسة ؟ ففعل ، فقالوا : نعم ، فقال لهم : عدى أحقكم بالرأية . فسلموها له ، فقال على - وضجت بنوا الحزمير - : إني أراه رأسكم قبل اليوم ، ولا أرى قومه كلهم إلا مسلمين له غيركم ؛ فأتبع في ذلك الكثرة . فأخذها عدى ، فلما كان أزمان حُجْر بن عدى طُلب عبد الله بن خليفة ليُسبغَ به مع حُجْر^(٦) - وكان من أصحابه - فسير إلى الجبلين ؛ وكان عدى قد مشاه أن يردّه ، وأن يطلب فيه ، فطال عليه ذلك ، فقال :

وَتَسَوْنِي يَوْمَ الشَّرِيعَةِ وَالْقَنَاءِ
بَصِيفَيْنِ فِي أَكْفَاهِمُ قَدْ تَكْسَرَا

(١) ابن الأثير : « الحزمري » .

(٢) ابن الأثير : « أعل » .

(٣) ابن الأثير : « القرية » .

(٤) المرباع : ربيع الغنمية وهو الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية .

(٥) ابن الأثير : « سلمهم » .

(٦) ابن الأثير : « طلب زياد عبد الله بن خليفة ليبيته مع حجر » .

٣٢٨١/١ جَزَى رَبُّهُ غَنَى عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ
 أَتَنَسَى بِلَاثِي سَادِرًا يَا بْنَ حَاتِمٍ
 فَدَافَعْتَ عَنْكَ الْقَوْمَ حَتَّى تَخَاذِلُوا
 فَوَلَّوْا وَمَا قَامُوا مَقَامِي كَأَنَّمَا
 نَصَرْتُنكَ إِذْ خَامَ الْقَرِيبُ وَأَبْعَطَ ١١
 فَكَانَ جَزَائِي أَنْ أَجْرَ دَيْنِكُمْ^(٤)
 وَكَمْ عِدَّةٍ لِي مِنْكَ أَنْتَ رَاجِعِي
 بَرَفَضِي وَخِذْلَانِي جَزَاءً مُؤَفَّرًا
 عَشِيَّةً مَا أَغْنَتْ عَدِيَّتُكَ جِزْمًا
 وَكُنْتُ أَنَا الْخُضْمَ الْأَلَدَ الْعَذُورًا^(١)
 رَأَوْفِي لَيْثًا بِالْأَبَاءَةِ مُخْذِرًا^(٢)
 بَعِيدُ وَقَدْ أَفْرَدْتُ نَصْرًا مُؤَزَّرًا^(٣)
 سَجِينًا ، وَأَنْ أُولَى الْهَوَانِ وَأَوْسَرَا
 فَلَمْ تُغْنِ بِالْمِيعَادِ عَنِّي حَبْتَرَا

* * *

تكتيب الكتاب وتعبئة الناس للقتال

قال : ومكث الناس حتى إذا دنا انصلاح المحرم أمر عليّ مرثد بن
 الحارث الجُشمي فنأدى أهل الشام عند غروب الشمس : ألا إن أمير المؤمنين
 يقول لكم : إني قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتُنبئوا إليه ، واحتججت عليكم
 بكتاب الله عز وجل ، فدعوتكم إليه ، فلم تنأهوا عن طغيان^(٥) ، ولم تجيبوا
 إلى حق^(٦) ، وإني قد نبذت إليكم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين .
 ففزع أهل الشام إلى أمرائهم ورؤسائهم ، وخرج معاوية وعمرو بن العاص
 في الناس يكتبان الكتاب ويعبئان الناس ، وأوقدوا النيران ، وبات عليّ ليلة
 كلها يعبئ الناس ، ويكتب الكتاب ، ويدور في الناس يحرضهم .
 قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي ، عن أبيه ،
 أن عليًّا كان يأمرنا في كل موطن لقينا فيه معه عدوًّا فيقول : لا تقاتلوا القوم

(١) العنور : الصعب الخلق الشديد النفس .

(٢) الأباءة : الأجمة . والأسد المخدر والحادر أيضاً : المقيم في الأجمة أو العرين .

(٣) خام : نكص وجبن . وأبعط ، أى أبعد .

(٤) ابن الأثير : « أجر بينكم » .

(٥) ابن الأثير : « طغيانكم » . النويرى : « الطغيان » .

(٦) ابن الأثير والنويرى : « الحق » .

حتى يبدؤكم ، فأنتم بحمد الله عز وجل على حجة ، وترككم إياهم حتى يبدؤكم
حجة أخرى لكم ، فإذا قاتلتهم فهزمتهم فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا
على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلى رجال القوم
فلا تهتكوا سراً ، ولا تدخلوا داراً إلا بإذن ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا
ما وجدتم في عسكرهم ، ولا تهيجوا امرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم ،
وسببن أمراءكم وصلحاءكم ، فإنهن ضعاف القوي والأنفس .

قال أبو مخنف : وحدثنى إسماعيل بن يزيد ، عن أبي صادق ، عن
الحضرمي ، قال : سمعت علياً يحرّض الناس في ثلاثة مواطن : يحرّض الناس
يوم صفين ، ويوم الجمل ، ويوم النهر ، يقول : عباد الله ، اتقوا الله ،
وغضّوا الأبصار ، واخفضوا الأصوات ، وأقلّوا الكلام ، ووطنوا أنفسكم على
المنازلة والمجاورة والمبارزة^(١) والمناضلة والمُجالدة^(٢) والمعانقة والمكادمة والملازمة ،
فائبسوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم
واصبروا إن الله مع الصابرين . اللهم ألهمهم الصبر ، وأنزل عليهم النصر ،
وأعظم لهم الأجر .

فأصبح على من الغد ، فبعث على الميمنة . والميسرة والرجالة والخيل . قال
أبو مخنف : فحدثني فضيل بن خديج الكندي أن علياً بعث على خيل
أهل الكوفة الأشتر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف ، وعلى
رجالة أهل الكوفة عمار بن ياسر ، وعلى رجالة أهل البصرة قيس بن سعد وهاشم
ابن عتبة ومعه رايته ، وميسر بن فدك التميمي على قراء أهل البصرة ،
وصار أهل الكوفة إلى عبد الله بن بُدَيل وعمار بن ياسر .

قال أبو مخنف : وحدثنى عبد الله بن يزيد بن جابر الأزدي ، عن القاسم
مولى يزيد بن معاوية ، أن معاوية بعث على ميمنته ابن ذى الكلاع الحميري ،
وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري ، وعلى مقدمته يوم أقبل من دمشق

(٢) ط : « والمبالدة » .

(١) ابن الأثير : « المزاولة » .

أبا الأعور السُّلَمِيَّ - وكان على خيل أهل دمشق - وعمرو بن العاص على خيول أهل الشام كلها ، ومسلم بن عقبة المرِّي على رجالة أهل دمشق ، والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلها . وبايع رجال من أهل الشام على الموت ، فمقلوا أنفسهم بالعمائم ، فكان العقولون خمسة صفوف ، وكانوا يخرجون ويُصَفِّون عشرة صفوف ، ويخرج أهل العراق أحد عشر صفًّا ، فخرجوا أول يوم من صِفِّين فاقتتلوا . وعلى مَنْ خرج يومئذ من أهل الكوفة الأشتر ، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة ، وذلك يوم الأربعاء ، فاقتتلوا قتالا شديداً جُلَّ النهار ، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ، ثم خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسنٍ عددُها وعدتها ، وخرج إليه أبو الأعور ، فاقتلوا يومهم ذلك ، يحمل الخيل على الخيل ، والرجال على الرجال ، ثم انصرفوا وقد كان القوم صَبَر بعضهم لبعض . وخرج اليوم الثالث عَمَّارُ بن ياسر ، وخرج إليه عمرو بن العاص ، فاقتل الناس كأشد القتال ، وأخذ عَمَّار يقول : يا أهل العراق ، أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدَهما ، وبغى على المسلمين ، وظاهرَ المشركين ، فلما رأى الله عزَّ وجلَّ يعزُّ دينَه ويُظْهِرُ رسوله أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وهو فيما نرى راهب غير راغب ؛ ثم قبض الله عزَّ وجلَّ رسوله صلى الله عليه وسلم ! فوالله إن زال بعده معروفًا بعداوة المسلم ، وهَوَادَة المجرم . فاثبتوا له وقَاتِلُوهُ فإنه يطوع نورَ الله ، ويظاهر أعداءَ الله عزَّ وجلَّ .

٢٢٨٤/١

فكان مع عَمَّارُ زياد بن النَّضْر على الخيل ، فأمره أن يحمل في الخيل ، فحمل ، وقاتله الناس وصبروا له ، وشدَّ عَمَّارُ في الرجال ، فأزال عمرو بن العاص عن موقفه . وبارز يومئذ زياد بن النَّضْر أخًا له لأُمِّه يقال له عمرو بن معاوية بن المنتفح بن عامر بن عُقَيْل - وكانت أمُّهما امرأة من بني يزيد^(١) - فلما التقيا تعارفا فتواقفا ، ثم انصرف كل واحد منهما عن صاحبه ، وتراجع الناس .

٢٢٨٥/١

فلما كان من الغد خرج محمد بن عليّ وعبيد الله بن عمر في جمعين عظيمين ، فاقتتلوا كأشد القتال . ثم إن عبيد الله بن عمر أرسل إلى ابن الحنفية :

(١) هي أمانة - أو أمية - بنت يزيد بن عبد المدان - (الإصابة رقم ٦٥١٤) .

أن اخرج إلىّ؟ فقال : نعم، ثم خرج يمشى، فبصر به أمير المؤمنين فقال : من هذان المتبارزان؟ فقبل : ابن الحنفية وعبيد الله بن عمر؛ فحرك دابته ثم نادى محمداً، فوقف له، فقال : أمسك دابتي، فأمسكها، ثم مشى إليه على فقال : أبرز لك، هلم إلىّ؟ فقال : ليست لي في مبارزتك حاجة، فقال : بلى، فقال : لا، فرجع ابن عمر. فأخذ ابن الحنفية يقول لأبيه : يا أبت، لم منعني من مبارزته؟ فوالله لو تركتني لرجوت أن أقتله، فقال : لو بارزته لرجوت أن تقتله، وما كنت آمن أن يقتلك، فقال : يا أبت أوتبرز لهذا الفاسق! والله لو أبوه سألك المبارزة لرغبت بك عنه؛ فقال على : يا بُنَيَّ، لا تقل في أبيه إلا خيراً. ثم إن الناس تحاجزوا وتراجعوا.

قال : فلما كان اليوم الخامس خرج عبد الله بن عباس والوليد بن عتبة فاقتتلوا قتالا شديداً، ودنا ابن عباس من الوليد بن عتبة، فأخذ الوليد يسب بني عبد المطلب، وأخذ يقول : يا ابن عباس، قطعتم أرحامكم، وقتلتم إمامكم، فكيف رأيتم الله صنع بكم؟! لم تعطوا ما طلبتم، ولم تدركوا ما أمّلت، والله إن شاء مهلككم وناصر عليكم. فأرسل إليه ابن عباس : أن ابرز لي؛ فأبى. وقاتل ابن عباس يومئذ قتالاً شديداً، وغشى الناس بنفسه.

٣٢٨٦/١

ثم خرج قيس بن سعد الأنصاري وابن ذى الكلاع الحميري فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرفا، وذلك في اليوم السادس.

ثم خرج الأشتر، وعاد إليه حبيب بن مسلمة اليوم السابع، فاقتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرفا عند الظهر، وكل غير غالب، وذلك يوم الثلاثاء.

قال أبو مخنف : حدثني مالك بن أعيان الجهني، عن زيد بن وهب، أن علياً قال : حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا! فقام في الناس عشية الثلاثاء، ليلة الأربعاء بعد العصر، فقال : الحمد لله الذي لا يبرم ما نقتض، وما أبرم لا ينقضه الناقضون، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره، ولا جحد المفضل ذو الفضل فضله، وقد ساقطنا وهؤلاء القوم الأقدار، فلفت بيننا في هذا المكان، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع، فلو شاء عجل النعمة، وكان منه التغيير، حتى

يكذب الله الظالم، ويعلم الحق أين مصيره؛ ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار، ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى. ألا إنكم لا تقو القوم غداً، فأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، وسلوا الله عز وجل النصر والصبر، والقسوه بالجد والحزم، وكونوا صادقين. ثم انصرف، ووثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها، ومر بهم كعب بن جعيل التغلبي وهو يقول:

٣٢٨٧/١

أصبحت الأمة في أمر عجب والمك مجموع غداً لمن غلب
فقلت قولاً صادقاً غير كذب إن غداً تهلك أعلام العرب

قال: فلما كان من الليل خرج على فعبى الناس ليلته كلها، حتى إذا أصبح زحف بالناس، وخرج إليه معاوية في أهل الشام، فأخذ على يقول: من هذه القبيلة؟ ومن هذه القبيلة؟ فنسبت له قبائل أهل الشام، حتى إذا عرفهم ورأى مراكزهم قال للأزد: اكفوني الأزد، وقال لخشم: اكفوني خشم. وأمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام إلا أن تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد فيصرفها إلى قبيلة أخرى تكون بالشام، ليس منهم بالعراق واحد، مثل بجيلة لم يكن منهم بالشام إلا عدد قليل، فصرفهم إلى لخم. ثم تناهض الناس يوم الأربعاء فافتلوا قتلاً شديداً نهارهم كله، ثم انصرفوا عند المساء وكل غير غالب، حتى إذا كان غداة الخميس صلى على بغلس.

٣٢٨٨/١

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي، عن أبيه، قال: ما رأيت علياً غلس بالصلاة أشد من تغليسه يومئذ، ثم خرج بالناس إلى أهل الشام فزحف إليهم، فكان يبدؤهم فيسير إليهم، فإذا رآه قد زحف إليهم استقبلوه بوجوههم.

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعين، عن زيد بن وهب الجهني، أن علياً خرج إليهم غداة الأربعاء فاستقبلهم فقال: اللهم رب السقف المرفوع، المحفوظ المكفوف، الذي جعلته مغيضاً لليل والنهار، وجعلت

فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم، وجعلت سكّانه سبيطاً^(١) من الملائكة، لا يسأمون العبادة. وربّ هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام، والهوامّ والأنعام، وما لا يحصى مما لا يُرى ومما يُرى من خَلْقِكَ العظيم. وربّ الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وربّ السحاب المسخّر بين السماء والأرض، وربّ البحر المسجور المحيط بالعالم، وربّ الجبال الرأسي التي جعلتها للأرض أوتاداً، وللخلق متاعاً؛ إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغي، وسدّدنا للحق، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة، واعصم بقية أصحابي من الفتنة.

قال: وازدلف الناس يوم الأربعاء فاقتتلوا كأشدّ القتال يومهم حتى الليل، لا ينصرف بعضهم عن بعض إلا للصلاة، وكثرت القتلى بينهم، وتحاجزوا عند الليل وكلٌّ غيرُ غالب، فأصبحوا من الغد، فصلّى بهم على غداة الخميس، فغلّس بالصلاة أشدّ التّغليس، ثم بدأ أهل الشام بالخروج، فلما رأوه قد أقبل إليهم خرجوا إليه بوجوههم، وعلى ميمنته عبد الله بن بُدَيْل، وعلى ميسرته عبد الله بن عبّاس، وقرأ أهل العراق مع ثلاثة نفر: مع عمّار ابن ياسر، ومع قيس بن سعد، ومع عبد الله بن بُدَيْل؛ والناس على راياتهم ومراكزهم، وعلى في القلب في أهل المدينة بين أهل الكوفة وأهل البصرة، وعُظُم من معه من أهل المدينة الأنصار، ومعه من خزاعة عدد حسن، ومن كنانة وغيرهم من أهل المدينة.

ثم زحف إليهم بالناس، ورفع معاوية قبةً عظيمة قد ألقى عليها الكرايس^(٢) وبايعه عُظُم الناس من أهل الشام على الموت، وبعث خيل أهل دمشق فاحتاطت بقبته، وزحف عبد الله بن بُدَيْل في الميمنة نحو حبيب بن مسلمة، فلم يزل يحوز^(٣)، ويكشف خيله من الميسرة حتى اضطهرهم إلى قبة معاوية عند الظهر^(٤).

(١) السبط هنا: الأمة.

(٢) الكرايس: ضرب من الثياب؛ فارسيّ معرّب.

(٣) يحوزه، أي يبعده وينحيه.

(٤) الخبر في كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٦١ - ٢٦٣.

قال أبو مخنف : حدثني مالك بن أعيَن ، عن زيد بن وهب الجهنسي ، أن ابن بُدَيْل قام في أصحابه فقال : أَلَا إِنَّ مَعَاوِيَةَ ادَّعَى مَا لَيْسَ أَهْلُهُ ، وَنَازَعَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ لَيْسَ مِثْلِهِ ، وَجَادَلَ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضَ بِهِ الْحَقَّ ، وَصَالٍ عَلَيْكُمْ بِالْأَعْرَابِ وَالْأَحْزَابِ ، قَدْ زَيَّنَ لَهُمُ الضَّلَالَةَ ، وَزَرَعَ فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّ الْفِتْنَةِ ، وَلَبَسَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ ، وَزَادَهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ، وَأَنْتُمْ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَبِرَهَانٍ مَبِينٍ . فَقَاتِلُوا الطَّغَاةَ الْجَفَاةَ ، وَلَا تَخْشَوْهُمْ ، فَكَيْفَ تَخْشَوْنَهُمْ وَفِي أَيْدِيكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ طَاهِرًا مَبْرُورًا ^(١) ! ﴿ اُنْخَشَوْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ^(٢) ، وَقَدْ قَاتَلْنَاهُمْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) مَرَّةً ، وَهَذِهِ ثَانِيَةٌ ، وَاللَّهُ مَا هُمْ فِي هَذِهِ بَأْتِي وَلَا أَزْكَى وَلَا أَرْشَدَ ، قَوْمُوا إِلَى عَدُوِّكُمْ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ! فَقَاتِلْ قِتَالًا شَدِيدًا هُوَ وَأَصْحَابُهُ ^(٤) .

٣٢٩٠/١

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن أبي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ وَمَوْلَى لَهُ ، أَنَّ عَلِيًّا حَرَضَ النَّاسَ يَوْمَ صِفِّينَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ دَلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ^(٥) ، تُشَقَّى ^(٦) بِكُمْ عَلَى الْخَيْرِ : الْإِيمَانُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ ، وَجَعَلَ ثَوَابَهُ مَغْفِرَةَ الذَّنْبِ ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ . ثُمَّ أَخْبَرَكُمْ أَنَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يِقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بَنِيَانٌ مَرْصُوعُونَ ، فَسَوْؤُوا صَفُوفَكُمْ كَالْبَنِيَانِ الْمَرْصُوعِ ، وَقَدَّمُوا الدَّارِعَ ، وَأَخْرَوْا الْحَاسِرَ ، وَعَضَّوْا عَلَى الْأَضْرَاسِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى السِّيفِ عَنِ الْهَامِ ^(٧) ، وَالتَّوَوَّأَ

(١) صفين : « ظاهر مبرور » .

(٢) سورة التوبة : ١٣ ، ١٤ .

(٣) صفين : « وقد قاتلهم مع النبي صلى الله عليه » .

(٤) الخبر في صفين : ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٥) صفين : « من العذاب » .

(٦) تشقى ، أى تشرف .

(٧) أنبى : أبعد . والهام : الرموس .

في أطراف الرماح، فإنه أصون^(١) للأسنّة. وغَضُّوا الأبصار فإنه أربط للجأش،
 وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات فإنه أطرَد للفشل، وأولى بالوقار. راياتكم^(٢)
 فلا تُميلوها ولا تزيلوها، ولا تجعلوها إلاّ بأيدي شجعانكم، فإن المانع للذمار،
 والصابر عند نزول الحقائق، هم أهل الحفاظ الذين يحفون براياتهم ويكتفونها^(٣)؛
 يضرّبون حفا فيها خلفها وأمامها، ولا يضعونها. أجزأ امرؤ وقد قرّنه^(٤)—رحمكم
 الله^(٥)— وآسى أخاه بنفسه، ولم يكلّ قرّنه إلى أخيه، فيكسب بذلك لائمةً،
 ويأتي به دناءة. وأنّى لا يكون هذا هكذا! وهذا يقاتل اثنين، وهذا ممسك
 بيده يُدخل قرنه على أخيه هارباً منه، أو قائماً ينظر إليه! من يفعل هذا
 يمتنّه الله عز وجل، فلا تعرّضوا لمقت الله سبحانه فإنما مردّكم إلى الله، قال الله
 عزّ من قائل لقوم: ﴿أَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ
 وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾^(٦). وإيم الله لئن سلمتم من سيف العاجلة
 لا تسلمون من سيف الآخرة. واستعينوا بالصدق والصبر، فإن بعد الصبر
 يُنزل الله النصر^(٧).

* * *

الجدّة في الحرب والقتال

قال أبو مخنف: حدّثني أبو رَوْق الهمداني، أن يزيد بن قيس الأرجسي حرّض
 الناس فقال: إن المسلم السليم من سلّم دينه ورأيه، وإن هؤلاء القوم والله إن يقاتلونا^(٨)

(١) صفين: « فإنه أمور للأسنّة »، وأمور، تفضيل من المور وهو الاضطراب والمجيء
 والذهاب. (٢) صفين: « راياتكم ».

(٣) صفين: « ويكتفونها ».

(٤) وقد قرّنه: ضربه ضرباً شديداً.

(٥) صفين: « رحمه الله ».

(٦) سورة الأحزاب: ١٦.

(٧) الخبر في صفين: ٢٦٤، ٢٦٥ بروايته عن عمر بن سعد، عن عبد الرحيم بن
 عبد الرحمن، عن أبيه.

(٨) إن هنا بمعنى النفي، وفي صفين: « ما إن يقاتلونا ».

٣٢٩٢/١ على إقامة دين رأونا ضيّعناه، وإحياء حق رأونا أمتّناه، وإن يقاتلوننا إلا على هذه الدنيا ليكونوا جبابرة فيها ملوكاً ، فلو ظهوروا عليكم — لأأراهم الله ظهوراً ولا سروراً — لزموكم^(١) بمثل سعيد والوليد^(٢) وعبد الله^(٣) بن عامر السفيّه الضالّ، يخبر^(٤) أحدهم في مجلسه بمثل ديّته وديّة أبيه وجدّه^(٥)، يقول: هذا لي ولا لثمّ عليّ، كأنما أعطى ترائه عن أبيه وأمه، وإنما هو مال الله عزّ وجلّ، أفاءه علينا بأسيافتنا وأرماحننا، فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين، الحاكمين بغير ما أنزل الله، ولا يأخذكم في جهادهم لوم لاثم^(٥)، فإنهم إن يظهروا عليكم يُفسدوا عليكم دينكم ودنياكم؛ وهم من قد عرفتم وخبرتم؛ وإيم الله ما ازدادوا إلى يومهم هذا إلا شراً.

وقاتلهم عبد الله بن بُدَيْل في الميمنة قتالاً شديداً حتى انتهى إلى قبة معاوية. ثم إن الذين تبايعوا على الموت أقبلوا إلى معاوية، فأمرهم أن يصمدوا لابن بديل في الميمنة، وبعث إلى حبيب بن مسلمة في الميسرة، فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم، وانكشف أهل العراق من قبيل الميمنة حتى لم يبق منهم إلا ابن بُدَيْل في مائتين أو ثلثمائة من القراء، قد أسند بعضهم ظهره إلى بعض، وانجفل^(٦) الناس، فأمر على سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من أهل المدينة، فاستقبلتهم جموع لأهل الشام عظيمة، فاحتملتهم حتى ألحقتهم بالميمنة، وكان في الميمنة إلى موقف على في القلب أهل اليمن، فلما كشفوا^(٧) انتهت الهزيمة إلى على، فانصرف يتمشّي نحو الميسرة، فانكشفت عنه مضرّ من الميسرة، وثبتت ربيعة^(٨).

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعين الجهمي، عن زيد بن وهب

(١) صفين: «ألزموكم». (٢) يعني سعيد بن العاص والوليد بن عقبة.

(٣) صفين: «عبيد الله».

(٤ - ٤) صفين: «يحدث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت».

(٥) صفين: «لومة لاثم».

(٦) انجفلوا: ذهبوا مسرعين نحوهم.

(٧) يقال: كشف القوم؛ أي انهزموا. وفي صفين: «انكشفوا».

(٨) صفين: ٢٧٩، ٢٨٠، بروايته عن عمرو، عن أبي روق الهمداني.

الجُهْمَنِي ، قال : مرَّ علىَّ معه بنوه نحو الميسرة ، [ومعه ربيعة وحدها] ^(١) ، وإنِّي لأرى النَّبْلَ يمرُّ بين عاتقه ومنكبه ^(٢) ، وما من بنيه أحدٌ إلَّا يقيه بنفسه ، [فيكره علىَّ ذلك] ^(١) ، فيتقدَّم [عليه] ^(١) ، فيحول بين أهل الشام وبينه ، فيأخذه بيده إذا فعل ذلك فيلقيه بين يديه أو من ورائه ، فبصرُ به أحمر - مولى أبي سفيان ، أو عثمان ، أو بعض بني أمية - فقال [علىَّ] ^(١) : ربَّ الكعبة ؛ قتلني الله إن لم أقتلك أو تقتلني ! فأقبل نحوه ، فخرج إليه كيَّسانُ مولى علىَّ ، فاختلفا ضربتين ، فقتله مولى بني أمية ^(٣) ، ويتنزهه علىَّ ، فيقع بيده في جيب درعه ، فيجبيذه ، ثمَّ حمَّله على عاتقه ^(٣) ؛ فكأنِّي أنظر إلى رُجَيْلَتَيْهِ ، تختلفان على عنق على ^(٣) ، ثمَّ ضرب به الأرض فكسر منكبه ^(٤) وعَضُدَيْهِ ، وشدَّ ابنا علىَّ عليه : حسين ومحمد ، فضرباه بأسيا فهما ، [حتى برَدَ] ^(١) ، فكأنِّي أنظر إلى علىَّ قائمًا وإلى شبليَّه يضربان الرجلَ ، حتى إذا قتلاه وأقبلا إلى أبيهما ، والحسن قائمًا قال له : يا بني ، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك ؟ قال : كَفَيْانِي يا أمير المؤمنين . ثمَّ إن أهل الشام دنَّوا منه والله ما يزيده قربهم منه سرعةً في مشيه ، فقال له الحسن : ما ضرك لو سمعتَ حتى تنتهي إلى هؤلاء الذين قد صبروا لعدوك من أصحابك ؟ فقال : يا بني ، إن لأبيك يومًا لَن يَعدُوهُ ولا يبطئُ به عند السعي ، ولا يعجلُ به إليه المشي ، إنَّ أباك والله ما يبالي أوقَعَ على الموت ، أو وَقَعَ الموتُ عليه ^(٥) .

٣٢٩٤/١

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج الكِنْدِي ، عن مولى للأشتر ، قال : لما انهزمت ميمنة العراق وأقبل علىَّ نحو الميسرة ، مرَّ به الأشتر يركض نحو الفَرَزَع قبل الميمنة ، فقال له علىَّ : يا مالك ، قال : لبيك ؛

(١) من صفين .

(٢) صفين : « منكبه » .

(٣ - ٣) صفين : « وخالط عليا ليضربه بالسيف ، فأنهز علىَّ ، فتقع يده في جيب درعه ، فجذبته ثمَّ حمَّله على عاتقه ، فكأنِّي أنظر إلى رجلَيْه مختلفان على عنق على » .

(٤) ابن الأثير والنويري : « منكبه » .

(٥) صفين : ٢٨٠ - ٢٨٣ .

قال : انت هؤلاء القوم فقل لهم : أين فراركم من الموت الذى لن تُعجزوه ، إلى الحياة التى لن تبقى لكم ! فضى فاستقبل الناس منهنزمين ، فقال لهم هذه الكلمات التى قلها له على^(١) . وقال : إلى أيها الناس ، أنا مالك بن الحارث ، أنا مالك بن الحارث ، ثم ظن أنه بالأشتر أعرف فى الناس ، فقال : أنا الأشتر ، إلى أيها الناس . فأقبلت إليه طائفة ، وذهبت عنه طائفة ، فنادى : أيها الناس ، غضبتم بهن آبائكم ! ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم ! أيها الناس ، أخلصوا إلى مذحجاً ، فأقبلت إليه مذحج ، فقال : غضبتم بصم الجندل ! ما أرضيتكم ربكم ، ولا نصحتكم له فى عدوكم ، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحروب ، وأصحاب الغارات ، وفتيان الصباح ، وفرسان الطراد ، وحتوف الأقران ، ومذحج الطعان ؛ الذين لم يكونوا يسبقون بثأرهم ، ولا تطل دماؤهم ، ولا يعرفون فى موطن بخسف ، وأنتم حد^(٢) أهل مصركم ، وأعد^(٣) حى فى قومكم ، وما تفعلوا فى هذا اليوم ، فإنه مأثور بعد اليوم ؛ فاتقوا مأثور الأحاديث فى غد^(٤) ، واصدقوا عدوكم اللقاء فإن الله مع الصادقين . والذى نفس مالك بيده ما من هؤلاء — وأشار بيده إلى أهل الشام — رجل على مثال جناح بعوضة من محمد صلى الله عليه وسلم . أنتم ما أحسنتم القراع^(٥) ، اجلسوا سواد وجهى يرجع فى وجهى دى . عليكم بهذا السواد الأعظم ، فإن الله عز وجل لو قد فضة تبعه من بجانيه كما يتبع مؤخر السيل مقدّمه .

٣٢٩٥/١

قالوا : خذ بنا حيث أحببت . وصمد نحو عظمهم فيما يلي الميمنة ، فأخذ يزحف إليهم ، ويردّهم ، ويستقبله شباب من همدان — وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ — وقد انهزموا آخر الناس ، وكانوا قد صبروا فى الميمنة حتى أصيب منهم ثمانون ومائة رجل ، وقتل منهم أحد عشر رئيساً ، كلما قتل منهم رجل أخذ الراية آخر ، فكان الأول كريب بن شريح ، ثم شريحيل ابن شريح ، ثم مرثد بن شريح ، ثم هبيرة بن شريح ، ثم يريم بن شريح ،

٣٢٩٦/١

(١) صفين : « التى أمره على بهن » .

(٢) صفين : « أحد » . (٣) أعد ، أى أكثر عدداً .

(٤) مأثور الحديث : ما يؤثر ويروى ويخبر الناس به بعضهم بعضاً .

(٥) صفين : « ما أحسنتم اليوم » .

ثم سُمير بن شريح^(١)، فقتل هؤلاء الإخوة الستة جميعاً. ثم أخذ الراية سُفيان ابن زيد، ثم عبد بن زيد، ثم كُريب بن زيد، فقتل هؤلاء الإخوة الثلاثة جميعاً، ثم أخذ الراية عميرة بن بشير^(٢)، ثم الحارث بن بشير^(٢)، فقتلها، ثم أخذ الراية وهب بن كُريب أخو القلوص^(٣)، فأراد أن يستقبل، فقال له رجل من قومه: انصرف بهذه الراية—رحمك الله— فقد قُتل أشرافُ قومك حولها، فلا تقتل نفسك ولا من بقي من قومك؛ فانصرفوا وهم يقولون: ليت لنا عِدَّةً تَسَا من العرب يحالفوننا على الموت، ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نقتل أو نظفر^(٤). فرأوا بالأشتر وهم يقولون هذا القول، فقال لهم الأشتر: إلى أنا أحالفكم وأعاقدكم على ألا نرجع أبداً حتى نَظْفِرَ أو نَهْلِكَ. فأتوه فوقفوا معه، ففي هذا القول قال كعب بن جُعَيْل التغلبي:

* وَهَمْدَانُ زُرْقٌ تَبْتَغِي مَن تَحَالِفُ^(٥) *

وزحف الأشتر نحو الميمنة، وثاب إليه ناس تراجعوا من أهل الصبر والحياء والوفاء، فأخذ لا يصمدُ لكتيبة إلا كَشَفَهَا، ولا لجمع إلا حازه وردّه؛ فإنه لذلك إذ مرَّ بزياد بن النَّضْرٍ يحمّل إلى العسكر، فقال: مَنْ هذا؟ فقيل: زياد بن النَّضْر، استلحم^(٦) عبد الله بن بديل وأصحابه في الميمنة، فتمدَّ زياد فرفع لأهل الميمنة رايته، فصبروا، وقاتل حتى صُرِعَ، ثم لم يمكنوا إلا كَلَا شَيْءٍ حتى مرَّ بيزيد بن قيس الأرحبيّ محمولاً نحو العسكر، فقال الأشتر: مَنْ هذا؟ فقالوا: يزيد بن قيس، لما صُرِعَ زياد ابن النَّضْرُ رفع لأهل الميمنة رايته، فقاتل حتى صُرِعَ، فقال الأشتر: هذا والله الصبرُ الجميل، والفعل الكريم، ألا يستحي الرجلُ أن ينصرف لا يقتل

(١) صفين: «شمر بن شريح».

(٢) صفين: «بشر».

(٣) صفين: «أبو القلوص».

(٤) صفين: «نظفر»؛ من الظهور؛ وهو الظفر.

(٥) أي زرق العيون؛ وهو عندهم كناية عن اللوم.

(٦) استلحم، أي احتوشه العدو في القتال.

ولا يُقتل ، أو يُشفَى به على القتل ^(١) !

قال أبو مخنف : حدثني أبو جتناب الكلبي ، عن الحر بن الصياح النخعي ؛ أن الأشتر يومئذ كان يقاتل على فرس له في يده صفيحة يمانية ، إذا طأها خِلت فيها ماء منصّباً ، وإذا رفعها كاد يُعشي ^(٢) البصر شعاعها ، وجعل يضرب بسيفه ويقول :

* الغمراتِ ثمَّ ينجَلينا ^(٣) *

قال : فبصر به الحارث بن جُمهان الجُعفي والأشتر متقنّ في الحديد ، فلم يعرفه ، فدنا منه فقال له : جزاك الله خيراً منذ اليوم عن أمير المؤمنين ، وجماعة المسلمين ! فعرفه الأشتر ، فقال [يا] ^(٤) بن جُمهان ، مثلك ^(٥) يتخلف عن مثل موطنى هذا الذى أنا فيه ! فنظر إليه ابن جُمهان فعرّفه ، فكان من أعظم الرجال وأطولّه ^(٦) - وكان في لحيته خفّة قليلة ^(٧) - فقال : جُعلت فداك ! لا والله ما علمت بمكانك إلا الساعة ، ولا أفارقك حتى أموت . قال : ورآه منقذٌ وحَمِيرُ ابنا قيس الناعِطِيّان ، فقال منقذ لحمير : ما في العرب مثل هذا ، إن كان ما أرى من قتاله [على نيته] ^(٨) ، فقال له حمير : وهل النية إلا ما تراه يصنع ! قال : إني أخاف أن يكون يحاول مُسكاً ^(٩)

٣٢٩٨/١

* * *

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج ، عن مولى للأشتر ، أنه

(١) الخبر في صفين: ٢٨٢ - ٢٨٦ .

(٢) كذا في أصول الطبري ، والعش: ضعف الإبصار ؛ وفي صفين : يفشى البصر « بالغين ، أى يذهب به .

(٣) من رجز للأغلب العجل ؛ وروايته في الميداني ٢ : ٥٨ « الغمرات ثم ينجلين » ؛ قال في شرح المثل : « يضرب في احتمال الأمور العظام » .

(٤) من صفين .

(٥) صفين : « أمثلك » .

(٦) وأطولّه ؛ أى من أطول من وجد من الرجال ، وحد الضمير ذهاباً إلى المعنى . قال ابن

الأثير في النهاية ١ : ٢٦٧ : « وهو كثير في العربية من أفصح الكلام » .

(٧) صفين : « إلا أن في لحمه خفة قليلة » .

(٨) من صفين . (٩) صفين: ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

لما اجتمع إليه عظم من كان انهزم عن المينة حرّضهم ، ثم قال : عَصُوا
على التّواجد من الأضراس ، واستقبلوا القوم بهاميكهم ، وشُدّوا شِدَّةَ قوم
موتورين ثاراً بآبائهم وإخوانهم ، حِنَاقاً على عدوِّهم ، قد وطَّنوا على الموت
أنفسهم كيلا يُسبَقُوا بوتر ، ولا يلحقوا في الدنيا عاراً ، وإيمُ الله ما وُتِر
قوم قطّ بشيء أشدّ عليهم من أن يوتروا دينهم ، وإنّ هؤلاء القوم لا يقاتلونكم
إلا عن دينكم ليُسمِتوا السنّة ، ويُحيُوا البدعة ، ويعيدوكم في ضلالة قد أخرجكم
الله عزّ وجلّ منها بحسن البصيرة . فطِيبُوا عبادَ الله أنفساً بدمائكم دون دينكم ،
فإن ثوابكم على الله ، والله عنده جنّات النعيم . وإنّ الفِرار من الزّحف فيه
السلب للعزّ ، والغلبة على النّيء ، وذلّ الحيّ والممات ، وعارُ الدنيا والآخرة .
وحَمَلَ عليهم حتى كشفهم ، فألحقهم بصفوف معاوية بين صلاة
العصر والمغرب ، وانتهى إلى عبد الله بن بُدَيْل وهو في عَصْبَةٍ من القراء بين المائتين
والثلاثمائة ، وقد لصقوا بالأرض كأنّهم جُثّاً^(١) فكشف عنهم أهل الشّام ،
فأبصروا إخوانهم قد دنّوا منهم ، فقالوا : ما فعل أمير المؤمنين ؟ قالوا : حيّ
صالح في الميسرة ، يقاتل الناس أمامه ، فقالوا : الحمد لله ، قد كنا ظننّا أن قد
هلك^(٢) وهلكم . وقال عبد الله بن بُدَيْل لأصحابه : استقدّموا بنا ؛ فأرسل
الأشتر إليه : ألاّ تفعل ، اثبت مع الناس . فقاتل ، فإنّه خيرٌ لهم وأبقى
لك ولأصحابك . فأبى ، فضى كما هو نحو معاوية ، وحوله كأمثال الجبال ،
وفي يده سيّفان ، وقد خرج فهو أمام أصحابه ، فأخذ كلّما دنا منه رجلٌ
ضربه فقتله ، حتى قتل سبعة ، ودنا من معاوية فنهض إليه الناس من كل جانب ،
وأحيط به وبطائفة من أصحابه ، فقاتل حتى قُتِل ، وقُتِل ناس من أصحابه ،
ورجعت طائفة قد جرحوا منهزمين^(٣) ، فبعث الأشتر ابن جُهمان الجعفيّ فحمل
على أهل الشّام الذين يتبعون من نجا من أصحاب ابن بُدَيْل حتى نفّسوا
عنهم ، وانتهوا إلى الأشتر ، فقال لهم : ألم يكن رأيي لكم خيراً من رأيكم
لأنفسكم ! ألم آمرّكم أن تثبتوا مع الناس ! وكان معاوية قال لابن بُدَيْل وهو

٣٢٩٩/١

(١) الجثا : جمع جثوة ، وهي الكومة من التراب . (٢) النويري وابن الأثير :

« ظننا أنه قد هلك » . (٣) ابن الأثير : « ورجعت طائفة منهم مجرحين » .

يضرب قُدُماً : أَتَرُونَهُ كَبَشَ الْقَوْمِ ! فلما قُتِلَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ، فقال : انظروا مَنْ هُوَ ؟ فنظر إليه ناس من أهل الشَّام فقالوا : لا نعرفه ، فأقبل إليه حتى وقف عليه ، فقال : بلى ، هذا عبد الله بن بُدَيْل ، والله لو استطاعت نساءُ خِزَاعَةَ أَنْ تَقَاتِلَنَّا فَضِلَّا عَلَى رِجَالِهَا ^(١) لَفَعَلْتُ ، مُدَّوْهُ ، فَمَدَّوْهُ ، فقال : هذا والله كما قال الشاعر :

أَخْوَا الْحَرْبِ إِنْ عَصَتْ بِهِ الْحَرْبُ عَصَهَا وَإِنْ شَمَرَتْ يَوْمًا بِهِ الْحَرْبُ شَمَرَا ^(٢)

والبيت لحاتم طيئ . وإن الأشتر زحف إليهم فاستقبله معاوية بعكّ والأشعرين ، فقال الأشتر لمذحج : اكفونا عكّا ، ووقف في همدان وقال لِكِنْدَةَ : اكفونا الأشعرين ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وأخذ يخرج إلى قومه فيقول : إنما هم عكّ ، فاحملوا عليهم ، فيجشّون على الرُّكْبِ ويرتجزون :
يا وَيْلَ أُمِّ مَذْحِجٍ مِنْ عَكٍّ هَاتِيكَ أُمِّ مَذْحِجٍ تُبْكِي ^(٣)

فقاتلوه حتى المساء . ثم إنه قاتلهم في همدان وناس من طوائف الناس ، فحمل عليهم فأزالهم عن مواقفهم حتى ألحقهم بالصفوف الخمسة المعقّلة بالعمائم حول معاوية ، ثم شدّ عليهم شدّة أخرى فصرع الصفوف الأربعة ، — وكانوا معقّلين بالعمائم — حتى انتهوا إلى الخامس الذي حول معاوية ، ودعا معاوية بفرس فركب — وكان يقول : أردت أن أنهزم فذكرتُ قول ابن الإطنابة من الأنصار — كان جاهلياً ، والإطنابة امرأة من بَلَقَينِ :

أَبْتُ لِي عِفَّتِي وَحَيَاةَ نَفْسِي وَإِقْدَامِي عَلَى الْبَطَالِ الْمُشِيحِ ^(٤)
وإعطائي على المكروه مالى وأخذى الحمد بالثمن الرّيح
وقولي كلّما جشأت وجاشت مكانك تُحمّدى أو تستريحي
فنعنى هذا القول من الفرار .

(١) ابن الأثير : « عن رجالها » . (٢) ديوانه : ١٢١ . (٣) صفين : ٢٥٦ ، وبعده :

نَصُّهُمْ بِالسَّيْفِ أَيْ صَكٌّ فَلَا رِجَالَ كَرَجَالٍ عَكٌّ

(٤) صفين ٤٤٩ والكامل ٤ : ٦٨ مع اختلاف في الرواية . والمشيح : المجذّ .

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعين الجُهنيّ، عن زيد بن وهب، أن عليّاً لما رأى ميمنته قد عادت إلى مواقعها ومصافها وكشفت من يازائها من عدوها حتى ضاربهم في مواقعهم ومراكزهم، أقبل حتى انتهى إليهم فقال: إني قد رأيت جثثكم وانحيازكم عن صفوفكم، يجوزكم^(١) الطغاة الخفأة وأعراب أهل الشام، وأنتم لستهميم العرب، والستام الأعظم، وعمّار الليل بتلاوة القرآن، وأهل دعوة الحق إذ ضلّ الخاطئون؛ فلولا إقبالكم بعد إدباركم، وكرّكم بعد انحيازكم، وجب عليكم ما وجب على المولّى يوم الزحف دبره، وكنتم من الهاكين؛ ولكن هون وجدى، وشفى بعض أوحاح نفسي^(٢)، أنى رأيتم بأخرة حزتموهم كما حازوكم، وأزلموهم عن مصافهم كما أزالوكم، تحسّونهم بالسيوف، تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطردة [الهيهم]^(٣)؛ فالآن فاصبروا، نزلت عليكم السكينة، وثبتكم الله عز وجل باليقين، ليعلم المهزوم أنه مسخّط ربه، ومويق نفسه؛ إن في الفرار موجدة الله عز وجل عليه، والذلّ اللازم، والعار الباقي، واعتصار النّية من يده، وفساد العيش عليه. وإن الفار منه لا يزيد في عمره، ولا يرضى ربه، فموت المرء مُحِقّاً قبل إتيان هذه الخصال، خير من الرضا بالتأنيس لها^(٤)، والإقرار عليها^(٥).

قال أبو مخنف: حدثنا عبد السلام بن عبد الله بن جابر الأحمسيّ، أن رايةً بسجيلة بصيفين كانت في أحّمس بن الغوث بن أنمار مع أبي شدّاد — وهو قيس بن مكشوح بن هلال بن الحارث بن عمرو بن جابر بن عليّ ابن أسلم بن أحّمس بن الغوث — وقالت له بسجيلة: خذ رايّتنا؛ فقال: غيرى خير لكم منى، قالوا: ما نريد غيرك، قال: والله لأن أعطيتُمونيها لا أنتهى بكم دون صاحب التّرس المذهب^(٦) قالوا: اصنع ما شئت،

(١) يجوزكم: ينجيكم.

(٢) الأحاح: اشتداد الحزن والغيظ. (٣) من صفين، والهم: العطاش.

(٤) صفين: «بالتلبس بها». (٥) صفين: ٢٨٩، ٢٩٠.

(٦) بعدها في صفين: «وعلى رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستره من الشمس».

فأخذها ثم زحف ، حتى انتهى بهم إلى صاحب التُّرس المذهب — وكان في جماعة عظيمة من أصحاب معاوية ، وذكروا أنه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي — فاقتل الناسُ هنالك قتالا شديداً ، فشدَّ بسيفه نحو صاحب التُّرس ، فتعرض له روى ، مولى^(١) لمعاوية فيضرب قدّم أبي شدّاد فيقطعها ، ويضربه أبو شدّاد فيقتله ، وأُشرعت إليه الأسنة فقتل ، وأخذ الراية عبد الله ابن قِلْع الأحمسي وهو يقول :

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ أَبَا شَدَّادٍ حَيْثُ أَجَابَ دَعْوَةَ الْمُنَادِي
وَشَدَّ بِالسَّيْفِ عَلَى الْأَعَادِي نَعِمَ الْفَتَى كَانَ لَدَى الطَّرَادِ
• وفي طِعَانِ الرَّجُلِ وَالْجِلَادِ •

فقاتل حتى قُتِلَ ؛ فأخذ الراية أخوه عبد الرحمن بن قِلْع ، فقاتل حتى قُتِلَ ، ثم أخذها عَفِيفُ بْنُ إِيَّاسٍ ، فلم تزل في يده حتى تحاجز الناس ، وقُتِلَ حَازِمُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ الْأَحْمَسِيُّ — أَخُو قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ — يَوْمَئِذٍ ، وقُتِلَ نُعَيْمُ بْنُ صُهَيْبِ بْنِ الْعُلَيْيَةِ الْبَسْجَلِيُّ يَوْمَئِذٍ ، فَأَتَى ابْنُ عَمِّهِ وَاسْمُهُ نُعَيْمُ بْنُ الْحَارِثِ ابْنُ الْعُلَيْيَةِ مَعَاوِيَةَ — وَكَانَ مَعَهُ — فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْقَتِيلَ ابْنُ عَمِّي ، فَهَبْ لِي أَدْفِنَهُ ، ٢٣٠٣/١
فَقَالَ : لَا تَدْفِنَهُ فَلَيْسَ لَذَلِكَ أَهْلًا ، وَاللَّهِ مَا قَدَرْنَا عَلَى دَفْنِ ابْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا سَرًّا . قَالَ : وَاللَّهِ لَتَأْذَنَنَّ فِي دَفْنِهِ أَوْ لَأَلْحَقَنَّ بِهِمْ وَلَادَعَنَّكَ . قَالَ مَعَاوِيَةُ : أُنْزِلْ أَشْيَاخَ الْعَرَبِ^(٢) قَدْ أَحَالَتْهُمْ أُمُورُهُمْ^(٢) ، فَأَنْتَ تَسْأَلُنِي فِي دَفْنِ ابْنِ عَمِّكَ ! أَدْفِنَهُ إِنْ شِئْتَ أَوْ دَعُ . فَلَدَفَنَهُ^(٣) .

قال أبو مخنف : حدثني الحارث بن حصيرة الأزدي ، عن أشياخ من النِّسْرِ مِنَ الْأَزْدِ ، أَنَّ مِخْنَفَ بْنَ سُلَيْمٍ لَمَّا نُدِبَتْ الْأَزْدُ لِلْأَزْدِ ، حَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ مِنَ الْخَطَا الْجَلِيلِ ، وَالْبَلَاءِ الْعَظِيمِ ، أَنَا صَرَفْنَا إِلَى قَوْمِنَا وَصَرَفُوا إِلَيْنَا ، وَاللَّهِ مَا هِيَ إِلَّا أَيْدِينَا نَقْطَعُهَا بِأَيْدِينَا ، وَمَا هِيَ إِلَّا أَجْنَحَتُنَا نَجِدُّهَا بِأَسْيَافِنَا ، فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَوَاسِرْ جَمَاعَتَنَا ، وَلَمْ نَنَاصِصْ صَاحِبِنَا كَفَرْنَا ، وَإِنْ

(١) صفين : « من دونه » . (٢-٢) صفين : « لا نواريهم » .

(٣) صفين ٢٩١ ، ٢٩٣ .

نحن فعلنا فغزنا أبجنا ، وفارنا أحمداً ، فقال له جندب بن زهير : والله لو كنا آباءهم وولدناهم - أو كنا أبناءهم وولدناهم - ثم خرجوا من جماعتنا ، وطعنوا على إمامنا ، وإذا هم الحاكمون بالجور على أهل ملتنا وذمتنا ، ما افترقنا بعد أن اجتمعنا حتى يرجعوا عما هم عليه ، ويدخلوا فيما ندعوهم إليه ، أو تكثروا القتل بيننا وبينهم .

فقال له مخنف - وكان ابن خالته : أعز الله بك النية ^(١) ؛ والله ما علمت صغيراً وكبيراً إلا مشؤماً ، والله ما ميسلنا ^(٢) الرأى قط أيهما نأى أو أيهما نددع - في الجاهلية ولا بعد أن أسلمنا - إلا اخترت أعسرهما وأنكدهما ، اللهم إن تعافى أحب إلينا من أن تبطلني ، فأعط كل امرئ منا ما يسألك .

٣٣٠٤/١

وقال أبو بريدة بن عوف : اللهم احكم بيننا بما هو أرضى لك . يا قوم إنكم تبصرون ما يصنع الناس ، وإن لنا الأسوة بما عليه الجماعة إن كنا على حق ، وإن يكونوا صادقين فإن أسوة في الشر - والله ما علمنا - ضرر في الحيا والممات .

وتقدم جندب بن زهير ، فبارز رأس أزد الشام ، فقتله الشامي ، وقتل من رهطه عجل وسعد ابنا عبد الله من بني ثعلبة ، وقتل مع مخنف من رهطه عبد الله وخالد ابنا ناجد ، وعمرو وعامر ابنا عوف ، وعبد الله بن الحجاج وجندب بن زهير ، وأبو زينب بن عوف بن الحارث ، وخرج عبد الله بن أبي الحصين الأزدي في القراء الذين مع عمار بن ياسر فأصيب معه ^(٣) .

قال أبو مخنف : وحدثني الحارث بن حصيرة ، عن أشياخ النمر ، أن عقبة بن حديد النمرى قال يوم صفين : ألا إن مرعى الدنيا [قد] ^(٤) أصبح هشيماً ، وأصبح شجرها خضيداً ، وجديدها سَمَلاً ، وحلوه مر المذاق . ألا وإني أنبئكم نبأ امرئ صادق : إني قد ستمت الدنيا وعزفت نفسي عنها ،

(١) صفين : « أعزبك الله في التيه » .

(٢) التميل : الترجيح .

(٣) صفين : ٢٩٧ ، ٢٩٨ . (٤) من صفين .

وقد كنت أتمنى الشهادة ، وأتعرض لها في كل جيش^(١) وغارة ، فأبى الله عز وجل إلا أن يبلّغني هذا اليوم . ألا وإنّ متعرض لها من ساعتى هذه ، قد طمعت ألا أحرّمها ، فما تنتظرون عباد الله بجهاد من عادى الله ؟ خوفاً^(٢) من الموت القادم عليكم ، الذاهب بأنفسكم لا محالة ، أو من ضربة كف بالسيف ! تستبدلون الدنيا بالنظر في وجه الله عز وجل وموافقة النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين في دار القرار ! ما هذا بالرأى السديد . ثم مضى فقال : يا إخوانى ، قد بعثت هذه الدار بالتي أمامها ، وهذا وجهى إليها لا يبرح وجوهكم ، ولا يقطع الله عز وجل رجاءكم . فتبعه إخوانه : عبيد الله وعوف ومالك ، وقالوا : لا نطلب رزق الدنيا بعدك ، فقبّح الله العيش بعدك ! اللهم إنا نحتسب أنفسنا عندك ! فاستقدموا فقاتلوا حتى قُتِلوا^(٣) .

٣٣٠٥/١

قال أبو مخنف : حدثني صلة^(٤) بن زهير النهديّ ، عن مسلم^(٥) بن عبد الله الضبابيّ ، قال : شهدت صفين مع الحى ومعنا شمر بن ذى الجوشن الضبابيّ ، فبارزه أدهم بن محرز الباهليّ ، فضرب أدهم وجهه شمر بالسيف ، وضربه شمر ضربة لم تضربه ، فرجع شمر إلى رحله فشرّب شربة — وكان قد ظمئ — ثم أخذ الرمح ، فأقبل وهو يقول :

إني زعيم لأخي باهله بطعنة إن لم أصب عاجله
أو ضربة تحت القنا والوعى^(٦) شبيهة بالقتل أو قاتله
ثم حمل على أدهم فصرعه ، ثم قال : هذه بتلك^(٧) .

قال أبو مخنف : حدثني عمرو بن عمرو بن عوف بن مالك الجُشميّ أن بشر بن عيصمة المزنيّ كان لحق بمعاوية ، فلما اقتتل الناس بصيفين بصّر

(١) صفين : « حين » . (٢) صفين : « أخوف الموت القادم عليكم ! »

(٣) صفين : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٤) ط : « ملة » ، وفي صفين : « الصلت » ، وانظر الطبري ٢ : ٦٣٥ (طبع ليدن) .

(٥) ط : « عن أبي مسلم » ، وانظر الفهرست .

(٦) صفين : « وضربة تحت الوعى فاصله » .

(٧) صفين : ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

بشر بن عِصْمَةَ بمالك بن العَقْدِيَّةِ فهو مالك بن الجُلَّاحِ الجُشَمِيّ، ولكنَّ العَقْدِيَّةَ غلبتْ عليه— فرآه بِشَرٌ وهو يَتَفَرَّى في أهل الشام فَرِيًّا عَجِيْبًا ، وكان رجلاً مسلماً شجاعاً ، فغاض بِشراً ما رأى منه ، فحمل عليه فطعنه فصرعه ، ثم انصرف ، فندم لطحته إِيَّاه جَبَّاراً ، فقال :

وإني لأَرْجُو مِنْ مَلِيكِي تَجَاوُزًا وَمِنْ صَاحِبِ الْمَوْسُومِ فِي الصَّدْرِ هَاجِسُ^(١)
دَلَقْتُ لَهُ تَحْتَ الْغُبَارِ بَطْنَةً عَلَى سَاعَةٍ فِيهَا الطَّعَانُ تَخَالِسُ
فبلغتْ مَقَالَتُهُ ابْنَ الْعَقْدِيَّةِ ، فقال :

أَلَا أَبْلَغًا بِشَرٍ بَنَ عِصْمَةَ أَنِّي شُغِلْتُ وَأَلْهَانِي الَّذِينَ أَمَارِسُ
فَصَادَفَتْ مِنِّي غِرَّةً وَأَصَبَتْهَا كَذَلِكَ وَالْأَبْطَالُ مَاضٍ وَخَالِسُ

ثم حمل عبد الله بن الطُّفَيْلِ الْبَسْكَائِيَّ عَلَى جَمْعِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَلَمَّا انصرف حمل عليه رجل من بني تَسِيمٍ—يقال له قيس بن قُرَّة، مِمَّنْ لَحِقَ بِمَعَاوِيَةَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ— فَبَضَعَ الرَّمْحُ بَيْنَ كَتِفَيْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطُّفَيْلِ ، وَبَعَثَهُ يَزِيدُ ابْنُ مَعَاوِيَةَ، ابْنُ عَمِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطُّفَيْلِ ، فَبَضَعَ الرَّمْحَ بَيْنَ كَتِفَيْ التَّمِيمِيِّ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَنْ طَعَنْتَهُ لَأَطْعَنْتَكَ ، فَقَالَ : عَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ لَنْ رَفَعْتُ السِّنَانَ عَلَى ظَهْرِ صَاحِبِكَ لَتَرْفَعَنَّ سِنَانُكَ عَنِّي ! فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ ، لَكَ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ ؛ فَرَفَعَ السِّنَانَ عَنْ ابْنِ الطُّفَيْلِ ، وَرَفَعَ يَزِيدُ السِّنَانَ عَنْ التَّمِيمِيِّ ، فَقَالَ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ بَنِي عَامِرٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكُمْ ! أَيْنَمَا^(٢) أَلْفِكُمْ أَلْفِكُمْ كِرَامًا ، وَإِنِّي لِحَادِي عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَرَهْطِي قَتَلْتُمُوهُمْ الْيَوْمَ ، وَأَنَا كُنْتُ آخِرَهُمْ . فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ إِلَى الْكُوفَةِ عَتَبَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الطُّفَيْلِ فِي بَعْضِ مَا يَعْتَبُ فِيهِ الرَّجُلُ عَلَى ابْنِ عَمِّهِ ، فَقَالَ لَهُ :

أَلَمْ تَرَنِي حَامِيْتُ عَنْكَ مُنَاصِحًا بِصَفَيْنِ إِذْ خَلَكَ كُلُّ حَمِيمٍ
وَنَهْنَهْتُ عَنْكَ الْخَنْظَلُ وَقَدْ أَتَى عَلَى سَابِحِ ذِي مِيعَةٍ وَهَزِيمٍ^(٣)

(١) المَوْسُومُ : اسمُ فَرَسٍ . (٢) ط : « أَبَا » ؛ وَفِي الْأَصُولِ : « أَبَا » ، وَكِلَاهُمَا تَصْحِيفٌ .

(٣) صَفِيْنِ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ مَعَ تَصْرِفٍ وَزِيَادَةٍ وَاجْتِصَارٍ .

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج ، قال : خرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة ، فخرج إليه عبد الرحمن بن محرز الكندي ، ثم الطمحي^(١) ، فتجاولا ساعة . ثم إن عبد الرحمن حمل على الشامي فطعنه في ثغرة^(٢) نحره فصرعه ، ثم نزل إليه فسلبه درعه وسلاحه ، فإذا هو حبشي^(٣) ، فقال : إنا لله ! ليمن أخطرت نفسي ! لعبد أسود^(٤) ! وخرج رجل من عك يسأل المبارزة ، فخرج إليه قيس بن فهذهان الكِناني ، ثم البديني ، فحمل عليه العكبي فصربه واحتمله أصحابه فقال قيس بن فهذهان :

لَقَدْ عَلِمْتُ عَكَ بِصَفِينِ أَنَا إِذَا التَّقَتِ الْخِلَانُ نَطَعْنَهَا شَرَارَا
وَنَحْمِلُ رَايَاتِ الطَّعَانِ بِحَقِّهَا فَنُورِدُهَا بِيضًا وَنُصْدِرُهَا حُمْرَا^(٥)

قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن خديج أن قيس بن فهذهان كان يحرّض أصحابه فيقول : شدوا إذا شددتم جميعاً ، وإذا انصرفتم فأقبلوا معاً ، وغضضوا الأبصار ، وأقلّوا اللفظ ، واعتوروا الأقران ، ولا يؤتبن من قبلكم العرب . قال : وقتل نهيك بن عزير - من بني الحارث بن عدي وعمر بن يزيد من بني ذهل ، وسعيد بن عمرو - وخرج قيس بن يزيد وهو ممن فرّ إلى معاوية من عليّ ، فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه أخوه أبو العَمَرَّة بن يزيد ، فتعارفا ، فتواقفا وانصرفا إلى الناس ، فأخبر كل واحد منهما أنه لقي أخاه .

٢٣٠٨/١

قال أبو مخنف : حدثني جعفر بن حذيفة من آل عامر بن جوين الطائي ، أن طيئاً يوم صفين قاتلت قتالا شديداً ، فعبست لهم جموع كثيرة ، فجاءهم حمزة بن مالك الهمداني ، فقال : ممن أنتم ، لله أنتم ! فقال عبد الله ابن خليفة البسولاني^(٦) - وكان شيعياً شاعراً خطيباً : نحن طيئ السهل ، وطيئ

(١) ط : « الطمحي » تحريف ، وطمح : بطن من كندة ، وانظر القاموس والاشتقاق .

(٢) ثغرة النحر : فقرته .

(٣) صفين : « أسود » .

(٤) صفين : « فقال : يا لله ! لقد أخطرت نفسي لعبد أسود » .

(٥) صفين : ٣١٣ ، ٣١٤ .

(٦) صفين : « الطائي » ، وبولان : إحدى قبائل طيئ .

الرميل ، وطبيّج الجبل ، الممنوع ذى النخل ؛ نحن حُماة الجبلين ، إلى ما بين
العُدَيب والعَيْن ، نحن طبيّج الرماح ، وطبيّج النطاح ^(١) ، وفُرسان الصّباح .
فقال حمزة بن مالك : بخ بخ ! إنك لحسن الثناء على قومك ؛ فقال :

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِنَجْدَةِ مَعْشَرٍ فَأَقْدِمْ عَلَيْنَا وَيَبْ غَيْرِكَ تَشْعُرُ ^(٢)
ثم اقتتل الناس أشدّ القتال ، فأخذ يناديهم ويقول : يا معشر طبيّج ،
فِدَى لَكُمْ طَارِفِي وَتَالِدِي ! قَاتِلُوا عَلَى الْأَحْسَابِ ، وَأَخَذَ يَقُول :

أَنَا الَّذِي كُنْتُ إِذَا الدَّاعَى دَعَا مُضْمَمًا بِالسَّيْفِ نَدْبًا أَرْوَعًا ^(٣)
فَأُنْزِلَ الْمُسْتَلْتِمَ الْمُقْنَعَا وَأَقْتُلُ الْمُبَالِطَ السَّمِيدَا
وقال بشر بن العسوس الطائي ثم الملقطى :

يَا طَبِيجَ السُّهُولِ وَالْأَجْبَالِ أَلَا انْهَدُوا بِالْبَيْضِ وَالْعَوَالِ
وَبِالْكُمَاةِ مِنْكُمْ الْأَبْطَالِ فَقَارِعُوا أُمَمَةَ الْجَهَالِ
* السَّالِكِينَ سُبُلَ الضَّلَالِ ^(٤) .

فَفُتِّقْتُ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ ابْنِ الْعَسُوسِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :
أَلَا لَيْتَ عَيْنِي هَذِهِ مِثْلُ هَذِهِ فَلَمْ أَمْشِ فِي الْآنَاسِ إِلَّا بِقَائِدِ ^(٥)
وَيَالَيْتَنِي لَمْ أَبْقَ بَعْدَ مُطَرِّفٍ وَسَعْدٍ وَبَعْدَ الْمُسْتَنْيرِ بْنِ خَالِدٍ
فَوَارِسَ لَمْ تَغْذُ الْحَوَاضِينَ مِثْلَهُمْ إِذَا الْحَرْبُ أَبَدَتْ عَنْ خَدَامِ الْخَرَائِدِ ^(٦)

(١) صفين وابن الأثير : « البطاح » .

(٢) صفين : « ويل غيرك » .

(٣) رواية الرجز في صفين :

يَا طَبِيجَ الْجِبَالِ وَالسُّهْلِ مَعَا إِنَّا إِذَا دَاعٍ دَعَا مُضْطَجِعَا
نَدْبُ السَّيْفِ دَيْبًا أَرْوَعَا فَنُنْزِلُ الْمُسْتَلْتِمَ الْمُقْنَعَا
* وَنَقْتُلُ الْمُنَازِلَ السَّمِيدَا *

(٤) صفين : « الجهال » .

(٥) صفين : « ولم أَمْشِ بَيْنَ النَّاسِ » .

(٦) الحواضين : الأمهات . والخدّام : السيّقان ، واحداً منها خدّمة .

وباليت رجلٍ ثمَّ طُنْتُ بِنِصْفِهَا (١) وباليت كفى ثمَّ طاحت بِساعدي (٢)

٣٣١٠/١

قال أبو مخنف : حدثني أبو الصلت التيمي ، قال : حدثني أشياخ محارب ، أنه كان منهم رجل يقال له خنثر بن عبيدة بن خالد (٣) ، وكان من أشجع الناس ، فلما اقتتل الناس يومَ صفين ، جعل يرى أصحابه منهزمين ، فأخذ ينادي : يا معشر قيس ، أطاعةُ الشيطان آثرُ عندكم من طاعة الرحمن ! الفِرار فيه معصية الله سبحانه وسخطه ، والصبر فيه طاعة الله عز وجل ورضوانه ، فتختارون سخطَ الله تعالى على رضوانه ، ومعصيته على طاعته ! فإنما الراحة بعد الموت لمن مات محاسباً لنفسه . وقال :

لَا وَالَّتِ نَفْسُ امْرِئٍ وَلَّى الدُّبُرَ (٤) أَنَا الَّذِي لَا يَتَنَّى وَلَا يَفِرُّ
* وَلَا يُرَى مَعَ الْمَازِلِ الْغُدُرُ (٥) *

فقاتل حتى ارتث . ثم إنه خرج مع الحمسمائة الذين كانوا اعتزلوا مع فرّوة بن نوفل الأشجعي ، فتلوا بالأسكرة والبسندنجين ، فقاتلت النّخع يومئذ قتالاً شديداً ، فأصيب منهم يومئذ بكّر بن هوذة وحيّان بن هوذة وشُعيب بن نعيم من بني بكر النّخع ، وربيعه بن مالك بن وهبيل ، وأبى بن قيس أخو علقمة بن قيس الفقيه ، وقُطِعت رجل علقمة يومئذ ، فكان يقول : ما أحبّ أن رجلي أصحّ ما كانت ، وإنها لما أرجو به حسن الثواب من ربي عز وجل . وقال : لقد كنت أحبّ أن أرى في نومي أخي أو بعض إخواني ، فرأيتُ أخي في النوم فقلت : يا أخي ، ماذا قدّمتم عليه ؟ فقال لي : إنا التقينا نحن والقوم ، فاحتججنا عند الله عز وجل ، فحججناهم ، فما سررت منذ عقلتُ سروري بتلك الرؤيا (٦) .

(١) طنت : قطعت وسقطت .

(٢) صفين : ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٣) صفين : « عنتر بن عبيد بن خالد » .

(٤) وألت : نجت ، وفي صفين : « ولت دبر » .

(٥) المازيل : جمع مزال ؛ وهو الذي لا سلاح معه .

(٦) صفين : ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

قال أبو مخنف : حدثني سُوَيْدُ بْنُ حَيْمَةَ الْأَسَدِيُّ ، عن الْحَضَيْنِ
ابن المنذر ، أَنَّ أَنَاسًا كَانُوا أَتَوْا عَلِيًّا قَبْلَ الْوَقْعَةِ فَقَالُوا لَهُ : إِنَّا لَا نَرَى
خَالِدَ بْنَ الْمُعَمَّرِ إِلَّا قَدْ كَاتَبَ مُعَاوِيَةَ ، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَتَابِعَهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ
عَلِيٌّ وَإِلَى رِجَالٍ مِنْ أَشْرَافِنَا ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدُ
يَا مُعَمَّرُ رُبِيعَةَ ، فَأَنْتُمْ أَنْصَارِي وَمَجِيئُو دَعْوَتِي وَمِنْ أَوْثَقِي حَتَّى فِي الْعَرَبِ فِي
نَفْسِي ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ كَاتَبَ صَاحِبَكُمْ خَالِدَ بْنَ الْمُعَمَّرِ ، وَقَدْ
أَتَيْتُ بِهِ ، وَجَمَعْتُكُمْ لِأَشْهَدَ كُمْ عَلَيْهِ وَلَتَسْمَعُوا أَيْضًا مَا أَقُولُهُ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ،
فَقَالَ : يَا خَالِدَ بْنَ الْمُعَمَّرِ ، إِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي حَقًّا فَإِنِّي أَشْهَدُ اللَّهُ وَمَنْ
حَضَرَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّكَ آمِنٌ حَتَّى تَلْحَقَ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ أَوْ الْحِجَازِ أَوْ
أَرْضِ لَا سُلْطَانَ لِمُعَاوِيَةَ فِيهَا ، وَإِنْ كُنْتَ مَكْذُوبًا عَلَيْكَ ، فَإِنْ صَلَدُونَا
تَطْمِئِنُّ إِلَيْكَ . فَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا فَعَلَ ، وَقَالَ رِجَالٌ مِنْهُمْ كَثِيرٌ : لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ
فَعَلَ أَمْثَلَنَاهُ ^(١) ، فَقَالَ شَقِيقُ بْنُ ثَوْرٍ السَّدُوسِيُّ : مَا وَفَّقَ خَالِدَ بْنَ الْمُعَمَّرِ
أَنْ نَصَرَ ^(٢) مُعَاوِيَةَ وَأَهْلَ الشَّامِ عَلَى عَلِيٍّ وَرُبِيعَةَ ؟ فَقَالَ زِيَادُ بْنُ خَصَّصَةَ
الْتِمِيمِيُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اسْتَوْثِقَ مِنْ ابْنِ الْمُعَمَّرِ بِالْإِيمَانِ لَا يَغْدِرَنَّكَ .
فَاسْتَوْثِقَ مِنْهُ ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا . فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ انْهَزَمَ النَّاسُ مِنْ قِبَلِ
الْمَيْمَنَةِ ، فَجَاءَنَا عَلِيٌّ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْنَا وَمَعَهُ بَنُوهُ ، فَنَادَى بِصَوْتٍ عَالٍ جَهِيرٍ ،
كَبِيرٍ الْمَكْتَرِثِ لِمَا فِيهِ النَّاسُ : لِمَنْ هَذِهِ الرَّايَاتُ ؟ قُلْنَا : رَايَاتُ رُبِيعَةَ ، فَقَالَ :
بَلْ هِيَ رَايَاتُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، عَصَمَ اللَّهُ أَهْلَهَا ، فَصَبَّرْهُمْ ، وَثَبَّتْ أَقْدَامَهُمْ .
ثُمَّ قَالَ لِي : يَا فَتَى ، أَلَا تَدُنِي رَايَتُكَ هَذِهِ ذِرَاعًا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ وَاللَّهِ وَعَشْرَةَ
أَذْرُعٍ ؟ فَقَمْتُ بِهَا فَأَدْنَيْتُهَا ، حَتَّى قَالَ : إِنَّ حَسْبَكَ مَكَانَكَ ، فَثَبَّتُ حَيْثُ
أَمَرَنِي ، وَاجْتَمَعَ أَصْحَابِي ^(٣) .

* * *

قال أبو مخنف : حدثنا أبو الصلت التيمي ، قال : سمعتُ أشياخَ الحنَّ

(١) صفين وابن الأثير : « لقتلناه » .

(٢) صفين : « حين نصر » .

(٣) صفين : ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

من تيم الله بن ثعلبة يقولون : ^(١) « إن راية ربيعة ؛ أهل كوفتها وبصرتها ، كانت مع خالد بن المعمر ^(٢) من أهل البصرة . قال : وسمعتهم يقولون : إن خالد ابن المعمر وسفيان بن ثور [السدوسي] ^(٣) اصطلحا على أن وليا راية بكر بن وائل من أهل البصرة الحضيض بن المنذر الذُّهلي ، وتنافسَا في الرّاية ، وقالا : هذا فتى منا له حسَب ، نجعلها له حتى نرى من رأينا .

ثم إن علياً ولّى خالد بن المعمر بعد راية ربيعة كلّها . قال : وضرب معاوية الحمير بسهمهم على ثلاث قبائل ، لم تكن لأهل العراق قبائل أكثر عدداً منها يومئذ : على ربيعة وهمّندان ومذحج ، فوقع سهم حمير على ربيعة ، فقال ذو الكلاع : قبحك الله من سهم ! كرهت الضراب ! فأقبل ذو الكلاع في حمير ومن تعلقها ، ومعهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب في أربعة آلاف من قرء أهل الشام ، وعلى ميمتهم ذو الكلاع ، فحملوا على ربيعة ، وهم ميسرة أهل العراق ، وفيهم ابن عباس ، وهو على الميسرة ، فحمل عليهم ذو الكلاع وعبيد الله بن عمر حملة شديدة بخيلهم ورجلهم ، فتضعفت رايات ربيعة إلا قليلا من الأخيار والأبدال ^(٣) . قال : ثم إن أهل الشام انصرفوا ، فلم يمتكوا إلا قليلا حتى كروا ، وعبيد الله بن عمر يقول : يا أهل الشام ، إن هذا الحى من أهل العراق قتلة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وأنصار على بن أبي طالب ، وإن هزمت هذه القبيلة أدركتم ثأركم في عثمان وهلك على بن أبي طالب وأهل العراق ، فشدوا على الناس شدة ^(٤) ، فثبتت لهم ربيعة ، وصبروا صبراً حسناً إلا قليلا من الضعفاء والفسّكة ، وثبت أهل الرايات وأهل الصبر منهم والحفاظ ، فلم يزولوا ، وقاتلوا قتالا شديداً . فلما رأى خالد بن المعمر ناساً من قومه انصرفوا انصرف ، ولمّا رأى أصحاب الرايات قد ثبتوا ورأى قومه قد صبروا رجع وصاح بمن انهزم ، وأمرهم بالرجوع ،

٣٣١٣/١

(١ - ١) صفين : « كانت راية ربيعة كوفيتها وبصرتها مع خالد بن المعمر » .

(٢) من صفين .

(٣) صفين : من الأحشام والأبدال . والأحشام : الأتباع .

(٤) بعدها في ابن الأثير والنويري : « عظيمة » .

فقال : مَنْ أراد من قومه أن يتهمه ؛ أراد الانصراف . فلما رأنا قد ثبتنا رجع إلينا وقال هو : لما رأيت رجالاً منا انهزموا رأيتُ أن أستقبلهم وأردّهم إليكم ، وأقبلت إليكم فيمن أطاعني منهم ، فجاء بأمر مشبه^(١) .

قال أبو مخنف : حدثني رجل من بكر بن وائل ، عن محرز بن عبد الرحمن العجليّ ، أن خالد^(٢) قال يومئذ : يا معشر ربيعة ، إن الله عز وجل قد أتى بكل رجل منكم من منبته ومسقط رأسه ، فجمعكم في هذا المكان جمعاً لم يجمعكم مثله منذ نشركم في الأرض ، فإن تمسكوا بأيديكم^(٣) ، وتكفلوا عن عدوكم ، وتزولوا عن مصافكم^(٤) لا يرض الله فعلكم ، ولا تقدّموا من الناس صغيراً أو كبيراً إلا يقول : فضحت ربيعة الذمار ، وحاصت عن القتال^(٥) ، وأتيت من قبلها العرب ، فإياكم أن يتشاءم بكم العرب والمسلمون اليوم . وإنكم إن تمضوا مقبلين مقدمين ، وتصيروا محتسبين فإن الإقدام لكم عادة ، والصبر منكم سجيّة ، واصبروا ونيتكم [صادقة]^(٦) أن تؤجروا ، فإن ثواب من نوى ما عند الله شرف الدنيا وكرامة الآخرة ، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً .

فقام رجل [من ربيعة]^(٧) فقال : ضاع والله أمر ربيعة حين جعلت إليك أمورها ! تأمرنا ألا نزل ولا نحول حتى تقتل أنفسنا ، وتسفك دماءنا ! ألا ترى الناس قد انصرف جلّهم ! فقام إليه رجال من قومه فنهروه وتناولوه بالستهم^(٨) . فقال لهم خالد : أخرجوا هذا من بينكم ، فإن هذا إن بقي فيكم

(١) صفين: ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، وفيها : « فجاء بأمر مشبه » .

(٢) صفين : « خالد بن المعمر » . (٣) صفين : « أيديكم » .

(٤) صفين : « وتحولوا عن مصافكم » .

(٥ - ٥) صفين : « لا يرض الرب فعلكم ، ولا تعدموا معيراً ، يقول : فضحت ربيعة الذمار وخامت عن القتال » .

(٦) من صفين .

(٧) صفين : « فتناولوه بقسيهم ولكزوه بأيديهم » .

ضرّكم^(١) ، وإن خرج منكم لم ينقُصكم ، هذا الذي لا ينقص العدد ، ولا يملأ البلد ، برّحك^(٢) الله من خطيب قوم كرام ! كيف جُنبت السداد ! واشتدّ قتال ربيعة وحمير وعبيد الله بن عمر حتى كثرت بينهم القتلى^(٣) ، فقتل سُمير بن الريان بن الحارث العجلي^(٤) ، وكان من أشدّ الناس بأساً^(٥) .

قال أبو مخنف : حدثني جيفر بن أبي القاسم العبدى ، عن يزيد بن علقمة ، عن زيد بن بدر العبدى ، أن زياد بن خصّفة أتى عبد القيس يوم صِفّين وقد عبّيت قبائل حمير مع ذى الكلاع - وفيهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب - لبكر بن وائل ، فقتلوا^(٦) قتالاً شديداً ، خافوا فيه الهلاك . فقال زياد بن خصّفة : يا عبد القيس ، لا بكر بعد اليوم^(٧) . فركبنا الخيول ، ثم مضينا فواقفناهم ، فما لبثنا إلا قليلاً حتى أصيب ذو الكلاع ، وقتل عبيد الله بن عمر رضى الله عنه ، فقالت همدان : قتله هاني بن خطاب الأرجي^(٨) ؛ وقالت حضرموت : قتله مالك بن عمرو التّسعى^(٩) ، وقالت بكر ابن وائل : قتله مُحَرِّز بن الصّحّصح من بني عائش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ، وأخذ سيفه ذا الوشاح ، فأخذ به معاوية بالكوفة بكر بن وائل ، فقالوا : إنما قتله رجل منا من أهل البصرة ، يقال له : محرز بن الصّحّصح ، فبعث إليه بالبصرة فأخذ منه السيف ، وكان رأس النّمر بن قاسط عبد الله بن عمرو من بني تيم الله بن النّمر^(٩) .

٢٣١٥/١

-
- (١) صفين : « أضرّ بكم » . (٢) برّحك الله ؛ أى عذبك . (٣) بعدها فى صفين : « وحمل عبيد الله بن عمر ، فقال : أنا الطيب ابن الطيب ، قالوا : أنت الخبيث ابن الخبيث » . (٤) صفين : « شمر بن الريان بن الحارث » . (٥) صفين : ٣٢٨ - ٣٣٠ ؛ وزاد فيه : « ثم خرج نحو من خمسمائة فارس أو أكثر من أصحاب عليّ ، على رؤوسهم البيض وهم غائصون فى الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ، وخرج إلهم من أهل الشام نحوهم فى العدد ، فاقتتلوا بين الصّفين والناس تحت راياتهم ، فلم يرجع من هؤلاء وهؤلاء مخبر ، لا عراقى ولا شامى ، قتلوا جميعاً بين الصّفين » . (٦) صفين : « فقاتلوا » . (٧) بعدها فى صفين : « إن ذا الكلاع وعبيد الله أبادا ربيعة ، فانهضوا معهم وإلا هلكوا » . (٨) صفين : « السيمى » . (٩) صفين : ٣٣٤ - ٣٣٦ ؛ بتفصيل أكثر .

قال هشام بن محمد : الذى قتل عُبَيْدَ الله بن عمرَ رضى الله عنه محرزُ بن الصَّحَّاحِ ، وأخذ سيفه ذا الوشاح ، سيفَ عمر ، وفى ذلك قول كعب بن جُعيل التغلبيّ :

ألا إنما تبسكي العيونُ لفاريسٍ بصفينَ أجَلَتْ حَيْلُهُ وَهُوَ واقِفٌ
يُبَدِّلُ مِنْ أَسْمَاءِ أَسْيَافٍ وَاثِلٍ وكان قَتَّى لو أخطأته المَتَافِ
تركنَ عُبَيْدَ الله بالقاعِ مُسْنَدًا ^(١) تَمُجُّ دَمَ الخِرْقِ العُرُوقِ الذَّوَارِفُ

وهي أكثر من هذا ^(٢) . وقتل منهم يومئذ بِشْر بن مرّة بن شَرَحْبِيل ، والحارث بن شَرَحْبِيل ، وكانت أسماء ابنة عطارد بن حاجب التميمي تحت عبيد الله بن عمر ، ثم خلف عليها الحسن بن عليّ .

٣٣١٦/١

قال أبو مخنف : حدثني ابن أخي غياث بن لَقِيط البكري أن عليّاً حيث انتهى إلى ربيعة ، تبارت ربيعة بينها ، فقالوا : إن أصيب عليّ فيكم وقد لجأ إلى رايتكم افتضحتم . وقال لهم شقيق بن ثور : يا معشر ربيعة ، لا عذرَ لكم في العرب إن وُصِلَ إلى عليّ فيكم وفيكم رجلٌ حَيٌّ ، وإن منعموه فبعدُ الحياة اكتسبتموه . فقاتلوا قتالاً شديداً حين جاءهم عليّ لم يكونوا قاتلوا مثله ، ففى ذلك قال عليّ :

لِمَنْ رَايَةٌ سَوْدَاهُ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَّمَهَا حُضَيْنُ تَقَدَّمَا ^(٣)
يُقَدِّمُهَا فِي الْمَوْتِ حَتَّى يُزِيرَهَا حِيَاضُ الْمَنَايَا تَقَطُرُ الْمَوْتَ وَالْدَّمَ ^(٤)
أَذَقْنَا ابْنَ حَرْبٍ طَعْمَنَا وَضِرَابَنَا بِأَسْيَافِنَا حَتَّى تَوَلَّى وَأَحْجَمَا
جَزَى اللهُ قَوْمًا صَابَرُوا فِي لِقَائِهِمْ لَدَى الْمَوْتِ قَوْمًا مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا ^(٥)

(١) صفين : « مسلماً » ، أى متروكاً .

(٢) تسعة أبيات ؛ أوردها نصر في صفين ٣٣٦ .

(٣) الأبيات لحضين بن المنذر ؛ وفى رواية صفين : « أقبل الحضين بن المنذر - وهو يومئذ غلام - يزحف برأيته ؛ وكانت حمراء ، فأعجب علياً زحفه وثباته فقال . . . » . وأورد الأبيات .

(٤) صفين : « حتى يديرها . . . حمام المنايا » .

(٥) صفين : « لدى البأس حراً » .

وَأَطِيبَ أَخْبَاراً وَأَكْرَمَ شِيمَةً إِذَا كَانَ أَصْوَاتُ الرِّجَالِ تَغْمَغُمًا^(١)
رَبِيعَةً أَغْنَىٰ عَنْهُمْ أَهْلُ نَجْدَةٍ وَبَأْسٍ إِذَا لاقُوا جَسِيماً عَرَمَرَمًا^(٢)

* * *

مقتل عمار بن ياسر

قال أبو مخنف : حدثني عبد الملك بن أبي حرة الحنفي ، أن عمار بن ياسر خرج إلى الناس ، فقال : اللهم إني أعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أفد نفسي في هذا البحر لفعلته ، اللهم إني أعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبئة سيفي في صدري ثم أنحنى عليها حتى تخرج من ظهري لفعلت ، وإني لا أعلم اليوم عملاً هو أَرْضَى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو أعلم أن عملاً من الأعمال هو أَرْضَى لك منه لفعلته .

٣٣١٧/١

قال أبو مخنف : حدثني الصنعبي بن زهير الأزدي ، قال : سمعت عماراً يقول : والله إني لأرى قومًا ليضربنكم ضرباً يرتاب منه المبطلون ، وإيم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفَات^(٣) هَجَرَ لعلنا أننا على الحق ، وأنهم على الباطل^(٤) .

حدثنا محمد بن عباد بن موسى ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ، قال : حدثنا مسلم الأعور ، عن حبة بن جُوَيْن العُرقِي ، قال : انطلقت أنا وأبومسعود إلى حُدَيْفَة بالمدائن ، فدخلنا عليه ، فقال : مرحباً بكما ، ما خلقتما من قبائل العرب أحداً أحب إلي منكما . فأسندته إلى أبي مسعود ، فقلنا : يا أبا عبد الله ، حدثنا فإننا نخاف الفتن ؛ فقال : عليكما بالفئة التي فيها

(١) رواية صفين :

وأحزم صبراً حين تدعى إلى الوغى إذا كان أصوات الكماة تغمغماً

(٢) الخبر والشعر في صفين: ٣٢٥ ، ٣٢٦ ؛ بزيادة في رواية الأبيات .

(٣) السعف : ورق جريد النخل ؛ قال في اللسان ١١ : ٥٢ : « وإنما خص هجر للمباعدة

في المسافة ؛ ولأنها موصوفة بكثرة النخيل » . (٤) صفين: ٣٦٣ - ٣٦٥ .

ابن سميّة ، إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : «تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق ، وإنّ آخرَ رزقه ضيَّاح»^(١) من لبن . قال حبة : فشهدته يومَ صِفِّين وهو يقول : اثنوني بآخر رزق لي من الدنيا ، فأُتِيَ بضيَّاح من لبن في قدح أرواح^(٢) له حلقة حمراء ، فما أخطأَ حَدِيْفَه مقياسَ شِعرَة ، فقال :

اليوم ألقى الأُحِبَّةُ مُحَمَّدًا وحزبَه

والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفَاتِ هَجَرَ لعلمنا أنا على الحقّ وأنهم على الباطل ، وجعل يقول : الموت تحت الأسفل ، والجنة تحت البارقة^(٣) .

حدثني محمد ، عن خلف ، قال : حدثنا منصور بن أبي نويرة ، عن أبي مِخْنَفٍ . وحُدِّثت عن هشام بن الكلبي ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني مالك بن أَعِينٍ الجُهَنِّي ، عن زيد بن وهب الجُهَنِّي ، أن عمّار بن ياسر رحمه الله قال يومئذ : أين من يبتغي رضوانَ الله عليه ، ولا يثوب إلى مال ولا ولد ! فأُتِيَ عصابة من الناس ، فقال : أيُّها الناس ، اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبيعون دمَ ابن عفان ، ويزعمون أنه قَتِلَ مظلوماً ، والله ما طلبتهمُ بدمه ، ولكنّ القوم ذاقوا الدنْيَا فاستحبُّوها واستمرَّوها وعلموا أن الحقّ إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرَّغون فيه من دنياهم ، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقُّون بها طاعةَ الناس والولايةَ عليهم ، فخذعوا أتباعهم أن قالوا : إمامنا قَتِلَ مظلوماً ، ليكونوا بذلك جبابرةً ملوكاً ، وتلك مكيدة بلغوا بها ما تَرَوْنَ ، ولولا هي ما تبعهم من الناس رجالان . اللهم إن تنصرنا فطالما نصرت ، وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم . ثم مضى ، ومضت تلك العصابة التي أجابته حتى دنا من عمرو فقال : يا عمرو ، بعث دينك بمصر ، تَبّاً لك تَبّاً ! طالما بغيت في الإسلام عِوَجاً . وقال لعبيد الله ابنِ عمرَ بن الخطاب : صرّك الله ! بعث دينك من عدو الإسلام وابن عدوه ،

(١) الضيَّاح بالفتح : اللبن الرقيق الكثير الماء .

(٢) أرواح ، أى فيه سعة .

(٣) صفين : ٣٨٦ - ٣٨٨ مع اختلاف في الرواية .

قال : لا ، ولكن أطلب بدم عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ قال له : أشهد على علمي فيك أنك لا تطلب بشيء من فعلك وجهه الله عز وجل ؛ وإنك إن لم تقتل اليوم تمت غداً ، فانظر إذا أعطى الناس على قدر نيّاتهم ما نيّتك .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : أخبرنا عبيد بن الصباح ، عن عطاء بن مسلم ، عن الأعمش ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال : سمعت عمار بن ياسر بصيفين وهو يقول لعسرو بن العاص : لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الرابعة ما هي بأبر ولا أنقى .

حدثنا أحمد بن محمد ، قال : حدثنا الوليد بن صالح ، قال : حدثنا عطاء بن مسلم ، عن الأعمش ، قال : قال أبو عبد الرحمن السلمي : كنا مع عليّ بصيفين ، فكنا قد وكلنا بفرسه رجلين يحفظانه ويمنعانه من أن يحمل ، فكان إذا حانت منهما غفلة يحمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه ، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه ، فألقاه إليهم ، وقال : لولا أنه انثنى ما رجعت — فقال الأعمش : هذا والله ضرب غير مرتاب ، فقال أبو عبد الرحمن : سمع القوم شيئاً فأدّوه وما كانوا بكذا بين^(١) — قال : ورأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صيفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ورأيت أنه جاء إلى المرق قال هاشم بن عتبة وهو صاحب راية عليّ ، فقال : يا هاشم ، أعوراً وجبناً ! لا خير في أعور لا يغشى البأس ، فإذا رجل بين الصفيين قال : هذا والله ليخلفن إمامه ، وليخذلن جنده ، وليصبرن جهده ، اركب يا هاشم ؛ فركب ، ومضى هاشم يقول :

٣٣٢٠/١

أَعَوْرُ يَبْنِي أَهْلُهُ مَحَلًّا قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَأَ
• لَا بَدَّ أَنْ يَفُلَّ أَوْ يُفْلَأَ •^(٢)

(١) ابن الأثير : « بكاذبين » .

(٢) يفل ، أى يغلب .

وعمار يقول : تقدّم يا هاشم ، الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت في أطراف الأسسل ، وقد فُتحت أبواب السماء ، وتزينت الحور العين .
اليوم ألقى الأحبة محمدًا وحزبه

فلم يرجعا وقتلا قال : يفيد لك علمهما من كان هناك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنهما كانا علما - فلما كان الليل قلت : لأدخلن إليهم حتى أعلم : هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا ! وكنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم ، فركبت فرسي وقد هدأت الرجل ، ثم دخلت فإذا أنا بأربعة يتسايرون : معاوية ، وأبو الأعور السلمي ، وعمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمرو - وهو خير الأربعة - فأدخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول أحد الشقيين ، فقال عبد الله لأبيه : يا أبت ، قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا ، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ! قال : وما قال ؟ قال : ألم تكن معنا ونحن نبني المسجد ، والناس ينقلون حجرا حجرا ولبينة لبينة ، وعمار ينقل حجريين حجريين ولبنتين لبنتين ، فغشي عليه ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : « ويحك يا ابن سمية ! الناس ينقلون حجرا حجرا ، ولبينة لبينة ، وأنت تنقل حجريين حجريين ولبنتين لبنتين رغبة منك في الأجر ! وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية ! » . فدفع عمرو صدر فرسه ، ثم جذب معاوية إليه ، فقال : يا معاوية ، أما تسمع ما يقول عبد الله ! قال : وما يقول ؟ فأخبره الخبر ، فقال معاوية : إنك شيخ أخرق ، ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بؤلا^(١) ! أو نحن قتلنا عمارا ! إنما قتل عمارا من جاء به . فخرج الناس من فساطيطهم وأخيبتهم يقولون : إنما قتل عمارا من جاء به ، فلا أدري من كان أعجب ؟ هو أو هم !

قال أبو جعفر : وقد ذكر أن عمارا لما قتل قال علي لربيعة وهمدان : أنتم درعي ورُحى ، فانتدب له نحو من اثني عشر ألفا ، وتقدمهم علي على بغلته فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشام صف

(١) في اللسان : « وفي حديث معاوية ، قال لابن عمرو : لا تزال تأتي بنا بهنة تدحض بها في بؤلك ، أي تزلق » .

إلا انتقض ، وقتلوا كل من انتهوا إليه ، حتى بلغوا معاوية ، وعلى يقول :
أضربهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الحاوية^(١)

٣٣٢٢/١

ثم نادى معاوية ، فقال على : علام يقتل^(٢) الناس بيننا ! هلم أحاكمك
إلى الله ، فأبينا قتل صاحبه استقامت له الأمور ، فقال له عمرو : أنصفك
الرجل ، فقال معاوية : ما أنصف ، وإنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا
قتله ، قال له عمرو : وما يحمل بك إلا مبارزته ، فقال معاوية : طمعت
فيها بعدى .

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن
أبي عمرة ، عن سليمان الحضرمي ، قال : قلت لأبي عمرة : ألا تراهم ، ما أحسن
هيئتهم ! يعني أهل الشام ، ولا ترانا ما أقبح رعيئتنا ! فقال : عليك نفسك
فأصلحها ، ودع الناس فإن فيهم ما فيهم .

* * *

خبر هاشم بن عتبة المرقال وذكر ليلة الهريز

قال أبو مخنف : وحدثني أبو سلمة ؛ أن هاشم بن عتبة الزهرى دعا الناس
عند المساء : ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فإلى ، فأقبل إليه ناس
كثير ، فشد في عصابة من أصحابه على أهل الشام مراراً ، فليس^(٣) من وجه
يحمل عليه إلا صبر له وقاتل فيه قتالا شديداً^(٤) ، فقال لأصحابه :

(١) نسبه في صفين : ٤٥٤ إلى الأشتر في هذه الرواية :

أضربهم ولا أرى معاوية الأخرز العين العظيم الحاوية
هوت به في النار أم هاوية جاوره فيها كلاب عاوية
* أغوى طفناً لاهدته هادية *

(٢) النويرى : « فقتل » .

(٣ - ٢) صفين : « فليس من وجه يحمل عليه إلا صبروا له وقوتل فيه قتالا شديداً » .

لا يهولنكم ما ترون من صبرهم ، فوالله ما ترون فيهم إلا حمية العرب وصبراً تحت راياتها ، وعند مراكزها ، وإنهم لعل الضلال ، وإنكم لعل الحق . يا قوم اصبروا وصابروا واجتمعوا ، وامشوا بنا إلى عدونا على تودة رويداً ، ثم اثبتوا وتناصروا ، واذكروا الله ، ولا يسأل^(١) رجل أخاه ، ولا تكثر الالتفات ، واصمدوا صمداً هم ، وجاهدوهم محتسين ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين .

ثم إنه مضى في عصابة معه من القراء ، فقاتل قتالا شديداً هو وأصحابه عند المساء حتى رأوا بعض ما يسرون به ، قال : فإنهم لكذلك إذ خرج عليهم فتى شاب وهو يقول :

أنا ابن أرباب الملوك غسان
والدائن اليوم بدين عثمان
إني أتاني خبر فأشجان^(٢) أن علياً قتل ابن عفان

ثم يشد فلا يتنى حتى يضرب بسيفه ، ثم يشتم ويلعن ويكثر الكلام ، فقال له هاشم بن عتبة : يا عبد الله ، إن هذا الكلام ، بعده الحصاص ، وإن هذا القتال ، بعده الحساب ، فاتق الله فإنك راجع إلى الله فساثلك عن هذا الموقف وما أردت به . قال : فإني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلني كما ذكر لي ، وأنتم لا تصلون أيضاً ، وأقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا ، وأنتم أردتموه على قتله . فقال له هاشم : وما أنت وابن عفان ! إنما قتله أصحاب محمد وأبناء أصحابه وقراء الناس ، حين أحدث الأحداث ، وخالف حكم الكتاب ، وهم أهل الدين ، وأولى بالنظر في أمور الناس منك ومن أصحابك ، وما أظن أمر هذه الأمة وأمر هذا الدين^(٣) أهمل طرفه عين^(٤) . فقال له : أجل ، والله لا أكذب ، فإن الكذب يضر ولا ينفع . قال^(٥) : فإن أهل هذا الأمر أعلم به ، فخله وأهل العلم به . قال : ما أظنك والله إلا نصحت لي ، قال^(٥) : وأما

(١) صفين : « ولا يسلم رجل أخاه » .

(٢) صفين : « أنبأنا أقوامنا بما كان » .

(٣-٣) صفين : « عنك طرفه عين قط » .

(٤) صفين : « فقال له هاشم » .

(٥) صفين : « وقال له هاشم » .

٣٣٢٤/١

قولك : إن صاحبنا لا يصلّي ، فهو أول من صلّي ، [مع رسول الله]^(١) وأفقّه خلق الله في دين الله ، وأولى بالرسول . وأما كل من ترى معي فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجداً ، فلا يغوينك عن دينك هؤلاء الأَشقياء المغرورون . فقال الفتي : يا عبد الله ، إني أظنك امرأً صالحاً ؛ فتخبرني : هل تجد لي من توبة ؟ فقال : نعم يا عبد الله ؛ تُبّ إلى الله يتب عليك ، فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويحب المتطهرين . قال : فجشري^(٢) ، والله الفتي الناس راجعاً ، فقال له رجل من أهل الشام : خدعك العراقي ، خدعك العراقي ، قال : لا ، ولكن نصح لي . وقاتل هاشم قتالا شديداً هو وأصحابه ، وكان هاشم يُدعى الميرقال ، لأنه كان يُرْقِل في الحرب ، فقاتل هو وأصحابه حتى أبروا على من يليهم ، وحتى رأوا الظفر ، وأقبلت إليهم^(٣) عند المغرب كتيبة لتَنُوخ فشداً على الناس ، فقاتلهم وهو يقول :

أعور يبغي أهله محلاً^(٤) قد عالج الحياة حتى ملاً
• يَتَلَهُمْ بذى الكعوب تلاً •

فزعّموا أنه قتل يومئذ تسعة أو عشرة . وحمل عليه الحارث بن المنذر التَنُوخي فطعنه فسقط ، وأرسل إليه على : أن قدّم لواءك ، فقال لرسوله : انظر إلى بطني ، فإذا هو قد شقّ ، فقال الأنصاري الحجاج بن غزيرة :

فإن تفخروا بآبن البُدَيل وهاشم فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا^(٥)
ونحن تركنا بعد مُعترك اللقا أخاكم عبيد الله أحماً مُلجأ

٣٣٢٥/١

(١) من صفين .

(٢) جسر الناس ، أي تركهم وتباعد عنهم ، وفي ابن الأثير : « فرجع الفتي » .

(٣) ابن الأثير : « عليهم » .

(٤) بعده في ابن الأثير : « لا بد أن يفل أو يفلأ » .

(٥) من قصيدة طويلة أوردها صاحب صفين مع الخبر في ٤٠٢ - ٤٠٧ .

ونحن أحطنا بالبعير وأهله ونحن سقيناكم سِماماً مُقَشَّباً

هشام، عن أبي مخنف، قال : حدثني مالك بن أعين الجهني، عن زيد ابن وهب الجهني، أن علياً مرّ على جماعة من أهل الشام فيها الوليد بن عقبة، وهم يشتمونه، فخبر بذلك، فوقف فيمن يليهم من أصحابه فقال : انهدوا إليهم، عليكم السكينة والوقار، وقار الإسلام، وسيا الصالحين، فوالله لأقرب قوم من الجهل قائدهم ومؤذنه^(١) معاوية وابن النابغة^(٢)، وأبو الأعور السلمي وابن أبي معيط شارب الخمر المجلود حدّاً في الإسلام، وهم أولى من يقومون فينقصوني ويجذبوني^(٣)، وقبل اليوم ما قاتلوني، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام، وهم يندّعونني إلى عبادة الأصنام، الحمد لله، قديماً عاداني الفاسقون قعيدهم الله ألم يقبّحوا^(٤) ! إن هذا هو الخطب الجليل، إن فساقاً كانوا غير مرضيتين، وعلى الإسلام وأهله متخوفين، خدعوا شطر هذه الأمة، وأشربوا قلوبهم حبّ الفتنة، واسألوا أهواءهم بالإفك والبهتان، قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عزّ وجلّ، اللهم فافضض خدّمتهم^(٥)، وشئت كلمتهم، وأبسلهم بخطاياهم^(٦) فإنه لا يذلّ من واليت، ولا يعزّ من عاديت^(٧).

قال أبو مخنف : حدثني نعيم بن وعلة، عن الشعبي، أن علياً مرّ بأهل راية فرآهم لا يزولون عن موقفهم، فحرض عليهم الناس، وذكر أنهم غسان، فقال : إن هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن درّاك يخرج منهم ٣٣٢٦/١ النّسم، وضرب يفلق منه الهام، ويطيح بالعظام، وتسقط منه المعاصم والأكف، وحتى تصدع جباههم بعُمد الحديد، وتنتشر خواجبتهم على الصدور والأذقان. أين أهل الصبر، وطلاب الأجر ! فتأب إليه عصابة من

(١) صفين : « ومؤذنه » .

(٢) ابن النابغة عمرو بن العاص، وأمه النابغة، امرأة من عنزة .

(٣) يجذبوني، أي يعيبوني، وفي ط « يجذبوني » تحريف .

(٤) ألم يقبّحوا ؛ أي ألم يبعثوا ! وفي القرآن الكريم : « وكانوا من المقبحين » .

(٥) فض الله خدمتهم، أي فرقها بعد اجتماعها، وأصل الخدمة سير غليظ مثل الحلقة .

(٦) أبسلهم : أهلكهم .

(٧) صفين : ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

المسلمين ، فدعا ابنه محمداً ، فقال : امش نحو أهل هذه الراية مشياً رويداً على هيئتك ، حتى إذا أشرعت في صدورهم الرماح ، فأمسك حتى يأتيتك رأيي . ففعل ، وأعدت على مثلهم ، فلما دنا منهم فأشرع بالرماح في صدورهم أمر على الذين أعدت فشدوا عليهم ، وأنهض محمداً بمن معه في وجوهم ، فزالوا عن مواقعهم ، وأصابوا منهم رجالاً ، ثم اقتتل الناس بعد المغرب قتالاً شديداً ، فما صلتى أكثر الناس إلا إيماء^(١) .

قال أبو مخنف : حدثني أبو بكر الكندي ، أن عبد الله بن كعب المرادي قتل يوم صفين ، فرب به الأسود بن قيس المرادي ، فقال : يا أسود ، قال : لبسك ! وعرفه وهو بأخر رمي ، فقال : عز والله على مصرعك^(٢) ، أما والله لو شهدتك لأسيتك ، ولدافعتُ عنك ، ولو عرفت الذي أشعرك^(٣) لأحببتُ ألا يترايل^(٤) حتى أقتله أو ألحق بك . ثم نزل إليه فقال : أما والله إن كان جارك ليأمن بوائقك ، وإن كنت لأمين الذاكرين الله كثيراً ، أوصني رحمك الله ! فقال : أوصيك بتقوى الله عز وجل ، وأن تناصح أمير المؤمنين ، وتقاتل معه المحلّين حتى يظهر أو تلحق بالله . قال : وأبلغه عنى السلام ، وقل له : قاتل عن المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك ، فإنه من أصبح غداً والمعركة خلف ظهره كان العالی ، ثم لم يلبث أن مات ، فأقبل الأسود إلى على فأخبره ، فقال رحمه الله ! جاهد فينا عدونا في الحياة ، ونصح لنا في الوفاة^(٥) .

٣٣٢٧/١

قال أبو مخنف : حدثني محمد بن إسحاق مولى بني المطلب ، أن عبد الرحمن ابن حنبل الجُمحي ، هو الذي أشار على على بهذا الرأي يوم صفين .

* * *

قال هشام : حدثني عوانة ، قال : جعل ابن حنبل يقول يومئذ :
 « إِن تَقْتُلُونِي فَأَنَا ابْنُ حَنْبَلٍ أَنَا الَّذِي قَدْ قُلْتُ فِيكُمْ نَعْلٌ »

* * *

(١) صفين: ٤٤٥ ، ٤٤٦ . (٢) كذا في صفين ، وفي ط : « لمصرعك » .

(٣) أشعرك ؛ أى خالطك بشافه .

(٥) صفين: ٥٢٠ .

(٤) صفين : « ألا يرايلني » .

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف : قال أبو مخنف . فاقتتل الناس تلك الليلة كلها حتى الصباح ؛ وهي ليلة الحرير ، حتى تقصفت الرماح ونفذ السبل ، وصار الناس إلى السيوف ، وأخذ على يسير فيما بين الميمنة والميسرة ، ويأمر كل كتبية من القراء أن تقدم على التي تليها ، فلم يزل يفعل ذلك بالناس ويقوم بهم حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره ، والأشتر في ميمنة الناس ، وابن عباس في الميسرة ، وعلى في القلب ، والناس يقتتلون من كل جانب ، وذلك يوم الجمعة ، وأخذ الأشتر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها ، وكان قد تولأها عشية الخميس وليلة الجمعة إلى ارتفاع الضحى ، وأخذ يقول لأصحابه : ازحفوا قيد هذا الرمح ، وهو يزحف بهم نحو أهل الشام ، فإذا فعلوا قال : ازحفوا قاد^(١) هذا القوس ، فإذا فعلوا سألم مثل ذلك ، حتى مل أكثر الناس الإقدام ، فلمأ رأى ذلك الأشتر قال : أعيدكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم ، ثم دعا بفرسه ، وترك رايته مع حيّان بن هوذة النخعي ، وخرج يسير في الكتائب ويقول : من يشتري نفسه من الله عز وجل ، ويقا تل مع الأشتر ، حتى يظهر أو يلحق بالله ! فلا يزال رجل من الناس قد خرج إليه ، وحيّان بن هوذة .

قال أبو مخنف : عن أبي جناب الكلبي ، عن ثمارة بن ربيعة الحرّمي ، قال : مرّ بي والله الأشتر فأقبلت معه ، واجتمع إليه ناس كثير ، فأقبل حتى رجع إلى المكان الذي كان به الميمنة ، فقام بأصحابه ، فقال : شدوا شدّة ، فشدّى لكم عمى وخالى - ترضون بها الرب ، وتُعزّون بها الدين ، إذا شدّدت فشدّوا ، ثم نزل فضرب وجهه دابته ، ثم قال لصاحب رايته : قدّم بها ، ثم شدّ على القوم ، وشدّ معه أصحابه ، فضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى عسكرهم ؛ ثم إنهم قاتلوه عند العسكر قتالا شديداً ، فقتل صاحب رايته ، وأخذ على - لمأ رأى من الظفر من قبلكه - يمدّه بالرجال^(٢) .

* * *

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان

(١) النويرى : « قيد قوس » ، وقاد وقيد ، معناهما قدر .

(٢) صفين : ٥٤٤ .

قال حدثني عبد الله ، عن جويرية ، قال : قال عمرو بن العاص يوم صفين لورْدان : «^(١) تدري ما مثلي ومثلك ! مثل الأشقر» إن تقدّم عقير ، وإن تأخّر نُحير ، لئن تأخّرت لأضربنّ عنقك ، اثنتونى بقيد ، فوضعه في رجليه فقال : أما والله يا أبا عبد الله لأوردنك حياض الموت ، ضع يدك على عاتقي ، ثم جعل يتقدم وينظر إليه أحياناً ، ويقول : لأوردنك : حياض الموت .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . فلما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتدّ ، وخاف في ذلك الهلاك ، قال لمعاوية : هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا اجتماعاً ، ولا يزيدهم إلاّ فرقة ؟ قال : نعم ، قال : نرفع المصاحف ثم نقول : ما فيها حكمٌ بيننا وبينكم ، فإن أبي بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول : بلى ، ينبغي أن نقبل ، فتكون فرقة تقع بينهم ، وإن قالوا : بلى ، نقبل ما فيها ، رفعنا هذا القتال عنّا وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين . فرفعوا المصاحف بالرّماح وقالوا : هذا كتاب الله عزّ وجلّ بيننا وبينكم ، من لثغور أهل الشام بعد أهل الشام ! ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق ! فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت ، قالوا : نجيب إلى كتاب الله عزّ وجلّ وننيب إليه .

* * *

ماروى من رفعهم المصاحف ودعائهم إلى الحكومة

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي ، عن أبيه أن عليّاً قال : عباد الله ، امضوا على حكمكم وصِدِّقكم قتال^(٢) عدوكم ، فإنّ معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي مُعيط وحبيب بن مَسْلَمَة وابن أبي سرح

(١ - ١) ابن الأثير والنويري : « تدري ما مثله ومثلك ومثل الأشقر ؟ قال : لا ، قال : كالأشقر » .

(٢) ابن الأثير والنويري : « وقتال » .

والضحك بن قيس ، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ،
 قد صحبتهم أطفالا ، وصحبتهم رجالا ، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال ،
 ٢٣٣٠/١ وينحسكم ! (١) إنهم ما رفعوها ، ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها (١) ، وما رفعوها لكم
 إلا خديعةً ودَهْشًا (٢) ومَكيدة ، فقالوا له : ما يسعنا أن نُدْعَى إلى كتاب
 الله عزّ وجلّ فنأبى أن نقبله ؛ فقال لهم : فإنّي إنما قاتلتهم ليدِينوا بحكم هذا
 الكتاب ، فإنّهم قد عصوا الله عزّ وجلّ فيما أمّرتهم ونسوا عهدَه ، ونذروا
 كتابه . فقال له مسعر بن فدكّ التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم
 السَّنبسي ، في عصابة معهما من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك : يا على ،
 أجيب إلى كتاب الله عزّ وجلّ إذ دعيت إليه ، وإلاّ ندفعك برؤمك إلى
 القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان (٣) ؛ إنه علينا أن نعمل بما في كتاب الله عزّ
 وجلّ فقبلناه ؛ والله لتفعلنّها أولفعلنّها بك . قال : فاحفظوا عني نهي إياكم ،
 واحفظوا مقالتيكم لي ، أمّا أنا فإن تطيعوني تقتاتوا ، وإن تعصوني فاصنعوا
 ما بدا لكم ! قالوا له : إمّا لا فابعث إلى الأشتر فليأتك (٤) .

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج الكندي ، عن رجل من
 النّخع ، أنه رأى إبراهيم بن الأشتر دخل على مصعب بن الزبير ، قال :
 كنت عند عليّ حين أكرّمه الناس على الحكومة ، وقالوا : ابعث إلى الأشتر
 فليأتك ، قال : فأرسل عليّ إلى الأشتر يزيد بن هاني السَّبيعي : أن ائتني ؛
 ٢٣٣١/١ فأتاه فبلغه ، فقال : قل له ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تُزِيلني فيها
 عن موقفي ، إني قد رجوت أن يفتَح لي ، فلا تعجلني . فرجع يزيد بن هاني
 إلى عليّ فأخبره ، فها هو إلا أن انتهى إلينا ، فارتفع الرَّهَج ، وعلست الأصوات
 من قبيل الأشتر ، فقال له القوم : والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل ؛ قال :
 من أين ينبغي أن تروا ذلك ! رأيتموني ساررته ؟ أليس إنما كلمته على رعوكم

(١-١) كذا وردت العبارة في ط ، وفي صفين : « إنهم والله ما رفعوها ، إنهم يعرفونها ويعلمونها » .

(٢) يقال : دهن الرجل ؛ إذا فاق . في ابن الأثير : « ووهنا » .

(٣) صفين : « وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان » .

(٤) صفين : ٥٦٠ ، ٥٦١ مع تصرف واختصار .

علانية ، وأنتم تسمعونني إقالوا : فابعث إليه فليأتك ، وإلا والله ^(١) اعتزلناك . قال له : ويحك يا يزيد اقل له : أقبل إلى فإن الفتنة قد وقعت ، فأبلغه ذلك ، فقال له : أليرفع المصاحف ؟ قال : نعم ؛ قال : أما والله لقد ظننت حين رُفعت أنها ستوقع اختلافاً وفرقة ، إنها مشورة ابن العاهرة ^(٢) ، ألا ترى ما صنع الله لنا ! أيتبغى أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم ! وقال يزيد بن هاني : فقلت له : أتحب أنك ظفرت ما هنا ، وأن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يُفرج عنه أويُسَلِّم ؟ قال : لا والله ، سبحان الله ! قال : فإنهم قد قالوا : لتُرسَلن إلى الأشتر فليأتينك أو لتقتلنك كما قتلنا ابن عفان . فأقبل حتى انتهى إليهم فقال : يا أهل العراق ، يا أهل الذل والوهن ، أحين علوم القوم ظهراً ، وظنوا أنكم لهم قاهرون ، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ! وقد والله تركوا ما أمر الله عز وجل به فيها ، وستة من أنزلت عليه صلى الله عليه ٣٣٢٢/١ وسلم ، فلا تجيبوهم ، أمهلوني ^(٣) عَدُوَّ الفرس ، فإنني قد طمعت في النصر ^(٤) ؛ قالوا : إذا ندخل معك في خطيتك ؛ قال : فحدثنوني عنكم ، وقد قُتل أمائلكم ، وبقى أراذلكم ، متى كنتم محققين ! أحين كنتم تقاتلون وخياركم يُقتلون ! فأنتم الآن إذ أمسكنم عن القتال مبطلون ، أم الآن أنتم محققون ، فقتلناكم الذين لا تنكرون فضلهم فكانوا خيراً منكم في النار إذا ! قالوا : دعنا منك يا أشتر ، قاتلناهم في الله عز وجل ، ونَدَعِ قتالهم لله سبحانه ، إنا لسنا مُطِيعِيكَ ولا صاحبك ، فاجتنبنا ، فقال : خُدِ عَمِ وَالله فانه خُدِ عَمِ ، ودُعِ عَمِ إلى وضع الحرب فأجبت . يا أصحاب الجباه السود ، كنا نظن صلواتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله عز وجل ، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ، ألا قبحاً يا أشباه النسيب الجلالة ! وما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً ، فابعدوا كما بَعِدَ القوم الظالمون ! فسبوه ، فسبهم ، فضرَبوا وجه دابته بسياطهم ، وأقبل يضرب بسوطه وجوه دوابهم ، وصاح بهم على

(١) صفين : « فوالله » .

(٢) صفين : « إنها من مشورة ابن النابغة - يعني عمرو بن العاص » .

(٣-٢) صفين : « أمهلوني فواقعاً فإنني قد أحسست بالفتح » . « والفواق : ما بين

فكفّوا ؛ وقال للناس : قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكما ، فجاء الأشعث بن قيس إلى عليّ فقال له : ما أرى الناس إلا قد رضوا ، وسرهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن ، فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد ، فنظرت ما يسأل ؛ قال : ائنه إن شئت فسئلته ، فأناه فقال : يا معاوية ، لأى شىء رفعتم هذه المصاحف ؟ قال : ليرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عزّ وجلّ به فى كتابه ، تبعثون منكم رجلا ترضون به ، ونبعث منا رجلا ، ثم نأخذ عليهما أن يعملّا بما فى كتاب الله لا يعدّونه ، ثم نتبع ما اتفقا عليه ، فقال له الأشعث بن قيس : هذا الحقّ ، فانصرف إلى عليّ فأخبره بالذى قال معاوية ؛ فقال الناس : فإنّا قد رضينا وقبلنا ، فقال أهل الشام : فإنّا قد اخترنا عمرو بن العاص ؛ فقال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارج بعد : فإنّا قد رضينا بأبى موسى الأشعرى ، قال عليّ : فإنكم قد عصيتموني فى أول الأمر ، فلا تعصوني الآن ، إني لا أرى أن أولىّ أبأ موسى . فقال الأشعث وزيد بن حُصين الطائى ومسر بن فدكى : لا نرضى إلاّ به ، فإنه ما كان يحذّرنا منه وقعنا فيه ؛ قال عليّ : فإنه ليس لى بثقة ، قد فارقتى ، ونخذل الناس عنيّ ثم هرب منى حتى آمنتّه بعد أشهر ، ولكن هذا ابن عباس نولّيه ذلك ، قالوا : ما نبأى أنت كنت أم ابن عباس إلا نريد إلاّ رجلا هو منك ومن معاوية سواء ، ليس إلى واحد منكما بأدنى منه إلى الآخر ، فقال عليّ : فإني أجعل الأشر (١) .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جناب الكلبيّ ، أن الأشعث قال : وهل سَعَر الأرض غيرُ الأشر ؟ !

* * *

قال أبو مخنف ؛ عن عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه : إن الأشعث قال : وهل نحن إلا فى حكم الأشر ! قال عليّ : وما حكمه ؟ قال : حكمه أن يضرب بعضنا بعضا بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد ؛ قال : فقد أبستم إلاّ أبأ موسى ! قالوا : نعم ؛ قال : فاصنعوا ما أردتم ؛ فبعثوا إليه

وقد اعتزل القتال ، وهو بعرضٍ ، فأناه مولى له ؛ فقال : إن الناس قد اصطلحوا ؛ فقال : الحمد لله رب العالمين ! قال : قد جعلوك حَكَمًا ؟ قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر ، وجاء الأشتر حتى أتى عليًا فقال : أليزي بعمر بن العاص ، فوالله الذي لا إله إلا هو ، لئن ملأت عيني منه لأقتلته ؛ وجاء الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك قد رُميت بحجر الأرض ، وبمَن حارب الله ورسوله أنف الإسلام ، وإني قد عجمت هذا الرجل وحببت أشطره فوجدته كليل الشفرة ، قريب القعر ، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ، ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم ، فإن أبيت أن تجعلني حَكَمًا ، فاجعلني ثانيًا أو ثالثًا ، فإنه لن يعقد عقدة إلا حلتها ، ولن يحل عقدة أعقدها إلا عقدت لك أخرى أحكم منها . فأبى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكتاب ؛ فقال الأحنف : فإن أبيتم إلا أبا موسى فأدفتوا ظهره بالرجال . فكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين فقال عمرو : اكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميركم فأما أميرنا فلا ، وقال له الأحنف : لا تمح اسم « إمامة المؤمنين » ، فإني أتخوف إن محوتها ألا ترجع إليك أبدًا ، لا تمحها وإن قتل الناس بعضهم بعضًا ؛ فأبى ذلك علي مليًا من النهار ، ثم إن الأشعث بن قيس قال : امح هذا الاسم برحه الله ! فحجى وقال : علي : الله أكبر ، سنة بسنة ، ومثل بمثل ، والله إني لكاتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية إذ قالوا : لست رسول الله ، ولا نشهد لك به ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فكتبه ، فقال عمرو بن العاص : سبحان الله ! ومثل هذا أن نشبه بالكفار ونحن مؤمنون ! فقال علي : يا ابن النابغة ، ومتى لم تكن للفاسقين وليًا ، وللمسلمين عدوًا ! وهل تشبه إلا أملك التي وضعت بك ! فقام فقال : لا يجمع بيني وبينك مجلس أبدًا بعد هذا اليوم ؛ فقال له علي : وإني لأرجو أن يطهر الله عز وجل مجلسي منك ومن أشباهك . وكتب الكتاب ^(١) .

٢٣٣٥/١

(١) صفين من ٥٨١ - ٥٨٣ مع تصرف واختصار .

حدثني علي بن مسلم الطوسي ، قال : حدثنا حَبَّان ، قال : حدثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : أخبرني الأحنف ، أن معاوية كتب إلى علي أن امحُ هذا الاسم إن أردت أن يكون صلح ؛ فاستشار - وكانت له قبة يأذن لبي هاشم فيها ، ويأذن لى معهم - قال : ما ترون فيما كتب به معاوية أن امح هذا الاسم ؟ - قال مبارك : يعنى أمير المؤمنين - قال : برّحه الله ! فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وادع أهل مكة كتب : «محمد رسول الله» ، فأبوا ذلك حتى كتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ؛ فقلت له : أيها الرجل مالك وما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ! إنا والله ما حابسينك ببيعتنا ، وإنا لو علمنا أحداً من الناس أحقّ بهذا الأمر منك لبايعناه ، ثم قاتلناك ، وإني أقسم بالله لئن محوت هذا الاسم الذى بايعت عليه وقاتلتهم لا يعود إليك ألدأ . قال : وكان والله كما قال . قال : قلما وزن رأيه برأى رجل إلا رجّح عليه .

* * *

* رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . وكتب الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضى علي على أهل الكوفة^(١) ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين ، إنا نزل عند حكم الله عز وجل وكتبه ، ولا يجمع^(٢) بيننا غيره ، وإن كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته إلى خاتمته ، نحجي ما أحيا ، ونميت ما أمات ، فما وجد الحكماء في كتاب الله عز وجل - وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص القرشي - عملاً به ، وما لم يجد آ فى كتاب الله عز وجل فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة . وأخذ الحكماء من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والميثاق^(٣) والثقة من الناس ، أنهما آمنان على أنفسهما وأهلئهما ، والأمة لهما أنصار على الذى يتقاضيان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أننا على

(١) صفين : « العراق » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « ولا يجمع » .

(٣) ابن الأثير والنويرى : « والمواثيق » .

٣٣٣٧/١

ما في هذه الصحيفة ، وأن قد وجبت قضيتهما على المؤمنين ، فإن الأمن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، وشاهدتهم وغائبهم ، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة ، ولا يتردداها في حرب ولا فُرقة حتى يُعصيا ، وأجل القضاء إلى رمضان . وإن أحببنا أن يؤخرا ذلك أخرناه على تراضٍ منهما ، وإن توفى أحد الحكّامين فإن أمير الشيعة يختار مكانه ، ولا يألو من أهل المعدلة والقيسط ، وإن مكان قضيتهما الذي يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام ؛ وإن رضينا وأجبنا فلا يحضرهما فيه إلا من أَرادنا ، ويأخذ الحكّمان من أَرادنا من الشهود ، ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة ، وهم أنصار على من ترك ما في هذه الصحيفة ، وأراد فيه إلحاداً وظلماً . اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة (١) .

٣٣٣٨/١

شهد من أصحاب علي الأشعث بن قيس الكندي ، وعبد الله بن عباس ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وورقاء بن سميّ البجليّ ، وعبد الله بن محمّل العجليّ ، وحُجْر بن عدى الكنديّ ، وعبد الله بن الطفيل العامريّ ، وعقبة ابن زياد الحضرميّ ، ويزيد بن حجيّة التيميّ ، ومالك بن كعب الهمدانيّ . ومن أصحاب معاوية أبو الأعور السلميّ عمرو بن سفيان ، وحبيب مسلمة الفهريّ ، والمخارق بن الحارث الزبيديّ ، وزمّل بن عمرو العذريّ ، وحمزة بن مالك الهمدانيّ ، وعبد الرحمن بن خالد المخزوميّ ، وسُبيح بن يزيد الأنصاريّ ، وعلقمة بن يزيد الأنصاريّ ، وعُتْبة بن أبي سفيان ، ويزيد بن الحرّ العبسيّ (٢) .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جناب الكلبيّ ، عن ثُمارة بن ربيعة الحرّميّ ، قال : لما كتبت الصحيفة دُعِيَ لها الأشتر فقال : لا صحبتي يميني ، ولا نفعتني بعدها شمالى (٣) ، إن خُطّ لي في هذه الصحيفة اسم على صلح

(١) بعدها في صفين : « وأراد فيها إلحاداً وظلماً » .

(٢) صفين : ٥٨٤ - ٥٨٦ .

(٣) صفين : « الشمال » .

ولا موادعة. أولستُ على بيّنة من ربّي ، ومن ضلال عدوّي^(١) ! أو لستم قد رأيتم الظفّر لو لم تُجمِعوا على الجور^(٢) ! فقال له الأشعث بن قيس : إنك والله ما رأيته ظفّراً ولا جوراً^(٣) ، هلمّ إلينا فإنه لا رغبة بك عنا ؛ فقال : بلى والله لرغبة بي عنك في الدّنيا والآخرة والآخرة ، ولقد سفّك الله عزّ وجلّ بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندى خيرٌ منهم ، ولا أحرّم دماً ؛ قال عُمارة : فنظرتُ إلى ذلك الرجل وكأنما قُصع على أنفه الحُمم^(٤) - يعنى الأشعث^(٥) .

قال أبو مخنف ، عن أبي جَنَاب ، قال : خرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ، ويعرّضه عليهم ، فيقرءونه ، حتى مرّ به على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أديّة ، وهو أخو أبي بلال ، فقرأه عليهم ، فقال عروة ابن أديّة : تحكّمون في أمر الله عزّ وجلّ الرجال ! لا حكم إلا لله ؛ ثم شدّ بسيفه فضرب به عجز دابته ضربة خفيفة ، واندفعت الدابة ، وصاح به أصحابه ، أن املك يديك ، فرجع ، فغضب للأشعث قومه وناس كثير من أهل اليمن ، فشى الأحنف بن قيس السعدى ومعقل بن قيس الرياحى ، وميسر بن فدكي ، وناس كثير من بني تميم ، فتنصّلوا إليه واعتذروا ؛ فقبّل وصفّح .

قال أبو مخنف : حدثني أبو زيد عبد الله الأودى ، أن رجلاً من أود كان يقال له عمرو بن أوس ، قاتل مع عليّ يوم صفين ، فأسره معاوية في أسارى كثيرين ، فقال له عمرو بن العاص : اقتلهم ، فقال له عمرو بن أوس : إنك خالى ، فلا تقتلنى ، وقامت إليه بنو أود فقالوا : هب لنا أخانا ؛ فقال : دعوه ، لعمرى لئن كان صادقاً فلنستغين عن شفاعتكم ، ولئن كان كاذباً لتأتين

(١) صفين : « ويقين من ضلال عدوّي » .

(٢) صفين : « الجور » .

(٣) صفين : « جوراً » .

(٤) القصع : الضرب الدلك ، والحمم : الرماد والفحم وكل ما احترق ؛ واحدته حممة .

(٥) صفين : ٥٨٧ .

شفاعتكم من ورائه ، فقال له : من أين أنا خالك ! فوالله ما كان بيننا وبين أوْدٍ مصاهرة ؛ قال : فإن أخبرْتُكَ فعرفته فهو أمانى عندك ؟ قال : نعم ؛ قال : أَلَسْتَ تعلم أن أمّ حبيبة ابنة أبي سُفيان زوجُ النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بلى ، قال : فإني ابنُها ، وأنت أخوها ، فأنت خالي ؛ فقال معاوية : لله أبوك ! ما كان في هؤلاء واحد يَفْطُن لها غيره . ثم قال للأوديين : أيسغني عن شفاعتكم ! خاضوا سبيله ^(١) .

قال أبو مخنف : حدثني نُمَيْر بن وَعَلَةَ الهمداني ، عن الشعبي ، أن أسارى كان أسرهم على يومٍ صِفِّين كثير ، فخلّى سبيلهم ، فأتوا معاوية ، وإنّ عمرًا ليقول — وقد أسر أيضًا أسارى كثيرة : اقتلهم ، فاشعروا إلا بأسرائهم قد خلّى سبيلهم ، فقال معاوية : يا عمرو ، لو أطيناك في هؤلاء الأسرى وقعنّا في قبيح من الأمر ؛ ألا ترى قد خلّى سبيل أسارنا ! وأمر بتخليّة سبيل من في يديه من الأسارى ^(٢) .

قال أبو مخنف : حدثني إسماعيل بن يزيد ، عن حميد بن مسلم ، عن جندب بن عبد الله ، أن عليًا قال للناس يومَ صِفِّين : لقد فعلتم فَعْلَةً ضَعُضَتْ قُوَّة ، وأسقطتْ مُنَّة ، وأوهنت وأورثت وهنًا وذلة ، ولما كنتم الأعلىين ، وخاف عدوكم الاجتياح ، واستحرت بهم القتل ووجدوا ألم الجراح ، رفعوا المصاحف ، ودعّوكم إلى ما فيها ليفشّوكم عنهم ، ويقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم ، ويترَبَّصوا [بكم] ^(٣) ريبَ المنون خديعة ومكيدة ، فأعطيتموهم ما سألوا ، وأبيتم إلا أن تُدْهِنوا وتجوزوا ^(٤) ! وإيم الله ما أظنّكم بعدها توافقون رَشْدًا ، ولا تصيبون بابَ حزم .

* * *

قال أبو جعفر : فكتب كتاب القضية بين عليّ ومعاوية — فيما قيل — يوم

(١) صفين: ٥٩٤ - ٥٩٥ .

(٢) صفين: ٥٩٥ .

(٣) من ابن الأثير .

(٤) ابن الأثير : « تدهنوا وتجيزوا » .

الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة ، على أن يوافي على معاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في شهر رمضان ، مع كل واحد منهما أربعمائة من أصحابه وأتباعه .

٣٣٤١/١ فحدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان بن يونس بن يزيد ، عن الزهري ، قال : قال صعصعة بن صوحان يوم صفين حين رأى الناس يتبارون : ألا اسمعوا واعقلوا ، تعلمن والله لئن ظهر على ليكنن مثل أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، وإن ظهر معاوية لا يقر لقائل بقول حق .

قال الزهري : فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم ، ودعوا إلى ما فيها ، فهاب أهل العراق ، فعند ذلك حكموا الحكمين ، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعري ، واختار أهل الشام عمرو بن العاص ، فنفرق أهل صفين حين حكم الحكمان ، فاشترط أن يرفعا ما رفع القرآن ، ويخفضا ما خفض القرآن ، وأن يختارا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنتهما يجتمعان بدومة الجندل ، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح .

فلما انصرف على خالفت الحرورية وخرجت - وكان ذلك أول ما ظهرت - فآذنه بالحرب ، وردوا عليه : إن حكم بني آدم في حكم الله عز وجل ، وقالوا : لا حكم إلا لله سبحانه ! وقتلوا ، فلما اجتمع الحكمان بأذرح ، وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس ، فأرسل الحكمان إلى عبد الله بن عمرو ابن الخطاب وعبد الله بن الزبير في إقبالهم في رجال كثير ، ووافى معاوية بأهل الشام ، وأبى على وأهل العراق أن يوافوا ؛ فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوى الرأي من قريش : أترون أحداً من الناس برأى يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان ؟ قالوا : لا نرى أحداً يعلم ذلك ، قال : فوالله إنى لأظن

٣٣٤٢/١

أننى سأعلمه منهما حين أحلوا بهما وأراجعهما . فدخل على عمرو بن العاص وبدأ به فقال : يا أبا عبد الله ، أخبرنى عما أسألك عنه ، كيف ترانا معشر المعتزلة ، فلما قد شككنا فى الأمر الذى تبيين لكم من هذا القتال ، ورأينا

(١ - ١) ابن الأثير : « وافقوا على أن يوافي أمير المؤمنين على موضع الحكمين بدومة جندل أو

بأذرح في شهر رمضان » .

أن نستأني وننتبئ حتى تجتمع الأمة ! قال : أراكم معشر المعتزلة خكف الأبرار ، وأمام الفجار ! فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك ، حتى دخل على أبي موسى فقال له مثل ما قال لعمر ، فقال أبو موسى : أراكم أثبت الناس رأياً ، فيكم بقية المسلمين ، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك ، فلقى الذين قال لهم ما قال من ذوى الرأي من قريش ، فقال : لا يجتمع هذان على أمر واحد ، فلما اجتمع الحكماء وتكلموا قال عمرو بن العاص : يا أبا موسى ، رأيت أول ما تقضى به من الحق أن تقضى لأهل الوفاء بوفائهم ، وعلى أهل الغدر بغدرهم ؛ قال أبو موسى : وما ذاك ؟ قال : ألتست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وقفوا ، وقد موا للموعد الذى واعدناهم إياه ؟ قال : بلى ، قال عمرو : اكتبها ؛ فكتبها أبو موسى ؛ قال عمرو : يا أبا موسى ، أنت على أن نسمي رجلاً يلي أمر هذه الأمة ؟ فسمه لى ، فإن أقدر على أن أتابعك فلك على أن أتابعك ، وإلا فلى عليك أن تتابعنى ! قال أبو موسى : أسمى لك عبد الله بن عمر ، وكان ابن عمر فيمن اعتزل ؛ قال عمرو : إني أسمى لك معاوية بن أبي سفيان ، فلم يبرحاً مجلسهما حتى استبأ ، ثم خرجا إلى الناس ، فقال أبو موسى : إني وجدت مثل عمرو مثل الذين قال الله عز وجل : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ ^(١) ، فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال : أيها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذى قال عز وجل : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ ^(٢) ، وكتب كل واحد منهما مثله الذى ضرب لصاحبه إلى الأمصار .

٣٣٤٣/١

قال ابن شهاب : فقام معاوية عشية في الناس ، فأثنى على الله جل ثناؤه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فمن كان متكلماً في الأمر فليطبع لنا قرنته ، قال ابن عمر : فأطلقت حبوتى ، فأردت أن أقول قولاً يتكلم فيه رجال قاتلوا أباك على الإسلام ، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق الجماعة ، أو يسفك فيها دم ، أو أحمل فيها على غير رأى ، فكان ما وعد الله عز وجل

في الجنان أحبَّ إلىَّ من ذلك . فلما انصرف^(١) إلى المنزل جاءني حبيب بن مسَلَمَة فقال : ما منعك أن تتكلم حين سمعت الرجل يتكلم ؟ قلت : أردت ذلك ، ثم خشيت أن أقول كلمة تُفرِّق بين جميع ، أو يُسفلك فيها دم ، أو أحمل فيها على غير رأى ، فكان ما وعد الله عزَّ وجلَّ من الجنان أحبَّ إلىَّ من ذلك . قال : قال حبيب : فقد عُصمت .

* * *

* رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف : قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج الكندي ، قال : قيل لعلِّي بعد ما كتبت الصحيفة : إن الأشر لا يُقرَّ بما في الصحيفة ، ولا يرى إلا قتال القوم ؛ قال عليّ : وأنا والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا ، فإذا أبيتم إلا أن ترضوا فقد رضيت ، فإذا رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ، ولا التبديل بعد الإقرار ، إلا أن يُعصى الله عزَّ وجلَّ ويُتعدى كتابه ، فقاتلوا مَنْ تَرَكَ أمرَ الله عزَّ وجلَّ . وأما الذي ذكرتم من تركه أمرى وما أنا عليه فليس من أولئك ، ولست أخافه على ذلك ، ياليت فيكم مثله اثنين ! ياليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوى ما أرى ، إذاً لحقتُ علىْ مؤنثكم ، ورجوتُ أن يستقيم لي بعض أودكم ؛ وقد نهيتكم عما أتيتم فعصيتموني ، وكنت أنا وأنتم كما قال أخو هـوازن^(٢) :

وهل أنا إلا منْ غزِيَّةٍ إنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وإنْ تَرُشِدْ غزِيَّةٌ أَرُشِدْ
فقلت طائفة مَمَّنْ معه : ونحن ما فعلنا يا أمير المؤمنين إلا ما فعلت ؛
قال : نعم ، فلمَ كانت إجابتكم إياهم إلى وضع الحرب عنا ! وأما القضية فقد استوثقنا لكم فيها ، وقد طمعت ألا تَضِلُّوا إن شاء الله رب العالمين .
فكان الكتاب في صَفَرٍ والأجل رمضان إلى ثمانية أشهر ، إلى أن يلتقى الحَكَمَان . ثم إنَّ الناس دفنوا قتلاهم ، وأمر علىُّ الأعور فنادى في الناس بالرحيل .

(١) ابن الأثير : « انصرف » . (٢) هو دريد بن الصمة ؛ من أبيات أوردها صاحب الحماة - ٢ : ٣٠٤ - ٣٠٩ بشرح التبريزي .

٣٣٤٥/١

قال أبو محنّف: حدّثني عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه ، قال : لما انصرفنا من صفّين أخذنا غير طريقنا الذي أقبلنا فيه ؛ أخذنا على طريق البرّ على شاطئ الفرات ، حتّى انتهينا إلى هبّيت ، ثم أخذنا على صندوداء ، فخرج الأنصاريّون بنو سعد بن حرام ، فاستقبلوا علينا ، فعرضوا عليه النزول ، فبات فيهم ثم غدا ، وأقبلنا معه ، حتّى إذا جزّنا النخيلة ، ورأينا بيوت الكوفة ، إذا نحن بشيخ جالس في ظلّ بيت على وجهه أثر المرض ، فأقبل إليه علىّ ونحن معه حتّى سلم عليه وسلمنا معه ، فردّّا حسنا ظننا أن قد عرفه ، قال له علىّ : أرى وجهك منكفئا فمنّ مّه ؟ أمّن مرض ؟ قال : نعم ؛ قال : فلعلّك كرهته ، قال : ما أحبّ أنه بغيري ، قال : أليس احتسابا للخير فيما أصابك منه ؟ قال : بلى ، قال : فأبشر برحمة ربّك وغفران ذنبك . من أنت يا عبد الله ؟ قال : أنا صالح بن سلّيم ، قال : ممّن ؟ قال : أمّا الأصل فمن سلّامان طيّبّ ، وأمّا الجوار والدّعوة ففي بني سلّيم بن منصور ؛ فقال : سبحان الله ! ما أحسن اسمك واسم أبيك واسم أدعيائك واسم من اعتريت إليه ! هل شهدت معنا غزاتنا هذه ؟ قال : لا ، والله ما شهدتها ، ولقد أردتها ولكن ما ترى من أثر لحسب^(١) الحمى خزانتي عنها ؛ فقال : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢) .

خبرني ما تقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام ؟ قال : فيهم المسرور فيما كان بينك وبينهم — وأولئك أغشّاء الناس — وفيهم المكبوت الآسف بما كان من ذلك — وأولئك نصحاء الناس لك — فذهب لينصرف فقال : قد صدقت ، جعل الله ما كان من شكواك خطأ لسيئاتك ، فإنّ المرض لا أجر فيه ، ولكنه لا يدع على العبد ذنبا إلا حطّه ، وإنما أجر في القول باللسان والعمل باليد والرّجل ، وإنّ الله جلّ ثناؤه ليُدخل بصدق النية والسريرة الصالحة عالما جمّا من عباده الجنة . قال : ثم

٣٣٤٦/١

(١) لحب الحمى : هزالها .

(٢) سورة التوبة : ٩١ .

مضى على غير بعيد ، فلقبه عبد الله بن ودِعة الأنصارى ، فدنا منه ، وسلم عليه وسأيره ، فقال له : ما سمعت الناس يقولون فى أمرنا ؟ قال : منهم المعجب به ، ومنهم الكاره له ، كما قال عز وجل : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۚ إِنْ أَرَادَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (١) . فقال له : فما قول ذوى الرأى فيه ؟ قال : أما قولهم فيه فيقولون إنَّ عليًّا كان له جمع عظيم ففرقه ، وكان له حصن حصين فهدمه ، فحتى متى يبنى ما هدم ، وحتى متى يجمع ما فرق ! فلو أنه كان مضى بمن أطاعه — إذ عصاه من عصاه — فقاتل حتى يظفر أو يهلك إذا كان ذلك الحزم . فقال على : أنا هدمت أم هم هدموا ! أنا فرقت أم هم فرقوا ! أما قولهم : إنه لو كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك ، إذا كان ذلك الحزم ، فوالله ما غيبى عن رأى (٢) ذلك ، وإن كنت لسخياً بنفسى عن الدنيا ، طيب النفس بالموت ، ولقد هممتُ بالإقدام على القوم ، فنظرت إلى هذين قد ابتدآ رأتى — يعنى الحسن والحسين — ونظرتُ إلى هذين قد استقدما نى — يعنى عبد الله بن جعفر ومحمد بن على — فعلمت أن هذين إنْ هلكا انقطع نسلُ محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الأمة ، فكرهت ذلك ، وأشفتُ على هذين أن يهلكا ، وقد علمتُ أن لولا مكانى لم يستقدما — يعنى محمد بن على وعبد الله بن جعفر — وإيمُ الله لئن لقيتهم بعد يومى هذا لألقينهم وليسوا معى فى عسكر ولا دار . ثم مضى حتى إذا جُزنا بنى عوف إذا نحن عن إيماننا بقبور سبعة أو ثمانية ، فقال على : ما هذه القبور ؟ فقال قدامة بن العجلان الأزدى : يا أمير المؤمنين ، إنَّ خبأ ابن الأرت توفى بعد مخرجك ، فأوصى بأن يُدفن فى الظَّهر ، وكان الناس إنما يُدفنون فى دُورهم وأقنيتهم ، فدفن بالظَّهر رحمه الله ، ودفن الناس إلى جنبه ، فقال على : رحم الله خبأ ، فقد (٣) أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، وابْتلىَ فى جسمه أحوال ! وإنَّ الله لا يُضيع أجرَ من أحسن

(١) سورة هود: ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) ابن الأثير : « ما خفى عنى هذا » .

(٣) ابن الأثير « فلقد » .

عملاً. ثم جاء حتى وقف عليهم فقال : السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات . أنتم لنا ستائف . فارط ، ونحن لكم تبّع ، بكم عما قليل لاحقون . اللهم اغفر لنا ولهم ، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم ! وقال : الحمد لله الذي جعل منها خلقكم ، وفيها معادكم ، منها يبعثكم ، وعليها يحشركم ، طوبى لمن ذكر المعاد ، وعمل للحساب ، وقع بالكفاف ، ورضى عن الله عز وجل ! ثم أقبل حتى حاذى سكة الثوريين ، ثم قال : خُشُّوا ، ادخلوا بين هذه الأبيات ^(١) . ٣٣٤٨/١

قال أبو مخنف : حدثني عبد الله بن عاصم الفائشي ، قال : مرّ على* بالثوريين ^(٢) ، فسمع البكاء ، فقال : ما هذه الأصوات ؟ فقبل له : هذا البكاء على قتلى صفيين ، فقال : أما إنني أشهد لمن قُتل منهم صابراً محتسباً بالشهادة . ثم مرّ بالفائشيين ، فسمع الأصوات ، فقال مثل ذلك ، ثم مضى حتى مرّ بالشّاميين ، فسمع رجّة شديدة ^(٣) ، فوقف ، فخرج إليه حرب بن شريحيل الشّامي ، فقال على* : أيغلبكم نساؤكم ! ألا تنهونهن عن هذا الرّين ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثاً قد رنا على ذلك ، ولكن قُتِل من هذا الحى ثمانون ومائة قتيل ، فليس دار إلا وفيها بكاء ، فأما نحن معشر الرجال فلما لا نبكى ، ولكن نفرح لهم ، ألا نفرح لهم بالشهادة ! قال على* : رحم الله قَتَلاكم وموتاكم ! وأقبل يمشى معه وعلى* راكب ، فقال له على* : ارجع ، ووقف ثم قال له : ارجع ، فإن مَشَى مثلك مع مثلى فتنة للوالى ، ومذلة للمؤمن . ثم مضى حتى مرّ بالناعطيّين - وكان جلّهم عثمانية - فسمع رجلاً منهم يقال له عبد الرحمن بن يزيد ، من بنى عبّيد من النّاعطيّين يقول : والله ما صنع على* شيئاً ، ذهب ثم انصرف فى غير شيء ! فلما نظروا إلى على* أبلّسوا ^(٤) ، فقال : وجوه قوم ما رأوا الشّام

٣٣٤٩/١

(١) صفين: ٦١٠ ، ٦١١ .

(٢) بعدها فى صفين : « يعنى ثور همدان » .

(٣) صفين : « ثم مر بالشّاميين فسمع رجّة شديدة » .

(٤) أبلّسوا : انقطعت حجّتهم وسكتوا . وفى صفين : « فلما نظر أمير المؤمنين أبلّس » .

العام . ثم قال لأصحابه : قوم فارقناهم آنفاً خير من هؤلاء ، ثم أنشأ يقول :

أخوك الذى إن أجْرَضْتَكَ مُلِمَّةٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَبْرَحْ لِبَنِّكَ واجِمًا^(١)
وليس أخوك بالذى إن تَشَعَّبَتْ^(٢) عليك الأمورُ ظَلَّ يلحَاكَ لائِماً
ثم مضى ، فلم يزل يذكر الله عز وجل حتى دخل القصر^(٣) .

• • •

قال أبو مخنف : حدثنا أبو جناب الكلبي ، عن عُمارة بن ربيعة ، قال : خرجوا مع عليّ إلى صفتين وهم متوادلون أحبباء ، فرجعوا متباغضين أعداء ، ما برحوا من عسكرهم بصفتين حتى فشأ فيهم التحكيم ، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كله ويتشائمون ويضطربون بالسياط ، يقول الخوارج : يا أعداء الله ، أدهنتم في أمر الله عز وجل وحكمتم ! وقال الآخرون : فارقم إمامنا . وفرقم جماعتنا . فلما دخل عليّ الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حروراء ، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً ، ونادى مناديتهم : إن أمير القتال شبب بن ربعي التميمي . وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري ، والأمر شورى بعد الفتح ، والبيعة لله عز وجل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

• • •

بعثة عليّ جعدة بن هبيرة إلى خراسان

وفي هذه السنة بعث عليّ جعدة بن هبيرة فيا قيل إلى خراسان .

٢٣٥٠/١

• ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر عليّ بن محمد ، قال : أخبرنا عبد الله بن ميمون ، عن عمرو بن شُجيرة ، عن جابر ، عن الشعبي ، قال : بعث عليّ بعد ما رجع من صفين

(١) أجْرَضْتَكَ : أغصتكَ ، وفي صفين : « أحرضتك » ؛ أى أشفت بك على الهلاك .

(٢) صفين : « إن تَمَنَّتْ » .

(٣) صفين : ٦١١ ، ٦١٢ .

جَعَلَهُ بَنَ هُبَيْرَةَ الْخَزَوِيَّ إِلَى خُرَّاسَانَ ، فَانْتَهَى إِلَى أَبَرْشَهْرَ ، وَقَدْ كَفَرُوا
وَامْتَنَعُوا ، فَقَدِمَ عَلَى عَلِيٍّ . فَبَعَثَ خُلَيْدُ بْنُ قُرَّةَ الْيَرْبُوعِيَّ ، فَحَاصِرُ أَهْلَ
نِيسَابُورَ حَتَّى صَالَحُوهُ ، وَصَالَحَهُ أَهْلُ مَرَّوْ ، وَأَصَابَ جَارِيَتَيْنِ مِنْ أَبْنَاءِ
الْمَلُوكِ نَزَلْنَا بِأَمَانٍ ، فَبَعَثَ بِهِمَا إِلَى عَلِيٍّ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الْإِسْلَامَ وَأَنْ يَزُوجَهُمَا ،
قَالَتَا : زَوِّجْنَا ابْنَيْكَ ، فَأَبَى ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الدَّهَّاقِينَ : ادْفَعِيهِمَا إِلَيْ ،
فَإِنَّهُ كَرَامَةٌ تُكْرَمُ مَسْنَى بِهَا ، فَدَفَعَهُمَا إِلَيْهِ ، فَكَانَتَا عِنْدَهُ ، يَفْرَشُ لهما الدِّيْبَاجَ ،
وَيُطْعِمُهُمَا فِي آتِيَةِ الذَّهَبِ ، ثُمَّ رَجَعَتَا إِلَى خُرَّاسَانَ .

* * *

اعتزال الخوارج علياً وأصحابه ورجوعهم بعد ذلك

وفي هذه السنة اعتزل الخوارج علياً وأصحابه ، وحكّموا ، ثم كلّمهم عليٌّ^١
فرجعوا ودخلوا الكوفة .

* ذكر الخبر عن اعتزالهم عليّاً :

قال أبو مخنف في حديثه عن أَبِي جَسَّابٍ ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، قَالَ :
وَلَمَّا قَدِمَ عَلَى الكُوفَةِ وَفَارَقَتْهُ الْخَوَارِجُ ، وَثَبَتَ إِلَيْهِ الشَّيْعَةُ فَقَالُوا : فِي أَعْنَاقِنَا
بَسِيعَةٌ ثَانِيَةٌ ، نَحْنُ أَوْلِيَاءُ مِنَ الْوَالِيَّةِ ، وَأَعْدَاءُ مِنْ عَادِيَّةٍ ؛ فَقَالَتِ الْخَوَارِجُ :
اسْتَبَقْتُمْ أَنْتُمْ وَأَهْلُ الشَّامِ إِلَى الْكُفْرِ كَفَرَسَتِي رِهَانٍ ، بَايَعَ أَهْلُ الشَّامِ مَعَاوِيَةَ
عَلَى مَا أَحْبَبُوا وَكَرَهُوا ، وَبَايَعْتُمْ أَنْتُمْ عَلِيّاً عَلَى أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ مَنْ وَالى وَأَعْدَاءُ
مَنْ عَادَى ؛ فَقَالَ لَهُمُ زِيَادُ بْنُ النَّضْرِ : وَاللَّهِ مَا بَسَطَ عَلَى يَدِهِ فَبَايَعَنَاهُ قَطّاً إِلَّا
عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنْ كُنْتُمْ لَمَّا خَالَفْتُمُوهُ
جَاءَتْهُ شَيْعَتُهُ ، فَقَالُوا^(١) : نَحْنُ أَوْلِيَاءُ مَنْ وَالَيْتَ ، وَأَعْدَاءُ مَنْ عَادَيْتَ ؛
وَنَحْنُ كَذَلِكَ ، وَهُوَ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى ، وَمَنْ خَالَفَهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ . وَبَعَثَ
عَلِيٌّ ابْنَ عَبَّاسٍ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : لَا تَعْجَلْ إِلَى جَوَابِهِمْ وَخُصُومَتِهِمْ حَتَّى آتِيَكَ .
فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ حَتَّى أَتَاهُمْ ، فَأَقْبَلُوا يَكْلِمُونَهُ ، فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى رَاجِعَهُمْ ، فَقَالَ :
مَا نَقَسْتُمْ مِنَ الْحَكَمَيْنِ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ

٢٣٥١/١

(١) ابن الأثير : « فقالوا له » .

اللَّهُ بَيِّنَهُمَا^(١) ! فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ! فقالت الخوارج : قلنا : أمّا ما جعل حكمته إلى الناس ، وأمر بالنظر فيه والإصلاح له فهو إليهم كما أمر به ، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه ؛ حكم في الزاني مائة جلدة ، وفي السارق بقطع يده ، فليس للعباد أن ينظروا في هذا . قال ابن عباس : فإن الله عز وجل يقول : ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(٢) ، فقالوا : أو تجعل الحكم في الصيّد ، والحدّث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين ! وقالت الخوارج : قلنا له : فهذه الآية بيننا وبينك ، أعدّل عندك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ويسفك دماءنا ! فإن كان عدلاً فلسنا بعدول ونحن أهل حربه . وقد حكمتم في أمر الله الرجال ، وقد أمضى الله عز وجل حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا ، وقبل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عز وجل فأبوه ، ثم كتبتم بينكم وبينه^(٣) كتاباً ، وجعلتم بينكم وبينه الموادعة والاستفاضة ، وقد قطع عز وجل الاستفاضة والموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة ، إلا من أقر بالخرية . وبعث على زياد بن النضر إليهم فقال : انظر بأيّ رؤسهم هم أشدّ إطفاء ، فنظر فأخبره أنه لم يرههم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس . فخرج على في الناس حتى دخل إليهم ، فأتى فسطاط يزيد بن قيس ، فدخله فتوضأ فيه وصلى ركعتين ، وأمره على إصبعان والرّى ، ثم خرج حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس ، فقال : انته عن كلامهم ، ألم أنهك رحمتك الله ! ثم تكلم فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال : اللهم إن هذا مقام من أفلح فيه كان أولى بالفلاح يوم القيامة ، ومن نطق فيه وأوعث فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً . ثم قال لهم : من زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء . قال علي : فما أخرجكم علينا ؟ قالوا : حكومتكم يوم صيفين . قال : أنشدكم بالله ، أنعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف فقلتم : نجيبهم إلى كتاب الله قلت لكم : إني أعلم بالقوم منكم ؛ إنهم ليسوا بأصحاب دين

(١) سورة النساء : ٣٥ . (٢) سورة المائدة : ٩٥ .

(٣) ابن الأثير والنويري : « وبينهم » .

ولا قرآن، إني صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً، فكانوا شرّاً أطفالاً وشرّاً رجالاً. امضوا على حقكم وصدقكم، فلما رفع القوم هذه المصاحف خديعةً ودهشاً ومكيدةً. فرددتهم على رأبي، وقلمت: لا، بل تقبل منهم. فقلت لكم: اذكروا قولي لكم، ومعصيتكم إيتاي، فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطتُ على الحكمين أن يُحييَا ما أحيا القرآن، وأن يُميتَا ما أمات القرآن، فإن حكمتما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكمتما بحكم بما في القرآن، وإن أبيتَا فنحن من حكمهما برآء. قالوا له: فخبّرنا أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: إنا لسنا حكمتما الرجال، إنما حكمتما القرآن، وهذا القرآن إنما هو خطٌ مسطور بين دفتين، لا ينطق، إنما يتكلّم به الرجال، قالوا: فخبّرنا عن الأجل، لم جعلته فيما بينك وبينهم؟ قال: ليعلم الجاهل، ويتثبت العالم، ولعل الله عزّ وجلّ يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة. ادخلوا مصركم رحمكم الله! فدخلوا من عند آخرهم.

٢٣٥٣/١

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي، عن أبيه بمثل هذا.

وأما الخوارج فيقولون: قلنا: صدقت، قد كنا كما ذكرت، وفعلنا ما وصفت، ولكنّ ذلك كان منّا كفراً، فقد تُبِنّا إلى الله عزّ وجلّ منه، فتبّ كما تُبِنّا نبايعك، وإلا فنحن مخالفون. فبايعتنا على وقال: ادخلوا فلنمكث ستة أشهر حتى يجي المال، ويسمّن الكراع، ثم نخرج إلى عدونا. ولسنا نأخذ بقولهم؛ وقد كذبوا^(١).

وقدم معن بن يزيد بن الأحنس السلمي في استبطاء إمضاء الحكومة وقال لعلّي: إن معاوية قد وفّى، فف أنت لا يلفنتك عن رأيك أعايب بكر وتميم. فأمر على بإمضاء الحكومة، وقد كانوا افرقوا من صيفين على أن يقدم الحكمين في أربعمائة أربعمائة إلى دومة الجندل.

وزعم الواقدي أن سعداً قد شهد مع من شهد الحكمين، وأن ابنه عمر لم يدعه حتى أحضره أدرج، فندم، فأحرم من بيت المقدس بعمره.

٢٣٥٤/١

(١) ابن الأثير: «وقد كذب الخوارج فيما زعموا».

اجتماع الحكمين بدومة الجندل

وفي هذه السنة كان اجتماع الحكمين .

* ذكر الخبر عن اجتماعهما :

قال أبو مخنف : حدثني المجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، عن زياد بن النضر الحارثي ، أن علياً بعث أربعمئة رجل ، عليهم ^(١) شريح بن هاني الحارثي ، وبعث معهم عبد الله بن عباس ، وهو يصلي بهم ، ويولي أمورهم ، وأبو موسى الأشعري معهم . وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمئة من أهل الشام ، حتى توافوا بدومة الجندل بأذرح ، قال : فكان معاوية إذا كتب إلى عمرو جاء الرسول وذهب لا يدري بما جاء به ، ولا بما رجع به ، ولا يسأله أهل الشام عن شيء ؛ وإذا جاء رسول علي جاءوا إلى ابن عباس فسألوه : ما كتب به إليك أمير المؤمنين ؟ فإن كتّمهم ظنوا به الظنون فقالوا : ما نراه كتب إلا بكذا وكذا . فقال ابن عباس : أما تعقلون ! أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم بما جاء به ، ويرجع لا يعلم ما رجع به ، ولا يسمع لهم صياح ولا لفظ ، وأنتم عندي كل يوم تظنون الظنون !

قال : وشهد جماعتهم تلك عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . الخزومي وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهرري وأبو جهم بن حذيفة العدوي والمغيرة بن شعبة الثقفي ؛ وخرج عمر بن سعد حتى أتى أباه على ماء لبني سليم بالبادية ، فقال : يا أبت ، قد بلغك ما كان بين الناس بصفتين ، وقد حكّم الناس أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص ، وقد شهدهم نفر من قريش ؛ فاشهدهم فإنك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الشورى ، ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة ، فاحضر فإنك أحق الناس بالخلافة . فقال : لا أفعل ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه تكون فتنة ؛ خير الناس فيها الخفيّ التقي » ^(٢) ، والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً ^(٣) .

(١) صفين : « وبعث عليهم » .

(٢-٣) صفين : « وهذا أمر لم أشهد أوّله فلا أشهد آخره » .

والتقى الحكيمان ، فقال عمرو بن العاص : يا أبا موسى ، ألسْتَ تعلم أن عثمان رضى الله عنه قتل مظلوماً ؟ قال : أشهد ، قال : ألسْتَ تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه ؟ قال : بلى ؛ قال : فإن الله عز وجل قال : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً ﴾ ^(١) ، فما يمنعك من معاوية ولي عثمان يا أبا موسى ، وبيته في قريش كما قد علمت ؟ فإن تخوفت أن يقول الناس : ولي معاوية وليست له سابقة ؛ فإن لك بذلك حجة ، تقول : إني وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه ، الحسن السياسة ، الحسن التدبير ، وهو أخو أم حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد صحبه ، فهو أحد الصحابة . ثم عرض له بالسلطان ، فقال : إن ولي أكرمك كرامة لم يسكرها خليفة . فقال أبو موسى : يا عمرو ، اتق الله عز وجل ! فأما ما ذكرت من شرف معاوية فإن هذا ليس على الشرف يولاه أهله ، ولو كان على الشرف لكان هذا الأمر لآل أبرهة بن الصبح ، إنما هو لأهل الدين والفضل ، مع أني لو كنت معطيته أفضل قريش شرفاً أعطيته على بن أبي طالب . وأما قولك : إن معاوية ولي دم عثمان فولته هذا الأمر ، فلاني لم أكن لأوليته معاوية وأدع المهاجرين الأولين . وأما تعريضك لي بالسلطان ، فوالله لو خرج لي من سلطانه كله ما وليته ، وما كنت لأرتشي في حكم الله عز وجل ، ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب ^(٢) .

٣٣٥٦/١

قال أبو مخنف : حدثني أبو جتناب الكلبي ، أنه كان يقول : قال أبو موسى : أما والله لئن استطعت لأحيين اسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فقال له عمرو : إن كنت تحب بيعة ابن عمر فما يمنعك من ابني وأنت تعرف فضله وصلاحه ! فقال : إن ابنك رجل صدق ، ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة ^(٣) .

(١) سورة الإسراء: ٣٣ .

(٢) صفين: ٦١٣ - ٦٢٣ مع تصرف واختصار .

(٣) صفين: ٦٢٣ .

قال أبو مخنف : حدثني محمد بن إسحاق ، عن نافع مولى ابن عمر ، قال : قال عمرو بن العاص : إن هذا الأمر لا يصلحه إلا رجل له ضير^(١) يأكل ويطعم ، وكانت في ابن عمر غفلة ، فقال له عبد الله بن الزبير : افطن ، فانتبه ، فقال عبد الله بن عمر : لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً ، وقال : يا ابن العاص ، إن العرب أسندت إليك أمرها بعد ما تقارعت بالسيوف ، وتناجزت بالرماح ، فلا تُردّتهم في فتنة^(٢) .

٣٣٥٧/١

قال أبو مخنف : حدثني النضر بن صالح العبسي ، قال : كنت مع شريح بن هاني في غزوة سجستان ، فحدثني أن علياً أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص ، قال : قل له إذا أنت لقيته : إن علياً يقول لك : ^(٣) « إن أفضل الناس عند الله عز وجل من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه وكرهه ، من الباطل وإن حن إليه وزاده »^(٤) ، يا عمرو ، والله إنك لتعلم أين موضع الحق ، فلم تتجاهل^(٥) ؟ إن أوتيت طمعاً يسيراً كنت به لله وأوليائه عدواً ، فكأن والله ما أوتيت قد زال عنك ؛ ويحك ! فلا تكن للخائنين خصيماً ، ولا للظالمين ظهيراً . أما إنني أعلم بيومك الذي أنت فيه نادم ، وهو يوم وفاتك ، تمنى أنك لم تُظهر لمسلم عداوة ، ولم تأخذ على حكم رشوة . قال : فبلغته ذلك ، فتمعر وجهه^(٥) ، ثم قال : متى كنت أقبل مشورة على أو أنتهي إلى أمره ، أو أعتد برأيه ! فقلت له : وما يمنحك يا ابن النابغة أن

(١) الضرس : الرجل المحرب ؛ مثل المضرس .

(٢) كذا ورد الخبر هنا مبتوراً ؛ وفي صفين : ٦٢٣ بروايته عن نافع عن ابن عمر ، قال : « قال أبو موسى لعمر : إن شئنا ولينا هذا الأمر الطيب ابن الطيب عبد الله بن عمر ، فقال عمرو : إن هذا الأمر لا يصلح له إلا رجل له ضرس ، يأكل ويطعم ؛ وإن عبد الله ليس هناك - وكانت في أبي موسى غفلة . فقال ابن الزبير لعبد الله بن عمر : اذهب إلى عمرو بن العاص فارشه ، فقال عبد الله بن عمر : لا والله ما أرشو عليها أبداً ما عشت ؛ ولكنه قال له : ويحك يا ابن العاص ! إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ما تقاربت بالسيوف ، وتناجزت بالرماح ؛ فلا تردهم في فتنة واتق الله . » (٣ - ٣) صفين : « إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه ، وإن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده . »

(٤) صفين : « تتجاهل » .

(٥) صفين : « قال شريح : فأبلغته ذلك فتمعر وجه عمرو ؛ وتمعر وجهه ، أى تغير . »

تقبل من مولاك وسيّد المسلمين بعد نبيّهم مشورته ! فقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه ، ويعمّـلـان برأيه ، فقال : إن مثلي لا يكلم مثلك ، فقلت له : وبأى أبويك ترغب عني ! بأبيك الوشيط أم بأمك النابغة ^(١) ! قال : فقام عن مكانه وقمت معه ^(٢) .

٣٣٥٨/١

قال أبو ميخنف : حدثني أبو جـنـاب الكلبي أن عمراً وأبا موسى حيث التقيا بدومة الجندل ، أخذ عمرو يقدم أبا موسى في الكلام ، يقول : إنك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت أسن مني ، فتكلّم وأنكلم . فكان عمرو قد عود أبا موسى أن يقدمه في كل شيء ، اغترى ^(٣) بذلك كله أن يقدمه فيبدأ بخلع عليّ . قال : فنظر في أمرهما وما اجتمعا عليه ، فأرادہ عمرو على معاوية فأبى ، وأرادہ على ابنه فأبى ، وأراد أبو موسى عمراً على عبد الله ابن عمر فأبى عليه ، فقال له عمرو : خبرني ما رأيك ؟ قال : رأي أن نخلع هذين الرجلين ، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين ، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا . فقال له عمرو : فإن الرأي ما رأيت ، فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون ، فقال : يا أبا موسى ، أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع واتفق ، فتكلّم أبو موسى فقال : إن رأي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله عز وجل به أمر هذه الأمة . فقال عمرو : صدق وبرّ ، يا أبا موسى ، تقدّم فتكلّم . فتقدّم أبو موسى ليتكلّم ، فقال له ابن عباس : ويحك ! والله إنّي لأظنّه قد خدعك . إن كنتم قد اتفقتم على أمر ، فقدّمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك ، ثم تكلم أنت بعده ، فإن عمراً رجل غادر ، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه ، فإذا قمت في الناس خالفك — وكان أبو موسى مغفلاً — فقال له : إننا قد اتفقنا . فتقدّم أبو موسى فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال : أيّها الناس ، إننا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح

٣٣٥٩/١

(١) الوشيط : الخسيس والتابع . والنابغة لقب أم عمرو بن العاص ، واسمها سلمى بنت حرمة

سبية من بني جـلان بن عـزّة .

(٢) صفين : ٦٢٣ ، ٦٢٤ .

(٣) اغترى : قصد ؟ وفي صفين : « وإنما اغتره بذلك ليقدمه » ، وفي ابن الأثير : « أراد » .

لأمرها ، ولا أَلَمْ لَشَعَثَهَا من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه ؛ وهو أن نخلع علياً ومعاوية ، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولتوا منهم مَنْ أَحَبُّوا عليهم ، وإنِّي قد خلعت علياً ومعاوية ، فاستقبلوا أمرَكم ، وولتوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ؛ ثم تنحى . وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه ، فحميد الله وأثنى عليه وقال : إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية ، فإنه ولي عثمان بن عفان والطالب بدمه ، وأحق الناس بمقامه . فقال أبو موسى : مالك لا وفقك الله ، غدرت وفجرت ! إنما مشلك كمثل الكلب إن تحمّل عليه يلهث أو تركه يلهث . قال عمرو : إنما مشلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً . وحمل شريح بن هاني على عمرو فقتله بالسوط ، وحمل على شريح ابن لعمرو فضربه بالسوط ، وقام الناس فحجزوا بينهم . وكان شريح بعد ذلك يقول : ما ندمتُ على شيء ندامتي على ضرب عمرو بالسوط ألا أكون ضربته بالسيف آتياً به الدهرُ ما أتى . والتمس أهل الشام أبا موسى ، فركب راحلته ولحق بمكة . قال ابن عباس : قبّح الله رأي أبي موسى ! حذّره وأمرته بالرأي فما عمّل . فكان أبو موسى يقول : حذّرنى ابنُ عباس غدرة الفاسق ، ولكنى اطمأننت إليه ، وظننت أنه لن يؤثّر شيئاً على نصيحة الأمة . ثم انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية ، وسلموا عليه بالخلافة ، ورجع ابن عباس وشريح بن هاني إلى عليّ ، وكان إذا صلى الغداة يتقنّت فيقول : اللهم العن معاوية وعمراً وأبا الأعور السُّلَميّ وجبياً وعبد الرحمن بن خالد والضحّاك بن قيس والوليد . فبلغ ذلك معاوية ، فكان إذا قنّنت لعن علياً وابن عباس والأشتر وحسناً وحسيناً ^(١) .

وزعم الواقدي أن اجتماع الحكمين كان في شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة .

* * *

ذكر ما كان من خبر الخوارج عند
توجيه على الحكم للحكومة وخبر يوم النهر

قال أبو مخنف : عن أبي المغفل ، عن عون بن أبي جحيفة ، أن علياً لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة ، أتاه رجلان من الخوارج : زُرعة بن البرج الطائي وحرْقوص بن زهير السعدي ، فدخلا عليه ، فقالا له : لا حكم إلا لله ، فقال علي : لا حكم إلا لله ، فقال له حرْقوص : تَب من خطيئتك ، وارجع عن قضيتك ، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا . فقال لهم علي : قد أردتكم على ذلك فعصيتوني ، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً ، وشرطنا شروطاً ، وأعطينا عليها عهدنا وموائقنا ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ ^(١) . فقال له حرْقوص : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه ؛ فقال علي : ما هو ذنب ، ولكنه عجز من الرأي ، وضعف من الفعل ، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ، ونهيتمكم عنه . فقال له زُرعة بن البرج : أما والله يا علي ، لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل قاتلتك ، أطلب بذلك وجه الله ورضوانه ، فقال له علي : بؤساً لك ، ما أشقاك ! كأني بك قتيلاً تسفي عليك الريح ؛ قال : وددت أن قد كان ذلك ؛ فقال له علي : لو كنت محققاً كان في الموت على الحق تعزية عن الدنيا ، إن الشيطان قد استهواكم ، فاتقوا الله عز وجل ؛ إنه لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها ؛ فخرجوا من عنده بحكمته .

٣٣٦١/١

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الملك بن أبي حرة الحنفي ، أن علياً خرج ذات يوم يخطب ، فإنه لفي خطبته إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد ، فقال علي : الله أكبر ! كلمة حق يراد بها باطل ! إن سكتوا عمنهم ، وإن تكلموا حسبناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم . فوثب يزيد بن عاصم

المحاربى، فقال: الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغنى عنه. اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية في ديننا، فإن إعطاء الدنية في الدين إدهان في أمر الله عز وجل، وذل راجع بأهله إلى سخط الله. يا على، أبالقتل تخوفنا! أما والله إني لأرجو أن تضربكم بها عما قليل غير مصفحات، ثم لتعلمن آيتنا أولى بها صلياً. ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم، فأصيبوا مع الخوارج بالنهر، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة.

قال أبو مخنف: حدثني الأجلح بن عبد الله، عن سلمة بن كهيل، عن كثير بن بهز الحضرى، قال: قام على في الناس يخطبهم ذات يوم، فقال رجل من جانب المسجد: لا حكم إلا لله، فقام آخر فقال مثل ذلك، ثم توالى عدة رجال يحكمون، فقال على: الله أكبر؛ كلمة حق يلتبس بها باطل! أما إن لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتونا: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم النية ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدءونا؛ ثم رجع إلى مكانه الذى كان فيه من خطبته.

قال أبو مخنف: وحدّثنا عن القاسم بن الوليد، أن حكيم بن عبد الرحمن بن سعيد البسكائى كان يرى رأى الخوارج، فأتى علياً ذات يوم وهو يخطب، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١)، فقال على: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(٢).

حدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا ابن إدريس، قال: سمعت إسماعيل ابن سميع الحنفى، عن أبى رزين، قال: لما وقع التحكيم ورجع على من صفتين رجعوا مبينين له، فلمّا انتهوا إلى النهر أقاموا به، فدخل على في الناس الكوفة، ونزلوا بحرّوراء، فبعث إليهم عبد الله بن عباس، فرجع ولم يصنع شيئاً، فخرج إليهم على فكلّتهم حتى وقع الرضا بينه وبينهم، فدخلوا

(١) سورة الزمر: ٦٥.

(٢) سورة الروم: ٦٠.

الكوفة ، فأتاه رجل فقال : إن الناس قد تحدّثوا أنك رجعت لهم عن كفرك .
فخطب الناس في صلاة الظهر ، فذكر أمرهم فعابه ؛ فوثبوا من
نواحي المسجد يقولون : لا حكم إلا لله . واستقبله رجل منهم واضع إصبعيه
في أذنيه ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ
أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، فقال علي :
﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ .

حدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليث بن
أبي سليم يذكر عن أصحابه ، قال : جعل عليّ يقلّب يديه يقول يديه هكذا
وهو على المنبر ، فقال : حُكِّمُ الله عزّ وجلّ يُسْتَظَرُّ فيكم مرتين ، إن لكم
عندنا ثلاثاً : لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد ، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا
الفسىء ما كانت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقتلونا .

قال أبو مخنف عن عبد الملك بن أبي حرّة : إن عليّاً لما بعث أبا موسى
لإنفاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضاً ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن
وهب الراسبيّ ، فحمّد الله عبدُ الله بن وهب وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ،
فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن ، وينيبون إلى حكم القرآن ، أن تكون هذه
الدينا ، التي الرضا بها والركون بها والإيثار إياها عناء وتبّار ، آثراً عندهم من
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق ، وإن من وضرّ فإنه
من يُمْنٍ ويُضرّ في هذه الدنيا فإن ثوابه يوم القيامة رضوان الله عزّ وجلّ
والخلود في جنّاته . فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالِم أهلها إلى بعض
كُور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه البدع المضلّة .
فقال له حُرْقُوص بن زهير : إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها
وشيك ، فلا تدعوتكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تلفتنكم عن طلب
الحق ، وإنكار الظلم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . فقال حمزة

ابن سنان الأسديّ : يا قوم، إنّ الرأي ما رأيتم ، فولّوا أمركم رجلاً منكم ، فإنه لا بدّ لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها ، وترجعون إليها . فعرضوها على زيد بن حصين الطائيّ فأبى ، وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى ، وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسيّ فأبىّا ، وعرضوها على عبد الله ابن وهب ، فقال : هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبةً في الدنيا ، ولا أدعها فِرَقاً من الموت . فبايعوه لعشر خلون من شوال — وكان يقال له ذو الشّفّينات^(١) — ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسيّ ، فقال ابن وهب : اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله ، فإنكم أهل الحق . قال شريح : نخرج إلى المدائن فننزلها ، ونأخذ بأبوابها ، ونخرج منها سكّانها ، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا . فقال زيد بن حصين : إنكم إن خرجتم مجتمعين اتّبعنكم ، ولكن اخرجوا وحداً مستخفين ، فأما المدائن فإنّ بها من يمنعكم ، ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر النهر وان ، وتكاتبوا إخوانكم من أهل البصرة . قالوا : هذا الرأي .

وكتب عبد الله بن وهب إلى من بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه ، ويحثهم على اللحاق بهم ، وسيّر الكتاب إليهم ، فأجابوه أنهم على اللحاق به . فلما عزموا على المسير تعبّدوا ليلتهم — وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة — ٢٣٦٦/١ وساروا يوم السبت ، فخرج شريح بن أوفى العبسيّ وهو يتلو قول الله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢﴾ . وخرج معهم طرفة بن عدى بن حاتم الطائيّ ، فاتبعه أبوه فلم يقدر عليه ، فانتهى إلى المدائن ثم رجع ، فلما بلغ ساباط لقيته عبد الله بن وهب الراسي في نحو عشرين فارساً ، فأراد عبد الله قتله ، ففناه عمرو بن مالك النّبّهانيّ وبشر بن زيد البوّلانيّ . وأرسل عدى إلى سعد بن مسعود عامل على المدائن يحذّره

(١) في اللسان : « الثفنة ركبة البعير ؛ وقيل لعبد الله بن وهب الراسي رئيس الخوارج : ذو

الثفّينات ؛ لأن طول السجود كان أثر في ثفّناته - ١١ .

(٢) سورة القصص : ٢١ ، ٢٢ .

أمرهم ، فحذر ، وأخذ أبواب المدائن ، وخرج في الخيل واستخلف بها ابن أخيه المختار بن أبي عبيد ، وسار في طلبهم ، فأخبر عبد الله بن وهب خبره فرأى طريقه^(١) ، وسار على بغداد ، ولحقهم سعد بن مسعود بالكربلاء في خمسمائة فارس عند المساء ، فانصرف إليهم عبد الله في ثلاثين فارساً ، فاقتتلوا ساعة ، وامتنع القوم منهم ؛ وقال أصحاب سعد لسعد : ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر ! خلتهم فليذهبوا ، واكتب إلى أمير المؤمنين ، فإن أمرَكَ باتباعهم اتبعتهم ، وإن كَفَاكَهُمْ غيرُكَ كان في ذلك عافية لك . فأبى عليهم ، فلما جَنَّ عليهم الليلُ خرج عبد الله بن وهب فعَبَّرَ دجلة إلى أرض جَوْحَى ، وسار إلى الشَّهْرَوَانِ ، فوصل إلى أصحابه وقد أَيْسَأُوا منه ، وقالوا : إن كان هلك وَلَيْسَا الأمرُ زَيْدَ بن حصين أو حُرْقُوصَ بن زهير ، وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم ، فردَّهم أهلهم كَرَّهًا ؛ منهم القعقاع بن قيس الطائي عم الطَّيْرِ مَاحِ بن حكيم ، وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكائي ، وبلغ علياً أن سالم بن ربيعة العبسي يريد الخروج ، فأحضره عنده ، ونهاه فانتهى .

٢٣٦٧/١

ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى علياً أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا : نحن أولياء مَنْ واليت ، وأعداءُ مَنْ عادَيْت ، فشرط لهم فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي - وكان شهد معه الجمل وصفين ، ومعه راية خَشَعَمَ - فقال له : بايع على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال ربيعة : على سنة أبي بكر وعمر ؛ قال له علي : ويلك ! لو أن أبا بكر وعمر عملاً بغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونا على شيء من الحق ، فبايعه ، فنظر إليه علي وقال : أما والله لكأنني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت ، وكأنني بك وقد وطئت الخيل بجوافرها ، فقتل يوم الشَّهْرَ مع خَوَارِجِ البصرة .

وأما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل ، وجعلوا عليهم مسعر ابن فِدَكِي التميمي ، فعلم بهم ابن عباس ، فأتبعهم أبا الأسود الدؤلي ،

(١) يقال : رآيت فلاناً ؛ حذرته واتفقته .

فلحقهم بالجسر الأكبر ، فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل ، وأدلاج مسعر بأصحابه ، وأقبل يعترض الناس وعلى مقدمته الأشرس بن عوف الشيباني ، وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر . فلما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى إلى مكة ، وردَّ على ابن عباس إلى البصرة ، قام في الكوفة فخطبهم فقال : الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحد ثان الجليل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؛ أما بعد ، فإن المعصية تورث الحسرة ، وتُعقب الندم ، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمرى ، ونَحَلْتُكم رأيي ، لو كان لقصير أمر ! ولكن أبيتم إلا ما أردتم ، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

أمرتُهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد^(١)
ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكميين قد نبذاً حكم القرآن وراء ظهورهما ، وأحيى ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله ، فحكمهما بغير حجة بيّنة ، ولا سنة ماضية ، واختلفا في حكمهما ، وكلاهما لم يرشد ، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح^(٢) المؤمنين . استعِدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام ، وأصبحوا في معسكرهم إن شاء الله يوم الاثنين . ثم نزل .

وكتب إلى الخوارج بالنهر : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين ، إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس . أما بعد ، فإن هذين الرجلين اللذين ارتضينا حكمهما قد خالفا كتاب الله ، واتبعوا أهواءهما بغير هدى من الله ، فلم يعملوا بالسنة ، ولم ينفذوا للقرآن حكماً ، فبرئ الله ورسوله منهما والمؤمنون ! فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا فإننا سائرون إلى عدوتنا وعدوكم ، ونحن على الأمر الأول الذى كنا عليه والسلام .

(١) لدريد بن الصمة ؛ وبعده :

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم وأننى غير مُهتدٍ
ومأ أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

(٢) التويرى : « وصالحو المؤمنين » .

وكتبوا إليه : أمّا بعد ، فإنّك لم تغضب لرّبك ، إنّما غضبتَ لنفسك ، فإن شهدت على نفسك بالكفر ، واستقبلت التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابذناك على سواء إنّ الله لا يحبّ الخائنين . فلما قرأ كتابهم أيس منهم ، فرأى أن يدعهم ويمضى بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم .

قال أبو مخنف ، عن المعلّي بن كليب الهمداني ، عن جبر بن نَوْف أبي الودّك الهمداني : إنّ عليّاً لما نزل بالنّسخة وأيس من الخوارج ، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ، فإنه من ترك الجهاد في الله وأدّهن في أمره كان على شفا هلكه^(١) إلا أن يتداركه الله بنعمة ؛ فاتقوا الله ، وقاتلوا من حادّ الله ، وحاول أن يطوع نور الله ، قاتلوا الخاطئين الضالين ، القاسطين المجرمين ، الذين ليسوا بقراء للقرآن^(٢) ، ولا فقهاء في الدين ، ولا علماء في التأويل ، ولا لهذا الأمر بأهل سابقة في الإسلام ، والله لو ولّوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كيسرى وهيرقل ، تيسروا وتهيؤا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب ، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم ، فإذا قدّموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٣٣٧٠/١

وكتب عليّ إلى عبد الله بن عباس مع عتبة بن الأحنس بن قيس ، من بني سعد بن بكر : أمّا بعد ، فإنّا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنّسخة ، وقد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب ، فاشخص بالناس حتى يأتيتك رسولى ، وأقم حتى يأتيتك أمرى . والسلام .

فلما قدم عليه الكتاب قرأه على الناس ، وأمرهم بالشخص مع الأحنف ابن قيس ، فشخص معه منهم ألف وخمسمائة رجل ، فاستقلّهم عبد الله بن عباس ، فقام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد يا أهل البصرة ، فإنه جاءني أمر أمير المؤمنين يأمرني بإشخاصكم ، فأمرتكم بالنّفير إليه مع الأحنف بن قيس ، ولم يشخص معه منكم إلا ألف وخمسمائة ،

(١) ابن الأثير : « هلكة » .

(٢) التويرى وابن الأثير : « القرآن » .

وأنتم ستون ألفاً سوى أبنائكم وعبدانكم ومواليكم ! ألا انفروا مع جارية بن قدامة السعدي ، ولا يجعلن رجل على نفسه سيلاً ، فإني موقع بكل من وجدته متخلفاً عن مكتبه ، عاصياً لإمامه ، وقد أمرت أبا الأسود الدؤلي بحشركم ، فلا يَلْمُ رجل جعل السبيل على نفسه إلا نفسه .

فخرج جارية فمسكر ، وخرج أبو الأسود فحشر الناس ، فاجتمع إلى جارية ألف وسبعمائة ، ثم أقبل حتى وافاه على بالثخيلة ، فلم يزل بالثخيلة حتى وافاه هذان الجيشان من البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فجمع إليه رءوس أهل الكوفة ، ورءوس الأسباع ، ورءوس القبائل ، ووجوه الناس . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة ، أنتم إخواني وأنصاري ، وأعواني على الحق ، وصحاًبتي على جهاد عدوي المحلين بكم ، أضرب المدبر ، وأرجو تمام طاعة المستقبل ، وقد بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم ، فلم يأتني منهم إلا ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فأعينوني بمناصرة جليّة خلية من الغش ، إنكم ^(١) مخرجنا إلى صفتين ، بل استجمعوا بأجمعكم ، وإني أسألكم أن يكتب لي رئيس كل قوم ما في عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم ، ثم يرفع ذلك إلينا .

فقام سعيد بن قيس الهمداني ، فقال : يا أمير المؤمنين ، سمعاً وطاعة ، ووداً ونصيحة ، أنا أول الناس جاء بما سألت ، وبما طلبت . وقام معقل بن قيس الرياحي فقال له نحواً من ذلك ، وقام عدي بن حاتم وزباد بن خصفة وحجّر بن عدي وأشرف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك .

ثم إن الرءوس كتبوا من فيهم ، ثم رفعوهم إليه ، وأمروا أبناءهم وعبيدهم ومواليهم أن يخرجوا معهم ، وألا يتخلف منهم عنهم أحد ، فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل ، وسبعة عشر ألفاً من الأبناء ممن أدرك ، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم ، وقالوا : يا أمير المؤمنين ، أمّا من عندنا من المقاتلة وأبناء المقاتلة ممن قد بلغ الحلم ، وأطاق القتال ، فقد رفعنا إليك منهم ذوى القوة والجلد ، وأمروناهم بالشخص معنا ، ومنهم ضعفاء ، وهم في ضياعنا وأشياء مما يصلحنا .

(١) هنا سقطت كلمات من أصول ط ، وأغفلها ابن الأثير والنويري .

وكانت العرب سبعةً وخمسين ألفاً من أهل الكوفة ، ومن مواليهم ومواليكهم ثمانية آلاف ، وكان جميع أهل الكوفة خمسةً وستين ألفاً ، وثلاثة آلاف ومائتي رجل من أهل البصرة ، وكان جميع من معه ثمانيةً وستين ألفاً ومائتي رجل .

قال أبو مخنف ، عن أبي الصلت التيمي : إن علياً كتب إلى سعد ابن مسعود الثقفي وهو عامله على المدائن : أما بعد ، فإني قد بعثت إليك زياد ابن خنيفة فأشخص معه من قبلك من مقاتلة أهل الكوفة ، وعجل ذلك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله .

قال : وبلغ علياً أن الناس يقولون : لو سار بنا إلى هذه الحرورية^(١) فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجهنا من وجهنا ذلك إلى المحلّين^(٢) ! فقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنه قد بلغني قولكم : لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى المحلّين ؛ وإن غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم ، فدعوا ذكرهم ، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كما يكونوا جبارين ملوكاً ، ويتخذوا عباد الله خوفاً .

فتنادى الناس من كل جانب : سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت .
 قال : فقام إليه صبي بن فسيل^(٣) الشيباني فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن حزبك وأنصارك ، نعادى من عاديت^(٤) ، ونشايح من أناب إلى طاعتك ، فسير بنا إلى عدوك ؛ من كانوا وأبنا كانوا ؛ فلذلك إن شاء الله لن تؤتني من قلّة عدّد ، ولا ضعف نيّة أتباع . وقام إليه مُحَرِّز بن شهاب التميمي من بني سعد فقال : يا أمير المؤمنين ، شيعتك كقلب رجل واحد في الإجماع^(٥)

(١) الحرورية من الخوارج ، منسوبون إلى حروراء : موضع بظاهر الكوفة ؛ نسبوا إليه لأنه كان أول اجتماعهم به .

(٢) المحل : الذي نقض عهده . وفي ابن الأثير والنويري : « إلى قتال المحلّين »

(٣) ابن الأثير : « قسيل » ، النويري : « نشيل » .

(٤) ابن الأثير والنويري : « عاداك » .

(٥) النويري : « الاجتماع » .

على نُصْرَتِكَ ، والجِدَّة في جهادِ عدوك ، فأبشِرْ بالنصر، وسِرْ بنا إلى أىّ الفريقين أحببت ، فإنّا شيعتك الذين نرجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالحَ الثواب ، ونَخَاف في خذلانك والتخلف عنك شدةَ الوبال .

حدثني يعقوب ، قال : حدثني إسماعيل ، قال : أخبرنا أيّوب ، عن حميد بن هلال ، عن رجل من عبد القيس كان من الخوارج ثم فارقه ، قال : دخلوا قريةً ، فخرج عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله ذَعِرًا يجرّ رداءه ، فقالوا : لمَ تَرَعُ ؟ فقال : والله لقد ذَعَرْتُمُونِي ! قالوا : أنت عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ؛ قالوا : فهل سمعت من أبيك حديثًا يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر فتنةً ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ؟ قال : فإن أدركتم ذلك فكن يا عبد الله المقتول — قال أيّوب : ولا أعلمه إلا قال : « ولا تكن يا عبد الله القاتل » — قال : نعم ؛ قال : فقدّموه على ضِفّة النهر ، فضربوا عنقه ، فسأل دمه كأنه شِرَاكُ نعل ، وبَقَرُوا بطنَ أمّ ولده عمّا في بطنها .

قال أبو مخنف عن عطاء بن عجلان ، عن حميد بن هلال : إن الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من إخوانها بالنهر ، فخرجت عِصَابَة منهم ، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار ، فعبروا إليه ، فدعوه فتهدّوه وأفزعوه ، وقالوا له : مَنْ أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض — وكان سقط عنه لما أفزعوه — فقالوا له : أفزعناك ؟ قال : نعم ؛ قالوا له : لا رَوْع عليك ! فحدثنا عن أبيك بحديث سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم ، لعلّ الله ينفعنا به ! قال : حدثني أبي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « أن فتنةً تكون ، يموت فيها قلبُ الرجل كما يموتُ فيها بدنُه ، يمسي فيها مؤمنًا ويصبح فيها كافرًا ، ويصبح فيها كافرًا ويمسي فيها مؤمنًا » ، فقالوا : لهذا الحديث سألتك ، [فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيرًا ، قالوا : ما تقول

في عثمان في أول خلافته وفي آخرها ؟ قال : إنه كان محققاً في أولها وفي آخرها ؛ قالوا : فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بالله منكم ، وأشدّ توقّياً على دينه ، وأنفدُ بصيرةً . فقالوا : إنك تتبّع الهوى ، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها ^(١) ، والله لنتقاتلك قتلة ما قتلناها أحداً ، فأخذوه فكشفوه ثم أقبلوا به وبامراته وهي حبلى مُتِمٌّ ^(٢) حتى نزلوا تحت نخيل مَواقِر ^(٣) ، فسقطت منه رطبةٌ ، فأخذها أحدهم فقفز بها في فمه ، فقال أحدهم : بغير حلّها ، وبغير ثمن ! فلكتفظها وألقاها من فمه ، ثم أخذ سيفه فأخذ يمينه ، فمرّ به خنزير لأهل الذمة فضربه بسيفه ، فقالوا : هذا فسادٌ في الأرض ، فأتى صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره ، فلما رأى ذلك منهم ابن خبّاب قال : لئن كنتم صادقين فيما أرى فما علىّ منكم بأس ، إني لمُسْلِمٌ ؛ ما أحدثتُ في الإسلام حَدَثًا ، ولقد أمتتموني ، قلم : لا رَوْعَ عليك ! فجاءوا به فأضجعوه فذبّحوه ، وسالّ دمه في الماء ، وأقبلوا إلى المرأة ، فقالت : إني إنما أنا امرأة ، ألا تتقون الله ! فبقروا بطنها ، وقتلوا ثلاث نسوةٍ من طيئٍ ، وقتلوا أمّ سِنان الصّيداوية ، فبلغ ذلك عليّاً ومن معه من المسلمين من قتلهم عبد الله بن خبّاب ، واعتراضهم الناس ، فبعث إليهم الحارث بن مرّة العبدى ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم ، ويكتب به إليه على وجهه ، ولا يكتمه . فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسألهم ، فخرج القوم إليه فقتلوه ، وأتى الخبرُ أميرَ المؤمنين والناس ، فقام إليه الناس ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، علّام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا ! سير بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سيرنا إلى عدوّنا من أهل الشام . وقام إليه الأشعث بن قيس الكِنْدِيّ فكلّمه بمثل ذلك . وكان الناس يَروُن أن الأشعث يَرى رأيهم لأنّه كان يقول يومَ صِفّين : أنصفنا قوم يدعون إلى كتاب الله ، فلما أمر عليّاً بالمسير إليهم علم الناس أنه لم يكن يَرى رأيهم . فأجمع على ذلك ، فنادى بالرحيل ،

٣٣٧٥/١

٣٣٧٦/١

(١) ما بين العلامتين زيادة من ابن الأثير والنويري .

(٢) يقال : امرأةٌ مُتِمٌّ ، للحامل إذا شارفت الوضع .

(٣) أظهرت النخلة ؛ إذا كثرت حللها ، ونخلة مؤنر واجمع مَواقِر .

وخرج فعَبَّرَ الجسر فصلَّى ركعتين بالقنطرة ، ثم نزل ديرَ عبد الرحمن ، ثم دير أبي موسى ، ثم أخذ على قرية شاهي ، ثم على دَباها ، ثم على شاطئ الفرات ، فلقيته في مسيره ذلك منجم ، أشار عليه بسير^(١) وقت من النهار ، وقال له : إن سرتَ في غير ذلك الوقت لقيت أنت وأصحابك ضرّاً شديداً . فخالفه ، وسار في الوقت الذي نهاه عن السير فيه ، فلما فرغ من النهر حمد الله وأثنى عليه ثم قال : لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الجهّال الذين لا يعلمون : سار في الساعة التي أمره بها المنجم فظفر .

قال أبو مخنف : حدثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف ، قال : لما أراد عليّ الميسرَ إلى أهل النهر من الأنبار ، قدّم قيس بن سعد بن عبادة وأمره أن يأتي المدائن فينزّلها حتى يأمره بأمره ، ثم جاء مقيلاً إليهم ، ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفي بالنهر ، وبعث إلى أهل النهر : ادفعوا إلينا قَتَلَةَ إخواننا منكم نقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكافٌ عنكم حتى ألقى أهل الشام ؛ فلعلّ الله يقلّب قلوبكم ، ويردّكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم . فبعثوا إليه ، فقالوا : كلنا قَتَلْتَهُمْ ، وكلنا نستحلّ دماءهم ودماءكم .

قال أبو مخنف : فحدثني الحارث بن حصيرة ، عن عبد الرحمن بن عبيد^(٢) ٣٣٧٧/١ أبي الكنود ، أن قيس بن سعد بن عبادة قال لهم : عباد الله ، أخرجوا إلينا طلبيتنا منكم ، وادخلوا في هذا الأمر الذي منه خرجتم ، وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم ، فإنكم ركبتم عظيمًا من الأمر ، تشهدون علينا بالشرك ، والشرك ظلمٌ عظيم ، وتسفكون دماء المسلمين ، وتعدّونهم مشركين ! فقال عبد الله بن شجرة السلمي : إن الحقّ قد أضاء لنا ، فلنسنا نتابعكم^(٣) أو تأتونا بمثل عمر ، فقال : ما نعلمه فينا غير صاحبنا ، فهل تعلمونه فيكم ؟ وقال : نشدتكم بالله في أنفسكم أن تهلكوها ، فإنّي لأرى الفتنة قد غلبت عليكم !

(١) ابن الأثير : « أن يسير » .

(٢) ساقطة من ط . (٣) ابن الأثير : « متابعتكم » .

وخطبهم أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري؛ فقال: عباد الله، إنا وإياكم على الحال الأولى التي كنا عليها، ليست بيننا وبينكم فُرقة، فعلام تقاتلوننا؟ فقالوا: إنا لو بايعناكم اليوم حكمتكم غداً. قال: فلئن أنشدكم الله أن تعجلوا فتنه العام مخافة ما يأتي في قابل.

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعيّن، عن زيد بن وهب، أن عليّاً أتى أهل النهر فوقف عليهم فقال: أيتها العصابة التي أخرجتكم عداوة المراء واللّجاجة، وصدّتها عن الحقّ الموصى، وطمح بها النّزق، وأصبحت في اللبس والخطب العظيم، إني نذيرٌ لكم أن تصبحوا تُفليكم الأمة غداً صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط، بغير بيّنة من ربكم، ولا برهان بيّن. ألم تعلموا أنّي نهيتكم عن الحكومة، وأخبرتكم أنّ طلب القوم إيتاها منكم دهن ومكيده لكم! ونبيأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأنّي أعرفُ بهم منكم، عرفتهم أطفالاً ورجالا، فهم أهلُ المكر والغدر، وأنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الخزم! فعصيتُموني، حتى أقررت بأن حكمتُ، فلما فعلت شرطت واستوثقت، فأخذت على الحكّامين أن يُحييّا ما أحيّا القرآن، وأن يُميّتّا ما أمتّ القرآن، فاختلّفا وخالفّا حكم الكتاب والسنة، فنبذنا أمرهما، ونحن على أمرنا الأوّل، فما الذي بكم؟ ومن أين أتيتم! قالوا: إنا حكّمنا، فلمّا حكّمنا أثمنا، وكنا بذلك كافرين، وقد تُبّنا فإن تبّت كما تبنا فنحنُ منك ومعك، وإن أبيت فاعتزلنا فإننا منابذوك على سواء إن الله لا يحبّ الخائنين. فقال عليّ: أصابكم حاصب، ولا بقی منكم وابر^(١)! أبعدَ إيمانِي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرني معه، وجهادِي في سبيل الله، أشهد على نفسي بالكُفر! لقد ضللتُ إذّا وما أنا من المهتدين. ثم انصرف عنهم.

قال أبو مخنف: حدثني أبو سلّمة الزّهريّ— وكانت أمّه بنت أنس ابن مالك — أنّ عليّاً قال لأهل النهر: يا هؤلاء، إن أنفُسكم قد سولت

(١) يقال: ما بالدار وابر؛ أي ما بها أحد.

لکم فراقَ هذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كارهٌ ، وأنباتکم أن القوم سألوکُسُوها مکیدةً ودَهْنًا^(١) ، فأبیتم علی إباءَ المخالفین ، وعدلتم عنی عدولَ النکداء العاصین ، حتی صرفت رأی إلى رأیکم ؛ وأنتم والله معاشر أخفَاء الهام ، سَفْهَاء الأحلام ، فلم آت - لا أبا لکم - حراماً . والله ما خبلتکم عن أمورکم ، ولا أخفيتُ شيئاً من هذا الأمر عنکم ، ولا أوطأتکم عَشْوَةً ، ولا دَنیتُ لکم الضَّرَاء ، وإن کان أمرنا لأمرِ المسلمین ظاهراً ؛ فأجمعَ رأی مَلَکِکم علی أن اختاروا رجلین ، فأخذنا علیهما أن یَحکما بما فی القرآن ولا یَعدُوَاه ، فَنَتَماها وترکنا الحقَّ وهما یُبْصِرانه ، وكان الجور هوأهما ، وقد سبق استیثاقنا علیهما فی الحکم بالعدل ، والصدّة للحقِّ سوء^(٢) رأیهما ، وجور حکمهما . والثقة فی أیدینا لأنفسنا حین خالفا سبیل الحق ، وأتیا بما لا یعرف ؛ فبیئنا لنا بماذا تستحلّون قتالنا ، والخروجَ من^(٣) جماعتنا ؛ إن اختار الناس رجلین أن تَضْعُوا أسیافکم علی عواتقکم ، ثم تَسْتَعْرِضُوا الناس ، تضربون رقابهم ، وتَسْفِکون دماءهم ! إن هذا هو الحِسران المبین . والله لو قتلتم علی هذا دجاجة لَعَطَمَ عند الله قتلها ، فكیف بالنفس التي قتلها عند الله حرام !

فتنادوا : لا تُخاطبُوهم ، ولا تکلّمُوهم ، وتهیئوا للقاء الربّ ، الرّواحَ الرّواحَ إلى الجنّة ! فخرج علیّ فعبأ الناس ، فجعل علی میمنته حُجْر بن عدیّ ، وعلى میسرته شَبِث بن رِبْعیّ - أو معقل بن قیس الرّیاحی - وعلى الخیل أبا أيوب الأنصاریّ ، وعلى الرّجالة أبا قتادة الأنصاریّ ، وعلى أهل المدينة - وهم سبعمائة أو ثمانمائة رجل - قیس بن سعد بن عبادة .

قال : وعبأت الخوارج ، فجعلوا علی میمنتهم زید بن حُصَین الطائیّ ، وعلى المیسرة شُرَیح بن أوفیّ العبسیّ ، وعلى خیلهم حمزة بن سنان الأسدیّ ، وعلى الرّجالة حُرْقُوص بن زُهیر السعدیّ .

(١) دَهْنًا : خداعاً ، وفی ابن الأثیر : « ووهناً » .

(٢) ط : « بسوء » ، والصواب ما أثبتته من نهج البلاغة ١ : ٤٢٢ .

(٣) ابن الأثیر : « عن جماعتنا » .

قال : وبعث على الأسود بن يزيد المرادى فى ألقى فارس ، حتى أتى حمزة بن سنان وهو فى ثلثمائة فارس من خيلهم ، ورفع على راية أمان مع أبى أيوب ، فناداهم أبو أيوب : من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو أمين ؛ ومن أنصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو أمين ؛ لأنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم فى سفك دمائكم . فقال فروة بن نوفل الأشجعي : والله ما أدرى على أى شيء نقاتل علينا ! لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفذ لى بصيرتى فى قتاله أو اتباعه . وانصرف فى خمسمائة فارس ، حتى نزل السند تبعين والدسكرة ، وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلت الكوفة ، وخرج إلى على منهم نحو من مائة ، وكانوا أربعة آلاف ، فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين وثمانمائة ، وزحفوا إلى على ، وقدّم على الخليل دون الرجال ، وصف الناس وراء الخليل صفين ، وصف المرامية أمام الصف الأول ، وقال لأصحابه : كفوا عنهم حتى يبدءوكم ، فإنهم لو قد شدوا عليكم - وجئتهم رجال - لم ينتهوا إليكم إلا لاغبين وأنتم رادون حامون . وأقبلت الخوارج ، فلما أن دنوا من الناس نادوا يزيد بن قيس ، فكان يزيد بن قيس على إصبهان . فقالوا : يا يزيد بن قيس ، لا حكم إلا لله ، وإن كرهت إصبهان ! فناداهم عباس ابن شريك وقبيصة بن ضبيعة العبسيان : يا أعداء الله ، أليس فيكم شريح ابن أوفى المسرف على نفسه ؟ هل أنتم إلا أشباهه ! قالوا : وما حججتكم على رجل كانت فيه فتنة ، وفيها توبة ! ثم تنادوا : الرواح الرواح إلى الجنة ! فشدوا على الناس والخليل أمام الرجال ، فلم تثبت خيل المسلمين لشدتهم ، وافترت الخيل فرقتين : فرقة نحو الميمنة ، وأخرى نحو الميسرة ، وأقبلوا نحو الرجال ، فاستقبلت المرامية وجوههم بالنبل ، وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف ، فوالله ما لبسّوهم أن أناموهم . ثم إن حمزة بن سنان صاحب خيلهم لما رأى الهلاك نادى أصحابه أن انزلوا ، فذهبوا لينزلوا فلم يتقاروا حتى حمل عليهم الأسود بن قيس المرادى ، وجاءتهم الخيل من نحو على ، فأهمدوا فى الساعة .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الملك بن مسلم بن سلام بن ثمامة الحنفي ، عن حكيم بن سعد ، قال : ما هو إلا أن لقينا أهل البصرة ، فالبثناهم ، فكأنما قيل لهم : موتوا ؛ فاتوا قبل أن تشتد شوكتهم ، وتعظم نكايتهم .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جتناب ؛ أن أبا أيوب أتى علياً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قتل زيد بن حصين ، قال : فما قلت له وما قال لك ؟ قال : طعنته بالرمح في صدره حتى نجم من ظهره ؛ قال : وقلت له : أبشر يا عدو الله بالنار ! قال : ستعلم أينما أولى بها صلياً ؛ فسكت على عليها .

قال أبو مخنف ، عن أبي جتناب : إن علياً قال له : هو أولى لها صلياً . قال : وجاء عائد بن حملة التميمي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قتل كلاباً ، قال : أحسنت ! أنت محق قتل مبطل . وجاء هاني بن خطاب الأرحبي وزيراد بن خصفة محتجان في قتل عبد الله بن وهب الراسبي ، فقال لهما : كيف صنعما ؟ فقالا : يا أمير المؤمنين ، لما رأينا عرفناه ، وابتدرناه فطعنناه برمحينا ، فقال علي : لا تختلفا ، كلاكما قاتل . وشد جيش بن ربيعة أبو المعتمر الكنانى على حرقوص بن زهير فقتله ، وشد عبد الله بن زحر الحولاني على عبد الله بن شجرة السلمى فقتله ، ووقع شريح بن أوفى إلى جانب جدار ، فقاتل على ثلثة فيه طويلا من نهار ، وكان قتل ثلاثة من همدان ، فأخذ يرتجز ويقول :

قد عَلِمَتْ جَارِيَةُ عَبْسِيَّة نَاعِمَةً فِي أَهْلِهَا مَكْفِيَّة

* أَنَّى سَأَحْمِي ثُلَمَتِي الْعَشِيَّة *

٣٣٨٣/١

فشد عليه قيس بن معاوية الدُهْنِي فقطع رجله ، فجعل يقاتلهم ، ويقول :

* الْقَرْمُ يَحْمِي شَوْلَهُ مَعْقُولًا *

ثم شد عليه قيس بن معاوية فقتله ، فقال الناس :

اقتتل همدان يوماً ورجل اقتتلوا من غدوة حتى الأصل

• فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُمَا دَانَ الرَّجُلِ

وقال شريح :

أَضْرِبُهُمْ وَلَوْ أَرَى أَبَا حَسَنٍ ضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَطْمَنُ

وقال :

أَضْرِبُهُمْ وَلَوْ أَرَى عَلِيًّا أَلْبَسْتُهُ أَبْيَضَ مَشْرِفِيًّا

قال أبو مخنف : حدثني عبد الملك بن أبي حرة ، أن عليًّا خرج في طلب ذي الشدبة ومعه سليمان^(١) بن ثمامة الحنفي أبو جبرة ، والريان بن صبرة ابن هوزة ، فوجده الريان بن صبرة بن هوزة في حفرة على شاطئ النهر في أربعين أو خمسين قتيلًا . قال : فلما استخرج نظر إلى عضده ، فإذا لحم مجتمع على منكبيه كشدى المرأة ، له حلقة عليها شعرات سود ، فإذا مدت امتدت حتى تحاذي طول يده الأخرى ، ثم تترك فتعود إلى منكبيه كشدى المرأة ، فلما استخرج قال علي : الله أكبر ! والله ما كذبت ولا كذبت ، أما والله لولا أن تنكلوا عن العمل ، لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لمن قاتلهم مستبصرًا في قتالهم ، عارفًا للحق الذي نحن عليه . قال : ثم مرّ وهم صرعى فقال : بؤسًا لكم ! لقد صرّكم من غرّكم ؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين ، من غرّهم ؟ قال : الشيطان ، وأنفس بالسوء أمارة ، غرّتهم بالآماني ، وزينت لهم المعاصي ، ونبأتهم أنهم ظاهرون . قال : وطلب من به رمق منهم فوجدناهم أربعمئة رجل ، فأمر بهم على فدفعوا إلى عشائهم ، وقال : احملوهم معكم فداووهم ، فإذا برّثوا فوافوهم بالكوفة ، وخذوا ما في عسكرهم من شيء .

قال : وأما السلاح والدواب وما شهدوا به عليه الحرب فقسّمه بين المسلمين ، وأما المتاع والعبيد والإماء فإنه حين قدم رده على أهله . وطلب عدى بن حاتم ابنه طرفة فوجده ، فدفعته ، ثم قال : الحمد لله الذي ابتلاني بيومك على حاجتي إليك . ودفع رجال من الناس قتلهم ،

(١) ابن الأثير : « سليم » .

فقال أمير المؤمنين حين بلغه ذلك : ارتحلوا إذا ، أتقتلونهم ثم تدفنونهم !
فارتحل الناس .

قال أبو مخنف عن مجاهد ، عن المحل بن خليفة : أن رجلاً منهم من بني سُدوس يقال له العيزار بن الأخنس كان يرى رأى الحوارج ، خرج إليهم ، فاستقبل وراء المدائن عدى بن حاتم ومعه الأسود بن قيس والأسود بن يزيد المراديان ، فقال له العيزار حين استقبله : أسالم غام ، أم ظالم آثم ؟ فقال عدى : لا ، بل سالم غام ، فقال له المراديان : ما قلت هذا إلا لشر في نفسك ، وإنك لتعرفك يا عيزار برأى القوم ، فلا تفارقنا حتى نذهب بك إلى أمير المؤمنين فنخبره خبرك . فلم يكن بأوشك أن جاء على فأخبراه خبره ، وقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنه يرى رأى القوم ، قد عرفناه بذلك ، فقال : ما يحل لنا دمه ، ولكننا نجسه ، فقال عدى بن حاتم : يا أمير المؤمنين ، ادفعه إلى وأنا أضمن ألا يأتيك من قبله مكروه . فدفعه إليه .

قال أبو مخنف : حدثني عمران بن حدير ، عن أبي مجلز ، عن عبد الرحمن بن جندب بن عبد الله ، أنه لم يقتل من أصحاب علي إلا سبعة . قال أبو مخنف ، عن ثُمَيْر بن وَعْلَةَ اليناعي^(١) ، عن أبي درداء ، قال : كان علي لما فرغ من أهل النهروان حميد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله قد أحسن بكم ، وأعز نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم . قالوا : يا أمير المؤمنين ، نفذت نبأنا ، وكسكت سيوفنا ، ونصكت أسنة رماحنا ، وعاد أكثرها قيصد^(٢) ، فارجع إلى ميصرنا ، فلنستعد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عُدّة من هلك منا ، فإنه أوفى^(٣) لنا على عدونا . وكان الذي تولى ذلك الكلام الأشعث بن قيس ، فأقبل حتى نزل الثخيلة ، فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم ، ويوطئوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقيموا زيارة نسايتهم وأبنائهم حتى يسيروا إلى عدوهم ، فأقاموا فيه أياماً ، ثم

(١) ط : « الساعي » ، وانظر المشبه : ١٠٥

(٢) قصداً ؛ أى قطعاً منكراً ؛ الواحدة قصدة . (٣) ابن الأثير والنويري : « أقوى » .

تسلّوا من معسكرهم ، فدخلوا إلا رجالا من وجوه الناس قليلاً ، وترك العسكر خالياً ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة ، وانكسر عليه رأيه في المسير . ٣٣٨٦/١

قال أبو مخنف عمن ذكره ، عن زيد بن وهب : إن علياً قال للناس - وهو أول كلام قاله لهم بعد النهر :

أيّها الناس ، استعدّوا للمسير إلى عدوّ^(١) في جهاده القُرْبَة إلى الله ودرك الوسيلة عنده . خيارى في الحقّ ، جُفَاة عن الكتاب ، نُكُْبٌ عن الدّين ، يعمّهون في الطّغيان ، ويُعكّسون في غمّة الضلال ، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ، وتوكلوا على الله ، وكفى بالله وكيفا ، وكفى بالله نصيراً !

قال : فلا هم نفروا ولا تيسّروا ، فتركهم أياماً حتى إذا أيس من أن يفعلوا ، دعا رؤساءهم ووجوههم ، فسألهم عن رأيهم ، وما الذى ينظرونهم^(٢) ، فنهم المعتلّ ، ومنهم المكرّة ، وأقلّتهم من نشيط . فقام فيهم خطيباً ، فقال :

عباد الله ، ما لكم إذا أمرتكم أن تنفّروا اثاقلتم إلى الأرض ! أَرْضَيْتُمُ بالحياة الدنيا من الآخرة ، وبالذلّ والهوان من العِزّ ! أو كلّما نذبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت فى سكرة ، وكأنّ قلوبكم مألوسة^(٣) فأنتم لا تعقلون ! وكأنّ أبصاركم كُمّه فأنتم لا تبصرون . الله أنتم ! ما أنتم إلا أسود الشرى فى الدّعة ، وثعالب رَوَاغة حين تُدْعَوْنَ إلى البأس . ما أنتم لى بثقة سَجِيسَ الليالى^(٤) ، ما أنتم بركب يُصَالُ بكم ، ولا ذى عِزّ يُعْتَصَمُ إليه . لَعَمْرُ الله ، لبش حُشَّاش الحرب أنتم^(٥) ! إنكم تُكادون ولا تكيدون ، ويتنقص أطرافكم ولا تتحاشون ، ولا يُنَامُ عنكم وأنتم فى غفلة ساهون ؛ إن أخا الحرب اليَقْظان ذو عقل ، وبات لذلّ مَنْ وادّع ، وغلب المتجادلون ، والمغلوب مهوور ومسلوب . ثم قال : أما بعد ، فإنّ لى عليكم

٣٣٨٧/١

(١) ابن الأثير : « عدوكم » . (٢) ابن الأثير : « يبطى بهم » .

(٣) مألوسة ؛ من الألس وهو ذهاب العقل . (٤) سَجِيسَ الليالى ؛ أى الدهر كلّّه .

(٥) حشاش حرب ، من حش النار ، إذا أشعلها .

حقاً ، وإن لكم على حقاً ، فأما حقكم على فالتصيحة لكم ما صحبتكم ،
وتوفير فيسئلكم عليكم ، وتعليمكم كما لا تجهلوا ، وتأديبكم كي تعلموا ؛
وأما حتى عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصح لي في الغيب والمشهد ، والإجابة حين
أدعوكم ، والطاعة حين آمركم ، فإن يرد الله بكم خيراً انتزعتم عما أكثره ،
وتراجعوا إلى ما أحب ، تنالوا ما تطلبون ، وتدرى كوا ما تأملون .

وكان غير أبي مخنف يقول : كانت الوقعة بين علي وأهل النهر سنة ثمان
وثلاثين ، وهذا القول عليه أكثر أهل السير .

ومما يصححه أيضاً ما حدثني به حمارة الأسدي ، قال : حدثنا عبيد الله بن
موسى ، قال : أخبرنا نعيم ، قال : حدثني أبو مریم أن شبث بن ربعي وابن
الكوء خرجا من الكوفة إلى حروراء ، فأمر علي الناس أن يخرجوا بسلاحهم ،
فخرجوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم ، فأرسل إليهم : بش ما صنعتم حين
تدخلون المسجد بسلاحكم ! اذهبوا إلى جبانة مُراد حتى يأتيكم أمرى .

٣٣٨٨/١

قال أبو مریم : فانطلقنا إلى جبانة مُراد فكنا بها ساعة من نهار ، ثم بلغنا
أن القوم قد رجعوا وهم زاحفون . قال : فقلت : أنطلق أنا حتى أنظر إليهم ، فانطلقت
حتى أتخلل صفوفهم ، حتى انتهيت إلى شبث بن ربعي وابن الكوء وهما
واقفان متوركان على دابتيهما ، وعندهما رسل علي وهم يناشدونهما الله لهما
رجعا بالناس ! ويقولون لهم : نعيدكم بالله أن تعجلوا بفتنة العام خشية عام قابل .
فقام رجل إلى بعض رسل علي فعقر دابته ، فنزل الرجل وهو يسترجع ، فحمل
سرجه ، فانطلق به وهم يقولون : ما طلبنا إلا منابذتهم ، وهم يناشدونهم الله ،
فكشنا ساعة ، ثم انصرفوا إلى الكوفة كأنه يوم فطر أو أضحى .

قال : وكان علي يحدثنا قبل ذلك أن قوماً يسخرجون من الإسلام يسمرون من
الدين كما يسمرق السهم من الرمية ، علامتهم رجل مخدج اليد . قال : وسمعت
ذلك منه مراراً كثيرة ، قال : وسمعه نافع « المخدج » أيضاً - حتى رأيت يتركه
طعامه من كثرة ما سمعه ، يقول : وكان نافع معنا يصلى في المسجد بالنهار ويبيت
فيه بالليل ، وقد كنت كسوته برئوساً ، فلقيته من الغد ، فسألته : هل كان

خرج مع الناس الذين خرجوا إلى حرّوراء ؟ فقال : خرجت أريدُهم حتى إذا بلغت إلى بني سعد ، لقيتُ صبياناً فنزَعوا سِلاحِي ، وتلَعَبُوا بِي ، فرجعت حتى إذا كان الحوْلُ أو نحوه خرج أهل النهر ، وسار على إليهم ، فلم أخرج معه وخرج أخِي أبو عبد الله . قال : فأخبرني أبو عبد الله أن عليّاً سار إليهم حتى إذا كان حذاءهم على شطّ النهر وانزل إليهم يناشدُهم الله ويأمرهم أن يرجعوا ، فلم تنزل رسلُهُ تختلف إليهم ، حتى قَتَلُوا رسولَهُ ، فلما رأى ذلك نهض إليهم فقاتلَهُم حتى فرغ منهم ، ثم أمر أصحابه أن يلتمسوا المِخْدَجَ ، فالتمسوه ، فقال بعضهم : ما نجدُهُ ، حتى قال بعضهم : لا ، ما هو فيهم . ثم إنه جاء رجل فبشّره وقال : يا أمير المؤمنين ، قد وجدناه تحت قَتيلين في ساقية . فقال : اقطَعُوا يَدَهُ المِخْدَجَةَ ، وأتوني بها ، فلما أُتِيَ بها أخذها ثم رَفَعَهَا ، وقال : والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ .

٢٣٨٩/١

قال أبو جعفر : فقد أنبأ أبو مريم بقوله : « فرجعت حتى إذا كان الحوْلُ أو نحوه ، خرج أهل النهر » ، أن الحرب التي كانت بين عليٍّ وأهل حرّوراء كانت في السنة التي بعد السنة التي كان فيها إنكار أهل حرّوراء على عليٍّ التحكيم ، وكان ابتداء ذلك في سنة سبع وثلاثين على ما قد ثبت قبلُ ، وإذا كان كذلك ، وكان الأمر على ما روينا من الخبر عن أبي مريم ، كان معلوماً أن الوقعة كانت بينه وبينهم في سنة ثمان وثلاثين .

وذكر عليٌّ بن محمد ، عن عبد الله بن ميمون ، عن عمرو بن شُجيرة ، عن جابر ، عن الشعبي ، قال : بعث عليٌّ بعد ما رجع من صِفِّين جَعْدَةَ ابن هبيرة المخزومي ، وأمّ جعدة أمّ هانئ بنت أبي طالب — إلى خُرَّاسان ، فأنتهى إلى أبرشهر وقد كَتَفَرُوا وَاِمْتَنَعُوا ، فقدم على عليٍّ ، فبعث خُلَيْد بن قرّة اليربوعي فحاصر أهل نَيْسَابُور حتى صالحوه ، وصالحه أهلُ مرو .

٢٣٩٠/١

• • •

وحجَّ بالناس في هذه السنة — أعني سنة سبع وثلاثين — عبيد الله بن عباس ، وكان عامل عليٍّ على اليَمَمِين ومخاليفها . وكان على مكة والطائف قُشَم بن

العبّاس ، وعلى المدينة سهل بن حُنَيْف الأنصاري ، وقيل : كان عليها تمام ابن العباس . وكان على البصرة عبد الله بن العباس ، وعلى قضائها أبو الأسود الدؤلي ، وعلى مصر محمد بن أبي بكر ، وعلى خُرَّاسانَ خَليد بن قرّة اليربوعي .
وقيل : إن عليّاً لما شخص إلى صِفِّين استخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاري ؛ حدّثني أحمد بن إبراهيم الدؤري ، قال : حدّثنا عبدُ الله بن إدريس ، قال : سمعتُ ليثاً ذكر عن عبد العزيز بن رُفَيع ، أنه لما خرج علىّ إلى صِفِّين استخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاريّ عقبة بن عمرو . وأمّا الشام فكان بها معاوية بن أبي سُفْيَان .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها مقتل محمد بن أبي بكر بمصر ، وهو عامل عليها ، وقد ذكرنا سبب تولية علي إياه مصر ، وعزل قيس بن سعد عنها ، ونذكر الآن سبب قتله ، وأين قتل ؟ وكيف كان أمره ؟ ونبدأ بذكر من تمت حديث الزهري الذي قد ذكرنا أوله قبل ، وذلك ما حدثنا عبد الله ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : لما حدث قيس بن سعد بمجيء محمد بن أبي بكر ، وأنه قادم عليه أميراً ، تلقاه وخلا به وناجاه ، فقال : إنك جئت من عند امرئ لا رأى له ، وليس عز لکم إيتای بمانعی أن أنصح لکم ، وأنا من أمرکم هذا على بصيرة ، وإنی فی ذلك على الذى كنت أكاید به معاوية وعمرأ وأهل خیربتنا ، فکایدهم به ، فلأنك إن تکایدهم بغيره تهلك . ووصف قيس ابن سعد المكايدة التى كان يکایدهم بها ، واغتشه محمد بن أبي بكر ، وخالف كل شئ أمره به . فلما قدم محمد بن أبي بكر وخرج قيس قبل المدينة بعث محمد أهل مصر إلى خیربتنا ، فاقتتلوا ، فهزم محمد بن أبي بكر ، فبلغ ذلك معاوية وعمرأ ، فساروا بأهل الشام حتى افتتحوا مصر ، وقتلوا محمد بن أبي بكر ، ولم تزل فى حيز معاوية ، حتى ظهر . وقدم قيس بن سعد المدينة ، فأخافه مروان والأسود بن أبي البختري ، حتى إذا خاف أن يؤخذ أو يقتل ركب راحلته ، وظهر إلى علي . فكتب معاوية إلى مروان والأسود يتغيظ عليهما ويقول : أمددتما علياً بقیس بن سعد ورأيه ومکایدته ، فوالله لو أنكما أمددتماه بمائة ألف مقاتل ما كان بأغيظ إلى من إخراجكما قيس بن سعد إلى علي . فقدم قيس بن سعد على علي ، فلما باثه الحديث ، وجاءهم قتل محمد بن أبي بكر ، عرف أن قيس بن سعد كان يوازى أموراً عظماً من المكايدة ، وأن من كان يشير عليه بعزل قيس بن سعد لم ينصح له .

٣٣٩١/١

٣٣٩٢/١

إياها أبو مخنف ، فقد تقدّم ذكرنا له ، ونذكر الآن بقية خبره في روايته ما روى من ذلك عن يزيد بن ظبيان الهمداني ، قال : ولما قتل أهل خيربنتا ابن مضمّاهم الكلبي الذي وجهته إليهم محمد بن أبي بكر ، خرج معاوية بن حديج الكندي ثم السكوفي ، فدعا إلى الطلب بدم عثمان ، فأجابه ناس آخرون ، وفست مصر على محمد بن أبي بكر ، فبلغ علياً وثوب أهل مصر على محمد بن أبي بكر ، واعتمادهم إياه ، فقال : ما لمصر إلا أحد الرجلين ! صاحبنا الذي عزّلتناه عنها - يعني قيساً - أو مالك بن الحارث - يعني الأشتر . قال : وكان عليّ حين انصرف من صفين ردّ الأشتر على عمله بالجزيرة ، وقد كان قال لقيس بن سعد : أقم معي على شُرطبي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة ، ثم اخرج إلى أذربيجان ؛ فإنّ قيساً مقيم مع عليّ على شُرطته . فلما انقضى أمر الحكومة كتب عليّ إلى مالك بن الحارث الأشتر ، وهو يومئذ بنصيبين : أمّا بعد ، فإنك ممن استظهرته على إقامة الدين ، وأقمع به نخوة الأئيم ، وأشدّ به الثغر المخوف . وكنت ولّيت محمد بن أبي بكر مصر ، فخرجت عليه بها خوارج ، وهو غلامٌ حدّث ليس بنى تجربة للحرب ، ولا بمجرب للأشياء ، فاقدم عليّ لتنظر في ذلك فيما ينبغي ، واستخلف عليّ عمك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك . والسلام .

٢٢٩٣/١

فأقبل مالكٌ إلى عليّ حتى دخل عليه ، فحدّثه حديث أهل مصر ، وخبره خبر أهلها ، وقال : ليس لها غيرك ، اخرج رحمك الله ! فإنّ إن لم أوصيك اكتفيت برأيك . واستعين بالله على ما أمّرك ، فاخبط الشدة باللين ، وارفق ما كان الرفق أبلغ ، واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة .

قال : فخرج الأشتر من عند عليّ فأتى رحله ، فتهيأ للخروج إلى مصر ، وأتت معاوية عيونه ، فأخبروه بولاية عليّ الأشتر ، فعظم ذلك عليه ، وقد كان طمع في مصر ، فعلم أن الأشتر إن قدمها كان أشدّ عليه من محمد ابن أبي بكر ، فبعث معاوية إلى الجايستار - رجل من أهل الخراج - فقال له : إنّ الأشتر قد ولّى مصر ، فإن أنت كتفيتني لم آخذ منك خراجاً ما بقيت ، فاحتلّ له بما قدرته عليه . فخرج الجايستار حتى أتى القلزم

وأقام به ، وخرج الأشر من العراق إلى مصر ، فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار ، فقال : هذا منزل ، وهذا طعام وعكف ، وأنا رجل من أهل الخراج ، فنزل به الأشر ، فأناه الدهقان بعكف وطعام ، حتى إذا طعم أناه بشرية من عسل قد جعل فيها سُمًّا فسقاه إياه ، فلما شربها مات . وأقبل معاوية يقول لأهل الشام : إن عليًّا وجه الأشر إلى مصر ، فادعوا الله أن يكفيه كُموه . قال : فكانوا كل يوم يدعون الله على الأشر ، وأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشر ، فقام معاوية في الناس خطيبًا ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أمّا بعد ، فإنه كانت لعلّ بن أبي طالب يدان يمينان ، قطعت إحداهما يوم صيفين - يعني عمار بن ياسر - وقطعت الأخرى اليوم - يعني الأشر .

٣٣٩٤/١

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج ، عن مولّي للأشر ، قال : لما هلك الأشر وجدنا في ثقله رسالة على إلى أهل مصر :
بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أمة المسلمين الذين غَضِبُوا الله حين غَضِيَ في الأرض ، وضرب الجور بأرواقه على البر والفاجر ، فلا حق يُستراح إليه ، ولا منكر يُتناهى عنه . سلام عليكم ، فإنّي أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو . أما بعد فقد بعث إليكم عبدًا من عبيد الله لا ينال أيام الخوف ، ولا يستل عن الأعداء حذار الدوائر ، أشد على الكفار من حريق النار ، وهو مالك بن الحارث أخو مدحج ، فاستمعوا له وأطيعوا ، فإنه سيف من سيوف الله ، لا نابي الضريبة ، ولا كليل الحد ، فإن أمركم أن تقدموا فأقدموا ، وإن أمركم أن تفسروا فافسروا ، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمرى ، وقد آثرتكم به على نفسي لنصحيه لكم ، وشدة شكيمته على عدوكم ، عصمكم الله بالهدى ، وثبتكم على اليقين . والسلام .

٣٣٩٥/١

قال : ولما بلغ محمد بن أبي بكر أن عليًّا قد بعث الأشرشق عليه ، فكتب على إلى محمد بن أبي بكر عند مهلك الأشر ، وذلك حين بلغه مَوْجِدَةُ محمد بن أبي بكر لقلوم الأشر عليه : بسم الله الرحمن الرحيم ،

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر ، سلام عليك ، أما بعد ؛ فقد بلغني موجدتك من تسريحي الأشر إلى عميلك ، وإن لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهاد ، ولا ازدياداً مني لك في الجدد ، ولو نزعتم ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك في المثونة ، وأعجب إليك ولاية منه . إن الرجل الذي كنت وليته مصر كان لنا نصيحاً ، وعلى عدونا شديداً ، وقد استكمل أيتامه ، ولاقى حمامه ، ونحن عنه راضون ، فرضى الله عنه ، وضاعف له الثواب ، وأحسن له المآب . اصبر لعدوك ، وشمر للحرب ، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأكثر ذكر الله ، والاستعانة به ، والخوف منه ، يكتفك ما أهمتك ، ويعينك على ما ولاك ، أعاننا الله وإيتاك على ما لا ينال إلا برحمته . والسلام عليك .

فكتب إليه محمد بن أبي بكر جواب كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله على أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر ، سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله غيره ، أما بعد ، فإني قد انتهيت إلى كتاب أمير المؤمنين ، ففهمته وعرفت ما فيه ، وليس أحد من الناس بأرضي مني برأى أمير المؤمنين ، ولا أجهد على عدوه ، ولا أرفأ بولايته مني ، وقد خرجت فعمسكرت ، وأمنت الناس إلا من نصب لنا حرباً ، وأظهر لنا خلافاً ، وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظه ، وملتجئ إليه ، وقائم به ، والله المستعان على كل حال ، والسلام عليك .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جهضم الأزدي - رجل من أهل الشام - عن عبد الله بن حوالة الأزدي ، أن أهل الشام لما انصرفوا من صفين كانوا ينتظرون ما يأتي به الحكممان ، فلما انصرفا وتفرقا بايع أهل الشام معاوية بالخلافة ، ولم يزد إلا قوة ، واختلف الناس بالعراق على علي ، فما كان لمعاوية هم إلا مصر ، وكان لأهلها هائباً خائفاً ، لقربهم منه ، وشدتهم على من كان على رأي عثمان ، وقد كان علمي ذلك علم أن بها قوماً قد ساءهم قتل عثمان ، وخالفوا علياً ، وكان معاوية يرجو أن يكون إذا ظهر عليها ظهر على حرب علي ، لعظم خراجها . قال : فدعا معاوية من كان معه من قریش :

عمر بن العاص وحبيب بن مسلمة وبُسْرَ بن أبي أُرطاة والضحّاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ؛ ومن غيرهم أبا الأعور عمرو بن سُفْيَان السُّلَمِيّ وحَمْزَةُ بن مالك الهَمْدَانِيّ ، وشُرْحَبِيل بن السَّمْط الكِنْدِيّ فقال لهم : أتدرون لِمَ دعوتكم ؟ إنّي قد دعوتكم لأمر مُهِمٍّ أحبّ أن يكون اللهُ قد أعانَ عليه ، فقال القوم كلهم - أو من قال منهم : إنّ الله لم يُطلّع على الغيب أحداً ، وما يُدرينا ما تُريد ! فقال عمرو بن العاص : أرى والله أمرٌ هذه البلاد الكثير خراجها ، والكثير عدّها وعدد أهلها ، أهمّك أمرها ، فدعوتنا إذاً لتسألنا عن رأينا في ذلك ، فإن كنت لذلك دعوتنا ، وله جمعتنا ، فاعزم وأقْدِم ، ونِعِمّ الرأى رأيت ! ففى افتتاحها عزّك وعزّ أصحابك ، وكسبت عدوك ، وذلّ أهل الخلاف عليك . قال له معاوية مجيباً : أهمّك يا بن العاص ما أهمّك - وذلك لأنّ عمرو بن العاص كان صالح معاوية حين بايعه على قتال عليّ بن أبي طالب ، على أن له مصر طُعْمَةً ما بقي - فأقبل معاوية على أصحابه فقال : إنّ هذا - يعنى عمرًا - قد ظنّ ثمّ حقّق ظنّه ، قالوا له : لكننا لا ندري ؛ قال معاوية : فإنّ أبا عبد الله قد أصاب ، قال عمرو : وأنا أبو عبد الله ؛ قال : إنّ أفضل الظنّون ما أشبه اليقين .

٣٣٩٧/١

ثمّ إنّ معاوية حمّد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أما بعد ، فقد رأيتم كيف صنع الله بكم في حربكم عدوكم ، جاءوكم وهم لا يبرون إلّا أنهم سيقبضون بيضتكم ، ويخربون بلادكم ، ما كانوا يرون إلّا أنكم في أيديهم ، فردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً مما أحبّوا ، وحاكمتناهم إلى الله ، فحكم لنا عليهم . ثمّ جمع لنا كلمتنا ، وأصلح ذات بيننا ، وجعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكُفْر ، ويسفك بعضهم دَم بعض . والله إنّني لأرجو أن يتمّ لنا هذا الأمر ، وقد رأيت أن نحاول أهل مصر ، فكيف ترون ارتئنا لها ! فقال عمرو : قد أخبرتك عمّا سألتني عنه ، وقد أشرت عليك بما سمعت ؛ فقال معاوية : إنّ عمرًا قد عزم وصّرّم ، ولم يفسر ، فكيف لي أن أصنع ! قال له عمرو : فإنّي أشير عليك كيف تصنع ، أرى أن تبعث

٣٣٩٨/١

جيشًا كثيفًا ، عليهم رجلٌ حازم صارم تأمّنه وتثيق به ، فيأتى مصرَ حتى يدخلها ، فإنه سيأتيه من كان من أهلها على رأينا فيظاھرُهُ على من بها من عدونا ، فإذا اجتمع بها جندك ومن بها من شيعتك على من بها من أهل حربك ، رجوت أن يعين الله بنصرِكَ ، ويظهر فُلجَكَ . قال له معاوية : هل عندك شيء دون هذا يُعْمَل به فيما بيننا وبينهم ؟ قال : ما أعلمه ، قال : بلى ، فإن غير هذا عندى ، أرى أن نكتب من بها من شيعتنا ، ومن بها من أهل عدونا ، فأما شيعتنا فأمرهم بالثبات على أمرهم ، ثم أمنيهم قُدومنا عليهم ، وأما من بها من عدونا فندعوهم إلى صلحنا ، ونمنّيهم شكرنا ، ونخوفهم حربنا ، فإن صلح لنا ما قبلهم بغير قتال فذاك ما أحببنا ، وإلا كان حربهم من وراء ذلك كله . إنك يا بن العاصِ امرؤ بُورِكَ لك فى العَجَلَة ، وأنا امرؤ بُورِكَ لى فى التَّوَدُّة ؛ قال : فاعمل بما أراك الله ، فوالله ما أرى أمرَكَ وأمرهم يصيرُ إلَّا إلى الحرب العَوَان . قال : فكتب معاوية عند ذلك إلى مسلمة بن مخلد الأنصارى وإلى معاوية بن حُذَيج الكِنْدِىّ - وكانا قد خالفا عليًا : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد ، فإن الله قد ابتعثكما لأمر عظيم أعظم به أجر كما ، ورفع به ذِكْر كما ، وزينكما به فى المسلمين ؛ طلبكما بدم الخليفة المظلوم ، وغضبكما لله إذ ترك حكم الكتاب ، وجاهدتما أهل البغى والعُدوان ، فأبشروا برضوان الله ، وعاجِل نصرِ أولياءِ الله ، والمواساة لكما فى الدنيا وسلطاننا حتى يَنْتَهَى فى ذلك ما يَرْضِيكما ، ونؤدّى به حقكما إلى ما يصير أمركما إليه . فاصبروا وصابروا عدوكما ، وادعوا اللدبير إلى هُداكما وحفظكما ، فإن الجيش قد أضلّ عليكم ، فانقشع كل ما تكرهان ، وكان كل ما تهويان ؛ والسلام عليكم .

وكتب هذا الكتابَ وبعث به مع مولى له يقال له سُبَيْع .

٢٣٩٩/١

فخرج الرسول بكتابه حتى قدم عليهما مصر ومحمد بن أبى بكر أميرها ، وقد ناصب هؤلاء الحربَ بها ، وهو غير متخون بها يوم الإقدام عليه . فدفع كتابه إلى مسلمة بن مخلد وكتاب معاوية بن حُذَيج ، فقال مسلمة : امض بكتاب معاوية إليه حتى يقرأه ، ثم القنى به حتى أجيبه غنى وعنه ، فانطلق

الرسول بكتاب معاوية بن حُديج إليه ، فأقرأه إياه ، فلما قرأه قال : إن مسلمة ابن مخلد قد أمرني أن أردّ إليه الكتاب إذا قرأته لكي يجيب معاوية عنك وعنه . قال : قل له فليفعل ؛ ودفع إليه الكتاب ، فأتاه . ثم كتب مسلمة عن نفسه وعن معاوية بن حُديج : أما بعد ، فإنّ هذا الأمر الذي بذلنا له نفسنا ، واتبعنا أمر الله فيه ، أمرٌ نرجوه ثواب ربنا ، والنصر من خالفنا ، وتعجيل النّعمة لمن سعى على إمامنا ، وطأطأ الرّكض في جهادنا ، ونحن بهذا الحيز من الأرض قد نفّسنا من كان به من أهل البغي ، وأنّهضنا من كان به من أهل القسطنط والعدل ، وقد ذكرت المواساة في سلطانك ودينك ، وبالله إنّ ذلك لأمرٌ ما له نهضنا ، ولا إياه أردنا ، فإنّ يجمع الله لنا ما نطلب ، ويؤتينا ما تمسّينا ، فإنّ الدنيا والآخرة لله ربّ العالمين ، وقد يؤتيهما الله معاً علماً من خلقه ، كما قال في كتابه ، ولا خلف لموعوده ، قال : ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَّنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(١) ، عجّل علينا خيلك ورجلك ، فإنّ عدونا قد كان علينا حرباً ، وكنا فيهم قليلاً ، فقد أصبحوا لنا هائبين ، وأصبحنا لهم مقرّنين ، فإنّ يأتنا الله بممدّد من قبلك يفتح الله عليكم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والسلام عليك .

٣٤٠٠/١

قال : فجاءه هذا الكتاب وهو يومئذ بفلسطين ، فدعا النّفرة الذين سمّاهم في الكتاب فقال : ماذا ترون ؟ قالوا : الرّأى أن تبعث جنّداً من قبلك ، فإنّك تفتتحها بإذن الله . قال معاوية : فتجهّز يا أبا عبد الله إليها — يعنى عمرو بن العاص — قال : فبعثه في ستة آلاف رجل ، وخرج معاوية وودّعه وقال له عند وداعه إياه : أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق فإنّه يُمّن ، وبالمهمل والتؤدّة ، فإنّ العاة من الشيطان ، وبأن تقبل ممن أقبل ، وأن تعفو عمّن أدبر ، فإن قبيل قبيلها ونعمت ، وإن أبى فإنّ السطوة بعد المعذرة أبلغ في الحجّة ، وأحسن في العاقبة ، وادعُ الناس إلى الصلح والجماعة ،

فإذا أنت ظهرتَ فليكن أنصارُك آثرَ الناس عندك، وكلَّ الناس فأولَ حُسْنًا. قال: فخرج عمرُّو يسير حتى نزل أداني أرض مصرَ، فاجتمعت العُمانيَّة إليه، فأقام بهم، وكتب إلى محمد بن أبي بكر:

أما بعد، ففتح عني بدمك يا بن أبي بكر، فإنني لا أحب أن يصيبك مني ظَفَرٌ، إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك، ورفض أمرِك، وندبوا على اتباعك، فهم مُسلموك لو قد التقت حلفتا البِطان، فأخرج منها، فإنني لك من الناصحين؛ والسلام.

وبعث إليه عمرو أيضًا بكتاب معاوية إليه:

أما بعد، فإنَّ غِبَّ البغي والظلم عظيم الوَبال، وإنَّ سَفْكَ الدَّم الحرام لا يَسْلَم صاحبه من النِّقمة في الدنيا، ومن التَّبِيعَة الموبِقة في الآخرة، وإنا لا نعلم أحداً كان أعظم على عثمانَ بغيًّا، ولا أسوأ له عيبًا، ولا أشدَّ عليه خلافًا منك؛ سعيته عليه في الساعين، وسفكت دمه في السافكين، ثم أنت تظنَّ أني عنك نائمٌ أو ناسٍ لك، حتى تأتي فتأمّر على بلاد أنت فيها جاري، وجُلَّ أهلها أنصارى، يرون رأيي، ويرفُبون قولي، ويستصرخون عليك. وقد بعثتُ إليك قومًا حنًا عليك، يستسقون دمك، ويتقربون إلى الله بجهادك، وقد أعطوا الله عهدًا ليمثلن بك، ولو لم يكن منهم إليك ما عدا قتلك ما حذرتك ولا أذرتك، ولأحببتُ أن يقتلوك بظلمك وقطيعتك وعدوك على عثمان يوم يُطعن بمشاقصك بين خُشَشائه وأوداجه^(١)، ولكن أكره أن أمثل بقرشي، ولن يُسلمك الله من القصاص أبدًا أيما كنت. والسلام.

قال: فطوى محمد كتابيهما، وبعث بهما إلى عليّ، وكتب معهما:

٣٤٠٢/١

أما بعد، فإنَّ ابن العاص قد نزل أداني أرض مصرَ، واجتمع إليه أهل البلد جلُّهم ممن كان يرى رأيهم، وقد جاء في جيش لحب خُرَّاب، وقد رأيت ممن قبلي بعضَ الفشل، فإن كان لك في أرض مصرَ حاجة فأمدني بالرجال والأموال؛ والسلام عليك.

فكتب إليه عليّ:

(١) المشقص: فصل عريض. والخششاء: العظم الناق* خلف الأذن. والأوداج: عروق العنق.

أما بعد ، فقد جاءني كتابك تذكر أن ابن العاص قد نزل بأداني أرض مصر في لحب من جيشه خرباب ، وإن من كان بها على مثل رأيه قد خرج إليه ، وخروج من يرى رأيه إليه خير لك من إقامتهم عندك . وذكرت أنك قد رأيت في بعض من قبلك فشلا ، فلا تفشل ، وإن فشلوا فحسب قريبتك ، واضم إليك شيعتك ، واندب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة والتجدة والبأس ، فإني نادب إليك الناس على الصعب والدلول ، فاصبر لعدوك ، وامض على بصيرتك ، وقتلهم على نيتك ، وجاهد هم صابراً محتسباً ، وإن كانت فتئت أقل الفئتين ؛ فإن الله قد يعز القليل ، ويخذل الكثير . وقد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية ، والفاجر ابن الكافر عمرو ، المتحابين في عمل المعصية ، والمتوافقين المرتشيين في الحكومة ، المنكرين في الدنيا ، قد استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم ، فلا يهلك إرعا دهما وإبراقهما ، وأجبهما إن كنت لم تجبهما بما أهله ، فإنك تجد مقالا ما شئت ؛ والسلام .

٣٤٠٣/١

قال أبو مخنف : فحدثني محمد بن يوسف بن ثابت الأنصاري ، عن شيخ من أهل المدينة ، قال : كتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية بن أبي سفيان جواب كتابه :

أما بعد ، فقد أتاني كتابك تذكرني من أمر عثمان أمراً لا أعذر إليك منه ، وتأمري بالتنحي عنك كأنك لي ناصح ، وتخوفي المثلثة كأنك شفيق ، وأنا أرجو أن تكون لي الدائرة عليكم ، فأجتاحكم في الوقعة ، وإن توتروا النصر ويكن لكم الأمر في الدنيا ، فكتم لعمري من ظالم قد نصرتم ، وكم من مؤمن قتلتم ومثلتم به ! وإلى الله مصيركم ومصيرهم ، وإلى الله مرد الأمور ، وهو أرحم الراحمين ، والله المستعان على ما تصفون . والسلام .

وكتب محمد إلى عمرو بن العاص :

أما بعد ، فقد فهمت ما ذكرت في كتابك يا ابن العاص ، زعمت أنك تكره أن يصيبتني منك ظفر ، وأشهد أنك من المبطلين . وتزعم أنك لي

نصيح ، وأقسم أنك عندى ظَنين ، وتَزعم أن أهل البلد قد رفضوا رأى وأمرى ،
ونَدَموا على اتِّباعى ، فأولئك لك وللشيطان الرجيم أولياء ، فحسبنا الله ربَّ
العالمين ، وتوكَّلنا على الله ربِّ العرش العظيم ؛ والسلام .

قال : أقبل عمرو بن العاص حتى قصد مصرَ ، فقام محمد بن أبى بكر
فى الناس ، فحميد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ، ثم قال : أمّا بعد معاشرَ
المسلمين والمؤمنين ، فإنَّ القوم الذين كانوا ينتهكون الحُرمة ، ويتعشَّون
الضلال ، ويشبُّون نارَ الفتنة ، ويتسلَّطون بالجبرية ، قد نصبوا لكم العداوة ،
وساروا إليكم بالجنود . عبادَ الله ! فن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء
القوم فليجاهدْهم فى الله ؛ انتدبوا إلى هؤلاء القوم رحمكم الله مع كنانة
ابن بشر .

قال : فانتدب معه نحو من ألفى رجل ، وخرج محمد فى ألفى رجل ،
واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدِّمة محمد ، فأقبل عمرو ونحو
كنانة ، فلما دنا من كنانة سرح الكتاب كتيبةً بعد كتيبة ، فجعل كنانة لئلا تاتيه
كتيبةٌ من كتائب أهل الشام إلا شدَّ عليها بمن معه ، فيضربها حتى يقرَّبها
لعمرو بن العاص . ففعل ذلك مراراً ؛ فلما رأى ذلك عمرو بعث إلى معاوية بن
حُدَيج السَّكُونى ، فأتاه فى مثل الدَّهَم ، فأحاط بكنانة وأصحابه ، واجتمع
أهلُ الشام عليهم من كلِّ جانب ، فلما رأى ذلك كنانةُ بن بشر نزل عن
فرسه ، ونزل أصحابه وكنانة يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ
اللَّهِ كِتَاباً مُّوَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ
نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(١) . فصار بهم سيفه حتى استشهد رحمه الله .

وأقبل عمرو بن العاص نحو محمد بن أبى بكر ، وقد نفرق عنه أصحابه
لما بلغهم قتل كنانة ، حتى بقى وما معه أحد من أصحابه . فلما رأى ذلك محمد
خرج يمشى فى الطريق حتى انتهى إلى خربة فى ناحية الطريق ، فأوى إليها ،
وجاء عمرو بن العاص حتى دخل القُسطاط ، وخرج معاوية بن حُدَيج فى

٣٤٠٥/١

طلب محمد حتى انتهى إلى علوج في قارعة الطريق ، فسألم : هل مرَّ بكم أحد تنكرونه ؟ فقال أحدهم : لا والله ، إلا أني دخلت تلك الحربة ، فإذا أنا برجل فيها جالس ، فقال ابن حُدَيج : هو هو ورب الكعبة ؛ فانطلقوا يركضون حتى دخلوا عليه ، فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً ؛ فأقبأوا به نحو فسطاط مصر . قال : ووئب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص - وكان في جنده فقال : أتقتل أخى صبراً ! ابعث إلى معاوية بن حُديج فانهه ، فبعث إليه عمرو بن العاص يأمره أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر ، فقال معاوية : أكذالك ! قتلت كنانة بن بشر وأخلى أنا عن محمد بن أبي بكر ! هيهات ، ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ (١) . فقال لهم محمد : اسقوني من الماء ، قال له معاوية بن حُديج : لاسقاه الله إن سقاك قطرة أبداً ! إنكم منعم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً مُحَرِّماً ، فتلقاه الله بالرحيق المختوم ، والله لأقتلنك بآبن أبي بكر فيسقيك الله الحميم والغساق ! قال له محمد : يابن اليهودية النساجة ، ليس ذلك إليك وإلى من ذكرت ، إنما ذلك إلى الله عز وجل يستقى أوليائه ، ويضطجع أعداءه ؛ أنت وضرباًؤك ومن تولاه ، أما والله لو كان سيفي في يدي ما بلغت مني هذا ؛ قال له معاوية : أتدرى ما أصنع بك ؟ أدخلك في جوف حمار ، ثم أحرقه عليك بالنار ؛ فقال له محمد : إن فعلتم بي ذلك ، فطالما فعل ذلك بأوليائه الله ! وإني لأرجو هذه النار التي تحرقني بها أن يجعلها الله علي برداً وسلاماً كما جعلها على خليله إبراهيم ، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه ، إن الله يحرقك ومن ذكرته قبل وإمامك - يعني معاوية ، وهذا - وأشار إلى عمرو بن العاص - بنار تظلي عليكم ، كلما خببت زادها الله سعيراً . قال له معاوية : إني إنما أقتلك بعثمان ؛ قال له محمد : وما أنت وعثمان ! إن عثمان عميل بالجوهر ، ونبيد حكم القرآن ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢) ، فنقمنا ذلك عليه فقتلناه ، وحسنت

٣٤٠٦/١

(١) سورة القمر: ٤٣ .

(٢) سورة المائدة: ٤٧ .

أنت له ذلك ونظراؤك ، فقد برأنا الله إن شاء الله من ذنبه ، وأنت شريكه في إثمه وعظم ذنبه ، وجاعلك على مثاله . قال : فغضب معاوية فقدّمه فقتله ، ثم ألقاه في جيفة حمار ، ثم أحرقه بالنار ؛ فلما بلغ ذلك عائشة جزعَت عليه جزعاً شديداً ، وقنّست عليه في دُبُر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو ، ثم قبضت عيالَ محمدَ إليها ، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالها .

وأما الواقدي فإنه ذكر لى أن سُوَيْد بن عبد العزيز حدثه عن ثابت ابن عجلان ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، أن عمرو بن العاص خرج في أربعة آلاف ، فيهم معاوية بن حُديج ، وأبو الأعور السلمي ، فالتقوا بالمساة ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، حتى قتل كنانة بن بشر بن عتاب التَّجِيبِي ، ولم يجد محمد بن أبي بكر مقاتلاً ، فانهزم ، فاخْتَبَأَ عند جبلة بن مسروق ، فدل عليه معاوية بن حُديج ، فأحاط به ، فخرج محمد فقاتل حتى قُتِل .

٢٤٠٧/١

قال الواقدي : وكانت المساة في صفر سنة ثمان وثلاثين ، وأذُرُح في شعبان منها في عام واحد .

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . وكتب عمرو بنُ العاص إلى معاوية عند قتله محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر :
أما بعد ، فإننا لقينا محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر في جموع جمة من أهل مصر ، فدعوناهم إلى الهدى والسنة وحكم الكتاب ، فرفضوا الحق ، وتورّكوا في الضلال ، فجاهدناهم ، واستنصرنا الله عليهم ، فضرب الله وجوههم وأدبارهم ، ومنحونا أكتافهم ، فقتل الله محمد بن أبي بكر وكنانة ابن بشر وأمائل القوم ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليك .

* * *

وفيها قُتِلَ محمد بن أبي حُديفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

* ذكر الخبر عن مقتله :

اختلف أهل السير في وقت مقتله ؛ فقال الواقدي : قُتِل في سنة

ست وثلاثين . قال : وكان سبب قتله أن معاوية وعمرًا سارا إليه وهو بمصر قد ضبطها ، فترلا بعين شمس ، فعالجا الدخول ، فلم يقدر عليه ، فخدعا محمد بن أبي حذيفة على أن يخرج في ألف رجل إلى العريش ، فخرج وخلف الحكم بن الصلت على مصر ، فلما خرج محمد بن أبي حذيفة إلى العريش تحصن ، وجاء عمرو فنصب المجانيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه ، فأخذوا فقتلوا . قال : وذاك قبل أن يبعث على إلى مصر قيس بن سعد .

٣٤٠٨/١

وأما هشام بن محمد الكلبي فإنه ذكر أن محمد بن أبي حذيفة إنما أخذ بعد أن قتل محمد بن أبي بكر ودخل عمرو بن العاص مصر وغلب عليها ، وزعم أن عمرًا لما دخل هو وأصحابه مصر أصابوا محمد بن أبي حذيفة ، فبعثوا به إلى معاوية وهو بفلسطين ، فحبسه في سجن له ، فكث فيه غير كثير ، ثم إنه هرب من السجن — وكان ابن خال معاوية — فأرأى معاوية الناس أنه قد كره انقلابه ، فقال لأهل الشام : من يطلبه ؟ قال : وقد كان معاوية يحب فيما يرون أن ينجو ، فقال رجل من خشم — يقال له عبد الله ابن عمرو بن ظلام ، وكان رجلاً شجاعاً ، وكان عثمانياً : أنا أطلبه ، فخرج في حاله حتى لحقه بأرض البلقاء بمحوران وقد دخل في غار هناك ، فجاءت حمير تدخله ، وقد أصابها المطر ، فلما رأَت الحمير الرجل في الغار فزعَت ، فنفرت ، فقال حصادون كانوا قريباً من الغار : والله إن لنفسر هذه الحمير من الغار لشأنًا . فذهبوا لينظروا ، فإذا هم به ، فخرجوا ، ويوافقهم عبد الله بن عمرو بن ظلام الخشمي ، فسألهم عنه ، ووصفهم لهم ، فقالوا له : ها هو ذا في الغار ، قال : فجاء حتى استخرجه ، وكره أن يرجعه إلى معاوية فيخلّي سبيله . فضرب عنقه .

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال : وحدني الحارث بن كعب بن قيس ، عن جندب ، عن عبد الله بن قيس ، عم الحارث بن كعب . . . (١) يستصرخ من قبل محمد بن أبي بكر إلى علي — ومحمد يومئذ أميرهم — فقام علي في

٣٤٠٩/١

الناس وقد أمر فنودي : الصَّلَاةَ جامعة ! فاجتمع الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما بعد ، فإن هذا صريخُ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر ، قد سار إليهم ابن النابغة عدو الله ، وولى من عادى الله ، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعاً منكم على حقكم هذا ، فإنهم قد بدءوكم وإخوانكم بالغزو ، فاعجلوا إليهم بالمؤاساة والنصر . عباد الله ، إن مصر أعظم من الشام ، أكثر خيراً ، وخير أهلاً ، فلا تغلبوا على مصر ، فإن بقاء مصر في أيديكم عزٌ لكم ، وكتبْتُ لعدوكم ، اخرجوا إلى الجمرعة بين الحيرة والكوفة ، فوافوني بها هناك غداً إن شاء الله . قال : فلما كان من الغد خرج يمشى ، فنزلها بُكرةً ، فأقام بها حتى انتصف النهار يومه ذلك ، فلم يوافه منهم رجل واحد ؛ فرجع . فلما كان من العشي بعث إلى أشراف الناس ، فدخلوا عليه القصر وهو حزين كئيب ، فقال : الحمد لله على ما قضى من أمرى ، وقد رمين فعلى ، وابتلاني بكم أيتها الفرقة ممن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يُجيب إذا دعوت ، لا أبا لغيركم ! ما تنتظرون بصبركم ، والجهاد على حقكم ! الموت والذل لكم في هذه الدنيا على غير الحق ، فوالله لئن جاء الموت وليأتين^(١) - ليفرقن بيني وبينكم ، وأنا لصحبتيكم قال ؛ وبكم غير ضنين ، لله أنتم ! لا دين يجمعكم ، ولا حمية تحميكم ، إذا أنتم سمعتم بعدوكم يترد بلادكم ، ويشن الغارة عليكم . أو ليس عجبا أن معاوية يدعو الحفاة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة ! ويحيبونه في السنة المرتين والثلاث إلى أى وجه شاء ، وأنا أدعوكم - وأنتم أولو التهمى وبقية الناس - على المعونة وطائفة منكم على العطاء ، فتقومون عنى وتعصوننى ، وتختلفون على ! فقام إليه مالك بن كعب الهمداني ثم الأرحبي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اندب الناس فإنه لا عطر بعد عروس ؛ لمثل هذا اليوم كنت أدخر نفسى ، والأجر لا يأتى إلا بالكرّة . اتقوا الله وأجيبوا إمامكم ، وانصروا دعوتيه ،

وقاتلوا عدوه ، أنا أسير إليها يا أمير المؤمنين ؛ قال : فأمر على مناديه سعداً ، فنادى في الناس : ألا انتدبوا إلى مصر مع مالك بن كعب .

ثم إنه خرج وخرج معه على ، فنظر فإذا جميع من خرج نحو ألفي رجل ، فقال : سير فوالله ما إخالك تُدرك القوم حتى ينفضي أمرهم ؛ قال : فخرج بهم ، فسار خمساً . ثم إن الحجاج بن غزيرة الأنصاري ، ثم التجاري قدّم على على من مصر ، وقدّم عبد الرحمن بن شبيب الفزاري ، فأما الفزاري فكان عينه بالشأم ، وأما الأنصاري فكان مع محمد بن أبي بكر ، فحدثه الأنصاري بما رأى وعايّن وبهلاك محمد ، وحدثه الفزاري أنه لم يخرج من الشأم حتى قدمت البشراء من قبيل عمرو بن العاص تستري ، يتبع بعضها بعضاً بفتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر ، وحتى أذن بقتله على المنبر ، وقال : يا أمير المؤمنين ، قلما رأيت قومًا قطّ أسر ، ولا سروراً قطّ أظهر من سرور رأيت بالشأم حين أتاها هلاك محمد بن أبي بكر . فقال على : أما إن حزننا عليه على قدر سرورهم به ، لا بل يزيد أضعافاً . قال : وسرح على عبد الرحمن بن شريح الشبامي^(١) إلى مالك بن كعب ، فردّه من الطريق . قال : وحزن على محمد بن أبي بكر حتى رثى ذلك في وجهه ، وتبين فيه ، وقام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ألا إن مصر قد افتتحتها الفسجرة أولو الجور والظلم الذين صدّوا عن سبيل الله ، وبغوا الإسلام عوجاً . ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله ، فعند الله نحتسبه . أما والله إن كان ما علمت لمن ينتظر القضاء ، ويعمل للجزاء ، ويُبغض شكل الفاجر ، ويحبّ هدى المؤمن ، إني والله ما ألوم نفسي على التقصير ، وإني لمُقساة الحرب لحدّ خير ، وإني لأقدم على الأمر وأعرف وجه الحزم ، وأقوم فيكم بالرأي المصيب ، فأستصرحكم معلناً ، وأناديكم نداء المستغيث مُعرباً ، فلا تسمعون لي قولاً ، ولا تطيعون لي أمراً ، حتى تصير بي الأمور إلى عواقب المساءة ، فأنتم القوم لا يلدركم النثار ، ولا تنقّص بكم الأوتار ؛ دعوتكم إلى غياث إخوانكم

٣٤١١/١

٣٤١٢/١

(١) ط : « الياي » ، وانظر الفهرس .

منذ بضع وخمسين ليلةً فتجرجرتم جرجرة الجحش ل الأشدق^(١) ، وتناقلتم إلى الأرض تناقل من ليس له نية في جهاد العدو ، ولا اكتساب الأجر ، ثم خرج إلى منكم جنيد متذانب كأنتما^(٢) يساقون إلى الموت وهم ينظرون . فأف لكم ! ثم نزل . وكتب إلى عبد الله بن عباس وهو بالبصرة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس ، سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإن مصر قد افتتحت ، ومحمد بن أبي بكر قد استشهد ، فعند الله نحسبه وندخره ، وقد كنت قمت في الناس في بدته ، وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة ، ودعوتهم سرا وجهرا ، وعودا وبدءا ، فمنهم من أتى كارها ، ومنهم من اعتل كاذبا ، ومنهم القاعد حالا ، أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجا ومخرجا ، وأن يبرحني منهم عاجلا . والله لولا طمعي عند لقاء عدوي في الشهادة لأحييت ألا أبق مع هؤلاء يوما واحدا . عزم الله لنا ولك على الرشد ، وعلى تقواه وهداه ، إنه على كل شيء قدير . والسلام .

فكتب إليه ابن عباس :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ لعبد الله على بن أبي طالب أمير المؤمنين ، من عبد الله بن عباس . سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر فيه افتتاح مصر ، وهلاك محمد بن أبي بكر ، فالله المستعان على كل حال ، ورحم الله محمد بن أبي بكر وأجرك يا أمير المؤمنين ! وقد سألت الله أن يجعل لك من رعيته التي ابتليت بها فرجا ومخرجا ، وأن يعزك بالملائكة عاجلا بالنصرة ، فإن الله صانع لك ذلك ، ومعزك ومجيب دعوتك ، وكابت عدوك . أخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تناقلوا ثم ينشطون ، فارفق بهم يا أمير المؤمنين ، وداجنهم ومنهم ، واستعين بالله عليهم ، كفأك الله ألسنتهم . والسلام .

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج ، عن مالك بن الحور ،

(١) الأشدق : الواسع الشدق . (٢) كذا في ابن الأثير والنويري وفي ط : « كثيرة »

أَنَّ عَلِيًّا قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ! كَانَ غَلَامًا حَدَّثَنَا ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ عَلَى أَنْ أَوْلِيَ الْمِرِّقَالَ هَاشِمَ بْنَ عُنْتَبَةَ مَصْرَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ وَلِيَتْهَا مَا خَلَّتِي لَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَأَعَوَانَهُ الْفَجْرَةَ الْعَرَضَةَ ، وَلَمَّا قُتِلَ إِلَّا وَسِيفُهُ فِي يَدِهِ ، لَا بَلَا دَمٍ كَمُحَمَّدٍ . فَرَحِمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ، فَقَدْ اجْتَهِدَ نَفْسَهُ ، وَقَضَى مَا عَلَيْهِ .

• • •

وفي هذه السنة وجّه معاوية بعد مقتل محمد بن أبي بكر عبد الله بن عمرو ابن الحضرمي إلى البصرة للدعاء إلى الإقرار بحكم عمرو بن العاص فيه . ٣٤١٤/١
وفيها قُتِلَ أَعْيَنُ بْنُ ضَبِيعَةَ الْمُجَاشِعِيِّ ، وَكَانَ عَلَى وَجْهِهِ لإخراج ابن الحضرمي من البصرة .

• • •

ذكر الخبر عن أمر ابن الحضرمي

وزياد وأعين وسبب قتل من قتل منهم

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : حدثنا أبو الذّيال ، عن أبي نَعَامَةَ ، قال : لما قُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِمَصْرَ ، خَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى عَلِيٍّ بِالْكُوفَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ زِيَادًا ، وَقَدَّمَ ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ مِنْ قَبْلِ مَعَاوِيَةَ ، فَتَزَلَّ فِي بَنِي تَمِيمٍ ، فَأَرْسَلَ زِيَادٌ إِلَى حُضَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ وَمَالِكِ بْنِ مِيسْمَعٍ ، فَقَالَ : أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ بَسْكَرٍ بَنٍ وَائِلٍ مِنْ أَنْصَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَثِقَاتِهِ ، وَقَدْ نَزَلَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ حَيْثُ تَرُونَ ، وَأَتَاهُ مَنْ أَتَاهُ ، فَاثْبُتُوا حَتَّى يَأْتِيَنِي رَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ حُضَيْنُ : نَعَمْ ، وَقَالَ مَالِكٌ — وَكَانَ رَأْيُهُ مَائِلًا إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ ، وَكَانَ مِرْوَانُ بُلْغًا إِلَيْهِ يَوْمَ الْجَمَلِ : هَذَا أَمْرٌ لِي فِيهِ شُرَكَاءُ ، أَسْتَشِيرُ وَأَنْظُرُ . فَلَمَّا رَأَى زِيَادُ تَشَاوُلَ مَالِكَ خَافَ أَنْ تَخْتَلِفَ رُبَيْعَةُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى نَافِعِ بْنِ أَشِرٍ عَلَى ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ نَافِعٌ بِصَبْرَةِ بَنِي شَيْمَانَ الْحُدَّانِي ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ زِيَادٌ ، فَقَالَ : أَلَا تَجِيرُنِي ! وَبَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ فَيُثْبِتُكُمْ ، وَأَنَا أَمِينُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : بَلَى إِنْ حَمَلْتَهُ إِلَى وَنَزَلَتْ دَارِي . قَالَ : فَإِنِّي حَامِلُهُ ، فَحَمَلَهُ ، وَخَرَجَ زِيَادُ حَتَّى أَتَى الْحُدَّانَ ، وَنَزَلَ فِي دَارِ

٣٤١٥/١

صَبْرَةَ بن شَيْمَانَ ، وَحَوْلَ بيت المال والمنبر ، فوضعه في مسجد الحُدَّان ، وَتَحَوَّلَ مع زيادَ خَمْسُونَ رجلاً ، منهم أَبُو أَيْ حَاضِرٍ - وَكَانَ زيادُ يَصَلِي الجمعة في مسجد الحُدَّانَ ، وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ - فَقَالَ زيادُ لِحَابِرِ بن وَهَبِ الرَّاسِي : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، إِنِّي لَا أَرَى ابنَ الحَضْرَمِيِّ يَكْفُفُ ، لَا أَرَاهُ إِلَّا سَيِّقَاتِكُمْ ، وَلَا أُدْرِي مَا عِنْدَ أَصْحَابِكِ فَأَمِيرُهُمْ ، وَانْظُرْ مَا عِنْدَهُمْ . فَلَمَّا صَلَّى زيادُ جَلَسَ فِي المسجد ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ جَابِرُ : يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ ، تَمِمْ تَزْعُمُ أَنَّهُمْ هُمُ النَّاسُ ، وَأَنْتُمْ أَصْبَرُ مِنْكُمْ عِنْدَ الْبَأْسِ ، وَقَدْ بَلَغْنِي أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَسِيرُوا إِلَيْكُمْ حَتَّى يَأْخُذُوا جَارَكُمْ ، وَيُخْرِجُوهُ مِنَ الْمِصْرِ قَسْرًا ، فَكَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ وَقَدْ أَجْرَتُمُوهُ وَبَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ! فَقَالَ صَبْرَةُ بن شَيْمَانَ - وَكَانَ مَفْخَمًا : إِنْ جَاءَ الْأَحْنَفُ جِئْتُ ، وَإِنْ جَاءَ الْخَتَاتُ جِئْتُ ، وَإِنْ جَاءَ شُبَّانُ فَفِينَا شُبَّانُ . فَكَانَ زيادُ يَقُولُ : إِنِّي اسْتَضْحَكْتُ وَنَهَضْتُ ، وَمَا كَدْتُ مَكِيدَةً قَطُّ كُنْتُ إِلَى الْفَضِيحَةِ بِهَا أَقْرَبَ مِنِّي لِلْفَضِيحَةِ يَوْمئِذٍ ، لَمَّا غَلِبَنِي مِنَ الضَّحْكِ . قَالَ : ثُمَّ كَتَبَ زيادُ إِلَى عَلِيٍّ : إِنَّ ابنَ الحَضْرَمِيِّ أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ فَتَزَلَّ فِي دَارِ بَنِي تَمِيمٍ ، وَنَعَى عُمَانَ ، وَدَعَا إِلَى الْحَرْبِ ، وَبَايَعْتُهُ تَمِيمٌ وَجُلُّ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ مَنْ أَمْتَنَعَ بِهِ ، فَاسْتَجَرْتُ لِنَفْسِي وَلِبَيْتِ الْمَالِ صَبْرَةَ بن شَيْمَانَ ، وَتَحَوَّلْتُ فَتَزَلْتُ مَعَهُمْ ، فَشِيعَةُ عُثْمَانَ يَخْتَلِفُونَ إِلَى ابنِ الحَضْرَمِيِّ ، فَوَجَّهَهُ عَلَى أَعْيُنِ بنِ ضُبَيْعَةَ الْحَاشَعِيِّ لِيُفَرِّقَ قَوْمَهُ عَنِ ابنِ الحَضْرَمِيِّ ، فَانْظُرْ مَا يَكُونُ مِنْهُ ، فَإِنْ فَرَّقَ جَمْعُ ابنِ الحَضْرَمِيِّ فَذَلِكَ مَا تُرِيدُ ، وَإِنْ تَرَقَّتْ بِهِمُ الْأُمُورُ إِلَى التَّمَادِي فِي الْعَصْيَانِ فَانْهَضْ إِلَيْهِمْ فَجَاهِدْهُمْ ، فَإِنْ رَأَيْتَ مِمَّنْ قَبْلَكَ تَثَاقُلًا ، وَخِفْتَ أَلَّا تَبْلُغَ مَا تُرِيدُ ، فَدَارِهِمْ وَطَاوِلْهُمْ ، ثُمَّ تَسْمَعْ وَأَبْصُرْ ، فَكَانَ جُنُودُ اللَّهِ قَدْ أَظْلَمَتَكَ ، تَقْتُلُ الظَّالِمِينَ . فَقَدِمَ أَعْيُنُ فَأَتَى زِيَادًا ، فَتَزَلَّ عِنْدَهُ ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ ، وَجَمَعَ رِجَالًا وَنَهَضَ إِلَى ابنِ الحَضْرَمِيِّ ، فَدَعَاهُمْ ، فَشْتَمُوهُ وَنَاوَشُوهُ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ ، فَلَمَّا قَتَلَ أَعْيُنُ ابنَ ضُبَيْعَةَ ، أَرَادَ زِيَادُ قِتَالَهُمْ ، فَأَرْسَلَتْ بَنُو تَمِيمٍ إِلَى الْأَزْدِ : إِنَّا لَمْ نَعْرِضْ لِحَارِكُمْ ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَمَاذَا تَرِيدُونَ إِلَيْنَا جَارِنَا وَحَرَبِنَا ! فَكَرِهَتْ الْأَزْدُ الْقِتَالَ ، وَقَالُوا : إِنْ عَرَّضُوا لِحَارِنَا مَنَعْنَاهُمْ ، وَإِنْ يَكْفُوا عَنْ جَارِنَا كَفَفْنَا عَنْ جَارِهِمْ . فَأَمْسَكُوا . وَكَتَبَ زِيَادٌ إِلَى عَلِيٍّ : أَنَّ أَعْيُنَ بنِ ضُبَيْعَةَ

٣٤١٦/١

قَدِمَ فجمعَ مَنْ أطاعه من عشيرته ، ثم نهض بهم بجِدٍّ وصدق نيّة إلى ابن الحضرميّ ، فحثّهم على الطاعة ، ودعاهم إلى الكفِّ والرجوع عن شِقَاقهم ، ووافقتهم عامّة^(١) قوم ، فهالَهم ذلك ، وتصدّع عنهم كثير ممن كان معهم ، يَمْنِيهم نُصْرته ، وكانت بينهم مناوِشة . ثم انصرف إلى أهله ، فدخلوا عليه فاغتالوه فأصيب ، رحم الله أعيّن ! فأردت قتالَهم عند ذلك ، فلم يخفَ معي مَنْ أقوى به عليهم ، وتراسل الحيّان ، فأمسك بعضهم عن بعض .

٣٤١٧/١

فلما قرأ على كتابته دعا جارية بن قدامة السعديّ ، فوجّهه في خمسين رجلاً من بني تميم ، وبعث معه شريك بن الأعور - ويقال بعث جارية خمسمائة رجل - وكسّب إلى زياد كتاباً يصبّ رأيه فيما صنع ، وأمره بمعونة جارية ابن قدامة والإشارة عليه ، فقَدِمَ جارية البصرة ، فأتى زياداً فقال له : احتفِز^(٢) واحذر أن يصيبك ما أصاب صاحبك ، ولا تثقن بأحد من القوم . فسار جارية إلى قومه فقرأ عليهم كتابَ عليّ ، ووعدهم ، فأجابه أكثرهم ، فسار إلى ابن الحضرميّ فحصره في دار سُنبِيل ، ثم أحرّق عليه الدار وعلى من معه ، وكان معه سبعون رجلاً - ويقال أربعون - وتفرّق الناس ، ورجع زياد إلى دار الإمارة ، وكتب إلى عليّ مع ظبّيان بن عُمارة ، وكان ممن قَدِمَ مع جارية^(٣) وأنّ جارية قَدِمَ علينا فسار إلى ابن الحضرميّ فقتله حتى اضطّره إلى دار من دُور بني تميم ، في عدّة رجال من أصحابه بعد الإعذار والإنذار ، والدعاء إلى الطاعة ، فلم يُنِيبوا ولم يرجعوا ، فأضرَمَ عليهم الدّار فأحرّقهم فيها ، وهُدِّمت عليهم ، فبعُدّا لمن طغى وعصى ! فقال عمرو بن العرنُدَس العَوْدِيّ :

رَدَدْنَا زِيَادًا إِلَى دَارِهِ وَجَارُ تَمِيمٍ دَخَانًا ذَهَبَ
لَحَى اللَّهَ قَوْمًا شَوَوْا جَارَهُمْ وَلِلْشَّاءِ بِالْدَّرْهَمَيْنِ الشَّصَبُ

(١) ابن الأثير : « ووافقتهم نهاره » .

(٢) احتفِز ، أى تهيأ .

(٣) سقط في أصول ط .

يُنَادِي الْخِنَاقُ وَخُمَانُهَا وَقَدْ سَمَطُوا رَأْسَهُ بِاللَّهَبِ
وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَنَا عَادَةٌ نَحَامِي عَنِ الْجَارِ أَنْ يُغْتَصَبَ
حَمِينَاهُ إِذْ حَلَّ أَبْيَاتَنَا وَلَا يَمْنَعُ الْجَارَ إِلَّا الْحَسَبُ
وَلَمْ يَعْرِفُوا حُرْمَةَ لِلْجَوَا رِإْذْ أَعْظَمَ الْجَارَ قَوْمٌ نُجِبُ
كَفَعْلِهِمْ قَبْلَنَا بِالزُّبَيْرِ عَشِيَّةَ إِذْ بَزَهُ يُسْتَلَبُ
وقال جرير بن عطية بن الخططقي :

عَدَرْتُمْ بِالزُّبَيْرِ فَمَا وَفَيْتُمْ وَفَاءَ الْأَزْدِ إِذْ مَنَعُوا زِيَادًا^(١)
فَأَصْبَحَ جَارُهُمْ بِنَجَاةٍ عِزٍّ وَجَارُ مُجَاشَعٍ أَمْسَى رَمَادًا
فَلَوْ عَاقَدْتَ حَبْلَ أَبِي سَعِيدٍ لَدَادَ الْقَوْمَ مَا حَمَلَ النَّجَادَا^(٢)
وَأَذْنَى الْخَيْلِ مِنْ رَهَجِ الْمَنَايَا وَأَغْشَاهَا الْأَسِنَّةَ وَالصُّعَادَا

* * *

[الخريّ بن راشد وإظهاره الخلاف على علي^(٣)]

وبما كان في هذه السنة — أعنى سنة ثمان وثلاثين — لإظهار الخريّ بن راشد في بني ناجية الخلاف على علي^١ وفراقه إياه ؛ كالذي ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، عن الحارث الأزدي ، عن عمته عبد الله بن فضال ، قال : جاء الخريّ بن راشد إلى علي^٢ — وكان مع الخريّ ثلثمائة رجل من بني ناجية مقيمين مع علي^٣ بالكوفة ، قدّموا معه من البصرة ، وكانوا قد خرجوا إليه يوم الجمل ، وشهدوا معه صفين والنهروان — فجاء إلى علي^٤ في ثلاثين راكباً من أصحابه يسير بينهم حتى قام بين يدي علي^٥ ، فقال له : والله يا علي^٦ لا أطيع أمرك ، ولا أصلي خلفك ، ولأنتي غداً لمُفارقك . وذلك بعد

(١) ديوانه: ١٤٢ .

(٢) الديوان : « ولو عاقدت » ؛ وهو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة .

(٣) انظر قصة الخريّ بن راشد في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في ٣ : ١٢٨-١٤٨ .

تحكيم الحكمين. فقال له عليّ: ثكلتك أمك! إذا تعصى ربك، وتسكنك عهدك، ولا تضر إلا نفسك. خبرني لم تفعل ذلك؟ قال: لأنك حكمت في الكتاب^(١)، وضعفت عن الحق إذ جدّ الجدة، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم، فأنا عليك زار، وعليهم ناقيم، ولكم جميعاً مُبَايِن. فقال له عليّ: هلمّ أدارسك الكتاب، وأناظيرك في السنن، وأفاتحك أموراً من الحق أنا أعلم بها منك، فلعلك تعرف ما أنت له الآن مُنكير، وتستبصر ما أنت عنه الآن جاهل. قال: فإني عائد إليك؛ قال: لا يستهوينك الشيطان، ولا يستخفّنك الجهل، والله لئن استرشدتني واستنصحتني وقبلت مني لأهدينك سبيل الرشاد.

فخرج من عنده منصرفاً إلى أهله، فعجلت في أثره مسرعاً. وكان لي من بني عمه صديق، فأردت أن ألتق ابن عمه ذلك فأعلمه بشأنه، ويأمره بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته، ويخبره أن ذلك خير له في عاجل الدنيا وأجل الآخرة. فخرجت حتى انتهيت إلى منزله وقد سبقني، فقمّت عند باب داره، وفي داره رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على عليّ. قال: فوالله ما جزم شيئاً مما قال، ومما ردّ عليه، ثم قال لهم: يا هؤلاء، إني قد رأيت أن أفارق هذا الرجل، وقد فارقتُه على أن أرجع إليه من غد، ولا أراي إلا مفارقة من غد. فقال له أكثر أصحابه: لا تفعل حتى تأتية، فإنّ أذاك بأمرٍ تعرفه قبلت منه، وإن كانت الأخرى فما أقدرك على فراقه. فقال لهم: فنعيم ما رأيتم. قال: ثم إني استأذنت عليه، فأذنوا لي، فدخلتُ فقلت: أنشدك الله أن تفارق أمير المؤمنين، وجماعة المسلمين، وأن تجعل على نفسك سبيلاً، وأن تقتل من أرى من عشيرتك! إن عليّاً لعلّى الحق. قال: فأنا أغدو إليه فأسمع منه حجته، وأنظر ما يعرض عليّ به ويذكر، فإن رأيت حقاً ورشداً قبلتُ، وإن رأيتُ غيياً وجوراً تركتُ. قال: فخلوتُ بابن عمه ذلك — قال: وكان أحد نفره الأذنين، وهو مدرك بن الريان، وكان من رجال العرب — فقلت له: إن لك عليّ حقاً لإخائك وودك ذلك عليّ

٣٤٢٠/١

(١) النويري: «حكمت الرجال».

بعد حقّ المسلم على المسلم . إنّ ابن عمّك كان منه ما قد ذكر لك ، فأجِدْ به ،
فاردد عليه رأيه ، وعظّم عليه ما أتى ، فلإني خائف إن فارق أمير المؤمنين أن
يقتله نفسه وعشيرته . فقال : جزاك الله خيراً من أخ ! فقد نصحت وأشفقت ،
إن أراد صاحبي فراق أمير المؤمنين فارقته وخالفته ، وكنت أشدّ الناس عليه .
وأنا بعدُ فلإني خال به ، ومشيرٌ عليه بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته والإقامة
معه ، وفي ذلك حظّه ورشدّه .

فقمّت من عنده ، وأردتُ الرجوعَ إلى أمير المؤمنين لأعليمه بالذي كان ،
ثم اطمأننت إلى قول صاحبي ، فرجعتُ إلى منزلي فبت به ثم أصبحت ، فلما
ارتفع الضحى أتيتُ أمير المؤمنين ، فجلستُ عنده ساعةً وأنا أريد أن أحدثه
بالذي كان من قوله لي على خلكوة ، فأطلت الجلوس ، فلم يزد الناسُ إلا
كثرةً ، فدنوت منه ، فجلستُ وراءه ، فأصغى إلىّ بأذنيه ، فخبّرتُه بما سمعتُ
من الحرّيت بن راشد ، وبما قلتُ له ، وبما ردّ علي ، وبما كان من مقالتي
لابن عمّه ، وبما ردّ عليّ ، فقال : دَعَه ، فإن عَرَفَ الحقّ وأقبلَ إليه
عرفنا ذلك وقبَلنا منه ، وإن أبي طلبناه . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ولم لا
تأخذه الآن وتستوثقُ منه وتحبسه ؟ فقال : إنا لو فعلنا هذا بكلّ مَنْ ننتهمه
من الناس ملأنا سجننا منهم ، ولا أراه - يعني الوثوبَ على الناس والحبس
والعقوبة - حتّى يُظهروا لنا الخلاف . قال : فسكت عنه ، وتنحيت ،
فجلست مع القوم .

ثم مكث ما شاء الله . ثم إنه قال : ادنُ منّي ؛ فدنوتُ منه ، فقال لي
مسرّاً : اذهب إلى منزل الرجل فاعلم لي ما فعل ، فإنه كلّ يوم لم يكن يأتي
فيه إلا قبل هذه الساعة . فأتيتُ منزله ، فإذا ليس في منزله منهم دينار ،
فدعوتُ على أبواب دور أخرى كان فيها طائفة من أصحابه ، فإذا ليس فيها
داعٍ ولا مجيب ، فرجعت . فقال لي حين رآني : وطنوا^(١) ، فأمينوا ، أم جنبوا
فطعنوا ! فقلت : بل ظعنوا فأعلنوا ، فقال : قد فعلوها ! بعداً لهم كما
بعيدتُ ثمود ! أما لو قد أشرعتُ لهم الأسنة وصببتُ على هامهم السيوف ،

(١) وطن بالمكان : أقام .

لقد ندّموا . إنّ الشيطان اليوم قد استهوهم وأضلّهم ، وهو غدًا متبرئٌ منهم ، ومخلٌ عنهم .

فقام إليه زياد بن خَصَّفة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه لو لم يكن من مضرّة هؤلاء إلا فراقهم إيانا لم يعظم فقدُهم فنأسى عليهم ، فلأنّهم قلّما يزيدون في عددنا لو أقاموا معنا ، وقلّما ينقصون من عددنا بخروجهم عنا ، ولكننا نخاف أن يفسدوا علينا جماعةٌ كثيرةٌ ممن يقدمون عليه ^(١) من أهل طاعتك ، فأذن لي في اتّباعهم حتى أردّهم عليك إن شاء الله . فقال له على : وهل تدري أين توجه القوم ؟ فقال : لا ، ولكني أخرج فأسأل وأتبع الأثر . فقال له : اخرجُ رحمك الله حتى تنزل ديرَ أبي موسى ، ثم لا تتوجّه حتى يأتيسك أمرى ، فإنهم إن كانوا خرجوا ظاهرين للناس في جماعة ، فإن عمّالي سنكتب إلىّ بذلك ، وإن كانوا متفرّقين مستخفين فذلك أخفى لهم ، وسأكتب إلى عمّالي فيهم . فكتب نسخةً واحدةً فأخرجها إلى العمّال :

أما بعد ، فإن رجلاً خرجوا هُرّاباً ونظنّهم وجهوا نحو بلاد البصرة ، فسلّ عنهم أهل بلادك ، واجعل عليهم العيون في كل ناحية من أرضك ، واكتب إلىّ بما ينتهى إليك عنهم ؛ والسلام .

فخرج زياد بن خَصَّفة حتى أتى داره ، وجمع أصحابه ، فحمّد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد يا معشر بكر بن وائل ، فإن أمير المؤمنين ندبني لأمر من أمره مُهِمٌ له ، وأمرني بالانكماش ^(٢) فيه ، وأنتم شيعته وأنصاره ، وأوثقُ حيٍّ من الأحياء في نفسه ، فانتدبوا معي الساعة ، واعجلوا . قال : فوالله ما كان إلا ساعةً حتى اجتمع له منهم مائة وعشرون رجلاً أو ثلاثون ؛ فقال : اكتفينا ، لا نريد أكثر من هذا ، فخرجوا حتى قطعوا الجسر ، ثم ديرَ أبي موسى ، فنزله ، فأقام فيه بقيّة يومه ذلك ينتظر أمر أمير المؤمنين .

(١) ابن الأثير : « عليك » .

(٢) الانكماش في الأمر : الجِدّ فيه .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الصلت الأعور التيمي ، عن أبي سعيد العُقَيْليّ ، عن عبد الله بن وائل التيمي ، قال : والله إني لأعند أمير المؤمنين إذ جاءه فينج^(١) ، كتابٌ بيديته ، من قبيل قرظة بن كعب الأنصاري : ٣٤٢٣/١

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أن خيلاً مرت بنا من قبيل الكوفة متوجهة نحو نيفر ، وإن رجلاً من دهاقين أسفل الفرات قد صلتى يقال له : زاذان فروخ ، أقبل من قبيل أخواله بناحية نيفر ، فعرضوا له ، فقالوا : أمسلم أنت أم كافر ؟ فقال : بل أنا مسلم ، قالوا : فاقولك في علي ؟ قال : أقول فيه خيراً ، أقول : إنه أمير المؤمنين ، وسيد البشر ، فقالوا له : كفرت يا عدو الله ! ثم حملت عليه عصابة منهم فقطعوه ، وجدوا معه رجلاً من أهل الذمة ، فقالوا : ما أنت ؟ قال : رجل من أهل الذمة ، قالوا : أمّا هذا فلا سبيل عليه ، فأقبل إلينا ذلك الذمي فأخبرنا هذا الخبر ، وقد سألت عنهم فلم يخبرني أحدٌ عنهم بشيء ، فليكتب إلى أمير المؤمنين برأيه فيهم أنته إليه . والسلام .

فكتب إليه :

أما بعد ، فقد فهمت ما ذكرت من العصابة التي مرت بك فقتلت البرّ المسلم ، وأمين عندهم المخالف الكافر ، وإن أولئك قوم استهواهم الشيطان فضلتوا وكانوا كالذين حسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ، فأسمع بهم وأبصر يوم تُخبر أعمالهم . والزم عملك ، وأقبل على خراجك فإنك كما ذكرت في طاعتك ونصيحتك ؛ والسلام .

قال أبو مخنف : وحدثني أبو الصلت الأعور التيمي عن أبي سعيد العُقَيْليّ ، عن عبد الله بن وائل ، قال : كتب علي عليه السلام معي كتاباً إلى زياد بن خصفة ، وأنا يومئذ شاب حدث : ٣٤٢٤/١

أما بعد ، فإني كنت أمرتك أن تنزل دير أبي موسى حتى يأتيك أمرى وذلك لأنني لم أكن علمت إلى أي وجه توجه القوم ، وقد بلغني أنهم أخذوا نحو قرية يقال لها نيفر ، فاتبع آثارهم ، وسل عنهم ، فإنهم قد قتلوا رجلاً من أهل

(١) الفيج : رسول السلطان على رجله ، فارسي معرب .

السواد مصليةً ، فإذا أنت لحقتهم فارددْهم إلىّ ، فإن أبوا فناجزهم ، واستعين بالله عليهم ، فإنهم قد فارقوا الحقّ ، وسفكوا الدم الحرام ، وأخافوا السبيل . والسلام .

قال : فأخذتُ الكتاب منه ، فضيتُ به غير بعيد ، ثم رجعتُ به ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ألا أمضى مع زياد بن خصّفة إذا دفعْتُ إليه كتابك إلى عدوك ؟ فقال : يا بن أخي ، افعل ، فوالله إنى أرجو أن تكون من أعوانى على الحقّ ، وأنصارى على القوم الظالمين ؛ فقلت له : أنا والله يا أمير المؤمنين كذلك ومن أولئك ، ولنا حيث تحبّ .

قال ابن وأل : فوالله ما أحبّ أنّ لى بمقالة علىّ تلك حُمر النعم . قال : ثمّ مضيت إلى زياد بن خصّفة بكتاب علىّ وأنا على فرس لى رائع كريم ، وعلىّ السلاح ، فقال لى زياد : يا بن أخي ، والله ما لى عنك من غناء ، ولئى لأحبّ أن تكون معى فى وجهى هذا ؛ فقلت له : قد استأذنتُ فى ذلك أمير المؤمنين فأذن لى ، فسرّ بذلك .

قال : ثمّ خرجنا حتى أتينا نيفر ، فسألنا عنهم ، فقليل لنا : قد ارتفعوا نحو جرّجرايا ، فاتبعناهم ، فقليل لنا : قد أخذوا نحو المذار ، فلحقناهم وهم نزول بالمذار ، وقد أقاموا به يوماً وليلة ، وقد استراحوا وأعلفوا وهم جامّون ، فاتبعناهم وقد تقطعنا ولغينا وشقينا ونصينا ، فلما رأونا وثبوا على خيولهم فاستووا عليها ، وجئنا حتى انتهينا إليهم ، فواقفناهم ، ونادانا صاحبهم الحريّ بن راشد : يا عميان القلوب والأبصار ، أمع الله أنتم وكتابه وسنة نبيه ، أم مع الظالمين ؟ فقال له زياد بن خصّفة : بل نحن مع الله ومنّ الله وكتابه ورسوله آثرُ عنده ثواباً من الدنيا منذ خلقت إلى يوم تفتى ، أيّها العمى الأبصار ، الصمّ القلوب والأسماع . فقال لنا : أخبرونى ما تريدون ؟ فقال له زياد — وكان مجرباً رقيقاً : قد ترى ما بنا من اللّغوب والسغوب ^(١) ، والذى جئنا له لا يصلحه الكلامُ علانيةً على رؤوس أصحابى وأصحابك ، ولكن أنزل وتنزل ، ثم نخلو جميعاً فتذاكر أمرنا هذا جميعاً وننظر ، فإن

٣٤٢٥/١

(١) السغوب : الجوع ، مثل السغب .

رَأَيْتَ مَا جِئْنَاكَ فِيهِ حَظًّا لِنَفْسِكَ قَبِيلَتَهُ ، وَإِنْ رَأَيْتَ فِيهَا أَسْمَعَهُ مِنْكَ أَمْرًا أَرْجُو فِيهِ الْعَافِيَةَ لَنَا وَلَكَ لَمْ أَرْدُدْهُ عَلَيْكَ . قَالَ : فَانْزِلْ بِنَا ؛ قَالَ : فَأَقْبِلْ إِلَيْنَا زِيَادَ فَقَالَ : انْزِلُوا بِنَا عَلَى هَذَا الْمَاءِ ؛ قَالَ : فَأَقْبَلْنَا حَتَّى إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى الْمَاءِ ، نَزَلْنَاهُ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَزَلْنَا فَتَفَرَّقْنَا ، ثُمَّ تَحَلَّقْنَا مِنْ عَشْرَةِ وَتِسْعَةِ وَثَمَانِيَةِ وَسَبْعَةِ ، يَضَعُونَ طَعَامَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَيَأْكُلُونَ ، ثُمَّ يَقُومُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ فَيَشْرَبُونَ . وَقَالَ لَنَا زِيَادُ : عَلِقُوا عَلَى خِيُولِكُمْ ، فَعَلَقْنَا عَلَيْهَا مَخَالِيهَا ، وَوَقَفَ زِيَادُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ ، وَانْطَلَقَ الْقَوْمُ فَتَنَحَّوْا نَاحِيَةً ، ثُمَّ نَزَلُوا ، وَأَقْبَلَ إِلَيْنَا زِيَادُ ، فَلَمَّا رَأَى تَفَرَّقَنَا وَتَحَلَّقْنَا قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَنْتُمْ أَهْلُ حَرْبٍ ؟ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ جَاءُواكُمْ السَّاعَةَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مَا أَرَادُوا مِنْ غَيْرِكُمْ أَفْضَلَ مِنْ حَالِكُمْ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا . اِعْجَلُوا ، قَوْمُوا إِلَى خِيَلِكُمْ ، فَاسْرِعْنَا ، فَتَحْشَحْشُنَا ^(١) فَنَّا مِنْ يَتَنَفَّضُ ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ، وَمِنَّا مَنْ يَشْرَبُ ، وَمِنَّا مَنْ يَسْقَى فَرَسَهُ ، حَتَّى إِذَا فَرَغْنَا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، أَتَانَا زِيَادُ فِي يَدِهِ عَرَقُ يَنْهَشُهُ ، فَنَهَشَ مِنْهُ نَهْشَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، وَأَتَى بِأَدَاوَةٍ فِيهَا مَاءٌ ، فَشَرِبَ مِنْهُ ، ثُمَّ أَلْقَى الْعَرَقَ ^(٢) مِنْ يَدِهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا هَؤُلَاءِ ، إِنَا قَدْ لَقِينَا الْقَوْمَ ، وَاللَّهِ إِنْ عَدَّتْكُمْ كَعَدَّتْهُمْ ، وَلَقَدْ حَزَرْتُكُمْ وَإِيَّاهُمْ فَمَا أَظُنُّ أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ يَزِيدُ عَلَى الْآخَرِ بِخَمْسَةِ نَفَرٍ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْرَهُمْ وَأَمْرَكُمْ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَى الْقِتَالِ ، فَإِنْ كَانَ إِلَى ذَلِكَ مَا يَصِيرُ بِكُمْ وَبِهِمُ الْأُمُورُ فَلَا تَكُونُوا أَعْجَزَ الْفَرِيقَيْنِ . ثُمَّ قَالَ لَنَا : لِيَأْخُذَ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ بَعِثَانِ فَرَسِهِ حَتَّى أَدْنُو مِنْهُمْ ، وَادْعُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ فَأَكَلِمَهُ ، فَإِنْ بَايَعْتَنِي عَلَى مَا أُرِيدُ وَإِلَّا فَلِذَا دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَوْوْا عَلَى مَتُونِ الْحَيْلِ ، ثُمَّ أَقْبِلُوا إِلَيَّ مَعًا غَيْرَ مُتَفَرِّقِينَ .

قَالَ : فَاسْتَقْدَمَ أَمَامَنَا وَأَنَا مَعَهُ ، فَاسْمَعَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ يَقُولُ : جَاءَكُمْ الْقَوْمُ وَهُمْ كَالثَّوْنِ مَعِيُونٍ ، وَأَنْتُمْ جَامِثُونَ مُسْتَرِيحُونَ ، فَتَرَكْتُمُوهُمْ حَتَّى نَزَلُوا وَأَكَلُوا وَشَرَبُوا وَاسْتَرَا حُوا ؛ هَذَا وَاللَّهِ سُوءُ الرَّأْيِ ! وَاللَّهِ لَا يَرْجِعُ الْأَمْرُ بِكُمْ وَبِهِمْ إِلَّا إِلَى الْقِتَالِ . فَسَكَنُوا ، وَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ ، فَدَعَا زِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ صَاحِبَهُمْ ، فَقَالَ : اعْتَزِلْ بِنَا فَلْنَنْظُرْ فِي أَمْرِنَا هَذَا ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَقْبَلَ إِلَيَّ زِيَادُ فِي خَمْسَةِ ، فَقُلْتُ لَزِيَادُ : ادْعُ ثَلَاثَةً مِنْ أَصْحَابِنَا حَتَّى نَلْقَاهُمْ فِي عَدَّتْهُمْ ؛ فَقَالَ لِي : ادْعُ مَنْ

(١) التَحْشَحْشُ : التَّحْرُكُ . (٢) الْعَرَقُ : بَفَتْحٍ فَسَكُونٌ : الْعَظْمُ بِلَحْمِهِ .

أحببت منهم ، فدعوت من أصحابنا ثلاثاً ، فكنا خمسة وخمسة . فقال له زياد : ما الذى نقصت على أمير المؤمنين وعلينا إذ فارقنا ؟ فقال : لم أرض صاحبكم إماماً ، ولم أرض سيرتكم سيرة ، فرأيت أن أعزّل وأكون مع من يدعو إلى الشورى من الناس ، فإذا اجتمع الناس على رجل لجميع الأمة رضا كنت مع الناس . فقال له زياد : ويحك ! وهل يجتمع الناس على رجل منهم يدانى صاحبك الذى فارقتك علماً بالله وبسُنن الله وكتابه ، مع قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم وسابقتيه فى الإسلام ! فقال له : ذلك ما أقول لك ؛ فقال له زياد : فقيم قتل ذلك الرجل المسلم ؟ قال : ما أنا قتلته ، إنما قتلته طائفة من أصحابي ، قال : فادفعهم إلينا ؛ قال : ما إلى ذلك سبيل ؛ قال : كذلك أنت فاعل ؟ قال : هو ما تسمع ؛ قال : فدعونا أصحابنا ودعا أصحابه ، ثم أقبلنا ؛ فوالله ما رأينا قتالاً مثله منذ خلقنى ربى ، قال : اطعنا والله بالرماح حتى لم يبق فى أيدينا رُمح ، ثم اضطربنا بالسيوف حتى انحنت وعقر عامة خيلنا وخيلهم ، وكثرت الجراح فيما بيننا وبينهم ، وقُتِل منا رجلان : مولى زياد كانت معه رايته يدعى سويداً ، ورجل من الأبناء يدعى وافد بن بكر ، وصرعنا منهم خمسة ، وجاء الليل يحجز بيننا وبينهم ، وقد والله كرهونا وكرهناهم ، وقد جرح زياد وجرح . قال : ثم إن القوم تنحوا وبتنا فى جانب ، فبكثوا ساعة من الليل ، ثم لأنهم ذهبوا واتبعناهم حتى أتينا البصرة ، وبلغنا أنهم أتوا الأهواز ، فنزلوا بجانب منها ، وتلاحق بهم أناس من أصحابهم نحو من مائتين كانوا معهم بالكوفة ، ولم يكن لهم من القوة ما ينهضهم معهم حتى نهضوا فاتبعوهم فلحقوهم بأرض الأهواز ، فأقاموا معهم . وكتب زياد بن خصيفة إلى على :

٣٤٢٧/١

٣٤٢٨/١

أما بعد ، فإننا لقينا عدو الله الناجى بالمدار ، فدعوناهم إلى الهدى والحق وإلى كلمة السواء ، فلم ينزلوا على الحق ، وأخذتهم العزة بالإثم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ، فقصدوا لنا ، وصعدنا صمدهم ، فاقتلنا قتالاً شديداً ما بين قائم الظهيرة إلى دُلُوك الشمس ، فاستشهد منا رجلان صالحان ، وأصيب منهم خمسة نفر ، وخلوا لنا المعركة ،

وقد فشت فينا وفيهم الجراح . ثم إن القوم لما لبسهم الليل خرجوا من تحته متنكبين إلى أرض الأهواز ، فبلغنا أنهم نزلوا منها جانباً ونحن بالبصرة ندأوى جراحنا ، وننتظر أمرك رحمك الله ؛ والسلام عليك .

فلما أتيت به بكتابه قرأه على الناس ، فقام إليه معقل بن قيس ، فقال : أصلحك الله يا أمير المؤمنين ! إنما كان ينبغي أن يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كل رجل منهم عشرة من المسلمين ، فإذا لحقهم استأصلوهم وقطعوا دابرهم ، فأما أن يلقاهم أعدادهم فلعمري ليصبرن لهم ، هم قوم عرب ، والعدة تصبر للعدة ، وتنتصف منها . فقال : تجهز يا معقل بن قيس إليهم . وندب معه ألفين من أهل الكوفة منهم يزيد بن المغفل^(١) الأزدى . وكتب إلى ابن عباس :

أما بعد ، فابعث رجلاً من قبلك صليباً شجاعاً معروفاً بالصلاح في ألى رجل ، فليتب معقلاً ، فإذا مرّ ببلاد البصرة فهو أمير أصحابه حتى يلقى معقلاً ، فإذا لقي معقلاً فعقل أمير الفريقين ، وليسمع من معقل وليطّعه ، ولا يخالفه ، ومُرّ زياد بن خَصَفَة فليقبل ، فنعم المرء زياد ، ونعم القليل قبيله ! قال أبو مخنف : وحدثني أبو الصلت الأعور ، عن أبي سعيد العقيلي ، قال : كتب على زياد بن خَصَفَة :

أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، وفهمت ما ذكرت من أمر الناجي وإخوانه الذين طبع الله على قلوبهم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فهم يعمهون ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ووصفت ما بلغ بك وبهم الأمر ، فأما أنت وأصحابك فالله سعيكم ، وعلى الله تعالى جزاؤكم ! فأبشروا بثواب الله خير من الدنيا التي يقتل الجهال أنفسهم عليها ، فإن ما عندكم يفسد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون . وأما عدوكم الذين لقيتموهم فحسبهم بخروجهم من الهدى إلى الضلال ، وارتكابهم فيه ، وردّهم الحق ، ولحاجهم في الفتنة ، فذرهم وما يفترون ، ودعهم في طغيانهم يعمهون ، فتسمع وتبصر ، كأنك

(١) ابن الأثير : « المغفل » .

بهم عن قليل بين أسير وقتيل . أقبل إلينا أنت وأصحابك مأجورين ، فقد أطعتم وسمعتهم ، وأحسنتم البلاء ؛ والسلام .

ونزل الناجي جانباً من الأهواز ، واجتمع إليه علوجٌ من أهلها كثير أرادوا كسر الخراج ، ولصوصٌ كثيرة ، وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه .

* * *

٢٤٣٠/١

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن علي بن مجاهد ، قال : قال الشعبي : لما قتل علي عليه السلام أهل النهروان ، خالفه قوم كثير ، وانتقضت عليه أطرافه ، وخالفه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمي البصرة ، وانتقض أهل الأهواز ، وطمع أهل الخراج في كسره ، ثم أخرجوا سهل بن حنيف من فارس ، وكان عامل علي عليها ، فقال ابن عباس لعلّي : أكفيك فارس بزياد ، فأمره علي أن يوجهه إليها ، فقدم ابن عباس البصرة ، وجهه إلى فارس في جمع كثير ، فوطئ بهم أهل فارس ، فأدوا الخراج .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . قال أبو مخنف : وحدثني الحارث بن كعب ، عن عبد الله بن فضال الأزدي ، قال : كنت أنا وأخي كعب في ذلك الجيش مع معقل بن قيس ، فلما أراد الخروج أقبل إلى علي فودعه فقال : يا معقل ، اتق الله ما استطعت ، فإنها وصية الله للمؤمنين ، لا تبغ على أهل القبلة ، ولا تظلم أهل الذمة ، ولا تتكبر فإن الله لا يحب المتكبرين . فقال : الله المستعان ؛ فقال له علي : خير مستعان ؛ قال : فخرج وخرجنا معه حتى نزلنا الأهواز ، فأقمنا ننتظر أهل البصرة ، وقد أبطأوا علينا ، فقام فينا معقل بن قيس فقال : يأيها الناس ، إنا قد انتظرنا أهل البصرة ، وقد أبطأوا علينا ، وليس بحمد الله بنا قلة ولا وحشة إلى الناس ، فسيروا بنا إلى هذا العدو القليل الذليل ، فإني أرجو أن ينصركم الله وأن يهلكهم .

قال: فقام إليه أخى كعب بن فُقَيْمٍ، فقال: أصبتَ - أرشدَكَ اللهُ - رأيك! فوالله إنى لأرجو أن ينصرنا الله عليهم، وإن كانت الأخرى فإنّ فى الموت على الحقّ تعزيةٌ عن الدنيا. فقال: سيروا على بركة الله؛ قال: فسيرنا والله ما زال معقيلٌ، مُكرِّمًا وادًّا، ما يَعدِلُ بى من الجند أحدًا؛ قال ولا يزال يقول: وكيف قلت: إنّ فى الموت على الحقّ تعزيةٌ عن الدنيا؟ صدقت والله وأحسنست ووفقت! فوالله ما سيرنا يومًا حتى أدركنا فينج يشدّ بصحيفة فى يده من عند عبد الله بن عباس: أما بعد، فإن أدركك رسولى بالمكان الذى كنت فيه مقيمًا، أو أدركك وقد شخصت منه، فلا تبرح المكان الذى ينتهى فيه إليك رسولى، واثبت فيه حتى يقدم عليك بعثنا الذى وجهناه إليك، فإنى قد بعثتُ إليك خالد بن معدان الطائى، وهو من أهل الإصلاح والدين والبأس والنجدة، فاسمع منه، واعرف ذلك له؛ والسلام.

فقرأ معقل الكتاب على الناس، وحَمِدَ الله، وقد كان ذلك الوجه هالهم. قال: فأقمنا حتى قدم الطائى علينا، وجاء حتى دخل على صاحبنا، فسلم عليه بالإمرة، واجتمعوا جميعاً فى عسكر واحد. قال: ثم إنا خرجنا فسرنا إليهم، فأخذوا يرتفعون نحو جبال رامهرمز يريدون قلعة بها حصينة وجاءنا أهلُ البلد فأخبرونا بذلك، فخرجنا فى آثارهم نَتبعهم، فلحقناهم وقد دنوا من الجبل، فصففنا لهم، ثم أقبلنا إليهم، فجعل معقيل على ميمنه يزيد بن المغفيل، وعلى ميسرته منجابه بن راشد الضبى من أهل البصرة، وصَفَّ الحريّيت بن راشد الناجى منّ معه من العرب، فكانوا ميمنة، وجعل أهل البلد والعُلوّج ومنّ أراد كسر الخراج وأتباعهم من الأكراد ميسرة. قال: وسار فينا معقيل بن قيس يحرّضنا ويقول لنا: عباد الله! لاتعدّ لوا القوم بأبصاركم، غَضُّوا الأبصار، وأقلّوا الكلام، ووطّنوا أنفسكم على الطعن والضرب، وأبشروا فى قتالهم بالأجر العظيم، إنما تقاتلون مارقةً مرقّت من الدين، وعُلوّجاً منعوا الخراج وأكراداً، انظرونى فإذا حملتُ فشدوا شدة رجل واحد. فرّ فى الصفّ كله يقول لهم هذه المقالة، حتى إذا مرّ بالناس كلهم أقبل حتى وقف وسط الصفّ فى القلب، ونظرنا إليه ما يصنع!

فحرك رايته تحريكتين ، فوالله ما صبروا لنا ساعةً حتى ولّوا ، وشدّ خُنّا منهم سبعين عربياً من بني ناجية ، ومن بعض من اتّبِعهم من العرب ، وقتلنا نحواً من ثلثائة من العلّوج والأكراد . قال كعب بن فُقَيْم : ونظرتُ فيمن قُتِل من العرب ، فإذا أنا بصديقي مدرك بن الرّيان قتيلاً ، وخرج الحريّت ابن راشد وهو منهزم حتى لحق بأسياف البحر ، وبها جماعة من قومه كثير ، فما زال بهم يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف عليّ ، ويبينّ لهم فراقه ، ويخبرهم أنّ الهدى في حربه ، حتى اتبعه منهم ناس كثير ، وأقام معقل بن قيس بأرض الأهواز ، وكتب إلى عليّ معي بالفتح ، وكنت أنا الذي قدمتُ عليه ، فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عليّ أمير المؤمنين ، من معقل بن قيس . سلامٌ عليك ، فإنّي أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنّا لقينا المارقين ، وقد استظهروا علينا بالمشركين ، فقتلناهم قتلَ عاد وإرم ، مع أنّا لم نعدُ فيهم سیرتک ، ولم نقتل من المارقين مدبراً ولا أسيراً ، ولم نذفّف منهم على جريح ، وقد نصرک الله والمسلمين ، والحمد لله رب العالمين . قال : فقدمتُ عليه بهذا الكتاب ، فقرأه على أصحابه ، واستشارهم في الرأى ، فاجتمع رأى عامتهم على قول واحد ، فقالوا له : نرى أنّ تكتب إلى معقل ابن قيس فيتبع أثر الفاسق ، فلا يزال في طلبه حتى يقتله أو ينفيه ، فإنّا لا نأمن أنّ يُفسد عليك الناس . قال : فردّني إليه ، وكتب معي :

٣٤٣/١

أمّا بعد ، فالحمد لله على تأييد أوليائه ، وخيّدان أعدائه ، جزاك الله والمسلمين خيراً ، فقد أحسنتم البلاء ، وقضيتُم ما عليكم ، وسَلّ عن أخي بني ناجية ، فإنّ بلغك أنّه قد استقرّ ببلد من البلدان فسرّ إليه حتى تقتله أو تنفيه ، فإنه لن يزال للمسلمين عدوّاً ، وللقاسِطين وليّاً ، ما بقى ، والسلام عليك .

فسأل معقل عن مستقرّه ، والمكان الذي انتهى إليه ، فنبيّ بمكانه بالأسياف ، وأنّه قد ردّ قومه عن طاعة عليّ ، وأفسد من قبيله من عبد القيس ومنّ والاهم من سائر العرب ، وكان قومه قد منعوا الصّدقة عام صيفين ومنعوها

في ذلك العام أيضاً ، فكان عليهم عقالان ، فسار إليهم معقل بن قيس في ذلك الجيش من أهل الكوفة وأهل البصرة ، فأخذ على فارس حتى انتهى إلى أسياف البحر ، فلما سمع الخريّيت بن راشد بمسيره إليه أقبل على مَنْ كان معه من أصحابه ممن يَرَى رأى الخوارج ، فأَسْرَ لهم : إني أرى رأيكم ، فإنّ عليّاً لن ينبغي له أن يُحْكَمَ الرجال في أمر الله ، وقال للآخرين مندداً لهم : إنّ عليّاً حَكَمَ حَكَمًا وَرَضِيَ به ، فَخَلَعَهُ حَكَمُهُ الذي ارتضاه لنفسه ، ٢٤٣٤/١ فقد رَضِيتُ أنا من قضائه وحكمه ما ارتضاه لنفسه ، وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة . وقال سرّاً لمن يرى رأيَ عثمان : أنا والله على رأيكم ، قد والله قَتَلَ عثمانَ مظلوماً ، فأرضى كلَّ صنف منهم ، وأَراهم أنه معهم ، وقال لمن منع الصدقة : شدّوا أيديكم على صدقاتكم ، وصلّوا بها أرحامكم ، وعودوا بها إن شتم على فقرائكم ، وقد كان فيهم نصارى كثير قد أسلموا ، فلمّا اختلف الناسُ بينهم قالوا : والله لَسَدِينُنا الذي خرجنا منه خيرٌ وأهدى من دين هؤلاء الذي هم عليه ؛ ما ينهّاهم دينهم عن سفك الدماء ، وإخافة السبيل ، وأخذ الأموال . فرجعوا إلى دينهم ، فلقى الخريّيت أولئك ، فقال لهم : وَيَحْكُمُكُمْ ! أتدرون حُكْمَ عليّ فيمن أسلم من النصارى ، ثم رجع إلى نصرايته؟ لا والله ما يسمع لهم قولاً ، ولا يرى لهم عذراً ، ولا يقبل منهم توبة ولا يدعوهم إليها ، وإنّ حُكْمَهُ فيهم لضربُ العنق ساعة يستمكن منهم .

فما زال حتى جمعهم وخذلهم ، وجاء من كان من بنى ناجية ومن كان في تلك الناحية من غيرهم ، واجتمع إليهم ناسٌ كثير .

* * *

فحدثني عليّ بن الحسن الأزديّ ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن سليمان ، عن عبد الملك بن سعيد بن حاب ، عن الحرّ ، عن عمار الدّهنيّ ، قال : حدثني أبو الطّفَيْل ، قال : كنت في الجيش الذين بعثهم عليّ بن أبي طالب إلى بنى نَاجِيَةٍ ، فقال : فأنتهينا إليهم ، فوجدناهم على ثلاثِ فِرَقٍ ، فقال أميرنا لفرقة منهم : ما أنتم ؟ قالوا : نحن قومٌ نصارى ، لم نر ديناً أفضلَ

من ديننا ، فثبتنا عليه ، فقال لهم : اعتزلوا ، وقال للفرقة الأخرى : ما أنتم ؟ قالوا : نحن كنّا نصارى فأسلمنا ، فثبتنا على إسلامنا ، فقال لهم : اعتزلوا ؛ ثم قال للفرقة الأخرى الثالثة : ما أنتم ؟ قالوا : نحن قوم كنّا نصارى ، فأسلمنا ، فلم نرّ ديناً هو أفضل من ديننا الأول ؛ فقال لهم : أسلموا ، فأبوا ؛ فقال لأصحابه : إذا مسح رأسي ثلاث مرات فشدوا عليهم ، فاقتلوا المقاتلة ، واسبوا الذرية . فجاء بالذرية إلى عليّ ، فجاء مصقلة بن هبيرة ، فاشتراهم بمائتي ألف ، فجاء بمائة ألف فلم يقبلها عليّ ، فانطلق بالdraهم ، وعهد إليهم مصقلة فأعتقهم ولحق بمعاوية ، فقبل لعليّ : ألا تأخذ الذرية ؟ فقال : لا ، فلم يعرض لهم .

• • •

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . قال أبو مخنف : وحديثي الحارث ابن كعب ، قال : لما رجع إلينا معقل بن قيس قرأ علينا كتاباً من عليّ :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من يُقرأ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين ، والنصارى والمتردين . سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وكتابه والبعث بعد الموت وأوفى بعهد الله ولم يكن من الخائنين . أمّا بعد ، فإنني أدعوكم إلى كتاب الله ، وسنة نبيه ، والعمل بالحق ، وبما أمر الله في الكتاب ، فنرجع إلى أهله منكم وكف يده واعتزل هذا الهالك الحارب الذي جاء يحارب الله ورسوله والمسلمين ، وسعى في الأرض فساداً ، فله الأمان على ماله ودمه ، ومن تابعه على حربنا والخروج من طاعتنا ، استعنا بالله عليه ، وجعلنا الله بيننا وبينه ، وكفى بالله نصيراً !

٢٤٣٦/١

وأخرج معقل راية أمان فنصبها ، وقال : من أتاها من الناس فهو آمن ، إلا الخريّت وأصحابه الذين حاربونا وبدءونا أول مرة . فتفرق عن الخريّت جلّ من كان معه من غير قومه ، وعبأ معقل بن قيس أصحابه ، فجعل

على ميمنته يزيد بن المغفيل الأزدي، وعلى ميسرته المنجاب بن راشد الضبي،
ثم زحف بهم نحو الحيريت، وحضر معه قومه مسلموهم ونصاراهم وماعة
الصدقة منهم.

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن كعب، عن أبي الصديق الناجي،
أن الحيريت يومئذ كان يقول لقومه: امنعوا حريمكم، وقاتلوا عن نسائكم
وأولادكم، فوالله لأن ظهروا عليكم ليقتلنكم وليسبنكم.
فقال له رجل من قومه: هذا والله ما جئته علينا يدك ولسانك.
فقال: قاتلوا لله أنتم! سبق السيف العدل، إيهما والله لقد أصابت
قوى داهية!

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن كعب، عن عبد الله بن فضيم،
قال: سار فينا معقل فحرّض الناس فيما بين الميمنة والميسرة يقول: أيها
الناس المسلمون، ما تزيدون أفضل مما سبق لكم في هذا الموقف من الأجر
العظيم، إن الله ساقكم إلى قوم منعوا الصدقة، وارتدوا عن الإسلام، ونكثوا
البيعة ظلمًا وعدوانًا، فأشهد لمن قُتل منكم بالجنة، ومن عاش فإن الله
مُقرّ عيشته بالفتح والغنيمة. ففعل ذلك حتى مرّ بالناس كلهم. ثم إنه جاء
حتى وقف في القلب برايته، ثم إنه بعث إلى يزيد بن المغفيل وهو في الميمنة:
أن احمل عليهم، فحمل عليهم، فنبهوا وقاتلوا قتالًا شديدًا. ثم إنه
انصرف حتى وقف موقفه الذي كان به في الميمنة، ثم إنه بعث إلى منجاب
ابن راشد الضبي وهو في الميسرة. ثم إن منجابًا حمل عليهم فنبهوا وقاتلوا
قتالًا شديدًا طويلًا، ثم إنه رجع حتى وقف في الميسرة، ثم إن معقلا بعث
إلى الميمنة والميسرة: إذا حملت فاحملوا بأجمعكم. فحرك رايته وهزها،
ثم إنه حمل وحمل أصحابه جميعًا، فصبروا ساعة لهم. ثم إن النعمان بن
صُهبان الراسي من جرّم بصر بالحيريت بن راشد فحمل عليه، فطعته
فصرعه عن دابته، ثم نزل وقد جرّحه فأثخنه، فاختلفا ضربتين، فقتله
النعمان بن صُهبان، وقتل معه في المعركة سبعون ومائة، وذهبوا يمينًا وشمالًا،
وبعث معقل بن قيس الخليل إلى رحاهم، فسبى من أدرك منهم، فسبى رجالا

كثيراً ونساءً وصبياناً . ثم نظر فيهم ؛ فأما من كان مسلماً فخلّاه وأخذ بيعته وترك له عياله ، وأما من كان ارتدّ فعرض عليهم الإسلام . فرجعوا وخلّو سبيلهم وسبيل عيالهم إلاّ شيخاً منهم نصرانياً يقال له : الرّمّاحس^(١) بن منصور ؛ قال : والله ما زللت منذ عقلتُ إلاّ في خروجي من ديني ، دين الصّدق إلى دينكم دينِ السوء ، لا والله لا أدع ديني ، ولا أقرب دينكم ما حييت . فقدّمه فضرّب عنقه ، وجمع معقل الناس فقال : أدّوا ما عليكم في هذه السنين من الصدقة . فأخذ من المسلمين عقاليّن ، وعمد إلى النصارى وعيالهم فاحتملهم مقبلاً بهم ، وأقبل المسلمون معهم يشيعونهم ، فأمر معقل بردهم ، فلما انصرفوا تصافحوا فبكوا ، وبكى الرجال والنساء بعضهم إلى بعض . قال : فأشهد أنّي رحمتهم رحمةً ما رحمتها أحداً قبلهم ولا بعدهم .

٣٤٣٨/١

قال : وكتب معقل بن قيس إلى عليّ : أما بعد ، فإنّي أخبر أمير المؤمنين عن جُنْدِه وعدوّه ؛ إنا دفعنا إلى عدونا بالأسياف فوجدنا بها قبائل ذات عِدّة وحِدّة وجِدّة ، وقد جُمعت لنا ، وتحزبت علينا ، فدعوناهم إلى الطاعة والجماعة ، وإلى حكم الكتاب والسنة ، وقرأنا عليهم كتاب أمير المؤمنين ، ورفعنا لهم رايةً أمان ، فالتّ إلينا منهم طائفة ، وبقيت طائفة أخرى مُنايِدة ، فقبلنا من التي أقبلت ، وصمّدتنا صمّدتاً التي أدبرت ، فضرّب الله وجوههم ونصّرنا عليهم ؛ فأما من كان مسلماً فلنا منّا عليه وأخذنا بيعته لأمر المؤمنين ، وأخذنا منهم الصدقة التي كانت عليهم ، وأما من ارتدّ فلنا عرضنا عليه الرجوع إلى الإسلام وإلاّ قتلناه . فرجعوا غير رجل واحد ، فقتلناه ؛ وأما النصارى فلنا سيّئناهم ، وقد أقبلنا بهم ليكونوا نسكالاً لمن بعدهم من أهل الذمة ، لكيلا يمنوا الجزية ، ولكيلا يجرئوا على قتال أهل القبلة ، وهم أهل الصّغار والذلّ ، رحمك الله يا أمير المؤمنين ، وأوجبّ لك جنّات النعيم ؛ والسلام عليك !

٣٤٣٩/١

ثم أقبل بهم حتى مرّ بهم على مصقلة بن هبيرة الشيبانيّ ، وهو عاملٌ علىّ على أردشير خُزّه ، وهم خمسمائة إنسان ، فبكى النساء والصبيان ، وصاح

الرجال : يا أبا الفضل ، يا حامي الرجال ^(١) ، وفكّك العُنة ، امنن علينا فاشترنا وأعتقنا ؛ فقال مصقلة : أقسم بالله لأنصدّقنّ عليهم ، إن الله يستجزي المتصدّقين . فبلّغها عنه معقل ، فقال : والله لو أعلم أنه قاله توجّعاً لهم ، وزراءً عليكم ، لضربت عنقه ، ولو كان في ذلك تفاني تميم وبكر بن وائل . ثم إن مصقلة بعث ذهل بن الحارث الذّهليّ إلى معقل بن قيس فقال له : يعنى بنى ناجية ؛ فقال : نعم ، أبيعكم بألف ألف ، ودفعهم إليه ، وقال له : عجل بالمال إلى أمير المؤمنين ؛ فقال : أنا باعث الآن بصدر ، ثم أبعث بصدر آخر كذلك ؛ حتى لا يبقى منه شيء إن شاء الله تعالى . وأقبل معقل بن قيس إلى أمير المؤمنين ، وأخبره بما كان منه في ذلك ، فقال له : أحسنت وأصبحت ، وانتظر على مصقلة أن يبعث إليه بالمال ، وبلغ عليّاً أن مصقلة خلّى سبيل الأسارى ولم يسألم أن يُعينوه في فكّك أنفسهم بشيء ، فقال : ما أظنّ مصقلة إلا قد تحمّل حمالة ؛ ألا أراكم سترونه عن قريب ملبداً . ثم إنه كتب إليه : أمّا بعد ، فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة ، وأعظم الغش على أهل المصر غش الإمام ، وعندك من حق المسلمين خمسمائة ألف ، فابعث بها إلى ساعة يأتيك رسولى ، وإلا فأقبل حين تنظر في كتابي ، فإني قد تقدّمت إلى رسولى إليك ألا يندّ عليك أن تقيم ساعة واحدة بعد قدومه عليك إلا أن تبعث بالمال ؛ والسلام عليك .

٣٤٤٠/١

وكان الرسول أبو جرّة الحنفيّ ، فقال له أبو جرّة : إن يبعث بالمال الساعة وإلا فاشخص إلى أمير المؤمنين . فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البصرة ، فكث بها أياماً . ثم إن ابن عباس سأله المال ، وكان عمّال البصرة يُحمّلون من كور البصرة إلى ابن عباس ، ويكون ابن عباس هو الذى يبعث به إلى على ؛ فقال له : نعم ، أنظرنى أياماً ، ثم أقبل حتى أتى عليّاً فأقره أياماً ، ثم سأله المال ، فأدّى إليه مائتي ألف ، ثم إنه عجز فلم يتقدّر عليه .

قال أبو مخنف : وحدّثنى أبو الصلت الأعور ، عن ذهل بن الحارث ،

(١) بعدها في ابن الأثير : « وماوى المعصب » .

قال : دعاني مَصْفَلَةٌ إلى رَحْلِهِ فَقُدِّمَ عشاؤُهُ ، فَطَعِمْنَا مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ
 إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُنِي هَذَا الْمَالُ ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ
 مَا مَضَتْ عَلَيْكَ جَمْعَةٌ حَتَّى تَجْمَعَ جَمِيعَ الْمَالِ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَحْتَمِلَهَا
 قَوِي ، وَلَا أَطْلُبُ فِيهَا إِلَى أَحَدٍ . ثُمَّ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ ابْنَ هَنْدٍ هُوَ طَالِبُنِي
 بِهَا أَوْ ابْنُ عِفَّانٍ لَتَرَكْتُهَا لِي ؛ أَلَمْ تَرَ إِلَى ابْنِ عِفَّانٍ حَيْثُ أَطْعَمَ الْأَشْعَثَ مِنْ
 خِرَاجِ أَذْرَبِيجَانَ مِائَةَ أَلْفٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ! فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ هَذَا لَا يَرَى هَذَا
 الرَّأْيَ ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِبَازِلٍ شَيْئًا كُنْتُ أَخَذْتَهُ ، فَسَكَتَ سَاعَةً ، وَسَكَتَ
 عَنْهُ ، فَلَا وَاللَّهِ مَا مَكَثَ إِلَّا لَيْلَةً وَاحِدَةً بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ حَتَّى لَحِقَ بِمَعَاوِيَةَ .
 وَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَقَالَ : مَا لَهُ بَرَّحَهُ اللَّهُ ؛ فَعَمِلَ فِعْلَ السَّيِّدِ ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبْدِ ،
 وَخَانَ خِيَانَةَ الْفَاجِرِ ! أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ أَقَامَ فَعَجَزَ مَا زَدْنَا عَلَى حَبْسِهِ ، فَإِنْ وَجَدْنَا
 لَهُ شَيْئًا أَخَذْنَاهُ ، وَإِنْ لَمْ نَقْدِرْ عَلَى مَالٍ تَرَكْنَاهُ . ثُمَّ سَارَ إِلَى دَارِهِ فَتَقَضَّيَهَا
 وَهَدَمَهَا ، وَكَانَ أَخُوهُ نَعِيمُ بْنُ هُبَيْرَةَ شَيْعِيًّا ، وَلَعَلِّيٌّ مُنَاصِحًا ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ
 مَصْفَلَةٌ مِنَ الشَّامِ مَعَ رَجُلٍ مِنَ النَّصَارَى مِنْ بَنِي تَغْلِبَ يُقَالُ لَهُ حُلُوان :
 أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي كَلَّمْتُ مُعَاوِيَةَ فِيكَ ، فَوَعَدَكَ الْإِمَارَةَ ، وَمِنَّاكَ الْكِرَامَةَ ،
 فَأَقْبِلْ إِلَى سَاعَةِ يَلْقَاكَ رَسُولِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ وَالسَّلَامُ .

٣٤٤١/١

فَأَخَذَهُ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْأَرْجَبِيُّ ، فَسَرَّحَ بِهِ إِلَى عَلِيٍّ ، فَأَخَذَ كِتَابَهُ
 فَقَرَأَهُ ، فَقَطَعَ يَدَ النَّصْرَانِيِّ ، فَاتَ ، وَكُتِبَ نُعَيْمٌ إِلَى أَخِيهِ مَصْفَلَةٌ :

لَا تَرْمِينِ هَذَاكَ اللَّهُ مُعْتَرِضًا بِالظَّنِّ مِنْكَ فَمَا بَالِي وَحُلُونَا!
 ذَاكَ الْحَرِيصُ عَلَى مَا نَالَ مِنْ طَمَعٍ وَهُوَ الْبَعِيدُ فَلَا يُحْزِنُكَ إِذْ خَانَا
 مَاذَا أَرَدْتَ إِلَى إِرْسَالِهِ سَفْهًا تَرْجُو سِقَاطَ امْرِئٍ لَمْ يُلَفَّ وَسَنَانَا
 عَرَضَتْهُ لِعَلِّيٍّ إِنَّهُ أَسَدٌ يَمْشِي الْعِرْضَنَةَ مِنْ آسَادِ خَفَّانَا^(١)
 قَدْ كُنْتُ فِي مَنْظَرٍ عَنْ ذَا وَمُسْتَمَعٍ تَحْمِي الْعِرَاقَ وَتُدْعَى خَيْرَ شَيْبَانَا

٣٤٤٢/١

(١) يمشي العرضنة : يعدو ليسبق غيره .

حَتَّى تَفَحَّمْتَ أَمْرًا كُنْتَ تَكْرَهُهُ
 لَوْ كُنْتَ أَدَيْتَ مَا لِلْقَوْمِ مُضْطَبِّرًا
 لَكِنْ لَحِقْتَ بِأَهْلِ الشَّامِ مُلْتَمِسًا
 فَالْيَوْمَ تَقْرَعُ سِنَّ الْغُرَمِ مِنْ نَدَمٍ^(٢)
 أَصْبَحْتَ تُبْغِضُكَ الْأَحْيَاءُ قَاطِبَةً
 لَمْ يَرْفَعْ اللَّهُ بِالْبَغْضَاءِ إِنْسَانًا
 فَلَمَّا وَقَعَ الْكِتَابُ إِلَيْهِ عَلِمَ أَنْ رَسُولَهُ قَدْ هَلَكَ ، وَلَمْ يَلْبِثِ التَّغْلِبِيُّونَ إِلَّا
 قَلِيلًا حَتَّى بَلَغَهُمْ هَلَاكُ صَاحِبِهِمْ حُلُوانَ ، فَأَتَوْا مُصْقَلَةً فَقَالُوا : إِنَّكَ بَعَثْتَ
 صَاحِبَنَا فَأَهْلَكَتَهُ ، فِيمَا أَنْ تُحْيِيَهُ وَإِمَّا أَنْ تَدِيَهُ ، فَقَالَ : أَمَّا أَنْ أُحْيِيَهُ
 فَلَا أَسْتَطِيعُ ، وَلَكِنِّي سَأَدِيهِ ؛ فَوَادَاهُ .

قال أبو مخنف : وحدثنى عبد الرحمن بن جندب ، قال : حدثني
 أبي ، قال : لما بلغ عليًّا مصابُ بنى ناجة وقتلُ صاحبهم قال : هوتُ أمه !
 ما كان أنقصَ عقله ، وأجرأه على ربه ! فإن جائيًا جاعني مرة فقال لي :
 في أصحابك رجالٌ قد خشيتُ أن يفارقوك ، فما ترى فيهم ؟ فقلت له :
 ٣٤٤٣/١ : إني لا آخذ على التهمة ، ولا أعاقب على الظن ، ولا أقاتل إلا من خالفني
 وناصبتي وأظهر لي العداوة ، ولست مقاتلته حتى أدعوه وأعذر إليه ، فإن
 تاب ورجع إلينا قبلنا منه ، وهو أخونا ، وإن أبى إلا الاعتزامَ على حربنا
 استعنا عليه الله ، وناجزناه . فكف عني ما شاء الله . ثم جاعني مرة أخرى
 فقال لي : قد خشيتُ أن يفسد عليك عبدُ الله بنُ وهب الراسبيّ وزيدُ بنُ
 حصين ، إني سمعتُهما يتدكرانك بأشياء لو سمعتها لم تفارقهما عليها حتى
 تقتلها أو توبقهما ، فلا تفارقهما من حبسك أبدًا ، فقلت : إني مستشيرك
 فيهما ، فماذا تأمرني به ؟ قال : فإنني أمرك أن تدعو بهما ، فتضرب رقابهما ،
 فعلمت أنه لا ورعٌ ولا عاقل ، فقلت : والله ما أظنك ورعًا ولا عاقلًا

(١) ابن الأثير : « مال القوم » ، بإضافة « مال » إلى ما بعده . وخفف « أحيانا » للشعر ،
 والأصل فيه « أحيانا » بالهمز .
 (٢) ابن الأثير : « سن العجز » .

نافعاً ، والله لقد كان ينبغي لك لو أردت قتلهم أن تقول : اتق الله ، لم تستحل قتلهم ولم يقتلوا أحداً ، ولم ينادوك ، ولم يخرجوا من طاعتك !

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة قُتِّم بن العباس من قبيل عليّ عليه السلام . حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكان قُتِّم يومئذ عامل عليّ على مكة ، وكان عليّ اليماني عبداً لله بن العباس ، وعلى البصرة عبد الله بن العباس .

واختلّف في عامله على خراسان فقيّل : كان خليل بن قرّة اليربوعي ، وقيل : كان ابن أبزي ؛ وأما الشام ومصر فإنه كان بهما معاوية وعمّاله .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

[ذكر ما كان فيها من الأحداث]

فما كان فيها من الأحداث المذكورة :

تفريق معاوية جيوشه في أطراف عليّ

فوجه النعمان بن بشير - فيما ذكر على بن محمد بن عوانة - في ألفي^(١) رجل إلى عين التمر ، وبها مالك بن كعب مسلحة على ألف رجل ، فأذن لهم ، فأتوا الكوفة ، وأتاه النعمان ، ولم يبق معه إلا مائة رجل ، فكتب مالك إلى عليّ يخبره بأمر النعمان ومن معه ، فخطب على الناس ، وأمرهم بالخروج ، فتناقلوا ، وواقع مالك النعمان ، والنعمان في ألفي رجل ومالك في مائة رجل ، وأمر مالك أصحابه أن يجعلوا جدار^(٢) القرية في ظهورهم ، واقتتلوا . وكتب إلى مخنف بن سليم يسأله أن يمدّه وهو قريب منه ، فقاتلهم مالك ابن كعب في العصابة التي معه كأشد القتال ، ووجه إليه مخنف ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلاً ، فانتهوا إلى مالك وأصحابه ، وقد كسروا جفون سيوفهم ، واستقتلوا ، فلما رأهم أهل الشام وذلك عند المساء ، ظنوا أن لهم مدداً وانهزموا ، وتبعهم مالك ، فقتل منهم ثلاثة نفر ، ومضوا على وجوههم .

* * *

حدثني عبد الله بن أحمد بن شبيب المروزي ، قال : حدثنا أبي ، قال :

حدثني سليمان ، عن عبد الله ، قال : حدثني عبد الله بن أبي معاوية ، عن عمرو بن حسان ، عن شيخ من بني فزارة ، قال : بعث معاوية النعمان بن بشير في ألفين ، فأتوا عين التمر ، فأغاروا عليها ، وبها عامل لعلّي يقال له ابن فلان الأرجبي في ثلثائة ، فكتب إلى عليّ يستمده ، فأمر الناس أن ينهضوا إليه ، فتناقلوا ، فصعد المنبر ، فأنهت إليه وقد سبقته بالشهد وهو يقول :

(١) ابن الأثير والنويري : « ألف » . (٢) الجدر : الحائط .

يا أهل الكوفة ، كلّمنا سمعتم بمنسّر من مناسر^(١) أهل الشام أظلمكم وأغلق بابّه انجسّ حرّ كلّ امرئ منكم في بيته انجحار الضبّ في جُحره والضبيّ في وِجارِها ؛ المغرورُ من غررتموه ، ولمنّ فازَ بكم فاز بالسهم الأخيب . لا أحرارٌ عند النداء ، ولا إخوانٌ ثقة عند النجاء ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! ماذا مُنيتُ به منكم ! عَمِي لا تُبصِّرون ، وبُكُمْ لا تنطقون ، وصُمُّ لا تَسْتَمعون^(٢) إنا لله وإنا إليه راجعون .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عوانة . قال : وجهه معاوية في هذه السنة سُفْيَان بن عوف في ستة آلاف رجل ، وأمره أن يأتي هِيت فيقطعها ، وأن يُغيّرَ عليها ، ثم يمضي حتى يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها ، فسار حتى أتى هِيت فلم يجد بها أحداً ، ثم أتى الأنبار وبها مسلّحة لعلّ تكون خمسمائة رجل ، وقد تفرّقوا فلم يبقَ منهم إلا مائة رجل ، فقاتلهم ، فصبر لهم أصحابُ عليّ مع قلتهم ، ثم حملت عليهم الخيلُ والرّجالُ ، فقتلوا صاحبَ المسلّحة ، وهو أشرسُ بن حِسان البكريّ في ثلاثين رجلاً ، واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال وأموال أهلها ، ورجعوا إلى معاوية . وبلغ الخبر عليّاً ، فخرج حتى أتى النُخَيْلَةَ ، فقال له الناس : نحن نكفيك ؛ قال : ما تكفوني ولا أنفسكم ؛ وسرّح سعيد ابن قيس في أثر القوم ، فخرج في طلبهم حتى جاز هِيت ، فلم يلحقهم فرجع .

٣٤٤٦/١

* * *

قال : وفيها وجه معاوية أيضاً عبد الله بن مسعدة الفزاريّ في ألف وسبعمئة رجل إلى تَيْمَاء ، وأمره أن يُصدّق^(٣) من مرّ به من أهل البوادي ، وأن يقتل من امتنع من عطائه صدقة ماله ، ثم يأتي مكة والمدينة والحجاز ،

(١) المنسر : قطعة من الجيش تكون قدام الجيش الكبير .

(٢) ابن الأثير : « يبصرون . ينطقون . يسمعون »

(٣) المصدق : هو الذي يجمع الصدقات .

يفعل ذلك ، واجتمع إليه بشرٌ كثيرٌ من قومه ، فلما بلغ ذلك علياً وجه المسيب
ابن نجبة الفزاري^(١) ، فسار حتى لحق ابن مسعدة بتيسماء ، فاقتلوا ذلك
اليوم حتى زالت الشمس قتلاً شديداً ، وحمل المسيب على ابن مسعدة فضربه
ثلاث ضربات ، كل ذلك لا يلتبس قتله ويقول له : النجاء النجاء ! فدخل
ابن مسعدة وعامة من معه الحصن ، وهرّب الباقون نحو الشام ، وانتهب
الأعراب لابل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة ، وحصره ومن كان معه
المسيب ثلاثة أيام ، ثم ألقى الخطب على الباب ، وألقى النيران فيه ، حتى
احترق ، فلما أحسوا بالهلاك أشرفوا على المسيب فقالوا : يا مسيب ، قومك !
فرق لهم ، وكره هلاكهم ، فأمر بالنار فأطفئت ، وقال لأصحابه : قد
جاءتني عيون فأخبروني أن جنداً قد أقبل إليكم من الشام ، فانضموا في مكان
واحد . فخرج ابن مسعدة في أصحابه ليلاً حتى لحقوا بالشام ، فقال له
عبد الرحمن بن شبيب : سربنا في طلبهم ، فأبى ذلك عليه ، فقال له :
غششت أمير المؤمنين وداهنت في أمرهم .

* * *

وفيها أيضاً وجه معاوية الضحّاك بن قيس ، وأمره أن يمرّ بأسفل واقصة ،
وأن يغير على كل من مرّ به ممن هو في طاعة عليّ من الأعراب ، ووجه
معه ثلاثة آلاف رجل ، فسار فأخذ أموال الناس ، وقتل من لقي من الأعراب ،
ومرّ بالعلبية فأغار على مسالح عليّ ، وأخذ أمتعتهم ، ومضى حتى انتهى إلى
القطّقطانة ، فأتى عمرو بن عيسى بن مسعود ، وكان في خيل لعلّي وأمامه
أهله ، وهو يريد الحجّ ، فأغار على من كان معه ، وحبسه عن المسير ، فلما
بلغ ذلك علياً سرّح حُجْر بن عدى الكندي في أربعة آلاف ، وأعطاهم
خمسين خمسين ، فلاحق الضحّاك بتدْمُر فقتل منهم تسعة عشر رجلاً ،
وقتل من أصحابه رجلان ، وحال بينهم الليل ، فهرب الضحّاك وأصحابه ،
ورجع حُجْر ومن معه .

* * *

(١) بعدها في ابن الأثير والنويري : « في ألف رجل » .

وفيها سار معاوية بنفسه إلى دجلة حتى شارفها ، ثم نكص راجعاً ، ذكر ذلك ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثني ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة قال : لما كانت سنة تسع وثلاثين أشرف عليها معاوية . وحدثني أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر مثله .

* * *

واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة ، فقال بعضهم : حج بالناس فيها عبید الله بن عباس من قبل علي . وقال بعضهم : حج بهم عبد الله ابن عباس ؛ فحدثني أبو زيد عمر بن شبة ، قال : يقال إن علياً وجه ابن عباس ليشهد الموسم ويصلي بالناس في سنة تسع وثلاثين ، وبعث معاوية يزيد ابن شجرة الرهاوي .

٢٤٤٨/١

قال : وزعم أبو الحسن أن ذلك باطل ، وأن ابن عباس لم يشهد الموسم في عمل حتى قُتِل علي عليه السلام ؛ قال : والذي نازعه يزيد بن شجرة قُتِم ابن العباس ، حتى إنهما اصطلحا على شية بن عثمان ، فصلى بالناس سنة تسع وثلاثين . وكالذي حكيت عن أبي زيد عن أبي الحسن ، قال أبو معشر في ذلك : حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي ، عمن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى عنه . وقال الواقدي : بعث علي على الموسم في سنة تسع وثلاثين عبید الله بن عباس ، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي ليقم للناس الحج ، فلما اجتماعاً بمكة تنازعا ، وأبى كل واحد منهما أن يسلم لصاحبه ، فاصطلحا على شية بن عثمان بن أبي طلحة .

* * *

وكانت عمال علي في هذه السنة على الأمصار الذين ذكرنا أنهم كانوا عماله في سنة ثمان وثلاثين غير ابن عباس ، كان شَخَصَ في هذه السنة عن عمله بالبصرة ، واستخلف زياداً — الذي كان يقال له : زياد بن أبيه — على الخراج ، وأبا الأسود الدؤلي على القضاء .

[ذكر توجيه ابن عباس زياداً إلى فارس وكرمان]

وفي هذه السنة وجه ابن عباس زياداً عن أمر عليّ إلى فارس وكرمان عند منصرفه من عند عليّ من الكوفة إلى البصرة .

٣٤٤٩/١

• ذكر سبب توجيهه إياه إلى فارس :

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ؛ قال : لما قتل ابن الحضرميّ واختلف الناسُ على عليّ ، طمّيع أهلُ فارس وأهلُ كَرَمَانَ في كسر الخراج ، فغلب أهلُ كل ناحية على ما يليهم ، وأخرجوا عمّالهم .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو القاسم ، عن سَلَمَةَ بن عثمان ، عن عليّ بن كثير ، أن عليّاً استشار الناسَ في رجلٍ يولّيه فارسَ حين امتنعوا من أداء الخراج ، فقال له جارية بن قدامة : ألا أدلك يا أمير المؤمنين على رجل صليب الرأي ، عالم بالسياسة ، كاف لِمَا ولى ؟ قال : مَنْ هو ؟ قال : زياد ؛ قال : هو لها ؛ فولّاه فارسَ وكرمان ، وجهته في أربعة آلاف ، فلوخ تلك البلاد حتى استقاموا .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن عليّ بن مجاهد ، قال : قال الشعبي : لما انتقض أهلُ الجبال وطمع أهلُ الخراج في كسره ، وأخرجوا سهلَ بن حنيف من فارسَ - وكان عاملاً عليها لعلّي - قال ابن عباس لعلّي : أكفيك فارسَ ؛ فقدم ابنُ عباس البصرة ، وجهه زياداً إلى فارسَ في جمع كثير ، فوطئ بهم أهلُ فارس ، فأدّوا الخراج .

حدثني عمر ، قال : حدثني أبو الحسن ، عن أيّوب بن موسى ، قال : حدثني شيخٌ من أهلِ إصطخر قال : سمعتُ أبي يقول : أدركتُ زياداً وهو أميرٌ على فارسَ وهي تضرَم ناراً ، فلم يزل بالمُدّارة حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من الطاعة والاستقامة ، لم يقف موقفاً للحرب ، وكان أهلُ فارسَ يقولون : ما رأينا سيرةً أشبه بسيرة كِسْرَى أنو شِروان من سيرة هذا العربي في اللين والمُدّارة والعلم بما يأتي .

قال : ولما قدم زياد فارسَ بعث إلى رؤسائها ، فوجد من نصره ومنّاه ،
 وخوفَ قوماً وتوعّدهم ، وضرب بعضهم ببعض ، ودلّ بعضهم على عورةِ
 بعض ، وهربت طائفة ، وأقامت طائفة ، فقتل بعضهم بعضاً ، وصفت له
 فارس ، فلم يلتقَ فيها جمعاً ولا حرباً ، وفعل مثلَ ذلك بكثراً ، ثم
 رجع إلى فارسَ ، فسار في كُورها ومنّاهم ، فسكنَ الناسُ إلى ذلك ،
 فاستقامت له البلاد ، وأتى إصطخَرَ فتنها وحصنَ قلعةً بها ما بين بيضاء
 لإصطخَر وإصطخَر ، فكأت تسمى قلعةَ زياد ، فحمل إليها الأموال ،
 ثم تحصنَ فيها بعد ذلك منصور اليشكري ، فهي اليوم تسمى قلعةَ منصور.

ثم دخلت سنة أربعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك توجيه معاوية بـسـر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز .

فذكر عن زياد بن عبد الله البكائي ، عن عوانة ، قال : أرسل معاوية ابن أبي سفيان بعد تحكيم الحكمين بـسـر بن أبي أرطاة — وهو رجل من بني عامر بن لؤي في جيش — فساروا من الشام حتى قدموا المدينة ، وعامل

٣٤٥١/١

عليّ على المدينة يومئذ أبو أيوب الأنصاري ، ففرّ منهم أبو أيوب ، فأتي عليّاً بالكوفة ، ودخل بـسـر المدينة ؛ قال : فصعد منبرها ولم يقاتله بها أحد ، فنادى على المنبر : يا دينار ، ويا نجار ، ويا زريق ، شـيـخـي شـيـخـي ! عهدى به بالأمس ، فأين هو ! يعني عثمان ، ثم قال : يا أهل المدينة ، والله لولا ما عهد إلى معاوية ما تركتُ بها محتليماً إلا قتلته . ثم بايع أهل المدينة ، وأرسل إلى بني سليمة ، فقال : والله ما لكم عندي من أمان ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله ، فانطلق جابر إلى أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها : ماذا تريين ؟ إنّي قد خشيتُ أن أقتل ، وهذه بيعة ضلالة ، قالت : أرى أن تبائع ، فلإني قد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع ، وأمرتُ ختنتي عبد الله بن زَمْعَةَ — وكانت ابنتها زينب ابنة أبي سلمة عند عبد الله بن زَمْعَةَ فأتاه جابر فبايعه ، وهدم بـسـر دُوراً بالمدينة ، ثم مضى حتى أتى مكة ، فخافه أبو موسى أن يقتله ، فقال له بـسـر : ما كنتُ لأفعل بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ؛ فخلّى عنه ، وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى اليَمَن : إن خيلاً مبعوثاً من عند معاوية تقتل الناس ، تقتل من أبي أن يقرّ بالحكومة . ثم مضى بـسـر إلى اليَمَن ، وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملاً لعلّي ، فلما بلغه مسيره فرّ إلى الكوفة حتى أتى عليّاً ، واستخلف عبد الله بن عبد المَدان الحارثي على اليَمَن ، فأتاه بـسـر

٣٤٥٢/١

فقتله وقتل ابنه ، ولقي بُسْرُ ثَقَلْ عبيد الله بن عباس . وفيه ابنان له صغيران ، فذبّحهما . وقد قال بعض الناس : إنه وجد ابني عبيد الله بن عباس عند رجل من بني كنانة من أهل البادية ، فلما أراد قتلتهما قال الكناني : علامَ تَقْتُلْ هذين ولا ذنب لهما ! فإن كنتَ قاتِلَهُما فاقتلني ، قال : أفعل ؛ فبدا بالكناني فقتله ، ثم قتلتهما ثم رجع بُسْرُ إلى الشام . وقد قيل : إن الكناني قاتل عن الطفلين حتى قُتِلَ ، وكان اسمُ أحدِ الطفلين اللذين قتلتهما بُسْرُ : عبد الرحمن ، والآخر قُشَم . وقتل بُسْرُ في مسيره ذلك جماعة كثيرة من شيعة علي باليمن . وبلغ علياً خبرُ بُسْرُ ، فوجّه جارية بن قدامة في ألفين ، وهوب بن مسعود في ألفين ، فسار جارية حتى أتى نَجْرَانَ فحرق بها ، وأخذ ناساً من شيعة عثمان فقتلهم ، وهرب بُسْرُ وأصحابه منه ، وأتبعهم حتى بلغ مكة ، فقال لهم جارية : بايعونا ؛ فقالوا : قد هلك أمير المؤمنين ، فليمن نبايع ؟ قال : لمن بايعَ له أصحابُ علي ، فثناقلوا ، ثم بايعوا . ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلّي بهم ، فهرب منه ، فقال جارية : والله لو أخذتُ أبا سِنُورَ لضربتُ عنقه ، ثم قال لأهل المدينة : بايعوا الحسن بن علي ؛ فبايعوه وأقام يومه ، ثم خرج منصرفاً إلى الكوفة ، وعاد أبو هريرة فصلّى بهم .

* * *

وفي هذه السنة — فيما ذكر — جرت بين علي وبين معاوية المهادنة — بعد مكاتبات جرت بينهما يطول بذكرها الكتاب — على وضع الحرب بينهما ، ويكون لعليّ العراق ومعاوية الشام ، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو .

٢٤٥٣/١

قال زياد بن عبد الله ؛ عن أبي إسحاق : لما لم يعط أحدُ الفريقين صاحبه الطاعة كتب معاوية إلى علي : أما إذا شئتَ فلك العراق ولي الشام ، وتكفّ السيف عن هذه الأمة ، ولا تُهَرِّيق دماء المسلمين ؛ ففعل ذلك ، وتراضياً على ذلك ، فأقام معاوية بالشام بجنوده يسجّيبها وما حولها ، وعليّ بالعراق يسجّيبها ويقسمها بين جنوده .

* * *

[خروج ابن عباس من البصرة إلى مكة]

وفيهما خرج عبدُ الله بن العباس من البصرة ولحق مكة في قول علامة أهل السَّيَر ، وقد أنكر ذلك بعضُهم ، وزعم أنه لم يزل بالبصرة عاملاً عليها من قبيل أمير المؤمنين على عليه السلام حتى قُتِل ، وبعد مقتل على حتى صالح الحسن معاوية ، ثم خرج حينئذ إلى مكة .

• ذكر الخبر عن سبب شخوصه إلى مكة وتركه العراق :

حدثني عمرُ بنُ شُبّة ، قال : حدثني جماعة عن أبي مخنف ، عن سليمان ابن أبي راشد^(١) ، عن عبد الرحمن بن عُبَيْدِ أبي الكُنُود ، قال : مرَّ عبدُ الله بنُ عباس على أبي الأسود الدَّؤليّ ، فقال : لو كنت من البهائم كنت جَمَلاً ، ولو كنت راعياً ما بلغت من المرعى ، ولا أحسنت مهنته في المشي . قال : فكتب أبو الأسود إلى عليّ :

أما بعد ، فإنَّ الله جلَّ وعلا جعلك والياً مؤتمناً ، وراعياً مستولياً ، وقد بلوناك فوجدناك عظيمَ الأمانة ، ناصحاً للرعية ، توفّر لهم فيئتهم ، وتُظَلِّفُ^(٢) نفسك عن دنياهم ، فلا تأكل أموالهم ، ولا ترتشي في أحكامهم . وإنَّ ابنَ عمِّك قد أكل ما تحت يديه بغيرِ علمك ، فلمَ يسعني كتمانك ذلك ، فانظر رحمك الله فيما هناك ، واكتب إلى برأيك فيما أحببت أنته إليك . والسلام .

فكتب إليه عليّ : أما بعد ، فثلك نصيح الإمام والأمة ، وأدّى الأمانة ، ودلَّ على الحق ، وقد كتبتُ إلى صاحبك فيما كتبتُ إلى فيه من أمره ، ولم أعلمه أنك كتبت ، فلا تدع إعلامي بما يكون بحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاح ، فإنك بذلك جدير ، وهو حقٌّ واجب عليك ؛ والسلام^(٣) .

وكتب إلى ابن عباس في ذلك ، فكتب إليه ابنُ عباس : أما بعد ، فإن الذي بلغك باطل ، وإني لِمَا تحت يدي ضابط قائم له وله حافظ ، فلا تصدِّق الظُّنُون ؛ والسلام .

قال : فكتب إليه عليّ : أما بعد ، فأعلمني ما أخذت من الجزية ،

(١) ساقطة من ط . (٢) ابن الأثير : « وتكف » ، وتظلف : تمنع .

(٣) الخبر في طبقات النعمان والفرسين للزبيدي : ١٦ .

ومِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ ؟ وَفِيمَ وَضَعْتَ ؟

قال : فكتب إليه ابنُ عباس : أما بعد ، فقد فهمتُ تعظيمَكَ مَرَزَأَةَ ما بلغكَ أنِّي رَزَأْتُهُ^(١) من مالِ أَهْلِ هذا البلد ، فأبعثْ إلى عملِكَ مَنْ أَحْبَبْتَ ، فَإِنِّي ظَاعِنٌ عَنْهُ . والسلام .

ثم دعا ابن عباس أخوانَه بنِي هلال بن عامر ، فجاءه الضحَّاك بن عبد الله وعبد الله بن رَزِينَ بن أبي عمرو والهلاليَّان ، ثم اجتمعت معه قيس كلُّها فحمل مالا .

قال أبو زيد : قال أبو عبيدة : كانت أَرْزاقًا قد اجتمعت ، فحمل معه مقدار ما اجتمع له ، فبعثت الأخماس كلها ، فلحقوه بالطَّفِّ ، فتواقَفُوا يريدون أخذَ المال ، فقالت قيس : والله لا يُوصَلُ إلى ذلك وفينا عينٌ تَطْرِفُ . وقال صبرة بن شيان الحُدَّانِي : يا معشرَ الأَزْد ، والله إن قيسًا لإخواننا في الإسلام ، وجيراننا في الدار ، وأَعواننا على العدو ، وإن الذي يصيبكم من هذا المال لو رُدَّ عليكم لقليل ، وهم غداً خَيْرٌ لكم من المال . قالوا : فما ترى ؟ قال : انصرفوا عنهم ودَعُوهم ، فأطاعوه فانصرفوا ؛ فقالت بكر وعبد القيس : نعم الرَّأْيُ رَأْيُ صَبْرَةٍ لقومه ، فاعتزلوا أيضًا ، فقالت بنو تميم : والله لا نفارقهم ؛ نقاتلهم عليه . فقال الأحنف : قد ترك قتالهم من هو أبعدُ منكم رَحِمًا ؛ فقالوا : والله لنقاتلنهم ؛ فقال : إذا لا أساعدكم عليهم ، فاعتزلهم ؛ قال : فرأسوا عليهم ابن المُجَاعَةِ من بني تميم ، فقاتلوهم ، وحمل الضحَّاك على ابن المُجَاعَةِ فطعنه ، واعتنقه عبد الله بن رَزِينَ ، فسَقَطَا إلى الأرض يعتَرِ كان ، وكثرت الجراح فيهم ، ولم يكن بينهم قتيل ؛ فقالت الأخماس : ما صنعنا شيئًا ، اعتزلناهم وتركناهم يتحاربون ، فضرَبوا وجوهَ بعضهم عن بعض ، وقالوا لبني تميم : لنحن أسخى منكم أنفسًا حين تركنا هذا المال لبني عَمِّكم ، وأنتم تقاتلونهم عليه ، إن القوم قد حَمَلُوا وَحُمُوا ، فخلَّوهم ، وإن أحببتهم فانصرفوا . ومضى ابنُ عباس ومعه نحو من عشرين رجلًا حتى قدِمَ مَكَّةَ .

وحدثني أبو زيد، قال : زعم أبو عبيدة - ولم أسمعه منه - أن ابن عباس لم يبرح من البصرة حتى قُتل على عليه السلام ، فشخص إلى الحسن ، فشهد الصلحَ بينه وبين معاوية ، ثم رجع إلى البصرة وثَقَلَهُ بها ، فَحَمَلَهُ ومالاً من بيت المال قليلاً ؛ وقال : هي أرزاق .

قال أبو زيد : ذكرتُ ذلك لأبي الحسن فأَنكَرَهُ ، وزعمَ أن علياً قُتل وابن عباس بمكة ، وأن الذي شهد الصلح بين الحسن ومعاوية عبيدُ الله بن عباس .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل علي بن أبي طالب]

وفي هذه السنة قُتِلَ علي بن أبي طالب عليه السلام ، واختلف في وقت قتله ، فقال أبو معشر ما حدثني به أحمد بن ثابت ، قال : حدثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : قُتل علي في شهر رمضان يوم الجمعة لسبع عشرة خلت منه سنة أربعين ، وكذلك قال الواقدي ، حدثني بذلك الحارث ، عن ابن سعد عنه ، وأما أبو زيد فحدثني عن علي بن محمد أنه قال : قُتِلَ علي بن أبي طالب بالكوفة يوم الجمعة لإحدى عشرة . قال : ويقال : لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين . قال : وقد قيل في شهر ربيع الآخر سنة أربعين .

* ذكر الخبر عن سبب قتله ومقتله :

حدثني موسى بن عثمان^(١) بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : حدثنا عبد الرحمن الحرّاني أبو عبد الرحمن ، قال : أخبرنا إسماعيل بن راشد ، قال : كان من حديث ابن ملجم وأصحابه أن ابن ملجم والبُرَك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا ، فتذاكروا أمرَ الناس ، وعابوا على ولاتهم^(٢) ، ثم ذكروا أهلَ النهر ، فترحموا عليهم ، وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً ! إخواننا الذين كانوا دُعاةً للناس لعبادة ربهم ، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فلو شَرَرْنَا أنفسنا فأَتَيْنَا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم ، فأرحنا منهم

(١) ساقط من ط .

(٢) ابن الأثير : « عمل ولاتهم » .

البلاد ، وثأرنا بهم لإخواننا ! فقال ابن ملجَم : أنا أكفيكم على بن أبي طالب - وكان من أهل مصر - وقال أنبُرك بن عبد الله : أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان ؛ وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عمرو بن العاص . فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونَه . فأخذوا أسيافهم ، فسمُّوها ، واتَّعَدُوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يشبَّ كلُّ واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه ، وأقبل كل رجل منهم إلى المِصرِ الذي فيه صاحبه الذي يطلب .

فأما ابن ملجَم المرادى فكان عِداده في كِنْدَةَ ، فخرج فلقى أصحابَه بالكوفة ، وكاتَمهم أمرَه كراهة أن يَظهروا شيئاً من أمره ، فإنه رأى ذات يوم أصحاباً من تَيم الرُّباب - وكان على قَتْل منهم يوم النهر عشرة - فذكروا قَتْلَهم ، ولقى من يومه ذلك امرأة من تيم الرُّباب يقال لها : قِطَام ابنة الشَّجْنَةِ وقد قَتَلَ أباه وأخاه يوم النهر ، وكانت فائقة الجمال - فلما رآها التبست بعقله ، ونسى حاجتَه التي جاء لها ؛ ثم خطبها ، فقالت : لا أترَوِّجك حتى تشفى لي قال : وما يشفيك ؟ قالت : ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل على بن أبي طالب ، قال : هو مهرٌ لك ، فأما قتل على فلا أراك ذكرته لي وأنت تريدني^(١) ! قالت : بلى ، التمس غرته ، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي ، ويَهْنِثُكَ العيشُ معي ، وإن قُتِلت فما عند الله خيرٌ من الدنيا وزينتها وزينة أهلها ؛ قال : فوالله ما جاء بي إلى هذا المِصرِ إلا قتلُ على ، فلك ما سألت . قالت : إني أطلب لك من يُسند ظهرك ، ويساعدك على أمرك ، فبعثتُ إلى رجل من قومها من تَيم الرُّباب يقال له : وَرْدَان فكلَّمته فأجابها ، وأتى ابن ملجَم رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بَجْرَة فقال له : هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : قتلُ على بن أبي طالب ؛ قال : ثكلتك أمُّك ! لقد جئت شيئاً إداً ، كيف تقدر على على ! قال : أكنن له في المسجد ، فإذا خرج لصلاة الغداة شدَدنا عليه فقتلناه ، فإن نجونا شفيْنَا أنفسنا ، وأدركنا ثأرنا ، وإن قُتِلنا فما

٣٤٥٨/١

عند الله خيرٌ من الدنيا وما فيها . قال : وَيَحْك ! لو كان غير عليٍّ لكان أهونَ عليٍّ ، قد عرفتَ بلاءه في الإسلام ، وسابقتَه مع النبي صلى الله عليه وسلم وما أجدني أنشرح لقتله . قال : أما تعلم أنه قتل أهلَ النهر العباد الصالحين ! قال : بلى ، قال : فنقتله بمن قُتِل من إخواننا ، فأجابه — فجاءوا قِطَام — وهى في المسجد الأعظم معتكفة — فقالوا لها : قد أجمع رأينا على قتل عليٍّ ؛ قالت : فإذا أردتم ذلك فأتوني ، ثم عاد إليها ابن ملجَم في ليلة الجمعة التي قُتِل في صبيحتها على سنة أربعين — فقال : هذه الليلة التي واعدتُ فيها صاحبي أن يقتل كلَّ منا صاحبه ، فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به ، وأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها عليٌّ ، فلما خرج ضربه شبيبٌ بالسيف . فوقع سيفه بعضادة^(١) الباب أو الطاق ، وضربه ابن ملجَم في قَرْنه بالسيف ، وهرب وردان حتى دخل منزله ، فدخل عليه رجل من بني أبيه وهو يتزع الحرير عن صدره ، فقال : ما هذا الحرير والسيف ؟ فأخبره بما كان وانصرف فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قَتَلَه ، وخرج شبيب نحو أبواب كِنْدَةَ في الغلَس ، وصاح الناس ، فلحقه رجل من حضرموت يقال له عُوَيْمَر ، وفي يد شبيب السيف ، فأخذه ، وجثم عليه الحضرمي ، فلما رأى الناس قد أقبلوا في طلبه ، وسيف شبيب في يده ، خشي على نفسه ، فتركه ، ونجا شبيب في غمار الناس ، فشدوا على ابن ملجَم فأخذوه ، إلا أن رجلاً من هَمْدَان يُكْنَى أبا أدْماء أخذ سيفه فضرب رجله ، فصبرَّعه ، وتأخر عليٌّ ، ورفع في ظهره جَعْدَةَ بن هبيرة بن أبي وهب ، فصلت بالناس الغداة ، ثم قال عليٌّ : عليٌّ بالرجل ، فأدْخِل عليه ، ثم قال : أى عدو الله ، ألم أحسن إليك ! قال : بلى ، قال : فما حملك على هذا ؟ قال : شحذته أربعين صباحاً ، وسألت الله أن يقتل به شرَّ خلقه ؛ فقال عليه السلام : لا أراك إلا مقتولاً به ، ولا أراك إلا مِن شرِّ خلقه .

وذكروا أن ابن ملجَم قال قبل أن يضرب عليّاً — وكان جالساً في بني بكرٍ ابن وائل إذ مرَّ عليه بجنّازة أيجر بن جابر العجليّ — أبى حجّار ، وكان نصرانيّاً ،

(١) عضادة الباب : الخشبة المنصوبة عن يمين الداخل أو شماله .

(٢) ابن الأثير والنويري : « من أهله » .

والنصارى حولته ، وأناس مع حجارٍ لمتزلته فيهم يمشون في جانب وفيهم شقيق ابن ثور — فقال ابن ملجم : ما هؤلاء ؟ فأخبر الخبر ، فأنشأ يقول :

لئن كان حجارُ بنُ أبجرَ مُسليماً لقد بُوعِدَتْ منه جنازةُ أبجرِ
وإن كان حجارُ بنُ أبجرَ كافرأ فما مثْلُ هذا من كفورٍ بمُنكرِ
أترضونَ هذا أنْ قينسأ ومُسلماً جميعأ لدى نعشٍ ، فيأقبَحَ منظرأ!
فلولا اللذی أنوی لفرقتُ جمعهم بأبيضِ مَصقولِ الدياسِ مشهرِ
ولكننی أنوی بِذاك وسیلةً إلى الله أو هذا فخذْ ذاك أو ذرِ

وذكر أن محمد بن الحنفية ، قال : كنتُ والله إني لأصلّي تلك الليلة التي ضرب فيها عليّ في المسجد الأعظم ، في رجال كثير من أهل المِصر ، يصلون قريباً من السدة ، ما هم إلا قيام وركوعٌ وسجود ، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره ، إذ خرج عليّ لصلاة الغداة ، فجعل ينادي : أيها الناس ، الصلاة الصلاة ! فما أدري أخرج من السدة فتكلّم بهذه الكلمات أم لا ! فنظرتُ إلى بريق ، وسمعتُ : الحكمُ لله يا عليّ لا لك ولا لأصحابك ، فرأيتُ سيفاً ، ثم رأيتُ ثانياً ، ثم سمعتُ عليّاً يقول : لا يفوتنكم الرجل ، وشدّ الناس عليه من كل جانب . قال : فلم أبرح حتى أخذ ابنُ ملجم وأدخل عليّ ، فدخلتُ فيمن دخل من الناس ، فسمعتُ عليّاً يقول : النفس بالنفس ، إن أنا ميتٌ فاقتلوه كما قتلتي ، وإن بقيتُ رأيتُ فيه رأيي .

٢٤٦١/١

وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر عليّ ، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوفٌ بين يديه ، إذ نادته أمٌ كلثوم بنت عليّ وهي تبكي : أي عدو الله ، لا بأسَ على أبي ، والله مخزبك ! قال : فعلى من تبكين ؟ والله لقد اشتريته بألف ، وسممته بألف ، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المِصر ما بقي منهم أحد .

وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على عليّ فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن فقّدناك — ولا نفقّدك — فنبايع الحسن ؟ فقال : ما أمركم

ولا أنهاكم ، أنتم أبصر . فردّ عليه مثلها ، فدعا حسناً وحسيناً ، فقال :
أوصيكما بتقوى الله ، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على
شيء زوى عنكما ، وقولاً الحق ، ورحماً اليتيم ، وأغنياً الملهوف ، واصنعاً
للآخرة ، وكوناً للظالم خصماً ، وللمظلوم ناصراً ، وأعملاً بما في الكتاب ^(١) ،
ولا تأخذ كما في الله لومة لائم . ثم نظر إلى محمد بن الحنفية ، فقال : هل حفظت
ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم ، قال : فإني أوصيك بمثله ، وأوصيك
بتقوية أخويك ، لعظيم حقهما عليك ، فاتبع أمرهما ، ولا تقطع أمراً دونهما .
ثم قال : أوصيكما به ، فإنه شقيقكما ، وابن أبيكما ، وقد علمنا أن أبا كما
كان يحبه . وقال للحسن : أوصيك أي بني بتقوى الله ، وإقام الصلاة لوقتها ،
وإيتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء ، فإنه لا صلاة إلا بطهور ، ولا تقبل
صلاة من مانع زكاة ، وأوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة
الرحيم ، والحلم عند الجهل ، والتفقه في الدين ، والتثبت في الأمر ، والتعاهد
للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واجتناب
الفواحش .

فلما حضرته الوفاة أوصى ، فكانت وصيته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب ، أوصى
أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ،
أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . ثم إن
صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت
وأنا من المسلمين ؛ ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم ،
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فإني
سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « إن صلاح ذات البين أفضل من
عامّة الصلاة والصيام » ! انظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم
الحساب ، الله الله في الأيتام ، فلا تعنوا أفواههم ، ولا يضيعن بحضرتكم .
والله الله في جيرانكم ، فإنهم وصية نبيكم صلى الله عليه وسلم ، ما زال يوصي

(١) ابن الأثير : « كتاب الله » .

به حتى ظننا أنه سيورثه . والله الله في القرآن ؛ فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم ، والله الله في الصلاة ، فلأنتم أعمود دينكم . والله الله في بيت ربكم فلا تخلّوه ما بقيتم ، فإنه إن تترك لم يناظر ، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، والله الله في الزكاة ، فإنها تطوع غضب الرب ، والله الله في ذمة نبيكم ، فلا يظلمن بين أظهركم ، والله الله في أصحاب نبيكم ، فإن رسول الله أوصى بهم ، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم ، والله الله فيما ملكت أيمانكم . الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم ، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم . وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تتشركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّي الأمر شريككم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم . وعليكم بالتواصل والتباضل ، وليناكم والتدابير والتقاطع والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب . حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ فيكم نبيكم . أستودعكم الله ، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله .

ثم لم ينطق إلا « بلا إله إلا الله » حتى قبض رضى الله عنه ، وذلك في شهر رمضان سنة أربعين ، وغسله ابنه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ، وكبر عليه الحسن تسع تكبيرات ، ثم ولي الحسن ستة أشهر .

وقد كان على نهى الحسن عن المشلة ، وقال : يا بنى عبد المطلب ، لا ألفينكم نخوضون دماء المسلمين ، تقولون : قتل أمير المؤمنين ، قتل أمير المؤمنين ! ألا لا يقتلن إلا قاتلي . انظر يا حسن ، إن أناميت من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثل بالرجل ، فلما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إياكم والمشلة ، ولو أنها بالكلب العقور » . فلما قبض عليه السلام بعث الحسن إلى ابن ملجم ، فقال للحسن : هل لك في خصلة ؟ إني والله ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به ، إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما ، فإن شئت خلّيت بيني وبينه ، ولك الله على إن لم أقتله أو قتلته ثم بقيت — أن آتيك

حتى أضاع يدي في يدك . فقال له الحسن : أما والله حتى تعاین النار فلا . ثم قدّمه فقتلته ، ثم أخذه الناس فأدرجوه في بوارى ، ثم أحرّقوه بالنار .

وأما البرك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة التي ضرب فيها عليّ قعد لمعاوية ، فلما خرج ليصلي الغداة شدّ عليه بسيفه ، فوقع السيف في أليته ، فأخذ ، فقال : إنّ عندى خيراً أسيرك به ، فإن أخبرتك فنافعى ذلك عندك ؟ قال :

نعم ، قال : إنّ أنا لي قتل عليّاً في مثل هذه الليلة ، قال : فلعله لم يقدّر على ذلك ! قال : بلى ، إنّ عليّاً يخرج ليس^(١) معه من يجرّسه ، فأمر به معاوية فقتل . وبعث معاوية إلى الساعديّ - وكان طبيباً - فلما نظر إليه قال : اختر إحدى خصلتين : إما أن أحميّ حديدَةً فأضعها موضع السيف ، وإما أن أسقيك شربةً تنقطع منك الولد ، وتبرأ منها ، فإنّ ضربتك مسمومة ، فقال معاوية : أمّا النار فلا صبر لي عليها ، وأما انقطاع الولد فإنّ في يزيد وعبد الله ما تقرّ به عيني . فسقاه تلك الشربة فبرأ ، ولم يولد له بعدها ، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرّس الليل وقيام الشرطّة على رأسه إذا سجّد .

وأما عمرو بن بكر فجلس لعمر بن العاص تلك الليلة ، فلم يخرج ، وكان اشتكى بطنه ، فأمر خارجه بن حذافة ، وكان صاحب شرطته ، وكان من بني عامر بن لؤي ، فخرج ليصلي ، فشدّ عليه وهو يرى أنه عمرو ، فصرّبه فقتله ، فأخذه الناس ، فانطلقوا به إلى عمرو يسلمون عليه بالإمرة ، فقال : من هذا ؟ قالوا : عمرو ، قال : فمن قتلتي ؟ قالوا : خارجه بن حذافة ، قال : أمّا والله يا فاسق ما ظننته غيرك ، فقال عمرو : أردتني وأراد الله خارجه ، فقدّمه عمرو فقتلته ، فبلغ ذلك معاوية ، فكتب إليه :

وقتل وأسباب المنايا كثيرة	منية شيخ من لؤي بن غالب
فيا عمرو مهلاً إنما أنت عمه	وصاحبه دون الرجال الأقارب
نجوت وقد بل المرادى سيفه	من ابن أبي شيخ الأباطح طالب

ويضربني بالسيف آخر مثله فكانت علينا تلك ضربة لازب
وأنت تُناغي كلَّ يومٍ و ليلةٍ بمِصْرِكَ بيضاً كالطُّباءِ السَّوارِبِ
ولما انتهى إلى عائشة قتلُ عليٍّ - رضی الله عنه - قالت :

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى كما قرَّ عيناً بالإيابِ المُسافرُ^(١)
فمن قتله ؟ فقيل : رجل من مُراد ؛ فقالت :

فإن يكُ نائياً فلقد نَعَاهُ غُلامٌ ليس في فيه التُّرابُ
فقلت زينب ابنة أبي سَلَمَةَ : أَلِعليٍّ قولين هذا ؟ فقالت : إني أنسى ،
فلذا نسيتُ فذكروني . وكان الذي ذهب بنيه سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ
أَبِي وَقَّاصِ الزُّهْرِيِّ . وقال ابن أبي مِيَّاسِ المرادي في قتل عليٍّ :

ونحن ضربنا يا لك الخيرُ حَيْدَرًا أبا حَسَنِ مَأْمُومَةً فَتَفَطَّرًا^(٢)
ونحن خلَعنا مُلْكَهُ من نِظَامِهِ بضربةٍ سيفٍ إذ عَلَا وَتَجَبَّرًا
ونحن كِرَامٌ في الصُّبْحِ أَعِزَّةٌ إذا الموتُ بالموتِ ارتَدَى وَتَأَزَّرَا
وقال أيضًا :

٣٤٦٧/١

ولم أرَ مَهْرًا ساقَهُ ذو سَمَاحَةٍ كَمَهْرٍ قَطَامٍ من فصيحٍ وَأَعْجَمٍ
ثلاثةُ آلَافٍ وَعَبْدٌ وَقَيْنَةٌ وضربٌ على بالحُسامِ المُصَمِّمِ
فلا مَهْرَ أَغْلَى من عليٍّ وإن غَلَا ولا قَتْلَ إِلَّا دونَ قَتْلِ ابْنِ مُلْجَمٍ
وقال أبو الأسود الدؤلي :

ألا أَبْلِغُ معاوِيَةَ بنَ حَرْبٍ فلا قَرَّتْ عيونُ الشَّامِيتِينَا^(٣)
أفي شهرِ الصَّيَامِ فَجَعْتُمُونَا بخيرِ الناسِ طُرًّا أَجْمَعِينَا!

(١) اللسان (عصا) ، ونسب لعبد ربه السلمي ؛ ويقال لسليم بن ثمامة الحنفي ، أو معقر بن حمار البارق . (٢) المأمومة : الشجة التي تبلغ أم الرأس . (٣) ديوانه : ٣٢ .

قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَرَحَّلَهَا وَمَنْ رَكِبَ السَّفِينَا^(١)
 وَمَنْ لَيْسَ النَّعَالَ وَمَنْ حَذَاها وَمَنْ قَرَأَ الْمَثَانِي وَالْمُبِينَا^(٢)
 إِذَا اسْتَقْبَلَتْ وَجْهَ أَبِي حُسَيْنٍ رَأَيْتَ الْبَدْرَ رَاعٍ النَّاطِرِينَ
 لَقَدْ عَلِمْتَ قَرِيشٌ حَيْثُ كَانَتْ بِأَنَّكَ خَيْرُهَا حَسْبًا وَدِينًا^(٣)

وَاخْتَلَفَ فِي سَنَةِ يَوْمَ قُتِلَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : قُتِلَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ
 وَخَمْسِينَ سَنَةً .

٣٤٦٨/١

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَصْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَقُولُ :
 قُتِلَ أَبِي وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ وَخَمْسِينَ سَنَةً .

وَحَدَّثَنَا عَنْ بَعْضِهِمْ ، قَالَ : قُتِلَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً .

وَحَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَيُّوبُ بْنُ
 عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو^(٤) ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : قُتِلَ عَلِيُّ بْنُ هَوَالٍ ثَلَاثَ
 وَسِتِّينَ سَنَةً . قَالَ : وَذَلِكَ أَصَحُّ مَا قِيلَ فِيهِ .

حَدَّثَنِي عَمْرٌو ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحِمَاطِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
 شَرِيكٌ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، قَالَ : قُتِلَ عَلِيُّ بْنُ هَوَالٍ ثَلَاثَ وَسِتِّينَ سَنَةً .
 وَقَالَ هِشَامٌ : وَلِيَ عَلِيُّ بْنُ هَوَالٍ ثَمَانَ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَأَشْهُرَ ؛ وَكَانَتْ
 خِلَافَتُهُ خَمْسَ سِنِينَ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْهُرَ ، ثُمَّ قَتَلَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ - وَاسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
 ابْنُ عَمْرٍو - فِي رَمَضَانَ لِسَبْعِ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْهُ ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ أَرْبَعَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ
 أَشْهُرَ ، وَقُتِلَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَ وَسِتِّينَ سَنَةً .

وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ :
 قُتِلَ عَلِيُّ بْنُ هَوَالٍ ثَلَاثَ وَسِتِّينَ سَنَةً صَبِيحَةَ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ

(١) الديوان : « وَخِيَمَهَا » ؛ أَي ذَلَّلَهَا وَرَاحَهَا . (٢) الديوان : « وَالْمُبِينَا » .

(٣) الديوان : « خَيْرِمِ » .

(٤) ط : « عَمْرٍو » ، وَانْظُرِ التَّصْوِيَّاتِ .

٢٤٦٩/١ عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين ، وُدْفِن عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة^(١) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : ضُربَ على عليه السلام ليلة^(٢) الجمعة ، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت ، وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا علي بن عمر وأبو بكر السبّري ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعتُ محمد بن الحنفية يقول سنة الجحاف [حين]^(٣) دخلت سنة إحدى وثمانين هذه ولي خمس وستون سنة ، قد جاوزت سن أبي ؛ قيل : وكم كانت سنهُ يوم قُتِل ؟ قال : قُتِل وهو ابن ثلاث وستين سنة^(٤) . وقال الحارث : قال ابن سعد : قال محمد بن عمر كذلك ، وهو الثَّبَت عندنا^(٥) .

* * *

ذكر الخبر عن قدر مدة خلافته

حدثني أحمد بن ثابت ، قال : حدثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : كانت خلافةُ علي خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .

٢٤٧٠/١ وحدثني الحارث ، قال : حدثني ابن سعد قال : قال محمد بن عمر : كانت خلافة علي خمس سنين إلا ثلاثة أشهر^(٥) .

(١) طبقات ابن سعد ٦ : ١٢ .

(٢) ف : « يوم » .

(٣) من طبقات ابن سعد .

(٤) طبقات ابن سعد ٣ : ٣٨ .

(٥) ف : « خلافته أربع سنين وتسعة أشهر » .

حدَّثني أبو زيد، قال : قال أبو الحسن : كانت ولايةُ عليٍّ أربعَ سنين وتسعة أشهر ، ويوماً أو غيرَ يوم .

* * *

ذكر الخبر عن صفته

حدَّثني الحارث، قال : حدَّثنا ابن سعد، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدَّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبَّرة ، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبي فروة ، قال : سألت أبا جعفر محمد بن عليٍّ ، قلت : ما كانت صفة عليٍّ عليه السلام ؟ قال : رجلٌ آدمٌ شديدٌ الأدمة ثقیلُ العَيْنين عظيمُهما ، ذو بطن ، أصلع ، هو إلى القصير أقرب^(١) .

* * *

ذكر نسبه عليه السلام

هو عليُّ بنُ أبي طالب ، واسم أبي طالب عبدُ مناف بن عبدِ المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

• •

ذكر الخبر عن أزواجه وأولاده

فأولُ زوجة تزوّجها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتزوَّج عليها حتى توفيت عنده ، وكان لها منه من الولد : الحسنُ والحسين ، ويُذكر أنه كان لها منه ابنٌ آخر يسمى مُحسِنًا توفي صغيراً ، وزينب الكبرى ، وأم كلثوم الكبرى .

٢٤٧١/١

ثم تزوّج بعدُ أمَّ البنين بنت حزام - وهو أبو المجمل بن خالد بن ربيعة ابن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب - فولد لها منه العباس ، وجعفر ، وعبد الله ، وعثمان ، قُتِلوا مع الحسين عليه السلام بكرَّ بلاء ، ولا بقيَّة لهم غير العباس .

وتزوَّج ليلي ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعة بن سلمى بن جندل

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٧ .

ابن نهشل بن دارم بن مالك بن خنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، فولدت له عبيد الله وأبا بكر . فزعم هشام بن محمد أنهما قُتِلَا مع الحسين بالطَّفِّ . وأما محمد بن عمر فإنه زعم أن عبيد الله بن علي قتلته المختار بن أبي عبيد بالمدار ، وزعم أنه لا بقية لعبيد الله ولا لأبي بكر ابني علي عليه السلام .

وتزوج أسماء ابنة مُحميس الخثعمية ، فولدت له - فيما حدثت عن هشام بن محمد - يحيى ومحمداً الأصغر ، وقال : لا عقب لهما .

وأما الواقدي فإنه قال فيما حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا الواقدي أن أسماء ولدت لعلي يحيى وعوناً ابني علي . ويقول بعضهم : محمد الأصغر لأم ولد ، وكذلك قال الواقدي في ذلك ؛ وقال : قتل محمد الأصغر مع الحسين .

وله من الصَّهْبَاء - وهي أم حبيب بنت ربيعة بن بُجَيْر بن العبد بن علقمة ابن الحارث بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غنم بن تغلب بن وائل ؛ وهي أم ولد من السبي الذين أصابهم خالد ابن الوليد حين أغار على عين التَّمَر على بني تغلب بها - عمر بن علي ، ورقية ابنة علي ، فعُتِمَّ عمر بن علي حتى بلغ خمساً وثمانين سنة ، فحاز نصف ميراث علي عليه السلام ، ومات يَتِيمًا .

وتزوج أمامة بنت أبي العاصي بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ابن عبد مناف ، وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فولدت له محمداً الأوسط .

وله محمد بن علي الأكبر ، الذي يقال له : محمد بن الحنفية ، أمه خولة ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل ابن حنيفة بن لُجَيم بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل ، توفى بالطائف فصلّى عليه ابن عباس .

وتزوج أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن معتب بن مالك الشَّقْفِي ، فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى .

٣٤٧٣/١ وكان له بنات من أمهات شتى لم يسم لنا أسماء أمهاتهن ؛ منهن أم هانئ ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورملة الصغرى ، وأم كلثوم الصغرى وفاطمة ، وأمامة ، وخديجة ، وأم الكرام ، وأم سلمة ، وأم جعفر ، وجُمَّانة ، ونفيسة بنات على عليه السلام ؛ أمهاتهن أمهات أولاد شتى .

وتزوج محيطة ابنة امرئ القيس بن عدى بن أوس بن جابر بن كعب ابن عليم من كلب ، فولدت له جارية ، هلكت وهي صغيرة . قال الواقدي : كانت تخرج إلى المسجد وهي جارية فيقال لها : مَنْ أخوالك ؟ فتقول وه ، وه - تعنى كلباً .

فجميع ولد على لصلبه أربعة عشر ذكراً ، وسبع عشرة امرأة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد عن الواقدي ، قال : كان النسل من ولد على خمسة : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، والعباس بن الكلاية ، وعمر بن التغلبية .

* * *

ذكر ولاته

وكان واليه على البصرة في هذه السنة عبد الله بن العباس ، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في ذلك ^(١) ، وإليه كانت الصّدقات والجند والمعاون أيام ولايته كلها ، وكان يستخلف بها إذا شخّص عنها على ما قد بينت قبل .

٣٤٧٤/١ وكان على قضائها من قبل على أبو الأسود الدؤلي ، وقد ذكرت ما كان من توليته زياداً عليها ، ثم إشخاصه إياه إلى فارس لحربها وخراجها ، فقتل وهو بفارس ، وعلى ما كان وجهه عليه .

وكان عامله على البحرين وما يليها واليمن ومخاليفها عبيد الله بن العباس ، حتى كان من أمره وأمر بسر بن أبي أرطاة ما قد مضى ذكره . وكان عامله على الطائف ومكة وما اتصل بذلك قشّم بن العباس .

(١) ف « في أمره » .

وكان عامله على المدينة أبو أيوب الأنصاري ، وقيل : سهل بن حنيف ، حتى كان من أمره عند قدوم بُسْر ما قد دُكر قبل .

* * *

ذكر بعض سيره عليه السلام

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا وهب ، قال : أخبرني ابن أبي ذئب ، عن عباس بن الفضل مولى بني هاشم ، عن أبيه ، عن جده ابن أبي رافع ، أنه كان خازناً لعلّ عليه السلام على بيت المال ، قال : فدخل يوماً وقد زينت ابنته ، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قد كان عرفها ، فقال : من أين لها هذه ؟ لله على أن أقطع يدَها ؛ قال : فلما رأيتُ جدّه في ذلك قلتُ : أنا والله يا أمير المؤمنين زينتُ بها ابنةَ أخي ، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطيها ! فسكت . ٣٤٧٥/١

حدثني إسماعيل بن موسى الفزاري ، قال : حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن ناجية القرشي ، عن عمه يزيد بن عدى بن عثمان ، قال : رأيتُ عليّاً عليه السلام خارجاً من هَمْدان ، فرأى فتيتين ^(١) يقتتلان ، ففرق بينهما ، ثم مضى فسمع صوتاً . يا غوثاً بالله ^(٢) ! فخرج يُحضر ^(٣) نحوه حتى سمعتُ خفقَ نعليه وهو يقول : أتاك الغوث ؛ فإذا رجل يلزم رجلاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بعث ^(٤) هذا ثوباً بتسعة ^(٥) دراهم ، وشرطتُ عليه ألا يعطيني مغموراً ولا مقطوعاً - وكان شرطهم يومئذ - فأتيته بهذه الدراهم ليبدلها ^(٦) لي فأبى ، فلزمته فلطمني ، فقال : أبدله ؛ فقال : يبيستك على اللطمة ؛ فأثاه بالبينة ، فأقعدته ثم قال : دونك فاقصص ؛ فقال : إني

(١) ف : « قيتين » ؛ ابن الأثير : « رجلين » .

(٢) ف : « يا غوثاً يا غوثاً » .

(٣) يحضر : يسرع .

(٤) ف : « بعث من هذا » .

(٥) ف وابن الأثير : « بسبعة » .

(٦) ف : « ليبدل لي » .

قد عفوتُ يا أمير المؤمنين، قال : إنما أردتُ أن أحتاط في حقك، ثم ضرب الرجلَ تسعَ درّاتٍ ، وقال : هذا حقّ السلطان .

حدثني محمد بن عمار الأسديّ، قال : حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الأصهبانيّ، قال : حدثنا المسعوديّ ، عن ناجية ، عن أبيه، قال : كنا قياماً على باب القصر ، إذ خرج عليّ^١ علينا ، فلما رأيناه تنحّينا عن وجهه هيبةً له ، فلما جاز صرنا خلفه ، فبينما هو كذلك إذ نادى رجل يا غوثا بالله ! فإذا رجلان يقتتلان^(١) ، فلكّز صدرَ هذا وصدرَ هذا ، ثم قال لهما : تنحّيا ، فقال أحدهما : يا أمير المؤمنين ، إن هذا اشترى مني شاةً ، وقد شرطتُ عليه ألا يعطيني مغموراً ولا محدّفاً ، فأعطاني درهماً مغموراً ، فردّته عليه فلطمّني ، فقال للآخر : ما تقول ؟ قال : صدّق يا أمير المؤمنين ، قال : فأعطه شرطه ، ثم قال للأطيم : اجلس ، وقال ليلمكطوم : اقتص . قال : أو أعفو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذاك إليك ، قال : فلما جاز الرجل قال عليّ : يا معشر المسلمين ، خذوه ، قال : فأخذوه ، فحُمِلَ على ظهر رجل كما يُحمَل صبيان الكتاب ، ثم ضربه خمسَ عشرة درّةً ، ثم قال : هذا نكالٌ لما انتهكت من حرمة .

حدثني ابن سنان القرّاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا سُكَيْنُ ابن عبد العزيز ، قال : أخبرنا حفص بن خالد ، قال : حدثني أبي خالد بن جابر قال : سمعتُ الحسن يقول : لما قُتِلَ عليّ عليه السلام وقد قام خطيباً ، فقال : لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة فيها نزل القرآن ، وفيها رُفِعَ عيسى بن مريم عليه السلام ، وفيها قُتِلَ يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام . والله ما سبقه أحد كان قبله ، ولا يدركه أحد يكون بعده ، والله إن كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليبعثه في السرية وجبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا ثمانمائة — أو سبعمائة — أُرصدَها لخادمه .

(١) ف : « مثل المرتين يلكرذا صدر ذا وذا صدر ذا » .

ذكر بيعة الحسن بن علي

وفي هذه السنة - أعني سنة أربعين - بويغ للحسن بن علي عليه السلام بالخلافة ؛ وقيل : إنَّ أوَّلَ مَنْ بايعه قيس بن سعد ، قال له : ابسُطْ يَدَكَ أبايعُكَ على كتاب الله عزَّ وجلَّ ، وسنة نبِيّه ، وقال ^(١) المُحَلِّين ؛ فقال له الحسن رضي الله عنه : على كتاب الله وسنة نبِيّه ؛ فإنَّ ^(٢) ذلك يأتي من وراء كلِّ شَرَطٍ ^(٣) ؛ فبايَعَه وسكَّت ، وبايَعَه الناس .

وحدثني عبد الله بن أحمد بن شَبْوَيْه المروزي ، قال : حدثنا أبي قال : حدثنا سليمان ، قال : حدثنا عبد الله ، عن يونس ، عن الزُّهري ، قال : جعل علي عليه السلام قيس بن سعد على مقدّمته من أهل العراق إلى قبل أذربيجان ، وعلى أرضها وشُرطة الحميس ^(٤) الذي ابتدعه من ^(٥) العرب ، وكانوا أربعين ألفاً ، بايعوا علياً عليه السلام على الموت ، ولم يزل قيس يداري ^(٦) ذلك البعث حتى قُتِل علي عليه السلام ؛ واستخلف أهل العراق الحسن بن علي عليه السلام على الخلافة ، وكان الحسن لا يرى ^(٧) القتال ، ولكنه يريد أن يأخذ نفسه ما استطاع من معاوية ، ثم يدخل في الجماعة ، وعرف الحسن أن قيس بن سعد لا يوافق على رأيه ، فترعه وأمر عبيد الله ^(٨) بن عباس ، فلما علم عبد الله بن عباس بالذي يريد الحسن عليه السلام أن يأخذه ^(٩) لنفسه كتب إلى معاوية يسأله الأمان ، ويشترط لنفسه على الأموال التي أصابها ، فشرط ذلك له معاوية .

٢/٢

(١) س : « وقتل » .

(٢-٢) ابن الأثير : « فإنهما يأتيان على كل شرط » .

(٣) س : « الجيش » .

(٤) ط : « التي ابتدعتها العرب » .

(٥) يداري : يدافع ، وفي ف : « يوارى » .

(٦) س : « يريد » .

(٧) ط : « عبد الله » .

(٨) س : « يأخذ » .

وحدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : حدثنا عثمان بن عبد الحميد أو ابن عبد الرحمن الحراني الخزاعي أبو عبد الرحمن ، قال : حدثنا إسماعيل بن راشد ، قال : بايع الناسُ الحسنُ بن علي عليه السلام بالخلافة ، ثم خرج بالناس حتى نزل المدائن ^(١) ، وبعث قيس بن سعد على مقدمته في اثني عشر ألفاً ، وأقبل معاوية في أهل الشام حتى نزل مَسْكِن ، فبينما ^(٢) الحسن في المدائن ^(٣) إذ نادى مناد في العسكر : ألا إن قيس بن سعد قد قُتِل ، فأنفروا ، فنفروا ونهبوا سرادق الحسن عليه السلام حتى نازعوه بيساطاً كان تحته ، وخرج الحسن حتى نزل المقصورة ^(٤) البيضاء بالمدائن ، وكان عم المختار بن أبي عبيد عاملاً على المدائن ، وكان اسمه سعد بن مسعود ، فقال له المختار وهو غلام شاب : هل لك في الغني والشرف ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تؤثيق الحسن ، وتستأمن ^(٥) به إلى معاوية ، فقال له سعد : عليك لعنةُ الله ، أثيبُ على ابن بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوثيقه ! بش الرجل أنت ! فلما رأى الحسن عليه السلام تفرق الأمر عنه ^(٦) بعث إلى معاوية يطلب الصلح ، وبعث معاوية إليه عبد الله بن عامر وعبد الرحمن ابن سمرة بن حبيب ^(٧) بن عبد شمس ، فقد ما على الحسن بالمدائن ، فأعطياه ما أراد ، وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة ^(٨) خمسة آلاف ألف في أشياء اشتريتها . ثم قام الحسن في أهل العراق فقال : يا أهل العراق ، إنه سَخَى ^(٩) بنفسه عنكم ثلاث : قتلُكم أبي ، وطعنُكم إياي ، وانتهابُكم متاعِي .

٣/٢

-
- (١) س : « بالمدائن » .
 (٢) س : « فبينما » .
 (٣) س : « بالمدائن » .
 (٤) س : « بالمقصورة » .
 (٥) ف : « وتصير » .
 (٦) ف : « عليه » .
 (٧) ف : « جندب » .
 (٨) ف : « المال بالكوفة » .
 (٩) ف : « يسخى » .

ودخل الناس في طاعة معاوية ، ودخل معاوية الكوفة ، فبايعه الناس

قال زياد بن عبد الله ، عن عوانة ؛ وذكر نحو حديث المسروقي ، عن عثمان بن عبد الرحمن هذا ، وزاد فيه : وكتب الحسن إلى معاوية في الصلح ، وطلب الأمان ، وقال الحسن للحسين ولعبد الله بن جعفر : إني قد كتبتُ إلى معاوية في الصلح وطلب الأمان ؛ فقال له الحسين : نشدُك الله أن تصدقُ أحدثَ معاوية ، وتكذب أحدثَ عليّ ! فقال له الحسن : اسكُت ، فأنا أعلم بالأمر منك . فلما انتهى كتابُ الحسن بن عليّ عليه السلام إلى معاوية ، أرسل معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سُمرة ، فقد ما المدائن ، وأعطيا^(١) الحسن ما أراد ، فكتب الحسن إلى قيس بن سعد وهو على مقدّمته في اثني عشر ألفاً يأمره بالدخول في طاعة معاوية ، فقام قيس بن سعد في الناس فقال : يا أيّها الناس ، اختاروا الدخول في طاعة إمام ضلالة ، أو القتال مع غير إمام ؛ قالوا : لا ، بل نختار أن ندخل في طاعة إمام ضلالة . فبايعوا لمعاوية ، وانصرف عنهم قيس بن سعد^(٢) ، وقد كان صالح الحسن معاوية^(٣) على أن جعل له ما في بيت ماله وخراج دارا بمجرد على ألاّ يُشتم عليّ^(٤) وهو يسمع . فأخذ ما في بيت ماله بالكوفة ، وكان فيه خمسة آلاف ألف .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة المغيرة بن شُعْبة . حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الخزاعي أبو عبد الرحمن ، قال : أخبرنا إسماعيل بن راشد قال : لما حضر الموسم — يعني في العام الذي قُتِل فيه عليّ عليه السلام — كتب المغيرة بن شُعْبة كتاباً افتعله على لسان معاوية ، فأقام للناس الحج سنة أربعين ، ويقال : إنّه عرف يوم التروية ، ونحر يوم عرفة ، خوفاً أن يفطن بمكانه . وقد قيل : إنه إنما فعل ذلك المغيرة لأنه بلغه أن عتبة بن أبي سفيان مصبّحه والياً على

(١) ف : « فأعطيا » .

(٢-٢) ف : « وكان الحسن صالح معاوية » .

(٣) س : « على ألا يشتم عليا » .

الموسم ، فعجل الحج من أجل ذلك .

* * *

وفي هذه السنة بويع معاوية بالخلافة بإيلياء ؛ حدثني بذلك موسى بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أخبرنا إسماعيل ابن راشد - وكان قبل يدعى بالشأم أميراً - وحدثت عن أبي مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز ، قال : كان علي عليه السلام يُدعى بالعراق أمير المؤمنين ، وكان معاوية يدعى بالشأم : الأمير ، فلما قُتل علي عليه السلام دُعي معاوية : أمير المؤمنين .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك تسلم الحسن بن علي عليه السلام الأمر إلى معاوية ودخول معاوية الكوفة ، وبيعة أهل الكوفة معاوية بالخلافة .
* ذكر الخبر بذلك :

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدثنا سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : بايع أهل العراق الحسن بن علي بالخلافة^(١) ، فطفق يشترط عليهم الحسن : إنكم سامعون مطيعون ، تساليمون من سالمته ، وتحاربون من حاربت ، فارتاب أهل العراق في أمرهم حين اشترط عليهم هذا الشرط ، وقالوا : ما هذا لكم بصاحب ، وما يريد هذا القتال ؛ فلم يلبث الحسن عليه السلام بعد ما بايعوه إلا قليلا حتى طعن طعنة أشوته^(٢) ، فازداد لهم بغضا ، وازداد منهم ذعرا ، فكاتب معاوية ، وأرسل إليه بشروط ، قال : إن أعطيتني هذا فأنا سامع مطيع ، وعليك أن تني لي به . ووقعت صحيفة الحسن في يد معاوية ، وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن بصحيفة بيضاء ، مختم على أسفلها ، وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك .

فلما أتت الحسن اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك ، وأمسكها عنده ، وأمسك معاوية صحيفة الحسن عليه السلام التي كتب إليه يسأله ما فيها ، فلما اتقى معاوية والحسن عليه السلام ، سأله الحسن أن يعطيه الشروط التي شرط في السجل الذي ختم معاوية في أسفلها ، فأبى معاوية أن يعطيه ذلك ، فقال : لك ما كنت كتبت إلى أو لا تسألني أن أعطيك^(٣) ، فلما قد أعطيتك حين جاءني كتابك . قال الحسن عليه السلام : وأنا قد

٦/٢

(١) س : « على الخلافة » .

(٢) أشوته : نالت منه ولم تصب مقتله .

(٣) س : « أعطيك » .

اشتريت حين جاءني كتابك ، وأعطيتني العهد على الوفاء بما فيه . فاختلنا في ذلك ، فلم يُنفذ الحسن عليه السلام من الشروط شيئاً ، وكان عمرو بن العاص حين اجتمعوا بالكوفة قد كلم معاوية ، وأمره أن يأمر الحسن أن يقوم ويخطب الناس ، فكره ذلك معاوية ، وقال : ما تريد إلى أن يخطب^(١) الناس ! فقال عمرو : لكني أريد أن يبدؤ عيئه للناس ؛ فلم يزل عمرو بمعاوية حتى أطاعه ، فخرج معاوية فخطب الناس ، ثم أمر رجلاً فنادى الحسن بن علي عليه السلام ؛ فقال : قم يا حسن فكلّم الناس ، فتشهد في بديهة أمر لم يرو فيه ، ثم قال : أما بعد ، يا أيها الناس ، فإن الله قد هداكم بأولنا ، وحقق دماءكم بأخيرنا ، وإن لهذا الأمر مدة ، والدنيا دُول ، وإن الله تعالى قال لنبية صلى الله عليه وسلم : ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾^(٢) ؛ فلما قالها قال معاوية : اجلس ، فلم يزل ضريماً على عمرو ، وقال : هذا من رأيك . ولحق الحسن عليه السلام بالمدينة .

٧/٢

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي بن محمد ، قال : سلم الحسن بن علي عليه السلام إلى معاوية الكوفة ، ودخلها معاوية فجلس بقين من ربيع الأول ، ويقال من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين .

* * *

[ذكر خبر الصلح بين معاوية وقيس بن سعد]

وفي هذه السنة جرى الصلح بين معاوية وقيس بن سعد بعد امتناع قيس من بيعته .

* ذكر الخبر بذلك :

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ابن الفضل ، قال : حدثني عبد الله ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : لما كتب عبيد الله بن عباس حين علم ما يريد الحسن من معاوية من طلب الأمان لنفسه^(٣) إلى معاوية يسأله الأمان ، ويشترط لنفسه على الأموال التي قد أصاب ،

(١) كذا في س ، وفي ط : « أخطب » . (٢) سورة الأنبياء : ١١١ .

(٣) ف : « من طلب الأمان من معاوية » .

فشرط ذلك له معاوية ، بعث إليه معاوية ابن عامر في خيل عظيمة ، فخرج إليهم عبيد الله ليلاً حتى لحق بهم ، ونزل وترك جندَه الذي هو عليه ^(١) لا أمير لهم ، فيهم قيس بن سعد ، واشترط الحسن عليه السلام لنفسه ، ثم بايع معاوية ، وأمرت شرطةُ الخميس قيس بن سعد على أنفسهم ، وتعاهدوا هو وهم على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة على عليه السلام ولمن كان اتبعه على أموالهم ودمائهم . وما أصابوا في الفتنة ؛ فخلاص معاوية حين فرغ من عبيد الله ابن عباس والحسن عليه السلام إلى مكايده رجل هو أهم الناس عنده مكايده ، ومعه أربعون ألفاً ، وقد نزل معاوية بهم وعمرو وأهل الشام ، وأرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكره الله ويقول : على طاعة من تقاتل ، وقد بايعني الذي أعطيتك طاعتك ؟ فأبى قيس أن يكلن له ، حتى أرسل إليه معاوية بسِجِلٍّ قد ختم عليه في أسفله ، فقال : اكتب في هذا السجل ما شئت ، فهو لك . قال عمرو لمعاوية : لا تُعْطِه هذا ، وقَاتِلْهُ ، فقال معاوية : على رِسْلِكَ ! فإننا لا نخلص إلى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام ، فإخبر العيش بعد ذلك ! وإني والله لا أقاتله أبداً حتى لا أجِد من قتاله بدءاً . فلما بعث إليه معاوية بذلك السجل اشترط قيس فيه له ولشيعة على الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ، ولم يسأل معاوية في سجلته ذلك مالا ^(٢) ، وأعطاه معاوية ما سأل ، فدخل قيس ومن معه في طاعته ، وكانوا يتعدون دهاة الناس حين ثارت الفتنة خمسة رهط ، فقالوا : ذوو رأى العرب ومكيدتهم : معاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وقيس بن سعد ؛ ومن المهاجرين عبد الله بن بُدَيْل الخزاعي ؛ وكان قيس وابن بُدَيْل مع على عليه السلام ، وكان المغيرة بن شعبة وعمرو مع معاوية ، إلا أن المغيرة كان معتزلاً بالطائف حتى حُكِمَ الحكمان ، فاجتمعوا بأذرع .

وقيل : إن الصلح تم بين الحسن عليه السلام ومعاوية في هذه السنة في

شهر ربيع الآخر ، ودخل معاوية الكوفة في غرة جمادى الأولى من هذه

(١) ف : « عليهم » .

(٢-٢) س : « شيئاً إلا أعطاه من مال » .

السنة ، وقيل : دَخَلَهَا فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ ، وَهَذَا قَوْلُ الْوَاقِدِيِّ .

* * *

[دخول الحسن والحسين المدينة منصرفين من الكوفة]

وفي هذه السنة دخل الحسنُ والحسين ابنا عليّ عليه السلام منصرفين من الكوفة إلى المدينة .

* ذكر الخبر بذلك :

ولما وقع الصلح بين الحسن عليه السلام وبين معاوية بمسكين ، قام — فيما حَدَّثَتْ عَنْ زِيَادِ الْبَكَّائِيِّ ، عَنْ عَوَانَةَ — خَطِيبًا فِي النَّاسِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، إِنَّهُ سَخَّيْتُ بِنَفْسِي عَنْكُمْ ثَلَاثَ : قَتْلُكُمْ أَبِي ، وَطَعْنُكُمْ إِبْتَايَ ، وَإِنْتِهَابُكُمْ مَتَاعِي . قَالَ : ثُمَّ إِنْ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ خَرَجُوا بِحَشَمِهِمْ ^(١) وَأَتَقَالَهُمْ حَتَّى أَتَوْا الْكُوفَةَ ، فَلَمَّا قَدِمَ مَعَهَا الْحَسَنُ وَبَرَّأ مِنْ جِرَاحَتِهِ ، خَرَجَ إِلَى مَسْجِدِ الْكُوفَةِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي جِيرَانِكُمْ وَضَيْفَانِكُمْ ، وَفِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا . فَجَعَلَ النَّاسُ يَبْكُونَ ، ثُمَّ تَحَمَّلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . قَالَ : وَحَالُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَرَجٍ دَارًا بِجَرْدٍ ، وَقَالُوا : فَيْئْتْنَا ، فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ تَلَقَّاهُ نَاسٌ بِالْقَادِسِيَّةِ فَقَالُوا : يَا مُذِلَّ الْعَرَبِ !

* * *

[ذكر خروج الخوارج على معاوية]

وفيهما خرجت الخوارجُ ^(٢) التي اعتزلت أيام عليّ عليه السلام بشَهْرَ رَزْوَرٍ على معاوية .

* ذكر خبرهم :

١٠/٢ حَدَّثَتْ عَنْ زِيَادٍ ، عَنْ عَوَانَةَ ، قَالَ : قَدِمَ مُعَاوِيَةُ قَبْلَ أَنْ يَبْرَحَ الْحَسَنُ مِنَ الْكُوفَةِ حَتَّى نَزَلَ النُّخَيْلَةَ ، فَقَالَتِ الْحُرُورِيَّةُ الْخَمْسَمِائَةِ الَّتِي كَانَتْ اعْتَزَلَتْ

(١) س : « بجيشهم » .

(٢) س : « الخارجة » .

بشهرزور مع فرّوة بن نوفل الأشجعيّ : قد جاء الآن ما لا شك^(١) فيه ،
فسيروا إلى معاوية فجاهدوه . فأقبلوا وعليهم فرّوة بن نوفل حتى دخلوا الكوفة ،
فأرسل إليهم معاوية خيلاً من خيل أهل الشام ، فكشّفوا أهل الشام ، فقال
معاوية لأهل الكوفة : لا أمان لكم والله عندي حتى تكفّوا بوائقكم ؛ فخرج
أهل الكوفة إلى الخوارج فقاتلوهم ، فقالت لهم الخوارج : ويلكم ! ما تبغون
منّا ! أليس معاوية عدونا وعدوتكم ! دعونا حتى نقاتله ، وإن أصبناه كنا
قد كفّيناكم عدوّكم ، وإن أصابنا كنتم قد كفيتونا ، قالوا : لا والله حتى
نقاتلكم ؛ فقالوا^(٢) : رحم^(٣) الله إخواننا من أهل النهر ، هم كانوا أعلم بكم
يا أهل الكوفة . وأخذت أشجع صاحبهم فرّوة بن نوفل — وكان سيّد القوم —
واستعملوا عليهم عبد الله بن أبي الحرّ — رجلاً من طيئ — فقاتلوهم ، فقتلوا ،
واستعمل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة ، فأثاء المغيرة بن
شعبة وقال لمعاوية : استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة وعمراً على مصر ،
فتكون أنت بين لحيي الأسد! فعزل عبد الله^(٤) ، واستعمل المغيرة بن شعبة
على الكوفة ، وبلغ عمراً ما قال المغيرة لمعاوية ، فدخل عمرو على معاوية فقال :
استعملت المغيرة على الكوفة ؟ فقال : نعم ؛ فقال : أجعلته على الخراج ؟
فقال : نعم ؛ قال : تستعمل المغيرة على الخراج فيغتال المال ، فيذهب فلا
تستطيع أن تأخذ منه شيئاً ؛ استعمل على الخراج من يخافك ويهابك^(٥)
ويقتيك . فعزل المغيرة عن الخراج ، واستعمله على الصلاة ، فلقى المغيرة عمراً
فقال : أنت المشير على أمير المؤمنين بما أشرت به في عبد الله ؟ قال : نعم ؛
قال : هذه بتلك ؛ ولم يكن عبد الله بن عمرو بن العاص مضى فيما بلغني إلى
الكوفة ولا أتاها .

* * *

(٢) ف : « قالوا » .

(١) س : « يشك » .

(٤) كذا في س ، وفي ط : « فعزله عنها » .

(٣) س : « يرحم » .

(٥) س : « رجلا يهابك ويخافك » .

[ذكر ولاية بسر بن أبي أرطاة على البصرة]

وفي هذه السنة ^(١) غلب حُمران بن أبان على البصرة ، فوجه إليه معاوية بُسرًا ، أمره بقتل بني زياد .
* ذكر الخبر عما كان من أمره في ذلك ^(٢) :

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : لما صالح الحسن بن علي عليه السلام معاوية أول سنة إحدى وأربعين ، وثب حُمران ابن أبان على البصرة فأخذها ، وغلب عليها ، فأراد معاوية أن يبعث رجلا من بني السقين إليها ، فكلّمه عبيد الله بن عباس ألا يفعل ويبعث غيره ، فبعث بُسر بن أبي أرطاة ، وزعم أنه أمره بقتل بني زياد .

فحدثني مسلمة بن مُحارب ، قال : أخذ بعض بني زياد فحبسه - وزياد يومئذ بفارس ، كان علي عليه السلام بعثه إليها إلى أكراد خرجوا بها ، فظفر بهم زياد ، وأقام بإصطخر - قال : فركب أبو بكرّة إلى معاوية وهو بالكوفة ، فاستأجل بُسرًا ، فأجله أسبوعًا ذاهبًا وراجعًا ، فسار سبعة أيام ، فقتل تحته دابّتين ، فكلّمه ، فكتب معاوية بالكف عنهم .

قال : وحدثني بعض علمائنا ؛ أن أبا بكرّة أقبل في اليوم السابع وقد طلعت الشمس ، وأخرج بُسر بن زياد ينتظر بهم غروب الشمس ليقتلهم إذا وجبت ، فاجتمع الناس لذلك وأعينهم طامحة ينتظرون أبا بكرّة ، إذ رُفع علم علي نجيب أو برّذون يكده ويجهده ، فقام عليه ، فنزل عنه ، وألاح بثوبه ، وكبّر وكبّر الناس ، فأقبل يسعى على رجله ^(٣) حتى أدرك بُسرًا قبل أن يقتلهم ، فدفع إليه كتاب معاوية ، فأطلقهم .

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي بن محمد ، قال : خطب بُسر على منبر

(١) س : « وفيها » .

(٢) س : « ذكر الخبر عن الكائن من أمرهم » .

(٣) ف : « يسير على راحلته » .

البصرة ، فَشَتَمَ عَلِيًّا عليه السلام ، ثم قال : نَشَدْتُ ^(١) الله رجلاً عَليمَ أني صادق إلا صدَّقني ، أو كاذب إلا كذَّبني ! قال : فقال أبو بكر : اللهم إنا لا نعلمك إلا كاذباً ؛ قال : فأمر به فخنق ، قال : فقام أبو لؤلؤة الضبي فرمى بنفسه عليه ، فنعمة ، فأقطعه أبو بكر بعد ذلك مائة جَرَب . قال : وقيل لأبي بكر : ما أردت إلى ما صنعت ! قال : أَيْنَاشِدُنَا بالله ثم لا نصدِّقه ! قال : فأقام بُسرَ بالبصرة ستة أشهر ، ثم شَخَّصَ لا نعلمه وَلَّى شرطته أحداً .

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا علي بن محمد ، قال : أخبرني سليمان بن بلال ، عن الجارود بن أبي سبرة ، قال : صالح الحسن عليه السلام معاوية ، وشَخَّصَ إلى المدينة ، فبعث معاوية بُسرَ بن أبي أرطاة إلى البصرة في رجب سنة إحدى وأربعين وزياد متحصن بفارس ، فكتب معاوية إلى زياد : إن في يديك مالا من مال الله ، وقد وليت ولاية فأد ما عندك من المال . فكتب إليه زياد : إنه لم يَبْقَ عندي شيء من المال ، وقد صرفت ما كان عندي في وجهه ، واستودعت بعضه قوماً لنازلة إن نزلت ، وحملت ما فضّل إلى أمير المؤمنين رحمة الله عليه . فكتب إليه معاوية : أن أقبل إلىّ ننظر فيما وليت ، وجرى على يديك ، فإن استقام بيننا أمر فهو ذاك ، وإلا رجعت إلى مأمِنِكَ ؛ فلم يأتَه زياد ، فأخذ بُسرَ بن زياد الأكبر منهم ، فحبسهم : عبد الرحمن ، وعبيد الله ، وعباداً ، وكتب إلى زياد : لتقدم عليّ أمير المؤمنين أو لأقتلن بنيك . فكتب إليه زياد : لستُ بارجحاً من مكاني الذي أنا به حتى يحكم الله بيني وبين صاحبيك ، فإن قتلت من في يديك من ولدي فالمصير إلى الله سبحانه ، ومن ورائنا ورائكم الحساب ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الدِّينَ ظَلَمْتُمُوهُ أَمْيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ . فهم بقتلهم ، فأناه أبو بكر فقال : أخذت ولدي وولد أخى غلماناً بلا ذنب ، وقد صالح الحسن معاوية على أمان أصحاب علي حيث كانوا ، فليس لك على هؤلاء ولا على أبيهم سبيل ؛ قال : إن عليّ أخيك أموالاً قد أخذها فامتنع من أدائها ؛ قال : ما عليه شيء ، فاكفف

١٣/٢

عن بني أخى حتى آتيتك بكتاب من معاوية بتخليتهم . فأجله أياماً ، قال له : إن آتيتنى بكتاب معاوية بتخليتهم وإلا قتلتهم أو يقبل زياداً إلى أمير المؤمنين ؛ قال : فأتى أبو بكر معاوية فكلّمه فى زياد وبنيه ، وكتب معاوية إلى بسر بالكف عنه وتخليه سبيلهم ، فخلّاهم .

حدثنى أحمد بن زهير^(١) ، قال : حدثنا على ، قال : أخبرنى شيخ من ثقيف ، عن بسر بن عبيد الله ، قال : خرج أبو بكر إلى معاوية بالكوفة فقال له معاوية : يا أبا بكر ، أذاً رجعت أم دعيتك إلينا حاجة ؟ قال : لا أقول باطلاً ، ما أتيت إلا فى حاجة ! قال : تُشَفِّعُ يا أبا بكر ونرى لك بذلك فضلاً ، وأنت لذلك أهل ، فما هو ؟ قال : تؤمن أخى زياداً ، وتكتب إلى بسر بتخليه ولده وبتترك التعرض لهم ؛ فقال : أما بنو زياد فنكتب لك فيهم ما سألت ؛ وأما زياد ففى يده مالٌ للمسلمين ، فإذا أدّاه فلا سبيل لنا عليه ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، إن يكن عنده شيء فليس يحبسك عنك إن شاء الله . فكتب معاوية لأبى بكر إلى بسر ألاّ يتعرض لأحد من ولد زياد ، فقال معاوية لأبى بكر : أتعهد إلينا عهداً يا أبا بكر ؟ قال : نعم ، أعهد إليك يا أمير المؤمنين أن تنظر لنفسك ووعيتك ، وتعمل صالحاً فإنك قد تقلدت عظماً ، خلافة الله فى خلقه ، فاتق الله فإن لك غاية لا تعدوها ، ومن ورائك طالب حثيث ، فأوشك أن تبلغ المدى ، فيلحق الطالب ، فتصير إلى من يسألك عما كنت فيه ، وهو أعلم به منك ، وإما هى محاسبة وتوقيف ، فلا تؤثرن على رضا الله عز وجل شيئاً .

حدثنى أحمد ، قال : حدثنا على ، عن سلمة بن عثمان ، قال : كتب بسر إلى زياد : لئن لم تُقدِّم لأصلين بتيك . فكتب إليه : إن تفعل فأهل ذلك أنت ، إنما بعث بك ابن آكلة الأكباد . فركب أبو بكر إلى معاوية ، فقال : يا معاوية ، إن الناس لم يعطوك بسعتهم على قتل الأطفال ، قال : وما ذاك يا أبا بكر ؟ قال : بسر يريد قتل أولاد زياد ، فكتب معاوية إلى

(١) ط : « على » ؛ وانظر الصفحة السابقة س ٨

بُسْر: أن خلّ مَنْ بيدك من ولد زياد .

وكان معاوية قد كتب إلى زياد بعد قتل عليّ عليه السلام يتوعّده .
فحدّثني عمر بن شبّة ، قال : حدّثني عليّ ، عن حَبَّان بن موسى ،
عن المجالد ، عن الشعبي ، قال : كتّبت معاوية حين قُتِل عليّ عليه السلام
إلى زياد يتهدّده ، فقام خطيباً فقال : العجبُ من ابن آكلة الأكباد ،
وكهف النفاق ، ورئيس الأحزاب ؛ كتب إلى يتهدّثني وبينني وبينه ابنا عمّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني ابن عباس والحسن بن عليّ - في تسعين
ألفاً ، واضعّ سيفهم على عواتقهم ، لا يشنون ، لئن خلتص إلى الأمر
ليجدني أحمر^(١) ضرّاباً بالسيف . فلم يزل زياد بفارس والياً حتى صالح
الحسن عليه السلام معاوية ، وقدم معاوية الكوفة ، فتحصّن زياد في القلعة
التي يقال لها قلعة زياد .

١٥/٢

* * *

[ولاية عبد الله بن عامر البصرة وحرب سجستان وخراسان]

وفي هذه السنة ولّى معاوية عبد الله بن عامر البصرة وحرب سجستان
وخراسان .

* ذكر الخبر عن سبب ولاية ذلك وبعض الكائن

في أيام عمله لمعاوية بها :

حدّثني أبو زيد ، قال : حدّثنا عليّ قال : أراد معاوية توجيه عتبة
ابن أبي سفيان على البصرة ، فكلّمه ابن عامر وقال : إن لي بها أموالاً
وودائع ، فإن لم توجهني عليها ذهبت . فولّاه البصرة ، فقدّمها في آخر
سنة إحدى وأربعين وإليه خراسان وسجستان ، فأراد زيد بن جبلة على
ولاية شرطته فأبى ، فولّى حبيب بن شهاب الشامى شرطته - وقد قيل : قيس
ابن الهيثم السلمى - واستقضى عميرة بن يثرب الضبيّ ، أخا عمرو بن يثرب
الضبيّ .

حدّثني أبو زيد ، قال : حدّثنا عليّ بن محمد ، قال : خرج في ولاية

ابن عامر لمعاوية يزيدُ مالك الباهليّ ، وهو الخطيم - وإنما سميّ الخطيم لضربة أصابته على وجهه - فخرج هو وسهمُ بن غالب الهجيميّ فأصبحوا عند الجسر ، فوجدوا عبادة بن قرص الليثيّ أحد بني بُجير - وكانت له صحبة - يصلي عند الجسر ، فأنكروه فقتلوه ، ثم سألوه الأمان بعد ذلك ، فأمنهم ابنُ عامر ، وكتب إلى معاوية : قد جعلت لهم ذمتك . فكتب إليه معاوية : تلك ذمةٌ لو أخفرتها لا سئلت عنها ، فلم يزالوا آمنين حتى عُزل ابن عامر .

* * *

وفي هذه السنة ولد عليّ بن عبد الله بن عباس - وقيل : وُلد في سنة أربعين قبل أن يُقتل عليّ عليه السلام ، وهذا قول الواقديّ .
وحجّ بالناس في هذه السنة عُتبة بن أبي سُفيان في قول أبي معشر ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمّن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .
وأما الواقديّ فإنه ذكر عنه أنه كان يقول : حجّ بالناس في هذه السنة - أعني سنة إحدى وأربعين - عن عنبسة بن أبي سُفيان .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا المسلمون اللان ، وغزوا أيضاً الروم ، فهزموهم هزيمة منكّرة -
فيما ذكروا - وقتلوا جماعةً من بطّارقتهم .

وقيل : في هذه السنة ولّد الحجاج بن يوسف .

وولّي معاوية في هذه السنة مروان بن الحكم المدينة ، فاستقضى مروانُ

عبد الله بن الحارث بن نوفل . وعلى مكّة خالد بن العاص بن هشام ، وكان
على الكوفة من قبله المغيرة بن شعبة ، وعلى القضاء شريح ، وعلى البصرة
عبد الله بن عامر ، وعلى قضائها ^(١) عمرو بن يربى ، وعلى خراسان قيس بن
الهيثم من قبيل عبد الله بن عامر .

وذكر علي بن محمد ، عن محمد بن الفضل العبسي ، عن أبيه ،

قال : بعث عبد الله بن عامر قيس بن الهيثم على خراسان حين ولّاه
معاوية البصرة وخراسان ، فأقام قيس بخراسان ستين .

وقد قيل في أمر ولاية قيس ما ذكره حمزة بن أبي ^(٢) صالح السلمي ،

عن زياد بن صالح ، قال : بعث معاوية حين استقامت له الأمور قيسَ
ابن الهيثم إلى خراسان ، ثم ضمّها إلى ابن عامر ، فترك ^(٣) قيساً عليها .

* * *

[ذكر الخبر عن تحرّك الخوارج]

وفي هذه السنة تحرّكت الخوارج الذين انحازوا عمّن قُتل منهم بالنّهروان
ومن كان ارتُسّ من جرّحاهم بالنّهروان ، فبرّعوا ، وعفا عنهم علي بن
أبي طالب رضي الله عنه .

(١) س : « القضاء بها » .

(٢) ساقطة من ط .

(٣) س : « فأنبت » .

* ذكر الخبر عما كان منهم في هذه السنة :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني النضر بن صالح ابن حبيب ، عن جرير بن مالك بن زهير بن جنديمة العبسي ، عن أبي بن عمارة العبسي ، أن حيان بن ظبيان السلمي كان يرى رأى الخوارج ، وكان ممن ارتث يوم النهروان ، فعفا عنه على عليه السلام في الأربعمائة الذين كان عفا عنهم من المرتثين يوم النهروان ، فكان في أهله وعشيرته ، فلبث (١) شهراً أو نحوه . ثم إنه خرج إلى الرى في رجال كانوا يرون ذلك الرأى ، فلم يزالوا مقيمين بالرأى حتى بلغهم قتل على كرم الله وجهه ، فدعا أصحابه أولئك - وكانوا بضعة عشر رجلاً ، أحدهم سالم بن ربيعة العبسي - فأتوه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الإخوان من المسلمين ، إنه قد بلغني أن أخاكم ابن ملجم أخا مراد قعد لقتل على بن أبي طالب عند أغباش (٢) الصبح مقابل السدة التي في المسجد مسجد الجماعة ، فلم يبرح راكداً ينتظر خروجه حتى خرج عليه حين أقام المقيم الصلاة صلاة الصبح ، فشد عليه فضرب رأسه بالسيف ، فلم يبق إلا ليلتين حتى مات ، فقال سالم بن ربيعة العبسي : لا يقطع الله يميناً علت قذاله بالسيف ، قال : فأخذ (٣) القوم يحمدون الله على قتله عليه السلام ورضى الله عنه ولا رضى عنهم ولا رحمهم !

قال النضر بن صالح : فسألت بعد ذلك سالم بن ربيعة في إمارة مصعب ابن الزبير عن قوله ذلك في على عليه السلام ، فأقر لي به ، وقال : كنت أرى رأيهم حيناً ، ولكن قد تركته ؛ قال : فكان في أنفسنا أنه قد تركه ؛ قال : فكان إذا ذكروا له ذلك يرمضه . قال : ثم إن حيان بن ظبيان قال لأصحابه : إنه والله ما يبقى على الدهر باق ، وما تلبث الليالي والأيام والسنون والشهور على ابن آدم حتى تُذيقه الموت ، فيفارق الإخوان الصالحين ، ويدع الدنيا التي لا يسكى عليها إلا العجزة ، ولم تزل ضارة لمن كانت

(١) س : « فكت » .

(٢) الأغباش : جمع غبش ؛ وهو بقية الظلمة يخالطها بياض الفجر .

(٣) سل : « وأخذ » .

له همًّا وشَجَنًا؛ فانصروا بنا رحمكم الله إلى مصرنا، فلنأت إخواننا فلندعهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلى جهاد الأحزاب، فإنه لا عذر لنا في القعود، وولائنا ظلمة، وسنة الهدى متروكة، وثأرنا الذين قتلوا إخواننا في المجالس آمنون، فإن يُظفرنا الله بهم نعيم بعد إلى التي هي أهدى وأرضى وأقوم، ويشفى الله بذلك صدور قوم مؤمنين، وإن نُقتل فإن في مفارقة الظالمين راحة لنا، ولنا بأسلافنا أسوة. فقالوا له: كلنا قاتل ما ذكرت، وحامد رأيك الذي رأيت، فرد بنا المِصرَ فإننا معك راضون بهُداك وأمرك؛ فخرج وخرجوا معه مقبلين إلى الكوفة، فذلك حين يقول:

خَلِيلِي مَا بِي مِنْ عَزَاءٍ وَلَا صَبْرٍ وَلَا لِرَبَّةٍ بَعْدَ الْمُصَابِينِ بِالنَّهْرِ
سِوَى نَهَضَاتٍ فِي كِتَابِ جَمَّةٍ إِلَى اللَّهِ مَا تَدْعُو فِي اللَّهِ مَا تَفْرِي
إِذَا جَاوَزْتَ قُسْطَانَةَ الرَّيِّ بَغْلَتِي فَلَسْتُ بِسَارٍ نَحْوَهَا آخِرَ الدَّهْرِ
وَلَكِنِّي سَارٍ وَإِنْ قُلَّ نَاصِرِي قَرِيبًا فَلَا أَخْزِيكَمَا مَعَ مَنْ يَسْرِي

قال: وأقبل حتى نزل الكوفة، فلم يزل بها حتى قدِم معاوية، وبعث المغيرة بن شعبه والياً على الكوفة، فأحب العافية، وأحسن في الناس السيرة، ولم يفتش أهل الأهواء عن أهوائهم، وكان يؤتى فيقال له: إن فلاناً يرى رأى الشيعة، وإن فلاناً يرى رأى الخوارج. وكان يقول: قضى الله ألا تزالون مختلفين، وسيحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون. فأمنه الناس، وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضاً، ويتذاكرون مكان إخوانهم بالنهر وان ويرون أن في الإقامة الغيب والوكف، وأن في جهاد أهل القبلة الفضل والأجر.

قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح، عن أبي بن عُمارة، أن الخوارج في أيام المغيرة بن شعبه فزِعوا إلى ثلاثة نفر، منهم المستورد بن علفقة، فخرج في ثلاثة رجل مقبلاً نحو جرجرايا على شاطئ دجلة.

قال أبو مخنف: وحدثني جعفر بن حذيفة الطائي من آل عامر بن

جُوَيْنَ ، عن المحلّ بن خليفة ، أن الخوارج في أيام المغيرة بن شعبه فزعوا إلى ثلاثة نفر ؛ منهم المستورد بن علفة التيميّ من تميم الرباب ، وإلى حيّان بن ظبيان السلميّ ، وإلى معاذ بن جُوَيْنَ بن حصّين الطائيّ السنبسيّ - وهو ابن عمّ زيد بن حصّين ، وكان زيد من قتله علىّ عليه السلام يوم النهروان ، وكان معاذ بن جُوَيْنَ هذا في الأربعمائة الذين ارتشوا من قتلى الخوارج ، فعفا عنهم علىّ عليه السلام - فاجتمعوا في منزل حيّان بن ظبيان السلميّ ، فتشاوروا فيمن يولّون عليهم . قال : فقال لهم المستورد : يا أيّها المسلمون والمؤمنون ، أراكم الله ما تحبّون ، وعزل عنكم ما تكرّهون ، ولّوا عليكم من أحببتم ، فواللّذي يتعلّم خاتنة الأعين وما تخفي الصدور ما أبالي من كان الوليّ علىّ منكم ! وما شرف الدنيا نريد ، وما إلى البقاء فيها من سبيل ، وما نريد إلا الخلود في دار الخلود . فقال حيّان بن ظبيان : أمّا أنا فلا حاجة لي فيها وأنا بك وبكلّ امرئ من إخواني راضٍ ، فانظروا من شتم منكم فسمّوه ، فأنا أوّل من يبايعه . فقال لهم معاذ بن جُوَيْنَ بن حصّين : إذا قلنا أنّها هذا وأنّا سيّدنا المسلمين وذوّا أنسابهم في صلاحكمما ودّينكمما وقدركما ، فمن يرّس المسلمين ، وليس كلّكم يصلح لهذا الأمر ! وإنّا ينبغي أن يلىّ على المسلمين إذا كانوا سواء في الفضل أبصرهم بالحرب ، وأفقههم في الدين ، وأشدّهم اضطلاعا بما حمّل ، وأنّا بحمد الله ممن يرضى بهذا الأمر ، فليتولّه أحدكم . قالوا : فتولّه أنت ، فقد رضيّاك ، فأنت والحمد لله الكامل في دينك ورأيك ، فقال لهما : أنّا أسنّ مني ، فليتولّه أحدكم ، فقال حينئذ جماعة من حضرهما من الخوارج : قد رضيّا بكم أيّها الثلاثة ، فولوا أيّكم أحببتم ؛ فليس في الثلاثة رجل إلا قال لصاحبه : تولّها أنت ، فإني بك راضٍ ، وإني فيها غير ذي رغبة . فلما كثر ذلك بينهم قال حيّان بن ظبيان ، فإنّ معاذ بن جُوَيْنَ قال : إني لا ألىّ عليكم وأنّا أسنّ مني ، وأنا أقول لك مثل ما قال لي ولك ، لا ألىّ عليك وأنت أسنّ مني ، أبسط يدك أبايعك . فبسط يده فبايعه ، ثم بايعه معاذ بن جُوَيْنَ ، ثم بايعه القوم جميعا ، وذلك في جمادى الآخرة . فاتعد القوم أن يتجهّزوا ويتسرّوا ويستعدّوا ، ثم يخرجوا في غرة الهلال هلال

شعبان سنة ثلاث وأربعين ، فكانوا في جهازهم وعدتهم .

* * *

٢٢/٢

وقيل : في هذه السنة سار بسر بن أبي أرتاة العامري إلى المدينة ومكة واليمن ، وقتل من قتله في مسيره ذلك من المسلمين .

وذلك قول الواقدي ، وقد ذكرت من خالفه في وقت مسيره هذا السير . وزعم الواقدي أن داود بن حيان حدثه ، عن عطاء بن أبي مروان ، قال : أقام بسر بن أبي أرتاة بالمدينة شهراً يستعرض الناس ، ليس أحد ممن يقال هذا أعان على عثمان إلا قتله .

وقال عطاء بن أبي مرزوان : أخبرني حنظلة بن علي الأسلمي ، قال : وجد قوماً من بني كعب وغلمانهم على بئر لهم فألقاهم في البئر .

* * *

[ذكر قدوم زياد على معاوية]

وفي هذه السنة قدم زياد - فيما حدثني عمر - قال : حدثنا أبو الحسن ، عن سليمان بن أرقم ، قدم على معاوية من فارس ، فصالحه على مال يحمله إليه .

وكان سبب قدومه بعد امتناعه بقلعة من قلاع فارس ، ما حدثني عمر قال : حدثنا أبو الحسن ، عن مسلمة بن محارب ، قال : كان عبد الرحمن بن أبي بكر يلى ما كان لزياد بالبصرة ، فبلغ معاوية أن لزياد أموالاً عند عبد الرحمن ، وخاف زياد على أشياء كانت في يد عبد الرحمن لزياد ، فكتب إليه يأمره بإحرازها ، وبعث معاوية إلى المغيرة بن شعبة لينظر في أموال زياد ، فقدم المغيرة ، فأخذ عبد الرحمن ، فقال : لئن كان أساء إلى أبوك لقد أحسن زياد . وكتب إلى معاوية : إني لم أصب في يد عبد الرحمن شيئاً يحل لي أخذه . فكتب معاوية إلى المغيرة أن عذبه . قال : وقال بعض المشيخة : إنه عذّب عبد الرحمن بن أبي بكر إذ كتب إليه معاوية ، وأراد أن يعذّر ويبلغ معاوية ذلك ، فقال : احتفظ بما أمرك به عمك ، فألقى على وجهه حريرة ونضحها بالماء ، فكانت تلتزق بوجهه ، فغشى عليه ، ففعل ذلك

٢٣/٢

ثلاث مرّات ، ثم خلاّه ، وكتب إلى معاوية : إني عذّبتّه ، فلم أصب عنده شيئاً ، فحفظ لزياد يده عنده .

حدّثني عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن عبد الملك بن عبد الله الثّقفيّ ، عن أشياخ من ثقيف ، قالوا : دخل المغيرة بن شُعْبة على معاوية ، فقال معاوية حين نظر إليه :

إِنَّمَا مَوْضِعُ سِرِّ الْمَرْءِ إِنْ بَاخَ بِالسَّرِّ أَخُوهُ لِمُنْتَصَحٍ
فَإِذَا بُحِثَ بِسِرِّهِ فإِلَى نَاصِحٍ يَسْتُرُهُ أَوْ لَا تَبْخُ
فقال : يا أمير المؤمنين ، إن تستودعني تستودع ناصحاً شفيقاً^(١)

ورِعاً وثيقاً ، فما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذكرتُ زياداً واعتصامه بأرض فارس ، وامتناعه بها ، فلم أنم ليلتي ؛ فأراد المغيرة أن يطأطئ من زياد ، فقال : ما زياد هناك يا أمير المؤمنين ! فقال معاوية : بشئ الوطء العجز ، داهية العرب معه الأموال ، متحصّن بقلّاع فارس ، يدبّر ويربص الحيل ، ما يؤمّنني أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت ، فإذا هو قد أعاد على الحرب خدعة . فقال المغيرة : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إتيانه ! قال : نعم ، فأته وتلطّف له ، فأتي المغيرة زياداً ، فقال زياد حين بلغه قدوم المغيرة : ما قدّم إلا

٢٤/٢

لأمر ، ثم أذن له ، فدخل عليه وهو في بهو له مستقبل الشمس ، فقال زياد : أفلح رائد ! فقال : إليك ينتهي الخبر أبا المغيرة ، إن معاوية استخفّه الوَجَل حتى بعثني إليك ، ولم يكن يعلم أحداً يمدّ يده إلى هذا الأمر غير الحسن ، وقد بايع معاوية ، فخذ لنفسك قبل التّوطيّن ، فيستغني عنك معاوية ، قال : أشرّ على ، وارم الغرض الأقصى ، ودع عنك الفضول ، فإنّ المستشار مؤتمّن ؛ فقال المغيرة : في محض الرأي بشاعة ، ولا خير في المديق^(٣) ، أرى أن تصلّ جبلتك بجبله ، وتخصّص إليه ؛ قال : أرى ويقضي الله .

حدّثني عمر ، قال : حدّثنا عليّ ، عن مسّلمة بن محارب ، قال :

(١) ف : « مشفقاً » . (٢) أبوالمغيرة ، كنية زياد ، وانظر الاستيعاب . (٣) المديق : اللبن المزوج بالماء . والمحض : الخالص ؛ والكلام على الاستمارة .

أقام زياد في القلعة أكثر من سنة ، فكتب إليه معاوية : علام تَهْلِك نفسك ؟ إلى فأعلِمْنِي عِلْمَ ما صار إليك مما اجتبيت من الأموال ، وما خرج من يديك ، وما بقى عندك ، وأنت آمِن ، فإن أحببت المَقام عندنا أقمت ، وإن أحببت أن تَرْجِعَ إلى مَأْمَنِكَ^(١) رجعت . فخرج زياد من فارس ، وبلغ المغيرة بن شعبة أن زياداً قد أجمع على إتيان معاوية ، فشَخَصَ المغيرة إلى معاوية قبل شخوص زياد من فارس ، وأخذ زياد من إصْطَخَرَ إلى أَرْجَان ، فأتى ماه بهزاذان ، ثم أخذ طريق حُلوان حتى قدم المَدائن ، فخرج عبدالرحمن إلى معاوية يخبره بقدوم زياد ، ثم قدِمَ زياد الشام ، وقدم المغيرة بعد شهر ، فقال له معاوية : يا مغيرة ، زياد أبعدُ منك بمسيرة شهر^(٢) ، وخرجت قبله وسبقك . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الأريب إذا كلم الأريب أفحَمَه ؛ قال : خذ حذرَكَ ، واطوِ عَنِّي سِرَّكَ ، فقال : إن زياداً قدم يرجو الزيادة ، وقدمت أتخوِّف النقصان ، فكان سيرنا على حسب ذلك ؛ قال : فسأل معاوية زياداً عما صار إليه من أموال فارس ، فأخبره بما حمل منها إلى على رضي الله عنه ، وما أنفق منها في الوجوه التي يحتاج فيها إلى النفقة ، فصدقه معاوية على ما أنفق ، وما بقى عنده ، وقبضه منه ، وقال : قد كنت أمين خلفائنا .

٢٥/٢

حدثني عمر ، قال : حدثنا على ، قال : حدثنا أبو مخنف وأبو عبد الرحمن الأصبهاني وسَلَمَة بن عثمان وشيخ من بني تميم وغيرهم ممن يوثق بهم ، قال : كتب معاوية إلى زياد وهو بفارس يسأله القدوم عليه ، فخرج زياد من فارس مع المِنْجَاب بن راشد الضبي وحارثة بن بدر الغدافي ، وسرح عبد الله بن خازم في جماعة إلى فارس ، فقال : لعلك تَلَقَى زياداً في طريقك فتأخذه . فسار ابن خازم إلى فارس ، فقال بعضهم : لقيه بسوق الأهواز ، وقال بعضهم : لقيه بأَرْجَان ، فأخذ ابن خازم بعين زياد ، فقال : انزل يا زياد ، فصاح به المِنْجَاب بن راشد : تنح يا بن سَوْداء ، وإلا علقتُ يدك بالعِنان . قال : ويقال : انتهى إليهم ابن خازم وزياد

(١) س : « مقامك » .

(٢) ف : « أبعداً بشهر » .

جالس ، فأغلظ له ابن خازم ، فشتم المنجاب بن خازم ، فقال له زياد : ٢٦/٢
ما تريد يا ابن خازم ؟ قال : أريد أن تجيء إلى البصرة ؛ قال : فإني آتيها ؛
فانصرف ابن خازم استحياءً من زياد .

وقال بعضهم : التقى زياد وابن خازم بأرجان ، فكانت بينهم منازعة ،
فقال زياد لابن خازم قد أتاني أمان معاوية ، فأنا أريده ، وهذا كتابه إلى .
قال : فإن كنت تريد أمير المؤمنين فلا سبيل عليك ، فضى ابن خازم إلى
سابور ، ومضى زياد إلى ماه بهز آذان ، وقدّم على معاوية ، فسأله عن
أموال فارس ، فقال : دفعتها يا أمير المؤمنين في أرزاق وأعطيات وحمالات ،
وبقيت بقية أودعتها قومًا ، فكث بذلك يردّه ، وكتب زياد كتبًا إلى قوم
منهم شعبة بن القليعم : قد علمتم ما لي عندكم من الأمانة ، فتدبروا كتاب
الله عز وجل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ... ﴾ (١)
الآية ، فاحتفظوا بما قبلكم . وسمى في الكتب بالمبلغ الذي أقر به لمعاوية ،
ودس الكتب مع رسوله ، وأمره أن يعرض لبعض من يبلغ ذلك معاوية ،
فتعرض رسوله حتى انتشر ذلك ، وأخذ فأتى به معاوية ، فقال معاوية لزياد :
لئن لم تكن مكرت بي إن هذه الكتب من حاجتي . فقرأها ، فإذا هي بمثل
ما أقر به ؛ فقال معاوية : أخاف أن تكون قد مكرت بي ، فصالحني على
ما شئت ، فصالحته على شيء مما ذكره أنه عنده ، فحمله ، وقال زياد :
يا أمير المؤمنين ، قد كان لي مال قبل الولاية ، فوددت أن ذلك المال بقي ،
وذهب ما أخذت من الولاية . ثم سأل زياد معاوية أن يأذن له في نزول الكوفة
فأذن له ، فشخص إلى الكوفة ، فكان المغيرة يكرمه ويعظمه ، فكتب معاوية ٢٧/٢
إلى المغيرة : خذ زيادًا وسليمان بن صرد وحجر بن عدى وشبث بن ربعي
وابن الكواء وعمرو بن الحمق بالصلاة في الجماعة ؛ فكانوا يحضرون معه
في الصلاة .

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي ، عن سليمان بن أرقم ، قال :
بلغني أن زيادًا قدم الكوفة ، فحضرت الصلاة ، فقال له المغيرة : تقدم

فصل ، فقال : لا أفعل ، أنت أحقّ منّي بالصلاة في سلطانك . قال :
 ودخل عليه زياد وعند المغيرة أمّ أيوب بنت عُمارة بن عقبة بن أبي مُعيط ،
 فأجلّسها بين يديه ، وقال : لا تستترى من أبي المغيرة ، فلما مات المغيرة
 تزوّجها زياد وهي حادثة ، فكان زياد يأمر بفيل كان عنده ، فيؤقف ،
 فتتنظر إليه أمّ أيوب ، فسمّى باب الفيل .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عنبسة بن أبي سفيان ، كذلك حدثني
 أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة بُسر بن أبي أرطاة الروم ومشتاه بأرضهم حتى بلغ القُسْطَنْطِينِيَّةَ - فيما زعم الواقدي - وقد أنكر ذاك قومٌ من أهل الأخبار ، فقالوا : لم يكن لبُسر بأرض الروم مَشْتَى قط .

وفيها مات عمرو بن العاص بمصر يومَ الفطر ، وقبلُ كان عمل عليها لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه أربع سنين ، ولعثمان أربع سنين إلا شهرين ، ولعاوية سنتين إلا شهراً .

وفيها ولّى معاويةُ عبد الله بن عمرو بن العاص مصرَ بعد موت أبيه ، فوكّليها له - فيما زعم الواقدي - نحواً من سنتين .

وفيها مات محمد بن مسلمة في صفر بالمدينة ، وصلى عليه مروان بن الحكم .

* * *

[خبر قتل المستورد بن علفة الخارجي]

وفيها قُتِلَ المستورد بن علفة الخارجي ، فيما زعم هشام بن محمد . وقد زعم بعضهم أنه قتل في سنة اثنتين وأربعين .
* ذكر الخبر عن مقتله :

قد ذكرنا ما كان من اجتماع بقايا الخوارج الذين كانوا ارتثوا يومَ النهر ، ومن كان منهم انحاز إلى الرّي وغيرهم إلى نفر الثلاثة الذين سميت قبلُ ، الذين أحدهم المستورد بن علفة ، وذكرنا بيعتهم المستورد ، واجتماعهم على الخروج في غرة هلال شعبان من سنة ثلاث وأربعين .

فذكر هشام ، عن أبي مخنف ؛ أن جعفر بن حذيفة الطائي حدثه عن المحل بن خليفة ، أن قبيصة بن الدّمون أتى المغيرة بن شعبة - وكان على شرطته - فقال : إن شمّر بن جَعَوْنَةَ الكلابي جاءني فخبّرني أن الخوارج قد اجتمعوا في منزل حيّان بن ظبيان السلمي ، وقد اتعدوا أن يخرجوا إليك

في غرة شعبان ، فقال المغيرة بن شعبه لقيصة بن الدمون - وهو حليف
لثقيف ، وزعموا أن أصله كان من حضر موت من الصدف : سِرَ
بالشرطة حتى تحيط بدار حيان بن ظبيان فأتني به ، وهم لا يرون إلا
أنه أمير تلك الخوارج . فسار قبيصة في الشرطة وفي كثير من الناس ، فلم
يشعر حيان بن ظبيان إلا والرجال معه في داره نصف النهار ، وإذا معه
معاذ بن جؤين ونحو من عشرين رجلاً من أصحابهما ، وثارت امرأته ؛
أم ولد^(١) له ، فأخذت سيفاً كانت لهم ، فألقته تحت الفراش ، وفزع
بعض القوم إلى سيوفهم فلم يجدوها ، فاستسلموا ، فانطلق بهم إلى المغيرة
ابن شعبه ، فقال لهم المغيرة : ما حملكم على ما أردتم من شق عصا المسلمين ؟
فقالوا : ما أردنا من ذلك شيئاً ؛ قال : بلى ، قد بلغني ذلك عنكم ، ثم قد
صدق ذلك عندي جماعتكم ؛ قالوا له : أمّا اجتماعنا^(٢) في هذا المنزل فإن حيان
ابن ظبيان أقرأنا القرآن ، فنحن نجتمع عنده في منزله فنقرأ القرآن عليه .
فقال : اذهبوا بهم إلى السجن ، فلم يزالوا فيه نحواً من سنة ، وسمع إخوانهم بأخذهم
فحذروا ، وخرج صاحبهم المستورد بن علفقة فتزل داراً بالخيرة إلى جنب
قصر العدسيين من كتّاب ، فبعث إلى إخوانه ، وكانوا يختلّفون إليه ويتجهّزون ،
فلما كثّر اختلاف أصحابه إليه قال لهم صاحبهم المستورد بن علفقة التيمي :
تحوّلوا بنا عن هذا المكان ، فإنّي لا آمن أن يطّلع عليكم . فإنهم في ذلك
يقول بعضهم لبعض : نأتى مكان كذا وكذا ، ويقول بعضهم : نأتى مكان
كذا وكذا ؛ إذ أشرف عليهم حجار بن أبجر من دار كان هوفها وطائفة
من أهله ، فإذا هم بفارسيين قد أقبلوا حتى دخلا تلك الدار التي فيها القوم ،
ثم لم يكن بأسرع من أن جاء آخران فدخلا ، ثم لم يكن إلا قليل حتى جاء
آخر فدخل ، ثم آخر فدخل ، وكان^(٣) ذلك يعنيه ، وكان خروجهم قد
اقرب ، فقال حجار لصاحبة الدار التي كان فيها نازلاً وهي ترضع صبيّاً
لها : ويحك ! ما هذه الخيل التي أراها تدخل هذه الدار ؟ قالت : والله

٢٩/٢

٣٠/٢

(٢) ف : « أما جماعتنا » .

(١) س : « وأم ولد » .

(٣) س : « وكل » .

ما أدرى ما هم ! إلا أن الرجال يختلفون إلى هذه الدار رجلاً وفرساناً لا ينقطعون ، ولقد أنكرنا ذلك منذ أيام ، ولا ندرى من هم ! فركب حجار فرسه ، وخرج معه غلام له ، فأقبل حتى انتهى إلى باب دارهم ، فإذا عليه رجل منهم ، فكلما أتى إنسان منهم إلى الباب دخل إلى صاحبه فأعلمه ، فأذن له ، فإن جاءه رجل من معروفهم دخل ولم يستأذن ، فلما انتهى إليه حجار لم يعرفه الرجل ، فقال : من أنت رحمك الله ؟ وما تريد ؟ قال : أردت لقاء صاحبي ، قال له : وما اسمك ؟ قال له : حجار بن أبجر ، قال : فكما أنت حتى أودعهم بك . ثم أخرج إليك . فقال له حجار : ادخل راشداً ! فدخل الرجل ، واتبعه حجار مسرعاً ، فأنتهى إلى باب صفة عظيمة هم فيها ، وقد دخل إليهم الرجل فقال : هذا رجل يستأذن عليك أنكرته فقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا حجار بن أبجر ، فسمعهم يتفزعون ويقولون : حجار بن أبجر ! والله ما جاء حجار بن أبجر بخير . فلما سمع القول منهم أراد أن ينصرف ويكتفي بذلك من الاسترابة بأمرهم ، ثم أبت نفسه أن ينصرف حتى يعاينهم ، فتقدم حتى قام بين سجنى باب الصفة وقال : السلام عليكم ، فنظر فإذا هو بجماعة كثيرة ، وإذا سلاح ظاهر ودروع ، فقال حجار : اللهم اجمعهم على خير ، من أنتم عافاكم الله ؟ فعرفه على بن أبي شمر ابن الحصين ، من تيم الرباب - وكان أحد الثمانية الذين انهزموا من الخوارج يوم النهـر ، وكان من فرسان العرب ونسأـكهم وخيارهم - فقال له : يا حجار ابن أبجر ، إن كنت إنما جاء بك التماس الخبر فقد وجدته ، وإن كنت إنما جاء بك أمر غير ذلك فادخل ، وأخبرنا ما أتى بك ، فقال : لا حاجة لى فى الدخول ، فانصرف ، فقال بعضهم لبعض : أدرى كوا هذا فاحبسوه ، فإنه مؤذن بكم ، فخرجت منهم جماعة فى أثره - وذلك عند تطفيل الشمس للإياب - فأنتهوا إليه وقد ركب فرسه ، فقالوا له : أخبرنا خبرك ، وما جاء بك ؟ قال : لم آت لشيء يروءكم ولا يهولكم ، فقالوا له : انتظر حتى ندنو منك ونكلمك ، أوتدنو منا ؟ أخبرنا فنعلمك أمرنا ، ونذكر حاجتنا ، فقال لهم : ما أنا بـدانٍ منكم ، ولا أريد أن يدنو منى منكم أحد ، فقال له

على بن أبي شمر بن الحصين : أفؤمّنا^(١) أنت من الإذن بنا هذه الليلة وأنت مُحسِن ؛ فإنّ لنا قرابةً وحَقًّا ؟ قال : نعم ، أنتم آمنون من قبلي هذه الليلة وليلالي الدهر كلّها ؛ ثم انطلق حتى دخل الكوفة وأدخل أهلَه معه . وقال الآخرون بعضهم لبعض : إنا لا نأمن أن يؤذَن بنا هذا ، فخرجوا بنا من هذا الموضع ساعتنا هذه ؛ قال : فصلّوا المغرب ، ثم خرجوا من الحيرة متفرقين ، فقال لهم صاحبُهم : الحقوا بي في دار سُلَيْم بن محدوج العبدى من بني سلمة ، فخرج من الحيرة ، فضى حتى أتى عبد القيس ، فأتى بني سلمة ، فبعث إلى سُلَيْم بن محدوج - وكان له صهرًا - فأتاه ، فأدخله وأصحابًا له خمسة أوستة ، ورجع حِجَار بن أبيجر إلى رحله ، فأخذوا ينتظرون منه أن يبلغهم منه ذكرٌ لهم عند السلطان أو الناس ، فما ذكرهم عند أحد منهم ، ولا بلغهم عنه في ذلك شيء يكرهونه .

٢٢/٢

فبلغ الخبر المغيرة بن شُعْبة أن الخوارج خارجةٌ عليه في أيامه تلك ، وأنهم قد اجتمعوا على رجل منهم ، فقام المغيرة بن شعبة في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ، فقد علمتم أيّها الناس أنى لم أزل أحبّ لجماعتكم العافية ، وأكفّ عنكم الأذى ، وأتى والله لقد خشيتُ أن يكون ذلك أدب سوء لسفهاكم ، فأما الحُلَماء الأتقياء فلا ، وإيمُ الله لقد خشيتُ ألا أجد بدًّا من أن يُعصّب الحليم التقيّ بذنب السفیه الجاهل ، فكفّوا أيّها الناس سفهاءكم قبل أن يشمل البلاءُ عوامكم . وقد ذُكر لى أن رجلا منكم يريدون أن يظهروا في المصر بالشقاق والخلاف ، وإيمُ الله لا يخرجون في حى من أحياء العرب في هذا المصر إلا أبدّتهم وجعلتْهم نكالا لمن بعدهم ، فنظر قومٌ لأنفسهم قبل الندم ، فقد قمت هذا المقام إرادة الحجة والإعذار .

٢٢/٢

فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال : أيّها الأمير ، هل سُمّي لك أحدٌ من هؤلاء القوم^(٢) ؟ فإن كانوا سُمّوا لك فأعلِمنا مَنْ هم ؟ فإن كانوا منا كنّفيناكهم ، وإن كانوا من غيرنا أمرت أهل الطاعة من أهل

(١) س : « أفؤمنا » . (٢) س : « منهم » .

مصرنا ، فأنتك كل قبيلة بسفهاها ، فقال : ما سُمِّيَ لي أحد منهم ، ولكن قد قيل لي : إن جماعة يريدون أن يخرجوا بالمِصر ؛ فقال له معقل : أصلحك الله ! فإني أسير في قومي ، وأكفيك ما هم فيه ، فليكفيك كل امرئ من الرؤساء قومه . فنزل المغيرة بن شعبه ، وبعث إلى رؤساء الناس فدعاهم ، ثم قال لهم : إنه قد كان من الأمر ما قد علمتم ، وقد قلت ما قد سمعتم ، فليكفي كل امرئ من الرؤساء قومه ، وإلا فوالذي لا إله غيره لأتحولن عما كنتم تسعون إلى ما تنكرون ، وعما تحبون إلى ما تكرهون ، فلا يلكم لائم إلا نفسه ، وقد أعدر من أنذر . فخرجت الرؤساء إلى عشائرهم ، فناشدوهم الله والإسلام إلا دلوهم على من يرون أنه يريد أن يهيج فتنة^(١) ، أو يفارق جماعة ؛ وجاء صعصعة بن صوحان فقام في عبد القيس .

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني الأسود بن قيس العبدى ، عن مرة بن النعمان ، قال : قام فينا صعصعة بن صوحان وقد والله جاءه من الخبر بمنزل التيمى وأصحابه في دار سليم بن محدوج ، ولكنه كره على فراقه إياهم وبغضه لرأيهم ، أن يؤخذوا^(٢) في عشيرته ، وكره مساة أهل بيت من قومه ، فقال : قولاً حسناً ، ونحن يومئذ كثير أشرافنا ، حسن عددنا ، قال : فقام فينا بعد ما صلى العصر ، فقال : يا معشر عباد الله ، إن الله - وله الحمد كثيراً - لما قسم الفضل بين المسلمين خصكم منه بأحسن القسم ، فأجبتكم إلى دين الله الذى اختاره الله لنفسه ، وارتضاه للملائكة ورُسُله ، ثم أقمت عليه حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم اختلف الناس بعده فثبت طائفة ، وارتدت طائفة ، وأدهنت طائفة ، وتربصت طائفة ، فلزمت دين الله إيماناً به وبرسوله ، وقاتلت المرتدين حتى قام الدين ، وأهلك الله الظالمين ، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً في كل شيء ، وعلى كل حال ، حتى اختلفت الأمة بينها ، فقالت طائفة : نريد طلحة والزبير وعائشة ، وقالت طائفة :

(١) ف : « الفتنة » .

(٢) ف : « أن يوجدوا » .

نريد أهل المغرب ، وقالت طائفة : نريد عبد الله بن وهب الراسبي ، راسب الأزد ، وقلتم أنتم : لا نريد إلا أهل البيت الذين ابتدأنا الله من قبلهم بالكرامة ، تسديداً من الله لكم وتوفيقاً ، فلم تزالوا على الحق لازمين له ، آخذين به ، حتى أهلك الله بكم وبمن كان على مثل هداكم ورأيكم الناكثين يوم الجمل ، والمارقين يوم النهر - وسكت عن ذكر أهل الشام ، لأن السلطان كان حينئذ سلطانهم - ولا قوم أعدى لله ولكم ولأهل بيت نبيكم ولجماعة المسلمين من هذه المارقة الخاطئة ، الذين فارقوا إمامنا ، واستحلوا دماءنا ، وشهدوا علينا بالكفر ؛ فإياكم أن تؤوؤوهم في دُوركم ، أو تكتموا عليهم ، فإنه ليس ينبغى لحي من أحياء العرب أن يكون أعدى لهذه المارقة منكم ، وقد والله ذُكر لي أن بعضهم في جانب من الحي ، وأنا باحث عن ذلك وسائل ، فإن كان حكي لي ذلك حقاً تقربت إلى الله تعالى بدمائهم ، فإن دماءهم حلال . ثم قال : يا معشر عبد القيس ، إن ولاتنا هؤلاء هم أعرف شيء بكم وبرأيكم ، فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلاً ، فإنهم أسرع شيء إليكم وإلى أمثالكم^(١) . ثم تنحى فجلس ، فكل قومه قال : لعنهم الله ! وقال : برئ الله منهم ، فلا والله^(٢) فلا نُؤويهم ، ولئن علمنا بمكانهم لنطلعنك عليهم ؛ غير سليم بن محدود ، فإنه لم يقل شيئاً ، فرجع^(٣) إلى قومه كثيراً واجماً ، يكره^(٤) أن يخرج أصحابه من منزله فيلوموه ، وقد كانت بينهم مصاهرة ، وكان لهم ثقة ، ويكره أن يُطلبوا في داره فيسهلوكوا ويهلك . وجاء فدخل رحلته ، وأقبل أصحاب المستورد يأتونه ، فليس منهم رجل إلا يخبره بما قام به المغيرة بن شعبة في الناس وبما جاءهم رؤسائهم ، وقاموا فيهم ، وقالوا له : اخرج بنا ، فوالله ما نأمن أن نؤخذ في عشائنا . قال : فقال لهم : أما ترون رأس عبد القيس قام فيهم كما قامت رؤساء العشائر في عشائهم ؟ قالوا :

٢٥/٢

(١) س : « قتلهم » .

(٢) س : « فوالله » .

(٣) ف : « ورجع » .

(٤) ف : « فكره » .

بلى والله نرى . قال : فإنَّ صاحب منزلي لم يذكر لي شيئاً ؛ قالوا : نرى والله أنه استَحيا منك ، فدعاه فأتاه ، فقال : يا بن محدوج ؛ إنه قد بلغني أن رؤساء العشائر قاموا إليهم ، وتقدّموا إليهم في وفي أصحابي ، فهل قام فيكم أحدٌ يذكركم شيئاً من ذلك ؟ قال : فقال : نعم ؛ قد قام فينا صمصعة ابن صُوحان ، فتقدّم إلينا في ألا نؤوي أحداً من طليبتهم ، وقالوا أقاويل كثيرة كرهت أن أذكرها لكم فتحسبوا أنه ثقل على شيء من أمركم ؛ فقال له المستورد : قد أكرمت المثنوي ، وأحسن الفعل ، ونحن إن شاء الله مرنحلون عنك^(١) ؛ ثم قال : أما والله لو أرادوك في رحلي ما وصلوا إليك ولا إلى أحد من أصحابك حتى أموت دونكم ، قال : أعاذك الله من ذلك ! وبلغ الذين في محبس المغيرة ما أجمع عليه أهل المِصر من الرأي في نفسي من كان بينهم من الخوارج وأخذهم ، فقال معاذ بن جُوَيْن بن حصين في ذلك :

ألا أيّها الشارون قد حان لامرئٍ
أقمتم بدار الخاطئين جهالةً
فشدّوا على القوم العداة فإنما
ألا فاقصدوا يا قوم للغاية التي
فيا ليتني فيكم على ظهر سابحٍ
وباليتني فيكم أعادي عدوكم
يعزّ على أن تُخافوا وتطرّدوا
ولما يفرّق جمعهم كلٌ ماجدٍ
مُشيحاً بنصل السيف في حمس الوغى
وعزّ على أن تضاموا وتُنقصوا

شَرى نفسه لله أن يترحلاً
وكل امرئ منكم يُصاد ليُقتل
أقامتكم للذبح راياً مُضلاً
إذا ذكّرت كانت أبرّ وأعدلاً
شديد القصيرى دارعاً غير أعزلاً
فيسقيني كأس المنيّة أولاً
ولما أجرد في المُجلّين مُضلاً
إذا قلت قد ولّى وأدبر أقبلاً
يرى الصبر في بعض المواطن أمثلاً
وأصبح ذا بث أسيراً مكبلاً

ولو أننى فيكم وقد قصصدوا لكم أثرتُ إذا بين الفريقين قسطلًا
 فيارب جَمْعٌ قد فللتُ وغارة شهدتُ وقرنٌ قد تركتُ مُجدلاً
 فبعث المستورد إلى أصحابه فقال لهم : اخرجوا من هذه القبيلة لا يُصب
 امرأ^(١) مسلماً فى سبينا بغير علمٍ معرّة . وكان فيهم بعضٌ من يرى رأيهم ،
 فاتعدوا سوراً ، فخرجوا إليها متقطعين من أربعة وخمسة وعشرة ، فتتاموا بها
 ثلثمائة رجل ، ثم ساروا إلى الصّرة ، فباتوا بها ليلة .

٣٧/٢

ثم إن المغيرة بن شعبه أخير خبرهم ، فدعا رؤساء الناس ، فقال :
 إن هؤلاء الأشقياء قد أخرجهم الحين وسوء الرأى ، فن ترون أبعث إليهم ؟
 قال : فقام إليه عدى بن حاتم ، فقال : كلنا لهم عدو ، ولرأيهم مسفة^(٢) ،
 وبطاعتك مستمسك ، فأبينا شئت سار إليهم .

فقام معقل بن قيس ، فقال : إنك لا تبعث إليهم أحداً ممن ترى حولك
 من أشراف المصر إلا وجدته سامعاً مطيعاً ، ولم يفارقاً ، ولهلاكهم محبباً ،
 ولا أرى أصلحك الله أن تبعث إليهم أحداً من الناس أعدى لهم ولا أشد
 عليهم منى ، فابعثنى إليهم فإنى أكفيكمهم بإذن الله ، فقال : اخرج
 على اسم الله ؛ فجهز معه ثلاثة آلاف رجل .

وقال المغيرة لقبيصة بن الدمشون : الصق لى بشيعة على ، فأخرجهم مع
 معقل بن قيس ، فإنه كان من رموس أصحابه ، فإذا بعث بشيعة الذين
 كانوا يعرفون فاجتمعوا جميعاً ، استأنس بعضهم ببعض وتناصحوا ، وهم
 أشد استحلالاً للدماء هذه المارقة ، وأجرأ عليهم من غيرهم ، وقد قاتلوا قبل
 هذه المرة .

قال أبو مخنف : فحدثني الأسود بن قيس ، عن مرة بن منقذ بن
 النعمان ، قال : كنت أنا فيمن نذب معه يومئذ ؛ قال : لقد كان صعصعة
 ابن صوحان قام بعد معقل بن قيس وقال : ابعثنى إليهم أيها الأمير ،

٣٨/٢

فأنا والله لدمائهم مستحلّ ، وبحملها مستقيلّ ؛ فقال : اجلس ؛ فإنما أنت خطيب ، فكان أحفظه ذلك ، وإنما قال ذلك لأنه بلغه أنّه يعيب عثمان بن عفّان رضى الله عنه ، ويكثر ذكره على ويفضّله ، وقد كان دعاه ، فقال : إياك أن يبلغتنى عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس ، وإياك أن يبلغننى عنك أنك تُظهر شيئاً من فضل على علانية ، فإنك لست بذّاكر من فضل على شيئاً أجّهله ، بل أنا أعلم بذلك ، ولكن هذا السلطان قد ظهر ، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس ، فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به ، ونذكر الشيء الذى لا نجد منه بدءاً ، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّة ، فإن كنت ذاكرآ فضله فاذكره^(١) بينك وبين أصحابك وفى منازلكم سرّاً ، وأما علانية فى المسجد فإنّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا ، ولا يعذرنا به ، فكان يقول له : نعم أفعّل ، ثم يبلغه أنه قد عاد إلى ما نهاه عنه ، فلما قام إليه وقال له : ابعثننى إليهم ، وجد المغيرة قد حقّق عليه خلافة إياه ، فقال : اجلس فإنما أنت خطيب ، فأحفظه ، فقال له : أوّما أنا إلا خطيب فقط ! أجل والله ، إني للخطيب الصليب الرئيس ، أما والله لو شهدتنى تحت راية عبد القيس يوم الجمل حيث اختلفت القنا ، فشئون تُفرى ، وهامة تُختلى ، لعلمت أنّى أنا الليث الهزبر ؛ فقال : حسبك الآن ، لعمرى لقد أوتيت لساناً فصيحاً ، ولم يلبث قبضة بن الدّمون أن أخرج الجيش مع معقل ، وهم ثلاثة آلاف تُقاو الشيعه وفرسانهم .

قال أبو مخنف : فحدثنى النضر بن صالح ، عن سالم بن ربيعة ، قال : إني جالس عند المغيرة بن شعبة حين أتاه معقل بن قيس يسلم عليه ويودّعه ، فقال له المغيرة : يا معقل بن قيس ، إني قد بعثت معك فرسان أهل المصر ، أمرت بهم فانتخبوا انتخاباً ، فسرّ إلى هذه العصاة المارقة الذين فارّقوا جماعتنا ، وشهدوا عليها بالكُفر ، فادعهم إلى التوبة ، وإلى الدخول فى الجماعة ، فإن فعلوا فاقبل منهم ، واكفّ عنهم ، وإن هم لم يفعلوا فناجزهم ، واستعين بالله عليهم .

(١) س : « فاذكر ذلك » .

فقال معقل بن قيس : سندعُوهم ونعذر ، وإيمُ الله ما أرى أن يقبلوا ،
ولئن لم يقبلوا الحق لا نَقبل منهم الباطل ، هل بلغنك أصلحك الله أين منزل
القوم ؟ قال : نعم ، كتب إلى سماك بن عُبَيْد العبسي - وكان عاملاً له على
المدائن - يُخبرني أنهم ارتحلوا من الصَّراة ، فأقبلوا حتى نزلوا بهرُسِير ،
وأَنهم أرادوا أن يَعبُروا^(١) إلى المدينة العتيقة التي بها منازل^(٢) كسرى وأبيَض
المدائن ، فنعهم سماك أن يجوزوا ، فنزلوا بمدينة بهرُسِير مقيمين ، فاخرج
إليهم ، وانكمِش^(٣) في آثارهم حتى تَلحقَهم ، ولا تَدعهم والإقامة
في بلد ينتهي إليهم فيه أكثر من الساعة التي تدعوهم فيها ، فإن قبلوا وإلا
فناهضهم ، فإنهم لن يقيموا ببلد يومين إلا أفسدوا كل من خالطهم .
فخرج من يومه فبات بسورا ، فأمر^(٤) المغيرة مولاه وراداً ، فخرج إلى الناس
في مسجد الجماعة ، فقال : أيُّها الناس ، إن معقل بن قيس قد سار إلى
هذه المارقة ، وقد بات الليلة بسورا ، فلا يتخلفن^(٥) عنه أحد من أصحابه .
ألا وإن الأمير يخرج على كل رجل من المسلمين منهم ، ويعزِم عليهم أن
يبستوا بالكوفة ، ألا وأيُّما رجل من هذا البعث وجَدناه بعد يَومِنا بالكوفة فقد
أحلّ بنفسه .

٤٠/٢

قال أبو مخنف : وحَدَّثني عبد الرحمن بن جندب^(٦) ، عن عبد الله بن
عُقْبَةَ الغَسَوِيِّ ، قال : كنت فيمن خرج مع المستورد بن عُلْفَةَ ، وكنت
أحدث رجل فيهم . قال : فخرجنا حتى أتينا الصَّراة ، فأقمنا بها حتى تَمامت جماعتنا ،
ثم خرجنا حتى انتهينا إلى بهرُسِير ، فدخلناها ونذرنا سماك بن عبيد العبسي ،
وكان في المدينة العتيقة ، فلما ذهبنا لنعبر الجسرَ إليهم قاتلنا عليه ، ثم قطعه
علينا ، فأقمنا بهرُسِير . قال : فدعاني المستورد بن عُلْفَةَ ، فقال : أتكتب
يا بن أخي ؟ قلت : نعم ، فدعا لي برقٍّ ودَوَاةً ، وقال : اكتب : من عبد الله

(١) ف : « يصيروا » .

(٢) ف : « منار » .

(٣) س : « وانكن » .

(٤) ف : « وأمر » .

(٥) ف : « فلا يتخلف » . (٦) ط : « حبيب » . وانظر التصويبات .

المستورد أمير المؤمنين إلى سماك بن عبيد ، أمّا بعد ، فقد نقيمتنا على قومنا الجحور في الأحكام ، وتعطيل الحدود ، والاستثثار بالنبي ، وإنا ندعوك إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولاية أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما ، والبراءة من عثمان وعلى ، لإحداثهما في الدين ، وتركهما حكم الكتاب ، فإنّ تقبّل فقد أدركت رشدك ، وإلا تقبّل فقد بالغنا^(١) في ٤١/٢ الإغدار^(٢) إليك ، وقد آذناك بحرب ، فتبذنا إليك على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين . قال : فقال المستورد : انطلق إلى سماك بهذا الكتاب فادفعه إليه ، واحفظ ما يقول لك ، والقنني .

قال : وكنت فنيّ حدثاً حين أدركت ، لم أجرب الأمور ، ولا علم لي بكثير منها ، فقلت : أصلحك الله ! لو أمرتني أن أستعرض دجلة فألقي نفسي فيها ما عصيتك ، ولكن تأمن على سماكاً أن يتعلق بي ، فيحبسني عنك ، فإذا أنا قد فاتني ما أترجّاه من الجهاد ! فتبسّم وقال : يا بن أخي ، إنما أنت رسول ، والرسول لا يُعرض له ، ولو خشيت ذلك عليك لم أبعثك ، وما أنت على نفسك^(٣) بأشفق مني عليك . قال : فخرجت حتى عبرت إليهم في معبّر ، فأتيت سماك بن عبيد ، وإذا الناس حوله كثير . قال : فلما أقبلت نحوهم أبدوني أبصارهم ، فلما دنوت منهم ابتدرني نحو من عشرة ، وظننت والله أنّ القوم يريدون أخذني ، وأنّ الأمر عندهم ليس كما ذكر لي صاحبي ، فانتضيت سيفي ، وقلت : كلاً ، والذي نفسي بيده ، لا تصلون إلىّ حتى أعذر إلى الله فيكم ، قالوا لي : يا عبد الله ، من أنت ؟ قلت : أنا رسول أمير المؤمنين المستورد بن علفّة ، قالوا : فلم انتضيت سيفك ؟ قلت : لا يتداركم إلىّ ، فخفت أن تؤثّقوني وتغدروا بي . قالوا : فأنت أمين ، وإنما أتيناك لنقوم إلى جنبك ، ونمسك بقاءم سيفك ، وننظر ماجئت له ، وما تسأل ؛ قال : فقلت لهم : أألسّ أميناً حتى تردوني إلى أصحابي ؟ قالوا : بلى ، فشيمت سيفي ، ثم أتيت حتى قمت على رأس سماك بن عبيد وأصحابه

(١) ط : « أبلغنا » .

(٢) س : « الإغدار » .

(٣) س : « بأشفق على نفسك » .

قد اثتسبوا بي^(١)، فنههم مُمْسِكٌ بِقَائِمٍ سِينِي ، ومنهم مُمْسِكٌ بَعَضُدِي ، فدفعْتُ إليه كِتَابَ صَاحِبِي ، فلما قرأه رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى ، فَقَالَ : مَا كَانَ الْمُسْتَوْدِعُ عِنْدِي خَلِيقًا لِمَا كُنْتُ أَرَى مِنْ إِخْبَاتِهِ وَتَوَاضُّعِهِ أَنْ يُخْرِجَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِسَيِّفِهِ، يَعْزِضُ عَلَى الْمُسْتَوْدِعِ الْبِرَاءَةَ مِنْ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ ، وَيَدْعُونِي إِلَى وَلايَتِهِ ! فَبُئْسَ وَاللَّهِ الشَّيْخُ أَنَا إِذَا ! قَالَ : ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، اذْهَبْ إِلَى صَاحِبِكَ فَقُلْ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ وَارْجِعْ عَنْ رَأْيِكَ ، وَادْخُلْ فِي جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ أَكْتُبَ لَكَ فِي طَلَبِ الْأَمَانِ إِلَى الْمَغِيرَةِ فَعَلْتُ ، فَإِنَّكَ سَتَجِدُهُ سَرِيعًا إِلَى الْإِصْلَاحِ ، حُبًّا لِلْعَافِيَةِ : قَالَ : قُلْتُ لَهُ ، وَإِنْ لِي فِيهِمْ يَوْمٌ بِصِيرَةٍ ، هِيَهَاتَ ! إِنَّمَا طَلَبْنَا بِهَذَا الْأَمْرِ الَّذِي أَخَافُنَا فِيكُمْ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا الْأَمْنِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ فَقَالَ لِي : بؤْسًا لَكَ ! كَيْفَ أَرْحَمُكَ ! ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : لَأَنْهَمُ خَلَوْا بِهَذَا. ثُمَّ جَعَلُوا يَقْرَءُونَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ وَيَتَخَضَّعُونَ وَيَتَبَاكُونَ ، فَظُنَّ بِهَذَا أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ قَوْمًا كَانُوا أَظْهَرَ ضَلَالَةً ، وَلَا أَبْيَنَ شَوْمًا ، مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَرَوْنَ !

قُلْتُ : يَا هَذَا لَأَنْنِي لَمْ آتِكَ لِأَشَاتِمَكَ وَلَا أَسْمَعَ حَدِيثَكَ وَحَدِيثَ أَصْحَابِكَ ، حَدَّثَنِي ، أَنْتَ تَجِيبُنِي إِلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ أَمْ لَا تَفْعَلُ فَأَرْجِعْ إِلَى صَاحِبِي ؟ فَظَنَرُ إِلَى ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَلَا تَعَجَّبُونَ إِلَى هَذَا الصَّبِيِّ ! وَاللَّهِ إِنِّي لِأُرَانِي أَكْبَرَ مِنْ أَبِيهِ ، وَهُوَ يَقُولُ لِي : أَتَجِيبُنِي إِلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ ! انْطَلِقْ يَا بُنَيَّ إِلَى صَاحِبِكَ ، إِنَّمَا تَسْتَدِمُ لَوْ قَدْ اكْتَفَيْتُكُمْ الْخَلِيلُ ، وَأَشْرَعْتُ فِي صُدُورِكُمُ الرَّمَّاحُ ، هُنَاكَ تَسْمَعُنِي لَوْ كُنْتُ فِي بَيْتِ أُمِّكَ ! قَالَ : فَانْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِهِ فَعَبَرْتُ إِلَى أَصْحَابِي ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْ صَاحِبِي قَالَ : مَا رَدَّ عَلَيْكَ ؟ قُلْتُ : مَا رَدَّ خَيْرًا ؛ قُلْتُ لَهُ : كَذَا وَقَالَ لِي : كَذَا ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ؛ قَالَ : فَقَالَ الْمُسْتَوْدِعُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(٢).

(١) ف : « أنشوا بي » ، س : « اكتبوني »

(٢) سورة البقرة ٦ ،

قال : فلبثنا بمكاننا ذاك يومين أو ثلاثة أيّام ، ثم استبان لنا مسير معقل ابن قيس إلينا . قال : فجمّعنا المستورد ، فحمّد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعدُ ، فإن هذا الحرق معقل بن قيس قد وجه إليكم وهو من السبئية المفترين الكاذبين ، وهو لله ولكم عدو ، فأشيروا على برأيكم . قال : فقال له بعضنا : والله ما خرجنا نريد إلا الله ، وجهاد من عادى الله ، وقد جاءونا فأين نذهب عنهم ! بل نقيم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين . وقالت طائفة أخرى : بل نعتزل ونستنحي ، ندعو الناس ونحتج عليهم بالدعاء .

٤٤/٢

فقال : يا معشر المسلمين ، إني والله ما خرجت ألتمس الدنيا ولا ذكرها ولا فخرها^(١) ولا البقاء ، وما أحبّ أنها لي بخذا فيرها ، وأضعاف ما يستافس فيه منها بقبال^(٢) نعلي ! وما خرجت إلا التماس الشهادة ، وأن يهديني الله إلى الكرامة بهوان بعض أهل الضلالة ، وإني قد نظرت فيما استشرتكم فيه فرأيت ألا أقم لهم حتى يُقدّموا عليّ وهم جامعون^(٣) متوافرون ، ولكن رأيت أن أسير حتى أمعن ، فإنهم إذا بلغهم ذلك خرجوا في طلبنا ، فتقطّعوا وتبدّوا ، فعلى تلك الحال ينبغي لنا قتالهم ، فاخرجوا بنا على اسم الله عز وجل .

قال : فخرجنا فضينا على شاطئ دجلة حتى انتهينا إلى جرجرايا ، فعبّرنا دجلة ، فضينا كما نحن في أرض جوحى حتى بلغنا المذار ، فأقمنا فيها ، وبلغ عبد الله بن عامر مكاننا الذي كنا فيه ، فسأل عن المغيرة بن شعبة ، كيف صنع في الجيش الذي بعث إلى الخوارج ؟ وكم عدتهم ؟ فأخبر بعدتهم ، وقيل له : إن المغيرة نظر إلى رجل شريف رئيس قد كان قاتل الخوارج مع عليّ عليه السلام ، وكان من أصحابه ، فبعثه وبعث معه شيعة على لعداوتهم لهم ، فقال : أصاب الرأي ، فبعث إلى شريك بن الأعور الحارثي - وكان يصرى رأي عليّ عليه السلام - فقال له : اخرج إلى هذه المارقة فانتخب ثلاثة آلاف رجل^(٤) من الناس ، ثم أتبعهم حتى تخرجهم

(١) س : « فخرًا فيها » .

(٢) قبال النعل : زمامها .

(٣) ط : « حامون » تحريف .

(٤) س : « فارس » .

٤٥/٢

من أرض البَصْرَةِ أو تقتلهم . وقال له بينه وبينه : اخرج إلى أعداء الله بمن يستحل قتالهم من أهل البصرة ، فظنّ شريك به إنما يعني شيعة علي عليه السلام ، ولكنه يكره أن يسميهم ، فانتخب الناس ، وألح على فرسان ريعة الذين كان رأيهم في الشيعة ، وكان تجييه العظماء منهم . ثم إنه خرج فيهم مقبلاً إلى المستورد بن علفة بالمدار .

قال أبو مخنف : وحدّثني حُصيرة بن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه عبد الله بن الحارث ، قال : كنت في الذين خرجوا مع معقل بن قيس ، فأقبلتُ معه ، فوالله ما فارقتُه ساعةً من نهار منذ خرجتُ ، فكان أول منزل نزلناه سُورا .

قال : فكثنا يوماً حتى اجتمع إليه جُلُّ أصحابه ، ثم خرجنا مسرعين مبادرين لعدونا أن يفوتنا ، فبعثنا طليعةً ، فارتحلنا فزلنا كوثى ، فأقمنا بها يوماً حتى لحق بنا من تخلّف ، ثم أدلج بنا من كوثى ، وقد مضى من الليل هزيع ، فأقبلنا حتى دنونا من المدائن ، فاستقبلنا الناس فأخبرونا أنهم قد ارتحلوا ، فشقّ علينا والله ذلك ، وأيقنّا بالعناء وطول الطلب .

قال : وجاء معقل بن قيس حتى نزل باب مدينة بهر سير ، ولم يدخلها ، فخرج إليه سماك بن عبيد ، فسلم عليه ، وأمر غلمانَه ومواليه فأتوه بالجزر والشعير والقست ، فجاءوه من ذلك بكل ما كفاه وكفى الجند الذين كانوا معه .

ثم إن معقل بن قيس بعد أن أقام بالمدائن ثلاثاً جمع أصحابه فقال : إن هؤلاء المارقة الضلال إنما خرجوا فذهبوا على وجوههم إرادة أن تتعجلوا في آثارهم ، فقطعوا وتبدّوا^(١) ، ولا تلحقوا بهم إلا وقد تسعيتهم ونصبتهم ، وأنه ليس شيء يدخل عليكم من ذلك إلا وقد يدخل عليهم مثله ، فخرج بنا من المدائن ، فقدم بين يديه أبو الرواغ الشاكري في ثلثة فارس ، فأتبع آثارهم ، فخرج معقل في أثره ، فأخذ أبو الرواغ يسأل عنهم ، ويركب الوجه الذي أخذوا فيه ، حتى عبّروا جرّجرايا في آثارهم ، ثم سلك الوجه

٤٦/٢

(١) ف : « فيقطعوا ويتبدّوا » .

الذى أخذوا فيه ، فاتّبعهم ، فلم يزل ذلك دأبه (١) حتى لحقهم بالمدار مقيمين ، فلما دنا منهم استشار (٢) أصحابه في لقائهم وقتالهم قبل قدوم معقل عليه ، فقال له بعضهم : أقدم بنا عليهم فلنقاتلهم ، وقال بعضهم : والله ما نرى أن تعجل إلى قتالهم حتى يأتينا أميرنا ، ونلقاهم بجماعتنا .

قال أبو مخنف : فحدثني تليد بن زيد بن راشد الفاشي أن أباه كان معه يومئذ . قال : فقال لنا أبو الرواغ : إن معقل بن قيس حين سرّخني أمامه أمرني أن أتبع آثارهم ، فإذا لحقّتهم لم أعجل إلى قتالهم حتى يأتيني . قال : فقال له جميع أصحابه : فالرأى الآن بين ، تنح بنا فلنكن قريباً منهم حتى يقدم علينا صاحبنا ، فتنحينا - وذلك عند المساء - قال : فبتنا ليلتنا كلها متحارسين حتى أصبحنا ، فارتفع الضحى ، وخرجوا علينا ، قال : فخرجنا إليهم وعيدهم ثلثمائة ونحن ثلثمائة ، فلما اقتربوا (٣) شدوا علينا ، فلا والله ما ثبت لهم منا إنسان ، قال : فانهزمت ساعة ، ثم إن أبا الرواغ صاح بنا وقال : يا فرسان السوء ، قبّحكم الله سائر اليوم ! الكرة الكرة ! قال : فحتمل وحملنا معه ، حتى إذا دنونا من القوم كرّ بنا ، فانصرفنا وكرّوا علينا ، وكشفونا (٤) طويلاً ، ونحن على خيل معلّمة جياد ، ولم يصب منا أحد ، وقد كانت جراحات (٥) يسيرة ، فقال لنا أبو الرواغ : ثكلتكم أمهاتكم ! انصرفوا بنا فلنكرّ قريباً منهم ، لا نزايلهم حتى يقدم علينا أميرنا ، فما أقبح بنا أن نرجع إلى الجيش ، وقد انهزمتنا من عدونا ولم نصبر لهم حتى يشتد القتال وتكرّ القتلى . قال : فقال رجل منا يجيبه : إن الله لا يستحي من الحق ، قد والله هزمونا ، قال أبو الرواغ : لا أكثر الله فينا ضربك ! إننا ما لم ندع المعركة فلم نهزم (٦) ، وإنا متى عطفنا عليهم وكنا قريباً منهم فنحن على حال حسنة حتى يقدم علينا الجيش ، ولم نرجع عن وجّهنا ، إنه والله لو كان يقال : انهزم أبو حمران حمير بن بجير الهمداني ، ما باليت ، إنما

(٢) س : « أشار » .

(٤) س : « فكشفونا » .

(٦) س : « نهزم » .

(١) س : « شأنهم » .

(٣) س : « قربوا » .

(٥) س : « جراحة » .

يقال : انهزم أبو الرواغ ؛ فقفوا قريباً ، فإن أتوكم فعجزتم عن قتالهم فانحازوا^(١) ، فإن حملوا عليكم فعجزتم عن قتالهم فتأخروا وانحازوا إلى حامية ، فإذا رجعوا عنكم فاعطفوا عليهم ، وكونوا قريباً منهم ، فإن الجيش أتاكم إلى ساعة . قال : فأخذت الخوارجُ كلما حملت عليهم انحازوا وهم كانوا^(٢) حامية ، وإذا أخذوا في الكرة عليهم ففترق جماعتهم قرب أبو الرواغ وأصحابه على خيلهم في آثارهم ، فلما رأوا أنهم لا يفارقونهم ، وقد طاردوهم هكذا من ارتفاع الضحى إلى الأولى . فلما حضرت صلاة الظهر نزل المستورد للصلاة ، واعتزل أبو الرواغ وأصحابه على رأس ميل منهم أو ميلين ، ونزل أصحابه فصلوا الظهر ، وأقاموا رجلين ريثةً ، وأقاموا مكانهم حتى صلوا العصر . ثم إن فتى جاءهم بكتاب معقل بن قيس إلى أبي الرواغ ، وكان أهل القرى وعابرو السبيل يمرّون عليهم ويرونهم يقتتلون ، فن مضى منهم على الطريق نحو الوجه الذي يأتي من قبله معقل استقبال معقلاً فأخبره بالتقاء أصحابه والخوارج ، فيقول : كيف رأيتموهم يصنعون ؟ فيقولون : رأينا الحرورية تطرد أصحابك ، فيقول : أما رأيتم أصحابي يعطفون عليهم ويقاتلونهم ؟ فيقولون : بلى ، يعطفون عليهم وينهزمون : فقال : إن كان ظنى بأبي الرواغ صادقاً لا يقدم عليكم منهزماً أبداً . ثم وقف عليهم ، فدعا مُحِرِز بن شهاب بن بجير بن سُفْيَان بن خالد بن منقَر التميمي فقال له : تخلف في ضَعْفَةِ الناس ، ثم سِرْ بهم على مهل ، حتى تقدم بهم على ، ثم نادِ في أهل القوة : ليتعجل كل ذى قوة معي ، اعجلوا إلى إخوانكم ، فإنهم قد لاقوا عدوهم ، وإنى لأرجو^(٣) أن يهلكهم الله قبل أن تصلوا إليهم .

قال : فاستجمع من أهل القوة والشجاعة وأهل^(٤) الخيل الجياد نحو من سبعمائة ، وسار فأسرع ، فلما دنا من أبي الرواغ قال أبو الرواغ : هذه

(١) س : « فتأخروا » .

(٢) س : « كأنهم » .

(٣) ف : « أرجو » .

(٤) ف : « والخيل » .

غَبَرَةَ الحَیْلِ ، تَقَدَّمُوا بِنَا إِلَى عَدَوْنَا حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيْنَا الْجَنْدُ ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ قَرِيبٌ ، فَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَتَحَنَّنُ عَنْهُمْ وَلَا هَيِّنَانَهُمْ . قَالَ : فَاسْتَقْدَمَ أَبُو الرَّوَاعِ حَتَّى وَقَفَ مُقَابِلَ الْمُسْتَوْدِ وَأَصْحَابِهِ ، وَغَشِيَهُمْ مَعْقِلٌ فِي أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، فَتَزَلَّ فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ ، وَنَزَلَ أَبُو الرَّوَاعِ فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ فِي جَانِبِ آخَرٍ ، وَصَلَّى الْخَوَارِجَ أَيْضًا . ثُمَّ إِنَّ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ أَقْبَلَ بِأَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ أَبِي الرَّوَاعِ دَعَاهُ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ أبا الرَّوَاعِ ! هَكَذَا الظَّنُّ بِكَ ، الصَّبْرُ وَالْحَافِظَةُ . فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! إِنَّ لَّهُمْ شِدَّةَاتٍ مُنْكَرَاتٍ ، فَلَا تَكُنْ أَنْتَ تَكْلِيهَا بِنَفْسِكَ ، وَلَكِنْ قَدِّمْ بَيْنَ يَدَيْكَ مَنْ يِقَاتِلُهُمْ ، وَكُنْ أَنْتَ مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ رِدَاءً لَّهُمْ ؛ فَقَالَ : نَعِمَ مَا رَأَيْتَ ! فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا رَيْشَمًا قَالَهَا حَتَّى شَدَّوْا عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا غَشَوْهُ انْجَفَلَ عَنْهُ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ ، وَثَبَّتَ وَنَزَلَ ، وَقَالَ : الْأَرْضُ الْأَرْضُ يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ ! وَنَزَلَ مَعَهُ أَبُو الرَّوَاعِ الشَّاكِرِيُّ وَنَاسٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفُرْسَانِ وَأَهْلِ الْحِفَاطِ نَحْوَ مِائَتِي رَجُلٍ ، فَلَمَّا غَشِيَهُمُ الْمُسْتَوْدِ وَأَصْحَابُهُ اسْتَقْبَلُوهُمْ بِالرَّمَاكِ وَالسُّيُوفِ ، وَانْجَفَلَتْ خَيْلُ مَعْقِلٍ عَنْهُ سَاعَةً ، ثُمَّ نَادَاهُمْ مُسْكِينُ بْنُ عَامِرٍ بْنُ أَنْثَيْفٍ بْنُ شُرَيْحٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُدُسٍ - وَكَانَ يَوْمُنَا مِنْ أَشْجَعِ النَّاسِ وَأَشَدَّهُمْ بَأْسًا - فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، أَيْنَ الْفِرَارُ ، وَقَدْ نَزَلَ أَمِيرُكُمْ ! أَلَا تَسْتَحْيُونَ ! إِنَّ الْفِرَارَ مَخْزَاةٌ وَعَارٌ وَلَوْثُمْ ، ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعًا ، وَرَجَعْتُ مَعَهُ خَيْلٌ عَظِيمَةٌ ، فَشَدَّوْا ٥٠/٢ عَلَيْهِمْ وَمَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ يُضَارِبُهُمْ تَحْتَ رَايَتِهِ ^(١) مَعَ نَاسٍ نَزَلُوا مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الصَّبْرِ ، فَضَرَبُوهُمْ حَتَّى اضْطَرُّوهُمْ إِلَى الْبُيُوتِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى جَاءَهُمْ مُحَرَّرُ بْنُ شَهَابٍ فِيمَنْ تَخَلَّفَ مِنَ النَّاسِ ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ أَنْزَلَهُمْ ثُمَّ صَفَّ لَهُمْ ، وَجَعَلَ مِيمَنَةً وَمَيْسَرَةً ، فَجَعَلَ أبا الرَّوَاعِ عَلَى مِيمَنَتِهِ وَمُحَرَّرُ بْنُ بَجِيرٍ عَلَى مَيْسَرَتِهِ وَمُسْكِينُ بْنُ عَامِرٍ عَلَى الْحَیْلِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : لَا تَبْرَحُوا مَصَافِكُمْ حَتَّى تَصْبِحُوا ، فَإِذَا أَصْبَحْتُمْ ثَرْنَا إِلَيْهِمْ فَجَازَنَاهُمْ ، فَوَقَفَ النَّاسُ مَوَاقِفَهُمْ عَلَى مَصَافِهِمْ .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن

(١) ف : « راياته » .

عُقْبَةُ الْغَنَوِيِّ ، قال : لما انتهى إلينا معقل بن قيس قال لنا المستورد : لا تَدْعُوا مَعْقِلًا حَتَّى يَعْثَى لَكُمْ الْحَيْلُ وَالرَّجُلُ ، شُدُّوا عَلَيْهِمْ شِدَّةً صَادِقَةً ، لَعَلَّ اللَّهَ يَصْرَعَهُ فِيهَا . قال : فَشَدَدْنَا عَلَيْهِمْ شِدَّةً صَادِقَةً ، فَاِنْكَشَفُوا فَاِنْفَضُّوا ثُمَّ اِنْجَفَلُوا وَثَبَ مَعْقِلٌ عَنْ فَرْسِهِ حِينَ رَأَى إِدْبَارَ أَصْحَابِهِ عَنْهُ ، فَرَفَعَ رَأْيَتَهُ ، وَنَزَلَ مَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَاتَلُوا طَوِيلًا ، فَصَبَرُوا لَنَا ، ثُمَّ لَانَهُمْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا ، فَعَطَفُوا عَلَيْنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَاِنْحَرَزْنَا حَتَّى جَعَلْنَا الْبُيُوتَ فِي ظَهْرِنَا ، وَقَدْ قَاتَلْنَاهُمْ طَوِيلًا ، وَكَانَتْ بَيْنَنَا جِرَاحَةٌ وَقَتْلٌ يَسِيرٌ .

قال أبو مخنف : حَدَّثَنِي حَصِيرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُثْمَيْرَ بْنَ أَبِي أَشْأَةَ الْأَزْدِيَّ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ ، وَكَانَ فِيْمَنْ نَزَلَ مَعَ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ ، وَكَانَ رَئِيسًا . قال : وَكُنْتُ أَنَا فِيْمَنْ نَزَلَ مَعَهُ ، فَوَاللَّهِ مَا أُنْسَى قَوْلَ عُثْمَيْرِ بْنِ أَبِي أَشْأَةَ وَنَحْنُ نَقْتَتِلُ وَهُوَ يَضَارِبُهُمْ بِسَيْفِهِ قُدَمَا :

٥١/٢

قَدْ عَلِمْتُ أَنِّي إِذَا مَا أَقْشَعُوا عَنِّي وَالتَّائِثَ اللَّثَامُ الْوُضْعُ^(١)

* أَخْوَسُ عِنْدَ الرُّوعِ نَذْبٌ أَرْوَعُ^(٢) * .

وَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَاتَلَ مِثْلَهُ ، فَجَرَحَ رَجُلًا كَثِيرًا ، وَقَتَلَ وَمَا أُدْرِى أَنَّهُ قَتَلَ ، مَا عَدَا وَاحِدًا وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ اعْتَنَقَهُ ، فَخَرَّ عَلَى صَدْرِهِ فَذَبَحَهُ ، فَمَا حَزَّ رَأْسُهُ حَتَّى حَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَطَعَنَهُ بِالرَّمْحِ فِي ثُغْرَةِ نَحْرِهِ ، فَخَرَّ عَنْ صَدْرِهِ ، وَانْجَدَلَ مَيْتًا ، وَشَدَدْنَا عَلَيْهِمْ ، وَحَزَّنَاهُمْ إِلَى الْقَرِيَّةِ ، ثُمَّ اِنْصَرَفْنَا إِلَى مَعْرَكَتِنَا ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ بِهِ رَمَقٌ ، فَلَمَّا هُوَ قَدْ فَاطَظَ^(٣) ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَوَقَفْتُ فِيهِمْ .

قال أبو مخنف : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَنْدَبٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَقْبَةَ

(١) س : « الرضع » : جمع راضع ؛ وهو الثدي .

(٢) الأخوس : الرجل الجريء . والنذب : الخفيف إلى الأمر . والأروع : الرجل الكريم

ذو الجسم والجهارة .

(٣) فاظت نفسه ؛ هلك ، مثل « فاضت » .

الغنوى ، قال : إنا لمتواقفون^(١) أولَ الليل إذ أتانا رجل كنا بعثناه أولَ الليل ، وكان بعض من يمرَّ الطريق قد أخبرنا أن جيشًا قد أقبل إلينا من البصرة ، فلم نكترث ، وقلنا لرجل من أهل الأرض وجعلنا له جُعلاً : اذهب فاعلم هل أتانا من قِبَل البصرة جيش ؟ فجاء ونحن موافقو أهل الكوفة ، وقال لنا : نعم ، قد جاءكم شريكُ بن الأعور ، وقد استقبلت طائفة على رأس فرسخ عند الأولى ، ولا أرى القوم إلا نازلين بكم الليلة ، أو مُصْبِحِكُمْ غُدْوَةً . فأسقط في أيدينا .

٥٢/٢

وقال المستورد لأصحابه : ماذا ترون ؟

قلنا : نرى ما رأيت ، قال : فإني لا أرى أن أقيم هؤلاء جميعاً ، ولكن^(٢) نرجع إلى الوجه الذي جئنا منه ، فإن أهل البصرة لا يتبعونا إلى أرض الكوفة ، ولا يتبعنا حينئذ إلا أهل مِصْرنا ، فقلنا له : ولم ذاك ؟ فقال : قتال أهل مصر واحد أهون علينا من قتال أهل المِصْرين ؛ قالوا : سرُّ بنا حيث أحببت ، قال : فانزلوا عن ظهور دوابكم فأريحوا ساعة ، وأقضيوها ، ثم انظروا ما أمركم به ؛ قال : فترلنا عنها ، فأقضمتناها ؛ قال : وبيننا وبينهم حينئذ ساعة قد ارتفعوا عن القرية مخافة أن نبيستهم ؛ قال : فلما أرحناها وأقضمتناها أمرنا فاستويينا على متوننا ، ثم قال : ادخلوا القرية ، ثم اخرجوا من ورائها ، وانطلقوا معكم بعِلج يأخذ بكم من ورائها ، ثم يعود بكم حتى يردكم إلى الطريق الذي منه أقبلتم ، ودعوا هؤلاء مكانهم ، فإنهم لم يشعروا بكم عامة الليل ، أو حتى تصبحوا . قال : فدخلنا القرية وأخذنا عِلجاً ، ثم خرجنا به أمامنا ، فقلنا : خذ بنا من وراء هذا الصف حتى نعود إلى الطريق الذي منه أقبلنا . ففعل ذلك ، فجاء بنا حتى أقامنا على الطريق الذي منه أقبلنا ، فلزمناه راجعين ، ثم أقبلنا حتى نزلنا جَرَجَرِيَا .

قال أبو مخنف : حدثني حُصَيْرَة^(٣) بن عبد الله ، عن أبيه عبد الله بن الحارث ، قال : إنني أول من فطِن لدهابهم^(٤) ؛ قال : فقلت : أصلحك

(١) ف : « لمتواقفون » ، س : « لمتواقفون » . (٢) س : « ولكننا » .

(٣) ف : « حصين » . (٤) ف : « لدهابهم » .

٥٣/٢

الله ! لقد راينى أمر هذا العدو منذ ساعة طويلة ، إنهم كانوا موافقين نرى سوادهم ، ثم لقد خفى على ذلك السواد منذ ساعة ، وإنى لخائف أن يكونوا زالوا من مكانهم ليكيدوا الناس ؛ فقال : وما تخاف أن يكون من كيدهم ؟ قلت : أخاف أن يبيتوا الناس ، قال ، والله ما آمن ذلك ؛ قال : فقلت له : فاستعد لذلك ، قال : كما أنت حتى أنظر . يا عتاب ، انطلق فيمن أحبت حتى تدنو من القرية فتتظر هل ترى منهم أحداً أو تسمع لهم ركزا ! وسئل أهل القرية عنهم .

فخرج في خمس الغزاة يركض حتى نظر القرية فأخذ لا يرى أحداً يكلّمه ، وصاح بأهل القرية ، فخرج إليه منهم ناس ، فسألهم عنهم ، فقالوا : خرجوا فلا ندرى كيف ذهبوا ! فرجع إليه عتاب فأخبره الخبر ، فقال معقل : لا آمن البسات ، فأين مضّر ؟ فجاءت مضر فقال : فقواها هنا ، وقال : أين ربيعة ؟ فجعل ربيعة في وجهه وتيمّا في وجهه وهمدان في وجهه ، وبقية أهل اليمس في وجهه آخر ، وكان كل ربع من هؤلاء في وجهه وظهره مما يلي ظهر الربع الآخر ، وجال فيهم معقل حتى لم يدع ربعاً إلا وقف عليه ، وقال : أيتها الناس ، لو أنوكم فبدوا بغيركم فقاتلوهم فلا تبترحوا^(١) أنتم مكانكم أبداً حتى يأتيكم أمرى ، وليغن كل رجل منكم الوجه الذى هو فيه ، حتى نصبح فترى رأينا . فكثوا متحارسين يخافون بياتهم حتى أصبحوا ، فلما أصبحوا نزلوا فصلوا ، وأتوا فأخبروا أن القوم قد رجعوا في الطريق الذى أقبلوا منه عودهم على بدتهم ، وجاء شريك بن الأعور في جيش من أهل البصرة حتى نزلوا بمعقل بن قيس فلقه ، فساء لا ساعة ، ثم إن معقلا قال لشريك : أنا متبع آثارهم حتى ألحقهم لعل الله أن يهلكهم ، فإنى لا آمن إن قصرت في طلبهم أن يكثرُوا . فقام شريك فجمع رجالاً من وجوه أصحابه ، فيهم خالد بن معدان الطائى وبينهس بن صهيب الجرهمى ، فقال لهم : يا هؤلاء ، هل لكم في خير ؟ هل لكم في أن تسيروا مع إخواننا من أهل الكوفة في طلب هذا العدو الذى هو عدو لنا ولهم حتى يستأصلهم

٥٤/٢

الله ثم نرجع ؟ فقال خالد بن معدان وبهيس الجحرى : لا والله ، لا نفعل ، إنما أقبلنا نحوهم لننفيهم عن أرضنا ، ونمنعهم من دخولها ، فإن كفانا الله مثوانتهم فإننا منصرفون إلى مِصرنا ، وفي أهل الكوفة من يمتنعون بلادهم من هؤلاء الأكلب ؛ فقال لهم : ويحكم ! أطيعوني فيهم ، فإنهم قوم سوء ، لكم في قتالهم أجرٌ وحُظوة عند السلطان ، فقال له بهيس الجحرى : نحن والله إذاً كما قال أخو بنى كنانة^(١) :

كَمْ رَضِعَ أَوْلَادٌ أُخْرَى وَضِيعَتْ بَنِيهَا فَلَمْ تَرْقَعْ بِذَلِكَ مَرْقَعًا

أما بَلَّغَكَ أَنَّ الأكراد قد كفروا بجمال فارس ! قال : قد بلغنى ، قال : فتأمرنا أن ننطلق معك نحصى^(٢) بلاد أهل الكوفة ، ونقاتل عدوهم ، ونترك بلادنا ، فقال له : وما الأكراد ! إنما يكفيهم طائفة منكم ؛ فقال له : وهذا العدو الذى تَسُدُّ بنا إليه إنما يكفيه طائفة من أهل الكوفة ، إنهم لَعَمْرَى لو اضطُروا إلى نُصْرَتنا لكان علينا نُصْرَتُهُمْ ، ولكنهم لم يحتاجوا إلينا بعد ، وفي بلادنا فتقٌ مثل الفتق الذى فى بلادهم ، فليغنوا ما قبلهم ، وعلينا أن نغنى ما قبلنا ، وَلَعَمْرَى لو أنا أطعناك فى اتباعهم فاتبعتهم كنت قد اجترأت على أميرك ، وفعلت ما كان ينبغى لك أن تطلع فيه رأيه ، ما كان ليحتملها^(٣) لك . فلما رأى ذلك قال لأصحابه : سيروا فارتحلوا ، وجاء حتى لقي معقلا - وكانا متحابين على رأى الشيعة متوادين عليه - فقال : أما والله لقد جهدت بمن معى أن يتبعونى حتى أسير معكم إلى عدوكم فغلبونى ، فقال له معقل : جزاك الله من أخ خيراً^(٤) ! إنا لم نحتج إلى ذلك ، أما والله إننى أرجو أن لو قد جهدوا لا يُفْلِت^(٥) منهم مُخْبِر .

قال أبو مخنف : حدثني الصَّقْعَب بن زهير ، عن أبى أمانة عبيد الله

(١) هو ابن جذل الطمان الكناني ، الحيوان : ١٩٧١ ، حاشية البعثرى : ١٧٠٠ ، شرح

ديوان الحاشية للمرزوق : ٧٣٦٠ .

(٢) س : « ونحصى » .

(٣) ف : « يحتملها » .

(٤) س : « جزاك الله خيراً من أخ » .

(٥) س : « لو قد اجتهدوا لا ينفلت » .

ابن جُنادة ، عن شريك بن الأعور ، قال : حدثنا بهذا الحديث شريك ابن الأعور . قال : فلما قال : والله إني لأرجو أن لو جهدوا لا يُفْلَت منهم مَخْبِرٌ^(١) ، كرهتها والله له ، وأشفقتُ عليه ، وحسبت أن يكون شبه كلام البَغْي ؛ قال : وإيمُ الله ما كان من أهلِ البَغْي .

قال أبو مخنف : حدثني حُصَيِّرة بن عبد الله ، عن أبيه عبد الله بن الحارث الأزدي ، قال : لما أتانا أن المستورد بن علفة وأصحابه قد رجعوا عن^(٢) طريقهم سرُّرنا بذلك ، وقلنا : نتبعهم ونستقبلهم بالمدائن ، وإن دنوا من الكوفة كان أهلكَ لهم ؛ ودعّا معقلُ بن قيس أبا الرواغ فقال له : اتبعه في أصحابك الذين كانوا معك حتى تحبسه على حتى ألحقك ؛ فقال له : زدني منهم فإنه أقوى لي عليهم إن هم أرادوا مناجزتي^(٣) قبل قدومك ، فإننا كنا قد لقينا منهم برِّحاً^(٤) ، فزاده ثلثمائة ، فاتبعهم في سُمائة ، وأقبلوا سراعاً حتى نزلوا جبرجرايا ، وأقبل أبو الرواغ في إثرهم مسرعاً حتى لحقهم بجبرجرايا ، وقد نزلوا ، فترل بهم عند طلوع الشمس ، فلما نظروا إذا هم بأبي الرواغ في المقدمة ، فقال بعضهم لبعض : إن قتالكم هؤلاء أهونُ من قتال من يأتي بعدهم .

قال : فخرجوا إلينا ، فأخذوا يُخرجون لنا العشرة فرسان منهم والعشرين فارساً ، فنخرج لهم مثلهم ، فتطارد الحَيْلان ساعةً ينتصف بعضهم من بعض ، فلما رأوا ذلك اجتمعوا فشدوا علينا شدةً واحدةً صدقوا فيها الحملة .

قال : فصرفونا حتى تركنا لهم العرصة . ثم إن أبا الرواغ نادى فيهم ، فقال : يا فرسان السوء ، يا حُماة السوء ، بش ما قاتلم القوم ! إلى ! إلى !

(١) س : « لو اجتهدوا ألا يفلت » .

(٢) س : « في » .

(٣) ف : « أرادوا منا حرباً » .

(٤) ف : « ترحاً » .

فعالج نحواً من مائة فارس ، فعطف عليهم ، وهو يقول :

إِنَّ الْفَتَى كُلَّ الْفَتَى مِنْ لَمْ يُهْلَ إِذَا الْجَبَانُ حَادَ عَنْ وَقَعِ الْأَسْلَ
 قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي إِذَا الْبَأْسُ نَزَلَ أَرَوْعُ يَوْمَ الْهَيْجِ مِقْدَامَ بَطْلَ
 ثم عطف عليهم فقاتلهم طويلاً ، ثم عطف أصحابه من كل جانب ،
 فصعد قوهم القتال حتى ردّوهم إلى مكانهم الذي كانوا فيه ، فلما رأى ذلك
 المستورد وأصحابه ظنوا أن معقلاً إن جاءهم على تفتة^(١) ذلك لم يكن دون قتله
 لهم شيء ؛ ففضى هو وأصحابه حتى قطعوا دجلة ، ووقعوا في أرض بهر سير ،
 وقطع أبو الرواغ في آثارهم فاتبعهم ، وجاء معقل بن قيس فاتبع لائثر أبي
 الرواغ ، فقطع في لائثر دجلة ، ومضى المستورد نحو المدينة العتيقة ، وبلغ
 ذلك سيماك بن عبيد ، فخرج حتى عبر إليها ، ثم خرج بأصحابه وبأهل
 المدائن ، فصفا على بابها ، وأجلس رجالاً رُماً على السور ، فبلغهم ذلك ،
 فانصرفوا حتى نزلوا سباط ، وأقبل أبو الرواغ في طلب القوم حتى مرّ بسماك
 ابن عبيد بالمدائن ، فخبّره بوجههم^(٢) الذي أخذوا فيه ، فاتبعهم حتى نزل
 بهم سباط .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن عتبة
 الغنوي ، قال : لما نزل بنا أبو الرواغ دعا المستورد أصحابه ، فقال :
 إن هؤلاء الذين نزلوا بكم مع أبي الرواغ هم حرّ أصحاب معقل ، ولا والله
 ما قدّم إليكم إلا حُماته وفرسانه ، والله لو أعلم أني إذا بادرت أصحابه
 هؤلاء إليه أدركته قبل أن يفارقوه بساعة لبادرتهم إليه ، فليخرج منكم خارج
 فيسأل عن معقل أين هو ؟ وأين بلغ ؟ قال : فخرجت أنا فاستقبلت علوجاً
 أقبلوا من المدائن ، فقلت لهم : ما بلغكم عن معقل بن قيس ؟ قالوا : جاء
 فيسج^(٣) لسماك بن عبيد من قبله كان سرّحه ليستقبل معقلاً فينظر أين انتهى ؟
 وأين يريد أن ينزل ؟ فجاءه فقال : تركته نزل ديلمايا - وهي قرية من قرى

(١) على تفتة ذلك ، أي على حينه .

(٢) س : « توجههم » .

(٣) الفيح : الرسول .

إسْـتَـانَ بِهَرَسِيرِ إِلَى جَانِبِ دِجْلَةٍ ، كَانَتْ لِقُدَامَةِ بْنِ الْعَجْلَانِ الْأَزْدِيِّ —
 ٥٨/٢ قَالَ : لَهُ : : كَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ ؟ قَالُوا : ثَلَاثَةَ فَرَاسِخَ ، ^(١) أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَأَخْبَرْتُهُ ^(٢) الْخَبْرَ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : ارْكَبُوا ،
 فَرَكِبُوا ، فَأَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى بِهِمْ إِلَى جِسْرِ سَابَاطَ — وَهُوَ جِسْرُ نَهْرِ الْمَلِكِ ،
 وَهُوَ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي إِلَى الْكُوفَةِ — وَأَبُو الرَّوَاعِ وَأَصْحَابُهُ مِمَّا يَلِي الْمَدَائِنَ ، قَالَ :
 فَجِئْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَى الْجِسْرِ ، قَالَ : ثُمَّ قَالَ لَنَا : لِنَنْزِلِ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ^(٣) : قَالَ :
 فَتَزَلْنَا مِنْ نَحْوِ خَمْسِينَ رَجُلًا ، فَقَالَ : اقْطَعُوا هَذَا الْجِسْرَ ، فَتَزَلْنَا فَقَطَعْنَاهُ ، قَالَ :
 فَلَمَّا رَأَوْنَا وَقُوفًا عَلَى الْخَيْلِ ظَنُّوْنَا أَنَا نَرِيدُ أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْهِمْ ؛ قَالَ : فَصَفُّوْنَا لَنَا ،
 وَتَعَبُّوْنَا ، وَاشْتَغَلُوا بِذَلِكَ عَنَّا فِي قِطْعِنَا الْجِسْرَ . ثُمَّ إِنَّا أَخَذْنَا مِنْ أَهْلِ سَابَاطَ
 دَلِيلًا فَقَلْنَا لَهُ : احْضُرْ بَيْنَ أَيْدِينَا حَتَّى نَنْتَهِيَ إِلَى دَيْلَمَايَا ، فَخَرَجَ بَيْنَ أَيْدِينَا
 يَسْعَى ، وَخَرَجْنَا تَلْمَعُ بَنَّا خَيْلِنَا ^(٤) ، فَكَانَ الْحَبَسُ وَالْوَجِيفُ ، فَمَا كَانَ إِلَّا
 سَاعَةٌ حَتَّى أَطْلَلْنَا عَلَى مَعْقِلِ وَأَصْحَابِهِ وَهُمْ يَتَحَمَّلُونَ ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ بَصُرْنَا بَنَّا
 وَقَدْ تَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ عَنْهُ ، وَمَقْدَمَتُهُ لَيْسَتْ عَنْدهُ ، وَأَصْحَابُهُ قَدْ اسْتَقْدَمَ
 طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ، وَطَائِفَةٌ تَزَحَّلُ ، وَهُمْ غَارُونَ لَا يَشْعُرُونَ . فَلَمَّا رَأَيْنَا نَصَبَ
 رَايَتِهِ ، وَنَزَلَ وَنَادَى : يَا عِبَادَ اللَّهِ ، الْأَرْضَ الْأَرْضَ ! فَتَزَلْنَا مَعَهُ نَحْوَ مِنْ
 مِائَتِي رَجُلٍ ؛ قَالَ : فَأَخَذْنَا نَحْمِلُ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَقْبِلُونَا بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ جُثَاةً
 عَلَى الرُّكَبِ فَلَا نَقْدِرُ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ لَنَا الْمُسْتَوْدُودُ : دَعُوا هَؤُلَاءِ إِذَا نَزَلُوا
 وَشُدُّوا عَلَى خَيْلِهِمْ حَتَّى تَحُولُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُمْ ^(٥) ، فَإِنَّكُمْ إِنْ أَصَبْتُمْ خَيْلَهُمْ
 ٥٩/٢ فَإِنَّهُمْ لَكُمْ عَنْ سَاعَةِ جُزُرٍ ؛ قَالَ : فَشَدُّدْنَا عَلَى خَيْلِهِمْ ، فَحُلْنَا بَيْنَهُمْ
 وَبَيْنَهَا ، وَقَطَعْنَا أَعْنَئَهَا ، وَقَدْ كَانُوا قَرَّتَوْهَا ، فَذَهَبَتْ فِي كُلِّ جَانِبٍ ؛ قَالَ :
 ثُمَّ مِلْنَا عَلَى النَّاسِ الْمُتَزَحِّلِينَ ^(٦) وَالْمُقَدِّمِينَ ، فَحَمَلْنَا عَلَيْهِمْ حَتَّى فَرَقْنَا

(١) س : « فَرَاسِخُ ثَلَاثَةٌ » .

(٢) ف : « فَخَبَرْتُهُ » .

(٣) س : « لِنَنْزِلِ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ » .

(٤) س : « حَتَّى بَلَغَ بَنَّا خَيْلِنَا » .

(٥) ف : « تَحُولُوا بَيْنَهُمْ » .

(٦) ف : « الْمُتَزَحِّلِينَ » .

بينهم ، ثم أقبلنا إلى معقل بن قيس وأصحابه جثاة على الركب على حالهم التي كانوا عليها ، فحملنا عليهم ، فلم يتحملوا ، ثم حملنا عليهم أخرى ، ففعلوا مثلها ، فقال لنا المستورد : نازلوهم ، لينزل إليهم نصفكم ، فنزل نصفنا ، وبقي نصفنا معه على الخيل ، وكنت في أصحاب الخيل . قال : فلما نزل إليهم رجالتنا قاتلتهم ، وأخذنا نحمل عليهم بالخيال ، وطمعنا والله فيهم . قال : فوالله إنا لتقاتلهم ونحن نرى أن قد علموناهم إذ طلعت علينا مقدمة أصحاب أبي الرواغ ، وهم حرّ أصحابه وفرسانهم ، فلما دنوا منا حملوا علينا ، فعند ذلك نزلنا بأجمعنا فقاتلناهم حتى أصيب صاحبنا وصاحبهم . قال : فما علمته نجا منهم يومئذ أحدٌ غيري . قال : وإني أحدتهم رجلاً فيما أرى .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن عتبة الغسوي ، قال : وحدثنا بهذا الحديث مرتين من الزمن ، مرة في إمارة مصعب ابن الزبير بياجميرا ، ومرة ونحن مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم . قال : فقتل الله يومئذ بدير الجماجم ^(١) يوم الهزيمة ، وإنه لمقبيل عليهم يضاربهم بسيفه وأنا أراه ؛ قال : فقلت له بدير الجماجم : إنك قد حدثتني بهذا الحديث بياجميرا مع مصعب بن الزبير ، فلم أسألك كيف نجوت من بين أصحابك ؟ قال : أحدثك ، والله إن صاحبنا لما أصيب قتل أصحابه إلا خمسة نفر أو ستة ؛ قال : فشددنا على جماعة من أصحابه نحو من عشرين رجلاً ، فانكشفوا .

قال : وانتهيت إلى فرس واقف عليه سرجه ولجامه ، وما أدري ما قصة صاحبه أقتيل أم نزل عنه صاحبه يقاتل وتركه ! قال : فأقبلت حتى أخذت بلجامه ، وأضع رجلي في الركاب وأستوي عليه . قال : وشد والله أصحابه علي ، فانتهوا إلي ، وغمزت في جنب ^(٢) الفرس ، فإذا هو والله أجود ما سخر ، وركض منهم ناس في أثرى فلم يعلقوا ^(٣) بي ، فأقبلت

(١) ف : « يوم الجماجم » .

(٢) ف : « جانب » .

(٣) س : « يعلقوا » .

أركض الفرسَ ، وذلك عند المساء ، فلما علمتُ أني قد فتُهم وأمنت ، أخذت أسيرُ عليه خَبَبًا وتقريبًا ^(١) . ثم إني سرتُ عليه بذلك من سيره ، ولقيتُ عِلْجًا فقلت له : اسعَ بين يديّ حتى تُخرجني الطريقَ الأعظمَ ، طريقَ الكوفة ؛ ففعل ، فوالله ما كانت إلاّ ساعة حتى انتهيت إلى كُوْتِي ، فجلّيتُ حتى انتهيت إلى مكان من النّهر واسع عريض ، فأقحمتُ الفرسَ فيه ، فعبَرْتُهُ ، ثم أقبلتُ عليه حتى أتى ديرَ كعب ، فنزلتُ فعقلتُ فرسي وأرحته وهومت تهويمة ، ثم إني هببت سريعًا ، فحلّلتُ في ظهر الفرس ، ثم سِرْتُ في قِطْع من الليل فاتخذت بقيّة الليل جَمَلًا ، فصلّيتُ الغداةَ بالمزاحمية على رأس فرسخين من قُبَيْن ، ثم أقبلتُ حتى أدخلت الكوفة حين متّع الضّحى ^(٢) ، فأتى من ساعتى شريك بن نملة المحاربيّ ، فأخبرته خبري وخبر أصحابه ، وسألته أن يلقَى المغيرةَ بن شُعْبة فيأخذَ لي منه أمانًا ، فقال لي : قد أصبت الأمان إن شاء الله ، وقد جئتُ ببشارة ، والله لقد بتّ الليلة وإنّ أمر الناس ليهتمّي .

٦١/٢

قال : فخرج شريك بن نملة المحاربيّ حتى أتى المغيرةَ مسرعًا فاستأذَن عليه ، فأذن له ، فقال : إن عندى بُشْرَى ، ولي حاجة ، فاقض حاجتي حتّى أبشرك ببشارتي ، فقال له : قُضِيَتْ حاجتُك ، فهاتِ بُشْرَاكَ ؛ قال : تؤمّن عبد الله بن عَقْبَةَ الغنَوِيّ ، فإنه كان مع القوم ، قال : قد آمنتَه ، والله لوددتُ أنّك أتيتني بهم كلهم فآمنتهم . قال : فأبشِر ، فإنّ القوم كلهم قد قُتِلوا ، كان صاحبي مع القوم ، ولم ينجُ منهم فيما حدثني غيره . قال : فما فعل معقل بن قيس ؟ قال : أصلحك الله ! ليس له بأصحابنا عِلْم . قال : فما فرغ من منطقة حتى قدم عليه أبو الرواغ ومسكين بن عامر بن أنيف مبشّرين بالفتّح ، فأخبروا أن معقل بن قيس والمستورد بن عُلْفَةَ مَشَى كلّ واحد منهما إلى صاحبه ، بيّد المستورد الرّمح وبيّد معقل السيف ، فالتقيا ، فأشرع المستورد الرّمح في صدرِ معقل حتى خرج السنان من

(١) الخبيب والتقريب : ضربان من العدو .

(٢) متّع الضّحى ، أى كان في أوله .

ظهره، فضر به معقل بالسيف على رأسه حتى خالط السيف أم الدماغ، فعزاً ميتين .

قال أبو مخنف : حدثني حُصيرة بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : لما رأينا المستورد بن علفة وقد نزلنا به سابات أقبل إلى الجسر فقطعه ، كنا نظن أنه يريد أن يعبر إلينا . قال : فارتفعنا عن مظلم سابات إلى الصحراء التي بين المدائن وسابات فنعبتنا ونهيتنا ، فطال علينا أن نراهم يخرجون إلينا . ٩٢/٢
قال : فقال أبو الرواغ : إن هؤلاء لشأنًا ، ألا رجل يعلم لنا عِلْم هؤلاء ؟ فقلت : أنا وهيب بن أبي أشاعة الأزدي : نحن نعلم لك عِلْم ذلك ، ونأتيك بخبرهم ، فقربنا على فرسينا إلى الجسر فوجدناه مقطوعًا ، فظننا القوم لم يقطعه إلا هبة لنا ورُعْبًا منا ، فرجعنا نركض سراعًا حتى انتهينا إلى صاحبنا ، فأخبرناه بما رأينا ، فقال : ما ظنكم ؟ قال : فقلنا : لم يقطعوا الجسر إلا لهيتنا ولما أدخل الله في قلوبهم من الرعب منا . قال : لعمرى ما خرج القوم وهم يريدون الفرار ، ولكن القوم قد كادوكم ، أسمعوني ! والله ما أراهم إلا قالوا : إن معقلًا لم يبعث إليكم أبا الرواغ إلا في حر أصحابه ، فإن استطعتم فاتركوا هؤلاء بمكانهم هذا ، وجدوا في^(١) السير نحو معقل وأصحابه ، فإنكم تجدونهم غارين آمنين إن تأتوهم ؛ فقطعوا الجسر لكيما يشغلوكم به عن لحاقكم إياهم حتى يأتوا أميركم على غرة ، التجاء التجاء في الطلب ! قال : فوقع في أنفسنا أن الذي قال لنا كما قال . قال : فصحبنا بأهل القرية ؛ قال : فجاءوا سراعًا : فقلنا لهم : عجّلوا عقد الجسر ، واستحسّنناهم فما لبثوا أن فرغوا منه ، ثم عبّرنا عليه ، فاتبعناهم سراعًا ما نلوي على شيء ، فلزمنا آثارهم ، فوالله ما زلنا نسأل عنهم ، فيقال : هم الآن أمامكم ، لحقتموهم ، ما أقربكم منهم ، فوالله ما زلنا في طلبهم حِرصًا على لحاقهم حتى كان أول من استقبلنا من الناس فلتهم وهم منهزمون لا يلوى أحد على أحد . فاستقبلهم أبو الرواغ ، ثم صاح بالناس : إلى ! إلى ؛ فأقبل الناس إليه ، فلاذوا به ، فقال : ويلكم ! ما وراءكم ؟ فقالوا : لا ندرى ، لم يرعنا إلا والقوم معنا في عسكرنا ونحن متفرقون ، فشدوا علينا ،

(١) س : « ونخذوا السير » .

ففرقوا^(١) بيننا ، قال : فما فعل الأمير ؟ فقائل يقول : نزل وهو يقاتل ؛ وقائل يقول : ما نراه إلا قُتل ؛ فقال لهم : أيها الناس ، ارجعوا معي ، فإن نُدرك أميرنا حيًّا نقاتل معه ، وإن نجده قد هلك قاتلناهم ، فنحن فرسانُ أهلِ المصرِ المنتخبون لهذا العدو ، فلا يفسدن فيكم رأى أميركم بالمصر ، ولا رأى أهلِ المصر ، وإيمُ الله لا ينبغي لكم إن عايتموه وقد قتلوا معقلا أن تفارقوهم حتى تُبَيروهم أو تباروا ، سيروا على بركة الله . فساروا وسيرنا ، فأخذ لا يستقبل أحداً من الناس إلا صاح به وردّه ، ونادى وجوه أصحابه وقال : اضربوا وجوه الناس وردّوهم . قال : فأقبلنا نردّ الناس حتى انتهينا إلى العسكر ، فإذا نحن براية معقل بن قيس منصوبة ، فإذا معه مائتا رجل أو أكثر فرسان الناس وجوههم ليس فيهم إلا راجل ، وإذا هم يقتتلون أشدّ قتال سمع الناس به ، فلما طلّعنا عليهم إذا نحن بالخوارج قد كادوا يعلنون أصحابنا ، وإذا أصحابنا على ذلك صابرون يجادلونهم^(٢) ، فلما رأونا كثروا ثم شدّوا على الخوارج ، فارتفعت الخوارج عنهم غير بعيد ، وانتهينا إليهم ، فنظر أبو الرواغ إلى معقل فإذا هو مستقدم يذمر أصحابه ويحرّضهم ، فقال له : أحي أنت فداك عمي وخالي ! قال : نعم ؛ فشدّ القوم ، فنادى أبو الرواغ أصحابه : ألا ترون أميركم حيًّا ، ! شدّوا على القوم ، قال : فتحمل وحملنا^(٣) على القوم بأجمعنا ؛ قال : فصدمنا خيلهم صدمة منكّرة ، وشدّ عليهم معقل وأصحابه ، فنزل المستورد ، وصاح بأصحابه : يا معشر الشّراة ، الأرضَ الأرضَ ، فإنها والله الجنة ! والذي لا إله غيره لمن قتل صادق النّية في جهاد هؤلاء الظّلمة وجلاّحهم^(٤) ، فتنازلوا من عند آخرهم ، فنزلنا من عند آخرنا ، ثم مضينا إليه منصلتين بالسيوف ، فاضطربنا بها طويلا من النهار كأشدّ قتال اقتتلّه الناس قطّ ، غير أن المستورد نادى معقلا

٦٤/٢

(١) ف : « ففرقوا » .

(٢) ف : « يجادلون » .

(٣) م : « وحملنا معه » .

(٤) جلاّحهم : مكاشفتهم بالمداوة .

فقال : يا معقل ، ابرز لي ، فخرج إليه معقل ، فقلنا له : نَنشُدُكَ^(١) أن تَخْرُجَ إلى هذا الكلب الذي قد آيسه الله من نفسه^(٢) ! قال : لا والله لا يدعوني رجل إلى مبارزة أبدأ فأكون أنا الناكل ؛ فثنى إليه بالسيف ، وخرج الآخر إليه بالرمح ، فناديناه أن القه برمح مثل رمحه ، فأبى ، وأقبل عليه المستورد فطعنه حتى خرج سنان الرمح من ظهره ، وضربه معقل بالسيف حتى خالط سيفه أمّ الدماغ ، فوقع ميتاً ، وقتل معقل ، وقال لنا حين برز إليه : إن هلكت فأميركم عمرو بن محرز بن شهاب السعدي ثم المنقري : قال : فلما هلك معقل أخذ الراية عمرو بن محرز ، وقال عمرو : إن قتلت فعليكم أبو الرواغ ، فإن قتل أبو الرواغ فأميركم مسكين بن عامر بن أنيف ، وإنه يومئذ لفتى حدث ، ثم شدت برايته ، وأمر الناس أن يشدوا عليهم ، فما لبسّوهم ٦٥/٢ أن قتلوهم .

* * *

[ذكر ولاية عبد الله بن خازم خراسان]

ومما كان في هذه السنة^(٣) تولية عبد الله بن عامر عبد الله بن خازم^(٤) بن ظبيان خراسان وانصراف قيس بن الهيثم عنه ، وكان السبب في ذلك — فيما ذكر أبو مخنف عن مقاتل بن حيان — أن ابن عامر استبطأ قيس بن الهيثم بالخراج ، فأراد أن يعزله ، فقال له ابن خازم : ولّني خراسان فأكفيكها وأكفيك قيس بن الهيثم . فكتب له عهدته أو همّ بذلك ، فبلغ قيساً أن ابن عامر وجد عليه لاستخفافه به ، وإمساكه عن الهدية ، وأنه قد ولّني ابن خازم ، فخاف ابن خازم أن يشاغبه ويحاسبه ، فترك خراسان ، وأقبل فازداد عليه ابن عامر غضباً ، وقال : ضيعت الثغر ! فضربه وحبسه ، وبعث رجلاً من بني يشكر على خراسان .

قال أبو مخنف : بعث ابن عامر أسلم بن زُرعة الكلابي حين عزّل قيس

(١) ف : « فقلت له : نشدتك » .

(٢) س : « رحمته » .

(٣ - ٤) س : « تمام الخبر عن الكائن من الأحداث الجليّة في سنة ثلاث وأربعين » .

ابن الهيثم ؛ قال علي بن محمد : أخبرنا أبو عبد الرحمن الثقفي ، عن
أشياخه ، أن ابن عامر استعمل قيس بن الهيثم على خراسان أيام معاوية ،
فقال له ابن خازم : إنك وجهت إلى خراسان رجلاً ضعيفاً ، وإني أخاف
إن لقي حرباً أن ينهزم بالناس ، فتتهلك خراسان ، وتفتضح أخوالك .
قال ابن عامر : فما الرأي ؟ قال : تكتب لي عهداً : إن هو انصرف عن عدوك
قمت مقامه . فكتب له ، فجاشت جماعة من طُخارستان ، فشاور قيس ٦٦/٢
ابن الهيثم فأشار عليه ابن خازم أن ينصرف حتى يجتمع إليه أطرافه ؛ فانصرف ،
فلما سار من مكانه مرحلة أو مرحلتين أخرج ابن خازم عهده ، وقام بأمر
الناس ، ولقي العدو فهزمهم ، وبلغ الخبر المصرين والشام فغضب القيسية^(١)
وقالوا : خدع قيساً وابن عامر ؛ فأكثروا في ذلك حتى شكوا إلى معاوية ،
فبعث إليه فقدم ، فاعتذر مما قيل فيه ؛ فقال له معاوية : قم فاعتذر إلى
الناس غدأ ؛ فرجع ابن خازم إلى أصحابه فقال : إنني قد أمرت بالخطبة ،
ولست بصاحب كلام ، فاجلسوا حول المنبر ، فإذا تكلمت فصدقوني ،
فقام من الغد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنما يتكلف الخطبة إمام
لا يجد منها بدءاً ، أو أحق يهمر^(٢) من رأسه لا يبالي ما خرج منه ، ولست
بواحد منهما ؛ وقد علم من عرفني أنني بصير بالفرص ، وثاب عليها ، وقاف
عند المهالك ، أنفذ بالسرية ، وأقسم بالسوية ؛ أنشدكم بالله من كان يعرف ذلك
منّي لما صدقني ! قال أصحابه حول المنبر : صدقت ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ،
إنك ممن نشدت فقل بما تعلم ؛ قال : صدقت .

قال علي : أخبرنا شيخ من بني تميم يقال له معمر ، عن بعض أهل
العلم أن قيس بن الهيثم قدم على ابن عامر من خراسان مراغماً لابن خازم ،
قال : فضربه ابن عامر مائة وحققه وحبسه ، قال : فطلبت إليه أمه ،
فأخرجته .

(١) س : « القيسيون » .

(٢) يقال : همر الكلام يهمره ؛ إذا أكثر فيه .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - فِيمَا قِيلَ - مِرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِّ، وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ،
 ٦٧/٢ وَكَانَ عَلَى مَكَّةَ خَالِدُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ هِشَامٍ، وَعَلَى الْكُوفَةِ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ،
 وَعَلَى قِضَائِهَا شُرَيْحٌ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ وَفَارِسَ وَسِجِسْتَانَ وَخُرَّاسَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
 عَامِرٍ، وَعَلَى قِضَائِهَا^(١) مُعَمَّرُ بْنُ يَثْرِبِيٍّ.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمّا كان فيها من ذلك دخول المسلمين مع عبد الرحمن بن خالد بن^(١)
الوليد بلاد الروم ومشتاهم^(٢) بها ، وغزو بُسْر بن أبي أرطاة البحر .

* * *

[عزل عبد الله بن عامر عن البصرة]

وفي هذه السنة عزّل معاويةُ عبدَ الله بن عامر عن البصرة .

* ذكر الخبر عن سبب عزله :

كان سبب ذلك أن ابن عامر كان رجلاً لينّاً كريماً ، لا يأخذ على
أيدي السفهاء ، ففسدت البصرةُ بسبب ذلك أيامَ عمله بها لمعاوية فحدثني
عُمر بن شبة ، قال : أخبرنا يزيد الباهليّ ، قال : شكّا ابنُ
عامر إلى زياد فسادَ الناس وظهور الخُبث ، فقال : جرّد فيهم السيف ،
فقال : إني أكره أن أصلحهم بفسادِ نفسي .

حدثني عمر ، قال : قال أبو الحسن : كان ابن عامر لينّاً سهلاً ، سهلَ
الولاية ، لا يعاقب في سلطانه ، ولا يقطع لصّاً ، فقبل له في ذلك ؛ فقال :
أنا أتألف الناس ، فكيف أنظر إلى رجل قد قطعتُ أباه وأخاه !

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، قال : حدثنا مسّلمة بن محارب ، قال :
وفد ابن الكوّاء ، واسم ابن الكوّاء عبد الله بن أبي^(١) أوفى إلى معاوية ، فسأله
عن الناس ، فقال ابن الكوّاء : أمّا أهل البصرة فقد غلب عليها سُفهاؤها ،
وعاملها ضعيف ، فبلغ^(٢) ابن عامر قولُ ابن الكوّاء ، فاستعمل طُفيل

٦٨/٢

(١) ساقط من ط .

(٢) ف : « مشاتهم » .

(٣) س : « وبلغ » .

ابن عوف اليشكريّ على خُرَاسان ، وكان الذي بينه وبين ابن الكوّاء متباعداً ، فقال ابن الكوّاء : إن ابن دَجاجة^(١) لقليلُ العلم فيّ ، أَظَنُّ أَنَّ ولايةَ طُفَيْل خُرَاسانَ تسوءني ! لَوِدِدْتُ أَنَّهُ لم يبق في الأرض يشكريّ إلا عاداني ، وأنه ولاهم . فعزل معاوية ابن عامر ، وبعث الحارث بن عبد الله الأزدي . قال : وقال القَحْدَميّ : قال ابن عامر : أيّ الناس أشدّ عداوةً لابن الكوّاء ؟ قالوا : عبد الله بن أبي شيخ ، فولّاه خُرَاسان ؛ فقال ابن الكوّاء ما قال .

وذكر عن عمر ، عن أبي الحسن ، عن شيخ من ثقيف وأبي عبد الرحمن الإصبهانيّ ، أن ابن عامر أوفد إلى معاوية وقدّاً ، فوافقوا عنده وفدّ أهل الكوفة ، وفيهم ابن الكوّاء اليشكريّ ، فسألهم معاوية عن العراق وعن أهل البصرة خاصّة ؛ فقال له ابن الكوّاء : يا أمير المؤمنين ، إن أهل البصرة أكسّهم سفهاؤهم ، وضعّف عنهم سلطانُهم ، وعَجَزَ ابن عامر وضعّفه . فقال له معاوية : تكلّمُ عن أهل البصرة وهم حضور ! فلما انصرف الوفد إلى البصرة بَلَغُوا ابن عامر ذلك ، فَغَضِبَ ، فقال : أيّ أهل العراق أشدّ عداوةً لابن الكوّاء ! فقل له : عبد الله بن أبي شيخ اليشكريّ ، فولّاه خُرَاسان ، وبلغ ابن الكوّاء ذلك فقال ما قال .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، قال : لما ضعف ابن عامر عن عمله ، وانتشر الأمر بالبصرة عليه ، كتب إليه معاوية يستزيه ، قال عمر : فحدثني أبو الحسن أن ذلك كان في سنة أربع وأربعين ، وأنه استخلف على البصرة قيس ابن الهيثم ، فقَدِمَ على معاوية ، فردّه على عمله ، فلما ودّعه قال له معاوية : إني سائلك ثلاثاً ، فقل : هنّ لك . قال : هنّ لك وأنا ابن أمّ حَكيم ، قال : تردّعي عملي . ولا تغضب ، قال : قد فعلت ؛ قال : وتهب لي مالك بعرفة ؛ قال : قد فعلت . قال : وتهب لي دُورَكَ بمكة ؛ قال : قد فعلت ، قال : وصلّتك رَحِم ! قال : فقال ابن عامر : يا أمير المؤمنين ، إني سائلك ثلاثاً فقل : هنّ لك ؛ قال : هنّ لك وأنا ابن هند ؛ قال : تردّعي مالي

(١) ف : « الزجاجة » ، وانظر أسد الغابة .

بَعْرَفَة ، قال : قد فعلت ، قال : ولا تُحَاسِبِ لى عاملاً ، ولا تَتَّبِعْ لى أثراً .
قال : قد فعلت ، قال : وتُنَكِّحْنِ ابنتك هندا ؛ قال : قد فعلت .

قال : ويقال : إن معاوية قال له : اختر بين أن أتتبع أثرَكَ وأحاسبَكَ
بما صار إليك ، وأردَكَ إلى عَمَلِكَ ، وبين أن أسوِّغَكَ ما أصبت ، وتعتزل ،
فاختار أن يسوِّغه ذلك ويعتزل

* * *

[استلحاق معاوية نسب زياد ابن سمية بأبيه]

وفى هذه السنة استلحق معاوية نسب زياد بن سمية بأبيه أبى سُفْيَان
فما قيل .

حدثني عمر بن شبة ، قال : زعموا أن رجلاً من عبد القيس كان مع
زياد لما ^(١) وفد على ^(٢) معاوية ، فقال لزياد : إن لابن عامر عندي يداً ،
فإن أذنت لي أتيته ، قال : على أن تحدثني ما يجري بينك وبينه ؛ قال :
نعم ، فأذن له فأناها ، فقال له ابن عامر : هيه هيه ! وابن سمية يقبِّحُ آثاري ،
ويعرض بعُمالي ! لقد هممتُ أن آتي بقَسامة ^(٣) من قريش يحلفون أن
أبا سُفْيَان لم يرَ سُمِيَّة ؛ قال : فلما رجع سأله زياد ، فأبى أن يخبره ، فلم
يسدَّ عنه حتى أخبره ، فأخبر ذلك زيادُ معاويةَ ، فقال معاوية للحاجبه :
إذا جاء ابن عامر فاضرب وجهه دابته عن أقصى الأبواب ، ففعل ذلك به ،
فأتى ابن عامر يزيد ، فشكا إليه ذلك ^(٤) ، فقال له : هل ذكرت زياداً ؟ قال :
نعم ، فركب معه يزيد حتى أدخله ، فلما نظر إليه معاوية قام فدخل ، فقال
يزيد لابن عامر : اجلس فكم عسى أن تقعُد في البيت عن مجلسه ! فلما
أطالا خرج معاوية وفي ^(٥) يده قضيبٌ يضرب به الأبواب ، ويتمثل :

٧٠/٢

(١) م : « حين » .

(٢) م : « إلى » .

(٣) القسامة : الجماعة يقسمون على الشيء أو يشهدون به .

(٤) م : « ذلك إليه » .

(٥) ف : « في يده » بدون واو .

لنا سِياقٌ ولكم سِياقٌ قد عَلِمْتَ ذِلكمُ الرَّفاقُ
ثمَّ قعدَ فقَالَ : يا ابنَ عامرٍ ، أنتَ القائلُ في زيادٍ ما قلتَ ! أما واللهُ لقد
عَلِمْتَ العَرَبُ أَنِّي كُنتَ أَعَزَّها في الجاهليَّةِ ، وإنَّ الإسلامَ لم يزدني إلا عَزًّا ،
وَأَنْتَ لم أَتَكْثُرْ بزيادٍ من قِلَّةٍ ، ولم أَتَعَزَّزْ به من ذِلَّةٍ ، ولكن عَرَفْتُ حَقًّا له
فوضعتُه موضِعَه ، فَقَالَ : يا أميرَ المؤمنين ، نرجعُ إلى ما يَحِبُّ زيادٌ ، قال :
إذا نرجعُ إلى ما تَحِبُّ ؟ فخرج ابنُ عامرٍ إلى زيادٍ فترَضَّاهُ .

حدَّثني أحمدُ بنُ زهيرٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ صالحٍ ، قال :
حدَّثنا عمرو بنُ هاشمٍ ، عن عُمرِ بنِ بشيرٍ الهمدانيِّ ، عن أبي إسحاقٍ ، أنَّ
زياداً لما قدِمَ الكُوفَةَ ، قال : قد جئتُكم في أمرٍ ما طلبتُه إلا إليكم ، قالوا : ادعنا
إلى ما شئتَ ، قال : تُلَحِّقونَ نَسَبِي بِمعاويةَ ؟ قالوا : أمَّا بِشهادةِ الزُّورِ فلا ؛
فَأَتَى البَصْرَةَ ، فشَهِدَ له رجلٌ .

* * *

وَحَجَّ بالناسِ في هذهِ السَّنةِ معاويةُ .

وفيها عَمِلَ مروانُ المَقْصُورَةَ ، وعَمِلَها —أيضاً— فيها ذُكِرَ —معاويةَ بالشَّامِ .
وكانتِ العُمَالُ في الأمصارِ فيها العُمَالُ الذين ذُكِرْنَا قَبْلُ أَنَّهُمْ كانوا العُمَالُ ٧١/٢
في سَنَةِ ثَلَاثٍ وأَرْبَعِينَ .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين

ذكر الأحداث المذكورة التي كانت فيها

فمن ذلك استعمال معاوية الحارث بن عبد الله الأزدي فيها على البصرة .
فحدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : عزل معاوية ابن عامر وولّى الحارث بن عبد الله الأزدي البصرة في أول سنة خمس وأربعين ، فأقام بالبصرة أربعة أشهر ، ثم عزّله . قال : وقد قيل : هو الحارث بن عمرو وابن عبّد عمرو ، وكان من أهل الشام ، وكان معاوية عزل ابن عامر ليولّى زياداً ، فولّى الحارث كالفرس المحلّل ، فولّى الحارث شرطته عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي ، ثم عزّله معاوية وولّاها زياداً .

* * *

ذكر الخبر عن ولاية زياد البصرة

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي ، قال : حدثنا بعض أهل العلم أن زياداً لما قدم الكوفة ظنّ المغيرة أنه قدم والياً على الكوفة ، فأقام زياد في دار سكران بن ربيعة الباهلي ، فأرسل إليه المغيرة وائل بن حجر الحضرمي أبا هنيّدة ، وقال له : اعلم لي علمه . فأتاه فلم يتقدّمه على شيء ، فخرج من عنده يريد المغيرة ، وكان زاجراً ، فرأى غراباً يتعق ، فرجع إلى زياد فقال : يا أبا المغيرة ، هذا الغراب يرحلك^(١) عن الكوفة . ثم رجع إلى المغيرة ، وقدم^(٢) رسول معاوية على زياد من يومه : أن سير إلى البصرة .

٧٢/٢

وأما عبد الله بن أحمد المروزي فحدثني ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن إسحاق - يعني ابن يحيى -

(١) ف : « يرحلك » . (٢) ف : « وقد قدم » .

عن معبد بن خالد الجدلّي ، قال : قدّم علينا زيادٌ -الذي يقال له ابن أبي سفيان- من عند معاوية ، فنزل دار سلمان بن ربيعة الباهلي ينتظر أمر معاوية . قال : فبلغ المغيرة بن شعبة - وهو أمير على الكوفة - أن زياداً ينتظر أن تجيء إمارته على الكوفة ، فدعا قطن بن عبد الله الحارثي فقال : هل فيك من خير ؟ تكفيني الكوفة حتى آتيك من عند أمير المؤمنين ؟ قال : ما أنا بصاحب ذا ، فدعا عتيبة^(١) بن النهاس العجلي ، فعرض عليه فقيل ، فخرج المغيرة إلى معاوية ، فلما قدم عليه سأله أن يعزله ، وأن يقطع له منازل بقر قيسياً بين ظهري قيس ، فلما سمع بذلك معاوية خاف باثقتة ، وقال : والله لترجعن إلى عمك يا أبا عبد الله . فأبى عليه ، فلم يزد ذلك إلا تهمة ، فردّه إلى عمله ، فطرقنا ليلاً ، وإني لفوق القصر أحرسه ، فلما قرع الباب أنكرناه ، فلما خاف أن ندلي عليه حَجَرًا تسمّى لنا ، فنزلت إليه فرحبت له وسلّمت ، فتمثّل :

بمثلي فافزعى يا أمّ عمرو إذا ما هاجني السّفَرُ النّعور^(٢)

أذهب إلى ابن سمية فرحله حتى لا يصبح إلا من وراء الجسر . فخرجنا^(٣)

فأتينا زياداً ، فأخرجناه حتى طرحناه من وراء الجسر قبل أن يصبح . ٧٣/٢

* * *

فحدثني عمر ، قال : حدثنا علي ، قال : حدثنا مسلمة والهذلي وغيرهما أن معاوية استعمل زياداً على البصرة وخراسان وسجستان ، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان ، وقدّم البصرة في آخر شهر ربيع الآخر - أو غرة جمادى الأولى - سنة خمس ، والفيسق بالبصرة ظاهر ، فاش ، فخطب خطبة بشراء^(٤) ، كم يحمد الله فيها ، وقيل : بل حمّد الله فقال :

(١) ط : « عتيبة » ، وانظر الفهرس .

(٢) البيت لطرفة ، ديوانه : ٦٥ ؛ وروايته فيه :

ومثلي فاعلمي يا أمّ عمرو إذا ما اعتاده السّفهُ النّعور

(٣) ت : « فخرجت » .

(٤) قال الجاحظ في البيان والتبيين ٢ : ٦ : « وعلى أن خطباء السلف الطيب وأهل البيان والتأبين لهم بإحسان ؛ ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالتحميد ، وتستفتح بالتمجيد : البراء »

الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نِعَمه ، اللهم كما رزقتنا نعمًا ، فألهمنا شكرًا على نعمتك علينا .

أما بعد ، فإن الجاهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والفجور الموقيد لأهله ^(١) النار ، الباقي عليهم سعيها ، ما يأتي سفهاؤكم ^(٢) ، ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى منها ^(٣) الكبير ، كأن لم تسمعوا بآي ^(٤) الله ، ولم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد ^(٥) الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السرم ^(٦) الذي لا يزول . أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا به ^(٧) ؛ ^(٨) من ترككم هذه المواخير المنصوبة ^(٩) ، والضعيفة المسلوكة ، في النهار المبصر ، والعدد غير قليل ! ألم تكن منكم نهاية تمنع الغواية عن دلج ^(٩) الليل وغارة النهار ! قربتم القرابة ، وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر ، وتغشون على المختلس ^(١٠) ، كل امرئ منكم يذب عن سفيهه ^(١١) ، صنيع من لا يخاف عقابا ^(١٢) ،

٧٤/٢

= ويسمون التي لم توشع بالقرآن ، وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : الشوها . وقد أورد الجاحظ هذه الخطبة في البيان والتبيين ٢ : ٦١ - ٦٦ ، بروايته عن مسلمة بن محارب وأبي بكر الهذلي أيضا ، وكذلك أوردتها صاحب العقد في ٤ : ١١٠ - ١١٣ بهذه الرواية أيضا .

- (١) البيان : « النفي المذني بأهله على النار » .
- (٢) البيان والعقد : « ما فيه سفهاؤكم » .
- (٣) كذا في الطبري والعقد ، وفي البيان : « ولا ينحاش عنها الكبير » ؛ وينحاش : ينفر .
- (٤) س : « آيات الله » .
- (٥) ط : « عد » .
- (٦) العقد : « السرمى » .
- (٧) البيان والعقد : « إليه » .
- (٨-٩) البيان : « من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله ، وهذه المواخير المنصوبة » .
- (٩) الدلج : السير من أول الليل .
- (١٠) البيان والعقد : « وتغشون على المختلس » .
- (١١) ف : « سفيه » .
- (١٢) س والبيان والعقد وابن الأثير : « عاقبة » .

ولا يرجو معاداً . ما أنتم بالحلّماء^(١) ، ولقد اتّبعتهم السفهاء ، ولم يزل^(٢) بهم ما ترون من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حرّم^(٣) الإسلام ، ثم أطرّقوا وراءكم كنوساً^(٤) في مكائس الرّيّب . حرّم^(٥) على الطعام والشراب حتى أسويتها بالأرض هدماً وإحراقاً . إنني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح [به] أوله^(٦) ، لين في غير ضعف ، وشدة في غير جبريّة وعنف^(٧) . وإنّي أقسم بالله لآخذنّ الولي بالولي^(٨) ، والمقيم بالظاعن ، والمقبّل بالمدير ، والصحيح منكم بالسقيم ، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : انجُ سعد فقد هلكك سعيد^(٩) ، أو تستقيم لي قناتكم . إن كذبة المنبر تبقي مشهورة^(١٠) ، فإذا تعلقتم على كذبة فقد حلت لكم معصيتي ، [وإذا سمعتموها مني فاعتمزوها في واعلموا أن عندي أمثالها] من^(١١) بيئت منكم^(١٢) فأنا ضامن لما ذهب له . إيتاي ودلّج الليل ، فإنني لا أوتى بمدلّج إلا سفكت دمه ، وقد أجلتكم في ذلك بقدر^(١٣) ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إلى . وإيتاي ودعوى^(١٤)

(١) ف : « حلّماء » .

(٢) البيان : « فلم يزل » .

(٣) حرم الإسلام : ما لا يحل انتهاكه ؛ وروى الشعبي قال : « لما خطب زياد خطبته البراء بالبصرة ونزل مع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون ، فقال : ما هذا ؟ ، قالوا : إن البلد مفتون ، وإن المرأة من أهل المصر لتأخذنا الفتيان الفساق ، فيقال لها : نادى ثلاثة أصوات ، فإن أجابك أحد ، وإلا فلا لوم علينا فيما نصنع » .

(٤) الكنوس : جمع كانس ؛ أي مستتر ، وأصله من الظبي إذا دخل في كناسه .

(٥) البيان : « حرام » .

(٦) البيان : « صلح به أوله » .

(٧) البيان : « وشدة في غير عنف » .

(٨) العقد : « الولي بالولي » .

(٩) سعد وسعيد : ابنا ضبة بن أد ؛ خرجا في طلب إبل لأبيهما ، فوجدها سعد فردها ؛

فكان ضبة إذا رأى سواداً لحق الليل قال : سعد أم سعيد !

(١٠) البيان والعقد : « ببقاء مشهورة » .

(١١) من البيان والتبيين .

(١٢) البيان : « من نقب منكم عليه » .

(١٣) البيان : « المقدار » .

(١٤) في اللسان : « وفي الحديث : ما بال دعوى الجاهلية ! هي قويم : يا فلان ، كانوا يدعون =

الجاهلية ، فإنني لأجد أحد ادعاء بها إلا قطعت لسانه ^(١) . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرق قوماً غرقته ، ومن حرق ^(٢) على قوم حرقناه ، ومن نقب بيتاً نقبت عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفنته [فيه] ^(٣) حياً ؛ فكفوا عني أيديكم وألستكم أكف يدي وأذاي ، لا يظهر ^(٤) من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه .

٧٥/٢

وقد كانت بيني وبين أقوام إحسن ، فجعلت ذلك دبراً أذني وتحت قدمي ، فمن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً ، ومن كان مسيئاً فليترع عن إساءته . إني لو علمت أن أحدكم قد قتل السِّلَّ من بغضي لم أكشف له قيناعاً ، ولم أهتك له سيراً ، حتى يُبدى لي صفحته ، فإذا فعل لم أنظره ؛ فاستأنفوا أموركم ، وأعينوا على أنفسكم ، فرب مبتسٍ بقدمونا سيئسراً ، ومسرورٍ بقدمونا سيئبتس ^(٥) .

أيها الناس ، إنا أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم زيادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود ^(٦) عنكم بغير الله الذي خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما وُلِّينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم . واعلموا أني مهما قصرت عنه فإنني لا أقصر عن ثلاث : لست محتجباً عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقاً ليل ؛ ولا حابساً رزقاً ولا عطاءً عن إبانته ، ولا مجمراً ^(٧) لكم بعثاً . فادعوا الله بالصالح لا تمتكم ، ، فإنهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذي إليه تأوون ، ومتى تصلحوا يصلحوا . ولا تُشربوا قلوبكم بغضهم ، فيشتدَّ لذلك غيظكم ، ويطول

== بعضهم بعضاً ؛ عند الأمر الحادث الشديد ؛ ومنه حديث زيد بن أرقم : فقال قوم : يا لأنصار ! وقال قوم : يا للمهاجرين ! فقال عليه السلام : دعوها فإنها منتنة .

(١) البيان : « فإنني لا آخذ داعياً بها إلا قطعت لسانه » .

(٢) البيان : « ومن أحرق قوماً » .

(٣) من البيان والتبيين .

(٤) ف : « لا يظهر » .

(٥) البيان : « سنسوه » .

(٦) س : « ونذودكم بتقوى الله » .

(٧) تجميع الجند : أن يجهم في أرض العدو ، وأن يمنهم عن العودة إلى أهلهم .

له حزنكم ، ولا تُدِرْ كوا حاجتكم ، مع أنه لو استجيبَ لكم كان شراً لكم :
 أسأل الله أن يعين كلاً على كل ، وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر
 فأنفذوه على أذلاله^(١) ، وإيمُ الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل
 امرئ منكم أن يكون من صرعى .

٧٦/٢

قال : فقام عبد الله بن الأَهم^(٢) فقال : أشهد أيتها الأمير أنك قد
 أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، فقال : كذبت ، ذاك نبي الله داود
 عليه السلام .

قال الأحنف : قد قلت فأحسنت أيتها الأمير ، والثناء بعد البلاء ،
 والحمد بعد العطاء ، وإنا لن نثنى حتى نُبتلى ، فقال زياد : صدقت .
 فقام أبو بلال مِرْداس بن أدية يَهميس وهو يقول : أنبأ الله بغير ماقلت ،
 قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخْبَرْنَا لَدُنَّكَ أَنَّكَ قَاتِلٌ لِأَخِيكَ هَارُونَ وَقَدْ آتَاكَ مِنْ خَلْقِهِ ذِكْرًا ﴾^(٣) ، فأوعدنا الله خيراً مما واعدت^(٤)
 يا زياد ، فقال زياد : إنا لا نَجِدُ إلى ما تريد أنت وأصحابك سبيلاً حتى
 نخوضَ إليها الدماء^(٥) .

حدثني عمر ، قال : حدثنا خلاد بن يزيد ، قال : سمعتُ من يخبر
 عن الشعبي ، قال : ما سمعتُ متكلماً قطّ تكلم فأحسن إلا أحببتُ أن يسكت^(٦)
 خوفاً أن يسيء إلا زياداً ، فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاماً .

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي ، عن مسلمة ، قال : استعمل زياد

(١) على أذلاله ، أى على طرق وجوهه ، واحده ذل ؛ بكسر الذاو وهو ما مهد وذل من

الطريق .

(٢) نوارد القاتل ١٨٥ : « صفوان بن الأَهم » .

(٣) سورة النجم : ٣٧ - ٣٩ .

(٤) س : « واعدتنا » .

(٥) في البيان بعد الآيات : « وأنت تزعم أنك تأخذ البرىء بالسقيم ، والمطيع بالعاصي ،
 والمقبل بالمُدبر ؛ فسمعه زياد ، فقال : إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفي أصحابك حتى نخوضَ إليكم
 الباطل خوفاً » .

(٦) س : « تخوفاً من أن يسيء » .

على شُرطته عبد الله بن حصن ، فأمهّل الناس حتى بلغ الخبر الكوفة ، وعاد إليه وصول الخبر إلى الكوفة ، وكان يؤخر العشاء حتى يكون آخر من يصلّي ثم يصلّي ؛ يأمر رجلاً فيقرأ سورة البقرة ومثلها ، يرتل القرآن ، فإذا فرغ أمهل بقدر ما يرى أن إنساناً يبلغ الحرّيبه ، ثم يأمر صاحب شُرطته بالخروج ، فيخرج ولا يرى إنساناً إلا قتله . قال : فأخذ ليلةً أعرايياً ، فأتى به زياداً فقال : هل سمعت النداء ؟ قال : لا والله ، قدمتُ بحلوبة لي ، وغشيتني الليل ، فاضطرتها إلى موضع ، فأقمتُ لأصبح ، ولا علم لي بما كان من الأمير . قال : أظنك والله صادقاً ، ولكن في قتلك صلاحُ هذه الأمة ؛ ثم أمر به فصرُبت عنقه .

٧٧/٢

وكان زياد أول من شدّ أمر السلطان ، وأكّد الملك لمعاوية ، وألزم الناس الطاعة ، وتقدّم في العقوبة ، وجرد السيف ، وأخذ بالظنّة ، وعاقب على الشبهة ، وخافه الناس في سلطانه خوفاً شديداً ، حتى أمّن الناس بعضهم بعضاً ، حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة^(١) فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه ، وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها ، وساس الناس سياسة لم ير مثلاً ، وهابه الناس هيبة لم يهابوها أحداً قبله ، وأدرّ العطاء ، وبنى مدينة الرّزق^(٢) .

قال : وسمع زياد جرساً من دار حمير ، فقال : ما هذا ؟ فقيل : محترس^(٣) . قال : فليكفّ عن هذا ، أنا ضامن^(٤) لما ذهب له ، ما أصاب من إصطخّر .

قال : وجعل زياد الشرط أربعة آلاف ، عليهم عبد الله بن حصن ، أحد بني عبيد بن ثعلبة صاحب مقبرة ابن حصن ، والجعند بن قيس النميري^(٥) .

(١) س : « والمرأة » .

(٢) س : « الرق » ، وفي ياقوت : « الرزق » ، بكسر الراء وسكون الزاى - كذا ذكره ابن الفرات في تاريخ البصرة - مدينة الرزق ، إحدى مسالحي العجم بالبصرة قبل أن يخطتها المسلمون .

(٣) ف : « محترس » .

(٤) س : « وأنا » .

(٥) ط : « النيمي » ، وانظر الفهرس .

صاحب طاقِ الجَعْد ، وكانا جميعاً على شُرْطه ، فيينا زياد يوماً يسير
وهما بين يديه يسيران بحربتين ، تنازعا بين يديه ، فقال زياد : يا جعد ،
ألقِ الحربه ، فألقاها ، وثبت ابن حصن على شُرْطه حتى مات زياد .

وقيل : إنه ولّى الجعد أمرَ الفُسّاق ، وكان يتتبعهم ^(١) ؛ وقيل ^(٢) ٧٨/٢
لزياد : إن السُّبُلَ مَخُوفَةٌ ؛ فقال : لا أعاني شيئاً سوى المِصْر ^(٣) حتى أغلب
على المِصر وأصلحه ، فإن غلبني المِصر فغيره أشدّ غلبة ؛ فلما ضبط
المِصر تكلف ما سوى ذلك ^(٤) فأحكّمه . وكان يقول : لو ضاع حبَلُ
بني وبين خراسان علمت من أخذه .

وكتب خمسمائة من مشيخة أهل البصرة في صحابته ، فرزقهم ما بين
الثلاثمائة إلى الخمسمائة ، فقال فيه حارثةُ بن بدر الغُدّاني ^(٥) :

ألا من مُبْلَغُ عَنَى زِياداً	فنعم أخو الخليفة والأمير!
فَأَنْتَ إِمَامٌ مَعْدَلَةٌ وَقَصْدٌ	وحزم حين تحضرك الأمور
أَخُوكَ خَلِيفَةُ اللَّهِ ابْنُ حَرْبٍ	وأنت وزيره ، نعم الوزير!
تُصِيبُ عَلَى الْهَوَى مِنْهُ وَتَأْتِي	مُجِيبُ مَا يُجِنُّ لَنَا الضَّمِيرُ
بِأَمْرِ اللَّهِ مَنْصُورٌ مُعَانٌ	إذا جارَ الرعيّة لا تجور
يَدِيرُ عَلَى يَدَيْكَ لِمَا أَرَادُوا	من الدنيا لهم حلب غزير
وَتَقْسِمُ بِالسَّوَاءِ فَلَا غَنَى	لضيم يشتكيك ولا فقير
وَكُنْتَ حَيًّا وَجِثْتَ عَلَى زَمَانٍ	خبث ، ظاهر فيه شرور
تَقَاسَمَتِ الرِّجَالُ بِهِ هَوَاهَا	فما تخفي ضغائنها الصدور

(١) س : « يتتبعهم » .

(٢) س : « فليل » .

(٣) س : « وراء هذا المِصر » .

(٤) س : « وراء ذلك » .

(٥) س : « العبدى » .

ونخاف الحاضرون وكلّ بَادٍ يُقِيمُ على المخافة أو يَسِيرُ
فلَمَّا قام سيفُ الله فيهم زيادُ قام أَبْلَجُ مُسْتَنِيرُ
قوى لا مِنْ الحَدَثَانِ غِرٌّ ولا جَزَعٌ ولا فَنٍ كَبِيرُ

٧٩/٢ حدثني عمرُ بنُ شُبّة، قال: حدّثنا عليّ بنُ محمد، قال: استعان زيادٌ بعدّة من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم، منهم عمران بن الحصين الخزاعيّ ولّاه قضاء البصرة، والحكم بن عمرو الغفاريّ ولّاه خراسان، وسمرّة ابن جندب، وأنس بن مالك، وعبد الرحمن بن سمرّة؛ فاستعفاه عمران فأعفاه. واستقضى عبد الله بن فضالة الليثي، ثم أخاه عاصم بن فضالة، ثم زُرارة بن أوفى الحرثي، وكانت أخته لبابة عند زياد.

وقيل: إنّ زياداً أوّل من سَير بين يديه بالحرب، ومُشَى بين يديه بالعمد، واتخذ الحرس رابطة خمسمائة، واستعمل عليهم شيبان صاحب مقبرة شيان، من بني سعد، فكانوا لا يبرحون المسجد.

حدثني عمر، قال: حدّثنا عليّ، قال: جعل زيادٌ خراسانَ أربعاً، واستعمل على مَرَوَ أميّر بن أحمر اليشكريّ، وعلى أبرشهر خلّيد بن عبد الله الحنفيّ، وعلى مَرَوَ الرّوذ والفارياب والطالقان قيس بن الهيثم، وعلى هَرَآ وباذ غيس وقادس وبوشنج نافع بن خالد الطاحي.

حدثني عمر، قال: حدّثنا عليّ، قال: حدّثنا مسلمة بن محارب وابن أبي عمرو؛ شيخ من الأزد، أنّ زياداً عتّب على نافع بن خالد الطاحي، فحبسه، وكتب عليه كتاباً بمائة ألف، وقال بعضهم: ثمانمائة ألف، وكان سبب موجدته عليه أنه بعث بيخوان بازهر^(١) قوائمه منه، فأخذ نافع قائمة، وجعل مكانها^(٢) قائمة من ذهب، وبعث بالخوان إلى زياد مع غلام له يقال له زيد، كان قيّمه على أمره كلّّه، فسعى زيدٌ بنافع، وقال لزياد:

٨٠/٢

إنه قد خانك ، وأخذَ قائمةً من قوائم الحيوان ، وجعل مكانها^(١) قائمة من ذهب ، قال : فثنى رجال من وجوه الأزد إلى زياد ، فيهم سيف بن وهب المعولى ، وكان شريفاً ، وله يقول الشاعر :

اعْمِدْ بِسَيْفٍ لِلْسَّاحَةِ وَالنَّدَى واعْمِدْ بِصَبْرَةٍ لِلْفَعَالِ الْأَعْظَمِ

قال : فدخلوا على زياد وهو يستنك ، فتمثل زياد حين رآهم :

اذكر بنا مَوْقِفَ أَفْرَاسِنَا بِالْحِنُو إِذْ أَنْتَ إِلَيْنَا فَقِيرٌ

قال : وأما الأزد فيقولون : بل تمثل سيف بن وهب أبو طلحة المعولى بهذا البيت حين دخل على زياد ، فقال : نعم . قال : وإنما ذكره أيام أجاره صبرة ، فدعا زياد بالكتاب فحاه بسواكه وأخرج نافعا .

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي ، عن مسلمة ، أن زياداً عزل نافع بن خالد الطاحي وخليد بن عبد الله الحنفي وأمير بن أحمر اليشكري ، فاستعمل الحكم بن عمرو بن مجدع^(٢) بن حذيم بن الحارث بن نعيمة بن مئيك - ونعيمة أخو غفار بن مئيك - ولكنهم قليل ، فصاروا إلى غفار . قال مسلمة^(٣) : أمر زياد حاجبه فقال : ادع لي الحكم وهو يريد الحكم ابن أبي العاص الثقفي - فخرج الحاجب فرأى الحكم بن عمرو الغفاري فأدخله ، فقال : زياد : رجل له شرف وله صحبة^(٤) من رسول الله^(٥) صلى الله عليه وسلم ، فعقد له على خراسان ، ثم قال له : ما أردتُك ، ولكن الله عز وجل أرادك .

حدثني عمر قال : حدثنا علي قال : أخبرنا أبو عبد الرحمن الثقفي ومحمد بن الفضل^(٦) ، عن أبيه ، أن زياداً لما ولى العراق استعمل الحكم بن

(١) ط : « مكانه » .

(٢) س : « مجدع » ، ف : « مخدوج » .

(٣) ف : « سلمة » .

(٤) ف : « وصبة » .

(٥) س : « رسول الله » .

(٦) ط : « الفضيل » ، وانظر الفهرس .

عمر والغفاريَّ على خُرَّاسان ، وجعل معه رجالا على كُورٍ ، وأمرهم بطاعته ، فكانوا على جباية الخراج ، وهم أسلم بن زُرعة ، وخُلَيْد بن عبد الله الحنفي ، ونافع بن خالد الطاحي ، وربيع بن عَسَل اليربوعي ، وأمير بن أحمر الشكري ، وحاتم بن النعمان الباهلي ؛ فأتى الحَكَم بن عمرو ، وكان قد غزا طُخارِسْتان ، فغَنَمَ غنائمَ كثيرة ، واستخلف أنس بن أبي أناس بن زُنَيْم ، وكان كَتَبَ إلى زياد : إني قد رَضِيتُ اللهَ وللمسلمين ولك ، فقال زياد : اللهم إني لا أَرْضاهُ لدينك ولا للمسلمين ولا لي . وكتب زياد إلى خُلَيْد بن عبد الله الحنفي بولاية خُرَّاسان ، ثم بعث الربيع بن زياد الحارثي إلى خُرَّاسان في خمسين ألفاً ؛ من البَصرة خمسة وعشرين ألفاً ، ومن الكوفة خمسة وعشرين ألفاً ، على أهل البَصرة الربيع ، وعلى أهل الكوفة عبد الله ابن أبي عَقِيل ، وعلى الجماعة الربيع بن زياد .

* * *

وقيل : حجَّ بالناس في هذه السنة مَرْوان بن الحَكَم وهو على المدينة ، وكانت الولاية والعُمَالة على الأمصار في هذه السنة من تقدم ذكره قبل ؛ المغيرة ابن شُعْبة على الكوفة ، وشُرَيْح على القضاء^(١) بها ، وزياد على البَصرة ، والعُمَالة من قد سَمِيت قبل .

* * *

وفي هذه السنة كان مَشْتَى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بأرض الروم .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك مشتنى مالك بن عبد الله^(١) بأرض الروم، وقيل :
بل كان ذلك عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وقيل بل كان مالك بن هُبيرة
السَّكُونِي .

* * *

[خبر انصراف عبد الرحمن بن خالد إلى حمص وهلاكه]

وفيهما انصرف عبد الرحمن بن خالد بن الوليد من بلاد الروم إلى حمص ،
فدسّ ابن أثال النصراني إليه شربة مسمومة - فيما قيل - فشرّبها فقتلته .

ذكر الخبر عن سبب هلاكه :

وكان السبب في ذلك ما حدثني عمر ، قال : حدثني عليّ ، عن مسلمة
ابن محارب ؛ أن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان قد عظم شأنه بالشأم ،
ومال إليه أهلها ، لما كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد ، ولغناؤه
عن المسلمين في أرض الروم وبأسه ، حتى خافه معاوية ، وخشى على نفسه
منه ، لميل الناس إليه ، فأمر ابن أثال أن يحتال في قتله ، وضمّن له إن هو
فعل ذلك أن يضع عنه خراجته ما عاش ، وأن يوليّه جباية خراج حمص ،
فلما قدم عبد الرحمن بن خالد حمص منصرفاً من بلاد الروم دسّ إليه
ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه ، فشرّبها فمات بحمص ، فوفّي
له معاوية بما ضمّن له ، وولاه خراج حمص ، ووضع عنه خراجته .

قال : وقدّم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المدينة ، فجلس
يوماً إلى عروة بن الزبير ، فسلم عليه ، فقال له عروة : من أنت ؟ قال :
أنا خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ؛ فقال له عروة : ما فعل ابن
أثال ؟ فقام خالد من عنده ، وشخص متوجّهاً إلى حمص ، ثم رصد بها

(١) ط : « عبید الله » ، وانظر الفهرس .

ابن أثال ، فرآه يوماً راكباً ، فاعترض له خالد بن عبد الرحمن ، فضربه بالسيف ، فقتله ، فرفع إلى معاوية ، فحبسه أياماً ، وأغرَمَه ديتَه ، ولم يقده منه . ورجع خالد إلى المدينة ، فلما رجع إليها أتى عروة فسلم عليه ، فقال له عروة : ما فعل ابن أثال ؟ فقال : قد كفيْتُكَ ابنَ أثال ، ولكن ما فعل ابن جرُموز ؟ فسكت عروة . وقال خالد بن عبد الرحمن حين ضرب ابن أثال :

أنا ابنُ سيفِ الله فاعْرِفُونِي لم يَبْقَ إِلَّا حَسْبِي وَدِينِي
* وصارِمٌ صَلَّ به يَمِينِي *

* * *

[ذكر خروج سهم والخطيم]

وفيهما خرج الخطيم وسهم بن غالب الهُجَيْمِيّ ، فحكمتما ، وكان من أمرهما ما حدثني به عمر ، قال : حدثنا عليّ ، قال : لما ولّني زياد خافه سهم ابنُ غالب الهُجَيْمِيّ والخطيم - وهو يزيد بن مالك الباهليّ - فأما سهم فخرج إلى الأهواز فأحدث وحكم ، ثم رجّع فاخنتي وطلب الأمان ، فلم يؤمنه زياد ، وطلبه حتى أخذه وقتله وصلّبه على بابهِ . وأما الخطيم فإن زياداً سيّره إلى البحرين ، ثم أذن له فقدم ، فقال له : الزم مصرَك ، وقال لمسلم ابن عمرو : اضمّنهُ ؛ فأبى وقال : إن بات عن بيته أعلمتُكَ . ثم أتاه مسلم فقال : لم يبت الخطيم الليلة في بيته ، فأمر به فقتل ، وألقي في باهلة .
وجعّ بالناس في هذه السنة عتبةُ بن أبي سفيان . وكان العمال والولاء فيها العمال والولاء في السنة التي قبلها .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كان مَشْتَى مالك بن هُبيرة بأرض الروم ، ومَشْتَى أبي عبد الرحمن القينى بأنطاكية .

* * *

[ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حُدَيج]

وفيهما عَزَلَ عبدُ الله بنُ عمرو بنِ العاص عن مصر ، وَلِيَهَا معاويةُ ابن حُدَيج^(١) ، وسار - فيما ذكر الواقدي - في المغرب ، وكان عثمانيًا . قال : ومَرَّ به عبد الرحمن بن أبي بكر وقد جاء من الإسكندرية ، فقال له : يا معاوية ، قد لَعَمْرِي أخذتَ من معاوية جزاءك ، قتلت محمد بن أبي بكر لأن تلي مصرَ ، فقد وليتها . قال : ما قتلتُ محمد بن أبي بكر إلا بما صنع بعثان ؛ فقال عبد الرحمن : فلو كنتَ إنما تَطْلُب بدم عثمان لم تشرك معاوية فيما صنع حيث صنع عمرو بن العاص بالأشعرى ما صنع ، فوثبت أولَ الناس فبايعته .

* * *

[ذكر غزو الغور]

وقال بعضُ أهلِ السير : وفي هذه السنة وجّه زياد الحَكَم بن عمرو الغفاري إلى خُرَاسان أميرًا ، فغزا جبالَ الغور وفراوندَه ، فقهرهم بالسيف عَنَوَةً ففتحها ، وأصاب فيها مغانم^(٢) كثيرة وسبايا ؛ وسأذكر من خالف هذا القول بعدُ إن شاء الله تعالى .

وذكرَ قائل هذا القول أن الحَكَم بن عمرو قَتَلَ مِن غَزَوته هذه ، ٨٥/٢

(١) ضبطه ابن الأثير « بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبالجم » .

(٢) ف : « غنائم » .

فمات بمرو .

واختلفوا فيمن حج بالناس في هذه السنة ، فقال الواقدي : أقام الحج في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان . وقال غيره : بل الذي حج في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان .

وكانت الولاة والعُمَـل على الأمصار الذين ذكرت أنهم كانوا العمـال والولاة في السنة التي قبلها .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

وكان فيها مَشْتَى أبى عبد الرحمن القَيْنَى أنطاكية ، وصائفة عبد الله ابن قيس الفزارى وغزوة^(١) مالك بن هُبيرة السَّكُونَى البحر^(٢) ، وغزوة^(١) عُبَبة بن عامر الجهنى بأهل مصر البحر^(٢) ، وبأهل المدينة ، وعلى أهل المدينة المنذر بن الزَّهير ، وعلى جميعهم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. وقال بعضهم : فيها وجه زيادٌ غالب بن فضالة الليثى على خُرَّاسان ، وكانت له صحبةٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحجَّ بالناس في هذه السنة مروان بن الحَكَم في قول عامة أهل السَّير ، وهو يتوقع العزلَ لمَوْجِدَةٍ كانت من معاوية عليه ، وارتجاعه منه فدَّك ، وقد كان وهبها له . وكانت ولادة الأمصار وعمالها في هذه السنة الذين كانوا في السنة التي قبلها .

(١) س : « غزاة » .

(٢) س : « اليمن » .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين

[ذكر ما كان فيها من الأحداث]

فكان فيها مَشْتَى مالِك بن هُبيرة السَّكُونِي بِأَرْض الرُّوم .
وفيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدِ جَرَبَةَ ، وَشَتَا بِجَرَبَةَ ، وَفَتِحَتْ
عَلَى يَدَيْهِ ، وَأَصَابَ فِيهَا سَبِيًّا كَثِيرًا .
وفيهَا كَانَتْ صَائِفَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كُرْزِ الْبَجَلِيِّ .
وفيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ يَزِيدَ بْنِ شَجَرَةَ الرَّهَاطِيِّ فِي الْبَحْرِ ، فَشَتَا بِأَهْلِ
الشَّامِ .

وفيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعِ الْبَحْرِ ، فَشَتَا بِأَهْلِ مِصْرَ .
وفيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ الرُّومِ حَتَّى بَلَغَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، وَمَعَهُ
ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عَمْرٍو ابْنُ الزُّبَيْرِ وَأَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ .
وفيهَا عَزَلَ مُعَاوِيَةُ مُرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ عَنِ الْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ .
وَأَمَرَ فِيهَا سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ ؛ وَقِيلَ فِي
شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ .

وَكَانَتْ وَلَايَةُ مُرْوَانَ كُلَّهَا بِالْمَدِينَةِ لِمُعَاوِيَةَ ثَمَانِ سِنِينَ وَشَهْرَيْنِ .
وَكَانَ عَلَى قِضَاءِ الْمَدِينَةِ لِمُرْوَانَ - فِيمَا زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ - حِينَ عَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ
الْحَارِثِ بْنِ نُوْفَلٍ ، فَلَمَّا وَلَّى سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ عَزَلَهُ عَنِ الْقِضَاءِ ، وَاسْتَقْضَى
أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ .

وقيل : فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَ الطَّاعُونَ بِالْكُوفَةِ ، فَهَرَبَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ مِنْ
الطَّاعُونَ ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ الطَّاعُونَ قِيلَ لَهُ : لَوْ رَجَعْتَ إِلَى الْكُوفَةِ ! فَقَدِمَهَا
فَطُعِنَ فَمَاتَ ؛ وَقَدْ قِيلَ : مَاتَ الْمُغِيرَةُ سَنَةَ خَمْسِينَ ، وَضَمَّ مُعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ
إِلَى زِيَادٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ لَهُ الْكُوفَةُ وَالْبَصْرَةُ .

٨٧/٢

وحجّ بالناس في هذه السنة سعيدُ بن العاص .

وكانت الولاية والعُمّال في هذه السنة الذين كانوا في السنة التي قبلها ،
إلاّ عامل الكوفة فإنّ في تاريخ هلاك المغيرة اختلافًا ، فقال : بعض أهل
السَّير : كان هلاكه في سنة تسع وأربعين ؛ وقال بعضهم : في سنة خمسين .

ثم دخلت سنة خمسين ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوة بؤسر بن أبي أرطاة وسُفْيَان بن عوف الأزدي أرضَ الروم .

وقيل : كانت فيها غزوة فِصَالَةَ بن عبيد الأنصاري البحر .

* * *

[ذكر وفاة المغيرة بن شعبة وولاية زياد الكوفة]

وفيها — في قول الواقدي والمدائني — كانت وفاة المغيرة بن شعبة . قال محمد بن عمر : حدثني محمد بن أبي موسى الثقفي ، عن أبيه ، قال : كان المغيرة بن شعبة رجلاً طويلاً ، مصاب العين ، أصيب باليرموك ، توفي في شعبان سنة خمسين وهو ابن سبعين سنة .

وأما عوانة فإنه قال — فيما حدثت عن هشام بن محمد ، عنه : هلك المغيرة سنة إحدى وخمسين .

وقال بعضهم : بل هلك سنة تسع وأربعين .

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : كان زيادٌ على البصرة وأعمالها إلى سنة خمسين ، فأت المغيرة بن شعبة بالكوفة وهو أميرها ، فكتب معاوية إلى زياد بعثه على الكوفة والبصرة ، فكان أول من جمع له الكوفة والبصرة ، فاستخلف على البصرة سمرة بن جندب ، وشخص إلى الكوفة ، فكان زياد يقيم ستة أشهر بالكوفة ، وستة أشهر بالبصرة .

حدثني عمر ، قال : حدثني علي ، عن مسلمة بن محارب ، قال : لما مات المغيرة جمعت العراق لزياد ، فأتي الكوفة فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن هذا الأمر أتانى وأنا بالبصرة ، فأردت أن أشخص

٨٨/٢

إليكم^(١) في ألفين من شُرطة البصرة ، ثم ذكرت أنكم أهل حق ، وأن حقكم طالما دفع الباطل ، فأتيتكم في أهل بيتي ، فالحمد لله الذي رفع مني ما وضع الناس ، وحفظ مني ما ضيعوا ... حتى فرغ من الخطبة ، فحصب على المنبر ، فجلس حتى أمسكوا ، ثم دعا قوماً من خاصته ، وأمرهم^(٢) ، فأخذوا أبواب المسجد ، ثم قال : ليأخذ كل رجل منكم جليسته ، ولا يقولن : لا أدرى من جليسي ؟ ثم أمر بكرسي فوضع له على باب المسجد ، فدعاهم أربعة أربعة يحلفون بالله ما منّا من حصبتك ، فمن حلف خلاه ، ومن لم يحلف حبسه وعزله ، حتى صار إلى ثلاثين ، ويقال : بل كانوا ثمانين ، فقطع أيديهم على المكان .

قال الشعبي : فوالله ما تعلقنا عليه بكذبة ، وما وعدنا خيراً ولا شراً إلا أنفدّه .

حدثني عمر قال : حدثنا علي ، عن سلمة بن عثمان ، قال : بلغني عن الشعبي أنه قال : أول رجل قتلته زياد بالكوفة أوفى بن حصن ، بلغه عنه شيء فطلبه فهرب ، فعرض الناس زياد ، فربّه ، فقال : من هذا ؟ قالوا : أوفى بن حصن الطائي ؛ فقال زياد : أتتكم بجائن رجلاه^(٣) ، فقال أوفى :

إن زياداً أبا المغيرة لا يعجل والناس فيهم عجلة

خفتك والله فاعلمن حلني خوف الحفايث صولة الأصلة^(٤)

فجئت إذ ضاقت البلاد فلم يكن عليها لخائف وآلة^(٥)

قال : ما رأيك في عثمان ؟ قال ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه ، ولم أنكريه ، ولي محصول رأي ، قال : فما تقول في معاوية ؟ قال :

(١) س : « أن آتيكم » .

(٢) س : « فأمرهم » .

(٣) مثل ؛ وأول من قاله الحارث بن جبلة الغساني قاله للحارث بن عيف العبدى ؛ وقيل أول من قاله عبيد بن الأبرص . وانظر الميداني ١ : ١٤ .

(٤) الحفايث : جمع حفاث ؛ وهو حية ضخمة الرأس أرقش أحمر ، والأصلة جنس من الحيات هو أخبها .

(٥) الآلة بسكون الهمز وخففها للشعر : الملجأ .

جَوَادٌ حَلِيمٌ ؛ قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِيَّ ؟ قَالَ : بَلَغْنِي أَنْكَ قُلْتَ بِالْبَصْرَةِ : وَاللَّهِ
لَأَتَّخِذَنَّ الْبَرِيءَ بِالسَّقِيمِ ، وَالْمَقْبَلَ بِالْمُدْبِرِ ؛ قَالَ : قَدْ قُلْتَ ذَاكَ ، قَالَ :
خَبِطَتْهَا عَشَوَاءُ ^(١) ؛ قَالَ زِيَادٌ : لَيْسَ النِّفَاحُ بِشَرِّ الزَّمَرَةِ ، فَقَتَلَهُ ؛
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامٍ السَّلُولِيُّ :

خَيْبَ اللَّهِ سَعَى أَوْفَى بْنِ حِصْنٍ حِينَ أَضْحَى فَرُوجَةَ الرُّقَاءِ
قَادَهُ الْحَيْنُ وَالشَّقَاءُ إِلَى لَيْ مِثْ عَرَبِيٍّ وَحْيَةٍ صَمَاءِ

قَالَ : وَلَمَّا قَدِمَ زِيَادُ الْكُوفَةِ أَتَاهُ مُمَارَةُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَالَ :
إِنَّ عَمْرُو بْنَ الْحَمِقِ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ مِنْ شِيعَةِ أَبِي تَرَابٍ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ
حُرَيْثٍ : مَا يَدْعُوكَ إِلَى رَفْعِ مَا لَا تَبْقِيَنَّهُ وَلَا تَدْرِي مَا عَاقِبَتُهُ ! فَقَالَ زِيَادٌ :
كَلَّا كَمَا لَمْ يُصِيبْ ، أَنْتَ حَيْثُ تَكَلِّمُنِي فِي هَذَا عِلَانِيَةً وَعَمْرُو حِينَ يَرُدُّكَ عَنْ
كَلَامِكَ ، قَوْمًا إِلَى عَمْرُو بْنِ الْحَمِقِ فَقُولَا لَهُ : مَا هَذِهِ الزُّرَّافَاتُ الَّتِي تَجْتَمِعُ
عِنْدَكَ ! مَنْ أَرَادَكَ أَوْ أَرَدْتَ كَلَامَهُ ^(٢) فِي الْمَسْجِدِ .

قَالَ : وَيُقَالُ : إِنَّ الَّذِي رَفَعَ عَلَى عَمْرُو بْنِ الْحَمِقِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَنْغَلَ ^(٣)
الْمِصْرَيْنِ ، يَزِيدُ بْنُ رُوَيْمٍ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْحَرِثِ : مَا كَانَ قَطًّا أَقْبَلَ
عَلَى مَا يَتَفَعَّهُ مِنْهُ الْيَوْمَ ؛ فَقَالَ زِيَادٌ لِيَزِيدَ بْنِ رُوَيْمٍ : أَمَا أَنْتَ فَقَدْ
أَشْطَطْتَ ^(٤) بِدَمِهِ ، وَأَمَّا عَمْرُو فَقَدْ حَقَّقَنَ دَمَهُ ، وَلَوْ عَلِمْتَ أَنَّ مَخَّ سَاقِهِ قَدْ سَالَ
مِنْ بَغْضَى مَا هَبَجْتَهُ حَتَّى يَخْرُجَ عَلَى .

وَاتَّخَذَ زِيَادٌ الْمَقْصُورَةَ حِينَ حَصَبَهُ ^(٥) أَهْلُ الْكُوفَةِ .

٩٠/٢

وَوَلَّى زِيَادٌ حِينَ شَخَّصَ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ .
فَحَدَّثَنِي عَمْرٌ ، قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ
ابْنُ سَلِيمٍ قَالَ : سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ سِيرِينَ : هَلْ كَانَ سَمُرَةُ قَتَلَ أَحَدًا ؟ قَالَ :

(١) فِي ابْنِ الْأَثِيرِ : « خَبِطَتْهَا خَبَطَ عَشَوَاءَ » .

(٢) س : « وَأَرَادَ كَلَامَكَ » .

(٣) أَنْفَلَ الْمَصْرَيْنِ ، أَيْ أَفْسَدَهُمْ .

(٤) أَشْطَطَ بِدَمِهِ ، أَيْ أَهْلَكَتَهُ .

(٥) س : « خَصَمَ » .

وهل يُحصَى من قَتَلَ سَمُرَةَ بن جندب ! استخلفه زيادٌ على البصرة ،
وَأَتَى ^(١) الكوفة ، فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس ، فقال له : هل
تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً ؟ قال : لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيتُ—
أو كما قال .

حدثني عمر ، قال : حدثني موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا نوح بن
قيس ، عن أشعث الحُدَّائِي ، عن أبي سُوَّار العدوي ، قال : قتل سَمُرَةُ من
قومي في غداةٍ سبعة وأربعين رجلاً قد جمَعَ القرآن .

* * *

حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، عن جعفر الصدِّقي ، عن
عوف ، قال : أقبل سَمُرَةُ من المدينة ، فلما كان عند دُور بني أسد خرج
رجل من بعض أزقَّتِهِمْ ، ففجأ أوائل الحيل ، فحمل عليه رجلٌ من القوم
فأوجرَه الحربة . قال : ثم مضت الحيل ، فأتني عليه ^(٢) سَمُرَةُ بن جندب ،
وهو متشحط في دمه ، فقال : ما هذا ؟ قيل : أصابته أوائل خيل الأمير ؛
قال : إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أسنتنا .

* * *

[خروج قريب وزحاف]

حدثني عمر قال : حدثني زهير بن حرب ، قال : حدثنا وهب بن جرير ،
قال : حدثنا غسان بن مضر ، عن سعيد بن زيد ، قال : خرج قَرِيب
وزحاف ، وزياد بالكوفة ، وسَمُرَةُ بالبصرة ، فخرجوا ^(٣) ليلاً ، فنزلوا ^(٤) بني
يَشْكُر ، وهم سبعون رجلاً ، وذلك في رمضان ، فأتوا بني ضَبَّيعة وهم سبعون
رجلاً ، فبرؤا بشيخ منهم يقال له حكَّاك ، فقال حين رآهم : مرحباً
بأبي الشَّعْثَاء ! فرآه ابن حُصَيْن ^(٥) فقتلوه ، وتفرقوا في مساجد الأزد ، وأتت فرقة

(١) ف : « فأتى » . (٢) س : « فأتى علي » . (٣) ط : « فخرجنا » .
(٤) ط : « فنزلنا » . (٥) ط : « حصن » ؛ وانظر الفهرس .

منهم رَحْبَةُ بنى عليّ ، وفرقة مسجدَ المعادل ، فخرج عليهم سيفُ بن وهب في أصحاب له ، فقتل مَنْ أتاها ، وخرج على قريب وزحاف شبّاب من بنى عليّ وشباب من بنى راسب ، فرمَوْهم بالنَّبْل . قال قريب : هل في القوم عبدُ الله بن أوس الطاحي ؟ وكان يناضله ؛ قيل : نعم ؛ قال : فهلم إلى البراز ؛ فقتله عبدُ الله وجاء برأسه ، وأقبل زياد من الكوفة فجعل يؤثبه ، ثم قال : يا معشر طاحية ، لولا أنكم أصبتم في القوم لنفيتكم إلى السجن . قال : وكان قريب من إياد ، وزحاف من طيئ ، وكانا ابني خالة ، وكانا أول من خرج بعد أهل النهر .

قال غسان : سمعت سعيداً يقول : إن أبا بلال قال : قريب لا قرّبه الله ، وإيم الله لأن أفع من السماء أحب إلى من أن أصنع ما صنع - يعنى الاستعراض . حدثني عمر ، قال : حدثنا زهير ، قال : حدثني وهب ، قال : حدثني أبي أن زياداً اشتدّ في أمر الحرورية بعد قريب وزحاف ، فقتلهم وأمر سمرّة بذلك ، وكان يستخلفه على البصرة إذا خرج إلى الكوفة ، فقتل سمرّة منهم بشراً كثيراً .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو عبيدة ، قال : قال زياد يومئذ على المنبر : يا أهل البصرة ، والله استكفُنى هؤلاء أو لأبدنكم بهم ، والله لئن أفلت منهم رجلٌ لا تأخذون العام من عطائكم درهماً ، قال : فثار الناسُ بهم فقتلوهم .

* * *

[ذكر إرادة معاوية نقل المنبر من المدينة]

قال محمد بن عمر : وفي هذه السنة ^(١) أمر معاوية بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) ، أن يُحمَل إلى الشام ، فحرّك ، فكُسفت الشمس حتى رُئيت النجوم بادية يومئذ ، فأعظم الناس ذلك ، فقال : لم أرِدْ حملته ، إنما خفت أن يكون قد أُرِضَ ^(٣) ، فنظرت إليه . ثم كساه يومئذ .

٩٢/٢

(١ - ١) س : « أراد معاوية قلع منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
(٢) يقال : أرضت الخشبة ، فهي مأروضة ، إذا وقعت فيها الأرضة وأكلتها . والأرضة : دودة بيضاء شبه النملة تظهر في أيام الربيع .

وذكر محمد بن عمر، أنه حدثه بذلك خالد بن القاسم، عن شعيب بن عمرو الأموي.

قال محمد بن عمر: حدثني يحيى بن سعيد^(١) بن دينار، عن أبيه، قال: قال معاوية: إني رأيت أن منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصاه لا يتركان بالمدينة، وهم قتل أمير المؤمنين عثمان وأعداؤه، فلما قدم طلب العصا وهي عند سعد القرظ، فجاءه أبو هريرة وجابر بن عبد الله، فقالا: يا أمير المؤمنين؛ نذكرك الله عز وجل أن تفعل هذا، فإن هذا لا يصلح، تخرج منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع وضعه، وتخرج عصاه إلى الشام؛ فانقل المسجد؛ فأقصر وزاد فيه ست درجات، فهو اليوم ثمانى درجات، واعتذر إلى الناس مما صنع.

قال محمد بن عمر: وحدثني سويد بن عبد العزيز، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن أبان بن صالح، عن قبيصة بن ذؤيب، قال: كان عبد الملك قد هم بالمنبر، فقال له قبيصة بن ذؤيب: أذكرك الله عز وجل أن تفعل هذا، وأن تحوله! إن أمير المؤمنين معاوية حرّكه فكسفت الشمس، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حلف على منبري أثماً فليتبوأ مقعده من النار»، فتخرجه من المدينة وهو مقطّع الحقوق بينهم بالمدينة! فأقصر عبد الملك عن ذلك، وكف عن أن يذكره. فلما كان الوليد حجّ ٩٣/٢ هم بذلك وقال: خبراني عنه، وما أراي إلا سأفعل: فأرسل سعيد بن المسيب إلى عمر بن عبد العزيز، فقال: كلّم صاحبك يتق الله عز وجل ولا يتعرض لله سبحانه ولست بخطه، فكلّمه عمر بن عبد العزيز، فأقصر وكف عن ذكره، فلما حجّ سليمان بن عبد الملك أخبره عمر بن عبد العزيز بما كان الوليد هم به وإرسال سعيد بن المسيب إليه، فقال سليمان: ما كنت أحب أن يذكر هذا عن أمير المؤمنين عبد الملك ولا عن الوليد، هذا مكابرة، وما لنا ولهذا! أخذنا الدنيا فهي في أيدينا، ونريد أن نَعتمد إلى علّم من أعلام الإسلام يوفد

(١) ابن كثير: «محمد بن سعيد».

إليه ، فنحمله إلى ما قبلنا ! هذا ما لا يصلح .

وفيها عَزَلَ معاوية بن حُذَيْج عن مَصْرَ وولَّى مسلمة بن مخلد مصر وإفريقية ، وكان معاوية بن أبي سفيان قد بعث قبل أن يولَّى مسلمة مصر وإفريقية عَقْبَةَ بن نافع الفهري إلى إفريقية ، فافتتحها ، واختط قَيْرَوانها ، وكان موضعه غَيْضَةً — فيما زعم محمد بن عمر — لا تُرام من السباع والحيات وغير ذلك من الدواب . فدعا الله عزَّ وجلَّ عليها فلم يَبْقَ منها شيء إلا خرج هارباً ، حتى إن السباع كانت تَحْمِلُ أولادها .
قال محمد بن عمر : حدثني موسى بن علي ، عن أبيه ، قال : نادى عَقْبَةُ بن نافع :

• إِنَّا نَازِلُونَ فَاظْمَعُوا عِزِينَا *

فخرجن من جِحْرَتِهِنَّ هَوَّارِب .

قال : وحدثني المفضل بن فضالة ، عن زيد بن أبي حبيب ، عن رجل من جند مصر ، قال : قَدِمْنَا مع عَقْبَةَ بن نافع ، وهو أوَّلُ الناس اختطها وأقطعها للناس مساكن ودوراً ، وبني مسجدَها . فأقمنا معه حتى عَزَلَ ، وهو خير والٍ وخير أمير .

٩٤/٢

ثم عَزَلَ معاوية في هذه السنة — أعنى سنة خمسين — معاوية بن حُذَيْج عن مصر ، وعَقْبَةَ بن نافع عن إفريقية ، وولَّى مسلمة بن مخلد مصر والمغرب كله ، فهو أوَّلُ من جُمِعَ له المغرب كله ومصر وبرقة وإفريقية وطرابلس ، فولَّى مسلمة بن مخلد مولًى له يقال له : أبو المهاجر أفريقية ، وعَزَلَ عَقْبَةَ ابن نافع ، وكشفه عن أشياء ، فلم يزل والياً على مصر والمغرب ، وأبو المهاجر على إفريقية من قبله حتى هلك معاوية بن أبي سفيان .

وفي هذه السنة مات أبو موسى الأشعري ، وقد قيل : كانت وفاة أبي موسى سنة اثنتين وخمسين .

واختُليفَ فيمن حجَّ بالناس في هذه السنة ، فقال بعضهم : حجَّ بهم معاوية ، وقال بعضهم : بل حجَّ بهم ابنه يزيد ، وكان الوالي في هذه السنة

على المدينة سعيد بن العاص ، وعلى البصرة والكوفة والمشرق وسجستان وفارس
والسند والهند زياد .

* * *

[ذكر هرب الفرزدق من زياد]

وفي هذه السنة طلب زياد^١ الفرزدق ، واستعدت عليه بنو نهشل
وفقيهم ، فهرب منه إلى سعيد بن العاص - وهو يومئذ وإلى المدينة من قبل
معاوية - مستجيراً به ، فأجاره .

* ذكر الخبر عن ذلك :

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو عبيدة وأبو الحسن المدائني وغيرهما ،
أن الفرزدق لما هجا بني نهشل وبني فقيهم . لم يزد أبو زيد في إسناد خبره
على ما ذكرت ؛ وأما محمد بن علي فإنه حدثني عن محمد بن سعد^(١) ، عن
أبي عبيدة ، قال : حدثني أعين بن لبطة بن الفرزدق ، قال : حدثني أبي
عن أبيه ، قال : لما هاجبت الأشهب بن ربيعة والبغيث فسقطا ، استعدت
على بنو نهشل وبنو فقيهم زياد بن أبي سفيان . وزعم غيره أن يزيد بن
مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعة بن سلمى بن جندل بن نهشل استعدى
أيضاً عليه . فقال أعين : فلم يعرفه زياد حتى قيل له : الغلام الأعراي الذي
أنهب ورقه وألقى ثيابه ؛ فعرفه .

قال أبو عبيدة : أخبرني أعين بن لبطة ، قال : أخبرني أبي ، عن
أبيه ، قال : بعني أبي غالب في غير له وجلب أيعه وأمتار له واشترى لأهله
كساً ، فقدمت البصرة ، فبعث الجلب ، فأخذت ثمنه فجعلته في ثوبي
أزاوله ، إذ عرض لي رجل أراه كأنه شيطان ، فقال : لشدة ما تستوثق منها !
فقلت : وما بمنعني ! قال : أما لو كان مكانك رجل أعرفه ما صبر عليها ؛
فقلت : ومن هو ؟ قال : غالب بن صعصعة ؛ قال : فدعوت أهل الميربد

فقلت: دُونَكُمْوْهَا - وَنَثَرْتُهَا عَلَيْهِمْ - فقال لي قائل: أَلْقِ رِداك يا بنِ غالب، فَأَلْقَيْتُهُ. وقال آخر: أَلْقِ قَمِيصَكَ؛ فَأَلْقَيْتُهُ، وقال آخر: أَلْقِ عِمَامَتَكَ فَأَلْقَيْتُهَا حَتَّى بَقِيَتْ فِي إِزَارٍ، فقالوا: أَلْقِ إِزَارَكَ، فقلت: لَنْ أَلْقِيَهُ وَأَمْشِي مَجْرَدًا، إِنْ لَسْتُ بِمَجْنُونٍ. فبلغ الخبرُ زيادًا، فَأَرْسَلَ خِيَلًا إِلَى الْمِرْبَدِ لِيَأْتُوهُ بِي، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْمُهْجَمِ عَلَى فَرَسٍ؛ قَالَ: أَتَيْتَ فَالْتَّجَاءَ! وَأَرَدَ فَنِي خَلْفَهُ، وَرَكَضَ حَتَّى تَغَيَّبَ، وَجَاءَتْ الْخَيْلُ وَقَدْ سَبَقَتْ، فَأَخَذَ زِيادُ عَمِينَ لِي: ذَهِيلاً^(١) وَالزَّحَافَ ابْنِي صَعْصَعَةَ - وَكَانَا فِي الدِّيَّانِ عَلَى أَلْفَيْنِ أَلْفَيْنِ، وَكَانَا مَعَهُ - فَجَبَسَهُمَا فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِمَا: إِنْ شِئْتُمَا أَتَيْتُكُمَا، فَبِعَشْتَا إِلَى: لَا تَقْرَبْنَا، إِنَّهُ زِيَادٌ وَمَا عَسَى أَنْ يَصْنَعَ بِنَا، وَلَمْ تُذْنِبْ ذَنْبًا! فَكُنَّا^(٢) أَيَّامًا. ثُمَّ كَلَّمْتُ زِيَادَ فِيهِمَا، فَقَالُوا: شَيْخَانُ سَامِعَانُ مَطِيعَانُ، لَيْسَ لِهَما ذَنْبٌ مِمَّا صَنَعَ غَلامٌ أَعْرَابِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ؛ فَخَلَّتِي عَنْهُمَا؛ فَقَالَا لِي: أَخْبَرْنَا بِمَجْمِيعِ مَا أَمَرَكَ أَبُوكَ مِنْ مِيرَةٍ أَوْ كَسْوَةٍ؛ فَخَبَّرْتُهُمَا بِهِ أَجْمَعُ، فَاشْتَرِيَاهُ وَانْطَلَقْتُ حَتَّى لَحَقْتُ بِغَالِبٍ، وَحَمَلْتُ ذَلِكَ^(٣) مَعِيَ أَجْمَعُ، فَأَتَيْتُهُ وَقَدْ بَلَغَهُ خَبْرِي، فَسَأَلَنِي: كَيْفَ صَنَعْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا كَانَ؛ قَالَ: وَإِنَّكَ لَتُحْسِنُ مِثْلَ هَذَا! وَمَسَّحَ رَأْسِي. وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ يَقُولُ الشَّعْرُ، وَإِنَّمَا قَالَ الشَّعْرُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَكَانَتْ^(٤) فِي نَفْسِ زِيَادٍ عَلَيْهِ.

ثُمَّ وَقَدْ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَجَارِيَةُ بْنُ قُدَامَةَ، مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ ابْنِ سَعْدٍ وَالْجَوْثُونَ بَنِي قَتَادَةَ الْعَبْشَمِيِّ وَالْحَتَاتُ بْنُ يَزِيدَ أَبُو مَنَازِلَ، أَحَدُ بَنِي حَوْيٍ^(٥) بَنِي سُفْيَانَ بْنِ مَجَاشَعٍ إِلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مِائَةَ أَلْفٍ، وَأَعْطَى الْحَتَاتُ سَبْعِينَ أَلْفًا، فَلَمَّا كَانُوا فِي الطَّرِيقِ سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَأَخْبَرُوهُ بِجَوَائِزِهِمْ، فَكَانَ الْحَتَاتُ أَخَذَ سَبْعِينَ أَلْفًا، فَرَجَعَ إِلَى مَعَاوِيَةَ، فَقَالَ: مَا رَدَّكَ يَا أَبَا مَنَازِلَ؟ قَالَ: فَضَحَحْتُ فِي بَنِي تَيْمٍ،

(١) ف: « زَبِيلًا ».

(٢) س: « فَكُنَّا ».

(٣) س: « وَحَمَلْتُهُ ».

(٤) ف: « وَكَانَتْ ».

(٥) س: « حَوَيْنَ ».

أما حسبي بصحيح ! أولسنتُ ذا سِنٍ ! أولسنتُ مطاعاً في عشيرتي !
 فقال معاوية : بلى ؛ قال : فما بالك خستستُ بي دون القوم ! فقال : إني
 اشتريت من القوم دينهم ووكلتُك إلى دينك ورأيتُك في عثمان بن عفان ٩٧/٢
 — وكان عثمانياً — فقال : وأنا فاشتير مني ديني ، فأمر له بتمام جائزة القوم .
 وطعن في جائزته ، فحبسها معاوية ، فقال الفرزدق في ذلك :

أبوك وعمي يا معاويَ أورثا ثراثاً فيختارُ الثراثَ أقاربهُ^(١)
 فما بالُ ميراثِ الحُتاتِ أخذته وميراثُ حربٍ جامدٌ لك ذائبهُ !
 فلو كانَ هذا الأمرُ في جاهليَّةٍ عَلِمْتَ من المرءِ القليلُ حلايبهُ
 ولو كانَ في دينٍ سوى ذا شِئتُمُ لنا حقنًا أو غَصَّ بالماءِ شارِبهُ
 ولو كانَ إذ كنّا وفي الكفِّ بسطةً لَصَمَّ عَضْبُ فِيكِ ماضٍ مضاربهُ
 — وأنشد محمد بن عليّ « وفي الكفِّ مبسط » —

وقد رُمّتَ شيئاً يا معاويَ دونهُ خياطِفٌ علودٌ صعبٌ مراتبهُ
 وما كنتُ أُعطى النصفَ من غيرِ قدرةٍ سواكَ ، ولو مالتُ على كُتابهِ
 أَلَسْتُ أَعزَّ الناسِ قوماً وأسرَةً وأمنعُهُم جاراً إذا ضِيمَ جانبهُ ٩٨/٢
 وما ولدتُ بعدَ النبيِّ وآلِهِ كمثلي حِصانٌ في الرجالِ يقاربهُ
 أبي غالبُ والمرءُ ناجيةُ الذّي^(٢) إلى صِصعٍ يُنمى ، فمن ذا يناسبهُ !^(٣)
 ويبتى إلى جنبِ الثريّا فِناؤهُ ومن دونهُ البدرُ المضيءُ كواكبهُ
 أنا ابنُ الجبالِ الصَّمِّ في عَدَدِ الحَصَى^(٤) وعرقُ الثرى عِرْقِي ، فمن ذا يحاسبهُ !

(١) ديوانه ٤٩ : ٤ ، مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات ، وانظر النقائض : ٦٠٨ ، ٦٠٩ .

(٢) النقائض : « صمصمة الذّي » .

(٣) النقائض : « دارم يني » .

(٤) النقائض : « الجبال الصَّم » .

أنا ابنُ الذي أحيا الوئيدَ وضامنُ
وكم من أبٍ لي يا معاويَ لم يزل
نمتُهُ فروعُ المالكينِ ولم يكن
تراهُ كنْضِلِ السَّيفِ يهتزُّ للندى
على الدهرِ إذ عَزَّتْ لِدَهْرٍ مكاسبُهُ
أغرَّ يباريَ الريحَ ما أزوَرَّ جانبُهُ
أبوك الذي من عبدِ شمسٍ بقاربُهُ
كريمًا يُلاقى المجدَ ما طَرَّ شاربه
قصيُّ وعبدُ الشمسِ ممَّنْ يخاطبُهُ
طويلُ نجادِ السيفِ مذ كان لم يكنُ

٩٩/٢

فردّ ثلاثين ألفًا على أهله ، وكانت أيضًا قد أغضبت زيادًا عليه .
قال : فلما استعدت عليه نهشل وفقّيم ازداد عليه غضبًا ، فطلبه فهرب ،
فأتى عيسى بنَ خُصَيْلَةَ بنِ معتب بنِ نصر بنِ خالد البَهْزَيّ ، ثم أحد بني
سُلَيْم ، والحجّاج بن عِلاط بن خالد السَّلَميّ .

قال ابن سعد : قال أبو عبيدة : فحدثني أبو موسى الفضل بن موسى
ابن خُصَيْلَةَ ، قال : لما طرد زياد الفرزدقَ جاء إلى عمّي عيسى بن خُصَيْلَةَ ليلاً
فقال : يا أبا خُصَيْلَةَ ، إن هذا الرجل قد أخافني ، وإن صديقِي وجميعَ مَنْ
كنت أرجو قد لفظوني ، وإني قد أتيتك لتغيّبني عنك ؛ قال : مَرَحَبًا بك !
فكان عنده ثلاثَ ليالٍ ، ثم قال : إنه قد بدا لي أن ألحق بالشام ، فقال :
ما أحببت ؛ إن أقمت معي ففي الرّحْب والسعة ؛ وإن شَخَصْتَ فهذه ناقة
أرْحَبِيَّة أمتّعك بها . قال : فركب بعدَ ليلٍ ، وبعث عيسى معه حتى جاوز
البيوت ، فأصبح وقد جاوز مسيرة ثلاثِ ليالٍ ، فقال الفرزدق في ذلك :

حَبَانِي بِهَا الْبَهْزَيُّ حُمْلَانٌ مَنَ أَبِي
وَمَنْ كَانَ يَا عِيسَى يُونَبُّ ضَيْفَهُ
وَقَالَ تَعْلَمُ أَنَّهَا أَرْحَبِيَّةٌ
فَأَصْبَحْتُ وَالْمَلَقَى وَرَائِي وَخَنْبَلُ
مَنْ النَّاسِ وَالْجَانِي تَخَافُ جَرَانِمَهُ (١)
فَضَيْفُكَ مَخْبُورٌ هَنِيٌّ مَطَاعِمُهُ
وَأَنَّ لَهَا اللَّيْلَ الَّذِي أَنْتَ جَاشِمُهُ
وَمَا صَدَرَتْ حَتَّى عَلَا النَّجْمُ عَاتِمُهُ (٢)

١٠٠/٢

(١) ديوانه ٧٦٣ والنقائض: ٦١٠ .

(٢) النقائض : « علا الليل » .

تَزَاوَرُ عَنْ أَهْلِ الْحُصَيْرِ كَأَنَّهَا ظَلِمَ تَبَارَى جَنَحَ لَيْلٍ نَعَامَةٌ
رَأَتْ بَيْنَ عَيْنَيْهَا دُوبَةَ وَانْجَلَى لَهَا الصَّبْحُ عَنْ صَعْلٍ أَسِيلٍ مَخَاطِمُهُ
كَأَنَّ شِرَاعًا فِيهِ مَجْرَى زَمَامِهَا بِدِجْلَةٍ إِلَّا خَطْمُهُ وَمَلَاعِمُهُ
إِذَا أَنْتِ جَاوَزْتَ الْغَرِيْبَيْنِ فَاسْلَمِي وَأَعْرَضِي وَنِ قَلْجٍ وَرَائِي مَخَارِمُهُ

وقال أيضًا :

تَدَارَكْنِي أَسْبَابُ عَيْسَى مِنَ الرَّدَى وَمَنْ يَكُ مَوْلَاهُ فَلَيْسَ بِوَاحِدٍ^(١)
وهي قصيدة طويلة .

قال : وبلغ زياداً أنه قد شَخَّصَ ، فأرسل عليّ بن زَهْدَمَ ، أحد بني
نُؤْلَةَ بن فُقَيْمٍ في طلبه .

قال أَعْيَنَ : فطلبه في بيت نصرانية يقال لها ابنة مَرَّارَ ، من بني قيس
ابن ثعلبة تنزل قَصِيْمَةَ كَاطِمَةَ ؛ قال : فسلَّته^(٢) مِنْ كِسْرِ بَيْتِهَا ، فلم يقدر ١٠١/٢
عليه ؛ فقال في ذلك الفرزدق :

أَتَيْتُ ابْنَةَ الْمَرَّارِ أَهْلَيْتَ تَبْتَنِي وَمَا يُبْتَنَى تَحْتَ السُّوَيْةِ أَمْثَالِي^(٣)
وَلَكِنْ بُغَائِي لَوْ أَرَدْتَ لِقَاءَنَا فِضَاءُ الصَّحَارَى لَا ابْتِغَاءَ بِأَدْغَالِ
وقيل : إنها ربيعة بنت المَرَّارِ بن سلامة العجليّ أمّ أبي النجم الرّاجز .
قال أبو عُبَيْدَةَ : قال مِسْمَعُ بن عبد الملك : فَأَتَى الرَّوْحَاءَ ، فتنزل في
بكر بن وائل ، فَأَمِنَ ، فقال يمدحهم :

وَقَدْ مَثَلْتُ أَيْنَ الْمَسِيرِ فَلَمْ تَجِدْ لِفَوْرَتِهَا كَالْحَيِّ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ^(٤)
أَعْفَ وَأَوْفَى ذِمَّةً يَعْقِدُونَهَا إِذَا وَازَنْتِ شَمَّ الدُّرَّا بِالْكَوَاهِلِ

(١) ديوانه: ١٩٧ ، ١٩٨ ، النقائض: ٦١٠ .

(٢) س : « فسالته » .

(٣) ديوانه: ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، النقائض: ٦١١ .

(٤) ديوانه: ٦٥٠ ، ٦٥١ ، النقائض: ٦١٢ ، وفيها : « وقد ميلت » .

وهي قصيدة طويلة . ومدحهم بقصائد آخر غيرها .

قال : فكان الفرزدق إذا نزل زياد البصرة نزل الكوفة ، وإذا نزل زياد الكوفة نزل الفرزدق البصرة ، وكان زياد ينزل البصرة ستة أشهر والكوفة ستة أشهر ، فبلغ زياداً ما صنع الفرزدق ، فكتب إلى عامله على الكوفة عبد الرحمن ابن عبيد : إننا الفرزدق فحلّ الوحوش يرعى القفار ، فإذا ورد عليه الناس دُعي ففارقهم إلى أرض أخرى فرتع ؛ فاطلبه حتى تظفر به . قال الفرزدق : فطلبت أشدّ طلب^(١) ، حتى جعل من كان يؤويني يخرجني من عنده ، فضاقت على الأرض ، فبينما أنا ملفف رأسي في كسائي على ظهر الطريق^(٢) ، إذ مرّ بي الذي جاء في طلبي ، فلما كان الليل أتيت بعض أخوالي من بني ضبة وعندهم عرس ولم أكن طعمت قبل ذلك طعاماً ، فقلت : آتيهم فأصيب من الطعام — قال : فبينما أنا قاعد إذ نظرت إلى هادي^(٣) فرسٍ وصدر رُمح قد جاوز باب الدار داخلاً إلينا ، فقاموا إلى حائط قصب فرفعوه ، فخرجت منه ، وألقوا الحائط فعاد مكانه ، ثم قالوا : ما رأيناه ، وبحسب ساعة ثم خرجوا ، فلما أصبحنا جاءوني فقالوا : اخرج إلى الحجاز عن جوار زياد لا يظفرك ، فلو ظفرك البارحة أهلكتنا ؛ وجمعوا ثمن راحلتين ، وكلّموا لي مقاعساً أحد بني تميم الله ابن ثعلبة — وكان دليلاً يسافر للتجار — قال : فخرجنا إلى بانيقيّا حتى انتهينا إلى بعض القصور التي تسترك ، فلم يفتح لنا الباب ، فألقينا راحلتنا إلى جنب الحائط واليلة مقمرة ، فقلت : يا مقاعس ، أريت إن بعث زياد بعد ما نصبح إلى العتيق رجلاً ، أيقدرون علينا ؟ قال : نعم ، يرصدوننا — ولم يكونوا جاوزوا العتيق وهو خندق كان للعجم — قال : فقلت : ما تقول العرب ؟ قال : يقولون : أمهله يوماً وليلة ثم خذه . فارتحل ؛ فقال إني أخاف السباع ، فقلت : السباع أهون من زياد ، فارتحلنا لأنرى شيئاً إلا خلقناه ، ولزمنا شخص لا يفارقنا ، فقلت : يا مقاعس ، أترى هذا الشخص ! لم نمر

١٠٢/٢

١٠٣/٢

(١) س : « الطلب » .

(٢) س : « طريق » .

(٣) الهادي : الملق ؛ سمي بذلك لتقدمه .

بشيء إلا جاوزناه غيره ، فإنه يسايرنا منذ الليلة . قال : هذا السَّبْعُ ، قال :
فكأنه فهمَ كلامنا ، فتقدّم حتى رَبَضَ على مَتْنِ الطريق ، فلما رأينا ذلك
نزلنا فشددنا أيدي ناقتينَا بِنَايِئِن وأخذتُ قوسى . وقال مقاعس :
يا ثعلب ، أتدرى مَن فرزنا إليك ؟ من زياد ، فأحْصَبَ بذَنْبِهِ حتى غَشِينَا
غبارهُ وغشى ناقتينَا ، قال : فقلت : أرميه ، فقال : لا تَهْجِهْ ، فإنه إذا
أصبح ذهب ؛ قال : فجعل يُرْعِد ويُبْرِق ويُرْزِر ، ومُقَاعَس يتوعده حتى
انشقَّ الصبح ، فلما رآه ولّى ، وأنشأ الفرزدق يقول :

ما كنتُ أَحْسِبُنِي جَبَاناً بعد ما لَاقَيْتُ لَيْلَةَ جَانِبِ الْأَنْهَارِ^(١)
لَيْثاً كَانَ عَلَى يَدَيْهِ رِحَالَةٌ شَنَّ الْبَرَاثِينَ مُوجِدَ الْأَظْفَارِ
لَمَّا سَمِعْتُ لَهُ زَمَازِمَ أَجْهَشْتُ نَفْسِي إِلَى وَقَلْتُ أَيْنَ فِرَارِي^(٢)
وَرَبَطْتُ جِرْوَتَهَا وَقَلْتُ لَهَا اضْبِرِّي وَشَدَدْتُ فِي ضَيْقِ الْمَقَامِ لِإِزَارِي
فَلَأَنْتَ أَهْوَنُ مِنْ زِيَادٍ جَانِباً^(٣) اذْهَبْ إِلَيْكَ مُخْرَمَ الْأَسْفَارِ

قال ابن سعد: قال أبو عبيدة : فحدثني أعيَن بن لَبْطَةَ ، قال : حدثني
أبى ، عن شَبِث بن رِبْعَى الرِّاحِي ، قال : فأنشدتُ زياداً هذه الأبيات فكأنه
رقَّ له ، وقال : لو أتاني لآمنتُهُ وأعطيتُهُ ، فبلغ ذلك الفرزدق ؛ فقال :

تَذَكَّرَ هَذَا الْقَلْبُ مِنْ شَوْقِهِ ذِكْرًا تَذَكَّرَ شَوْقًا لَيْسَ نَاسِيَهُ عَصْرًا^(٤)
تَذَكَّرَ ظَمِيَاءَ الَّتِي لَيْسَ نَاسِيَا وَإِنْ كَانَ أَذْنَى عَهْدِهَا حِجَجًا عَشْرًا
وَمَا مُغْزِلٌ بِالْغَوْرِ غَوْرٌ تِيهَامَةٍ تَرَعَّى أَرَاكَ فِي مَنَابِتِهِ نَضْرًا^(٥)
مِنَ الْأَذْمِ حَوَاءَ الْمَدَامِعِ تَرَعَوِي إِلَى رَشْلِمٍ طِفْلٍ تَخَالُ بِهِ فِتْرًا

(١) النقاظ: ٦١٧ .

(٢) النقاظ: « فقلت » .

(٣) النقاظ: « من زياد عندنا » .

(٤) ديوانه: ٢٢٥ ، النقاظ: ٦١٨ .

(٥) ف والنقاظ: « ترعى » .

أَصَابَتْ بِوَادِي الْوُلُولَانِ جِيَالَةً
بِأَحْسَنَ مِنْ ظَمِيَاءِ يَوْمٍ تَعَرَّضْتَ
وَكَمْ دُونَهَا مِنْ عَاطِفٍ فِي صَرِيعة
إِذَا أَوْعَدُونِي عِنْدَ ظَمِيَاءِ سَاءَهَا ١٠٥/٢
دَعَانِي زِيَادٌ لِلْعَطَاءِ وَلَمْ أَكُنْ
وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ يُرِيدُ عَطَاءَ مَنْ
قُعُودٌ لَدَى الْأَبْوَابِ طُلَّابٌ حَاجَةٌ
فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ
نَمِيتُ إِلَى حَرْفٍ أَضْرَ بَيْنِيهَا
تَنَفَّسَ فِي بَهْوٍ مِنَ الْجَوْفِ وَاسِعٍ
تَرَاهَا إِذَا صَامَ النَّهَارُ كَأَنَّمَا
تَخُوضُ إِذَا صَاحَ الصَّدَى بَعْدَ هَجْعَةٍ
فَإِنْ أَعْرَضْتَ زُرَّاءَ أَوْ شَمَرْتَ بِهَا ١٠٦/٢
تَعَادِينَ عَنْ صُهْبِ الْحَصَى وَكَأَنَّمَا
وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ كَاشِحٍ قَدْ تَجَاوَزَتْ
يَوْمٌ بِهَا الْمَوَاطَةِ مَنْ لَا يَرَى لَهُ
وَلَا تُعْجِلَانِي صَاحِبِي فَرَبَّمَا (١)
وَحِضْنَيْنِ مِنْ ظِلْمَاءِ لَيْلٍ سَرِيئَتُهُ
رَمَاهُ الْكَرَى فِي الرَّأْسِ حَتَّى كَانَهُ
مِنَ السَّيْرِ وَالْإِدْلَاجِ تَحْشِبُ أَنَّمَا
جَرَرْنَا وَفَدَيْنَاهُ حَتَّى كَأَنَّمَا

فَمَا اسْتَمْسَكَتْ حَتَّى حَسِبْتُ بِهَا نَفْرًا
وَلَا مُزْنَةً رَاحَتْ غَمَامَتُهَا قَصْرًا
وَأَعْدَاءُ قَوْمٍ يَنْذُرُونَ دَى نَذْرًا!
وَعِيدِي وَقَالَتْ لَا تَقُولُوا لَهُ هُجْرًا
لَا تَيْبَسْ مَا سَاقَ ذُو حَسْبٍ وَفَرَا
رِجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ يَرَى بِهِمْ فَقْرًا
غَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةً بِكْرًا
أَدَاهِمَ سَوْدًا أَوْ مُحَدَّرَجَةً سُمرًا
سُرَى اللَّيْلِ وَاسْتَعْرَاضَهَا الْبَلَدُ الْقَفْرًا
إِذَا مَدَّ حِزْمًا شَرَّاسِفِيهَا الضُّفْرًا
تَسَامِي فَنِيْقًا أَوْ تُخَالِسُهُ خَطْرًا
مِنَ اللَّيْلِ مُلْتَجًا غِيَاظُهُ خُضْرًا
فَلَاةٌ تَرَى مِنْهَا مَخَارِمَهَا غُبْرًا
طَحَنَ بِهِ مِنْ كُلِّ رَضْرَاضَةٍ جَمْرًا
مَخَافَتُهُ حَتَّى تَكُونَ لَهَا جِسْرًا
إِلَى ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ جَاهًا وَلَا عُنْرًا
سَبَقْتُ بِوَرْدِ الْمَاءِ غَادِيَةً كُذْرًا
بِأَغْيَدٍ قَدْ كَانَ النَّعَاسُ لَهُ سُكْرًا
أَمِيمٌ جَلَامِيدٍ تَرْكَنَ بِهِ وَقْرًا
سَقَاهُ الْكَرَى فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ خَمْرًا
يَرَى بِهَوَادِي الصُّبْحِ قَنْبَلَةً شُقْرًا

قال : ففضينا وقد منا المدينة وسعيد بن العاص بن أمية عليها ، فكان في جنازة ، فتبعته فوجدته قاعداً والميت يُدفن حتى قمت بين يديه ، فقلت : هذا مقامُ العائد من رجل لم يُصِب دماً ولا مالا ! فقال : قد أجرتُ إن لم تكن أصبت دماً ولا مالا ؛ وقال : مَنْ أنت ؟ قلت : أنا همام بن غالب بن صعصعة ، وقد أثبتتُ على الأمير ، فإن رأى أن يأذن لي فأسمعه فليفعل ؛ قال : هات ، فأنشدته :

وَكُومٍ تَنْعِمُ الْأَصْيَافَ عَيْنًا وَتَضْبِجُ فِي مَبَارِكِهَا ثِقَالًا^(١)

حتى أثبتُ إلى آخرها ؛ قال : فقال مروان :

• قَعُودًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدِ •

قلتُ : والله إنك لقايم يا أبا عبد الملك .

قال : وقال كعب بن جُعيل : هذه والله الرؤيا التي رأيت البارحة ؛ قال سعيد : وما رأيت ؟ قال : رأيتُ كأنى أمشى في سكة من سكك المدينة ، فإذا أنا بابين قشرة في جحر ، فكانه أراد أن يتناولني ، فاتقيته ، قال : فقام الحطيط فشق ما بين رجلين حتى تجاوز إلى ، فقال : قل ما شئت فقد أدركت من مضى ، ولا يلذك مَنْ بقي . وقال لسعيد : هذا والله الشعر ، لا يعلل به منذ اليوم . قال : فلم نزل بالمدينة مرة وبمكة مرة . وقال الفرزدق في ذلك :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي زِيَادًا مُغْلَغَلَةٌ يَخْبُ بِهَا الْبَرِيدُ^(٢)
بَأَنِّي قَدْ فَرَرْتُ إِلَى سَعِيدٍ وَلَا يُسْطَاعُ مَا يَخْبِي سَعِيدُ
فَرَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ لَيْثٍ هَزْبَرٍ تَفَادَى عَنْ فَرِيَسْتِهِ الْأَسْوَدُ
فَإِنْ شِئْتَ أَنْتَسِبْتَ إِلَى النَّصَارَى وَإِنْ شِئْتَ أَنْتَسِبْتَ إِلَى الْيَهُودِ

١٠٨/٢

(١) ديوانه: ٦١٥ ، النقاظ: ٦١٩ ؛ والبيت من شواهد اللسان (نم) ، عل جواز رفع كلمة « الأضياف » ، ونصبها .

(٢) ديوانه: ١٧١ والنقاظ: ٦١٩ ، مع اختلاف في الرواية .

وإن شئت أنتسبتُ إلى فقيمٍ وناسبني وناسبتُ القُرودُ
ويروى:

* وناسبني وناسبت اليهود *

وأبغضهم إلى بنو فقيمٍ ولكن سوف آتي ما تريدُ
وقال أيضاً :

أتاني وعيدٌ من زيادٍ فلم أنمُ وسيلُ الدوى دوني فهضُبُ التهائم^(١)
فبتُ كَأني مُشعرٌ خيريّةٌ سرّت في عظامي أو سِمامَ الأرقامِ
زيادُ بن حربٍ لن أظنّك تاركي وذا الضغنِ قد خشمته غيرَ ظالمٍ
قال : وأنشدني عمرو :

* وبالضغنِ قد خشممتني غير ظالم *

وقد كافحت مني العراقُ قصيدة^(٢) رجومٌ مع الماضي رموسُ المخارمِ
خفيفةُ أفواهٍ الرواةُ ثقيلةٌ على قِرْنِها نَزَالَةٌ بالمواسمِ
وهي طويلة . فلم نزل بين مكة والمدينة حتى هلك زياد .

* * *

وفي هذه السنة كانت وفاةُ الحكمِ بن عمرو الغِفاريِّ بمِروَ منصرفه من
غزوة أهل جبل الأشلّ .

١٠٩/٢

* * *

ذكر الخبر

عن غزوة الحكم بن عمرو جبل الأشلّ وسبب هلاكه

حدثني عمرُ بن شُبّة ، قال : حدثني حاتم بن قبيصة ، قال : حدثنا
غالب بن سليمان ، عن عبد الرحمن بن صبيح ، قال : كنتُ مع الحكمِ بن
عمرو بخُرَاسان ، فكتب زيادٌ إلى عمرو : إن أهلَ جبل الأشلّ سلاحهم

(١) ديوانه: ٧٧٢ ، والنفاض: ٦٢٠ . (٢) النفاض : « جاحفت » .

الأسود، وأنيتهم الذّهب . فغزاهم حتى توسّطوا، فأخذوا بالشّعاب والطرق ، فأحدقوا به ، فعى بالأمر ، فولّى المهلب الحرب ، فلم يزل المهلب يمتال حتى أخذ عظيمًا من عظمائهم ، فقال له : اختر بين أن أقتلك ، وبين أن تُخرجنا من هذا المضيّق ؛ فقال له : أوّقد النارَ حيالَ الطريق من هذه الطّرق ، ومر بالأثقال فلتوجّه نحوه ، حتى إذا ظنّ القوم أنكم قد دخلتم الطريق لتسلّكوه فلأنّهم يستجمعون لكم ، ويُعزّون ما سواه من الطرق ، فبادرهم إلى غيره فإنهم لا يدركونك حتى تخرج منه . ففعلوا ذلك ، ففجأ وغنموا غنيمة عظيمة .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ بن محمد ؛ قال : لما قفل الحكّم بن عمرو من غزوة جبل الأشلّ ولّى المهلب ساقته ، فسلّكوا في شعاب ضيقة ، فعارّضه التّرك فأخذوا عليهم بالطّرق ، فوجدوا في بعض تلك الشّعاب رجلا يتغنى من وراء حائط بيتين :

تَعَزَّ بِصَبْرِ لَا وَجْدَكَ لَا تَرَى سَنَامَ الْحِمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ ١١٠/٢
كَأَنَّ فَوَادِي مِنْ تَذَكُّرِي الْحِمَى وَأَهْلَ الْحِمَى يَهْفُو بِهِ رِيْشُ طَائِرٍ^(١)
فَأَتَى بِهِ الْحَكَمَ ، فسأله عن أمره ، فقال : غايرتُ ابنَ عمِّ لي ، فخرجتُ ترفّعي أرض وتخفّضني^(٢) أخرى ، حتى هبّطتُ هذه البلاد . فحمّله الحكمُ إلى زياد بالعراق .

قال : وتخلّص الحكم من وجهه حتى أتى هراة ، ثم رجع إلى مرو .
حدثني عمر ، قال : حدثني حاتم بن قبيصة ، قال : حدثنا غالب ابنُ سليمان ، عن عبد الرحمن بن صُبْح ، قال : كتب إليه زياد : والله لئن بقيتُ لك لأقطعن منك طابقاً سحتاً^(٣) ، وذلك أن زياداً كتب إليه لما ورّد بالخبر عليه بما غم : إن أمير المؤمنين كتب إلى أن أصطفى له صفراء ويضاء والروائع^(٤) فلا تحرّكن شيئاً حتى تخرج ذلك .

(٢) س : « وتضغني » .

(٤) س : « والروابع » .

(١) ط : « الطائر » .

(٣) س : « طابقاً سحتاً » .

فكتب إليه الحكم : أما بعد ، فإن كتابك ورد ، تذكر أن أمير المؤمنين كتب إلى أن أصطفى له كل صفراء وبيضاء والروائع ، ولا تحركن شيئاً ؛ فإن^(١) كتاب الله عز وجل قبل كتاب أمير المؤمنين ، وإنه والله لو كانت السموات والأرض رتقاً على عبد اتقى الله عز وجل جعل الله سبحانه وتعالى له مخرجاً .

وقال للناس : اغدوا على غنائمكم ؛ فغداً الناس ، وقد عزل الخمس ، فقسم بينهم تلك الغنائم ؛ قال : فقال الحكم : اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني ؛ فمات بخراسان بمرو^(٢) . ١١١/٢

قال عمر : قال علي بن محمد : لما حضرت الحكم الوفاة بمرو ، استخلف أنس بن أبي أناس ، وذلك في سنة خمسين .

(١) س : « وإن » .

(٢) ف : « بمرو من خراسان » .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها مشتنى فضالة بن عبيد بأرض الروم ، وغزوة بُسر بن
أبي أرمطة الصائفة ، ومقتل حُجر بن عدي وأصحابه .

[ذكر مقتل حُجر بن عدي وأصحابه]

* ذكر سبب مقتله :

قال هشام بن محمد ؛ عن أبي مخنف ، عن المجالد بن سعيد ، والصفعب
ابن زهير ، وفضيل بن خديج ، والحسين بن عتبة المرادي ، قال : كلُّ قد
حدثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث حُجر
ابن عدي الكندي وأصحابه : إن معاوية بن أبي سفيان لما ولي المغيرة بن شعبة
الكوفة في جمادى سنة إحدى وأربعين دّعاه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم
قال : أمّا بعد فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرّع العصا ، وقد قال المثلّمس :

لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقَرَّعُ الْعَصَا وَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَ^(١)

وقد يجزى عنك الحكيم بغير التعليم^(٢) ، وقد أردت إيصاءك^(٣) بأشياء

كثيرة ، فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويُسعد^(٤) سلطاني ،

ويُصلحُ به رعيّتي ، ولست تاركاً إيصاءك بخَصْلَةٍ : لا تتحم^(٥) عن شتم عليّ

وذمه ، والترحّم على عثمان والاستغفار له ، والعيب على أصحاب عليّ ، والإقضاء

لهم ، وترك الاستماع منهم ؛ وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه ، والإدناء لهم ،

(١) من الفضلية ٩٨ .

(٢) ف : « تعلم » .

(٣) ف : « أن أوصيك » .

(٤) س : « ويسد » .

(٥) لا تتحرم : لا تنزع .

والاستماع منهم . فقال المغيرة : قد جَرَّبْتُ وَجُرِّبْتُ ، وعَمَلْتُ قَبْلَكَ لِغَيْرِكَ ، فلم يُذِمَّ بِي دَفْعٌ ولا رَفْعٌ ولا وَضْعٌ ، فستبلو فتُحْمَدُ أو تُذَمُّ . قال (١) : بل نَحْمَدُ إن شاء الله .

قال أبو مخنف : قال الصقعب بن زهير : سمعتُ الشعبي يقول : ما ولينا وال بعده مثله ، وإن كان لاحقاً بصالح من كان قبله من العمال . وأقام المغيرة على الكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهرًا ، وهو من أحسن شيء سيرة ، وأشدّه حبًّا للعافية ، غير أنه لا يدع ذمًّا على الوقوع فيه والعيب لفتنة عثمان ، واللعن لهم ، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له ، والتركية لأصحابه ، فكان حُجْرُ بن عدى إذا سمع ذلك قال : بل إيتاكم فذمم الله ولعن ! ثم قام فقال : إن الله عز وجل يقول : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ (٢) ، وأنا أشهد أن من تَذَمُّون وتعيرون لأحق بالفضل ، وأن من تزكون وتطرون أولى بالذم فيقول المغيرة : يا حُجْرُ ، لقد رُمِيَ بسهمك ، إذ كنت أنا الولي عليك ، يا حُجْرُ وَيَحْك ! اتق السلطان ، اتق غضبه وسطوته ، فإن غضبه السلطان أحيانًا مما يهلك أمثالك كثيرًا . ثم يكف عنه ويصفح . فلم يزل حتى كان في آخر إمارته قام المغيرة فقال في علي وعثمان كما كان يقول ، وكانت مقاتله : اللهم ارحم عثمان بن عفان وتجاوز عنه ، وأجزه بأحسن عمله ، فإنه عمل بكتابك ، واتبع سنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، وجمع كلمتنا ، وحقن دماءنا ، وقتل مظلومًا ، اللهم فارحم أنصاره وأوليائه ومحبيه والطالبين بدمه ! ويدعو على قتلته . فقام حُجْرُ بن عدى فنصر نكرة (٣) بالمغيرة سمعها كل من كان في المسجد وخارجًا منه ، وقال : إنك لا تدري بمن تولع من هَرَمَك ! أيها الإنسان ، مررنا بأزاقنا وأعطيائنا ، فإنك قد حبستنا عنا ، وليس ذلك لك ، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك ، وقد أصبحت مولعًا بذم أمير المؤمنين ، وتقريظ الحزميين . قال : فقام معه أكثر من ثلثي الناس يقولون : صدق والله حُجْرُ وبر ، مررنا

١١٣/٢

(١) كذا في س ، وفي ط : « ثم قال » .

(٢) سورة النساء : ١٣٥ .

(٣) نمر : صاح صيحة شديدة .

بأرزاقنا وأعطيأتنا ، فإننا لا ننتفع بقولك هذا ، ولا يجدى علينا شيئاً ؛ وأكثروا في مثل هذا القول ونحوه . فتزل المغيرة ، فدخل واستأذن عليه قومه ، فأذن لهم ، فقالوا : علام تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة ، ويجترئ عليك في سلطانك هذه الجراءة ! إنك تجمع على نفسك بهذا خصلتين : أما أولهما فتتهوين سلطانك ، وأما الأخرى فإن ذلك إن بلغ معاوية كان أسخط^(١) له عليه — ١١٤/٢ — وكان أشدهم له قولاً في أمر حُجْر والتعظيم عليه عبد الله أبي عقيل الشَّقيّ — فقال لهم المغيرة : إننى قد قتلته ، إنه سيأتى أميرٌ بعدى فيحسبه مثلى فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بى ، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شرّ قتلة ؛ إنه قد اقترب أجلى ، وضعف عملى ، ولا أحبّ أن أبتلى أهلَ هذا المِصر بقتل خيارهم ، وستفك دمايتهم ، فيسعدوا بذلك وأشقى ، ويعزّ فى الدنيا معاوية ، ويذلّ يوم القيامة المغيرة ؛ ولكنى قابلٌ من محسنهم ، وعافٍ عن مسيئهم ، وحامدٌ حلیمهم ، وواعظٌ سفيههم ، حتى يفرق بينى وبينهم الموت ، وسيدكرونى لو قد جربوا العمالَ بعدى^(٢) .

قال أبو مخنف : سمعتُ عثمان بن عتبة الكندى ، يقول : سمعت شيخاً للحجّ يذكر هذا الحديث يقول : قد والله جربناهم فوجدناه خيرَهم ، أحمدَهم للبرى ، وأغفرَهم للمسىء ، وأقبلَهم للعذر .

قال هشام : قال عَوانة : فولّى المغيرة الكوفة سنة إحدى وأربعين فى جمادى ، وهلك سنة إحدى وخمسين ، فجُمِعت الكوفة والبصرة لزياد بن أبى سُفْيَان ، فأقبل زياد حتى دخل القصر بالكوفة ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فإننا قد جربنا وجربنا ، وسُسنا وساسنا السائسون ، فوجدنا هذا الأمر لا يصلحُ آخره إلّا بما صلح أوله ، بالطاعة لليّنة المشبه سرّها بعلائيّتها ، وغيب أهلها بشاهدهم ، وقلوبهم بالسنتهم ، ووجدنا الناس لا يصلحهم إلّا لين فى غير ضعف ، وشدة فى غير عنف ، وإنّى والله لا أقوم فيكم بأمر إلّا أمضيته على أذلاله^(٣) ، وليس من كذبة ١١٥/٢

(٢) الخبر فى الأغاني ١٦ : ٤ (سأى) .

(١) س : « إسخط » .

(٣) أذلاله : طرقة .

الشاهد عليها من الله والناس أكبر^(١) من كذبة إمام على المنبر. ثم ذكر عثمان وأصحابه فقرظهم ، وذكر^(٢) قتلته ولعنهم^(٣) . فقام^(٤) حُجْر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة ، وقد كان زياد قد رجع إلى البصرة وولي الكوفة^(٥) عمرو بن الحرث ، ورجع إلى البصرة فبلغه أن حُجْرًا يجتمع إليه شيعة على ، ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه^(٦) ، وأنهم حصبوا عمرو بن الحرث ، فشخص إلى الكوفة حتى دخلها ، فأقى القصر فدخله ، ثم خرج فصعد المنبر وعليه قباء سُندس ومُطَرَف خَزْ أخضر ، قد فرق شعره ، وحُجْر جالس في المسجد حوله أصحابه أكثر ما كانوا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن غِبَّ البَغْيَ والغِيَّ وخيم ، إن هؤلاء جموا^(٧) فأشيروا ، وأمنوني فاجتروا على ، وإيم الله لن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم ، وقال : ما أنا بشيء إن لم أمنع باحة الكوفة من حُجْر وأدع عنه نكالا لمن بعده ! ويل أمك يا حُجْر ! سَقَطَ العشاء بك على سِرْحَان ، ثم قال :

أبلغ نصيحة أن راعي إبليها سَقَطَ العشاء به على سِرْحَان^(٨)

وأما غير عوامة ، فإنه قال في سبب أمر حُجْر ما حدثني علي بن حسن قال : حدثنا مسلم الجرمي ، قال : حدثنا مخلد بن الحسن ، عن هشام ، عن محمد بن سيرين ، قال : خطب زياد يوماً في الجمعة فأطال الخطبة وأختر الصلاة ، فقال له حُجْر بن عدى : الصلاة ! فضى في خطبته ، ثم قال : الصلاة ! فضى في خطبته ، فلما خشي حُجْر فوت الصلاة ضرب يده إلى كف من الحصا ، وثار إلى الصلاة وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلتي بالناس ، فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره ، وكثر عليه .

فكتب إليه معاوية أن شدة في الحديد ، ثم أحمله إلى . فلما أن جاء كتاب معاوية أراد قوم حُجْر أن يمنعه ، فقال : لا ، ولكن سمع وطاعة ، فشده

(١) س : « أكثر » . (٢) س : « فذكر » . (٣) ف : « فلنهم » .

(٤ - ٥) س : « وأقام بالكوفة ستة أشهر ثم ولاها » . (٥) س : « منهم » .

(٦) جموا : اجتمعوا . (٧) مثل ، وأصله أن رجلا خرج يلتبس العشاء ، فوقع على

ذئب فأكله ، يضرب في طلب الحاجة يؤدي بصاحبها إلى التلف .

في الحديد ، ثم حُمِلَ إلى معاوية ، فلما دخل عليه قال : السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ، فقال له معاوية : أمير المؤمنين ! أما والله لا أقيِّلك ولا أستقيِّلك ، أخرجوه فاضربوا عنقه ، فأخرج من عنده ، فقال حُجْرٌ للذين يَلْتَوْن أمره : دعوني حتى أصلي ركعتين ؛ فقالوا: صل ؛ فصلتي ركعتين خففتَ فيهما ، ثم قال : لولا أن تظننوا بي غيرَ الذي أنا عليه لأحببتُ أن تكونا أطولَ مما كانتا ، ولئن لم يكن فيما مضى من الصلاة خيرٌ مما في هاتين خير ؛ ثم قال لمن حضره من أهله : لا تُطلقوا عني حديدًا ، ولا تغسلوا عني دمًا ، فإني ألاقى معاوية غدًا على الجادة . ثم قدَّم فصربتُ عنقه .

قال مغلد : قال هشام : كان محمد إذا سئل عن الشهيد يُغسل ، حدَّثهم حديثَ حُجْر .

قال محمد : فلقيتُ عائشةَ أمَّ المؤمنين معاوية — قال مغلد : أظنَّه بمكة — فقالت : يا معاوية ، أين كان حِلْمُكَ عن حُجْر ! فقال لها : يا أمَّ المؤمنين ، لم يحضرني رشيد !

قال ابن سيرين : فبلغنا أنه لما حضرته الوفاة جعل يُغرغر بالصوت ويقول : ١١٧/٢
يوى منك يا حُجْر يومٌ طويل !

قال هشام ، عن أبي مخنف ، قال : جدّتي إسماعيل بن نُعيم التَّمَرِي ، عن حسين بن عبد الله الهمداني ، قال : كنت في شُرْطَ زياد ، فقال زياد : لينطلق بعضُكم إلى حُجْر فليدعُه ؛ قال : فقال لي أمير الشرطة — وهو شدّاد ابن الهيثم الهلالي : اذهب إليه فادعُه ؛ قال : فأتيتُه ، فقلت : أجب الأمير ؛ فقال أصحابه : لا يأتيه ولا كرامة ! قال : فرجعتُ إليه فأخبرته ، فأمر صاحب الشرطة أن يبعث معي رجالا ، قال : فبعث نفرًا ؛ قال : فأتيناه فقلنا : أجب الأمير ، قال : فسبونا وشتمونا ، فرجعنا إليه فأخبرناه الخبر ، قال : فوثب زياد بأشراف أهل الكوفة ، فقال : يا أهل الكوفة ، أتشجعون بيد وتأسون بأخرى ! أبدانكم معي وأهواؤكم مع حُجْر ! هذا المهجاجة الأحق المذبوب ^(١)

(١) المهجاجة : الأحق الذي لا يؤامر أحدًا ويركب رأيه ، والمذبوب : المجنون .

أَنتُمْ مَعِيَ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَعَشَائِرُكُمْ مَعَ حُجْرٍ! هَذَا وَاللَّهِ مِنْ دَحْسِكُمْ^(١) وَغَيْسِكُمْ! وَاللَّهِ لَتُظْهَرَنَّ لِي بَرَاءَتُكُمْ أَوْ لَا تَبْنِيَكُمْ بِقَوْمٍ أَقِيمَ بِهِمْ أَوْ دَكُم وَصَعَرَكُمْ! فَوَثَبُوا إِلَى زِيَادٍ، فَقَالُوا: مَعَاذَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَنَا فِيهَا مَا هُنَا رَأَى إِلَّا طَاعَتَكَ وَطَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكُلٌّ مَا ظَنَّنَا أَنْ فِيهِ رِضَاكَ، وَمَا يَسْتَبِينَ بِهِ طَاعَتَنَا وَخَلَّافُنَا لِحُجْرٍ فَرُّنَا بِهِ، قَالَ: فَلْيَقِمِ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ إِلَى هَذِهِ الْجَمَاعَةِ حَوْلَ حُجْرٍ فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أَخَاهُ وَابْنَهُ وَذَا قَرَابَتِهِ وَمَنْ يَطِيعُهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ، حَتَّى تَقِيمُوا عَنْهُ كُلٌّ مَنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَقِيمُوهُ. ففَعَلُوا ذَلِكَ، فَأَقَامُوا جُلًّا مِنْ كَانَ مَعَ حُجْرٍ بَنِ عَدَى، فَلَمَّا رَأَى زِيَادًا أَنْ جُلًّا مَنْ كَانَ مَعَ حُجْرٍ أَقِيمَ عَنْهُ، قَالَ لَشَدَّادِ بْنِ الْهَيْثِمِ الْهَلَالِيِّ - وَيُقَالُ: هَيْثِمُ بْنُ شَدَّادِ أَمِيرِ شَرْطَتِهِ - أَنْ تَطْلُقَ إِلَى حُجْرٍ، فَإِنْ تَبِعَكَ فَاتَّبِعْنِي بِهِ، وَإِلَّا فَرُّ مَنْ مَعَكَ فَلْيَنْتَرِعُوا عُمْدَ السُّوقِ، ثُمَّ يَشْدُوا بِهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَأْتُونِي بِهِ وَيَضْرِبُوا مَنْ هَال دُونَهُ. فَأَتَاهُ الْهَلَالِيُّ فَقَالَ: أَجِبِ الْأَمِيرَ، قَالَ: فَقَالَ أَصْحَابُ حُجْرٍ: لَا وَلَا نُعْمَةَ عَيْنٍ! لَا نَجِيهَ. فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: شَدُّوا عَلَى عُمْدِ السُّوقِ، فَاشْتَدَّ وَإِلَيْهَا، فَأَقْبَلُوا بِهَا قَدْ انْتَرَعَوْهَا، فَقَالَ عَمِيرُ بْنُ يَزِيدَ الْكَنْدِيُّ مِنْ بَنِي هَنْدٍ - وَهُوَ أَبُو الْعَمَرِ طَةَ: لَإِنَّهُ لَيْسَ مَعَكَ رَجُلٌ مَعَهُ سَيْفٌ غَيْرِي، وَمَا يَغْنَى عَنْكَ! قَالَ: فَمَا تَرَى؟ قَالَ: قُمْ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ فَالْحَقْ بِأَهْلِكَ يَمْنَعُكَ قَوْمُكَ. فَقَامَ زِيَادٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَغَشَوْا بِالْعُمْدِ، فَضْرَبَ رَجُلٌ مِنَ الْحَمْرَاءِ - يُقَالُ لَهُ بَكْرُ ابْنِ عُبَيْدٍ - رَأْسَ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ بِعَمُودٍ فَوْقَ، وَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ عُيُومِرٍ وَالْعَجْلَانُ بْنُ رِبِيعَةَ - وَهُمَا رَجُلَانِ مِنَ الْأَزْدِ - فَحَمَلَاهُ؛ فَاتَّبَعَا بِهِ دَارَ رَجُلٍ مِنَ الْأَزْدِ - يُقَالُ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ - فَخَبَّاهُ بِهَا، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا مُتَوَارِيًا حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا^(٢).

قال أبو مخنف: فحدثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر، قال: لما انصرفنا من غزوة باجميرا قبل مقتل مصعب بعام، فإذا أنا بأحمرى يسايرنى - والله ما رأيته من ذلك اليوم الذى ضرب فيه عمرو بن الحمق، وما كنت أرى لو رأيته أن أعرفه - فلما رأيته ظننتُ

(١) الدحس: التدسيس للأمور. (٢) الأغاني ١٦: ٣، ٤ (سأسى).

أنه هو هو ؛ وذلك حين نظرنا إلى أبيات الكوفة ، فكرهتُ أن أسأله : أنت الضارب عمرو بن الحمق ؟ فيُكابرني ، فقلت له : ما رأيتُك من اليوم الذي ضربتَ فيه رأسَ عمرو بن الحمق بالعمود في المسجد إلى يومى هذا ، ولقد عرفتُك الآن حين رأيتُك ؛ فقال لى : لا تَعْدَم بصرَكَ ، ما أثبتَ نظرك ! كان ذلك أمرُ الشيطان ، أما إنه قد بلغنى أنه كان امرأً صالحًا ، ولقد ندمتُ على تلك الضربة ، فأستغفر الله . فقلت له : ألا ترى والله لا أفترق أنا وأنت حتى أضربك على رأسك مثلَ الضربة التي ضربتها عمرو بن الحمق أو أموت أو تموت ! فناشدنى الله وسألنى الله ، فأبَيْتُ عليه ، ودعوتُ غلاماً لى يُدعى رشيداً من سبى أصبهان معه قنّاة له صلبة ، فأخذتها منه ، ثم أحمل عليه بها ، فترل عن دابته ، وألحقه حين استوت قدّماه بالأرض ، فأصفع بها هامته ، فخرَ لوجهه ، ومضيتُ وتركته ، فبرأ بعدُ ؛ فلقيته مرتين من الدهر ، كلّ ذلك يقول : الله بينى وبينك ! وأقول : الله عزّ وجلّ بينك وبين عمرو بن الحمق (١) !

* * *

ثم رجع إلى أوّل الحديث . قال : فلما ضرب عمرًا تلك الضربة وحملته ذاك الرجلان ، انحاز أصحابُ حُجْرٍ إلى أبواب كِنْدَةَ ، ويَضْرِب رجلٌ من جُذَام كان فى الشُّرْطَة رجلاً يقال له عبدُ الله بن خليفة الطائى بعمود ، فضربه ضربةً فصّره ، فقال وهو يرتجز :

قد عَلِمْتَ يَوْمَ الْهِبَاجِ خُلَّتِ أَنى إِذَا مَا فِئْتى تَوَلَّتْ
وَكثُرَتْ عُدَاتُهَا أَوْ قَلَّتْ أَنى قَتَالَ غَدَاةَ بَلَّتْ
وضربت يد عائذ بن حملة التميمي وكسرت نابه ، فقال :
إِنْ تَكْسِرُوا نَابى وَعَظَمَ سَاعِدَى فَإِنَّ فى سُورَةِ الْمُنَاجِدِ
* وَبَعْضُ شَغْبِ الْبَطْلِ الْمُبَالِدِ *

ويتنزع عموداً من بعض الشُّرْطَة ، فقاتل به وحَمَسى حُجْرًا وأصحابه ؛ حتى خرجوا من تِلْقَاءِ أَبْوَاب كِنْدَةَ ، وبغلة حُجْرٍ موقوفة ، فأتى بها أبو العمرّة إليه ، ثم قال : اركب لا أبَ لغيرك ! فوالله ما أراك إلا قد قتلت نفسك ،

وقتلننا معك ؛ فوضع حُجْرَ رجله في الرِّكَّاب ؛ فلم يستطع أن ينهض ،
فحمله أبو العمرّطة على بغلته ، ووثب أبو العمرّطة على فرسه ؛ فإِذَا هُوَ إِلَّا أَنْ
استوى عليه حتى انتهى إليه يزيد بن طريف المُسَلِّي - وكان يَغْمِزُ^(١) -
فضرب أبا العمرّطة بالعمود على فخذِه ، ويخترط أبو العمرّطة سيفه ، فضرب
به رأس يزيد بن طريف ، فخرّ لوجهه . ثم إنه برأ بعدُ ، فله يقول عبد الله بن
هَمَّام السَّلُولِي :

أَلْوَمَ ابْنُ لُؤْمٍ مَا عَدَا بِكَ حَاسِرًا إِلَى بَطْلٍ ذِي جُرْأَةٍ وَشَكِيمٍ !
مَعَاوِدِ ضَرْبِ الدَّارِعِينَ بِسَيْفِهِ عَلَى الْهَامِ عِنْدَ الرُّوعِ غَيْرَ لَثِيمٍ
إِلَى فَارِسِ الْغَارَيْنِ يَوْمَ تَلَاقِيَا بِصَفَيْنِ قَرَمَ خَيْرِ نَجْلِ قُرُومٍ^(٢)
حَسِبْتَ ابْنَ بَرِصَاءِ الْحِثَارِ قِتَالَهُ قِتَالَكَ زَيْدًا يَوْمَ دَارِ حَكِيمٍ^(٣)
وكان ذلك السيف أوّل سيف ضُرب به في الكوفة في الاختلاف بين
الناس . ومضى حُجْرٌ وأبو العمرّطة حتى انتهيا إلى دار حُجْرٍ ، واجتمع
إلى حُجْرٍ ناس كثير من أصحابه ، وخرج قيس بن فهدان الكِنْدِيُّ على
حمار له يسير في مجالس كِنْدَةٍ ، يقول :

يَا قَوْمَ حُجْرٍ دَافِعُوا وَصَاوِلُوا وَعَنْ أَخِيكُمْ سَاعَةً فَقَاتِلُوا
لَا يُلْفِيَا مِنْكُمْ لِحُجْرٍ خَاذِلٌ أَلَيْسَ فِيكُمْ رَامِحٌ وَنَابِلٌ
وَفَارِسٌ مُسْتَلْتِمٌ وَرَاجِلٌ وَضَارِبٌ بِالسَّيْفِ لَا يُزَايِلُ !
فلم يأتِه من كِنْدَةٍ كثير أحد . وقال زياد وهو على المنبر : ليقم همدان
وتميم وهوازن وأبناء أعصر^(٤) ومذحج وأسَدَ وغَطَفَانُ فليأتوا جَبَانَةً كِنْدَةً ،
فليَمْضُوا مِنْ ثُمَّ إِلَى حُجْرٍ فليأتوني به . ثم إنه كره أن يسير طائفة من مضر مع
طائفة من أهل اليَمَنِ فيقع بينهم شَغَبٌ واختلاف ، وتفسد ما بينهم
الحِمِيَّةُ ، فقال : لتقم تميم وهوازن وأبناء أعصر وأسَدَ وغَطَفَانُ ، ولتمض

(١) الغمز : الظلم الخفيف ؛ وأصله في الدابة .

(٢) الغاران هنا : الجيشان ؛ واحده غار .

(٣) برصاء الحثار ، يعني حلقة الدبر .

(٤) ف : « وبنو يعصر » .

مَذْحِجَ وَهَمْدَانَ إِلَى جَبَانَةِ كِنْدَةَ، ثُمَّ لِيَنْهَضُوا إِلَى حُجْرٍ فَلْيَأْتُونِي بِهِ، وَلِيَسِيرَ سَائِرُ أَهْلِ الْيَمَنِ حَتَّى يَنْزِلُوا جَبَانَةَ الصَّائِدِيِّينَ^(١) فَلْيَمْضُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ، فَلْيَأْتُونِي بِهِ. فَخَرَجَتِ الْأَزْدُ وَبَجِيلَةُ وَخَثْعَمٌ وَالْأَنْصَارُ وَخُرَازَةُ وَقِضَاعَةُ، فَتَزَلُّوا جَبَانَةَ الصَّائِدِيِّينَ، وَلَمْ تَخْرُجْ حَضْرَمَوْتَ مَعَ أَهْلِ الْيَمَنِ لِمَكَانِهِمْ مِنْ كِنْدَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ دَعْوَةَ حَضْرَمَوْتَ مَعَ كِنْدَةَ، فَكَرِهُوا الْخُرُوجَ فِي طَلَبِ حَجَرٍ^(٢).

قال أبو مخنف: حدثني يحيى بن سعيد بن مخنف، عن محمد بن مخنف، قال: إني لمع أهل اليمن في جَبَانَةِ الصَّائِدِيِّينَ إِذْ اجْتَمَعَ رِئُوسُ أَهْلِ الْيَمَنِ يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرِ حُجْرٍ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ مِخْنَفٍ: أَنَا مُشِيرٌ عَلَيْكُمْ بِرَأْيٍ إِنْ قَبِلْتُمُوهُ رَجَوْتُ أَنْ تَسْلَمُوا مِنَ اللَّائِمَةِ وَالْإِثْمِ، أَرَى لَكُمْ أَنْ^(٣) تَكَلِّبُوا قَلِيلًا فَإِنَّ سُرْعَانَ شَبَابَ هَمْدَانَ وَمَذْحِجَ يَكْفُونَكُمْ مَا تَكْرَهُونَ أَنْ تَلُّوا مِنْ مَسَاءَةِ قَوْمِكُمْ فِي صَاحِبِكُمْ^(٤) قال: فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا كَلًّا وَلَا^(٥) حَتَّى أَتَيْنَا، فَقِيلَ لَنَا: إِنْ مَذْحِجَ^(٥) وَهَمْدَانَ قَدْ دَخَلُوا فَأَخَذُوا كُلَّ مَنْ وَجَدُوا مِنْ بَنِي جَبَلَةَ^(٦). قَالَ: فَرَأَى أَهْلُ الْيَمَنِ فِي نَوَاحِي دُورِ كِنْدَةَ مَعَذْرَةً^(٧)، فَبَلَغَ ذَلِكَ زِيَادًا، فَأَثْنَتْنِي عَلَى مَذْحِجَ وَهَمْدَانَ وَذَمَّ سَائِرَ أَهْلِ الْيَمَنِ. وَإِنْ حُجْرًا لَمَّا انْتَهَى إِلَى دَارِهِ فَنَظَرَ إِلَى قَلْتَةٍ مِّنْ مَّعَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَبَلَغَهُ^(٨) أَنَّ مَذْحِجَ وَهَمْدَانَ نَزَلُوا^(٨) جَبَانَةَ كِنْدَةَ وَسَائِرَ أَهْلِ الْيَمَنِ جَبَانَةَ الصَّائِدِيِّينَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: انْصَرَفُوا فَوَاللَّهِ مَا لَكُمْ طَاقَةً بَعْدَ مَا قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أُعَرِّضَكُمْ لِلْهَلَاكِ؛ فَذَهَبُوا لِيَنْصَرَفُوا، فَلَحَقْتُهُمْ

١٢٣/٢

(١) ابن الأثير: «الصائدين»، الأغاني: «الصيداوين».

(٢) الأغاني ١٦: ٤ (مأسي).

(٣-٣) الأغاني: «أن تلبثوا قليلا حتى تكفيكم عجلة في شباب مذحج وهمدان ما تكرهون

أن يكون من مساء قومكم في صاحبكم».

(٤) أي قصر الوقت الذي يتسع للفظ «لا»، و«لا».

(٥) الأغاني: «شباب مذحج».

(٦) الأغاني: «في بني بجيلة».

(٧) الأغاني: «معذرين».

(٨-٨) س: «نزل مذحج وهمدان».

أوائلُ خَيْلٍ مَذْحِجٍ وَهَمْدَانٍ . فَعَطَفَ عَلَيْهِمُ عَمِيرُ بْنُ يَزِيدَ وَقَيْسُ بْنُ
يَزِيدَ وَعَبِيدَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُجَرِّزِ الطَّمَحِيِّ وَقَيْسُ
ابْنِ شَيْمِرٍ ، فَتَقَاتَلُوا مَعَهُمْ ، فَتَقَاتَلُوا عَنْهُ سَاعَةً فَجَرَحُوا ، وَأَسِيرَ قَيْسُ بْنُ يَزِيدَ ،
وَأَقْلَتِ سَائِرُ الْقَوْمِ ، فَقَالَ لَهُمْ حُجْرٌ : لَا أَبَا لَكُمْ ! تَفَرَّقُوا لَا تَقَاتَلُوا ^(١) فَإِنِّي
أَتَّخِذُ فِي بَعْضِ السَّكَّكَ ^(٢) . ثُمَّ أَخَذَ طَرِيقًا نَحْوَ بَنِي حَرْبٍ ، فَسَارَ حَتَّى
انْتَهَى إِلَى دَارِ رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ سَلِيمُ بْنُ يَزِيدَ ، فَدَخَلَ دَارَهُ ، وَجَاءَ الْقَوْمُ
فِي طَلَبِهِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى تِلْكَ الدَّارِ ، فَأَخَذَ سَلِيمُ بْنُ يَزِيدَ سَيْفَهُ ، ثُمَّ ذَهَبَ
لِيُخْرِجَ إِلَيْهِمْ ، فَبَكَتْ بَنَاتُهُ ؛ فَقَالَ لَهُ حُجْرٌ : مَا تَرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ وَاللَّهِ
أَسْأَلُهُمْ أَنْ يَنْصَرَفُوا عَنْكَ ، فَإِنْ فَعَلُوا وَإِلَّا ضَارِبْتُهُمْ بِسَيْفِي هَذَا مَا ثَبَتَ قَائِمُهُ
فِي يَدِي دُونَكَ ؛ فَقَالَ حُجْرٌ : لَا أَبَا لَغَيْرِكَ ! بَشْ مَا دَخَلْتَ بِهِ إِذَا عَلَى
بَنَاتِكَ ! قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أُمُونُهُنَّ ، وَلَا رِزْقُهُنَّ إِلَّا عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ؛
وَلَا أَشْتَرِي الْعَارَ بِشَيْءٍ أَبَدًا ، وَلَا تُخْرِجُ مِنْ دَارِي أَسِيرًا أَبَدًا وَأَنَا حَيٌّ أَمْلِكُ
قَائِمَ سَيْفِي ، فَإِنْ قَتَلْتُ دُونَكَ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ . قَالَ حُجْرٌ : أَمَا فِي دَارِكَ
هَذِهِ حَائِطٌ أَقْتَحِمُهُ ، أَوْ خَوْخَةٌ ^(٣) أَخْرِجْ مِنْهَا ، عَسَى أَنْ يَسْلَمَنِي اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ مِنْهُمْ وَيَسْلَمَكَ ، فَإِذَا الْقَوْمُ لَمْ يَتَّقِدُوا عَلَيَّ عِنْدَكَ لَمْ يَضْرُوكَ ! قَالَ :
بَلَى هَذِهِ خَوْخَةٌ تُخْرِجُكَ إِلَى دُورِ بَنِي الْعَنْبَرِ وَإِلَى غَيْرِهِمْ مِنْ قَوْمِكَ ، فَخَرَجَ
حَتَّى مَرَّ بِبَنِي ذُهْلٍ ، فَقَالُوا لَهُ : مَرَّ الْقَوْمُ أَنْفَافًا فِي طَلَبِكَ يَقْتُفُونَ أَثَرَكَ .
فَقَالَ : مِنْهُمْ أَهْرُبُ ؛ قَالَ : فَخَرَجَ وَمَعَهُ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ يَتَقَصُّونَ ^(٤) بِهِ الطَّرِيقَ ،
وَيَسْلُكُونَ بِهِ الْأَرْزَقَةَ حَتَّى أَفْضَى إِلَى النَّخْعِ ، فَقَالَ لَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ : انْصَرَفُوا
رَحِمَكُمُ اللَّهُ ! فَانْصَرَفُوا عَنْهُ ، وَأَقْبَلَ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ أَخِي الْأَشْتَرِ
فَدَخَلَهَا ، فَإِنَّهُ لَكَذَلِكَ قَدْ أَلْقَى لَهُ الْفَرْشَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَبَسَطَ لَهُ الْبُسْطَ ، وَتَلَقَّاهُ
بِیَسْطِ الْوَجْهِ ، وَحُسْنِ الْبِشْرِ ، إِذْ أَتَى فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ الشَّرْطَ تَسْأَلُ عَنْكَ فِي
النَّخْعِ - وَذَلِكَ أَنَّ أُمَّةً سُودَاءَ يُقَالُ لَهَا : أَدْمَاءُ ، لَقِيتُهُمْ ، فَقَالَتْ : مَنْ تَطْلُبُونَ ؟

١٢٤/٢

(١) الْأَغَانِي : « لَا تَقَاتَلُوا » .

(٢) الْأَغَانِي : « الطَّرِيقُ » .

(٣) الْخَوْخَةُ : بَابٌ صَغِيرٌ فِي بَابِ كَبِيرٍ .

(٤) الْأَغَانِي : « يَقْصُونَ » .

قالوا : نطلب حُجْرًا ؛ قالت : ها هو ذا قد رأيته في النَّخَع ، فانصرفوا نحو النَّخَع - فخرج من عند عبد الله متنكراً ، وركب معه عبد الله بن الحارث ليلاً حتى أتى دارَ ربيعة بن ناجد الأزدي في الأزْد ، فترها يوماً وليلة ، فلما أعجزهم أن يقدرُوا عليه دعا زياد بمحمد بن الأشعث فقال له : يا أبا ميثاء ، أما والله لتأتيني بحُجْرٍ أو لا أدع لك نخلةً إلا قطعْتُها ، ولا داراً إلا هدمتها ثم لا تسلّم مني حتى أقطعك إرباً إرباً ؛ قال : أمهلني حتى أطلبه ؛ قال : قد أمهلتك ثلاثاً ، فإن جئت به وإلا عدّ نفسك مع المهلكي . وأخرج ١٢٥/٢ محمد نحو السجن متتبع اللون يُتَلَّ تلاً عنيفاً ^(١) ، فقال حُجْر بن يزيد الكندي لزياد : ضمّني وخلّ سبيّله يطلب صاحبه ؛ فإنه غلّني سرّبه - أخرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً . فقال أنضمّنه ؟ قال : نعم ؛ قال : أما والله لئن حاصّ عنك لأزيرنك شعوب ^(٢) ، وإن كنت الآن على كريمة . قال : إنه لا يفعل ، فخلّ سبيّله .

ثم إن حُجْر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد ، وقد أتى به أسيراً ، فقال لهم : ما على قيس بأس ، قد عرفنا رأيّه في عثمان ، وبلاءه يوم صفّين مع أمير المؤمنين ، ثم أرسل إليه فأتى به ، فقال له : إني قد علمت أنك لم تقاتل مع حُجْر ؛ أنك ترى رأيّه ، ولكن قاتلت معه حميّة قد غفرتُها لك لما أعلم من حُسن رأيك ، وحُسن بلائك ؛ ولكن لن أدعك حتى تأتيني بأخيك عمير ؛ قال : أجيبك به إن شاء الله ؛ قال : فهات من يضمّنه لي معك ، قال : هذا حُجْر بن يزيد يضمّنه لك معي ؛ قال حُجْر بن يزيد : نعم أضمنه لك ، على أن تؤمّنه على ماله ودمه ، قال : ذلك لك ، فانطلقا فأتيا به وهو جريح ، فأمر به فأوقر حديدًا ، ثم أخذته الرجال ترفعه ، حتى إذا بلغ سرّرها ألقيوه ، فوقع على الأرض ، ثم رفعوه وألقوه ، ففعلوا به ذلك مراراً ، فقام إليه حُجْر بن يزيد فقال : ألم تؤمّنه على ماله ودمه أصلحك الله ! قال : بلى ، قد أمّنته على ماله ودمه ، ولست أهرق له دمًا ، ولا آخذ

(١) يتل : يشد .

(٢) حاص : عدل وعاد ، وشعوب اسم المنية .

له مالا . قال : أصلحك الله ! يُشَفِّى به على الموت ؛ ودنا منه وقام من كان عنده من أهل اليمن ، فدنوا منه وكلموه ، فقال : أتضمنونه لى بنفسه ، فتى ما أحدث ^(١) حدثنا أتيتمونى به ؟ قالوا : نعم ؛ قال : وتضمنون لى أرش ^(٢) ضربة المسلى ، قالوا : ونضمنها ؛ فخلت سبيلته .

١٢٦/٢

ومكث حُجْر بن عدى فى منزل ربيعة بن ناجد الأزدى يوماً وليلة ، ثم بعث حُجْر إلى محمد بن الأشعث غلاماً له يدعى رشيداً من أهل إصبهان : إنه قد بلغنى ما استقبلك به هذا الجبار العنيد ، فلا يهولنك شيء من أمره ، فإننى خارج إليك ، أجمع نفرأ من قومك ثم أدخل عليه فأسأله أن يؤمّننى حتى يبعث بى إلى معاوية فيرى فى رأيه .

فخرج ابن الأشعث إلى حُجْر بن يزيد وإلى جرير بن عبد الله وإلى عبد الله بن الحارث أخى الأشتر ، فأتاهم فدخلوا إلى زياد فكلموه وطلبوا إليه أن يؤمّنه حتى يبعث به إلى معاوية فيرى فيه رأيه ، ففعل ، فبعثوا إليه رسوله ذلك يعلمونه أن قد أخذنا الذى تسأل ، وأمره أن يأتى ؛ فأقبل حتى دخل على زياد فقال زياد : مرحباً بك أبا عبد الرحمن ! حرب فى أيام الحرب ، وحربٌ وقد سالم الناس ! على أهلها تَجِنِى بِرَاقِش ^(٣) . قال : ما خالعت ^(٤) طاعة ، ولا فارقت جماعة ، وإنى لعلّى بيعتى ؛ فقال : هيهات هيهات يا حُجْر ! تَشُجُّ بيد وتأسو بأخرى ، وتريد إذ أمكن الله منك أن نرضى ! كلاً والله . قال : ألم تؤمّننى حتى آتى معاوية فيرى فى رأيه ! قال : بلى قد فعلنا ، انطلقوا به إلى السجن ، فلما قُفِّى به من عنده قال زياد : أما والله لولا أمانه ^(٥) ما برح أو يلفظ مهجة نفسه ^(٦) .

١٢٧/٢

قال هشام بن عروة : حدثنى عوانة ، قال : قال زياد : والله لأحرّصن على قطع خيط رقبته .

قال هشام بن محمد ؛ عن أبى مخنف ، وحدثنى المجالد بن سعيد ، عن

(١) الأغاني : « متى أحدث » . (٢) الأرض : دية الجراحات .

(٣) براقش : اسم كلبة دلت بنباحها قوماً على أربابها فهلكوا .

(٤) الأغاني : « خالعت » . (٥) فى الأغاني : « الأمانة » .

(٦) الأغاني : « ما برح حتى يلقى عصبه » ؛ والخبر فى ١٦ : ٤ ، ه (سأسى) .

الشعبيّ وزكرياء بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق؛ أن حُجْرًا لما قُفِيَ به من عند زياد نادى بأعلى صوته: اللهم إني على بيعتي، لا أقيّلها ولا أستقيّلها، سمع الله والناس. وكان عليه بُرْنُس في غداة باردة، فحبس عشر ليال، وزيادٌ ليس له عمل^(١) إلا طلب رؤساء أصحاب حُجْر، فخرج عمرو بن الحَمَق ورفاعة بن شدّاد حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا أرض الموصل، فأتيا جبلا فكَمِنَا فيه، وبلغ عامل ذلك الرستاق^(٢) أن رجلين قد كَمِنَا في جانب الجبل، فاستنكر شأنهما - وهو رجل من هَمْدان يقال له عبد الله بن أبي بِلْتَعَة - فسار إليهما في الخيل نحو الجبل ومعه أهل البلد، فلما انتهى إليهما خرجا، فأما عمرو بن الحَمَق فكان مريضاً، وكان بطنه قد سَقَى^(٣)، فلم يكن عنده امتناع؛ وأما رفاعة بن شدّاد - وكان شاباً قوياً - فوثب على فرس له جواد، فقال له: أقاتل عنك؟ قال: وما يتفنى أن تقاتل! انجُ بنفسك إن استطعت، فحمل عليهم، فأفروا له، فخرج تنفّر^(٤) به فرسه، وخرجت الخيلُ في طلبه - وكان رامياً - فأخذ لا يلحقه فارسٌ إلا رماه فجرحه أو عَقَرَه، فانصرفوا عنه، وأخذ عمرو بن الحَمَق، فسأله: مَنْ أنت؟ فقال: مَنْ إن تركتموه كان أسَلَمَ لكم، وإن قتلتموه كان أضرّ لكم؛ فسأله: فأبى أن يخبرهم، فبعث به ابن أبي بِلْتَعَة إلى عامل الموصل - وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي - فلما رأى عمرو بن الحَمَق عرفه، وكتب إلى معاوية بخبره، فكتب إليه معاوية: إنه زعم أنه طعن عثمان ابن عفّان تسع طعّعات بمشاقص - كانت معه، وإنا لا نريد أن نعتدى عليه، فاطعنه تسع طعّعات كما طعن عثمان، فأخرج فطعن تسع طعّعات، فمات في الأولى منهن أو الثانية^(٥).

(١) الأغاني: «ما له عمل»

(٢) الرستاق؛ يعنون به كل موضع فيه مزارع وقرى، ولا يقال ذلك للبدن.

(٣) الأغاني: «استقى»، والسق والاستسقاء: ماء أصفر يقع في البطن عن مرض.

(٤) س: «تنفر».

(٥) الأغاني ١٦: ٥؛ وزاد في آخره: «وبعث برأسه إلى معاوية؛ فكان رأسه أول رأس

قال أبو مخنف : وحدثنى المجالد ، عن الشعبيّ وزكرياء بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق^(١) . قال : وجه زياد في طلب أصحاب حُجْر ، فأخذوا يَهْرُبُون منه ، ويأخذ من قَدَر عليه منهم ، فبعث إلى قَبِيصَة بن ضُبَيْعَة بن حَرْمَلَة العبسيّ صاحب الشُّرْطَة — وهو شدّاد بن الهيثم — فدعا قَبِيصَة في قومه ، وأخذ سيفه ، فأتاه رُبْعَى بن خِرَاش بن جَحْش العبسيّ ورجال من قومه ليسوا بالكثير ، فأراد أن يقاتل ، فقال له صاحب الشُّرْطَة : أنت آمن على دمك ومالك ، فلم يَقتل نفسك ؟ فقال له أصحابه : قد أومِنتَ ، فعَلَام تَقْتل نفسك وتقتلنا معك ! قال : ويحكم ! إن هذا الدَّعَى ابنَ العاهرة ، والله لئن وقعتُ في يده لا أفلت منه أبداً أو يقتلني ؛ قالوا : كلا ، فوضع يده في أيديهم ، فأقبلوا به إلى زياد ، فلما دخلوا عليه قال زياد : وحى عَبَسَ تَعِيزُونِي على الدِّين ، أما والله لأجعلنَّ لك شاغلاً عن^(٢) تلقيح الفِتَنِ ، والتوثُّب على الأمراء ؛ قال : إني لم آتِك إلا على الأمان ؛ قال : انطلقوا به إلى السجن ، وجاء قيس بن عباد الشيبانيّ إلى زياد فقال له : إن امرأ منّا من بني همام يقال له : صيفى بن فسّيل^(٣) من رعوس أصحاب حُجْر ، وهو أشدّ الناس عليك ، فبعث إليه زياد ، فأتى به ، فقال له زياد : يا عدو الله ، ما تقول في أبي تراب ؟ قال : ما أعرف أبا تراب ؛ قال : ما أعرفك به ! قال : ما أعرفه ، قال : أما تعرف على بن أبي طالب ؟ قال : بلى ، قال : فذاك أبو تراب ، قال : كلا ، ذاك أبو الحسن والحسين ، فقال له صاحب الشُّرْطَة : يقول لك الأمير : هو أبو تراب ، وتقول أنت : لا ! قال : وإن كذب الأمير أتريد أن أكذب وأشهد له على باطل كما شهد ! قال له زياد : وهذا أيضاً مع ذنبك ! على بالعصا ، فأتى بها ، فقال : ما قولك [في على ؟]^(٤) ، قال : أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد^(٥) الله [أقوله في المؤمنين ، قال : اِضْرِبُوا عَاتِقَهُ بالعصا

١٢٩/٢

(١) ط : « ابن إسحاق »

(٢) س ، ف : « من » .

(٣) س ، ف : « فسّيل » .

(٤) من الأغاني .

(٥) الأغاني : « عبيد » .

حتى يلصق بالأرض ، فضرب حتى لزم الأرض . ثم قال : أقلعوا عنه ،
إيه ، ما قولك في علي^(١) ؟ قال : والله لو شرحتني بالمواصي^(٢) والمُدَى
ما قلتُ إلا ما سمعت^(٣) متى ؛ قال لتلعننه أو لأضربن عنقك ؛ قال :
إذا تضربها والله قبل ذلك ،^(٤) فإن أبيت إلا أن تضربها رضيتُ بالله ،
وشقيت أنت^(٥) ؛ قال : ادفعوا في رقبتة ، ثم قال : أوقروه حديدًا ، وألقوه في
السجن .

ثم بعث إلى عبد الله بن خليفة الطائي - وكان شهد مع حُجْرٍ وقتلهم
قتالاً شديداً - فبعث إليه زيادٌ بكَيْرِ بن حُمران الأحمرى - وكان تبع
العمّال - فبعثه في أناس من أصحابه ، فأقبلوا في طلبه فوجدوه في مسجد عدى بن
١٣٠/٢ حاتم ، فأخرجوه ، فلما أرادوا أن يذهبوا به - وكان عزيز النفس - امتنع منهم
فحاربهم وقتلهم ، فشجّوه ورمّوه بالحجارة حتى سقط ، فنادت ميثاء أخته :
يامعشر طيئ ، أتسلمون ابن خليفة لسانكم وسنانكم^(٥) !

فلما سمع الأحمرى نداءها خشي أن تجتمع طيئ فيهلك ، فهرب وخرج
نسوةً من طيئ فأدخلنه داراً ، وينطلق الأحمرى حتى أتى زياداً ، فقال : إن
طيئاً اجتمعت إلى فلم أطيقهم ، فأتيئك ، فبعث زيادٌ إلى عدى - وكان في
المسجد - فحبسه وقال : جثني به - وقد أخبر عدى بخبر عبد الله - فقال عدى :
كيف آتيك برجل قد قتله القوم ؟ قال : جثني حتى أرى أن قد قتلوه ، فاعتل
له وقال : لا أدري أين هو ، ولا ما فعل ! فحبسه ، فلم يبق رجلٌ من أهل المِصر
من أهل اليَمَنَ وربيعه ومضر إلا فزع لعدى ، فأثّوا زياداً فكلموه فيه ، وأخرج
عبد الله فتغيّب في بَحْتر ، فأرسل إلى عدى : إن شئت أن أخرج حتى أضع
يَدِي في يدك فعلتُ ؛ فبعث إليه عدى : والله لو كنت تحت قدمي ما
رفعتهما عنك . فدعا زياد عدياً ، فقال له : إني أخلّي سبيلك على أن تجعل

(١) الأغاني : « فيه » .

(٢) الأغاني : « بالمدى والمراس » .

(٣) الأغاني : « ما زلت عما سمعت » .

(٤ - ٤) الأغاني : « فأسعد وتشق إن شاء الله » .

(٥) الخبر إلى هنا في الأغاني ١٦ : ٦ مع اختلاف في الرواية .

لى لِيَتَفَيَّسَهُ مِنَ الْكُوفَةِ ، وَلِتَسِيرَ بِهِ إِلَى الْجَبَلَيْنِ ؛ قَالَ : نَعَمْ ، فَرَجَعَ وَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلِيفَةَ : أَخْرِجْ ، فَلَوْ قَدْ سَكَنَ غَضَبُهُ لَكَلَّمْتَهُ فَبَكَ حَتَّى تَرَجَعَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ فَخَرَجَ إِلَى الْجَبَلَيْنِ .

وَأَتَى زِيَادَ بَكْرِيْمَ بْنَ عَفِيْفٍ الْخَثْعَمِيَّ فَقَالَ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : أَنَا كَرِيْمُ ابْنِ عَفِيْفٍ ؛ قَالَ : وَيَحْكُ ، أَوْ يَلْكُ ! مَا أَحْسَنَ اسْمَكَ وَاسْمَ آبَيْكَ ، وَأَسْوَأَ عَمَلِكَ وَرَأْيِكَ ! قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ عَهْدَكَ بِرَأْيِي لَمُنْذُ قَرِيبٍ ^(١) ، ثُمَّ بَعَثَ زِيَادٌ إِلَى أَصْحَابِ حُجْرٍ حَتَّى جَمَعَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا فِي السَّجْنِ . ثُمَّ لَمَّا دَعَا رَعُوسَ الْأَرْبَاعِ ، فَقَالَ : اشْهَدُوا عَلَيَّ حُجْرًا بِمَا رَأَيْتُمْ مِنْهُ - وَكَانَ رَعُوسُ الْأَرْبَاعِ يَوْمَئِذٍ : عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ عَلَى رُبْعِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَخَالِدُ بْنُ عُرْفُطَةَ عَلَى رُبْعِ تَيْمٍ وَهَمْدَانَ ، وَقَيْسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ مِنَ الْمَغِيرَةِ عَلَى رُبْعِ رِبِيعَةِ وَكِئْدَةَ ، وَأَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى عَلَى مَدْحِجٍ وَأَسَدٌ - فَشَهِدَ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةَ أَنَّ حُجْرًا جَمَعَ إِلَيْهِ الْجُمُوعَ ، وَأَظْهَرَ شَتْمَ الْخَلِيفَةِ ، وَدَعَا إِلَى حَرْبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَزَعَمَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا فِي آلِ أَبِي طَالِبٍ ، وَوَثَبَ بِالْمَصْرِ وَأَخْرَجَ عَامِلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَظْهَرَ عُنْدَ أَبِي تَرَابٍ وَالتَّرَحُّمِ عَلَيْهِ ، وَالْبَرَاءَةَ مِنْ عَدُوِّهِ وَأَهْلِ حَرْبِهِ ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الَّذِينَ مَعَهُ هُمُ رَعُوسُ أَصْحَابِهِ ، وَعَلَى مِثْلِ رَأْيِهِ وَأَمْرِهِ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ لِيُخْرِجُوا ، فَأَتَاهُ قَيْسُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ إِذَا خُرِجَ بِهِمْ عَرَضَ لِهِمْ فَبَعَثَ زِيَادٌ إِلَى الْكُنَاسَةِ فَابْتِاعَ إِبِلًا صِعَابًا ، فَشَدَّ عَلَيْهَا الْحَامِلَ ، ثُمَّ حَمَلَهُمْ عَلَيْهَا فِي الرَّحْبَةِ أَوَّلَ النَّهَارِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْعِشَاءُ قَالَ زِيَادٌ : مَنْ شَاءَ فَلْيَعْرِضْ ، فَلَمْ يَتَحَرَّكَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ ، وَنَظَرَ زِيَادٌ فِي شَهَادَةِ الشُّهُودِ فَقَالَ : مَا أَظُنُّ هَذِهِ الشَّهَادَةَ قَاطِعَةً ، وَإِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ يَكُونَ الشُّهُودُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةٍ ^(٢) .

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ : فَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ حُصَيْرَةَ ، عَنْ أَبِي الْكَنْدُودِ - وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُبَيْدٍ - وَأَبُو مُخَنَّفٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَنْدَبٍ وَسَلِيمَانَ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ ، عَنْ أَبِي الْكَنْدُودِ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ الشُّهُودِ :

(١) س : « لَقَرِيب » .

(٢) الْأَغَانِي ١٦ : ٧ (سَاسِي) .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما شهد عليه أبو بريدة بن أبي موسى لله رب العالمين ؛ شهد أن حُجْرَ بْنَ عَدَى خلع الطاعة ، وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله عز وجل كفرًا صُلَحاء .

فقال زياد : على مثل هذه الشهادة فاشهدوا ، أما والله لأجهدنَّ على قطع خيط عتق الخائن الأحمق ، فشَهِدَ رِئُوسُ الأرباع [الثلاثة الآخرون] ^(١) على مثل شهادته - وكانوا أربعة - ثم إن زياداً دعا الناس فقال : اشهدوا على مثل شهادة رِئُوسِ الأرباع . فقرأ عليهم الكتاب ، فقام أول الناس عناق بن شُرْحَيْل بن أبي دَهْم التيمي نيم الله بن ثعلبة ، فقال : يبتونا اسمي ، فقال زياد : ابدعوا بأسماء قريش ، ثم اكتبوا اسم عناق في الشهود، ومن نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالتصحيح والاستقامة . فشَهِدَ إِسْحَاقُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، ومُوسَى بْنُ طَلْحَةَ ، وإِسْمَاعِيلُ بْنُ طَلْحَةَ ابن عبيد الله ، والمنذر بن الزبير ، وعُمارة بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ ، وعبد الرحمن ابن هَنَادٍ ، وعمر بن سعد بن أبي وقاص ، وعامر بن مسعود بن أمية بن خلف ، ومحرز بن جارية بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس ، وعبيد الله بن مسلم ابن شعبة الحضرمي ، وعنق بن شُرْحَيْل بن أبي دَهْم ، ووائل بن حُجْر الحضرمي ، وكثير بن شهاب بن حصين الحارثي ، وقطن بن عبد الله بن حصين ، والسري بن وقاص الحارثي - وكتب شهادته وهو غائب في عمله - والسائب بن الأقرع الثقفي ، وشَبِث ^(٢) بن رُبْعَى ، وعبد الله بن أبي عَقِيل الثقفي ، ومَصْقَلَةُ بن هبيرة الشيباني ، والقعقاع بن شور الذهلي ، وشَدَّاد بن المنذر بن الحارث بن وعلة الذهلي - وكان يدعى ابن بُرَيْعة ، فقال : ما لهذا أب ينسب إليه ! ألقوا هذا من الشهود ، فقل له : إنه أخو الحصين ، وهو ابن المنذر ؛ قال : فانسبه إلى أبيه ، فنُسب إلى أبيه ، فبلغت شداداً ، فقال : ويلى على ابن الزانية ! أوليست أمه أعرف من أبيه ! والله

١٣٣/٢

(٢) كذا في الأغاني ، وفي ط : « شبيب » .

(١) من الأغاني .

ما ينسب إلاّ إلى أمّه سميّة . وحجّار بن أبجر العجليّ فغضبت ربيعة على هؤلاء
الشهود الذين شهدوا من ربيعة وقالوا لهم : شهدت على أوليائنا وحلفائنا ! فقالوا :
ما نحن إلاّ من الناس ، وقد شهد عليهم ناس من قومهم كثير - وعمرو بن
الحجاج الزبيديّ ولبيد بن عطار التميميّ ، ومحمد بن عُمَيْر بن عطار التميميّ ،
وسُوَيْد بن عبد الرحمن التميميّ من بني سعد ، وأسما بن خارجة الفزاريّ -
كان يعتذر من أمره - وشمر بن ذى الجوشن العامريّ ، وشداد ومروان
ابنا الهيثم الهلاليّان ، ومحفز بن ثعلبة من عائلة قريش ، والهيثم بن الأسود
النخعيّ - وكان يعتذر إليهم - وعبد الرحمن بن قيس الأسديّ ، والحارث وشداد
ابنا الأرمع الحمدانيّان ، ثمّ الوادعيّان ، وكُرب بن سلمة بن يزيد الجعفيّ ،
وعبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفيّ ، وزحر بن قيس الجعفيّ ، وقُدّامة بن
العجلان الأزديّ وعزرة بن عزرة الأحمسيّ - ودعا المختار بن أبي عبيد
وعروة بن المغيرة بن شعبة ليشهدوا عليه ، فراغاً - وعمر بن قيس ذي اللحية
وهاني بن أبي حية الوادعيّان .

١٣٤/٢

فشهد عليه سبعون رجلاً ، فقال زياد : ألقوهم إلا من قد عرف
بحسب وصلاح في دينه ، فألقوا حتى صيّرُوا إلى هذه العدة ، وألقيت
شهادة عبد الله بن الحجاج الثعلبيّ ، وكتبت شهادة هؤلاء الشهود في
صحيفة ، ثمّ دفعها إلى وائل بن حُجْر الحضرميّ وكثير بن شهاب الحارثيّ ،
وبعثهما عليهم ، وأمرهما أن يخرجاه بهم . وكتب في الشهود شريح
ابن الحارث القاضي وشريح بن هاني الحارثيّ ؛ فأما شريح فقال : سألتني
عنه ، فأخبرته أنه كان صوّماً قوّماً ، وأما شريح بن هاني الحارثيّ فكان
يقول : ما شهدت ، ولقد بلغني أن قد كتبت شهادتي ، فأكذبتني ولمستني ،
وجاء وائل بن حُجْر وكثير بن شهاب فأخرج القوم عشية ، وسار معهم
صاحب الشرطة حتى أخرجهم من الكوفة .

فلما انتهوا إلى جبّانة عرّزم^(١) نظر قسيصة بن ضُبَيْعة العبسيّ إلى داره وهي
في جبّانة عرّزم ، فإذا بناته مشرفات ، فقال لوائل وكثير : اتّذنا لي
فأوصي أهلي ، فأذنا له ، فلمّا دنا منهنّ وهنّ يبكين ، سكّت عنهنّ ساعة ثمّ

قال : اسكتن ؛ فسكتن ، فقال : اتقين الله عز وجل ، واصبرن ، فإنى أرجو من ربى فى وجهى هذا إحدى الحسنيتين : إما الشهادة ، وهى السعادة ؛ وإما الانصراف إليكن فى عافية ، وإن الذى كان يرزقكن ويكفينى مؤنتكن هو الله تعالى - وهو حى لا يموت - أرجو ألا يضيعكن وأن يحفظنى فيكن ثم انصرف فرّ بقومه ، فجعل القوم يدعون الله له بالعافية ، فقال : إنه لما يعدل عندى خطر ما أنا فيه هلاك قومى . يقول : حيث لا ينصرونى ، وكان رجاً أن يتخلصوه .

قال أبو مخنف : فحدثنى النضر بن صالح العيسى ، عن عبيد الله بن الحر الجعفى ، قال : والله إنى لواقف عند باب السرى بن أبى وقاص حين مروا بحجر وأصحابه ، قال : فقلت : ألا عشرة رهط أستنقذ بهم هؤلاء ! ألا خمسة ! قال : فجعل يتلهف ، قال : فلم يجبنى أحد من الناس ؛ قال : فضوا بهم حتى انتهوا بهم إلى الغريتين ، فلحقهم شريح بن هانئ معه كتاب ، فقال لكثير : بلغ كتابى هذا إلى أمير المؤمنين ، قال : ما فيه ؟ قال : لا تسألنى فيه حاجتى ؛ فأبى كثير وقال : ما أحب أن آتى أمير المؤمنين بكتاب لا أدرى ما فيه ، وعسى ألا يوافقه ! فأتى به وائل بن حجر فقبله منه . ثم مضوا بهم حتى انتهوا بهم إلى مرج عذراء ، وبينها وبين دمشق اثنا عشر ميلاً .

* * *

تسمية الذين بعث بهم إلى معاوية

حُجر بن عدى بن جبلة الكندى ، والأرقم بن عبد الله الكندى من بنى الأرقم ، وشريك بن شداد الحضرمى ، وصيفى بن فسيل ، وقبيصة بن ضبيعة بن حرمة العيسى ، وكريم بن عفيف الخثعمى ، من بنى عامر بن شهران ثم من قحافة ، وعاصم بن عوف البجلي ، وورقاء بن سُمى البجلي ، وكدام بن حيان ، وعبد الرحمن بن حسّان العنزيّان من بنى هُميم ، ومحرز بن شهاب التميمى من بنى منقر ، وعبد الله بن حوية السعدى من

بنى تميم ؛ فضوّا بهم حتى نزلوا مرّجَ عذراء ، فحبّسوا بها . ثم إنَّ زياداً أتبعهم برجلين آخرَين مع عامر بن الأسود العجلى ؛ بعتبة بن الأخنس من بنى سعد بن بكر بن هوازن ، وسعيد بن نمران الهمدانيّ ثم الناعطيّ ، فتمّوا أربعة عشر رجلاً ، فبعث معاوية إلى وائل بن حُجر وكثير بن شهاب فأدخلهما ، وفضّ كتابهما ، فقرأه على أهل الشام ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زياد بن أبي سُفْيَان . أمّا بعد ، فإنَّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء ، فكاد له عدوّه ، وكفاه مؤنة من بغى عليه . إن طواغيت من هذه الترابيّة (١) السبئية ، رأسهم حُجر بن عدى خالفوا أمير المؤمنين ، وفارقوا جماعة المسلمين ، ونصبوا لنا الحرب ، فأظهرنا الله عليهم ، وأمكنا منهم ، وقد دعوتُ خيار أهل المِصر وأشرفهم وذوى السنّ والدين منهم ، فشهدوا عليهم بما رأوا وعملوا ، وقد بعثتُ بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبت شهادة صلحاء أهل المِصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا .

١٣٧/٢

فلما قرأ الكتاب وشهادة الشهود عليهم ، قال : ماذا تروُن في هؤلاء النفر الذين شهد عليهم قومُهم بما تستمعون ؟ فقال له يزيد بن أسد البجليّ : أرى أن تفرّقهم في قرى الشام فيكفيكهم طواغيثُها .

ودفع وائل بن حُجر كتابَ شُريح بن هانئ إلى معاوية ، فقرأه فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من شُريح بن هانئ أمّا بعد ؛ فإنه بلغني أنَّ زياداً كتب إليك بشهادتي على حُجر بن عدى ، وأنَّ شهادتي على حُجر أنه ممن يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويديم الحجّ والعمرة ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، حرام الدّم والمال ، فإن شئت فاقطله ، وإن شئت فدعه . فقرأ كتابه على وائل بن حُجر وكثير ، فقال : ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم .

فحبس القوم بمَرَجَ عذراء ، وكتب معاوية إلى زياد : أمّا بعد ، فقد فهمتُ ما اقتضت به من أمر حُجر وأصحابه ، وشهادة من قبلك عليهم ، فنظرتُ في ذلك ، فأحياناً أرى قتلهم أفضل من تركهم ،

(١) الترابية ، أى المنتسبون إلى أبي تراب ، كنية أمير المؤمنين على بن أبي طالب .

وأحياناً أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم . والسلام .

فكتب إليه زيادٌ مع يزيد بن حُجَيَّة بن ربيعة التيمي: أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت رأيك في حُجْر وأصحابه ، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم ، وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم ، فإن كانت لك حاجةٌ في هذا المصّر فلا تتردّن حَجراً وأصحابه إلى .

فأقبل يزيد بن حُجَيَّة حتى مرّ بهم بعذراء . فقال : يا هؤلاء ، أما والله ١٣٨/٢ ما أرى براءتكم ، ولقد جثتُ بكتاب فيه الذبح ، فرؤني بما أحببتُم مما ترون أنه لكم نافع أعمل به لكم وأنطق به . فقال حُجْر : أبلغ معاوية أننا على بيعتنا ، لا نستقبلها ولا نقتلها . وأنه إنما شهد علينا الأعداء والأظنءاء . فقدم يزيدُ بالكتاب إلى معاوية فقرأه ، وبلغه يزيدُ مقالة حُجْر ؛ فقال معاوية : زياد أصدق عندنا من حُجْر ؛ فقال عبد الرحمن بن أمّ الحكم الثقفي - ويقال : عثمان بن عمير الثقفي - : جُذَاذها جُذَاذها ^(١) ؛ فقال له معاوية : لا تَعَنَّ أبرأ ^(٢) . فخرج أهلُ الشام ولا يدرون ما قال معاوية وعبد الرحمن ، فأتوا النعمان بن بشير فقالوا له مقالة ابن أمّ الحكم ، فقال النعمان : قتل القوم ، وأقبل عامر بن الأسود العجلى وهو بعذراء يريد معاوية ليُعَلِّمه عِلْمَ الرجلين اللّذين بَعَثَ بهما زياد ، فلما ولّى ليمضى قام إليه حُجْر بن عدى يرسف في القيود ، فقال : يا عامر ، اسمع مني ، أبلغ معاوية أن دماءنا عليه حرام ، وأخبره أنا قد أومئنا وصالحناه ، فليتنق الله ، ولينظر في أمرنا . فقال له نحواً من هذا الكلام ، فأعاد عليه حُجْر مراراً ، فكان الآخر عرّض ، فقال قد فهمت لك - أكثرت ، فقال له حُجْر : إنني ما سمعتُ بعب ، وعلى آية تلوم ! إنك والله تُحبّبي وتُعْطِي ، وإن حُجْراً يُقَدِّمُ ويقتل ، فلا ألومك أن تستثقل كلامي ، اذهب عنك ، فكانه استحيا ، فقال : لا والله ما ذلك بي ، ولأبلغن ولأجهدن ، وكأنه يزعم أنه ١٣٩/٢ قد فعل ، وأن الآخر أبقى .

(١) الجذاذ بالفتح : فصل الشيء عن الشيء . والجذاذ بالضم : المقطع والمكسر . قال

تعالى : (فجعلهم جُذَاذاً إلا كبيراً لهم) .

(٢) يريد : لا تتجشم إصلاحاً . والأبر : إصلاح النخل . (٣) ط : « على أنه يلوم » .

فدخل عامر على معاوية فأخبره بأمر الرجلين . قال : وقام يزيد بن أسد البجلي فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي ابنتي عمي - وقد كان جرير بن عبد الله كتب فيهما : إن امرأتين من قومي من أهل الجماعة والرأي الحسن ، سعى بهما ساع ظنين إلى زياد ، فبعث بهما في النفر الكوفيين الذين وجه بهم زياد إلى أمير المؤمنين وهما ممن لا يحدث حدثاً في الإسلام ولا بغياً على الخليفة ، فلينفعهما ذلك عند أمير المؤمنين - فلما سألهما يزيد ذكر معاوية كتاب جرير ، فقال : قد كتب إلى ابن عمك فيهما جرير ، محسناً عليهما الثناء ، وهو أهل أن يصدق قوله ، وتقبل نصيحته ، وقد سألتني ابنتي عمك ، فهما لك . وطلب وائل بن حجر في الأرقم فتركه له ، وطلب أبو الأعور السلمى في عتبة بن الأحنس فوجه له ، وطلب حمزة^(١) بن مالك الهمداني في سعيد ابن نمران الهمداني فوجه له ، وكلّمه حبيب بن مسلمة في ابن حويّة ، فخلّى سبيله .

وقام مالك بن هبيرة السكوني ، فقال لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، دَع لي ابن عمي حُجراً ، فقال : إن ابن ابن عمك حُجراً رأس القوم ، وأخاف إن خلّيت سبيله أن يفسد على مصرى ، فيضطرنا غداً إلى أن نُشخصك وأصحابك إليه بالعراق . فقال له : والله ما أنصفتني يا معاوية ، قاتلتُ معك ابن عمك فتلقتاني منهم يوم كيوم صيفين ، حتى ظفرتُ كفك ، وعلا كعبك ولم تُخف الدوائر ، ثم سألتك ابن عمي فسطوت وبسطت^(٢) من القول بما^(٣) لا أنفع به ؛ وتخوّفت فيما زعمت عاقبة الدوائر ! ثم انصرف فجلس في بيته ، فبعث معاوية هُدبة بن فياض القُضاعي من بني سلامان بن سعد والحُصين ابن عبد الله الكلابي وأبا شريف البدّي ، فأتَوْهم عند المساء ، فقال الحُثعمي حين رأى الأعور مقبلاً : يُقتل نصفنا وينجو نصفنا ؛ فقال سعيد بن نمران : اللهم اجعلني ممن ينجو وأنت عني راضٍ ؛ فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي : اللهم اجعلني ممن يُكرّمُ بهوانهم وأنت عني راضٍ ؛ فطلما

١٤٠/٢

(١) الأغاني : « حمزة » .

(٢) س : « ونشطت » .

(٣) س : « فيما » .

عَرَضْتُ نَفْسِي لِلْقَتْلِ ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا مَا أَرَاهُ !

فجاء رسول معاوية إليهم بتخليفة ستّة وبقتل ثمانية ، فقال لهم رسول معاوية : إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن له ، فإن فعلتم تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم ، وإن أمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت له بشهادة أهل مصركم عليكم ، غير أنه قد عفا عن ذلك ، فابرعوا من هذا الرجل نُخْلَ سِبْلَتِكُمْ . قالوا : اللهم إنا لسنا فاعلي^(١) ذلك . فأمر بقبورهم فحفرت ، وأذنت أكفانهم ، وقاموا الليل كلّهُ يصلّون ، فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية : يا هؤلاء ، لقد رأيناكم البارحة قد أطلّتم الصلاة ، وأحسنتم الدعاء ، فأخبرونا ما قولكم في عثمان ؟ قالوا : هو أوّل من جار في الحكم ، وعمل بغير الحقّ ؛ فقال أصحاب معاوية : أمير المؤمنين كان أعلم بكم ؛ ثم قاموا إليهم فقالوا : تبرءون من هذا الرجل ! قالوا : بل نتولاه ونتبرأ من تبرأ منه ؛ فأخذ كل رجل منهم رجلاً ليقبله ، ووقع قسيصة بن ضبيعة في يدي أبي شريف البدّي ، فقال له قسيصة : إن الشرّيين قومي وقومك^(٢) أمين ، فليقتلني سواك ؛ فقال له : برّك رحيم ! فأخذ الحضرمي فقتله ، وقتل القضاء قسيصة بن ضبيعة .

قال : ثم إن حُجراً قال لهم : دعوني أتوضأ ، قالوا له : توضأ ، فلما أن توضأ قال لهم : دعوني أصل ركعتين فأبى الله ما توضأت قطّ إلا صليت ركعتين ؛ قالوا : لتصل ؛ فصلّ ، ثم انصرف فقال : والله ما صليت صلاة قطّ أقصر منها ، ولولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها . ثم قال : اللهم إنا نستعديك على أمّتنا ، فإن أهل الكوفة شهدوا علينا ، وإن أهل الشام يقتلوننا ، أما والله لئن قتلتموني بها إني لأوّل فارس من المسلمين هلك في واديهما ، وأوّل رجل من المسلمين نبحت كلابها . فشى إليه الأعور^(٣) هُدبة بن فياض بالسيف ، فأرعدت خصائله^(٤) ، فقال : كلا ، زعمت

(١) س : « فاعلين » .

(٢) انظر الأغاني ١٧ : ١٥١ .

(٣) الخصال : جمع خصيلة ؛ وهي كل عصبه فيها لحم غليظ . قال جرير :

* يَرَهْزُ رَهْزًا يُرْعِدُ الْخَصَائِلَا *

أنك لا تجزع من الموت ؛ فأنا أدعك فابراً من صاحبك ، فقال : ما لي لا أجزعُ وأنا أرى قبراً محفوراً ، وكفنّاً منشوراً ، وسيفاً مشهوراً ؛ وإني والله إن جزعتُ من القتل لا أقول ما يُسخط الرب . فقَتَلَهُ ؛ وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قَتَلُوا ستة . فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم بن عتيف الخثعمي : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين ، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته ؛ فبعثوا إلى معاوية يخبرونه بمقاتلتهم ، فبعث إليهم أن آتوني بهما (١) .

١٤٢/٢

فلما دخلا عليه قال الخثعمي : الله الله يا معاوية ، فإنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ثم مسؤل عما أردت بقتلنا ، وفيم سفكت دماءنا ؛ فقال معاوية : ما تقول في علي ؟ قال : أقول فيه قولك ، قال : أتبرأ من دين علي الذي كان يدّين الله به ؟ فسكت ، وكثره معاوية أن يجيبه .

وقام شَمِير بن عبد الله من بني قحافة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي ابن عمي ؛ قال : هو لك ؛ غير أنني حابسه شهراً ، فكان يرسل إليه بين كل يومين فيكلمه ، وقال له : إني لأُنفس بك على العراق أن يكون فيهم مثلك . ثم إن شَمِيرًا عاوده فيه الكلام ؛ فقال : نُسِرُّك على هبة ابن عمك ، فدعاه فخلّى سبيله على ألا يدخل إلى الكوفة ما كان له سلطان ، فقال : تخير أياً بلاد العرب أحب إليك أن أسيرك إليها ؛ فاختر الموصّل ، فكان يقول : لو قد مات معاوية قدمت المِصْر ، فمات قبل معاوية بشهر .

ثم أقبل على عبد الرحمن العنزي فقال : إيه يا أخا ربيعة ! ما قولك في علي ؟ قال ؛ دعتي ولا تسألني فإنه خير لك ؛ قال : والله لا أدعك حتى تخبرني عنه ؛ قال : أشهد أنه كان من الذّاكرين الله كثيراً ، ومن الأمرين بالحق ، والقائمين بالقسط ، والعافين عن الناس ؛ قال : فما قولك

(١) بعدها في الأغاني : « فالتفت إلى حجر ؛ فقال له العنزي : لا تبعد يا حجر ، ولا يبعد مشواك ؛ فقم أخو الإسلام كنت ! وقال الخثعمي نحو ذلك ، ثم مضى بهما ، فالتفت العنزي فقال متمثلاً :

كَفَى بِشَفَاةِ الْقَبْرِ بُعْدًا لِهَالِكٍ وبالموتِ قَطَاعًا لِحَبْلِ الْقَرَائِنِ

في عثمان ؟ قال : هو أول مَنْ فتح باب الظلم ، وأُرتج أبواب الحق ؛ قال :
 قتلْت نفسك ؛ قال : بل إيتاك قتلْتُ ؛ ولا ربيعة بالوادي - يقول حين كلم
 شمير الخثعمي في كريم بن عفيف الخثعمي ، ولم يكن له أحدٌ من قومه
 يكلمه فيه - فبعث به معاوية إلى زياد ، وكتب إليه : أما بعد ، فإن هذا
 العنزى شرٌّ مَنْ بعثت ، فعاقبه عقوبته التي هو أهلها ، واقتله شرَّ قتلة .
 فلما قدِم به على زياد بعث به زياد إلى قُسن الناطف ، فدُفن به حيًّا .
 قال : ولما حُمِل العنزى والخثعمي إلى معاوية قال العنزى لحجر :
 يا حُجر ، لا يبعدنك الله ، فنعِم أخو الإسلام كنت ! وقال الخثعمي :
 لا تبعد ولا تُفقد ، فقد كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . ثم ذهب
 بهما وأتبعهما بصره ، وقال : كفّنى بالموت قطعاً لحبل القرائن ! فذهب
 بعُتْبة بن الأخنس وسعيد بن تمران بعد حُجر بأيام ، فخلّى سبيلهما ^(١) .

* * *

تسمية مَنْ قتل من أصحاب حُجر رحمه الله

حُجر بن عدى ، وشريك بن شدّاد الحضرمي ، وصَيْق بن فسيل
 الشيباني ، وقبيصة بن ضبيعة العبسي ، ومُحرز بن شهاب السعدي ثم
 المنقرى ، وكدام بن حيان العنزى ، وعبد الرحمن بن حسان العنزى ؛
 فبعث به إلى زياد فدُفن حيًّا بقسن الناطف ، فهم سبعة قتلوا وكُفِنوا وصُلّوا
 عليهم .

قال : فزعموا أن الحسن لما بلغه قتل حُجر وأصحابه ، قال : صلُّوا عليهم ،
 وكفّنوهم ، واستقبلوا بهم القبلة ، قالوا : نعم ؛ قال : حُجّوهم وربّ الكعبة !

* * *

تسمية من نجا منهم

كريم بن عفيف الخثعمي ، وعبد الله بن حويّة التميمي ، وعاصم بن

عوف البَجَلِيّ ، وورقاء بن سُمَيّ البَجَلِيّ ، والأرقم بن عبد الله الكِنْدِيّ ،
وعتبة بن الأخنس ، من بني سعيد بن بكر ، وسعيد بن نمران الهمدانيّ
فهم سبعة .

* * *

وقال مالك بن هُبيرة السَّكُونِيّ حين أبى معاوية أن يهبَ له حُجْرًا وقد
اجتمع إليه قومه من كِنْدَةَ والسَّكُونِ وناس من اليَمَنِ كثير ، فقال :
والله لنحن أغنى عن معاوية من معاوية عنا ، وإنّا لنجد في قومه منه بدلًا ،
ولا يجد منّا في الناس خَلَفًا ، سيروا إلى هذا الرجل فلنُخلِّه من أيديهم ،
فأقبلوا يسرون ولم يشكّوا أنهم بعدّاء لم يُقتلوا ، فاستقبلتهم قتلتهم
قد خرجوا منها ، فلما رأوه في الناس ظنّوا أنما جاء بهم ليخلص حُجْرًا من
أيديهم ، فقال لهم : ما وراءكم ؟ قال : تاب القوم ، وجئنا لنخبر معاوية .
فسكت عنهم ، ومضى نحو عذراء ، فاستقبله بعضُ من جاء منها فأخبره أن
القوم قد قتلوا ، فقال : علىّ بالقوم ! وتبعتمهم الخيلُ وسبقوهم حتى دخلوا
على معاوية فأخبروه خبرَ ما أتى له مالكُ بنُ هُبيرة ومن معه من الناس ،
فقال لهم معاوية : اسكنوا ، فإنما هي حرارةٌ يجدها في نفسه ، وكأنها قد طفئتُ ،
ورجع مالك حتى نزل في منزله ، ولم يأت معاوية ، فأرسل إليه معاوية فأبى
أن يأتيه ، فلما كان الليل بعث إليه بمائة ألف درهم ، وقال له : إن
أمير المؤمنين لم يمنعك أن يشفعك في ابن عمك إلا شفقة عليك وعلى أصحابك أن
يُعيدوا لكم حرّبًا أخرى ، وإن حُجْرَ بنِ عَدِيّ لو قد بقي خشيت أن
يكلّفك وأصحابك الشخوص إليه ، وأن يكون ذلك من البلاء على المسلمين
ما هو أعظم من قتل حُجْرٍ ؛ فقبّلها ، وطابت نفسه ، وأقبل إليه من غده
في جموع قومه حتى دخل عليه ورضى عنه .

١٤٥/٢

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، أن عائشةَ
رضي الله عنها بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حُجْر

وأصحابه ، فقدِم عليه وقد قَتَلَهُمْ ، فقال له عبد الرحمن : أين غاب عنك
 حلمُ أبي سُفْيَان ؟ قال : غاب عني حين غاب عني مثلك من حُساماء
 قومي ، وحمَلَنِي ابنُ مُسمية فاحتملت .

قال أبو مخنف : قال عبد الملك بن نوفل : كانت عائشة تقول : لولا
 أنا لم تغيّر شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشدّ مما كنا فيه لغيرنا قتل حُجْر ،
 أما والله إن كان ما علمتُ لمُسلماً حجاجاً معتمراً .

قال أبو مخنف : وحدّثني عبد الملك بن نوفل ، عن سعيد المقبري^(١) ،
 أن معاوية حين حجّ مرّ على عائشة - رضوانُ الله عليها - فاستأذن عليها ،
 فأذِنَتْ له ، فلما قعد قالت له : يا معاوية ، أأمنت أن أخبأ لك من يقتلك ؟
 قال : بيت الأمان دخلت ، قالت : يا معاوية ، أما خشيت الله في قتل حُجْر
 وأصحابه ؟ قال : لستُ أنا قتلتهُم ، إنما قتلَهُم من شهد عليهم .

قال أبو مخنف : حدّثني زكرياء بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، قال :
 أدركتُ الناسَ وهم يقولون : إن أولَ ذلّ دخل الكوفة موتُ الحسن بن عليّ
 وقتل حُجْر بن عدى ، ودعوةُ زياد .

قال أبو مخنف : وزعموا أن معاوية قال عند موته : يومٌ لي من ابن
 الأدبِ طويلٌ ! ثلاثُ مرّات - يعني حُجراً .

قال أبو مخنف : عن الصقعب بن زهير ، عن الحسن ، قال : أربع خصال
 كنّ في معاوية ؛ لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت مُوبقة : انتزأؤه على
 هذه الأُمّة بالسفهاء حتى ابتَرَّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا
 الصحابة وذو الفضيلة ؛ واستخلافه ابنه بعده سيكّيراً خميّراً ، يلبس
 الحرير ويضرب بالطنابير ؛ وادّعاؤه زياداً ؛ وقد قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » ، وقتله حُجراً ، ويلاً له من
 حُجْر ! مرتين .

(١) هو سعيد بن أبي سعيد ؛ وفي ط : « أبو سعيد » ، وانظر الفهرس .

وقالت هند ابنة زيد بن مخزومة الأنصارية، وكانت تشييع ترثي حُجراً:

تَرْفَعُ أَيَّهَا الْقَمَرُ الْمَنِيرُ تَبْصُرُ هَلْ تَرَى حُجْرًا يَسِيرُ^(١)
يسيرُ إلى معاويةَ بن حربٍ لِيَقْتُلَهُ كَمَا زَعَمَ الْأَمِيرُ
تَجَبَّرَتِ الْجَبَابِرُ بَعْدَ حُجْرٍ وَطَابَ لَهَا الْخَوَزَنْقُ وَالسَّيْدِيرُ^(٢)
وَأَصْبَحَتِ الْبِلَادُ بِهَا مُحُولًا كَأَنَّ لَمْ يُحْيِهَا مُزْنُ مَطِيرُ
أَلَا يَا حُجْرَ حَجْرَ بَنِي عَدِيٍّ تَلَقَّتْكَ السَّلَامَةُ وَالسُّرُورُ
أَخَافُ عَلَيْكَ مَا أَرْدَى عَدِيًّا^(٣) وَشَيْخًا فِي دِمَشْقَ لَهُ زَيْرُ
يَرَى قَتْلَ الْخِيَارِ عَلَيْهِ حَقًّا لَهُ مِنْ شَرِّ أُمْتِهِ وَزِيرُ
أَلَا يَا لَيْتَ حُجْرًا مَاتَ مَوْتًا وَلَمْ يُنَحَرْ كَمَا نُحِرَ الْبَعِيرُ!
فَإِنْ تَهْلِكُ فَكُلُّ زَعِيمٍ قَوْمٍ مِنْ الدُّنْيَا إِلَى هَلِكٍ يَصِيرُ

وقالت الكندية ترثي حُجراً — ويقال: بل قائلها هذه الأنصارية:

دُمُوعُ عَيْنِي دِيمَةٌ تَقْطُرُ تَبْكِي عَلَى حُجْرٍ وَمَا تَفْتُرُ
لَوْ كَانَتِ الْقَوْسُ عَلَى أَسْرِهِ مَا حُمِلَ السِّيفُ لَهُ الْأَعُورُ

١٤٧/٢

وقال الشاعر يحرّض بني هند من بني شَيْبَانَ على قَيْسِ بْنِ عَبَادٍ حِينَ

سَعَى بِصَيْقَى بْنِ فَسَيْلٍ:

دَعَا أَبْنُ فَسَيْلٍ يَالَ مُرَّةَ دَعْوَةً وَلَا قَى ذَبَابَ السِّيفِ كَفًّا وَمَعْصَمًا
فَحَرَّضَ بَنِي هِنْدٍ إِذَا مَا لَقِيْتَهُمْ وَقُلْ لِغِيَاثٍ وَابْنِهِ يَتَكَلَّمَا
لِتَبْكِي بَنِي هِنْدٍ قُتِيلَةً مِثْلَ مَا بَكَتْ عِرْسُ صَيْفِيٍّ وَتَبَعْتُ مَأْتَمًا

غِيَاثُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ دُبٍّ بْنِ مُرَّةَ بْنِ ذَهْلٍ بْنِ شَيْبَانَ،
وَكَانَ شَرِيفًا، وَقُتِيلَةُ أُخْتُ قَيْسِ بْنِ عَبَادٍ، فَعَاشَ قَيْسُ بْنُ عَبَادٍ حَتَّى

(١) الأغاني ١٦ : ١٠؛ مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات.

(٢) الأغاني: « ترفعت الجبابر ». (٣) الأغاني: « أخاف عليك سطوة آل حرب ».

قاتل مع ابن الأشعث في موطنه ، فقال حَوْشَب للحجّاج بن يوسف : إن منّا امرأ صاحب فتن ووثوب على السلطان ، لم تكن فتنة في العراق قطّ إلا وثب فيها ، وهو ترابيّ ، يلعن عثمان ، وقد خرج مع ابن الأشعث فشهد معه في موطنه كلها ، يحرّض الناس حتى إذا أهلكهم الله ، جاء فجلس في بيته ، فبعث إليه الحجّاج فضرب عنقه ، فقال بنو أبيه لآل حوشب : إنما سعيتم بنا سعيًا ، فقالوا لهم : وأنتم إنما سعيتم بصاحبنا سعيًا .

فقال أبو مخنف : وقد كان عبد الله بن خليفة الطائي شهد مع حُجْر ١٤٨/٢ ابن عدى ، فطلبه زياد فتوارى ، فبعث إليه الشرط ، وهم أهل الحمراء يومئذ ، فأخذوه ، فخرجت أخته النوار فقالت : يا معشر طيبيّ ، أتسلمون سنانكم ولسانكم عبد الله بن خليفة ! فشدّ الطائيون على الشرط فضربوهم وانتزعوا منهم عبد الله بن خليفة ، فرجعوا إلى زياد ، فأخبروه ، فوثب على عدى ابن حاتم وهو في المسجد ، فقال : ائتنى بعبد الله بن خليفة ؛ قال : وما له ! فأخبره ، قال : فهذا شيء كان في الحى لا علم لى به ؛ قال : والله لتأتينى به ؛ قال : لا ، والله لا آتيك به أبدًا ، أجيئك بآبن عمى تقتله ! والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه . قال : فأمر به إلى السجن ؛ قال : فلم يبق بالكوفة يسمانى ولا ربعى إلا أتاه وكلمه ، وقالوا : تفعل هذا بعدى بن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فإني أخرجه على شرط ، قالوا : ما هو ؟ قال : يخرج ابن عمه عنى فلا يدخل الكوفة ما دام لى بها سلطان . فأتى عدى فأخبر بذلك ، فقال : نعم ، فبعث عدى إلى عبد الله ابن خليفة فقال : يا بن أخى ، إن هذا قد لجّ في أمرى ، وقد أبى إلا إخراجك عن ميصرك ما دام له سلطان ، فالحق بالجليلين ، فخرج ؛ فجعل عبد الله ابن خليفة يكتب إلى عدى ، وجعل عدى يمينيه ، فكتب إليه :

تذكّرت ليلى والشببية أغصرا وذكر الصبا برح على من تذكرا
وولى الشباب فافتقدت غصونه^(١) فيالك من وجد به حين أدبرا !

- ١٤٩/٢ قد غُ عنك تذكار الشبابِ وفقدُهُ
وبَكَ على الخُلانِ لَمَّا تُخَرُّمُوا
دَعَتَهُمْ مَنَياهُمُ وَمَنْ حَانَ يَوْمُهُ
أولئك كانوا شِيعَةً لى وَمَوْتُلاً
وما كُنْتُ أَهْوَى بَعْدَهُمْ مُتَعَلِّلاً
أَقُولُ ولا والله أَنَسَى ادُّكَارَهُمْ
على أَهْلِ عِذْرَاءِ السَّلامِ مُضَاعَفاً
وَلَاقَى بِها حُجْرٌ من الله رَحْمَةً
ولا زَالَ تَهْطالُ مُلْثٌ وَدِيمَةٌ
فِيا حُجْرٍ مَنْ لِلخَيْلِ تُدَمَّى نُحُورُها
وَمَنْ صادِعٌ بِالْحَقِّ بَعْدَكَ ناطِقٌ ١٥٠/٢
فَنِعْمَ أَخو الإسلامِ كُنْتُ وإِنِّى
وقد كُنْتُ تَعطى السيفِ فى الحربِ حَقَّهُ
فِيا أَخَوَيْنا من هُمَمٍ عَصِمْتُمَا
ويا أَخَوَى الخِنْدِفِينِ أَبْشِرا
ويا إِخْوَتا من حُضرِ مَوْتٍ وَغالبِ
- وَأثارُهُ إِذْ بَانَ مِنْكَ فَأَقْصِراً^(١)
ولم يَجِدُوا عَنِ مَنَهِلِ المَوْتِ مَصْدرًا
من النَاسِ فاعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُوْخَرَا
إِذا اليَوْمَ أَلْفَى ذا احْتِدَامٍ مُدْكَراً
بشئٍ من الدُنيا ولا أَنَّ أُعْمَراً
سَجِيسَ اللَّيالى أَوْ أَمُوتَ فَأُقْبِراً^(٢)
من الله وَلَيْسَقُ الغِمامَ الكَنهُوراً^(٣)
فقد كان أَرْضى الله حَجْرٌ وَأَعْدَراً
على قَبْرِ حُجْرٍ أَوْ ينادى فَيُحْشَراً^(٤)
وَلِلْمَلِكِ المَغْزى إِذا ما تَغْشَماً^(٥)
بِتَقْوى وَمَنْ إِنْ قِيلَ بِالْجَوْرِ غَيْرًا
لَأَطْمَعُ أَنْ تُوتى الخُلُودُ وتُحْـبَراً
وتَعْرِفُ مَعْرُوفاً وتُنْكَرُ مُنْكَراً
وَيُسَرِّتُما لِلصالحاتِ فَأَبْشِراً^(٦)
فقد كُنْما حَيَّتُما أَنْ تُبْشَراً
وشِيانَ لُقَيْتُمُ حَساباً مُيسِراً^(٧)

(١) ابن الأثير : « وأسبابه ذبان منك فأجمرا » .

(٢) سيجيس الليالى ، أى الدهر كله

(٣) مرج عذراء ؛ هو الموضع الذى قتل فيه حجر ؛ والكهنور ، كسفرجل : قطع من السحاب تشبه بالرجال .

(٤) الملك : المطر الدائم .

(٥) ابن الأثير : « المغزى » . والتغشم : إتيان الأمر من غير تثبيت ، أو الظلم .

(٦) ابن الأثير : « وبشرتما بالصالحات » .

(٧) ابن الأثير : « جناباً مبشراً » .

سَعِدْتُمْ فَلَمْ أَسْمَعْ بِأَصُوبَ مِنْكُمْ
 سَابِكِيكُمْ مَا لَاحَ نَجْمٌ وَغَرَّدَ الـ
 فَقُلْتُ وَلَمْ أَظْلِمَ أَغُوْثَ بْنَ طَيْئٍ
 هَبِلْتُمْ أَلَا قَاتَلْتُمْ عَنْ أَخِيكُمْ
 ففَرَجْتُمْ عَنِّي فغَوِدرْتُ مُسْلِمًا^(٣)
 فمن لَكُمْ مِثْلِي لَدَى كُلِّ غَارَةٍ
 ومن لَكُمْ مِثْلِي إِذَا الْحَرْبُ قَلَصَتْ^(٥)
 فَهِيَ أَنَا ذَا دَارِي بِأَجْبَالِ طَيْئٍ
 نَفَانِي عَدُوِّي ظَالِمًا عَنْ مُهَاجِرِي
 وَأَسْلَمَنِي قَوْمِي لِغَيْرِ جِنَايَةٍ
 فَإِنْ أُلْفَ فِي دَارِ بِأَجْبَالِ طَيْئٍ^(٦)
 فَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أُرَى مُتَغَرِّبًا
 لِحَا اللَّهِ قَتَلَ الْحَضْرَمِيِّينَ وَائِلًا^(٨)
 وَلَاقَى الرَّدَى الْقَوْمُ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا
 فَلَا يَدْعُنِي قَوْمٌ لَعُوْثَ بْنَ طَيْئٍ

حِجَابًا لَدَى الْمَوْتِ الْجَلِيلِ وَأَصْبَرَا
 حِمَامٌ يَبْطُنُ الْوَادِيَيْنِ وَفَرَقَرَا
 مَتَى كُنْتُ أَخْشَى بَيْنَكُمْ أَنْ أُسِيرًا!^(١)
 وَقَدْ ذَبَّ حَتَّى مَالٍ ثُمَّ تَجَوَّرَا^(٢)
 كَأَنِّي غَرِيبٌ فِي إِيَادٍ وَأَعْصُرَا^(٤)
 وَمَنْ لَكُمْ مِثْلِي إِذَا الْبَأْسُ أَصْحَرَا
 وَأَوْضَعَ فِيهَا الْمُسْتَمِيتُ وَشَمَّرَا
 طَرِيدًا وَلَوْ شَاءَ الْإِلَهُ لَعَبَّرَا
 رَضِيتُ بِمَا شَاءَ الْإِلَهُ وَقَلَدَرَا
 كَأَن لَمْ يَكُونُوا لِي قَبِيلًا وَمَعَشَرَا
 وَكَانَ مَعَانًا مِنْ عُصَيْرٍ وَمَحْضَرَا^(٧)
 لِحَا اللَّهِ مِنْ لَاحِي عَلَيْهِ وَكُثْرَا
 وَلَاقَى الْفَنَاءَ مِنَ السَّنَانِ الْمَوْفَرَا^(١٥٢/٢)
 عَلَيْنَا وَقَالُوا قَوْلَ زُورٍ وَمُنْكَرَا
 لِأَنَّ دَهْرَهُمْ أَشَقَى بِهِمْ وَتَغْيِرَا

(١) س : « منكم » .

(٢) ابن الأثير : « دث » بالبناء للمجهول ؛ يقال : دث الرجل دثًا ، وهو التواء في جنبه

أو بعض جسده من غير داء .

(٣) ابن الأثير : « ففرجتم » .

(٤) ابن الأثير : « من إباد » .

(٥) قلصت ؛ أى قامت واشتعلت ؛ وأصله فى الإبل ؛ يقال : قلصت الإبل فى سيرها ؛

أى شمعت ووجدت .

(٦) س : « فإن ألق » .

(٧) الممان : المنزل والمباة . وعصير ، تصغير عصر .

(٨) ابن الأثير : « قيل الحضرميين » .

فلم أغزهم في المعلمين ولم أثر
فبلغ خليلي إن رحلت مشرقاً
ونبهان والأقناء من جذم طيبي
ألم تذكروا يوم العذيب أليتي
وكرري على مهران والجمع حاسر^(٢)
ويوم جلولا الوقبة لم ألم^(٣)
وتنسوني يوم الشريعة والقنا
جزى ربه عني عدى بن حاتم
أتنسئ بلأبي سادراً يا بن حاتم
فدافعتُ عنك القوم حتى تخاذلوا
فولكوا وما قاموا مقامى كأنما
نصرتكم إذخام القريب وأبعط الـ
فكان جزائي أن أجرد بينكم
وكم عدة لي منك أنك راجعي
فأصبحت أرى النيب طوراً وتارة
كأني لم أركب جواداً لغارة

١٥٣/٢

١٥٤/٢

(١) العشنزور : العظيم الخلق .

(٢) ابن الأثير : « والجمع جالس » .

(٣) س : « لم ألم » .

(٤) كذا في ابن الأثير : وفي ط : « حذمرا » .

(٥) العذور : القوى الشديد .

(٦) الأباءة : القصبة ؛ وتكون مأوى للأسود .

(٧) خام : نكص ، والإبعاط : الهرب ، وفي ابن الأثير : خام ، أى نكص .

(٨) الحبتر : الثعلب .

(٩) هرهر بالغنم : دعاها إلى الشرب .

(١٠) هذا البيت والتاليان له في ياقوت ٦ : ٣٦ ، قال : « سبجاس ، بكسر أوله وفتح ثانية

وأخره سين مهمله : بلد بين همدان وأهر » .

ولم أَعْتَرِضْ بِالسَّيْفِ خَيْلاً مُغِيرَةً
 ولم أَسْتَحِثُّ الرِّكْضَ فِي إِثْرِ عُصْبَةٍ
 ولم أَذْعِرِ الْأَبْلَامَ مِنِّي بِغَارَةٍ
 ولم أَرِ فِي خَيْلٍ تُطَاعِنُ بِالْقَنَا^(١)
 فذلك دهرٌ زال عني حميدُهُ
 فلا يَبْعَدُنْ قَوْمِي وَإِنْ كُنْتُ غَائِباً^(٢)
 ولا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَا الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ
 فمات بالجبلين قبل موت زياد .

١٥٥/٢

وقال عُبَيْدَةُ الْكِنْدِيُّ ثُمَّ الْبَدَيْ ، وهو يَعْيَرُ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ بِخِذْلَانِهِ
 حُجْرًا :

أَسْلَمْتَ عَمَّكَ لَمْ تُقَاتِلْ دُونَهُ
 وَقَتَلْتَ وَافِدَ آلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ
 لَوْ كُنْتَ مِنْ أَسَدٍ عَرَفْتَ كِرَامَتِي
 فَرَقًا وَلَوْلَا أَنْتَ كَانَ مَنِعًا
 وَسَلَبْتَ أَسِيفًا لَهُ وَدُرُوعًا
 وَرَأَيْتَ لِي بَيْتَ الْحُبَابِ شَفِيعًا

* * *

[ذَكَرَ اسْتِعْمَالُ الرِّبِيعِ بْنِ زِيَادٍ عَلَى خُرَّاسَانَ]

وفي هذه السنة وجه زيادُ الرِّبِيعِ بْنِ زِيَادٍ الْحَارِثِيُّ أَمِيرًا عَلَى خُرَّاسَانَ بَعْدَ
 مَوْتِ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ ، وَكَانَ الْحَكَمُ قَدْ اسْتَخْلَفَ عَلَى عَمَلِهِ بَعْدَ
 مَوْتِهِ أَنَسُ بْنُ أَبِي أَنَاسٍ ، وَأَنَسٌ هُوَ الَّذِي صَلَّى عَلَى الْحَكَمِ حِينَ مَاتَ فَدُفِنَ
 فِي دَارِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخِي خُلَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْهَنْفِيِّ ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ الْحَكَمُ
 إِلَى زِيَادٍ ، فَعَزَلَ زِيَادٌ أَنَسًا ، وَوَلَّى مَكَانَهُ خُلَيْدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْهَنْفِيَّ .

(١) ابْنُ الْأَثِيرِ : « تَطَاعَنَ مِثْلُهَا » . (٢) ابْنُ الْأَثِيرِ : « وَإِنْ كُنْتُ غَائِبًا » .

فحدثني عمر، قال : حدثني علي بن محمد، قال : لما عزل زياداً أنساً وولى مكانه خُليد بن عبد الله الحنفي قال أنس :

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي زِيَادًا مُغْلَغَلَةً يَحُبُّ بِهَا الْبَرِيدُ
أَتَعَزِّلُنِي وَتَطْعِمُهَا خُلَيْدًا لَقَدْ لَاقَتْ حَنِيفَةً مَا تَرِيدُ
عَلَيْكُمْ بِالْيَامَةِ فَاحْرُثُوهَا فَأَوَّلُكُمْ وَأَخْرُكُم عَبِيدُ

١٥٦/٢

فولى خُليداً شهراً ثم عزله، وولى خُرَاسَانَ ربيع بن زياد الحارثي في أول سنة إحدى وخمسين، فنقل الناسُ عيالاتهم إلى خُرَاسَانَ، ووطنوا بها، ثم عزل الربيع .

فحدثني عمر، قال : حدثني علي ، عن مسلمة بن محارب وعبد الرحمن ابن أبان القرشي ، قالا : قدم الربيع خُرَاسَانَ ففتح بلخ صلحاً ، وكانوا قد أغلقوها بعد ما صالحهم الأحنف بن قيس ، وفتح قُهِسْتَانَ عَنوةً ، وكانت بناحيها أتراك ، فقتلهم وهزمهم ، وكان ممن بقى منهم نيزك طَرَخَانَ ، فقتله قُتَيْبَةُ بن مسلم في ولايته .

حدثني عمر، قال : حدثنا علي ، قال : غزا الربيع فقطع النهر ومعه غلامه فَرُوخ وجاريتته شريفة ، فغنم وسكَم ، فأعتقَ فَرُوخاً ، وكان قد قطع النهر قبله الحَكَم بن عمرو في ولايته ولم يفتح .

فحدثني عمر، عن علي بن محمد، قال : كان أول المسلمين شرب من النهر مولى للحكم ، اغترف بترسه فشرب ، ثم ناولَ الحكم فشرب ، وتوضأ وصلى من وراء النهر ركعتين ، وكان أول الناس فعلَ ذلك ، ثم قَتَلَ .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن معاوية ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي .

وكان العامل في هذه السنة على المدينة سعيد بن العاص ، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق كله زياد ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة عميرة بن يثرب .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين

فزعم الواقديّ أنّ فيها كانت غزوة سُفْيَان بن عوف الأزديّ ، ومشتاه بأرض الروم ، وأنه توفّي بها ، واستخلف عبد الله بن مسعدة الفزاريّ .
وقال غيره : بل الذي شتا بأرض الروم في هذه السنة بالناس بُسْر بن أبي أرطاة ، ومعه سُفْيَان بن عوف الأزديّ ، وغزا الصائفة في هذه السنة محمد بن عبد الله الثَّقَفِيّ .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة سعيدُ بنُ العاص في قول أبي معشر والواقديّ وغيرهما .
وكانت عمّال الأمصار في هذه السنة هم العمّال عليها كانوا في سنة إحدى وخمسين .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك مشيتي عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم الثَّقَفِيّ بأرض الروم .

وفيهما فتحت رُودُس ، جزيرة في البحر ، ففتحها جُنادة بن أبي أمية الأزدِيّ ، فترها المسلمون - فيما ذكر محمد بن عمر - وزَرَعُوا واتَّخَذُوا بها أموالاً ومواشيَ يَرْعَوْنَهَا حَوْلَهَا ، فإذا أَمْسَوْا أدخلوها الحصن ، ولم يَناطُرْ^(١) يَحْدَرُهُمْ ما في البحر ممن يريدُهم بِكَيْدٍ ، فكانوا على حَذَرٍ منهم ، وكانوا أشدَّ شَيْءٍ على الروم ، فيعرضونهم في البحر فيقطعون سفنَهم ، وكان معاوية يُدِرُّ لهم الأرزاق والعطاء ، وكان العدو قد خافهم ، فلما مات معاوية أقفلهم يزيدُ بن معاوية .

* * *

وفيهما كانت وفاةُ زياد بن سُمَيَّة ؛ حدثني عمر ، قال : حدثنا زهير ، قال : حدثنا وهيب ، قال : حدثني أبي ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن الزبير ، عن فيل مولى زياد ، قال : ملك زياد العراقَ خمسَ سنين ، ثم مات سنة ثلاث وخمسين .

١٥٨/٢

حدثني عمر ، قال ، حدثنا عليّ بن محمد ، قال : لما نزل زياد على العراق بقيَ إلى سنة ثلاث وخمسين ، ثم مات بالكوفة في شهر رمضان وخليفته على البصرة سَمُرَةُ بن جندَب .

* * *

ذكر سبب مهلك زياد بن سُمَيَّة

حدثني عبد الله بن أحمدَ المروزيّ ، قال : حدثنا أبي ، قال حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرني عبد الله بن شوذب ، عن كثير بن زياد ، أن زياداً كتب إلى معاوية : إني ضببت العراقَ بِشِماليّ ،

(١) الناطور : حافظ الزرع والتمر والكرم .

ويعني فارغة . فضمَّ إليه معاوية العَرُوض - وهي اليامة وما يليها - فدعا عليه ابن عمر ، فطعن ومات . فقال ابن عمر حين بلغه الخبر : اذهب إليك ابن سُمَيَّة ، فلا الدنيا بقيت لك ، ولا الآخرة أدركت .

حدثني عمر ، قال : حدثني عليّ ، قال : كتب زيادٌ إلى معاوية : قد ضببتُ لك العراق بشيالي ويميني فارغة ، فاشغلها بالحجاز ، وبعث في ذلك الهيثم بن الأسود النخعي ، وكتب له عهدَه مع الهيثم ، فلما بلغ ذلك أهل الحجاز أتى نفر منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فذكروا ذلك له ، فقال : ادعوا الله عليه يكفيكموه ، فاستقبل القبلَةَ واستقبلوها فدعوا ودعا ، فخرجت طاعونةٌ على أصبعه ، فأرسل إلى شريح - وكان قاضيه - فقال : ١٥٩/٢ حَدَّثَ بِي مَا تَرَى ، وَقَدْ أَمِرْتُ بِقَطْعِهَا ، فَأَشِرْ عَلَيَّ ؛ فَقَالَ لَهُ شُرَيْحُ : إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ الْجِرَاحُ عَلَى يَدِكَ ، وَالْأَلَمُ عَلَى قَلْبِكَ ، وَأَنْ يَكُونَ الْأَجَلُ قَدْ دَنَا ، فَتَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَجْذَمَ ، وَقَدْ قَطَعْتَ يَدَكَ كَرَاهِيَةً لِلْقَائِلِ (١) ، أَوْ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَجَلِ تَأْخِيرٌ وَقَدْ قَطَعْتَ يَدَكَ فَتَعِيشَ أَجْذَمَ وَتُعَيَّرَ وَلَدُكَ . فَرَكَّهَا ؛ وَخَرَجَ شُرَيْحٌ فَسَأَلُوهُ ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَشَارَ بِهِ ، فَلَا مَوْهَ وَقَالُوا : هَلَّا أَشَرْتَ عَلَيْهِ بِقَطْعِهَا ! فَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ » .

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : قال عبد الله : سمعتُ بعضَ مَنْ يحدثُ أنه أرسل إلى شريح يستشيره في قطع يده ، فقال : لا تفعل ؛ إنك إن عشتَ صرتَ أَجْذَمَ ، وإن هلكَتَ إيساكَ جانبيّاً على نفسك ، قال : أنام والطاعون في لحاف ! فعزم أن يفعل ، فلما نظر إلى النار والمكاوى جزع وترك ذلك .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي ، قال : حدثني ابن أبي زياد ، قال : لما حضرتُ زياداً الوفاةُ قال له ابنه : يا أبتِ ، قد هيأتُ لك ستين ثوباً أكفئك فيها ؛ قال : يا بني ، قد دنا من أهلك

(١) ابن الأثير : « كراهية لقائه » .

لباس "خير" من لباسه هذا، أو سلب سريع ؛ فمات فدُفِنَ بالتَّوْبَةِ إلى جانب الكوفة ، وقد توجه يزيد إلى الحجاز والياً عليها ، فقال مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم :

رَأَيْتُ زِيَادَةَ الْإِسْلَامِ وَلَكْتُ جِهَارًا حِينَ وَدَعْنَا زِيَادَ ١٦٠/٢

وقال الفرزدق لمِسْكِين - ولم يكن هجا زياداً حتى مات :

أَمْسِكِينَ أَبْكِي اللَّهَ عَيْنُكَ إِنَّمَا جَرَى فِي ضَلَالٍ دَمْعُهَا فَتَحَدَّرَا
بَكَيْتَ امْرَأً مِنْ آلِ مَيْسَانَ كَافِرًا كَكِسْرَى عَلَى عَدَانِهِ أَوْ كَقَيْصَرَا
أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَتَانِي نَعِيَّهُ بِهِ لَا بِظَنِّي بِالصَّرِيمَةِ أَغْفَرَا

فأجابه مسكين ، فقال :

أَلَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِي لَسْتُ نَاطِقًا وَلَا قَاعِدًا فِي الْقَوْمِ إِلَّا أَنْتَ بَرَى لِيَا
فَجِئْنِي بِعَمِّ مِثْلِ عَمِّي أَوْ أَبٍ كَمِثْلِ أَبِي أَوْ خَالٍ صَدَقِ كَخَالِيَا
كَعَمْرٍو بَنِ عَمْرٍو أَوْ زُرَّارَةَ وَالِدَا أَوْ الْبِشْرِ مِنْ كُلِّ فَرَعَتِ الرَّوَابِيَا
وَمَا زَالَ بِي مِثْلُ الْقَنَازَةِ وَسَابِحِ وَخَطَّارَةِ غِبِّ السُّرَى مِنْ عِيَالِيَا
فَهَذَا لِأَيَّامِ الْحِفَاطِ وَهَذِهِ لِرَحْطِي وَهَذَا عُدَّةٌ لَارْتِحَالِيَا !

وقال الفرزدق :

١٦١/٢

أَبْلَغُ زِيَادًا إِذَا لَاقَيْتَ مَضْرَعَهُ أَنَّ الْحَمَامَةَ قَدْ طَارَتْ مِنَ الْحَرَمِ
طَارَتْ فَمَا زَالَ يَنْمِيهَا قَوَادِمُهَا حَتَّى اسْتَغَاثَتْ إِلَى الْأَنْهَارِ وَالْأَجَمِ

حدثني عبد الله بن أحمد، قال : حدثني أبي ، عن سليمان، قال :

حدثني عبد الله ، عن جرير بن حازم ، عن جرير بن يزيد ، قال : رأيت زياداً فيه حمرة ، في عينه اليمنى انكسار ، أبيض اللحية مخروطها ، عليه قميص مرقوع ، وهو على بغلة عليها لحامها قد أرسنها .

[ذكر الخبر عن وفاة الربيع بن زياد الحارثي]

وفي هذه السنة كانت وفاة الربيع بن زياد الحارثي ، وهو عامل زياد على خراسان .

ذكر الخبر عن سبب وفاته :

حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : ولي الربيع بن زياد خراسان سنتين وأشهرًا ، ومات في العام الذي مات فيه زياد ، واستخلف ابنه عبد الله بن الربيع ، فولّى شهرين ، ثم مات عبد الله . قال : فقدم عهده من قبل زياد على خراسان وهو يُدفن ، واستخلف عبد الله بن الربيع على خراسان خُلَيْد بن عبد الله الحنفي .

قال علي : وأخبرني محمد بن الفضل ، عن أبيه ، قال : بلغني أن الربيع ابن زياد ذكر يومًا بخراسان حُجْر بن عدى ، فقال : لا تزال العرب تُقتل صبرًا بعده ، ولو نفرت عند قتله لم يُقتل رجل منهم صبرًا ، ولكنها أقرت ١٩٢/٢
فدلت ، فمكث بعد هذا الكلام جمعة ، ثم خرج في ثياب يياض في يوم جمعة ، فقال : أيتها الناس ، إني قد مكثت الحياة ، وإني داع بدعوة فأمنوا . ثم رفع يده بعد الصلاة ، وقال : اللهم إن كان لي عندك خيرٌ فاقبضني إليك عاجلاً . وأمن الناس فخرج ، فما توارت ثيابه حتى سقط فحمل إلى بيته ، واستخلف ابنه عبد الله ، ومات من يومه ، ثم مات ابنه ، فاستخلف خُلَيْد بن عبد الله الحنفي ، فأقره زياد ، فمات زياد وخُلَيْد على خراسان ، وهلك زياد وقد استخلف على عمله على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى البصرة سَمُرَة بن جُنْدَب الفزاري .

فحدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني علي ، قال : مات زياد وعلى البصرة سَمُرَة بن جُنْدَب خليفة له ، وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ، فأقر سَمُرَة على البصرة ثمانية عشر شهرًا .

قال عمر : وبلغني عن جعفر بن سليمان الضبعي ، قال : أقر معاوية سَمُرَة بعد زياد ستة أشهر ، ثم عثر له ، فقال سَمُرَة : لعن الله معاوية ! والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذبني أبدًا .

حدثني عمر، قال : حدثني موسى بن إسماعيل، قال : حدثني سليمان ابن مسلم العجلي، قال : سمعتُ أبي يقول : مررت بالمسجد، فجاء رجلٌ إلى سَمُرَةَ فَأَدَّى زَكَاةَ ماله، ثم دخل فجعل يصلي في المسجد، فجاء رجل فضرب عنقه، فاذا رأسه في المسجد، وبدنه ناحية، فرأى أبو بكر، فقال : يقول الله سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (١)، قال أبي : فشهدتُ ذاك، فامات سَمُرَةَ حتى أخذه الزَّمَّهَرِيرُ، فمات شراً ميتة، قال : وشهدته وأُتِيَ بناسٌ كثير وأُناسٌ بين يديه فيقول للرجل : ما دينك ؟ فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله وأني برىء من الحَرَوْرِيَّةِ، فيقدِّم فيضرب عنقه حتى مرَّ بضعةً وعشرون .

١٦٣/٢

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة سعيدُ بن العاص في قول أبي معشر الواقدي وغيرهما .

وكان العامل فيها على المدينة سعيد بن العاص ، وعلى الكوفة بعد موت زياد عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى البصرة بعد موت زياد سَمُرَةُ بن جندب، وعلى خراسان خُلَيْد بن عبد الله الحنفي .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مَشْتَى محمد بن مالك أرض الروم ، وصائفة مَعْن بن يزيد السَّامِي .

وفيها — فيما زعم الواقدي — فَتَحَ جُنَادَةُ بن أبي أمية جزيرةً في البحر قُرْبِيَّةً من قُسْطَنْطِينِيَّةٍ يقال لها أَرْوَادُ (١) .

وذكر محمد بن عمر أن المسلمين أقاموا بها دهرًا ، فيما يقال سبع سنين ، وكان فيها مجاهد بن جبَّار . قال : وقال تُبَيْعُ ابنُ امرأةٍ كعب : تروُنْ هذه الدرجة ؟ إذا انقلعت جاءت قفلتنا . قال : فهاجَت رِيحٌ شديدة فقلعت الدرجة ، وجاء نعي معاوية وكتاب يزيد بالقفل فقفلتنا ، فلم تَعْمُرْ بعد ذلك وخَرِبَتْ ، وأمين الروم .

* * *

[ذكر عزل سعيد بن العاص عن المدينة واستعمال مروان]

وفيها عَزَلَ معاويةُ سعيدَ بن العاص عن المدينة ، واستعملَ عليها مَرْوَانَ بنَ الحكم .

* ذكر سبب عزل معاوية سعيداً واستعمال مَرْوَانَ :

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي بن محمد ، عن جُويرة بن أسماء ، عن أشياخه ، أن معاوية كان يُغْرِى بين مَرْوَانَ وسعيد بن العاص ، فكتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة : اهدِم دارَ مَرْوَانَ ؛ فلم يَهْدِ مِنْهَا ، فأعاد عليه الكتابَ بهدمها ، فلم يَفْعَلْ ، فعزله وولَّى مروان .

* * *

وأما محمد بن عمر ؛ فإنه ذكر أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص يأمره بقبض أموال مروان كلَّها فيجعلها صافيةً ، ويقبضَ فَدَكَ منه — وكان

(١) س : « أرواده » .

وهبها له ، فراجعه سعيد بن العاص في ذلك ، وقال : قرابته قريبة . فكتب إليه ثانية يأمره باصطفاء أموال مَرَّوان ، فأبى ، وأخذ سعيد بن العاص الكتائبين فوضعهما عند جارية ، فلما عَزَلَ سعيد عن المدينة فوليهما مروان ، كتب معاوية إلى مَرَّوان بن الحكم يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص بالحجاز ، وأرسل إليه بالكتاب مع ابنه عبد الملك ، فخبَّره أنه لو كان شيئاً غير كتاب أمير المؤمنين لتجافيتُ ، فدعا سعيدُ بن العاص بالكتائبين اللذين كتب بهما معاويةُ إليه في أموال مَرَّوان يأمره فيهما بقبض أمواله ، فذهب بهما إلى مَرَّوان ، فقال : هوَ كان أوصلَ لنا مِنّا له ! وكفَّ عن قبض أموال سعيد . وكتب سعيدُ بن العاص إلى معاوية : العَجَبُ مما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا ، أن يُضْغِنَ بعضنا على بعض ! فأمر المؤمنين في حِلْمِه وصبرِه على ما يكره من الأجنيبين^(١) ، وعفوه وإدخاله القطيعة بيننا والشحناء ، وتوارث الأولاد ذلك ، فوالله لو لم تكن بني أب واحد إلّا بما جمعنا الله عليه من نصْر الخليفة المظلوم ، واجتماع كلمتنا ، لكان حقاً علينا أن نَرعى ذلك ، والذي أدركنا به خير . فكتب إليه يتنصّل من ذلك ، وأنه عائدٌ إلى أحسن ما يعهده .

١٦٥/٢

* * *

عاد الحديث إلى حديث عمر ، عن عليّ بن محمد ، قال : فلما ولّى مَرَّوان كتب إليه : اِهْدِم دارَ سعيد ، فأرسل الفعلة ، ورَكِبَ ليهدمها ، فقال له سعيد : يا أبا عبد الملك ، أتهدم دارِي ! قال : نعم ، كتب إلى أمير المؤمنين ، ولو كتب في هدم دارِي لفعلت ؛ قال : ما كنتُ لأفعل ؛ قال : بلى ، والله لو كتب إليك لهدمتها ، قال : كلاّ أبا عبد الملك . وقال لغلامه : انطلق فجنّئى بكتاب معاوية ؛ فجاء بكتاب معاوية إلى سعيد بن العاص في هدم دار مَرَّوان بن الحكم ، قال : مَرَّوانُ كَتَبَ إليك يا أبا عثمان في هدم دارِي ، فلم تهْدم ولم تُعلمني . قال : ما كنتُ لأهدم دارك ، ولا أَمُنُ^(٢) ، عليك ؛ وإنما أراد معاوية أن يحرّض بيننا ، فقال

(١) كذا في س ، وفي ط : « الأجنيبين » .

(٢) س : « ولا آمن » .

مروان : فداك أبى وأمى ! أنت والله أكثر من ريشاً^(١) وعقباً . ورجع مروان ولم يهدم دار سعيد .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، قال : حدثنا أبو محمد بن ذكوان القرشيّ ، قال : قدم سعيد بن العاص على معاوية ، فقال له : يا أبا عثمان ، كيف تركت أبا عبد الملك ؟ قال : تركته ضابطاً لعمليّك ، منفذاً لأمرك . ١٦٦/٢ قال : إنه كصاحب الحُبْزَةِ كُفِّي نَضِجَتِهَا فَأَكَلَهَا ، قال : كلا ، والله يا أمير المؤمنين ، إنه لمع قوم لا يحمل بهم السوط ، ولا يحمل لهم السيف ، يتهادون كوقع النبل ، سهم لك وسهم عليك ؛ قال : ما باعد بينك وبينه ؟ قال : خافني على شرفه ، وخففته على شرفي ، قال : فإذا له عندك ؟ قال : أسره غائباً ، وأسرّه شاهداً ؛ قال : تركتني يا أبا عثمان في هذه الهنات ؛ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فتحملت الثقل ، وكفيت الخزم ، وكنت قريباً لو دعوت أجبت ، ولو ذهبت رفعت .

* * *

وفي هذه السنة كان عزل معاوية سُمرَةَ بن جُنْدَب عن البصرة ، واستعمل عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان . فحدثني عمر ، قال : حدثني عليّ بن محمد قال : عزل معاوية سُمرَةَ وولى عبد الله بن عمرو بن غيلان ، فأقره ستة أشهر ، فولى عبد الله بن عمرو شرطته عبد الله بن حصن .

* * *

[ذكر تولية معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان]

وفي هذه السنة ولى معاوية عبيد الله بن زياد خراسان .

* ذكر سبب ولاية ذلك :

حدثني عمر ؛ قال : حدثني عليّ بن محمد ، قال : حدثنا مسلمة^(٢) بن محارب ومحمد بن أبان القرشيّ ، قالوا : لما مات زيادٌ وفد عبيد الله إلى معاوية فقال له : من استخلف أخى على عمله بالكوفة ؟ قال : عبد الله بن خالد

(١) س : « نسيا » .

(٢) ط : « سلمة » ، وانظر الفهرس .

ابن أسيد ؛ قال : فَمَنْ اسْتَعْمَلَ عَلَى الْبَصْرَةِ ؟ قال : سَمْرَةَ بْنُ جُنْدَبِ
الْفَزَارِيِّ ، فَقَالَ لَهُ معاوية : لو اسْتَعْمَلَكَ أبوك اسْتَعْمَلْتِكَ ، فَقَالَ لَهُ عبيد الله : ١٦٧/٢
أَنْشُدْكَ اللهَ أَنْ يَقُولَهَا إِلَى أَحَدٍ بَعْدَكَ : لو وَلَّاكَ أبوك وَعَمَّكَ لَوْلَيْتِكَ !

قالا : وكان معاوية إذا أراد أن يولّي رجلاً من بني حَرْبٍ ولّاه الطائفة ،
فإن رأى منه خيراً وما يعجبه ولّاه مكة معها ، فإن أحسن الولاية وقام بما وُلّيَ
قياماً حسناً جمع له معهما المدينة ، فكان إذا ولي الطائفة رجلاً قيل :
هو في أبي جاد^(١) ، فإذا ولّاه مكة قيل : هو في القرآن ، فإذا ولّاه المدينة
قيل : هو قد حدّق .

قالا : فلما قال عبيد الله ما قال ولّاه خُرَّاسان ، ثم قال له حين ولّاه :
إني قد عهدتُ إليك مثلَ عهدي إلى عمّالي ، ثم أوصيك وصيّة القُرابة لخاصّتك
عندي : لا تبيعنَ كثيراً بقليل ، وخذْ لنفسك من نفسك ، واكتفِ فيما
بينك وبين عدوك بالوفاء تخفّ عليك المؤونة وعلينا منك ، وافتح بابك
للناس تكن في العلم منهم أنت وهم سواء ، وإذا عزمْتَ على أمر فأخرجه إلى
الناس ، ولا يكن لأحد فيه مطمَع ، ولا يرجعنَ عليك وأنت تستطيع ، وإذا
لقيت عدوك فغلبوك على ظهر الأرض فلا يغلبوك على بطنها ، وإن احتاج
أصحابُك إلى أن تؤاسيهم بنفسك فآسِهِمْ .

حدّثني عمر ، قال : حدّثني عليّ ، قال : أخبرنا عليّ بن مجاهد ، عن ابن
إسحاق ، قال : استعمل معاويةُ عبيد الله بن زياد وقال :

* استمسك الفسّافسَ إن لم يقطع *

وقال له : اتقَ الله ولا تؤثرنَ على تقوى الله شيئاً ، فإن في تقواه عِوَضاً ،
وفي عِرْضِكَ^(٢) من أن تُدنّسه ، وإذا أعطيتَ عهداً ففِ به ، ولا تبيعنَ كثيراً
بقليل ، ولا تُخرِجنَ منك أمراً حتى تُبرِمَه ، فإذا خرج فلا يُردنَ عليك ،
وإذا لقيت عدوك فكن أكثرَ من معك ، وقاسمهم على كتاب الله ،

(١) في أبي جاد ، أي في أول الأمر .

(٢) ابن الأثير : « ووفر عرضك » .

ولا تطمعن أحدًا في غير حقه، ولا تؤيسن أحدًا من حق له. ثم ودَّعه .

حدثني عمر، قال : حدثنا عليّ، قال : حدثنا مسلمة، قال : سار عبيد الله إلى خراسان في آخر سنة ثلاث وخمسين وهو ابن خمس وعشرين سنة من الشام وقدم إلى خراسان أسلم بن زُرعة الكلابي، فخرج، فخرج معه من الشام الجعند بن قيس التَّمَرِي يَرْجُز بين يديه بمرثية زياد يقول فيها :

وحدثني عمر مرة أخرى في كتابه الذي سماه كتاب «أخبار أهل البصرة»، فقال : حدثني أبو الحسن المدائني قال : لما عقد معاوية لعبيد الله بن زياد على خراسان خرج وعليه عمامة - وكان وضيئًا - والجعند بن قيس يُنشد به مرثية زياد :

أَبْقِ عَلَى عَاطِلٍ مِنَ اللَّوْمِ فِيمَا أُزِيلَتْ نِعْمَتِي قَبْلَ الْيَوْمِ
قَدْ ذَهَبَ الْكَرِيمُ وَالظِّلُّ الدَّوْمُ وَالنَّعْمُ الْمُؤْتَلُ الدَّثَرُ الْحَوْمُ
وَالْمَاشِيَاتُ مَشِيَةً بَعْدَ النَّوْمِ لَيْتَ الْجِيَادَ كُلَّهَا مَعَ الْقَوْمِ
سُقَيْنَ سَمٌّ سَاعَةً قَبْلَ الْيَوْمِ لِأَرْبَعِ مَضِينَ مِنْ شَهْرِ الصَّوْمِ

١٦٩/٢

ومنها :

يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ الَّذِي كَانَ مَضَى يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْمَلِكُ مَا قَضَى
وَفَاةَ بَرٍّ مَاجِدٍ جَلَدِ الْقَوَى حَرٌّ بِهِ نَوَالُ جَعْدٍ وَالتَّطَى
كَانَ زِيَادٌ جَبَلًا صَغْبَ الذَّرَى شَهْمًا إِذَا شَتَّتُمْ نَقِیصَاتِ أَبِي

* لَا يُبْعَدِ اللَّهُ زِيَادًا إِذْ ثَوَى *

وبكى عبيد الله يومئذ حتى سقطت عمامته عن رأسه ؛ قال : وقدِمَ عبيد الله خراسانَ ثم قطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل ، فكان هو أول مَنْ قطع إليهم جبال بخارى في جند ، ففتح راميين^(١) ونصف بَيْسَكَنْد - وهما من بخارى - فَمِنْ ثَمَّ أَصَابَ الْبَخَارِيَّةَ .

قال عليّ : أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ رَشِيدٍ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ : لَقِيَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ

زِيَادُ التُّرْكِ بِيُخَارَى وَمَعَ مَلِكِهِمْ امْرَأَتُهُ قَبِيحُ خَاتُونٍ ، فَلَمَّا هَزَمَهُمُ اللَّهُ أَعْجَلَوْهَا عَنْ لِبْسِ خَفِيِّهَا ، فَلَبِسَتْ أَحَدَهُمَا وَبَقِيَ الْآخَرُ ، فَأَصَابَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَقَوُّمٌ ^(١) الْجَوْرَبُ بِمِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ .

١٧٠/٢

قال : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصٍ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بْنِ مَعْمَرٍ ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ حِصْنٍ ، قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ بَأْسًا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، لَقِينَا زَحْفًا مِنَ التُّرْكِ بِخُرَّاسَانَ ، فَرَأَيْتُهُ يُقَاتِلُ فِيَحْمِلُ عَلَيْهِمْ فَيَطْعَنُ فِيهِمْ وَيَغِيبُ عَنَّا ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْيَتَهُ تَقَطَّرُ دَمًا .

قال عليّ : وَأَخْبَرَنَا مُسْلِمَةُ أَنَّ الْبَخَارِيَّةَ الَّذِينَ قَدِمَ بِهِمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ الْبَصْرَةَ أَلْفَانًا ، كُلُّهُمْ جَيِّدُ الرَّمْيِ بِالنُّشَابِ .

قال مسلمة : كَانَ زَحْفُ التُّرْكِ بِيُخَارَى أَيَّامَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ مِنْ زُحُوفِ خُرَّاسَانَ الَّتِي تَعُدُّ ، قَالَ : وَأَخْبَرَنَا الْهَذَلِيُّ ، قَالَ : كَانَتْ زُحُوفُ خُرَّاسَانَ خَمْسَةً : أَرْبَعَةٌ لَقِيَهَا الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ، الَّذِي لَقِيَهُ بَيْنَ قُهَسْتَانَ وَأَبْرِشَهِرٍ ، وَالزُّحُوفُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي لَقِيَهَا بِالْمَرْغَابِ ، وَالزَّحْفُ الْخَامِسُ زَحْفُ قَارِنٍ ، فَضَّضَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ .

قال عليّ : قَالَ مُسْلِمَةُ : أَقَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بِخُرَّاسَانَ سِتِّينَ .

* * *

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، كَذَلِكَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حَدَّادٍ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، وَعَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ أَسِيدٍ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ عَلَيْهَا الضُّحَاكُ بْنُ قَيْسٍ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَمْرٍ وَبْنُ غَيْلَانَ .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين

ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك مَشْتَى سُفْيَانِ بْنِ عَوْفٍ الْأَزْدِيِّ بِأَرْضِ الرُّومِ ١٧١/٢
فِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ .

وقال بعضهم : بل الذي كان شَتَا بِأَرْضِ الرُّومِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَمْرُو
ابْنُ مُحَرَّزٍ .

وقال بعضهم : بل الذي شَتَا بِهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ الْفَزَارِيُّ .

وقال بعضهم : بل ذلك مَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .

وفيهَا عَزَلَ مَعَاوِيَةُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ غَيْلَانَ عَنِ الْبَصْرَةِ وَوَلَاهَا
عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ .

* * *

ذكر الخبر عن سبب عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان

وتوليته عبيد الله البصرة

حدثني عمر ، قال : حدثنا الوليد بن هشام وعلي بن محمد - قال : واختلفا

فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ - قَالَا : خُطِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ غَيْلَانَ عَلَى مَنِيرِ

الْبَصْرَةِ ، فَحَصَّبَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ - قَالَ عَمْرٌو : قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : يُدْعَى

جَبْرِ بْنِ الضَّحَّاكِ أَحَدَ بَنِي ضِرَارٍ - فَأَمَرَ بِهِ فَقُطِعَتْ يَدُهُ ، فَقَالَ :

السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالتَّسْلِيمُ خَيْرٌ وَأَعْفَى لِبْنِي تَمِيمٌ

فَأَتَتْهُ بَنُو ضَبَّةَ ، فَقَالُوا : إِنَّ صَاحِبَنَا جَنَى مَا جَنَى عَلَى نَفْسِهِ ، وَقَدْ بَالَغَ

الْأَمِيرُ فِي عَقُوبَتِهِ ، وَنَحْنُ لَا نَأْمَنُ أَنْ يَبْلُغَ خَبْرُهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَيَأْتِي مِنْ

قَبْلِهِ عَقُوبَةٌ تَخْصُ أَوْ تَنْعَمُ ، فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ يَكْتُبَ لَنَا كِتَابًا يَخْرُجُ

به ألدنا إلى أمير المؤمنين يُخبره أنه قطعه على شُبُهة وأمر لم يَصْصَحْ^(١) ، فكتب لهم بعد ذلك إلى معاوية ، فأمسكوا الكتاب حتى بلغ رأس السنة - وقال أبو الحسن : لم يَزِدْ على ستة أشهر - فوجه إلى معاوية ، ووافاه الضَّبَّيُون ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنه قطع صاحبنا ظلمًا ، وهذا كتابه إليك ، وقرأ الكتاب ، فقال : أما القَتَوْد من عمالي فلا يصح ، ولا سبيل إليه ، ولكن إن شتم ودَيْتُ صاحبكم ؛ قالوا : فدِه ؛ فدَاه من بيت المال ، وعَزَلَ عبد الله ، وقال لهم : اختاروا مَنْ تحبون أن أولَى بلكم ؛ قالوا : يتخير لنا أمير المؤمنين ، وقد علم رأى أهل البصرة في ابن عامر ؛ فقال : هل لكم في ابن عامر ؟ فهو مَنْ قد عرفتم في شرفه وعفافه وطهارته ، قالوا : أمير المؤمنين أعلم ، فجعل يُردِّد ذلك عليهم لِيَسْبِرَهُمْ^(٢) ، ثم قال : قد وَلَّيت عليكم ابن أخى عبيد الله بن زياد .

قال عمر : حدثني علي بن محمد ، قال : عَزَلَ معاوية عبد الله بن عمرو وولى عبيد الله بن زياد البصرة في سنة خمس وخمسين وولى عبيد الله أسلم ابن زُرْعَة خُرَاسَان فلم يَغْزُ ولم يفتح بها شيئًا ، وولى شَرْطَه عبد الله بن حصن ، والقضاء زُرَّارَة بن أوفى ثم عَزَلَه ، وولى القضاء ابن أذينة العبدى .

* * *

وفي هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن خالد بن أسيد عن الكوفة وولّاها الضحّاك بن قيس الفهري .

وحجّ بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم ؛ حدثني بذلك أحمد ابن ثابت ، عمن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

(١) ابن الأثير : « يتضح » .

(٢) س : « ليسبرهم » . ويسبرهم : يختبرهم ويمتحنهم .

ثم دخلت سنة ست وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مَشْتَى جُنَادَة بن أبي أمية بأرض الروم؛ وقيل : عبدالرحمن ابن مسعود .

وقيل غزا فيها في البحر يزيد بن شَجَرَة الرَّهَوى ، وفي البرّ عِيَاض ابن الحارث .

* * *

وحجّ بالناس - فيما حدثني أحمد بن ثابت عن حدثه ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبي معشر - الوليد بن عتبة بن أبي سُفْيَان . وفيها اعتَمَرَ معاوية في رجب .

* * *

[ذكر خبر البيعة ليزيد بولاية العهد]

وفيها دعا معاويةُ الناسَ إلى بيعة ابنه يزيدَ من بعده ، وجعله وليّ العهد^(١) . * ذكر السبب في ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عليّ بن محمد ، قال : حدثنا أبو إسما عيل الهمدانيّ وعليّ بن مجاهد ، قالا : قال الشعبيّ : قدِمَ المغيرةُ على معاويةَ واستعفاه وشكا إليه الضّعف ، فأعفاه ، وأراد أن يولّيَ سعيدَ بن العاص ، وبلغ كاتب المغيرة ذلك ، فأتى سعيدَ بن العاص فأخبره وعنده رجل من أهل الكوفة يقال له ربيعة - أو الربيع - من خُرَاعة ، فأتى المغيرة فقال : يا مغيرة ، ما أرى أميرَ المؤمنين إلّا قد قتلاك ، رأيتُ ابنَ خُنَيْس كاتبك عند سعيد ابن العاص يخبره أن أميرَ المؤمنين يولّيهِ الكوفة ، قال المغيرة : أفلا يقول كما قال الأعشى :

(١) س : « عهد » .

١٧٤/٢ أَمْ غَابَ رَبُّكَ فَاعْتَرَنكَ خَصَاصَةٌ وَلَعَلَّ رَبَّكَ أَنْ يَعُودَ مُؤَيَّدًا
رُؤَيْدًا ! ادخُلْ عَلَى يَزِيدَ ؛ فَدْخَلَ عَلَيْهِ فَعَرَّضَ لَهُ بِالْبَيْعَةِ ، فَأَدَّى
ذَلِكَ يَزِيدَ إِلَى أَبِيهِ ، فَرَدَّ مَعَاوِيَةَ الْمَغِيرَةَ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَعْمَلَ فِي بَيْعَةِ
يَزِيدَ ، فَشَخَّصَ الْمَغِيرَةَ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَأَتَاهُ كَاتِبُهُ ابْنُ خُنَيْسٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ
مَا غَشَّشْتُكَ وَلَا خُنْتُكَ ، وَلَا كَرِهْتُ وَلَا يَتُّكَ ، وَلَكِنْ سَعِيدٌ كَانَتْ لَهُ
عِنْدِي يَدٌ وَبَلَاءٌ ، فَشَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَضَعَى عَنْهُ وَأَعَادَهُ إِلَى كِتَابَتِهِ ، وَعَمِلَ
الْمَغِيرَةُ فِي بَيْعَةِ يَزِيدَ ، وَأَوْفَدَ فِي ذَلِكَ وَأَفْدَأَ إِلَى مَعَاوِيَةَ .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيٌّ ، عَنْ مَسْلَمَةَ ، قَالَ : لَمَّا أَرَادَ مَعَاوِيَةَ
أَنْ يَبَايَعَ لِيَزِيدَ كَتَبَ إِلَى زِيَادٍ يَسْتَشِيرُهُ ، فَبَعَثَ زِيَادٌ إِلَى عُبَيْدِ بْنِ كَعْبٍ
الْشَّمِيرِيِّ ، فَقَالَ : إِنَّ لِكُلِّ مُسْتَشِيرٍ ثَقَّةً ، وَلِكُلِّ سِرٍّ مُسْتَوْدَعٌ ، وَإِنَّ النَّاسَ
قَدْ أَبْدَعَتْ^(١) بِهِمْ خَصْلَتَانِ : إِذَاعَةُ السِّرِّ ، وَإِخْرَاجُ النَّصِيحَةِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ،
وَلَيْسَ مَوْضِعُ السِّرِّ إِلَّا أَحَدُ رَجُلَيْنِ : رَجُلٌ آخَرُهُ يَرْجُو ثَوَابًا ، وَرَجُلٌ دُنْيَا
لَهُ شَرَفٌ فِي نَفْسِهِ وَعَقْلٌ يَصُونُ حَسَبَهُ ، وَقَدْ عَجَّئْتُهُمَا مِنْكَ ، فَأَحْمَدْتُ
الَّذِي قَبِلْتُكَ ، وَقَدْ دَعَوْتُكَ لِأَمْرِ اتَّهَمْتُ عَلَيْهِ بَطُونَ الصَّحُفِ ؛ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
كَتَبَ إِلَيَّ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ عَزَمَ عَلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ ، وَهُوَ يَتَخَوَّفُ نَقْرَةَ النَّاسِ ،
وَيَرْجُو مَطَابَقَتَهُمْ ، وَيَسْتَشِيرُنِي ، وَعِلَاقَةُ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَضِمَانُهُ عَظِيمٌ ، وَيَزِيدُ
صَاحِبُ رِسَالَةٍ وَتَهَاوَنَ ، مَعَ مَا قَدْ أُولِعَ بِهِ مِنَ الصَّيْدِ ، فَالِقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مُؤَدِّيًّا عَنِّي ؛ فَأَخْبِرُهُ عَنْ فَعَلَاتِ يَزِيدَ ؛ فَقَالَ لَهُ : رُؤَيْدُكَ بِالْأَمْرِ ،
فَأَقْمِنِ^(٢) أَنْ يَتِمَّ لَكَ مَا تَرِيدُ ، وَلَا تَعْجَلْ فَإِنَّ دَرَكًا فِي تَأْخِيرِ خَيْرٍ
مِنْ تَعْجِيلِ عَاقِبَتِهِ الْفَوْتُ^(٣) . فَقَالَ عُبَيْدُ لَهُ : أَفَلَا غَيْرَ هَذَا ! قَالَ : مَا هُوَ ؟
قَالَ : لَا تُفْسِدْ عَلَى مَعَاوِيَةَ رَأْيَهُ ، وَلَا تَمْقُتْ إِلَيْهِ ابْنَتَهُ ، وَالْقَسَى أَنَا يَزِيدُ
سِرًّا مِنْ مَعَاوِيَةَ فَأَخْبِرْهُ عَنْكَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَشِيرُكَ فِي بَيْعَتِهِ ،

١٧٥/٢

(١) أَبْدَعَتْ بِهِمْ خَصْلَتَانِ ، أَيْ أَضْرَبَهُمْ .

(٢) س : « فَعَلْ » .

(٣) س : « الْمَوْتُ » .

وأنتك تخوفُ خلاف الناس لهناتٍ ينقسمونها عليه ، وأنتك ترى له ترك ما يُنتقمُ عليه ، فيستحكم لأمر المؤمنين الحجة على الناس ، ويسهل لك ما تريد ، فتكون قد نصحت يزيد وأرضيت أمير المؤمنين ؛ فسلمت مما تخاف من علاقة أمر الأمة . فقال زياد : لقد رميت الأمر بحجره ، اشخص على بركة الله ، فإن أصبت فما لا ينكر ، وإن يكن خطأ فغير مستغش^(١) وأبعد بك إن شاء الله من الخطأ ، قال : تقول بما ترى ، ويقضى الله بغيب ما يعلم . فقدم على يزيد فذاكره ذلك . وكتب زياد إلى معاوية يأمره بالتؤدة ، وألا يعجل ، فقبل ذلك معاوية ، وكف يزيد عن كثير مما كان يصنع ، ثم قدم عبيد على زياد فأقطعه قطيعة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا علي ، قال : لما مات زياد دعا معاوية بكتاب فقرأه على الناس باستخلاف يزيد ، إن حدث به حدث الموت فيزيد ولي عهد ، فاستوسق^(٢) له الناس على البيعة ليزيد غير خمسة نفر^(٣) .

فحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عون ، قال : حدثني رجل بنخلة ، قال : بايع الناس ليزيد بن معاوية غير الحسين بن علي وابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عباس ؛ فلما قدم معاوية أرسل إلى الحسين بن علي ، فقال : يا ابن أخي ، قد استوسق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم ؛ يا ابن أخي ، فما إربك إلى الخلاف ؟ قال : أنا أقودهم ! قال : نعم ، أنت تقودهم ؛ قال : فأرسل إليهم ، فإن بايعوا^(٤) كنت رجلاً منهم ، وإلا لم تكن عجلت علي بأمر ؛ قال : وتفعل ؟ قال : نعم ؛ قال : فأخذ عليه ألا يخبر بحدثهم^(٥) أحداً قال : فالتوى عليه ، ثم أعطاه ذلك ، فخرج وقد أقعد له ابن الزبير

(١) س : « غير مستشعر وأعينك » .

(٢) استوسق له الناس : اجتمعوا على رأيه .

(٣) س : « نفر خمسة » .

(٤) س : « بايعوك » .

(٥) س : « يخبرهم » .

رجلاً بالطريق قال : يقول لك أخوك ابن الزبير : ما كان ؟ فلم يزل به حتى استخرج منه شيئاً .

ثم أرسل بعده إلى ابن الزبير ، فقال له : قد استوسق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم ؛ يا بن أخي ! فما إربك إلى الخلاف ؟ قال : أنا أقودهم ! قال : نعم ، أنت تقودهم ؛ قال : فأرسل إليهم فإن بايعوا كنت رجلاً منهم ، وإلا لم تكن عجلاً على بأمر ؛ قال : وتفعل ؟ قال : نعم ؛ قال : فأخذ عليه ألا يخبر بحدثهم أحداً ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، نحن في حرّم الله عز وجل ، وعهد الله سبحانه ثقيل ، فأبى عليه ، وخرج . ثم أرسل بعده إلى ابن عمر فكلّمه بكلام هو أليّن من كلام صاحبه ، فقال : إنني أرهب^(١) أن أدع أمة محمد بعدى كالضأن لا راعى لها ، وقد استوسق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم ، فما إربك إلى الخلاف ! قال : هل لك في أمر يذهب الدم ، ويحقن الدم^(٢) ، وتذكر به حاجتك ؟ قال : وددت ! قال : تبرز سريرك ، ثم أجيء فأبايعك ، على أني أدخل بعدك فيما تجتمع عليه الأمة ، فوالله لو أن الأمة اجتمعت بعدك على عبد حبشي لدخلت فيما تدخل فيه الأمة ؛ قال : وتفعل ؟ قال : نعم ، ثم خرج فأتى منزله فأطبق بابّه ، وجعل الناس يحيثون فلا يأذن لهم . فأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقال : يا بن أبي بكر ، بأية يد أو رجل تُقدّم على معصيتي ! قال : أرجو أن يكون ذلك خيراً لي ؛ فقال : والله لقد هممت أن أقتلك ؛ قال : لو فعلت لأتبعك الله به لعنة في الدنيا ، وأدخلك به في الآخرة النار . قال : ولم يذكر ابن عباس .

* * *

[ذكر عزل ابن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن عثمان]

وكان العامل على المدينة في هذه السنة مروان بن الحكم ، وعلى الكوفة الضحّاك بن قيس ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد ، وعلى خراسان سعيد ابن عثمان .

(١) س : « كرهت » .

(٢) س « الدماء » .

وكان سبب ولايته خراسان ما حدثني عمر ، قال : حدثني علي ، قال : أخبرني محمد بن حفص ، قال : سألت سعيد بن عثمان معاوية أن يستعمله على خراسان ، فقال : إن بها عبيد الله بن زياد ، فقال : أما لقد اصطنعك أبي ورفاك حتى بلغت باصطناعه المدي الذي لا يجاري إليه ولا يسامى ، فما شكرت بلاءه ، ولا جازيته بآلائه ، وقد مت علي هذا - يعني يزيد بن معاوية - وبايعت له ، والله لأننا خير منه أباً وأماً ونفساً ؛ فقال : فقال معاوية : أما بلاء أهلك فقد يحق علي الجزاء به ، وقد كان من شكرى لذلك أني طلبت بدمه حتى تكشف الأمور ، ولست بلائكم لنفسي في التشمير ^(١) ؛ وأما فضل أهلك على أبيه فأبوك والله خير مني وأقرب برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأما فضل أمك على أمه فما ينكر ، امرأة من قریش خير من امرأة من كلب ، وأما فضلك عليه فوالله ما أحب أن الغوطة دحست ^(٢) ليزيد رجالاً مثلك . فقال له يزيد : يا أمير المؤمنين ، ابن عمك ، وأنت أحق من نظر في أمره ، وقد عتب عليك فأعتبه ^(٣) ، قال : فولاه حرب خراسان ، وولى إسحاق ابن طلحة خراجها ، وكان إسحاق ابن خالة معاوية ، أمه أم أبان ابنة عتبة ابن ربيعة ، فلما صار بالرتى مات إسحاق بن طلحة فولى سعيد خراج خراسان وحربها .

حدثني عمر ، قال : حدثني علي ، قال : أخبرنا مسلمة ، قال : خرج سعيد إلى خراسان وخرج معه أوس بن ثعلبة التيمي صاحب قصر أوس ؛ وطلحة ابن عبد الله بن خلف الخزاعي والمهلب بن أبي صفرة وربيعة بن عسل أحد بني عمرو بن يربوع ؛ قال : وكان قوم من الأعراب يقطعون الطريق على الحاج ببطن فلج ، فليل لسعيد : إن ها هنا قوماً يقطعون

(١) س : « نفسي بالتشمير » .

(٢) دحست ، أى ملئت ، وفي اللسان : « وفي حديث جرير أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت مدحوس من الناس » ، أى علوه ؛ وكل شيء ملأته فقد دحسته . وفي ابن الأثير :

« فوالله ما أحب أن الغوطة ملئت رجالاً مثلك » ، والغوطة : اسم مكان واسع في فضاء دمشق وهي إحدى منتزهات الدنيا الأربع .

(٣) أعتبه ، أى أرضاه .

الطريق على الحاجَّ ويُخيفون السبيل ، فلو أخرجتهم معك ! قال : فأخرج قوماً من بني تميم ، منهم مالك بن الرِّيب المازني في فتيان كانوا معه ، وفيهم يقول الراجز (١) :

الله أنجأك من القصيم ومن أبي حردبة الأثيم (٢)
ومن غويث فاتح العُكُوم ومالك سيفه المسموم

١٧٩/٢

قال عليّ : قال مَسْلَمَة : قدم سعيد بن عثمان ، فقطع النهر (٣) إلى سمرقند ، فخرج إليه أهل الصُّغد ، فتوافقوا يوماً إلى الليل ثم انصرفوا من غير قتال ، فقال مالك بن الرِّيب يذم سعيداً :

ما زلت يومَ الصُّغدِ تُرعدُ واقفاً من الجُبْنِ حتى خِفتُ أن تَنَصِّرا
وما كان في عثمانَ شيءٌ عليمته سوى نَسْلِهِ في رهطه حين أدبرا
ولولا بنو حرب لَظَلَّتْ دماؤُكم بُطُونُ العَظايا من كسيرٍ وأعورا

قال : فلما كان الغدُ خرج إليهم سعيد بن عثمان ، وناهضه الصُّغد ، فقاتلهم فهزَمَهم وحصرهم في مدينتهم ، فصالحوه وأعطوه رهناً منهم خمسين غلاماً يكونون في يده من أبناء عظمائهم ، وعبَّرَ فأقام بالترمذ ، ولم يف لهم ، وجاء بالغلمان الرهن معه إلى المدينة .

قال : وقدم سعيد بن عثمان خراسان وأسلم بن زُرعة الكلابي بها من قبيل عبيد الله بن زياد ، فلم يزل أسلم بن زُرعة بها مقيماً حتى كتب إليه عبيد الله بن زياد بعهدده على خراسان الثانية ، فلما قدِم كتابُ عبيد الله على أسلم طرق سعيد بن عثمان ليلاً ، فأسقطتُ جاريةً له غلاماً ، فكان سعيد

١٨٠/٢

(١) الأغاني ١٩ : ١٦٣ (سأسي) .

(٢) قال صاحب الأغاني : « وكان السبب الذي من أجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنه كان يقطع الطريق هو وأصحاب له ، منهم شظاظ ، وهو مولى لبني تميم - وكان أخبثهم - وأبو حردبة أحد بني أئالة بن مازن ، وغويث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة » .

(٣) س : « الترمذ » .

يقول : لأقتلنّ به رجلاً من بني حرب ؛ وقدم على معاوية فشكا أسلم إليه ،
 وغضبت القيسيّة ؛ قال : فدخل همام بن قبيصة التّمريّ فنظر إليه معاوية
 حمراً العينين ، فقال : يا همام ، إنّ عينيك لحمرتان ؛ قال همام : كاننا يومَ
 صفّين أشدّ حمرة ؛ فغمّ معاوية ذلك ، فلما رأى ذلك سعيد كفّ عن أسلم ،
 فأقام أسلم بن زُرعة على خراسانَ والياً لعييد الله بن زياد سنتين .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين

وكان فيها مَشْتَى عبد الله بن قيس بأرض الروم .
وفيها صُرف مروانُ عن المدينة في ذى القعدة في قول الواقدي؛ وقال
غيره : كان مروانُ إليه المدينة في هذه السنة .
وقال الواقدي : استعمل معاويةُ على المدينة حين صَرَف عنها مروانَ
الوليد بن عُتْبَةَ بن أبي سُفْيَانَ .
وكالذي قال الواقدي قال أبو معشر ، حدثني بذلك أحمدُ بن ثابت
الرازى ، عمن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .
وكان العامل على الكوفة في هذه السنة الضحَّاك بن قيس ، وعلى البصرة
عُبَيْد الله بن زياد ، وعلى خراسان سعيد بن عثمان بن عفان .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها نزع معاوية مروان عن المدينة في ذى القعدة في قول أبي معشر ،
وأمر الوليد بن عتبة بن أبي سُفْيَان عليها ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت
عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .
وفيهما غزا مالك بن عبد الله الخثعمي أرض الروم .
وفيهما قتل يزيد بن شجرة في البحر في السفن في قول الواقدي . قال :
ويقال عمرو بن يزيد الجهني ، وكان الذي شتا بأرض الروم ، وقد قيل :
إن الذي غزا في البحر في هذه السنة جُنادة بن أبي أمية .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة بن أبي سُفْيَان ، كذلك حدثني
أحمد بن ثابت عن عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك
قال الواقدي وغيره .

* * *

[عزل الضحّاك عن الكوفة واستعمال عبد الرحمن بن أمّ الحكم]

وفي هذه السنة ولي معاوية الكوفة عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله بن
عثمان بن ربيعة الثقفي ، وهو ابن أمّ الحكم أخت معاوية بن أبي سُفْيَان ،
وعزل عنها الضحّاك بن قيس ، ففي عمله في هذه السنة خرجت الطائفة الذين
كان المغيرة بن علقمة حبسهم في السجن من الخوارج الذين كانوا بايعوا
المستورد بن علقمة ، فظفر بهم فاستودعهم السجن ، فلما مات المغيرة
خرجوا من السجن .

فذكر هشام بن محمد أن أبا مخنف ، حدثه عن عبد الرحمن بن جندب ،
عن عبد الله بن عتبة الغنوي أن حيّان بن ظبيان السلمي جمع إليه
أصحابه ، ثم إنه حمّد الله وأثنى عليه ثم قال لهم : أمّا بعد ، فإن الله عزّ

وجلّ كتب علينا الجهاد ، فنّا من قضى نَحْبَه ، ومنا من يَسْتظر ، وأولئك الأبرار الفائزون بفضلهم ، ومنّ يكنّ منا من ينتظر فهو مِن سَلَفنا القاضين نَحْبَهُم ، السابقين بإحسان ؛ فمن كان منكم يريد الله وثوابه فليَسلك سبيل أصحابه وإخوانه يؤتِه الله ثواب الدنيا وحُسن ثواب الآخرة والله مع المحسنين .

قال معاذ بن جُوَيْن الطائيّ : يا أهل الإسلام ، إنا والله لو علمنا أنّا إذا تركنا جهاد الظلمة وإنكار الجور ، كان لنا به عند الله عذر ، لكان تركه أيسرَ علينا ، وأخفّ من ركوبه ، ولكنّا قد علمنا واستيقنا أنّه لا عذر لنا ، وقد جعل لنا القلوب والأسماع حتى ننكر الظلم ، ونغيّر الجور ، ونجاهد الظالمين ؛ ثم قال : ابسط يَدك نبايعك ، فبايعه وبايعة القوم ، فضرّبا على يد حيّان بن ظَبْيَان ، فبايعوه ، وذلك في إمارة عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفيّ ، وهو ابن أمّ الحَكَم ، وكان على شرطته زائدة بن قدامة الثقفيّ .

ثم إن القوم اجتمعوا بعد ذلك بأيام إلى منزل معاذ بن جوين بن حصين الطائيّ . فقال لهم حيّان بن ظَبْيَان : عبادَ الله ، أشيروا برأيكم ، أين تأمروني أن أخرج ؟ فقال له معاذ : إني أرى أن تسير بنا إلى حلوان حتى ننزلها ، فإنها كورة بين السهل والجبل ، وبين المِصر والشَّعر - يعني بالشَّعر الرّي - فمن كان يرى رأينا من أهل المِصر والشَّعر والجبال والسواد لحق بنا . فقال له حيّان : عدوّك مُعاجلك قبل اجتماع الناس إليك ، لَعَمري لا يتركونكم حتى يجتمعوا إليكم ، ولكن قد رأيت أن أخرج معكم في جانب الكوفة والسَّبْخَة أو زُرارة والحيرة ، ثم نقاتلهم حتى نلحق برَبنا ، فإني والله لقد علمتُ أنّكم لا تقدرون وأنتم دون المائة رجل أن تهزموا عدوّكم ، ولا أن تشتدّ نكايتكم فيهم ؛ ولكن متى علم الله أنّكم قد أجهدتم أنفسكم في جهادِ عدوّه وعدّوكم كان لكم به العذر ، وخرجتم من الإثم . قالوا : رأينا رأيك ، فقال لهم عتريس ابن عُرْقوب أبو سليمان الشيبانيّ : ولكن لا أرى رأيَ جماعتكم ، فانظروا في رأي لكم ، إنني لا إخالكم تَجْهَلون معرفتي بالحرب ، وتجربتي بالأُمور ، فقالوا له : أجَل ، أنت كما ذكرت ، فما رأيك ؟ قال : ما أرى أن تخرجوا على الناس بالمِصر ، إنكم قليل في كثير ، والله ما تريدون على أن تجزروهم أنفسهم ، وتقرّوا أعينهم بقتلكم ، وليس هكذا تكون المكايدة إذْ آثرتُم أن

تَخْرُجُوا عَلَى قَوْمِكُمْ ، فَكَيْدُوا عَدُوَّكُمْ مَا يَضُرُّهُمْ ؛ قَالُوا : فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ :
تَسِيرُونَ إِلَى الْكُورَةِ الَّتِي أَشَارَ بِتَرَوْهَا مُعَاذِ بْنِ جُؤَيْنَ بْنِ حَصِينٍ - يَعْنِي
حُلُوانَ - أَوْ تَسِيرُونَ بَنَّا إِلَى عَيْنِ التَّمْرِ فَتَقِيمُ بِهَا ، فَإِذَا سَمِعَ بَنَّا إِخْوَانَنَا أَتَوْنَا
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَأَوَّبُ ؛ فَقَالَ لَهُ حَيَّانُ بْنُ ظَبْيَانَ : إِنَّكَ وَاللَّهِ لَوْ سَرْتَ بَنَّا
أَنْتَ وَجَمِيعُ أَصْحَابِكَ نَحْوَ أَحَدِ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ مَا أَطْمَأْنَنْتُمْ بِهِ حَتَّى يَلْحَقَ
بَكُمْ خِيولُ أَهْلِ الْمِصْرَ ، فَأَنْتِ تَشْفُونَ أَنْفُسَكُمْ ! فَوَاللَّهِ مَا عِدَّتْكُمْ بِالْكَثِيرَةِ
الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَطْمَعُوا مَعَهَا بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا عَلَى الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ ، فَاخْرُجُوا
بِجَانِبِ مَنْ مِصْرَكُمْ هَذَا فَقَاتِلُوا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ مَنْ خَالَفَ طَاعَةَ اللَّهِ ، وَلَا تَرْبِصُوا ١٨٤/٢
وَلَا تَنْتَظِرُوا فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تَبَادِرُونَ بِذَلِكَ إِلَى الْخِنَةِ ، وَتُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ بِذَلِكَ مِنَ
الْفِتْنَةِ. قَالُوا : أَمَا إِذَا كَانَ لَا بَدَ لَنَا ^(١) فَإِنَّا لَنُخَالَفُكَ ، فَاخْرُجْ حَيْثُ أَحْبَبْتَ .

فَكَثَّ حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ سَنَةِ مِنْ سِنِيِّ ابْنِ أُمِّ الْحَكَمِ فِي أَوَّلِ السَّنَةِ -
وَهُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ - اجْتَمَعَ أَصْحَابُ حَيَّانُ بْنُ ظَبْيَانَ
إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَا قَوْمَ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَمَعَكُمْ لَخَيْرٍ وَعَلَى خَيْرٍ ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ
غَيْرُهُ ^(٢) مَا سَرَرْتُ بِشَيْءٍ قَطُّ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ مَا أَسْلَمْتُ سُرُورِي لِمُخْرَجِي هَذَا
عَلَى الظَّلْمَةِ الْأَثَمَةِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَحَبَّ أَنْ الدُّنْيَا بِحَذَائِفِهَا لِي وَأَنَّ اللَّهَ حَرَمَنِي
فِي مُخْرَجِي هَذَا الشَّهَادَةَ . وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ نَخْرُجَ حَتَّى نَنْزِلَ جَانِبَ دَارِ
جَرِيرٍ ، فَإِذَا خَرَجَ إِلَيْكُمْ الْأَحْزَابُ نَاجِزْتُمُوهُمْ . فَقَالَ عِثْرِيْسُ بْنُ عُرْقُوبٍ
الْبَكْرِيُّ : أَمَّا أَنْ نَقَاتِلَهُمْ فِي جَوْفِ الْمِصْرِ فَإِنَّهُ يَقَاتِلُنَا الرِّجَالُ ، وَتَصْعَدُ
النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانَ وَالْإِمَاءُ فَيُرْمُونَنَا بِالْحِجَارَةِ ؛ فَقَالَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ : انْزِلُوا بَنَّا
إِذَا مِنْ وَرَاءِ الْمِصْرِ الْجَسَرَ - وَهُوَ مَوْضِعُ زُرَّارَةَ ، وَإِنَّمَا بَنِيْتُ زُرَّارَةَ بَعْدَ ذَلِكَ
إِلَّا أَبْيَاتًا سِيرَةً كَانَتْ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ - فَقَالَ لَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جُؤَيْنَ بْنِ حَصِينٍ
الطَّائِي : لَا ، بَلْ سِيرُوا بَنَّا فَلْنَنْزِلْ بَانِقِيًّا فَمَا أَسْرَعَ مَا يَأْتِيكُمْ عَدُوُّكُمْ ، فَإِذَا
كَانَ ذَلِكَ اسْتَقْبَلْنَا الْقَوْمَ بِوُجُوهِنَا ، وَجَعَلْنَا الْبُيُوتَ فِي ظَهْرِنَا ، فَقَاتَلْنَاهُمْ
مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ . فَخَرَجُوا ، فَبُعِثَ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ ، فَقَتَلُوا جَمِيعًا .

(١) س : « ذَلِكَ رَأَيْكَ » .

(٢) س : « لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » .

ثم إن عبد الرحمن بن أمّ الحكم طرده أهل الكوفة ، فحدثت عن هشام ابن محمد ، قال : استعمل معاوية ابن أمّ الحكم على الكوفة فأساء السيرة فيهم ، فطردوه ، فلحق بمعاوية وهو خاله ، فقال له : أولئك خيراً منها ؛ مصرّ ؛ قال : فولّاه ، فتوجه إليها ، وبلغ معاوية بن حديج السكوني الخبر ، فخرج فاستقبله على مَرَحَلَتَيْنِ من مصر ، فقال : ارجع إلى خالك فلعمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة .

قال : فرجع إلى معاوية ، وأقبل معاوية بن حديج وافداً ؛ قال : وكان إذا جاء قلّست له الطريق - يعني ضربت له قباب الریحان - قال : فدخل على معاوية وعنده أمّ الحكم ، فقالت : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : يخ ! هذا معاوية بن حديج ؛ قالت : لا مرحباً به ! تسمع بالمُعِيسِدِيّ خير من أن تراه ؛ فقال : على رسلك يا أمّ الحكم ! أما والله لقد تزوجت فما أكرمت ، وولدت فما أنجبت ، أردت أن يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة ؛ ما كان الله ليُريه ذلك ، ولو فعل ذلك لضربناه ضرباً يطأطي منه ، وإن كره ذلك الجالس . فالتفت إليها معاوية ، فقال : كُفّي .

* * *

[ذكر قتل عروة بن أدية وغيره من الخوارج]

وفي هذه السنة اشتدّ عبيد الله بن زياد على الخوارج ، فقتل منهم صبراً جماعة كثيرة ، وفي الحرب جماعة أخرى ، ومن قتل منهم صبراً عروة بن أدية ، أخو أبي بلال مرداس بن أدية .

* ذكر سبب قتله إيّاهم :

حدثني عمر ، قال : حدثني زهير بن حرب ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عيسى بن عاصم الأسدي ، أن ابن زياد خرج في رهان له ، فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع الناس^(١) وفيهم عروة بن أدية أخو أبي بلال ، فأقبل على ابن زياد فقال : خمس كن

في الأمم قبلنا ، فقد صِرْنَا فِينَا : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ ^(١) . وَخَصَلْتَيْنِ أَخْرِيَيْنِ لَمْ يَحْفَظْهُمَا جَرِيرٌ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ ظَنَّ ابْنُ زِيَادٍ أَنَّهُ لَمْ يَجْتَرِئْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَامَ وَرَكِبَ وَتَرَكَ رِهَانَهُ ، فَقِيلَ لِعُرْوَةَ : مَا صَنَعْتَ ! تَعْلَمَنَّ وَاللَّهِ لَيَقْتُلَنَّكَ . قَالَ : فَتَوَارَى ، فَطَلَبَهُ ابْنُ زِيَادٍ ، فَأَتَى الْكُوفَةَ ، فَأَخَذَ بِهَا ، فَقَدِمَ ^(٢) بِهِ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ ، فَأَمَرَ بِهِ فَقَطَّعَتْ يَدَاهُ وَرَجُلَاهُ ، ثُمَّ دَعَا بِهِ فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى أَنَّكَ أَفْسَدْتَ دُنْيَايَ وَأَفْسَدْتَ آخِرَتَكَ ، فَقَتَلَهُ ، وَأَرْسَلَ إِلَى ابْنَتِهِ فَقَتَلَهَا .

وَأَمَّا مِرْدَاسُ بْنُ أَدِيَّةٍ فَإِنَّهُ خَرَجَ بِالْأَهْوَازِ وَقَدْ كَانَ ابْنُ زِيَادٍ قَبْلَ ذَلِكَ حَبَسَهُ — فِيمَا حَدَّثَنِي عُمَرُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي خَلَادُ بْنُ يَزِيدَ الْبَاهِلِيُّ ، قَالَ : — حَبَسَ ابْنَ زِيَادٍ — فِيمَنْ حَبَسَ — مِرْدَاسُ بْنُ أَدِيَّةٍ ، فَكَانَ السَّجَّانُ يَرَى عِبَادَتَهُ وَاجْتِهَادَهُ ، وَكَانَ يَأْذَنُ لَهُ فِي اللَّيْلِ ، فَيَنْصَرِفُ ، فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ أَتَاهُ حَتَّى يَدْخُلَ السَّجْنَ ، وَكَانَ صَدِيقُ مِرْدَاسٍ يَسَامِرُ ابْنَ زِيَادٍ ، فَذَكَرَ ابْنُ زِيَادٍ الْخَوَارِجَ لَيْلَةً فَعَزَمَ عَلَى قَتْلِهِمْ إِذَا أَصْبَحَ ، فَاذْهَبَ صَدِيقُ مِرْدَاسٍ إِلَى مَتَرٍ مِرْدَاسٍ فَأَخْبَرَهُمْ ، وَقَالَ : أَرْسَلُوا إِلَى أَبِي بَلَالٍ فِي السَّجَنِ فَلْيُعْهَدْ فَإِنَّهُ مَقْتُولٌ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ مِرْدَاسٌ ، وَبَلَغَ الْخَبْرُ صَاحِبَ السَّجَنِ ، فَبَاتَ بَلِيلَةً سَوْءَ إِشْفَاقًا مِنْ أَنْ يَعْلَمَ الْخَبْرَ مِرْدَاسٌ فَلَا يَرْجِعُ ، فَلَمَّا كَانَ الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَرْجِعُ فِيهِ إِذَا بِهِ قَدْ طَلَعَ ، فَقَالَ لَهُ السَّجَّانُ : هَلْ بَلَغَكَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : ثُمَّ غَدَوْتُ ! قَالَ : نَعَمْ ، وَلَمْ يَكُنْ جَزَاؤُكَ مَعَ إِحْسَانِكَ أَنْ تَعَاقَبَ بِسَبِيٍّ ، وَأَصْبَحَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَعَجَّلَ يَقْتُلُ الْخَوَارِجَ ، ثُمَّ دَعَا بِمِرْدَاسٍ ، فَلَمَّا حَضَرَ وَتَبَّ السَّجَّانُ — وَكَانَ ظَهْرًا لِعُبَيْدِ اللَّهِ — فَأَخَذَ بِقَدَمِهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَبْ هَذَا ، وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ ، فَوَهَبَهُ لَهُ وَأَطْلَقَهُ .

حَدَّثَنِي عُمَرُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ ، قَالَ : خَرَجَ

(١) سورة الشعراء: ١٢٨ - ١٣٠ .

(٢) س : « فَأَتَى » .

مِرداس أبو بلال - وهو من بني ربيعة بن حنظلة - في أربعين رجلاً إلى الأهواز ، فبعث إليهم ابنُ زياد جيشاً عليهم ابن حصن التميمي ، فقتلوا في أصحابه وهزموه ، فقال رجلٌ من بني تميم الله بن ثعلبة :

أَلْفَا مُؤْمِنٍ مِنْكُمْ زَعَمْتُ وَيَقْتُلُهُمْ بِأَسْكَ أَرْبَعُونَا^(١)
كَذِبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَا
هِيَ الْفِئَةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ^(٢) عَلَى الْفِئَةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَا

١٨٨/٢ قال عمر : البيت الأخير^(٣) ليس في الحديث ، أنشدني خلاّد بن يزيد الباهلي .

* * *

وقيل : مات^(٤) في هذه السنة عُميرة بن يثرب قاضي البصرة ، واستُقصي مكانه عليها هشامُ بن هُبيرة .

وكان على الكوفة في هذه السنة عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم . وقال بعضهم : كان عليها الضحّاك بن قيس الفِهْرِي ، وعلى البصرة عُبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُريح .

وحجّ بالناس الوليدُ بنُ عُتبة في هذه السنة ، كذلك قال أبو معشر والواقدي .

(١) من أبيات ذكرها ياقوت في ٥٨: ١ ، ونسبها إلى عيسى بن فاتك الحطفي ، أحد بني تميم الله ابن ثعلبة .

(٢) ياقوت : « غير شك » .

(٣) س : « الآخر » .

(٤) س : « هلك » .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مَسْتَسَى عمرو بن مرة الجُهَنِيّ أرض الروم في البر؛ قال الواقدي :
لم يكن عامئذٍ غزوٌ في البحر . وقال غيره : بل غزا في البحر جُنادة بن
أبي أمية .

وفيها عَزِلَ عبدُ الرحمن بن أمّ الحكم عن الكوفة ، واستُعْمِلَ عليها
النعمان بنُ بَشِيرِ الأنصاريّ ؛ وقد ذكرنا قبلُ سببَ عزل ابن أمّ الحكم
عن الكوفة .

* * *

[ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان]

وفي هذه السنة ولّى معاوية عبدَ الرحمن بن زياد بن سُمَيَّةَ خُراسان .

* ذكر سبب استعمال معاوية إِيَّاهُ على خراسان :

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا عليّ بن محمد ، قال : حدثنا
أبو عمرو ، قال : سمعتُ أشياخَنَا يقولون : قدم عبدُ الرحمن بنُ زياد وافداً ١٨٩/٢
على معاوية ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أَمَا لَنَا حَقٌّ ؟ قال : بَلَى ؛ قال :
فإذا تولّيتني ؟ قال : بالكوفة النعمان رشيدٌ ، وهو رجل من أصحاب النبيّ
صلى الله عليه وسلم ، وعبيد الله بن زياد على البصرة وخراسان ، وعباد بن
زياد على سجِسْتان ، ولست أرى عملاً يُشبهك إلا أن أشركَكَ في عمل
أخيك عبيد الله ؛ قال أشركني ، فإنَّ عمله واسع يحتمل الشركة ، فولاه
خراسان .

قال عليّ : وذكر أبو حفص الأزديّ ، قال : حدثني عمر ، قال : قدم علينا
قيسُ بنُ الهيثمِ السُّلَميّ ، وقد وجهه عبد الرحمن بن زياد ، فأخذ أسلم بن

زُرْعَة فحبسه ، ثم قدّم عبد الرحمن ، فأغرّم أسلم بن زُرْعَة ثلثمائة ألف درهم .

قال : وذكر مصعب بن حيان ، عن أخيه مقاتل بن حيان ، قال : قدم عبد الرحمن بن زياد خُرَاسانَ ، فقدم رجلٌ سخيٌّ حريصٌ ضعيفٌ لم يغزُ غزوةً واحدةً ، وقد أقام بخُرَاسان سنتين .

قال عليّ : قال عوانة : قدم عبد الرحمن بن زياد على يزيد بن معاوية من خُرَاسان بعد قتل الحسين عليه السلام ، واستخلف على خُرَاسان قيس ابن الهيثم .

قال : وحدّثني مسلمة^(١) بن محارب وأبو حفص ، قالا : قال يزيد لعبد الرحمن ابن زياد : كم قدمت به معك من المال من خُرَاسان ؟ قال : عشرين ألف ألف درهم ؛ قال : إن شئتَ حاسبناك وقبضناها منك ، ورددناك على عملك ، وإن شئتَ سوّغناك وعزّكناك ، وتعطى عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم ؛ قال : بل تسوّغني ما قلت ، ويُسّتعمل عليها غيري . وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم ، وقال : خمسمائة ألف من قبل أمير المؤمنين ، وخمسمائة ألف^(٢) من قبلي .

١٩٠/٢

* * *

[ذكر وفود عبيد الله بن زياد على معاوية]

وفي هذه السنة وفّد عبيد الله بن زياد على معاوية في أشرف أهل البصرة ، فعزله عن البصرة ، ثم رّده عليها وجدّد له الولاية .
* ذكر من قال ذلك^(٣) :

حدّثني عمر ، قال : حدّثني عليّ ، قال : وفد عبيد الله بن زياد في أهل العراق إلى معاوية فقال له : ائذنْ لوفدك عليّ^(٤) منازلهم وشرفهم ، فأذن لهم ،

(١) ط : « مسلم » ، وانظر الفهرس .

(٢) س : « ألف درهم » .

(٣) كذا في س ، وفي ط : « ذكر ذلك » .

(٤) س : « في منازلهم » .

ودخل الأحنفُ في آخرهم ، وكان سَيِّئُ المَرتلة من عُبَيْدِ الله ، فلما نظر إليه معاويةُ رَحَّبَ به ، وأجلسه معه على سريره ، ثم تكلم القومُ فأحسنوا الثناءَ على عبيدِ الله ، والأحنفُ ساكت ، فقال : مالِكُ يا أبا بَحرٍ لا تتكلم ! قال : إن تكلمتُ خالفتُ القومَ . فقال : انهضوا فقد عزلته عنكم ، واطلبوا والياً ترضونه ، فلم يَبَقْ في القوم أحدٌ إلا أتى رجلاً من بني أمية أو من أشرف أهل الشام ، كلَّهم يطلب ، وقعد الأحنفُ في منزله ، فلم يأت أحدًا ، فلبثوا أيامًا ، ثم بعث إليهم معاوية فجمعهم ، فلما دخلوا عليه قال : مَنْ اخترم ؟ فاختلفتُ كلمتهم ، وسمي كلَّ فريق منهم رجلاً والأحنفُ ساكتٌ ، فقال له معاوية : مالِكُ يا أبا بحر لا تتكلم ! قال : إن وليت علينا أحدًا من أهل بيتك لم نعدل بعُبيدِ الله أحدًا ، وإن وليت من غيرهم فانظر في ذلك ، قال معاوية : فلاني قد أعدته عليكم ، ثم أوصاه بالأحنف ، وقبَّح رأيه في مباحثته ، فلما هاجت الفتنة لم يفِ لعبيدِ الله غيرُ الأحنف .

* * *

[ذكر هجاء يزيد بن مفرغ الحميري بن زياد]

وفي هذه السنة كان ما كان من أمر يزيد بن مفرغ الحميري وعباد بن زياد وهجاء يزيد بن زياد .

* ذكر سبب ذلك :

حدثت عن أبي عبيدة مَعمر بن المثنى أن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري كان مع عباد بن زياد بسجستان ، فاشتغل عنه بحرب الترك ، فاستبطأه ، فأصاب الجند مع عباد ضيقٌ في أعلاف دوابهم ، فقال ابن مفرغ :

أَلَا لَيْتَ اللَّحَى عَادَتْ حَشِيشًا فنَعْلِفَهَا خِيُولَ الْمُسْلِمِينَ^(١) !

وكان عباد بن زياد عظيمَ اللحية ، فأنهَى شِعْرَهُ إلى عباد ؛ وقيل : ما أراد غيرك ، فطلبه عباد ، فهرب منه ، وهجاه بقصائد كثيرة ، فكان مما هجاه به قوله :

إِذَا أَوْدَى مُعَاوِيَةَ بْنُ حَرْبٍ فَبَشَّرَ شُعْبَ قَعْبِكَ بَانْصِدَاعٍ^(١)
 فَاشْهَدُ أَنَّ أَمْلَكَ لَمْ تُبَاشِرْ أَبَا سُفْيَانَ وَاضْعَةَ الْقِنَاعِ
 وَلَكِنْ كَانَ أَمْرًا فِيهِ لَبْسٌ عَلَى وَجَلٍ شَدِيدٍ وَارْتِبَاعِ

وقوله :

أَلَا أَبْلَغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ مُغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الْيَمَانِيِّ^(٢)
 أَتَغْضِبُ أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ عَفٌّ وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ زَانٍ !
 فَاشْهَدُ أَنَّ رِحْمَكَ مِنْ زِيَادٍ كَرِحْمِ الْفِيلِ مِنْ وَلَدِ الْأَتَانِ

١٩٢/٢

فحدثني أبو زيد، قال: لما هجا ابن المفرغ عبّاداً فارقه مقبلاً إلى البصرة، وعيّد الله يومئذ وافدٌ على معاوية، فكتب عبّاد إلى عبيد الله ببعض ما هجاه به، فلما قرأ عبيد الله الشعر دخل على معاوية فأنشده إياه، واستأذنه في قتل ابن مفرغ، فأبى عليه أن يقتله، وقال: أدّب به ولا تبلغ به القتل، وقدم ابن مفرغ البصرة، فاستجار بالأحنف بن قيس، فقال: إنا لا نجير على ابن سمية، فإن شئت كفيتك شعراء بني تميم؛ قال: ذلك ما لا أبالي أن أكفاه، فأتى خالد بن عبد الله فوعده، وأتى أمية فوعده، ثم أتى عمر بن عبيد الله بن معمر فوعده، ثم أتى المنذر بن الحارود فأجاره، وأدخله داره، وكانت بحريّة بنت المنذر عند عبيد الله، فلما قدم عبيد الله البصرة أخبر بمكان ابن مفرغ عند المنذر، وأتى المنذر عبيد الله مسلماً، فأرسل عبيد الله الشرط إلى دار المنذر، فأخذوا ابن مفرغ، فلم يشعر المنذر وهو عند عبيد الله إلا بابن مفرغ قد أقيم على رأسه، فقام إلى عبيد الله وقال: أيتها الأمير، إني قد أجزته، قال: والله يا منذر ليمدحك وأباك ويهجوني أنا وأبى، ثم تجيره على! فأمر به فسقى دواءً، ثم حُمِلَ على حمار عليه إكافٌ فجعل يطاف به وهو يسألح.

(١) الأغاني ١٧ : ٥٧ (سامي).

(٢) الأغاني ١٧ : ٦٠ (سامي).

في ثيابه ، فيُمرّ به في الأسواق ، فرّ به فارسيّ فرّاه ، فسأل عنه ، فقال : أين ١٩٣/٢
جيسٓ (١) ؟ ففهمها ابنُ مفرّغ ، فقال (٢) :

آبِ اسْتِ نَبِيذِ اسْتِ عَصَارَاتِ زَبِيبِ اسْتِ
* سَمِيَّةٌ رُوسِيْدِ اسْتِ* (٣)

ثم هجا المنذر ابن الجارود :

تَرَكْتُ قُرَيْشًا أَنْ أَجَاوَرَ فِيهِمْ وَجَاوَزْتُ عَبْدَ الْقَيْسِ أَهْلَ الْمُشَقَّرِ (٤)
أَنَاسُ أَجَارُونَا فَكَانَ جَوَارُهُمْ أَعَاصِيرَ مَنْ فَسَوِ الْعِرَاقِ الْمُبْدَّرِ (٥)
فَأَصْبَحَ جَارِي مِنْ جُذَيْمَةٍ نَانِمًا وَلَا يَمْنَعُ الْجِرَانَ غَيْرُ الْمُشْمَرِ

وقال لعبيد الله :

يَغْسِلُ الْمَاءُ مَا صَنَعْتَ وَقَوْلِي رَاسِخُ مِنْكَ فِي الْعِظَامِ الْبَوَالِي (٦)

ثم حمّله عبّيد الله إلى عبّاد بسجستان ، فكلّمت البائية فيه بالشأم معاوية ،
فأرسل رسولاً إلى عبّاد ، فحمل ابن مفرّغ من عنده حتى قدّم على معاوية ،
فقال في طريقه :

عَدَسٌ مَالِ عِبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ نَجَوْتُ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ (٧)
لَعَمْرِي لَقَدْ نَجَاكَ مِنْ هُوَةِ الرَّدَى إِمَامٌ وَحَبْلٌ لِلْأَنَامِ وَثِيقُ

(١) أين جيسٓ ؟ بالفارسية معناها : « هذا ماذا ؟ » .

(٢) وردت هذه الأبيات الفارسية في الشعر والشعراء ٣٢٠ والبيان والتبيين ١ : ١٤٣ ،

والأغاني ١٧ : ٥١ ، والخزافة ٢١٠ .

(٣) آب : ماء . است فعل من أفعال الكينونة بالفارسية ، أراد أن النبيذ ماهو إلا ماء ، هو
عصارات الزبيب . سمية هي أم زياد بن أبيه . وروسيد ، أي مشهورة .

(٤) الأغاني ١٧ : ٥٧ .

(٥) الأغاني : « المشذر » .

(٦) من قصيدة طويلة في الأغاني ١٧ : ٥٧ ، ٥٨ :

(٧) الأغاني ١٧ : ٦٠ ، والشعر والشعراء ٣٢٤ مع اختلاف في الرواية . عدس : كلمة

سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حُسْنِ نِعْمَةٍ وَمِثْلِي بِشُكْرِ الْمُنْعِمِينَ حَقِيقُ ١٩٤/٢

فلما دخل على معاوية بكى، وقال: رُكِبَ مِنِّي مَا لَمْ يُرَكَّبْ مِنْ مُسْلِمٍ عَلَى غَيْرِ حَدَثٍ وَلَا جَرِيرَةٍ ! قَالَ : أَوَلَسْتَ الْقَاتِلَ :

أَلَا أَبْلَغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ مُغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجْلِ الْيَمَانِي !
القصيدة - قَالَ : لَا وَالَّذِي عَظَّمَ حَقَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا قُلْتُ هَذَا ؛ قَالَ :
أَفْلَمْ تَقُلْ :

فَأَشْهَدُ أَنَّ أَمْرَكَ لَمْ تُبَاشِرْ أَبَا سُفْيَانَ وَاضْعَةَ الْقِنَاعِ ^(١)

في أشعار كثيرة هجوت بها ابن زياد ! اذهب فقد عفونا لك عن جرْمِكَ ،
أما لو إيانا تعامل لم يكن مما كان شيء ، فانطلق ؛ وفي أي أرض شئت فانزل .
فنزّل المَوْصِلَ ، ثُمَّ إِنَّهُ ارْتَاحَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَقَدَمَهَا ، وَدَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ
فَأَمَنَهُ .

وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ فَإِنَّهُ قَالَ فِي نَزْوِلِ ابْنِ مَفْرَغٍ الْمَوْصِلَ عَنْ الَّذِي أَخْبَرَنِي
بِهِ أَبُو زَيْدٍ ، قَالَ : ذَكَرَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا قَالَ لَهُ : أَلَسْتَ الْقَاتِلَ :

أَلَا أَبْلَغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ مُغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجْلِ الْيَمَانِي

الآيات ، حَكَّفَ ابْنُ مَفْرَغٍ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْهُ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ
الْحَكَمِ أَخُو مَرْوَانَ ، وَاتَّخَذَنِي ذَرِيعَةً إِلَى هِجَاءِ زِيَادٍ ، وَكَانَ عَتَبَ عَلَيْهِ قَبْلَ
ذَلِكَ ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمِّ الْحَكَمِ وَحَرَمَهُ عَطَاءَهُ ، حَتَّى
أَضْرَبَهُ ، فَكُلَّمْ فِيهِ ، فَقَالَ : لَا أَرْضَى عَنْهُ حَتَّى يَرْضَى عُبَيْدُ اللَّهِ ؛ فَقَدَمَ
الْعِرَاقَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَهُ :

لَأَنْتَ زِيَادَةٌ فِي آلِ حَرْبٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِحْدَى بَنَاتِي ١٩٥/٢
أَرَاكَ أَخًا وَعَمًّا وَأَبْنَ عَمٍّ وَلَا أَدْرِي بِغَيْبٍ مَا تَرَانِي

(١) الأغاني ١٧ : ٦٨ ، الشعر والشعراء ٣٢٢ .

(٢) الأغاني ١٧ : ٦٠ (ساسي) .

فقال : أراك والله شاعرَ سَوءٍ ! فرضى عنه ، فقال معاوية لابن مفرغ :
ألست القائل :

فَأَشْهَدُ أَنَّ أَمْلَكَ لَمْ تُبَاشِرْ أَبَا سُفْيَانَ وَاضْعَةَ الْقِنَاعِ
الأيّيات ! لا تعودنَ إلى مثلها ، عَفَوْنَا عَنْكَ . فأقبل حتى نزل الموصلَ ،
فتزوج امرأةً ، فلما كان في ليلةٍ بِنائها خرج حين أصبح إلى الصيد ، فلقى
ذَهَانًا أو عَطَّارًا على حماره ، فقال له ابن مفرغ : من أين أقبلت ؟ قال :
من الأهواز ؛ قال : وما فعل ماءُ مسرُفانَ ؟ قال : على حاله ؛ قال : فخرج
ابن مفرغ فتوجه قبيلَ البصرة ، ولم يُعلمِ أهلَه بمسيره ، ومضى حتى قدم على
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بالبصرة ، فدخل عليه فأمنه ، ومكث عنده حتى استأذنه
في الخروج إلى كَرْمَانَ ، فأذن له في ذلك ، وكتب إلى عامله هنالك بالوَصَاةِ
والإكرام له ، فخرج إليها . وكان عامل عُبَيْدِ اللَّهِ يومئذ على كَرْمَانَ شريكُ
ابنِ الْأَعُورِ الْحَارِثِيِّ .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سُفْيَانَ ، حدثني
بذلك أحمد بن ثابت ، عَمَّنْ حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ،
وكذلك قال الواقدي وغيره .

وكان الوالى على المدينة الوليدُ بن عُتْبَةَ بن أبي سُفْيَانَ ، وعلى الكوفة
النعمان بن بَشِيرٍ ، وعلى قضائها شُرَيْحٌ ، وعلى البصرة عُبَيْدِ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ،
وعلى قضائها هشامُ بن هُبَيْرَةَ ، وعلى خُرَاسَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زِيَادٍ ، وعلى
سَجِسْتَانَ عَبَّادُ بْنُ زِيَادٍ ، وعلى كَرْمَانَ شريكُ بْنُ الْأَعُورِ مِنْ قِبَلِ
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ .

ثم دخلت سنة ستين ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة كانت غزوة مالك بن عبد الله سُورِيَّة ودخولُ جُنَادَةَ ابن أبي أمية رودس ، وهدمه مدينتها ، في قول الواقدي .

* * *

[ذكر عهد معاوية لابنه يزيد]

وفيهما كان أخذ معاوية على الوفد الذين وفدوا إليه ^(١) مع عبيد الله بن زياد البيعة لابنه يزيد ، وعهد إلى ابنه يزيد حين مرض فيها ما عهد إليه في النفر الذين امتنعوا من البيعة ليزيد حين دعاهم إلى البيعة .

وكان عهدُ الذي عهد ، ماذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخزومة ؛ أن معاوية لما مَرَضَ مرضته التي ^(٢) هلك فيها دعا يزيد ابنه ، فقال : يا بني ، إني قد كَفَيْتَكَ الرَّحْلَةَ ^(٣) ، والترحال ، ووطأت لك الأشياء ، وذلت لك الأعداء ، وأخضعت لك أعناق العرب ، وجمعت لك من جمع واحد ^(٤) ، وإني لا أتخوف أن ينازلك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش : الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ؛ فأما عبد الله بن عمر فرجلٌ قد وقَّدتَه العبادة ، وإذا لم يبق أحدٌ غيره بايعك ، وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يُخْرِجوه ، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإن له رَحِمًا ماسَّةً وحققًا عظيمًا ؛ وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئًا صنع مثلهم ، ليس له همة إلا في النساء واللهو ، وأما الذي يَجِثُّم لك جثوم الأسد ، ويراوغك مراوغة ^(٥)

١٩٢/٢

(١) س : « عليه » . (٢) س : « مرضه الذي » .

(٣) س : « الرجال » . كتاب المعمرين : « الترحال »

(٤) س : « جميع » ؛ ابن الأثير : « جمعت لك ما لم يجمعه أحد » . (٥) س : « روغان » .

الثعلب ، فإذا أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فإن هو فعلها بك فقد رت عليه فقطعه إرباً إرباً (١) .

قال هشام : قال عوانة : قد سمعنا في حديث آخر أن معاوية لما حضره الموت - وذلك في سنة ستين - وكان يزيد غائباً ، فدعا بالضحاك (٢) بن قيس الفهري - وكان صاحب شرطته - ومسلم بن عقبة المري ، فأوصى إليهما فقال : بلغا يزيد وصيتي ، انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك ، فأكرم من قدم عليك منهم ، وتعاهد من غاب ، وانظر أهل العراق ، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل ، فإن عزل عامل أحب إلى من أن تشهر عليك مائة ألف سيف ، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك ، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم ، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم ؛ وإن لست أخاف من قريش إلا ثلاثة : حسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله ابن الزبير ، فأما ابن عمر فرجل قد وقده الدين ، فليس ملتمساً شيئاً قبلك ، وأما الحسين بن علي فإنه رجل خفيف ، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه ، وخذل أخاه ، وإن له رحماً ماسة ، وحقاً عظيماً ، وقربة من محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فإن قدرت عليه فاصفح عنه ، فإنني لو أني صاحبه عفوت عنه ، وأما ابن الزبير فإنه خب ضب ، فإذا شخّص لك فالبد له ، إلا أن يلتمس منك صلحاً ، فإن فعل فاقبل ، واحقن دماء قومك ما استطعت (٣) .

* * *

[ذكر وفاة معاوية بن أبي سفيان]

وفي هذه السنة هلك معاوية بن أبي سفيان بدمشق ، فاختلف في وقت وفاته بعد إجماع جميعهم على أن هلاكه كان في سنة ستين من الهجرة ،

(١) الخبر في كتاب المعمرين لأبي حاتم ١٥٥ .

(٢) س : « الضحاك » .

(٣) كتاب المعمرين ١٥٥ ، ١٥٦ .

وفي رجب منها ، فقال هشام بن محمد : مات معاويةٌ لهُلالِ رجب من سنة ستين .

وقال الواقدي : مات معاويةٌ للنّصف من رجب .

وقال عليّ بن محمّد : مات معاويةٌ بدمشق سنة ستين يوم الخميس لثمانٍ بقين من رجب ؛ حدّثني بذلك الحارث عنه .

* * *

ذكر الخبر عن مدة ملكه

حدّثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدّثني مَن سمع إسحاق بن عيسى يذكر عن أبي معشر ، قال : بويع لمعاوية بأذُرُحَ ، بايعه الحسنُ بنُ عليّ في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، وتوفّي معاوية في رجب سنة ستين ، وكانت خلافته تسعَ عشرة سنةً وثلاثة أشهر .

وحدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني يحيى بن سعيد بن دينار السعديّ ، عن أبيه ، قالوا : توفي معاوية ليلة الخميس للنّصف من رجب سنة ستين ، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً .

١٩٩/٢

وحدّثني عمر ، قال : حدّثنا عليّ ، قال : بايع أهل الشام معاوية بالخلافة في سنة سبع وثلاثين في ذى القعدة حين تفرّق الحكّمان ، وكانوا قبلُ بايعوه على الطلب بدم عُثمان ، ثمّ صالحه الحسنُ بنُ عليّ ، وسلم له الأمر سنة إحدى وأربعين ، لحمس بقين من شهر ربيع الأوّل ، فبايع الناس جميعاً معاوية ، فقبل : عام الجماعة ؛ ومات بدمشق سنة ستين ، يوم الخميس لثمانٍ بقين من رجب . وكانت ولايته تسعَ عشرة سنةً وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً .

قال : ويقال : كان بين موت عليّ عليه السلام وموت معاوية تسعَ عشرة سنةً وعشرة أشهر وثلاث ليالٍ .

وقال هشام بن محمد : بويع لمعاوية بالخلافة في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، فولى تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر إلا أياماً ، ثم مات لمُلال رجب من سنة ستين .

* * *

[ذكر مدة عمره]

واختَلَفُوا في مدة عمره ، وكم عاش ؟ فقال بعضهم : مات يوم مات وهو ابن خمسٍ وسبعين سنة .
* ذكر من قال ذلك :

حدثني عمر ، قال : حدثنا محمد بن يحيى ، قال : أخبرني هشام بن الوليد ، قال : قال ابن شهاب الزهري : سألت الوليد عن أعمار الخلفاء ، فأخبرته أن معاوية مات وهو ابن خمس وسبعين سنة ؛ فقال : بَخٍ ! إن هذا لَعُمُر .

وقال آخرون : مات وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .
* ذكر من قال ذلك :

حدثني عمر ، قال : حدثني أحمد بن زهير قال : قال علي بن محمد : مات معاوية وهو ابن ثلاث وسبعين ؛ قال : ويقال ابن ثمانين سنة .
٢٠٠/٢

وقال آخرون : توفي وهو ابن ثمان وسبعين سنة .
* ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني يحيى بن سعيد بن دينار ، عن أبيه ، قال : توفي معاوية وهو ابن ثمان وسبعين سنة .

وقال آخرون : توفي وهو ابن خمس وثمانين سنة ، حدثتُ بذلك عن هشام بن محمد أنه كان يقوله عن أبيه .

* * *

[ذكر العلة التي كانت فيها وفاته]

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا أبو عبيدة ، عن أبي يعقوب الثقفي ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : لما ثقل معاوية وحدّث الناس أنه الموت ، قال لأهله : احشوا عيني إثمداً ، وأوسعوا رأسي دهنًا ، ففعلوا ، وبرقوا وجهه بالدهن ، ثم مهّد له ، فجلس وقال : أسندوني ، ثم قال : ائذنوا للناس فليسلموا قياماً ، ولا يجلس أحد ، فجعل الرجل يدخل فيسلم قائماً فيراه مكتحلاً مدّهنًا فيقول : يقول الناس : هو لمّا به ، وهو أصبح الناس ، فلما خرجوا من عنده قال معاوية :

وتجلّدِي للشامتين أريهم أني ليريب الدهر لا أتضعع^(١)
وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفت كل تميّة لا تنفع

٢٠١/٢

قال : وكان به التفات^(٢) ، فمات من يومه ذلك .

حدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، عن إسحاق بن أيوب ، عن عبد الملك بن ميناك الكلبي ، قال : قال معاوية ، لابنته في مرضه الذي مات فيه وهما تغلبانه : تغلبان حولاً قلباً ، جمع المال من شُب إلى دُب^(٣) إن لم يدخل النار ، ثم تمثّل :

لقد سعيّت لكم من سعي ذي نصب وقد كفيتكم التطواف والرحل^(٤)

ويقال : « من جمع ذي حسب » .

حدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن سليمان بن أيوب ، عن الأوزاعي وعلي بن مجاهد ، عن عبد الأعلى بن ميمون ، عن أبيه ؛ أن معاوية قال في

(١) لأبي ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ٣٨ .

(٢) ابن الأثير : « التفات » .

(٣) من شب إلى دب ؛ أي من جمعت لدن شبيت إلى أن دببت على العصا ؛ وأصل المثل « أعيتني من شب إلى دب » . وانظر اللسان (شب) .

(٤) كتاب المعمرين ١٥٩ ، وروايته : « وقد كفيتكم الترحال والنصبا » .

مرضه الذى مات فيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسانى قميصاً فرفعته .
 وقلم أظفاره يوماً ، فأخذتُ قُلامته فجعلتها فى قارورة ، فإذا مات فألبسنى
 ذلك القميص ، وقطعوا تلك القُلامة ، واسحقوها وذروها فى عيني ، وفى فى ،
 فعسى الله أن يرحمنى ببركتها ! ثم قال متمثلاً بشعر الأشهب بن رُميلة
 النهشلى يمدح به القُباع ^(١) :

إذا مُتَّ ماتَ الجودُ وانقطعَ الندى من الناس إلا من قليلٍ مَصْرَدٍ
 ورُدَّتْ أكفُّ السائلينَ وأمسكوا من الدينِ والدنيا بخلفٍ مُجْدَدٍ

فقال إحدى بناته - أُوغیرها : كلاً يا أمير المؤمنين ، بل يدفع الله عنك ؛ ٢٠٢/٢
 فقال متمثلاً :

وإذا المنيّة أنشبتْ أظفارها أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ

ثم أغمى عليه ، ثم أفاق ، فقال : لمن حضره من أهله : اتقوا الله عز
 وجل ، فإن الله سبحانه يقي من اتقاه ، ولا واقٍ لمن لا يتقى الله ؛ ثم قضى .
 حدثنا أحمد ، عن على ، عن محمد بن الحكم ، عمن حدثه أن معاوية
 لما حضر أوصى بنصف ماله أن يُردَّ إلى بيت المال ، كان ^(٢) أراد أن يطيب
 له الباقي ، لأن عمر قاسم عمّاله .

* * *

ذكر الخبر عمن صلى على معاوية حين مات

حدثني أحمد بن زهير ، عن على بن محمد ، قال : صلى على معاوية
 الضحّاك بن قيس الفهرى ، وكان يزيد غائباً حين مات معاوية .

وحدثت عن هشام بن محمد ، عن أبى مخنف ، قال : حدثني عبد الملك
 ابن نوفل بن مُساحق بن عبد الله بن مخرمة ، قال : لما مات معاوية خرج

(١) هو الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المعروف بالقُباع ، وانظر الكامل ٣ : ٣٠٧ .

(٢) ابن الأثير : « كأنه » .

الضحاك بن قيس حتى صعد المنبر وأكفان معاوية على يديه^(١) تلوح ،
فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن معاوية كان عود العرب ، وحد العرب ،
قطع الله عز وجل به الفتنة ، وملكه على العباد ، وفتح به البلاد . ألا إنه
قد مات ، فهذه أكفانه ، فنحن مدبر جوه فيها ، ومدخلوه قبره ، ومخلون
بينه وبين عمله ، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة ، فمن كان منكم يريد أن
يشهده فليحضر عند الأولى . وبعث البريد^(٢) إلى يزيد بوجع معاوية ،
فقال يزيد في ذلك :

٢٠٢/٢

جاء البريد بقرطاس يحب به
قلنا : لك الويل ماذا في كتابكم ؟
فمادت الأرض أو كادت تميد بنا
من لا تزل نفسه توفى على شرف
لما انتهينا وباب الدار منصفق
فأوجس القلب من قرطاسه فرعا^(٣)
قالوا : الخليفة أمسي مثبنا وجعا
كان أغبر من أركانها انقطعا
توشك مقاليد تلك النفس أن تقعا
وصوت رملة ريع القلب فانصدعا

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي ، عن إسحاق بن خلّيد ، عن خليل
ابن عجلان مولى عباد ، قال : مات معاوية ويزيد بجوارين ، وكانوا كتبوا
إليه حين مرض ، فأقبل وقد دفين ، فأقبره فصلى عليه ، ودعا له ، ثم أتى
منزله ، فقال : « جاء البريد بقرطاس ... » الآيات .

* * *

ذكر الخبر عن نسبه وكنيته

أما نسبه فإنه ابن أبي سفيان ، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن
أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، وأمه هند بنت عتبة
ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وكنيته أبو عبد الرحمن .

٢٠٤/٢

(١) س : « على يده » .

(٢) في المعمرين : « بعد الظهر » .

(٣) الأغاني ١٦ : ٣٣ (ساسي) ، والمعمرين ١٥٧ .

ذكر نسائه وولده

من نسائه مَيْسُون بنت بَحْدَل بن أنَيْف بن وَلَجَة بن قُنافة بن عديّ
ابن زهير بن حارثة بن جناب الكلبيّ ، ولدت له يزيد بن معاوية . قال عليّ :
ولدت ميسون لمعاوية مع يزيد أمة - ربّ المشارق - فماتت صغيرة ، ولم يذكرها
هشام في أولاد معاوية .

ومنهنّ فاختة ابنة قَرْظَة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . ولدت
له عبد الرحمن وعبد الله بنى معاوية ، وكان عبد الله محمّقاّ ضعيفاً ، وكان
يُكْتَبى أبا الخير . حدّثني أحمد ، عن عليّ بن محمد ، قال : مرّ عبد الله بن معاوية يوماً
بطحّان قد شدّ بغلّه في الرّحا للطحن ، وجعل في عنقه جلاجل ، فقال له :
لِمَ جعلتَ في عنق بغلك هذه الجلاجل ؟ فقال الطحّان : جعلتها في عنقه
لأعلمَ إنْ قد قام فلم تَدُر الرّحا ، فقال له : أرايتَ إن هو قام وحرك رأسه
كيف تعلم أنه لا يدير الرّحا ؟ فقال له الطحّان : إن بغلي هذا - أصلح الله
الأمير - ليس له عقْلٌ مثل عقل الأمير ! وأما عبد الرحمن فإنه مات صغيراً .

ومنهنّ نائلة بنت عمارة الكلبيّة ، تزوّجها ؛ فحدّثني أحمد ، عن عليّ
قال : لما تزوج معاوية نائلة قال لميسون : انطلقى فانظري إلى ابنة عمك ،
فنظرت إليها ، فقال : كيف رأيتهَا ؟ فقالت : جميلة كاملة ، ولكن رأيت
تحت سرّتها خالاً ليوضعنّ رأس زوجها في حجّرها ، فطلّقها معاوية ،
فتزوّجها حبيب بن مسلمة الفهريّ ، ثم خلف عليها بعد حبيب النعمان بن
بشير الأنصاريّ ، فقتل ، ووضع رأسه في حجّرها .
ومنهنّ كَثَوَة بنت قرظة اخت فاختة ، فغزا قُبُرُس وهي معه ، فماتت
هنالك .

* * *

ذكر بعض ما حضرنا من ذكر أخباره وسيره

حدّثني أحمد بن زهير ، عن عليّ ، قال : لما بويع لمعاوية بالخلافة صير

× على شرطته قيس بن حمزة الهمداني ، ثم عزله ، واستعمل زُمَيْل^(١) بن عمرو العُذْرِيّ - ويقال السَّكْسَكِيّ . وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون بن منصور الرومي ، وعلى حرسه رجلٌ من الموالى يقال له المختار ؛ وقيل : رجل يقال له مالك ، ويكنى أبا المخارق ، مولّى لحمير . وكان أوّل مَنْ اتخذ الحرس . وكان على حجّابه سعد مولاة ، وعلى القضاء فضالة بن عبيد الأنصاريّ ، فمات فاستقضى أبا إدريس عائذ الله بن عبد الله الحولانيّ . إلى هاهنا حديث أحمد ، عن علي .

٢٠٦/٢

وقال غير عليّ : وكان علي ديوان الخاتم عبد الله بن محصن الحميريّ ، وكان أوّل من اتخذ ديوان الخاتم . قال : وكان سبب ذلك أن معاوية أمر لعمر بن الزبير في معونته وقضاء دينه بمائة ألف درهم ، وكتب بذلك إلى زياد بن سُمَيّة وهو على العراق ، ففرض عمرو الكتاب وصير المائة مائتين ، فلما رفع^(٢) زياد حسابَه أنكرها معاوية ، فأخذ عمرًا بردّها وحبسها ، فأدّاها عنه أخوه عبد الله بن الزبير ، فأحدث معاوية عند ذلك ديوان الخاتم وخزّم الكتب ، ولم تكن تُخزّم .

حدثني عبد الله بن أحمد بن شَبَّوَيْه ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله بن المبارك ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبريّ ، قال : قال عمر بن الخطاب : تذكرون كسرى وقيصراً ودهاءهما وعندكم معاوية !

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : قرأت على عبد الله ، عن فليح ، قال : أخبرت أن عمرو ابن العاص وفد إلى معاوية ومعه أهل مصر ، فقال لهم عمرو : انظروا ، إذا دخلتم على ابن هند فلا تُسلموا عليه بالخلافة ، فإنه أعظم لكم في عينه ، وصغروه ما استطعتم . فلما قدموا عليه قال معاوية لحجّابه : إني كأني أعرف ابن النابغة وقد صغّر أمرى عند القوم ، فانظروا إذا دخل الوفد فتعصّبوا^(٣) أشدّ تعصّبة

(٢) س : « بلغ » .

(١) ابن الأثير : « زمل » .

(٣) تعصّبوا ؛ أى أزعجهم .

٢٠٧/٢ تقدرون عليها ، فلا يبلغني رجل منهم إلا وقد همته نفسه بالتلف . فكان أول من دخل عليه رجل من أهل مصر يقال له ابن الحيات ، فدخل وقد تعتع ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ، فتتابع القوم على ذلك ، فلما خرجوا قال لهم عمرو : لعنكم الله ! نهيتكم أن تسلموا عليه بالإمارة ، فسلمتم عليه بالنبوة !

قال : ولبس معاوية يوماً عمامته الحرقانية واكتحل ، وكان من أجمل الناس إذا فعل ذلك . شك عبد الله فيه سمعه أو لم يسمعه .

حدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، قال : حدثنا أبو محمد الأموي ، قال : خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ، فرأى معاوية في موكب يتلقاه ، وراح إليه في موكب ، فقال له عمر : يا معاوية ، تروح في موكب وتغدو في مثله ، وبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو الحاجات ببابك ! قال : يا أمير المؤمنين ، إن العدو بها قريب منا ، ولم عيون وجواسيس ، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزاً ، فقال له عمر : إن هذا لكيد رجل لبيب ، أو خدعة رجل أريب ، فقال معاوية : يا أمير المؤمنين ، مررتي بما شئت أصير إليه ، قال : ويحك ! ما ناظرتك في أمر أعيب عليك فيه إلا تركتني ما أدرى أمرك أم أنهاك !

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن معمر ، عن جعفر بن برقان ، أن المغيرة كتب إلى معاوية : أما بعد ، فلاني قد كبرت سني ، ودق عظمي ، وشنفت لي ^(١) قريش ، فإن رأيت أن تعزلي فاعزلي .

٢٠٨/٢ فكتب إليه معاوية : جاءني كتابك تذكر فيه أنه كبرت سنك ، فلعمري ما أكل عمرك غيرك ، وتذكر أن قريشاً شنفت لك ، ولعمري ما أصبت خيراً إلا منهم . وتسالني أن أعزلك ، فقد فعلت ؛ فإن تك صادقاً فقد شفعتك ، وإن تك مخادعاً فقد خدعتك .

(١) شنفت لي ؛ أي أبغضتني .

حدثني أحمد ، عن عليّ بن محمد ، عن عليّ بن مجاهد ، قال : قال معاوية : إذا لم يكن الأمويّ مصلحاً لِمَا لِه ، حليماً ، لم يُشبه مَنْ هو منه ، وإذا لم يكن الهاشميّ سخيّاً جواداً لم يشبه من هو منه ، ولا يقدمك من الهاشميّ اللسان والسخاء والشجاعة .

حدثني أحمد ، عن عليّ ، عن عوانة وختلاد بن عيدة ، قال : تغدّي معاوية يوماً وعنده عبيد الله بن أبي بكرّة ، ومعه ابنه بشير — ويقال : غير بشير — فأكثر من الأكل ، فلحظه معاوية ، وفطن عبيد الله بن أبي بكرّة ، فأراد أن يغمز ابنه ، فلم يمكنه ، ولم يرفع رأسه حتى فرغ ، فلما خرج لآمته على ما صنع ، ثم عاد إليه وليس معه ابنه ، فقال معاوية : ما فعل ابنك التلقامة ؟ قال : اشتكّى ؛ فقال : قد علمتُ أن أكلته سيورته داءً .

حدثني أحمد ، عن عليّ ، عن جويرية بن أسماء ، قال : قدم أبو موسى على معاوية ، فدخل عليه في بُرنسٍ أسود ، فقال : السّلام عليك يا أمين الله ، قال : وعليك السّلام ؛ فلما خرج قال معاوية : قدم الشيخ لأوليّته ، ولا والله لا أُولّيه .

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبو صالح سليمان بن صالح قال : حدثني عبد الله بن المبارك ، عن سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن أبي بُردة ، قال : دخلتُ على معاوية حيث أصابته قرحته ، فقال : هلمّ يا بن أخي ، نحوى فانظر ، فنظرتُ فإذا هي قد سُيرت ، فقلت : ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين ، فدخل يزيدُ فقال معاوية : إن وليت من أمر الناس شيئاً فاستوص بهذا ، فإن أباه كان لي خليلاً أو نحو ذلك من القول غير أني رأيت في القتال ما لم يره .

حدثني أحمد ، عن عليّ ، عن شهاب بن عبيد الله ، عن يزيد بن سويد ، قال : أذن معاوية للأحنف وكان يبدأ بإذنه ، ثم دخل محمد بن الأشعث فجلس بين معاوية والأحنف ، فقال معاوية : إنا لم نأذن له قبلك فتكونَ دونه ، وقد فعلتَ فعال من أحسن من نفسه دُلاً ، إنا كما نملك أموركم

نملك إذنكم ، فأريدوا منا ما نريد منكم ، فإنه أبقي لكم .

حدثني أحمد ، عن عليّ ، عن سحيم بن حفص ، قال : خطب ربيعة بن عيسل اليربوعي إلى معاوية ، فقال معاوية : اسقوه سويقاً ؛ وقال له معاوية : يا ربيعة ، كيف الناسُ عندكم ؟ قال : مختلفون على كذا وكذا فرقة ؛ قال : فمن أيتهم أنت ؟ قال : ما أنا على شيء من أمرهم ؛ فقال معاوية : أراهم أكثر مما قلت ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، أعنتي في بناء دارى بائني عشر ألف جِدْع ؛ قال معاوية : أين دارك ؟ قال بالبصرة ، وهى أكثر من فرسخين في فرسخين ؛ قال : فدارك في البصرة ، أو البصرة في دارك ! فدخل رجلٌ من ولده على ابن هُبيرة فقال : أصلح الله الأمير ! أنا ابنُ سيّد قومه ، خطب أبى إلى معاوية ، فقال ابن هُبيرة لسلم بن قتيبة : ما يقول هذا ؟ قال : هذا ابن أحمر قومه ؛ قال ابن هُبيرة : هل زوج أباك معاوية ؟ قال : لا ، قال : فلا أرى أباك صنع شيئاً .

حدثني أحمد ، عن عليّ ، عن أبي محمد بن ذكوان القرشيّ ، قال : تنازع عتبة وعنيسة ابنا أبى سفيان — وأمّ عتبة هند وأمّ عنيسة ابنة أبى أزيهر الدؤسى — فأغلظ معاوية لعنيسة ، وقال عنيسة : وأنت أيضاً يا أمير المؤمنين ! فقال : يا عنيسة ، إنّ عتبة ابنُ هند ، فقال عنيسة :

كنّا بخير صالحاً ذاتُ بيننا قديماً فأمست فرقتُ بيننا هند^(١)
فإنّ تك هندٌ لم تلدني فإنني لبيضاء ينميها غطارفةٌ نجْد^(٢)
أبوها أبوالأضياف في كل شتوق وماوى ضعاف لا تنوء من الجهد
جفينةاته ما إنّ تزال مُقيمة لمن خاف من غورى تهامة أونجد

فقال معاوية : لا أعيدها عليك أبداً .

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبى ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن حرملة بن عمران ، قال : أتى معاوية في ليلة أن

(١) كتبت الأبيات في ط محرقة على هيئة النثر . (٢) ط : « مجد » .

قيصر قصد له في الناس ، وأن ناتيل بن قيس الجُدَامِيّ غلب فلسطين وأخذ بيتَ مالها ، وأن المصريين الذين كان سَجَنَهُمْ هَرَبُوا ، وأن عليّ بن أبي طالب قصد له في الناس ، فقال لمؤذنه : أذن هذه الساعة — وذلك نصف الليل — فجاءه عمرو بن العاص ، فقال : لم أرسلت إلى ؟ قال : أنا ما أرسلت إليك ؛ قال : ما أذن المؤذن هذه الساعة إلا من أجلي ؛ قال : رُميتُ بالقِيسِيّ الأربع ؛ قال عمرو : أما هؤلاء الذين خرجوا من سجنك ، فإنهم إن خرجوا من سجنك فهم في سجن الله عز وجل ، وهم قوم شرّة لا رحلة بهم ، فاجعل لمن أتاكَ برجل منهم أو برأسه دِيَتَهُ ، فإنك ستؤتَى بهم ، وانظر قيصر فوادعهُ ، وأعطهِ مالا وحللاً من حُلُلِ مصر ، فإنه سيرضى منك بذلك ، وانظر ناتل ابن قيس ، فلعمري ما أغضبه الدين ، ولا أراد إلا ما أصاب ، فاكتب إليه ، وهب له ذلك ، وهنته إياه ، فإن كانت لك قدرة عليه ، وإن لم تكن لك فلا تأسَ عليه ، واجعل حدّك وحديدك لهذا الذي عنده دمُ ابن عمك .

قال : وكان القوم كلُّهم خرجوا من سجنه غير أبرهة بن الصّباح ، قال معاوية : ما منعك من أن تخرج مع أصحابك ؟ قال : ما منعتني منه بغضُ لعلّي ، ولا حبُّ لك ، ولكني لم أقدر عليه ؛ فخلّيتُ سبيلَهُ .

حدثني عبد الله ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله بن المبارك^(١) ، عن جرير بن حازم ، قال : سمعت محمد بن الزبير يحدث ، قال : حدثني عبد الله بن مسعدة بن حَكَمَةَ الفزاريّ من بني آلِ بَلَدَر ، قال : انتقل معاوية من بعض كورِ الشّام إلى بعض عمله ، فنزل منزلاً بالشّام ، فسبَّسَ له على ظهر إجمار^(٢) مُشْرِف على الطريق ، فأذن لي ، فقعدت معه ، فرت القُطُرَات والرّحائل والجوارى والخيول ، فقال : يا بن مسعدة ، رحم الله أبا بكر ! لم يرد الدنيا ولم تُردّه الدنيا ، وأما عمر — أوقال : ابن حنّمة — فأرادته الدنيا ولم يردّها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصاب منه ؛ وأما نحن فتمرّغنا فيها ؛ ثم كأنه ندم فقال : والله إنّه لمُلك آتانا الله إياه .

٢١١/٢

٢١٢/٢

(١) ط : « مسعدة » ، وانظر الفهرس .

(٢) الإجمار : السطح بلغة الشام .

حدثني أحمد ، عن علي بن محمد ، عن علي بن عبيد الله ، قال :
كتب عمرو بن العاص إلى معاوية يسأله لابنه عبد الله بن عمرو ما كان أعطاه
أباه من مصر ، فقال معاوية : أراد أبو عبد الله أن يكتب فهدر ، أشهدكم
أنى إن بقيت بعده فقد خلعت عهده . قال : وقال عمرو بن العاص :
ما رأيت معاوية مثكثاً قط واضعاً إحدى رجله على الأخرى كاسراً عينه
يقول لرجل : تكلم ، إلا رحمته

قال أحمد : قال علي بن محمد : قال عمرو بن العاص لمعاوية :
يا أمير المؤمنين ، أليست أنصح الناس لك ؟ قال : بذلك نلت ما نلت .

قال أحمد : قال علي : عن جويرية بن أسماء ، أن بسر بن
أبي أرتاة نال من علي عند معاوية وزيد بن عمر بن الخطاب جالس ، فعلاه
بعضاً فشجه ، فقال معاوية لزيد : عمدت إلى شيخ من قريش سيد أهل الشام
فضربته ! وأقبل على بسر فقال : تشتم علياً وهو جده وابن الفاروق على
رءوس الناس ، أو كنت ترى أنه يصبر على ذلك ! ثم أرضاهما جميعاً .
قال : وقال معاوية : إني لأرفع نفسي من أن يكون ذنب أعظم من عفوى ،
وجهل أكثر من حلمي ، أو عورة لا أوارىها بستري ، أو إساءة أكثر من
إحسانى . قال : وقال معاوية : زين الشريف العفّاف ؛ قال : وقال معاوية :
ما من شيء أحب إلى من عين خمرارة ، في أرض خمرارة ، فقال عمرو بن
العاص : ما من شيء أحب إلى من أن أبيت عروساً بعقيلة من عقائل
العرب ؛ فقال وردان مولى عمرو بن العاص : ما من شيء أحب إلى من
الإفضال على الإخوان ، فقال معاوية : أنا أحق بهذا منك ؛ قال : ما تحب فافعل .

حدثني أحمد ، عن علي ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال :
كان عامل معاوية على المدينة إذا أراد أن يبرد بريداً إلى معاوية أمر مُناديه
فنادى : مَنْ له حاجة يكتب إلى أمير المؤمنين ؛ فكتب زير بن حُبَيْش - أو
أيمن بن خُرَيْم - كتاباً لطيفاً ورمى به في الكتُب ، وفيه :

إذا الرجال وَلَدَتْ أولادها وأضطربت من كبر أعضادها
وجعلت أسقامها تعادها فهي زُرُوعٌ قد دنا حصاؤها

فلما وردت الكتب عليه فقرأ هذا الكتاب ؛ قال : نعى إلى نفسى .

قال : وقال معاوية : ما من شيء ألدّ عندى من غيظ أنجرّعه .

قال : وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص : يا بن أخى ، إنك قد لهجت بالشعر ، فإيّاك والتشبيب بالنساء فتعرّ الشريفة ، والهجاء فتعرّ كريمًا ، وتستثير لثيًا ، والمدح ، فإنه طعنة الوقاح ، ولكن افخر بمفاخر قومك ، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك ، وتؤدّب به غيرك . ٢١٤/٢

حدثني أحمد ، عن على ، قال : قال الحسن بن حماد : نظر معاوية إلى الثّما فى عباءة ، فازدراه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ العبّاءة لا تكلّمك ، وإنما يكلّمك من فيها .

حدثني أحمد ، عن على ، عن سليمان ، قال : قال معاوية : رجلان إن ماتا لم يموتا ، ورجلٌ إن مات مات ، أنا إن متّ خلفنى ابنى ، وسعيد إن مات خلفه عمرو ، وعبد الله بن عامر إن مات مات ؛ فبلغ مروان ، فقال : أمّا ذكر ابنى عبد الملك ؟ قالوا : لا ؛ قال : ما أحبّ أن لى بابنى ابنيهما .

حدثني أحمد ، عن على ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : قال رجل لمعاوية : أىّ الناس أحبّ إليك ؟ قال : أشدّهم لى تحبيبا إلى الناس . قال : وقال معاوية : العقل والحلم أفضل ما أعطى العبد ، فإذا ذكّر ذكر ، وإذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا غضب كظم ، وإذا قدر غفر ، وإذا أساء استغفر ، وإذا وعد أنجز .

حدثني أحمد ، عن على ، عن عبد الله ، وهشام بن سعد ، عن عبد الملك ابن عمير ، قال : أغلظ رجل لمعاوية فأكثر ، فقبل له : أتحلّم عن هذا ؟ فقال : إنى لا أحول بين الناس وألستهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا .

حدثني أحمد ، عن على ، عن محمد بن عامر ، قال : لامّ معاوية عبد الله بن جعفر على الغناء ، فدخل يوما على معاوية ومعه بُديحٌ ، ومعاوية واضع رجلا على رجل ، فقال عبد الله لبديح : إيهّا يا بديح ! فتغنّى ،

فحرّك معاوية رجلاه ، فقال عبدُ الله : مهْ يا أميرَ المؤمنين ! فقال معاوية :
إن الكريمَ طَرِبَ .

قال : وقَدِمَ عبدُ الله بنُ جعفرٍ على معاوية ومعه سائبُ خاترٍ — وكان
مولىَ لِبني لَيْثٍ ، وكان فاجراً — فقال له : ارفعِ حوائجَكَ ؛ ففعل ، ورفعَ
فيها حاجةَ سائبِ خاترٍ ؛ فقال معاوية : مَنْ هذا ؟ فخبَّره ؛ فقال : أدخِله ،
فلَمَّا قام على بابِ المجلس غنَّى :

لِمَنْ الدِّيارُ رُسُومُها قَفَرُ لَعِبَتْ بِها الأرواحُ والقَطَرُ !
وخلالَ لَها من بعد ساكِنيها حَجَجَ خَلَوْنَ ثَمَانٍ أو عَشْرُ
والزَّعفرانِ على ترائِبِها شَرَقاً به اللَّبَّاتُ والنَّحْرُ

فقال أحسنتَ ، وقضى حوائجَه .

حدَّثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني سليمان ،
قال : حدَّثني عبد الله ، عن مَعْمَرٍ ، عن هُثَّامِ بنِ مَنبَهٍ ، قال : سمعتُ ابنَ
عبَّاسٍ يقول : ما رأيتُ أحداً أخلقَ للمُلكِ من معاوية ، إن كان ليردُّ الناسَ
منه على أرجاءِ وادٍ رَحْبٍ ، ولم يكن كالضَّيقِ المُخَضَّضِ ، الحَصِيرِ — يعنى
ابنَ الزَّبيرِ .

حدَّثني عبد الله ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني سليمان ، قال :
حدَّثني عبد الله ، عن سُفْيَانَ بنِ عِيْنَةَ ، عن مجالِدٍ ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن
قبيصةَ بنِ جابرِ الأَسَدِيِّ قال : ألا أخبرُكم مَنْ صحبتُ ؟ صحبتُ عمرِ بنِ
الخطَّابِ فما رأيتُ رجلاً أفقَه فِقْهاً ، ولا أحسنَ مُدارَسةً منه ؛ ثم صحبتُ
طلحةَ بنِ عبيدِ الله ، فما رأيتُ رجلاً أعطى للجَزِيلِ من غيرِ مسألةٍ منه ؛ ثم
صحبتُ معاويةَ فما رأيتُ رجلاً أحبَّ رَفيقاً ، ولا أشبهَ سَريرةً بعلانيةٍ منه ،
ولو أنَّ المغيرةَ جُعِلَ في مَدِينَةٍ لا يُخْرَجُ من أبوابِها كُلِّها إلاَّ بالغَدْرِ لخرَجَ
منها .

خلافة يزيد بن معاوية

وفي هذه السنة بويج ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه ، للنصف من رجب في قول بعضهم ، وفي قول بعض : لثمانٍ بقيّن منه — على ما ذكرنا قبل — من وفاة والده معاوية — فأقرّ عبّيد الله بن زياد على البصرة ، والنعمان بن بشير على الكوفة .

وقال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ؛ وليّ يزيد في هلال رجب سنة ستين ، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وأمير الكوفة النعمان ابن بشير الأنصاري ، وأمير البصرة عبّيد الله بن زياد ، وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص ، ولم يكن ليزيد همّة حين ولي إلا بيعته النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته ، وأنه ولي عهده بعده ، والفراغ من أمرهم ، فكتب إلى الوليد :

بسم الله الرحمن الرحيم . من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة ، أما بعد ، فإنّ معاوية كان عبداً من عباد الله ، أكرمه الله واستخلفه ، وخوله ، ومكّن له ، فعاش بقدر ، ومات بأجل ، فرحمه الله ، فقد عاش محموداً ، ومات برّاً تقيّاً ، والسلام .

وكتب إليه في صحيفة كأنها أذنُ فأرة :

أما بعد ، فخذ حُسَيْنًا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا ؛ والسلام .

٢١٧/٢

فلما أتاه نعيّ معاوية فَنَظَعَ به ، وكبّر عليه ، فبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه — وكان الوليد يومَ قدم المدينة قدّمها مروان متكارهاً — فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه ، فبلغ ذلك مروان ، فجلس عنه وصرمه ، فلم يزل كذلك حتى جاء نعيّ معاوية إلى الوليد ، فلما عظم على الوليد هلاك معاوية وما أمر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة ، فزع عند ذلك إلى مروان ، ودعاه ، فلما قرأ عليه كتاب يزيد ، استرجع وترحم عليه ، واستشاره

الوليدُ في الأمر وقال : كيف ترى أن نصنع ؟ قال : فلإني أرى أن تبعث الساعةَ إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة ، فإن فعلوا قبِلتَ منهم ، وكففتَ عنهم ، وإن أبَوْا قد متَّهم فضربتَ أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية ، فإنهم إن علموا بموت معاوية وثبَّ كل امرئٍ منهم في جانب ، وأظهر الخلافَ والمنازعةَ ، ودعا إلى نفسه لا أدري ؛ أما ابنُ عمرَ فلإني لا أراه يرى القتال ، ولا يحبُّ أنه يُوكَلَّى على الناس ، إلا أن يُدْفَعَ إليه هذا الأمر عَقْوَاً . فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان - وهو إذ ذاك غلامٌ - حدَّثَ (١) - إليهما يدعوهما (٢) ، فوجدهما في المسجد وهما جالسان ، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد (٣) يجلس فيها للناس ، ولا يأتيانه في مثلها ، فقال : أجيئاً ، الأميرُ يدعوكما ، فقال له : انصرف ! الآن نأتيه . ثم أقبل أحدهما على الآخر ، فقال عبد الله بن الزبير للحسين : ظنُّ فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها ! فقال حسين : قد ظننتُ ، أرى طاغيتَهم قد هلك ، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يَفْشُوْا في الناس الخبر ؛ فقال : وأنا ما أظنُّ غيرَه . قال : فما تريد أن تصنع ؟ قال : أجمع فتيتاني الساعة ، ثم أمشي إليه ، فإذا بلغتُ البابَ احتبستهم عليه ، ثم دخلت عليه . قال : فلإني أخافه عليك إذا دخلت ؛ قال : لا آتيه إلا وأنا على الامتناع قادر . فقام فجمع إليه موالِيَهُ وأهلَ بيته ، ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه : إني داخلٌ ، فإن دعوتكم أو سمعتم صوتَه قد علا فافتحموا عليّ بأجمعكم ، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم ، فدخل فسلم عليه بالإمرأةَ ومروانُ جالسٌ عنده ، فقال حسين ؛ كأنه لا يظنُّ ما يظنُّ من موت معاوية : الصلَّةُ خيرٌ من القطيعة ، أصلحَ اللهُ ذاتَ بينكما ! فلم يجيباه في هذا بشيء ، وجاء حتى جلس ، فأقرأه الوليد الكتابَ ، ونعَى له معاوية ، ودعاه إلى البيعة ، فقال حسين : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ورحم الله معاوية ، وعظَّم لك الأجر ! أمّا ما سألتني من البيعة فإنَّ مثلي لا يُعطى بيعة سِرّاً ،

٢١٨/٢

(١-١) كذا في ط ، وفي ابن الأثير : «إلى الحسين وإلى ابن الزبير يدعوها» ؛ وهو أوضح .

(٢) هو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أمير المدينة .

ولا أراك تجتري بها منى سرّاً دون أن تُظهرها على رموس الناس علانية؛ قال : أجل ، قال : فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً ؛ فقال له الوليد - وكان يحب العافية : فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس ؛ فقال له مروان : والله لئن فارقت الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتل بينكم وبينه ، احبس الرجل ، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه ؛ فوثب عند ذلك الحسين ، فقال : يا بن الزرقاء ، أنت تقتلني أم هو ! كذبت والله وأثمت ، ثم خرج فرّاً بأصحابه ، فخرجوا معه حتى أتى منزله . فقال مروان للوليد : عصيتني ، لا والله لا يُمكنك من مثلها من نفسه أبداً ؛ قال الوليد : ويغ غيرك يا مروان ، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني ، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا ومُلْكِها ، وأنى قتلتُ حُسيناً سبّحان الله ! أقتل حُسيناً أن قال : لا أبايع ! والله إني لأظنّ امرأً يُحاسبُ بدمِ حسينٍ لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة . فقال له مروان : فإذا كان هذا رأيك فقد أصبتَ فيما صنعت ، يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه .

٢١٩/٢

وأما ابنُ الزبير ، فقال : الآن آتيكم ، ثم أتى داره فكمن فيها ، فبعث الوليد إليه فوجده مجتمعاً في أصحابه متحرّراً ، فألح عليه بكثرة الرسل والرجال في إثر الرجال ؛ فأما حُسين فقال : كُفّ حتى تنظر وننظر ، وتري وتري ؛ وأما ابنُ الزبير فقال : لا تعجلوني فإني آتيكم ، أمهلوني ، فألحوا عليهما عشيتهما تلك كلها وأول ليلهما ، وكانوا على حسين أشدّ إبقاءً ، وبعث الوليد إلى ابن الزبير موالى له فشتموه وصاحوا به : يا بن الكاهلية ، والله لتأتين الأمير أو ليقتلنك ، فلبث بذلك نهاره كلّهُ وأول ليلة يقول : الآن أجىء ، فإذا استحثّوه قال : والله لقد استربت بكثرة الإرسال ، وتتابع هذه الرجال ، فلا تعجلوني حتّى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه وأمره ، فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال : رحمك الله ! كفّ عن عبد الله فإنك قد أفرغته وذعرته بكثرة رُسلك ، وهو آتيك غداً إن شاء الله ، فرّر رُسلك فليَنصرفوا عنّا . فبعث إليهم فانصرفوا ، وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق

الفرع هو وأخوه جعفر ، ليس معهما ثالث ، وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب ، وتوجه نحو مكة ، فلما أصبح بعث إليه الوليد فوجده قد خرج ، فقال مروان : والله إن أخطأ مكة فسرّح في أثره الرجال ، فبعث ركباً من مولى بني أمية في ثمانين ركباً ، فطلبوه فلم يقدروا عليه ، فرجعوا ، فتشاغلوا عن حسين بطلب عبد الله يومهم ذلك حتى أمسوا ، ثم بعث الرجال إلى حسين عند المساء فقال : أصبحوا ثم ترون ونرى ، فكفّوا عنه تلك الليلة ، ولم يلحقوا عليه ، فخرج حسين من تحت ليلته ، وهي ليلة الأحد ليومين بقياً من رجب سنة ستين .

وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة ، خرج ليلة السبت فأخذ طريق الفرع ، فبينما عبد الله بن الزبير يساير أخاه جعفرًا إذ تمثل جعفر بقول صبرة الحنظلي :

وكل بني أم سيمسون ليلة ولم يبق من أعقابهم غير واحد

فقال عبد الله ! سبحان الله ، ما أردت إلى ما أسمع يا أخى ! قال : والله يا أخى ما أردت به شيئاً مما تكره ، فقال : فذاك والله أكره إلى أن يكون جاء على لسانك من غير تعمد - قال : وكأنه تطير منه - وأما الحسين فإنه خرج بينه وإخوته وبني أخيه وجلّ أهل بيته ، إلا محمد بن الحنفية فإنه قال له : يا أخى ، أنت أحب الناس إلى ، وأعزهم على ، ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك ، تنسح بيبعتك^(١) عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت ، ثم ابعت رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك ٢٢١/٢ فإنّ بايعوا لك حمدت الله على ذلك ، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ، ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك ، إني أخاف أن تدخل مصراً من هذه الأمصار وتأتى جماعة من الناس ، فيختلفون بينهم ، فمنهم طائفة معك ، وأخرى عليك ، فيقتلون فتكون لأول الأسنة ، فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً ، وأماً أضيعها دمًا وأذلها أهلاً ؛ قال

(١) ابن الأثير : « بيعتك » .

له الحسين : فإني ذاهب يا أخى ؛ قال : فانزل مكة فإن اطمأنت بك الدارُ فسييل^(١) ذلك ، وإن نبتت بك لحقت بالرمال ، وشعث الجبال ، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس ، وتعرف عند ذلك الرأى ، فإنك أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبلاً ، ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً ؛ قال : يا أخى ، قد نصحت فأشفت ، فأرجو أن يكون رأيك سديداً موثقاً .

قال أبو مخنف : وحدثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن أبي سعد المتقبري ، قال : نظرت إلى الحسين داخلاً مسجداً المدينة وإنه ليمشى وهو معتمد على رجلين ، يعتمد على هذا مرةً وعلى هذا مرةً ، وهو يمثل بقول ابن مفرغ :

لا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فَلَقِ الصَّبِّ حِمْيَرًا وَلَا دُعَيْتُ يَزِيدًا^(٢)
يَوْمَ أُعْطِيَ مِنَ الْمَهَابَةِ ضَيْمًا وَالْمَنَايَا يَرْصُدُنِنِي أَنْ أَحِيدَا

قال : فقلت في نفسي : والله ما تمثل بهذين البيتين إلا لشيء يريد ، قال : فما مكث إلا يومين حتى بلغني أنه سار إلى مكة . ٢٢٢/٢

ثم إن الوليد بعث إلى عبد الله بن عمر فقال : بايع لي زيد ، فقال : إذا بايع الناس بايعت ؛ فقال رجل : ما يمنعك أن تباع ؟ إنما تريد أن يختلف الناس فيقتلوا ويتفانوا ، فإذا جهدهم ذلك قالوا : عليكم بعبد الله بن عمر ، لم يبق غيره ، بايعوه ! قال عبد الله : ما أحب أن يقتلوا ولا يختلفوا ولا يتفانوا ، ولكن إذا بايع الناس ولم يبق غيري بايعت ؛ قال : فتركوه وكانوا لا يتخوفونه .

(١) ابن الأثير : « فسييل » . (٢) من أصوات الأغاني ١٧ : ٥١ (سأى) ، وقبلهما :

حَيَّ ذَا الزُّورِ وَأَنَّهُ أَنْ يَعُودَا إِنَّ بِالْبَابِ حَارِسَيْنِ قُعُودَا

قال : ومضى ابن الزبير حتى أتى مكة وعليها عمرو بن سعيد ، فلما دخل مكة قال : إنما أنا عائد ، ولم يكن يصلى بصلاتهم ، ولا يُفِيض بإفاضتهم ، كان يقف هو وأصحابه ناحية ، ثم يُفِيض بهم وحده ، ويصلى بهم وحده ، قال : فلما سار الحسين نحو مكة ، قال : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) . فلما دخل مكة قال : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ^(٢) .

* * *

[ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمر بن سعيد]

وفي هذه السنة عزّل يزيدُ الوليد بن عُتبة عن المدينة ، عزله في شهر رمضان ، فأقرّ عليها عمرو بن سعيد الأشدق .

وفيها قدّم عمرو بن سعيد بن العاص المدينة في رمضان ، فزعم الواقدي أن ابن عمر لم يكن بالمدينة حين ورد نعي معاوية وبيعة يزيد على الوليد ، وأن ابن الزبير والحسين لما دُعيا إلى البيعة ليزيد أبيهما وخرجتا من ليلتهما إلى مكة ، فلقيهما ابنُ عباس وابن عمر جاثييين من مكة ، فسألاهـما ، ما وراءكما ؟ قالـا : موتُ معاوية والبيعة ليزيد ؛ فقال لهما ابن عمر : اتقيا الله ولا تفرقا جماعة المسلمين ؛ وأما ابنُ عمر فقدّم فأقام أيتاماً ، فانتظر حتى جاءت البيعة من البلدان ، فتقدّم إلى الوليد بن عتبة فبايعه ، وبايعه ابن عباس .

* * *

وفي هذه السنة وجه عمرو بن سعيد وعمرو بن الزبير إلى أخيه عبد الله بن الزبير لحربه .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر محمد بن عمر أن عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق قدّم المدينة في رمضان سنة ستين فدخل عليه أهلُ المدينة ، فدخلوا على رجل عظيم الكبر مفعوه .

قال محمد بن عمر: حدثنا هشام بن سعيد، عن شيبه بن نصاح، قال: كانت الرسل تجرى بين يزيد بن معاوية وابن الزبير في البيعة، فحلف يزيد ألا يقبل منه حتى يؤتى به في جامعة، وكان الحارث بن خالد المخزومي على الصلاة، ففنه ابن الزبير، فلما منعه كتب يزيد إلى عمرو بن سعيد؛ أن لا يبعث جيشاً إلى ابن الزبير، وكان عمرو بن سعيد لما قدم المدينة ولتى شرطته عمرو بن الزبير، لما كان يعلم ما بينه وبين عبد الله بن الزبير من البغضاء، فأرسل إلى نفر من أهل المدينة فضربهم ضرباً شديداً.

قال محمد بن عمر: حدثني شريحيل بن أبي عون، عن أبيه، قال: نظر إلى كل من كان يهوى هوى ابن الزبير فضربه، وكان ممن ضرب المنذر ابن الزبير، وابنه محمد بن المنذر، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، وخبيب بن عبد الله بن الزبير، ومحمد ابن عمار بن ياسر، فضربهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين، وفر منه عبد الرحمن بن عثمان وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل في أناس إلى مكة، فقال عمرو بن سعيد لعمرو بن الزبير: من رجل نوجه إلى أخيك؟ قال: لا نوجه إليه رجلاً أبداً أنكأ له منى، فأخرج لأهل الديوان عشرات، وخرج من موالى أهل المدينة ناس كثير، ونوجه معه أنيس بن عمرو الأسلمي في سبعمائة، فوجهه في مقدمته، فعسكر بالحرف، فجاء مروان بن الحكم إلى عمرو بن سعيد فقال: لا تغز مكة، واتق الله، ولا تحل حرمة البيت، وخلوا ابن الزبير فقد كبير، هذا له بضع وستون سنة، وهو رجل لجوج، والله لئن لم تقتلوه ليموتن، فقال عمرو بن الزبير: والله لئن قتلتني ولنغزوتني في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم؛ فقال مروان: والله إن ذلك ليسوعني؛ فسار أنيس بن عمرو الأسلمي حتى نزل بذي طوى، وسار عمرو بن الزبير حتى نزل بالأبطح، فأرسل عمرو بن الزبير إلى أخيه: برّ يمين الخليفة، واجعل في عتقك جامعة من فضة لا ترى، لا يضرب الناس بعضهم بعضاً، واتق الله فإنك في بلد حرام.

قال ابن الزبير: موعذك المسجد؛ فأرسل ابن الزبير عبد الله بن صفوان

الجمحي إلى أنيس بن عمرو من قبل ذي طُوًى ، وكان قد ضوى إلى عبد الله ابن صفوان قوم^١ ممن نزل حول مكة ، فقاتلوا أنيس بن عمرو ، فهزم أنيس ابن عمرو أقبح هزيمة ، وتفرق^(١) عن عمرو جماعة أصحابه ، فدخل دار علقمة ، فأتاه عبيدة بن الزبير فأجاره ، ثم جاء إلى عبد الله بن الزبير فقال : ٢٢٥/٢
إني قد أجرتك ؛ فقال : أتجير من حقوق الناس ! هذا ما لا يصلح .

قال محمد بن عمر : فحدثت هذا الحديث محمد بن عبيد بن عمير فقال : أخبرني عمرو بن دينار ، قال : كتب يزيد بن معاوية إلى عمرو ابن سعيد : أن استعمل عمرو بن الزبير على جيش ، وابعثه إلى ابن الزبير ، وابعث معه أنيس بن عمرو ؛ قال : فسار عمرو بن الزبير حتى نزل في داره عند الصفا ، ونزل أنيس بن عمرو بذي طُوًى ، فكان عمرو بن الزبير يصلي بالناس ، ويصلي خلفه عبد الله بن الزبير ، فإذا انصرف شبك أصابعه في أصابعه ، ولم يبق أحد من قريش إلا أتى عمرو بن الزبير ، وقعد عبد الله بن صفوان فقال : مالي لا أرى عبد الله بن صفوان ! أما والله لئن سرت إليه ليعلمن أن بني جُمَح ومن ضوى إليه من غيرهم قليل ، فبلغ عبد الله بن صفوان كلمته هذه ، فحرّكته ، فقال لعبد الله بن الزبير : إني أراك كأنك تريد البقي على أخيك ؛ فقال عبد الله : أنا أبقى عليه يا أبا صفوان ! والله لو قدرت على عون الذرّ عليه لاستعنت بها عليه ؛ فقال ابن صفوان : فأنا أكفيك أنيس بن عمرو ، فاكفني أخاك ؛ قال ابن الزبير : نعم ؛ فسار عبد الله ابن صفوان إلى أنيس بن عمرو وهو بذي طُوًى ، فلاقاه في جمع كثير من أهل مكة وغيرهم من الأعوان ، فهزم أنيس بن عمرو ومن معه ، وقتلوا مدبرهم ، وأجهزوا^(٢) على جرّيحهم ، وسار معصب بن عبد الرحمن إلى عمرو ، وتفرق عنه أصحابه حتى تخلص إلى عمرو بن الزبير ، فقال عبيدة بن الزبير لعمرو : تعال أنا أجيرك . فجاء عبد الله بن الزبير ، فقال : قد أجرت عمراً ، فأجره لي ، فأبى أن يجيره ، وضربه بكل من كان ضرب بالمدينة ، وجبسه بسجن عارم .

٢٢٦/٢

(١) ط : « وتموق » .

(٢) ط : « وأجازوا » .

قال الواقدي: قد اختلفوا علينا في حديث عمرو بن الزبير، وكتبت كل ذلك. حدثني خالد بن إلياس، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم، قال: لما قدم عمرو بن سعيد المدينة والياً، قدم في ذي القعدة سنة ستين، فولّى عمرو ابن الزبير شرطته، وقال: قد أقسم أمير المؤمنين ألا يقبل بيعة ابن الزبير إلا أن يؤتى به في جامعة، فليُسيرَ بين أمير المؤمنين، فإني أجعل جامعة خفيفة من ورق أو ذهب، ويلبس عليها بُرئُساً، ولا تُرى إلا أن يُسمع صوتها، وقال:

خُذْهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِخُطَّةٍ وفيها مقالٌ لامرئٍ مُتَذَلِّلٍ
أَعَامِرُ إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوكَ خُطَّةً ومالكٌ في الجيران عدلٌ مُعَدِّلُ

قال محمد: وحدثني رياح بن مسلم، عن أبيه، قال: بُعث إلى عبد الله بن الزبير عمرو بن سعيد، فقال له أبو شريح: لا تغزُ مكة فإنني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما أذن الله لي في القتال بمكة ساعة من نهار، ثم عادت كحُرْمَتِهَا»؛ فأبى عمرو أن يسمع قوله، وقال: نحن أعلم بحُرْمَتِهَا منك أيها الشيخ؛ فبعث عمرو جيشاً مع عمرو^(١) ومعه أنيس ابن عمرو الأسلمي، وزيد غلام محمد بن عبد الله بن الحارث بن هشام، وكانوا نحو ألفين - فقاتلهم أهل مكة، فقتل أنيس بن عمرو والمهاجر مولى القلسمس في ناس كثير، وهُزم جيشُ عمرو، فجاء عبدة بن الزبير، فقال لأخيه عمرو: أنت في ذمتي، وأنا لك جار، فانطلقَ به إلى عبد الله، فدخل على ابن الزبير فقال: ما هذا الدّم الذي في وجهك يا خبيث! فقال عمرو:

٢٢٧/٢

لَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْنَا ولكنْ على أقدامنا تَقَطُّرُ الدِّمَا^(٢)
فحبسه وأخضر عبدة، وقال: أمرتك أن تجير هذا الفاسق المستحلّ لحرمات الله؛ ثم أقاد عمراً من كل من ضربه إلا المنذر وابنه، فإنهما أبياً

(١) هو عمرو بن الزبير.

(٢) الحصين بن الحُمام المرمي من أبيات له في ديوان الحامسة ١: ١٩١، ١٩٢؛ والرواية هناك: «فلسنا على الأعقاب»، وقوله: «تقطر الدما»، أي تقطر الكلوم للدم.

أن يستقيدا ، ومات تحت السيّاط . قال : وإنما سُمّي سجن عارِم لعبد كان يقال له : زيد عارِم ، فسمّي السّجنُ به ، وحَبَسَ ابنُ الزبير أخاه عمرًا فيه . قال الواقدي : حدّثنا عبد الله بن أبي يحيى ، عن أبيه ، قال : كان مع أنيس بن عمرو ألفان .

* * *

وفي هذه السنة وجّه أهلُ الكوفة الرسل إلى الحسين عليه السلام وهو بمكة يدعونه إلى القدوم عليهم ، فوجه إليهم ابن عمّه مُسلم بن عقيل بن أبي طالب رضى الله عنه .

* * *

ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيّين الحسين عليه السلام للمصير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضى الله عنه

حدّثني زكرياء بن يحيى الضريّر ، قال : حدّثنا أحمد بن جنّاب المصيصيّ - ويكنّى أبا الوليد - قال : حدّثنا خالد بن يزيد بن أسد بن عبد الله القسريّ ، قال : حدّثنا عمار الدّهنيّ ، قال : قلت لأبي جعفر : حدّثني بمقتل الحسين حتّى كأنّي حضرته ، قال : مات معاويةُ والوليدُ بن عتبة بن أبي سفّيان على المدينة ، فأرسل إلى الحسين بن عليّ ليأخذ بيعته ، فقال له : أخرّني وارفق ، فأخّره ، فخرج إلى مكة ، فأتاه أهلُ الكوفة ورُسُلهم : إنا قد حبسنا أنفسنا عليك ، ولنا نحضر الجُمُعة مع الوالي ، فاقدم علينا - وكان النعمان بن بشير الأنصاريّ على الكوفة ؛ قال : فبعث الحسين إلى مسلم بن عقيل بن أبي طالب ابن عمّه فقال له : سرّ إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلىّ ، فإنّ كان حقًّا خرجنا إليهم . فخرج مسلم حتّى أتى المدينة ، فأخذ منها دليلين ، فرأى به في البريّة ، فأصابهم عطشٌ ، فأت أحدهُ الدليلين ، وكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه ، فكتب إليه الحسين : أن امض إلى الكوفة . فخرج حتّى قدّمها ، ونزل على رجل من أهلها يقال له ابن عَوْسجة ؛ قال : فلمّا تحدّث أهل الكوفة بمقدّمه دبّوا إليه فبايعوه ، فبايعه منهم

اثنا عشر ألفاً . قال : فقام رجل ممن يَهْوَى يزيد بن معاوية إلى النعمان بن بشير ، فقال له : إنك ضعيف أو متضعف ؛ قد فسد البلاد ! فقال له النعمان : أن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله أحبّ إلىّ من أن أكون قوياً في معصية الله ، وما كنت لأهتك سترأ ستره الله .

فكتب بقول النعمان إلى يزيد ، فدعا مولى له يقال له : سرجون ؛ — وكان يستشير — فأخبره الخبر ، فقال له : أكنت قابلاً من معاوية لو كان حياً ؟ قال : نعم ؛ قال : فاقبل منى ؛ فإنه ليس للكوفة إلاّ عبيد الله ابن زياد ، فولّاه إياه — وكان يزيد عليه سخطاً ، وكان همّ بعزله عن البصرة — فكتب إليه برضائه ، وأنه قد ولّاه الكوفة مع البصرة ، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجده .

قال : فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة مثلثاً ، ولا يمرّ على مجلس من مجالسهم فيسلم إلاّ قالوا : عليك السلام يابن بنت رسول الله — وهم يظنون أنه الحسين بن عليّ عليه السلام — حتى نزل القصر ، فدعا مولى له فأعطاه ثلاثة آلاف ، وقال له : اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبيع له أهل الكوفة فأعلمه أنك رجل من أهل حمص جئت لهذا الأمر ، وهذا مالٌ تدفعه إليه ليتقوى . فلم يزل يتلطّف ويرفّق به حتى دُلّ على شيخ من أهل الكوفة إلى البيعة ، فلقينه فأخبره ، فقال له الشيخ : لقد سرّني لقاءك إيساً ، وقد ساعنى ؛ فأما ما سرّني من ذلك فما هداك الله له ، وأما ما ساعنى فإنّ أمرنا لم يستحكم بعد . فأدخله إليه ، فأخذ منه المال وبايعه ، ورجع إلى عبيد الله فأخبره .

فتحوّل مسلم حين قدم عبيد الله بن زياد من الدّار التي كان فيها إلى منزل هانيّ بن عروة المُرَادِيّ ، وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين بن عليّ عليه السلام يخبره ببيعة اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة ، ويأمره بالقدوم . وقال عبيد الله لوجوه أهل الكوفة : مالي أرى هانيّ بن عروة لم يأتني فيمن أتاني ! قال : فخرج إليه محمد بن الأشعث في ناس من قومه وهو على باب

داره ، فقالوا : إن الأمير قد ذكرك واستبطأك ، فانطلق إليه ، فلم يزلوا به حتى ركب معهم وسار حتى دخل على عبید الله وعنده شريح القاضي ، فلما نظر إليه قال لشريح : « أتتک بمائتین رجلاً » (١) ؛ فلما سلم عليه قال : يا هاني ، أين مسلم ؟ قال : ما أدرى ؛ فأمر عبید الله مولاه صاحب الدراهم فخرج إليه ، فلما رآه قطع به ، فقال : أصلح الله الأمير ! والله ما دعوتك إلى منزل ولكنك جاء فطرح نفسه عليّ ؛ قال : اتنى به ؛ قال : والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه ؛ قال : أدنوه إلىّ ، فأدنى فضربه على حاجبه فشجّه ، قال : وأهوى هاني إلى سيف شرطي ليسله ، فدفع عن ذلك ، وقال : قد أحل الله دمك ، فأمر به فحبس في جانب القصر .

* * *

وقال غير أبي جعفر : الذي جاء بهاني بن عروة إلى عبید الله بن زياد عمرو بن الحجاج الزبيدي :

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : حدثنا أبو قتيبة ، قال : حدثنا يونس ابن أبي إسحاق ، عن العيصار بن حرث ، قال : حدثنا عمارة بن عقيب ابن أبي معيط ، فجلس في مجلس ابن زياد فحدث ، قال : طردت اليوم حمراً فأصبت منها حماراً ففقرته ، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي : إن حماراً تعقره أنت لحمار حائن ؛ فقال : ألا أخبرك بأحين من هذا كله ! رجل جاء بأبيه كافراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر به أن يضرب عنقه ، فقال : يا محمد فن للصبيّة ؟ قال : النار ، فأنت من الصبيّة ، وأنت في النار ؛ قال : فضحك ابن زياد .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمّار الدّهنيّ ؛ عن أبي جعفر . قال : فبينما هو

(١) أتتک بمائتین رجلاً ؛ مثل ، وأول من قاله عبید بن الأبرص ، وانظر الفاهر ٢٥١ .

كذلك إذ خرج الخبر إلى مذحج ، فإذا على باب القصر جَلْبَة سمعها عبید الله ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : مذحج ، فقال لشُريح : اخرج إليهم فأعلمهم أني إنما حبسته لأسبائله ، وبعث عَيْنًا عليه من موالیه يسمع ما يقول ، فرَّ بهاني بن عروة ، فقال له هاني : اتق الله يا شُريح ، فإنه قاتلي ، فخرج شُريح حتى قام على باب القصر ، فقال : لا بأس عليه ، إنما حبسه الأمير لاسبائله ، فقالوا : صدق ، ليس على صاحبكم بأس ، فتفرقوا ، فأتى مسلماً الخبر ، فنأدى بشعاره ، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة ، فقدم مقدمته ، وعبى ميمنته وميسرته ، وسار في القلب إلى عبید الله ، وبعث عبید الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر ، فلما سار إليه مسلم فأنتهى إلى باب القصر أشرفوا على عشارهم فجعلوا يكلمونهم ويردونهم ، فجعل أصحاب مسلم يتسللون حتى أمسى في خمسمائة ، فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً .

٢٣١/٢

فلما رأى مسلم أنه قد بقي وحده يتردد في الطريق أتى باباً فنزل عليه ، فخرجت إليه امرأة ، فقال لها : اسقيني ، فسقته ، ثم دخلت فكثت ما شاء الله ، ثم خرجت فإذا هو على الباب ؛ قالت : يا عبد الله ، إن مجلسك مجلس ريبة ، فقم ؛ قال : إني أنا مسلم بن عقيل ، فهل عندك مأوى ؟ قالت : نعم ، ادخل ، وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث ، فلما علم به الغلام انطلق إلى محمد فأخبره ، فانطلق محمد إلى عبید الله فأخبره ، فبعث عبید الله عمرو بن حريث الخزومي - وكان صاحب شُرطه - إليه ، ومعه عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث ، فلم يعلم مسلم حتى أحيط بالدار ، فلما رأى ذلك مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم ، فأعطاه عبد الرحمن الأمان ، فأمكن من يده ، فجاء به إلى عبید الله ، فأمر به فأصعد إلى أعلى القصر فضربت عنقه ، وألقى جثته إلى الناس ، وأمر بهاني فسحب إلى الكناسة ، فصُلب هنالك ، وقال شاعرهم في ذلك :

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هاني في السوق وأبني عقيل ٢٣٢/٢

أَصَابَهُمَا أَمْرُ الْإِمَامِ فَأَصْبَحَا أَحَادِيثَ مَنْ يَسْعَى بِكُلِّ سَبِيلٍ
أَيْرُكَبُ أَسْمَاءُ الْهَمَالِيجِ آمِنًا وَقَدْ طَلَبْتُهُ مَذْجُجٌ بِذُحُولِ !

وأما أبو مخنف فإنه ذكر من قصة مسلم بن عقيل وشخصه إلى
الكوفة ومقتله قصة هي أشجع وأتم من خبر عمّار الدهني عن أبي جعفر
الذي ذكرناه ؛ ما حدثت عن هشام بن محمد ، عنه ، قال : حدثني
عبد الرحمن بن جندب ، قال : حدثني عتبة بن سنان مولى الرباب ابنة
امرئ القيس الكلبيّة امرأة حسين—وكانت مع سوكينة ابنة حسين ، وهو مولى
لأبيها ، وهي إذ ذاك صغيرة — قال : خرجنا فلزمنا الطريق الأعظم ، فقال
للحسين أهل بيته : لو تنكبّ الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير لا يلحقك
الطلب ؛ قال : لا ، والله لا أفارقه حتى يقضى الله ما هو أحبّ إليه ، قال :
فاستقبلنا عبد الله بن مطيع فقال للحسين: جعلت فداك ! أين تريد؟ قال:
أما الآن فإني أريد مكة ، وأما بعدها فإني أستخير الله ، قال : خار الله لك ،
وجعلنا فداك ؛ فإذا أنت أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة ، فإنها بلدة
مشتومة ، بها قُتل أبوك ، وخُذِلَ أخوك ، واغتيل بطعنة كادت تأتني على
نفسه ؛ الزم الحرم ، فإنك سيد العرب ، لا يعدل بك والله أهل الحجاز أحداً ،
ويتداعى إليك الناس من كل جانب ؛ لا تفارق الحرم فداك عمي وخالي،
فوالله لئن هلكت لنسرقنّ بعدك .

٢٣٣/٢

فأقبل حتى نزل مكة ، فأقبل أهلها يختلفون إليه ويأتونه ومن كان بها
من المعتمرين وأهل الآفاق ، وابن الزبير بها قد لزم الكعبة ، فهو قائم يصلّي
عندها عامّة النهار ويطوف ، ويأتني حسينا فيمن يأتيه ، فيأتيه يومين
المتواليين ، ويأتيه بين كلّ يومين مرة ، ولا يزال يشير عليه بالرأى وهو
أثقل خلق الله على ابن الزبير ، قد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه
ولا يتابعونه أبداً ما دام حسين بالبلد ، وأن حسينا أعظم في أعينهم وأنفسهم منه ،
وأطوع في الناس منه .

فلما بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية أرجف أهل العراق
بيزيد ، وقالوا : قد امتنع حسين وابن الزبير ، ولحقا بمكة ، فكتب أهل

الكوفة إلى حسين ، وعليهم النعمان بن بشير .

قال أبو مخنف : فحدثني الحجاج بن علي ، عن محمد بن بشر الهمداني ، قال : اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد ، فذكرنا هلاك معاوية ، فحمدنا الله عليه ، فقال لنا سليمان بن صرد : إن معاوية قد هلك ، وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعته ، وقد خرج إلى مكة ، وأنتم شيعته وشيعة أبيه ، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه ، وإن خفتم الوهْلَ والفشل فلا تغرؤا الرجل من نفسه ، قالوا : لا ، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه ؛ قال : فاكتبوا إليه ، فكتبوا إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . لحسين بن علي من سليمان بن صرد والمسيب ابن نجبة ورفاعة بن شداد وجيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة . سلام عليك ، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها ، وغصبها فيئتها ، وأمر عكسيها بغير رضا منها ، ثم قتل خيارها ، واستبقى شرارها ، وجعل مال الله دولة بين جبارتها وأغنيائها ، فبُعِدَ له كما بَعِدَتْ ثمود ! إنه ليس علينا إمام ، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق . والنعمان ابن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نأحقه بالشأم إن شاء الله ؛ والسلام ورحمة الله عليك .

٢٣٤/٢

قال : ثم سرتنا بالكتاب مع عبد الله بن سبيع الهمداني وعبد الله بن وال ، وأمرناهما بالنجاء ؛ فخرج الرجلان مسرعين حتى قدما على حسين لعشر مضي من شهر رمضان بمكة ، ثم لبثنا يومين ، ثم سرتنا إليه قيس ابن مسهر الصيداوي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبي وعمارة بن عبيد السلوي ، فحملوا معهم نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفة ؛ [الصحيفة] من الرجل والاثنين والأربعة .

قال : ثم لبثنا يومين آخرين ، ثم سرّحنا إليه هانيّ بن هانيّ السبّعيّ وسعيد بن عبد الله الحنفى ، وكتبنا معهما :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحسين بن علىّ من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، أمّا بعد ، فحيّهما ، فإنّ الناس ينتظرونك ، ولا رأى لهم فى غيرك ، فالعجل العجل ، والسلام عليك .

٢٣٥/٢ وكتب شبث بن ربعى وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُويم وعزرة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدىّ ومحمد بن عمير التميمى : أمّا بعد ، فقد اخضرّ الجنب ، وأينعت الثمار ، وطسّمت الحِمَام ، فإذا شئت فاقدّم على جند لك مجنّد ، والسلام عليك . وتلاقت الرسل كلّها عنده ، فقرأ الكتب ، وسأل الرسل عن أمر الناس ، ثم كتب مع هانيّ بن هانيّ السبّعيّ وسعيد بن عبد الله الحنفى ، وكانا آخر الرسل :

بسم الله الرحمن الرحيم . من حسين بن علىّ إلى الملاّ من المؤمنين والمسلمين ؛ أمّا بعد ، فإنّ هانئاً وسعيداً قدّما علىّ بكتبكم ، وكانا آخر من قدم علىّ من رسلكم ، وقد فهمت كلّ الذى اقتصصتم وذكرتم ، ومقالة جلّكم : إنه ليس علينا إمام ، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق . وقد بعثت إليكم أخى وابن عمّى وثقى من أهل بيتى ، وأمرته أن يكتب إلىّ بحالكم وأمركم ورأيكم ، فإن كتب إلىّ أنه قد أجمع رأى ملئكم وذوى الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت علىّ به رؤسكم ، وقرأت فى كتبكم ، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله ؛ فلعمرى ما الإمام إلا العامل بالكتاب ، والآخذ بالقسط ، والدائن بالحق ، والهابس نفسه على ذات الله . والسلام .

قال أبو مخنف : وذكر أبو المخارق الراسبيّ ، قال : اجتمع ناس من الشيعة بالبصرة فى منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية ابنة سعد - أو منقذ - أياماً ، وكانت تشيع ، وكان منزلها لهم مألّفاً يتحدّثون فيه ، وقد بلغ ابن زياد إقبال الحسين ، فكتب إلى عامله بالبصرة أن يضع المناظر ويأخذ بالطريق .

قال : فأجمع يزيد بن نُبَيْط الخروج - وهو من عبد القيس - إلى الحسين ، وكان له بَنُونَ عشرة ، فقال : أيُّكُمْ يخرج معي ؟ فانتدب معه ابنان له : عبد الله وعبيد الله ، فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة : إني قد أزعمتُ على الخروج ، وأنا خارج ، فقالوا له : إنا نخاف عليك أصحاب ابن زياد ؛ فقال : إني والله لو قد استوت أخفافهما بالجدد لَهَان على طلب من طلبني .

قال : ثم خرج فتقدَّى^(١) في الطريق حتى انتهى إلى حسين عليه السلام ، فدخل في رحله بالأبطح ، وبلغ الحسين مجيئه ، فجعل يطلبه ، وجاء الرجل إلى رَحْل الحسين ، فقيل له : قد خرج إلى منزلك ، فأقبل في أثره ، ولما لم يجده الحسين جلس في رحله ينتظره ، وجاء البصري فوجدَه في رَحْلِه جالسًا ، فقال : ﴿ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ قال : فسلم عليه ، وجلس إليه ، فخبَّره بالذي جاء له ، فدعا له بخير ، ثم أقبل معه حتى أتى فقاتل معه ، فقتل معه هو وابناه . ثم دعا مسلم بن عَقِيل فسرَّحه مع قيس بن مُسهر الصيداوي وعمارة بن عبيد السَّلولي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدَن الأرجبي ، فأمره بتقوى الله وكمَان أمره ، واللطف ، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك .

فأقبل مسلم حتى أتى المدينة فصلَّى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وودَّع من أحبَّ من أهله ، ثم استأجر دليلين من قيس ، فأقبلَا به ، فضلَّا الطريق وجارا ، وأصابهم عطش شديد ، وقال الدليلان : هذا الطريق حتى تنتهي إلى الماء ، وقد كادوا أن يموتوا عطشًا . فكتب مسلم بن عَقِيل مع قيس بن مسهر الصيداوي إلى حسين ، وذلك بالمَضِيق من بطن الحُبَيْت :

أما بعد ، فإنني أقبلتُ من المدينة معي دليلان لي ، فجارا عن الطريق وضلَّا ، واشتدَّ علينا العطش ، فلم يلبثا أن ماتا ، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء ، فلم ننجُ إلا بُحْشاشة أنفُسنا ، وذلك الماء بمكان يُدعى المَضِيق من بطن الحُبَيْت ؛ وقد تطيَّرت من وجهي هذا ، فإن رأيت أعفيتني منه ، وبعثت غيري ، والسلام .

(١) تقدَّى ، أى أسرع .

فكتب إليه حسين :

أماً بعد ، فقد خشيت ألا يكون حَمَلَك على الكتاب إلى في الاستعفاء من الوجه الذى وجهتك له إلا الجُبْن ، فامض لوجهك الذى وجهتك له ؛ والسلام عليك .

فقال مسلم لمن قرأ الكتاب : هذا ما لست أتخوفه على نفسى ؛ فأقبل كما هو حتى مرّ بماء لطيفٍ ، فنزل بهم ، ثم ارتحل منه ، فإذا رجل يرى الصيّد ، فنظر إليه قد رمى ظبيّاً حين أشرف له ، فصرعه ، فقال مُسلم : يُقتل عدونا إن شاء الله ؛ ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة ، فنزل دارَ المختار ابن أبي عبيد - وهى التى تدعى اليوم دار مسلم بن المسيّب - وأقبلت الشيعة تختلف إليه ، فلما اجتمعت إليه جماعةٌ منهم قرأ عليهم كتابَ حسين ، فأخذوا يبيكون .

فقام عابس بن أبى شبيب الشاكريّ ، فحمّد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإني لا أخبرك عن الناس ، ولا أعلم ما فى أنفسهم ، وما أغرّك منهم ، والله لأحدّثك عما أنا موطنٌ نفسى عليه ، والله لأجيبنكم إذا دعوتكم ، ولأقاتلنّ معكم عدوكم ، ولأضربنّ بسيفى دونكم حتى ألقى الله ، لا أريد بذلك إلا ما عند الله .

فقام حبيب بن مظاهر الفَقْعَسىّ ؛ فقال : رحمك الله ! قد قضيت ما فى نفسك ، بواجز من قولك ؛ ثم قال : وأنا والله الذى لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه .

ثم قال الحنفىّ مثل ذلك . فقال الحجاج بن علىّ : فقلت لمحمد بن بشر : فهل كان منك أنت قول ؟ فقال : إن كنت لأجّب أن يعزّ الله أصحابى بالظفر ، وما كنت لأجّب أن أقتل ، وكرهت أن أكذب .

واختلفت الشيعة إليه حتى علّم مكانه ، فبلغ ذلك النعمان بن بشير .

قال أبو مخنف : حدثنى نُصَيْر^(١) بن وِعلَة ، عن أبى الودّاك ، قال : خرج إلينا النعمان بن بشير فضعد المنبر ، فحمّد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فاتقوا الله عباد الله ولا تُسارعوا إلى الفتنة والفرقة ، فإنّ فيهما يهلك

(١) ط : « نمر » ؛ وانظر الفهرس .

الرجال ، وتُسْفَكَ الدماء ، وتُغْصَب الأموال — وكان حليماً ناسكاً يحب العافية — قال : إني لم أقاتل من لم يقاتلني ، ولا أثب على من لا يثب عليّ ، ولا أشتكم ، ولا أتحرش بكم ، ولا آخذ بالقَرْف ولا الظَّنة ولا التَّهمة ، ولكنكم إن أبديتم صفحتكم لي ، ونكثتم ببيعتمكم ، وخالفتم إمامكم ، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ، ولو لم يكن لي منكم ناصر . أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يُرْديه الباطل .

٢٣٩/٢

قال : فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية فقال : إنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم^(١) ، إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأى المستضعفين ؛ فقال : أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون من الأعزّين في معصية الله ؛ ثم نزل .

وخرج عبد الله بن مسلم ، وكتب إلى يزيد بن معاوية : أما بعد ، فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن عليّ ، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك ، ويعمل مثل عملك في عدوك ، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف ؛ أو هو يتضعف . فكان أول من كتب إليه .

ثم كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو من كتابه ، ثم كتب إليه عمر بن سعد ابن أبي وقاص بمثل ذلك .

قال هشام : قال عوانة : فلما اجتمعت الكتب عند يزيد ليس بين كتبهم إلا يومان ، دعا يزيد بن معاوية سرجون مولى معاوية فقال : ما رأيك ؟ فإن حسيناً قد توجه نحو الكوفة ، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين ، وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيئ — وأقرأه كتبهم — فما ترى من أستعمل على الكوفة ؟ وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد ؛ فقال سرجون : أرايت معاوية لو نُشِر لك ، أكنت آخذاً برأيه ؟ قال : نعم ؛ فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة فقال : هذا رأي معاوية ، ومات وقد أمر بهذا الكتاب . فأخذ برأيه وضمّ المصريين إلى عبيد الله ، وبعث إليه بعهد على الكوفة .

(١) الغشم : الظلم .

ثم دعا مسلم بن عمرو الباهلي - وكان عنده - فبعثه إلى عبيد الله بعهدته إلى البصرة ، وكتب إليه معه : أما بعد ، فإنه كتب إلى شيعتي من أهل الكوفة يخبروني أن ابن عَقِيل بالكوفة يجمع الجموع لشيء عصا المسلمين ؛ فسير حينئذ كتابي هذا حتى تأتني أهل الكوفة فتطلب ابن عَقِيل كطلب الحرزة حتى تَشَقِّقَهُ ^(١) فتوثقه أو تقتله أو تنفيه ؛ والسلام .

فأقبل مسلم بن عمرو حتى قدم على عبيد الله بالبصرة ، فأمر عبيد الله بالجهاز والتجهيز والمسير إلى الكوفة من الغد .

وقد كان حسين كتب إلى أهل البصرة كتاباً ؛ قال هشام : قال أبو مخنف : حدثني الصقعب بن زهير ، عن أبي عثمان النهدي ، قال : كتب حسين مع مولاي لهم يقال له : سليمان ، وكتب بنسخة إلى رؤوس الأخماس بالبصرة وإلى الأشراف ؛ فكتب إلى مالك بن مسمع البكري ، وإلى الأحنف بن قيس ، وإلى المنذر بن الحارود ، وإلى مسعود بن عمرو ، وإلى قيس ابن الهيثم ، وإلى عمرو بن عبيد الله بن معمر ، فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها : أما بعد ، فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه ، وأكرمته بنبوته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده ، وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه وسلم ، وكنا أهلته وأولياءه وأوصيائه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا وكرهنا للفرقة ، وأحبينا العافية ، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه ، وقد أحسنوا وأصلحوا ، وتحروا الحق ، فرحمهم الله ، وغفر لنا ولهم .

وقد بعثت رسولاً إليكم بهذا الكتاب ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإن السنة قد أميتت ، وإن البدعة قد أحييت ، وإن تسمتعوا قولي وتطيعوا أمرى أهدكم سبيل الرشاد ، والسلام عليكم ورحمة الله .

٢٤١/٢ فكل من قرأ ذلك الكتاب من أشراف الناس كتبه ، غير المنذر بن الحارود ، فإنه خشي بزعمه أن يكون دسيساً من قبل عبيد الله ، فجاءه بالرسول من العشيّة

(١) تَشَقِّقَهُ : تظفر به .

التي يريد صبيحتها أن يسبق إلى الكوفة ، وأقرأه كتابته ، فقدّم الرسول فضرِبَ عنقه . وصعد عبيد الله منبرَ البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فوالله ما تُقَرَّنُ بي الصَّعْبَةُ ، ولا يُقَعِّعُ لي بالشَّيْثَانُ ، وإِنِّي لَنِكَئَلٌ ^(١) لمن عاداني ، وسمّٰ لمن حاربني ، أنصف القارةَ مَنْ رَامَاهَا . يا أهلَ البصرة ، إنَّ أميرَ المؤمنين ولأني الكوفة وأنا غاد إليها الغداة ، وقد استخلفتُ عليكم عثمانَ بن زياد بن أبي سفيان ، وإيّاكم والخلاف والإرجاف ، فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلافٌ لأقتلنّه وعريفه ووليه ، ولأخذنّ الأذنّى بالأقصى حتى تستمعوا لي ، ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاقّ ، أنا ابن زياد ، أشبهته من بين من وطئ الحصى ولم ينتزعي شبهة خال ولا ابن عمّ .

ثم خرج من البصرة واستخلف أخاه عثمانَ بن زياد ، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهليّ ، وشريك بن الأعور الحارثي وحشمه وأهل بيته ، حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء ، وهو مثلثم والناس قد بلغهم إقبال حسين إليهم ، فهم ينتظرون قدومه ، فظنّوا حين قدم عبيد الله أنه الحسين ، فأخذ لا يمرّ على جماعة من الناس إلّا سلّموا عليه ، وقالوا : مرحباً بك يا ابنَ رسول الله ! قلمتَ خيرَ مقدّم ، فرأى من تبشيرهم بالحسين عليه السلام مسأسه ، فقال مسلم بن عمرو لما أكثروا : تأخّروا ، هذا الأميرُ عبيد الله بن زياد ، فأخذ حين أقبل على الظهر ؛ وإنّا معه بضعة عشر رجلاً ، فلما دخل القصر وعلم الناس أنه عبيد الله بن زياد دخلهم من ذلك كآبة وحزن شديد ، وغازب عبيد الله ما سمع منهم ، وقال : ألا أرى هؤلاء كما أرى .

٢٤٢/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني المعلّى بن كليب ، عن أبي ودّاك ، قال : لما نزل القصر نودي : الصلاة جامعة ؛ قال : فاجتمع الناس ، فخرج إلينا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنَّ أميرَ المؤمنين أصلحه الله ولأني مصرّكم وثغرّكم ^(٢) ، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم ، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم ، وبالشدة على مريبكم وعاصيكم ، وأنا

(١) يقال : إنه لنكئل شر ، بكسر النون وسكون الكاف ، أي ينكل بأعدائه .

(٢) الثغر : موضع الخافة من فروج البلدان .

متبع فيكم أمره ، ومنفد فيكم عهدَه ، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البرّ ، وسوطى وسيفى على مَنْ ترك أمرى ، وخالفَ عهدى ، فليُبقِ امرؤُ على نفسه .
الصدق يبنى عنك لا الوعيد ؛ ثم نزل .

فأخذ العُرفاء والناس أخذاً شديداً ، فقال : اكتبوا إلى الغُرباء ، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ، ومن فيكم من الحرورية وأهل الرّيب الذين رأبهم الخلاف والشقاق ، فمن كتبهم لنا فبرئ ، ومن لم يكتب لنا أحداً ، فيضمن لنا ما فى عرافته ألا يخالفنا منهم مخالف ، ولا يغيب علينا منهم باغ ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة ، وحلال لنا ماله وسفكُ دمه ، وأيضاً عريف وجد فى عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره ، وألقيت^(١) تلك العرافة من العطاء ، وسير إلى موضع بعُمان الزّارة .

وأما عيسى بن يزيد الكنانى فإنه قال — فيما ذكر عمر بن شبة ، عن ٢٤٣/٢ هارون بن مسلم ، عن على بن صالح ، عنه — قال : لما جاء كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد ، انتخب من أهل البصرة خمسمائة ، فيهم عبد الله بن الحارث بن نوفل ، وشريك بن الأعور — وكان شيعةً لعلى — فكان أول من سقط بالناس شريك ، فيقال : إنه تساقط غمرةً ومعه ناس — ثم سقط عبد الله ابن الحارث وسقط معه ناس ، ورجوا أن يلوى عليهم عبيد الله ويسبقه الحسين إلى الكوفة ، فجعل لا يلتفت إلى مَنْ سقط ، وبغضى حتى ورد القادسية ، وسقط مِهْران مولاه ، فقال : أيا مِهْران ، على هذه الحال ، إن أمسكت عنك حتى تنظر إلى القصر فلك مائة ألف ، قال : لا ، والله ما أستطيع . فترّل عبيد الله فأخرج ثياباً مقطّعة من مقطّعات اليمّ، ثم اعتجر بمعجرة يمانية ، فركب بغلته ، ثم انحدر راجلاً وحده ، فجعل يمرّ بالحارس فكلّما نظروا إليه لم يشكوا أنه الحسين ، فيقولون : مرجباً بك يابن رسول الله ! وجعل لا يكلمهم ، وخرج إليه الناس من دورهم ويؤتهم ، وسمع بهم النعمان بن بشير فغلق عليه وعلى خاصته ، وانتهى إليه عبيد الله وهو لا يشك أنه الحسين ، ومعه الخلق يضحّون ، فكلمه النعمان ، فقال : أنشدك

(١) ابن الأثير : « ألقيت » .

اللهَ إِلَّا تَنْحَيْتَ عَنِّي ! مَا أَنَا بِمُسْلِمٍ إِلَيْكَ أَمَانَتِي ، وَمَا لِي فِي قَتْلِكَ مِنْ أَرْبٍ ؛ فَجَعَلَ لَا يَكَلِّمُهُ . ثُمَّ إِنَّهُ دَنَا وَتَدَلَّى الْآخِرُ بَيْنَ شُرَفَيْنِ ، فَجَعَلَ يَكَلِّمُهُ فَقَالَ : افْتَحْ لَا فَتَحْتَ ، فَقَدْ طَالَ لَيْلُكَ ، فَسَمِعَهَا إِنْسَانٌ خَلْفَهُ ، فَتَكَفَّفَنِي إِلَى الْقَوْمِ ، فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ ، ابْنُ مَرْجَانَةَ ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ! فَقَالُوا : وَيَحْكُ ! إِنَّمَا هُوَ الْحُسَيْنُ ، فَفَتَحَ لَهُ النِّعْمَانُ ، فَدَخَلَ ، وَضَرَبُوا الْبَابَ فِي وَجْهِ النَّاسِ ، فَانْفَضُّوا ، وَأَصْبَحَ فَجَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ سَارَ مَعِيَ ، وَأَظْهَرَ الطَّاعَةَ لِي مِنْ هُوَ عَدُوٌّ لِلْحُسَيْنِ حِينَ ظَنُّوا أَنَّ الْحُسَيْنَ قَدْ دَخَلَ الْبَلَدَ وَغَلِبَ عَلَيْهِ ، وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُ مِنْكُمْ أَحَدًا ؛ ثُمَّ نَزَلَ .

٢٤٤/٢

وَأَخْبِرَ أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ قَدِمَ قَبْلَهُ بِلَيْلَةٍ ، وَأَنَّهُ بِنَاحِيَةِ الْكُوفَةِ ، فَدَعَا مَوْلَى لَبْنَى تَمِيمٍ فَأَعْطَاهُ مَالًا ، وَقَالَ : انْتَحِلْ هَذَا الْأَمْرَ ، وَأَعْنِهِم بِالْمَالِ ، وَاقْصِدْ لِهَائِي وَمُسْلِمٌ وَانْزَلَ عَلَيْهِ ؛ فَجَاءَ هَائِنًا فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ شَيْعَةٌ ، وَأَنَّ مَعَهُ مَالًا . وَقَدِمَ شَرِيكُ بْنُ الْأَعْوَرِ شَاكِيًا ، فَقَالَ لِهَائِي : مُرُّ مُسْلِمًا يَكُنْ عِنْدِي ، فَإِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ يَعُودُنِي ؛ وَقَالَ شَرِيكٌ لِمُسْلِمٍ : أَرَأَيْتَكَ إِنْ أُمَكْتُكَ مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ أَضَارِبُهُ أَنْتَ بِالسَّيْفِ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ . وَجَاءَ عُبَيْدُ اللَّهِ شَرِيكًا يَعُودُهُ فِي مَتَرٍ هَائِي — وَقَدْ قَالَ شَرِيكٌ لِمُسْلِمٍ : إِذَا سَمِعْتَنِي أَقُولُ : اسْقُونِي مَاءً فَأَخْرَجَ عَلَيْهِ فَاضْرِبْهُ — وَجَلَسَ عُبَيْدُ اللَّهِ عَلَى فِرَاشِ شَرِيكٍ ، وَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ مِهْرَانٌ ، فَقَالَ : اسْقُونِي مَاءً ، فَخَرَجَتْ جَارِيَةٌ بِقَدَحٍ ، فَرَأَتْ مُسْلِمًا ، فَزَالَتْ ، فَقَالَ شَرِيكٌ : اسْقُونِي مَاءً ؛ ثُمَّ قَالَ الثَّلَاثَةُ : وَيَلَكُمْ تَحْمُونِي الْمَاءُ ! اسْقُونِيهِ وَلَوْ كَانَتْ فِيهِ نَفْسِي ؛ فَفَطَنَ مِهْرَانٌ فَعَمَزَ عُبَيْدَ اللَّهِ ، فَوُثِبَ ، فَقَالَ شَرِيكٌ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُوصِيَ إِلَيْكَ ؛ قَالَ : أَعُودُ إِلَيْكَ ، فَجَعَلَ مِهْرَانٌ يَطْرُدُ بِهِ ؛ وَقَالَ : أَرَادَ وَاللَّهِ قَتْلَكَ ؛ قَالَ : وَكَيْفَ مَعَ إِكْرَامِي شَرِيكًا وَفِي بَيْتِ هَائِي وَيدُ أَبِي عِنْدَهُ يَدُ ! فَجَرَعَ فَأَرْسَلَ إِلَى أَسْمَاءَ بِنِ خَارِجَةَ وَمُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ فَقَالَ : اثْنَانِي بِهَائِي ، فَقَالَا لَهُ : إِنَّهُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْأَمَانِ ؛ قَالَ : وَمَا لَهُ وَلِلْأَمَانِ ! وَهَلْ أَحْدَثَ حَدَثًا ! انْظُلُقَا فَإِنْ لَمْ يَأْتِ إِلَّا بِأَمَانٍ فَأَمْنَاهُ ، فَأَتِيَاهُ فَدَعَاوَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ إِنْ أَخَذَنِي قَتَلْتَنِي ، فَلَمْ يَزَالَا بِهِ حَتَّى جَاءَا بِهِ وَعُبَيْدُ اللَّهِ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَجَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ ، وَقَدْ رَجَّلَ هَائِي

٢٤٥/٢

غَدِيرَتَيْهِ ، فلمَّا صَلَّى عُبَيْدُ اللَّهِ ، قال : يا هَانِئُ ، فَتَبَّعَهُ ، ودخل فسَلَّمَ ، فقال عبيد الله : يا هَانِئُ ، أما تعلم أنَّ أبِي قَدِمَ هذا البلد فلم يترك أحداً من هذه الشيعة إلا قتله غير أبيك وغير حُجْرٍ ، وكان من حُجْرٍ ما قد علمت ، ثم لم يزل يُحَسِّنُ صُحْبَتَكَ ، ثم كتب إلى أمير الكوفة : إن حاجتي قبلك هَانِئُ ؟ قال : نعم ، قال : فكان جزائي أن خبأت في بيتك رجلاً ليقْتلني ! قال : ما فعلت ، فأخرج التميمي الذي كان عيناً عليهم ، فلمَّا رآه هَانِئُ علم أن قد أخبره الخبر ، فقال : أيُّها الأمير ، قد كان الذي بلغك ، ولن أضيِّع يدك عنِّي ، فأنت آمنٌ وأهلك ، فسرَّ حيثُ شئت .

فكَبَبَا عبيد الله عندها ، ومهَرَّان قائم على رأسه في يده معكزة ، فقال : واذلَّاه ! هذا العبد الحائك يؤمِّنك في سلطانك ! فقال : خذه ، فطرح المعكزة ، وأخذ بضفيري هَانِئُ ، ثم أقنع بوجهه ، ثم أخذ عبيد الله المعكزة فضرب بها وجهَ هَانِئُ ، وندَرَ الزَّجَّ ، فارتزَّ (١) في الحدار ، ثم ضرب وجهه حتى كسر أنفه وجبينه ، وسمع الناسُ الهَيْعَةَ ، وبلغ الخبر مَدْحَج ، فأقبلوا ، فأطافوا بالدار ، وأمر عبيد الله بهَانِئُ فألقى في بيت ، وصيَّح المذحجيون ، وأمر عبيد الله مِهْران أن يُدخل عليه شُرَيْحًا ، فخرج ، فأدخله عليه ، ٢٤٦/٢ ودخلت الشُّرَطُ معه ، فقال : ياشريح ، قد ترى ما يصنع بي ! قال : أراك حيًّا ؛ قال : وحى أنا مع ما ترى ! أخبر قومي أنهم إن انصرفوا قتلني ؛ فخرج إلى عبيد الله فقال : قد رأيته حيًّا ، ورأيت أثرًا سيئًا ؛ قال : وتُسَكِّر أن يعاقب الوالي رعيته ! أخرج إلى هؤلاء فأخبرهم . فخرج ، وأمر عبيد الله الرجلَ فخرج معه ، فقال لهم شريح : ما هذه الرِّعَةُ السيئة (٢) ! الرجلُ حيٌّ ، وقد عاتبه سلطانه بضرب لم يبلغ نفسه ، فانصرفوا ولا تُحِلُّوا بأنفسكم ولا بصاحبكم . فانصرفوا .

وذكر هشام ، عن أبي مخنف ، عن المعلِّ بن كليب ، عن أبي الودَّاع ، قال : نزل شريك بن الأعور على هَانِئُ بن عُرْوَةَ المَرَادِي ، وكان شريك شيعيًّا ، وقد شهد صِفِّينَ مع عُمَّار .

(٢) الرعة : الحق .

(١) ارتز : ثبت .

وسمع مسلم بن عَقِيل بمجيء عبيد الله ومقاتله التي قالها ، وما أخذ به العُرُقَاء والناس ، فخرج من دار المختار - وقد عَلِمَ به - حتى انتهى إلى دار هاني بن عُرْوَة المرادي ، فدخل بابه ، وأرسل إليه أن اخرج ، فخرج إليه هاني ، فكره هاني مكانه حين رآه ، فقال له مسلم : أتيتك لتجبرني وتُضَيِّفَنِي ؟ فقال : رحمك الله ! لقد كلفْتَنِي شَطَطًا ، ولولا دخولك داري وثقتُك لأحييتُ وسألتُك أن تخرج عني ، غير أنه يأخذني من ذلك ذمامٌ ، وليس مردود مثلي على مثلك عن جهل ؛ ادخل .

فأواه ، وأخذت الشيعةُ تختلف إليه في دار هاني بن عروة ، ودعا ابن زياد مولًى له يقال له معقل ، فقال له : خذ ثلاثة آلاف درهم ، ثم اطلب مسلم ابن عَقِيل ، واطلب لنا أصحابه ، ثم أعطهم هذه الثلاثة آلاف ؛ فقل لهم : استعينوا بها على حرب عدوكم ، وأعلمهم أنك منهم ، فإنك لو قد أعطيتها إياهم اطمأنوا إليك ، وثقوا بك ، ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم ؛ ثم اغدُ عليهم ورُحْ . ففعل ذلك ، فجاء حتى أتى إلى مسلم بن عَوْسجة الأسدِي من بني سعد بن ثعلبة في المسجد الأعظم وهو يصلي ، وسمع الناس يقولون : إن هذا يبايع للحسين ، فجاء فجلس حتى فرغ من صلاته ثم قال : يا عبد الله ، إني امرؤ من أهل الشام ، مولًى لدى الكلاع ، أنعم الله عليّ بحُبِّ أهل هذا البيت وحبِّ مَنْ أحبَّهم ، فهذه ثلاثة آلاف درهم أردتُ بها لقاء رجلٍ منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أريد لقاءه فلم أجِدْ أحداً يدلُّني عليه ولا يعرف مكانه ، فإنني لجالسٌ آنفًا في المسجد إذ سمعتُ نفرًا من المسلمين يقولون : هذا رجلٌ له علمٌ بأهل هذا البيت ؛ وإني أتيتك لتقبض هذا المال وتدخلني على صاحبك فأبايعه ، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه ، فقال : أحمد الله على لقاءك إِيَّاي ، فقد سرتني ذلك لتنال ما تحبُّ ، ولينصر الله بك أهل بيت نبيِّه ، ولقد ساءت معرفتك إِيَّاي بهذا الأمر من قبل أن يسميَ تخافة هذا الطاغية وسطوته .

فأخذ بيعته قبل أن يبرح ، وأخذ عليه الموائيق المغلظة ليناصحن

وليكنسن" ، فأعطاه من ذلك ما رَضِيَ به ، ثم قال له : اختلِف إلى أيّاماً في منزلي ، فأنا طالبٌ لك الإذن على صاحبك . فأخذ يختلف مع الناس ، فطلب له الإذن . ففرض هاني بن عروة ، فجاء عبید الله عائداً له ، فقال له عُماره بن عبید السّلولي : إنّما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية ، فقد أمكنك الله منه فاقتله ؛ قال هاني : ما أحبّ أن يُقتلَ في داري ، فخرج ٢٤٨/٢ فما مكث إلا جمعةً حتى مرض شريك بن الأعور — وكان كريماً على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء ، وكان شديد التشيع — فأرسل إليه عبید الله : إني رائجٌ إليك العشيّة ؛ فقال لمسلم : إن هذا الفاجر عائدي العشيّة ، فإذا جلس فأخرج إليه فاقتله ، ثم أقعد في القصر ، ليس أحدٌ يحول بينك وبينه ، فإن برئتُ من وجعِي هذا أباي هذه سرّتُ إلى البصرة وكفيتك أمرها .

فلما كان من العشيّ أقبل عبید الله لعيادة شريك ، فقام مسلم بن عقیل ليدخل ، وقال له شريك : لا يفوتنك إذا جلس ؛ فقام هاني بن عروة إليه فقال : إني لا أحبّ أن يُقتلَ في داري — كأنه استقبح ذلك — فجاء عبید الله ابن زياد فدخل فجلس ، فسأل شريكاً عن وجعه ، وقال : ما الذي تجدُ ؟ ومتى أشكيت^(١) ؟ فلما طال سؤاله إياه ، ورأى أن الآخر لا يخرج ، خشي أن يفوته ، فأخذ يقول :

* ما تنتظرون بسلمى أن تحيوها *

اسقنيها وإن كانت فيها نفسي ، فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً ؛ فقال عبید الله ، ولا يقطن ما شأنه : أترونه يهجر^(٢) ؟ فقال له هاني : نعم أصلحك الله ! ما زال هذا ديدنه قبيل عماية الصبح حتى ساعته هذه . ثم إنه قام ٢٤٩/٢ فانصرف ، فخرج مسلم ، فقال له شريك : ما منعك من قتله ؟ فقال : خصلتان : أما إحداهما فكرهه هاني أن يُقتلَ في داره ، وأما الأخرى فحديثُ حدّته الناسُ عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : «إنّ الإيمان قيد الفتك ، ولا يفتك مؤمن» ؛ فقال هاني : أما والله لو قتلتَ فاسقاً فاجراً كافراً غادراً ، ولكن كرهتُ أن يُقتلَ في داري . ولبت شريك بن الأعور بعد

(١) أشكيت واشتكيت : كلاهما بمعنى واحد . (٢) يهجر ، أي يهني .

ذلك ثلاثاً ثم مات ، فخرج ابن زياد فصلّى عليه ، وبلغ عبيد الله بعد ما قتل مسلماً وهائناً أن ذلك الذي كنت سمعت من شريك في مرضه إنما كان يُحرّضُ مسلماً ، ويأمره بالخروج إليك ليقتلك ؛ فقال عبيد الله : والله لا أصلى على جنازة رجل من أهل العراق أبداً ، والله لولا أن قبر زياد فيهم لنَبَشْتُ شريكاً .

ثم إن معقلاً مولى ابن زياد الذي دسّه بالمال إلى ابن عقيل وأصحابه ، اختلف إلى مسلم بن عوسجة أياماً ليدخله على ابن عقيل ، فأقبل به حتى أدخله عليه بعد موت شريك بن الأعور ، فأخبره خبره كله ، فأخذ ابن عقيل بيعته ، وأمر أبا ثمامة الصائدي ، فقبض ماله الذي جاء به — وهو الذي كان يقبض أموالهم ، وما يعين به بعضهم بعضاً ، يشتري لهم السلاح ، وكان به بصيراً ، وكان من فرسان العرب ووجه الشيعة — وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم ، فهو أول داخل وآخر خارج ، يسمع أخبارهم ، ويعلم أسرارهم ، ثم ينطلق بها حتى يُقرّها في أذن ابن زياد^(١) . قال : وكان هاني يغدو ويسروح إلى عبيد الله ، فلما نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتسمارص ، فجعل لا يخرج ، فقال ابن زياد لجلسائه : مالي لا أرى هائناً ! فقالوا : هو شاك ، فقال : لو علمت بمرضه لعدتُه !

٢٥٠/٢

قال أبو مخنف : فحدثني الجالد بن سعيد ، قال : دعا عبيد الله محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة .

قال أبو مخنف : حدثني الحسن بن عتبة المرادي أنه بعث معهما عمرو بن الحجاج الزبيدي .

قال أبو مخنف : وحدثني نُمَيْر^(٢) بن وعلة ، عن أبي الودّاع ، قال : كانت روعة أخت عمرو بن الحجاج تحت هاني بن عروة ، وهي أم يحيى بن هاني . فقال لهم : ما يمنع هاني بن عروة من إتياننا ؟ قالوا : ما ندرى أصلحك الله !

(١) ابن الأثير : « ينقلها إلى عبيد الله » .

(٢) ط : « نمر » ، وانظر الفهرس .

ولأنه لَيْتَشَكَّتِي ، قال : قد بلغني أنه قد برأ ، وهو يجلس على باب داره ،
فالقَوَّه ، فَرُوهُ أَلَا يَدْعَ ما عليه في ذلك من الحق ، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ يَتَسَدَّ عِنْدِي
مِثْلُهُ من أَشْرَافِ الْعَرَبِ . فَأَتَوَهُ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهِ عَشِيَّةً وهو جالسٌ على بابهِ ،
فَقَالُوا : ما يَمْنَعُكَ من لِقَاءِ الْأَمِيرِ ؛ فإنه قد ذَكَرَكَ ، وقد قال : لو أَعْلَمُ أَنَّهُ شَاكٍ
لَعُدَّتْهُ ؟ فقال لهم : الشكوى تَمْنَعُنِي ، فقالوا له : يَبْلُغُهُ أَنَّكَ تَجْلِسُ كُلَّ
عَشِيَّةٍ على باب دارك ، وقد استبطأك ، والإبطاء والبقاء لا يَحْتَمِلُهُ السُّلْطَانُ ،
أَقْسَمْنَا عَلَيْكَ لَمَّا رَكِبْتَ معنا ! فدعا بَثِيَابَهُ فلبسها ، ثم دعا بَبِغَاةٍ فركبها
حتى إذا دنا من القصر ؛ كأنَّ نفسه أَحْسَسَتْ ببعض الذي كان ، فقال لِحَسَّانَ
ابن أَسْمَاءَ بن خَارجة : يا بنَ أَخِي ، إِنِّي وَاللَّهِ لِهَذَا الرَّجُلِ لِحَاثِفٌ ، فما ترى ؟
قال : أَيْ عَمَّ ، وَاللَّهِ ما أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ شَيْئاً ، وَلِمَ تَجْعَلُ على نَفْسِكَ سَبِيلاً
وَأَنْتَ بَرِيءٌ ؟ وزعموا أن أَسْمَاءَ لم يَعْلَمْ في أَيْ شَيْءٍ بَعَثَ إِلَيْهِ عُبَيْدُ اللَّهِ ؛
فَأَمَّا مُحَمَّدٌ فَقَدْ عَلِمَ بِهِ ؛ فدخل القوم على ابن زياد ، ودخل معهم ، فلما
طلع قال عُبَيْدُ اللَّهِ : أَتَيْتُكَ بِحَائِنٍ رَجُلَاهُ ! وقد عَرَّسَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِذْ ذَاكَ
بِأَمٍّ نَافِعٍ ابْنَةَ عُمَارَةَ بن عَقْبَةَ ؛ فلما دنا من ابن زياد وعنده شُرَيْحُ الْقَاضِي
التَمَّتْ نحوه ، فقال :

أُرِيدُ حِبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَزِيزُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ^(١)

وقد كان له أوَّل ما قدم مُكْرِمًا مُدْطِفًا ، فقال له هَانِي : وما ذاك
أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ قال : إِيهَ يَا هَانِي بن عُرْوَةَ ! ما هذه الْأُمُورُ الَّتِي تَرَبَّصُ في
دُورِكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ ! جِئْتَ بِمُسْلِمٍ بن عَقِيلٍ فَأَدْخَلْتَهُ دَارَكَ ،
وجمعت له السَّلاحَ وَالرِّجَالَ في الدَّوَرِ حَوْلَكَ ، وظننت أن ذاك يَخْفَى عَلىَّكَ !
قال : ما فعلت ، وما مسلمٌ عِنْدِي ، قال : بلى قد فعلت ؛ قال : ما فعلت ؛ قال :
بلى ، فلما كَثُرَ ذلكَ بَيْنَهُمَا ، وَأَبَى هَانِي إِلَّا مَجَاحَدَتَهُ وَمَنَاقَرَتَهُ ، دعا
ابنُ زِيَادٍ مَعْقِلًا ذاكَ الْعَيْنَ ، ففجأ حتى وقف بين يديه فقال : أتعرف هذا ؟
قال : نعم ، وعَلِمَ هَانِيٌ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ عَيْنًا عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّهُ قد أَتَاهُ بِأَخْبَارِهِمْ ،

(١) لعمرو بن معدى يكرب ، اللال ١٣٨ ، وفي ابن الأثير : « أريد حياته » .

فَسُقُطَ فِي خِلْكَدِهِ (١) سَاعَةً. ثُمَّ إِنَّ نَفْسَهُ رَاجَعَتْهُ ، فَقَالَ لَهُ : اسْمِعْ مِنِّي ، وَصَدِّقْ مَقَالَتِي ، فَوَاللَّهِ لَا أَكْذِبُكَ ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا دَعَوْتُهُ إِلَى مَنْزِلٍ ، وَلَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، حَتَّى رَأَيْتُهُ جَالِسًا عَلَى بَابِي ، فَسَأَلَنِي التَّرْوَلَ عَلَى ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَدِّهِ ، وَدَخَلْتَنِي مِنْ ذَلِكَ ذِمَامٍ ، فَأَدْخَلْتُهُ دَارِي وَضَفَفْتُهُ وَأَوَيْتُهُ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ الَّذِي بَلَغَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ أُعْطِيتُ الْآلَانَ مُوثَقًا مَغْلَظًا وَمَا تَطْمَئِنُّ (٢) إِلَيْهِ إِلَّا أَبْغَيْكَ سُوءًا ، وَإِنْ شِئْتَ أُعْطِيتُكَ رَهْنَةً تَكُونُ فِي يَدِكَ حَتَّى آتِيكَ ، وَأَنْتَ تَطْلُقُ إِلَيْهِ فَأَمْرُهُ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ دَارِي إِلَى حَيْثُ شَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ، فَأَخْرَجَ مِنْ ذِمَامِهِ وَجَوَارِهِ ؛ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا تَفَارِقُنِي أَبَدًا حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ ؛ فَقَالَ : لَا ، وَاللَّهِ لَا أَجِيْتُكَ أَبَدًا ، أَنَا أَجِيْتُكَ بِضَيْفِي تَقْتُلُهُ ! قَالَ : وَاللَّهِ لَتَأْتِيَنِي بِهِ ، قَالَ : وَاللَّهِ لَا آتِيكَ بِهِ .

٢٥٢/٢

فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي - وليس بالكوفة شامئ ولا بصري غيره - فقال : أصلح الله الأمير ! خلّني وإياه حتى أكلمه ، لما رأى لجأجته وتأبّسه على ابن زياد أن يدفع إليه مسلماً ، فقال لهاني : قم إلى ها هنا حتى أكلمك ؛ فقام فخلا به ناحية من ابن زياد ، وهما منه على ذلك قريب حيث يراهما ؛ إذا رفعا أصواتهما سمع ما يقولان ، وإذا خفّضا خفّى عليه ما يقولان ؛ فقال له مسلم : يا هاني ، إني أنشدك الله أن تقتل نفسك ، وتدخل البلاء على قومك وعشيرتك ! فوالله إني لأنفَسَ بك عن القتل ، وهو يرى أن عشيرته ستحرك في شأنه أن هذا الرجل ابن عم القوم ، وليسوا قاتليه ولا ضائريه ، فادفعه إليه فإنه ليس عليك بذلك مسخرة ولا منقصة ، إنما تدفعه إلى السلطان ، قال : بلى ، والله إن عليّ في ذلك للخرزى والعار ، أنا أدفع جاري وضيفي وأنا حتى صحيح أسمع وأرى ، شديد الساعد ، كثير الأعوان ! والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه . فأخذ يناشده وهو يقول : والله لا أدفعه إليه أبداً ؛ فسمع ابن زياد ذلك ، فقال : أدنوه مني ، فأدنوه منه ، فقال : والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك ؛

(١) ابن الأثير : « في يده » .

(٢) ابن الأثير : « تطمئن به » .

قال : إذا تكثر البارقة^(١) حول دارك ، فقال : ولها عليك ! أبا البارقة تخوفني ! وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه ؛ فقال ابن زياد : أدنوه مني ، فأدني ، فاستعرض وجهه بالقضيب ، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه ، وسيل الدماء على ثيابه ، ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب ، وضرب هائي بيده إلى قائم سيف شريطي من تلك الرجال ، وجابذته^(٢) الرجل ومنع ، فقال عبيد الله : أحروري سائر اليوم ! أحللت بنفسك ، قد حل لنا قتلك ، خذوه فألقوه في بيت من بيوت الدار ، وأغلقوا عليه بابه ، واجعلوا عليه حرساً ، ففعل ذلك به ، فقام إليه أسماء ابن خارجة فقال : أرسل غدر سائر اليوم ! أمرتنا أن نجيثك بالرجل حتى إذا جئناك به وأدخلناه عليك هشت وجهه ، وسيلت دمه على لحيته ، وزعمت أنك تقتله ! فقال له عبيد الله : وإنك لها هنا ! فأمر به فكهز وتعتت^(٣) به ، ثم ترك فحبس .

وأما محمد بن الأشعث فقال : قد رضي بنا بما رأى الأمير ؛ لنا كان أم علينا ، إنما الأمير مؤدب . وبلغ عمرو بن الحجاج أن هائناً قد قتل ، فأقبل في مذبح حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم ، ثم نادى : أنا عمرو بن الحجاج ، هذه فرسان مذبح ووجوهها ، لم تخلع طاعة ، ولم تفارق جماعة ، وقد بلغهم أن صاحبهم يقتل ، فأعظموا ذلك ؛ فقبل لعبيد الله : هذه مذبح بالباب ، فقال لشريح القاضي : ادخل على صاحبهم فانظر إليه ، ثم اخرج فأعلمهم أنه حي لم يقتل ، وأنت قد رأيته ، فدخل إليه شريح فنظر إليه .

فقال أبو مخنف : فحدثني الصقعب بن زهير ، عن عبد الرحمن بن شريح ، قال : سمعته يحدث إسماعيل بن طلحة ، قال : دخلت على هائي ، فلما رآني قال : يا الله يا للمسلمين ! أهلكت عشيرتي ؟ فأين أهل الدين ! وأين أهل المصر ! تفاقدوا ! يخلثوني ، وعدوهم وابن عدوهم ! والدماء

(١) البارقة : السيوف على التشبيه . (٢) ابن الأثير « وجذبه » .

(٣) لزه يلهزه لهما : ضربه بجمعه في لهما . والتمتة : الحركة العنيفة .

تسيل على لحيته ، إذ سمع الرّجة على باب القصر ، وخرجت واتّبعتني ، فقال : يا شريح ، إني لأظنها أصواتٌ مذحجٍ وشيعتي من المسلمين ، إن دخل على عشرة نفر أنقذوني ؛ قال : فخرجتُ إليهم ومعى حميد بن بكير^(١) الأحمرى - أرسله معى ابن زياد ، وكان من شرطه ممن يقوم على رأسه - وإيمُ الله لولا مكانه معى لكنتُ أبلغتُ أصحابه ما أمرتني به ؛ فلما خرجتُ إليهم قلت : إن الأمير لما بلغه مكانكم ومقاتلتكم في صاحبكم أمرتني بالدخول إليه ، فأتيتُه فنظرتُ إليه ، فأمرتني أن ألقاكم ، وأن أعلمكم أنه حيٌّ ، وأن الذى بلغكم من قتله كان باطلاً . فقال عمرو وأصحابه : فأما إذ لم يقتل فالحمدُ لله ؛ ثم انصرفوا .

قال أبو مخنف : حدثني الحجاج بن عليّ ، عن محمد بن بشر^(٢) الهمدانيّ ، قال : لما ضرب عبيد الله هانئاً وحبيسه خشى أن يثبّ الناسُ به ، فخرج فصعد المنبرَ ومعه أشراف الناس وشرطه وحشمه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فاعتصموا ببطاعة الله وطاعة أئمتكم ، ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتُجفّوا وتحرموا ، إن أخاك من صدّك ، وقد أعدّ من أنذر .

قال : ثم ذهب لينزل ، فما نزل عن المنبر حتى دخلت النظارة المسجد من قبل التّمّارين يشتدون ويقولون : قد جاء ابن عقيل ! قد جاء ابن عقيل ! فدخل عبيد الله القصرَ مسرعاً ، وأغلق أبوابه .

٢٥٥/٢

قال أبو مخنف : حدثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن خازم ، قال : أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمرُ هانئ ؛ قال : فلما ضرب وحبس ركبتي فرسي وكنت أول أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر ، وإذا نسوةٌ لمراد مجتمعات ينادين : يا عسّرتاه ! يا ثكلاه ! فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر ، فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأ منهم الدُّور حوله ، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً ، وفي الدور أربعة آلاف رجل ، فقال لي : نادِ : يا منصور أمت ؛ فناديتُ : يا منصور أمت ؛ وتنادى أهل الكوفة

(٢) ط : « بشير » وانظر الفهرس .

(١) ط « بكر » ، وانظر الفهرس .

فاجتمعوا إليه ، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندى على رُبْع كندة وربيعة ، وقال : سرّ أُمّى فى الخيل ، ثم عقد لمسلم بن عَوْسَجَة الأسدى على رُبْع مَذْحِج وأسد ، وقال : انزل فى الرجال فأنت عليهم ؛ وعقد لأبى ثُمَامَة ^(١) الصائلى على رُبْع تميم وهَمْدَان ، وعقد لعباس بن جَعْدَة الجذلى على رُبْع المدينة ، ثم أقبل نحو القصر ، فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرّز فى القصر ، وغلّق الأبواب .

قال أبو مخنف : وحدّثنى يونس بن أبى إسحاق ، عن عبّاس الجذلى قال : خرجنا مع ابن عَقِيل أربعة آلاف ، فما بلغنا القصر إلا ونحن ثلثمائة . قال : وأقبل مسلم يسيرُ فى الناس من مراد حتى أحاط بالقصر ، ثم إنّ الناس تداعَوْا إلينا واجتمعوا ، فوالله ما لبثنا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق ، وما زالوا يشوّبون حتى المساء ، فضاق بعبيد الله ذرّعه ، وكان كُبُر أمره أن يتمسك بباب القصر ، وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشُرط ٢٥٦/٢ وعشرون رجلاً من أشرف الناس وأهل بيته ومواليه ، وأقبل أشرف الناس يأتون ابن زياد من قبلى الباب الذى يلى دار الروميين ، وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم ، فينظرون إليهم فيتقون أن يرموهم بالحجارة ، وأن يشتموهم وهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه . ودعا عبيد الله كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثى فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج ، فيسير بالكوفة ، ويخذل الناس عن ابن عَقِيل ويخوفهم الحرب ، ويحدّهم عقوبة السلطان ، وأمر محمّد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضر موت ، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس ، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شَوْر الذهلى وشبّث بن ربّعى التميمى وحجّار بن أبجر العجلى وشمر بن ذى الجوشن العامرى ، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس ، وخرج كثير بن شهاب يُخذل الناس عن ابن عَقِيل .

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو جَنَاب الكلبي أن كثيراً ألفى رجلاً من

(١) ط : « ابن ثُمَامَة » ، وانظر ص ٣٦٤ س ١٠ من هذا الجزء .

كَلْبُ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ يَزِيدٍ، قَدْ لَبَسَ سِلَاحَهُ يَرِيدُ ابْنَ عَقِيلٍ فِي بَنِي
فَتَيَّانٍ، فَأَخَذَهُ حَتَّى أَدْخَلَهُ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ، فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ، فَقَالَ لَابْنِ زِيَادٍ :
لِنَّمَا أَرَدْتُكَ ؛ قَالَ : وَكُنْتَ وَعَدْتَنِي ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَأَمَرَ بِهِ فَجَبَسَ ،
وَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ حَتَّى وَقَفَ عِنْدَ دُورِ بَنِي عِمَارَةَ ، وَجَاءَهُ عِمَارَةُ بْنُ
صَلْحَبِ الْأَزْدِيِّ وَهُوَ يَرِيدُ ابْنَ عَقِيلٍ، عَلَيْهِ سِلَاحُهُ، فَأَخَذَهُ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى ابْنِ
زِيَادٍ فَجَبَسَهُ ، فَبَعَثَ ابْنَ عَقِيلٍ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ مِنَ الْمَسْجِدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنَ شُرَيْحِ الشَّيْبَانِيِّ ، فَلَمَّا رَأَى مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ كَثْرَةَ مَنْ أَتَاهُ، أَخَذَ يَتَنَحَّى
وَيَتَأَخَّرُ، وَأَرْسَلَ الْقَعْقَاعَ بْنَ شَوْرٍ الذَّهْلِيَّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ: قَدْ جَلَسْتُ
عَلَى ابْنِ عَقِيلٍ مِنَ الْعَرَارِ ، فَتَأَخَّرَ عَنْ مَوْقِفِهِ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ
مِنْ قِبَلِ دَارِ الرُّومِيِّينَ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ عِنْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ كَثِيرٌ مِنْ شُهَابٍ وَمُحَمَّدٍ
وَالْقَعْقَاعِ فَيَمْنُ أَطَاعَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ، قَالَ لَهُ كَثِيرٌ - وَكَانُوا مَنَاصِحِينَ لِابْنِ
زِيَادٍ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! مَعَكَ فِي الْقَصْرِ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ
وَمِنْ شُرَطِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ وَمَوَالِكَ ، فَأَخْرَجَ بَنَاءَ إِلَيْهِمْ ، فَأَبَى عُبَيْدُ اللَّهِ ،
وَعَقَدَ لَشَبَثِ بْنِ رَبِيعٍ لُؤَاءً ، فَأَخْرَجَهُ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَ ابْنِ عَقِيلٍ يَكْتُمُونَ
وَيُثَوِّبُونَ حَتَّى الْمَسَاءِ ، وَأَمَرَهُمْ شَدِيدٌ ، فَبَعَثَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى الْأَشْرَافِ فَجَمَعَهُمْ
إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَشْرِفُوا عَلَى النَّاسِ فَمَنْ أَمَرُوا أَهْلَ الطَّاعَةِ الزِّيَادَةَ وَالْكَرَامَةَ ، وَخَوْفُوا
أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ الْحَرَمَانَ وَالْعُقُوبَةَ ، وَأَعْلَمُوهُمْ فُصُولَ^(١) الْجُنُودِ مِنَ الشَّامِ إِلَيْهِمْ .

٢٥٧/٢

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ : حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ
الْكُثَيْبِيِّ^(٢) مِنَ الْأَزْدِ ، مِنْ بَنِي كَثِيرٍ ، قَالَ : أَشْرَفَ عَلَيْنَا الْأَشْرَافُ ، فَتَكَلَّمَ
كَثِيرُ بْنُ شُهَابٍ أَوَّلَ النَّاسِ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَجِبَ ، فَقَالَ : أَيُّهَا
النَّاسُ ، اخْلُقُوا بِأَهَالِيكُمْ ، وَلَا تَعْجَلُوا الشَّرَّ ، وَلَا تَعْرِضُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْقَتْلِ ،
فَإِنَّ هَذِهِ جُنُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدٌ قَدْ أَقْبَلَتْ ، وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ الْأَمِيرَ عَهْدًا :
لَنْ أَتَمِّتَ عَلَى حَرْبِهِ وَلَمْ تَنْصَرَفُوا مِنْ عَشِيَّتِكُمْ أَنْ يُحْرِمَ ذَرْيَتَكُمْ الْعَطَاءَ ، وَيَفْرُقَ
مُقَاتَلَتِكُمْ فِي مَغَازِيِ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى غَيْرِ طَمَعٍ ، وَأَنْ يَأْخُذَ الْبَرِيُّ بِالسَّقِيمِ ،
وَالشَّاهِدُ بِالْغَائِبِ ، حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ فِيكُمْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا أَذَاقَهَا وَبَالَ

٢٥٨/٢

(١) فُصُولُ الْجُنُودِ : خُرُوجُهُمْ . (٢) ط : « الْكُبَرَى » ، تَحْرِيفٌ .

ما جرت أيديها ؛ وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا ؛ فلما سمع مقالتهم الناس أخذوا يتفرقون ، وأخذوا ينصرفون .

قال أبو مخنف : فحدثني المجالد بن سعيد ؛ أن المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول : انصرف ؛ الناس يكفونك ؛ ويحيى الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول : غداً يأتيك أهل الشام ، فما تصنع بالحرب والشر ! انصرف . فيذهب به ؛ فما زالوا يتفرقون ويتصدعون حتى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً في المسجد ، حتى صليت المغرب ، فما صلتى مع ابن عقيل إلا ثلاثون نفساً . فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك النفر خرج متوجهاً نحو أبواب كندة ، وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة ، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان ، والتفت فإذا هو لا يحس أحداً يدلّه على الطريق ، ولا يدلّه على منزل ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدو ، فضى على وجهه يتلدّ دفي أزقة الكوفة لا يدرى أين يذهب ! حتى خرج إلى دور بني جيلة من كندة ، فشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها طوعة أم ولد كانت للأشعث بن قيس ، فأعتقها ، فزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالا ، وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره . فسلم عليها ابن عقيل ، فردت عليه ، فقال لها : يا أمة الله ، اسقيني ماء ، فدخلت فسقته ، فجلس وأدخلت الإماء ، ثم خرجت فقالت : يا عبد الله ألم تشرب ! قال : بلى ، قالت : فاذهب إلى أهلك فسكت ؛ ثم عادت فقالت مثل ذلك ، فسكت ؛ ثم قالت له : في الله ^(١) ، سبحان الله يا عبد الله ! فر إلى أهلك عافاك الله ؛ فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ، ولا أحله لك ؛ فقام فقال : يا أمة الله ، مالى في هذا المصر منزل ولا عشيرة ؛ فهل لك إلى أجر ومعروف ، ولعلّى مكافئك به بعد اليوم ! فقالت : يا عبد الله ، وما ذاك ؟ قال : أنا مسلم بن عقيل ، كدّني هؤلاء القوم وغروني ؛ قالت : أنت مسلم ! قال : نعم . قالت : ادخل ، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه ، وفرشت له ، وعرضت عليه العشاء فلم يتعش ، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فراها تكثر الدخول في البيت والخروج منه ، فقال : والله إنه

٢٥٩/٢

(١) في الله ، أى اتق الله في .

ليَربني كثرةُ دخولكِ هذا البيتَ منذ الليلة وخروجك منه ! إن لك لشأنًا ؛
 قالت : يا بني ، الهُ عن هذا ؛ قال لها : والله لتخبرني : قالت : أقبلْ عليَّ
 شأنك ولا تسألني عن شيء ، فألحَ عليها ، فقالت : يا بني ، لا تحدِثْني أحدًا
 من الناس بما أخبرك به ؛ وأخذتْ عليه الإيمان ، فحلف لها ، فأخبرته ، فاضطجع
 وسكت - وزعموا أنه قد كان شريدًا من الناس . وقال بعضهم : كان يشرب
 مع أصحاب له - ولما طال على ابن زياد ، وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عقيل
 صوتًا كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه : أشرفوا فانظروا هل تَرَوْنَ
 منهم أحدًا ! فأشرفوا فلم يَرَوْا أحدًا ؛ قال : فانظروا لعلَّهم تحت الظلال
 قد كَمَنُوا لكم ؛ ففَرَعُوا بِحَاجِجٍ ^(١) المسجد ، وجعلوا يخفون شِعْلَ النار
 في أيديهم ، ثم ينظرون : هل في الظلال أحدٌ ؟ وكانت أحيانًا تُضِيء لهم ،
 وأحيانًا لا تُضِيء لهم كما يريدون ، فدلَّوا القناديل وأنصاف الطنان تشدَّ
 بالحبال ، ثم تُجعل فيها النيران ، ثم تُدَلَّى ، حتى تنتهي إلى الأرض ، ففعلوا
 ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتى فعلوا ذلك بالظُلَّة التي فيها المنبر ،
 فلما لم يروا شيئًا أعلموا ابن زياد ، ففتح باب السُّدَّة التي في المسجد . ثم
 خرج فصعد المنبر ، وخرج أصحابه معه ، فأمرهم فجلسوا حوله قبيل
 العتمة ، وأمر عمرو بن نافع فنادى : ألا برئت الذمة من رجل من الشرطه
 والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلَّى العتمة إلا في المسجد ؛ فلم يكن له
 إلا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس ؛ ثم أمر مناديه فأقام الصلاة ، فقال
 الحُصَيْن بن تميم : إن شئتَ صليتَ بالناس ، أو يصلِّي بهم غيرك ، ودخلت أنت
 فصلَّيت في القصر ، فإني لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك ! فقال : مُرْ
 حَرَسِي فليقيموا ورأى كما كانوا يقفون ، ودُرَّ فيهم فإني لست بداخل إذا .
 فصلَّى بالناس ، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن ابن
 عقيل السفیه الجاهل ، قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق ، فبرئت
 ذمة الله من رجل وجدناه في داره ، ومن جاء به فله ديتُه . اتقوا الله
 عباد الله ، والزمو طاعتكم وبيععتكم ، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلًا . يا حُصَيْن

٢٦٠/٢

(١) بحاجج : جمع بحجوة ، وهي الساحة أو الفناء .

ابن تميم ، ثكلتك أمك إن صاح باب سكة من سكك الكوفة ، أخرج هذا الرجل ولم تأتني به ، وقد سلطتُك على دُور أهل الكوفة ، فابعث مُراصدةً على أفواه السكك ، وأصبح غداً واستبهر الدُور وجسّ خلالها حتى تأتيتني بهذا الرجل - وكان الحصين على شُرطه ، وهو من بني تميم - ثم نزل ابن زياد فدخل وقد عقد لعمر بن حريث رايةً وأمره على الناس ، فلما أصبح جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه ، وأقبل محمد بن الأشعث فقال : مَرحباً بمن لا يُستَغش ولا يُستَهَم ! ثم أقعده إلى جنبه ، وأصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن أسيد الذي آوت أمه ابن عقيل ، فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث فأخبره بمكان ابن عقيل عند أمه ؛ قال : فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه وهو عند ابن زياد ، فساره ، فقال له ابن زياد : ما قال لك ؟ قال : : أخبرني أن ابن عقيل في دار من دورنا ، فنخس بالقضيب في جنبه ثم قال : قم فأتني به الساعة .

قال أبو مخنف : فحدثني قدامة بن سعيد بن زائدة بن قدامة الثقفي ، أن ابن الأشعث حين قام ليأتيه بـابن عقيل بعث إلى عمرو بن حريث وهو في المسجد خليفته على الناس ؛ أن ابعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس - وإنما كره أن يبعث معه قومه لأنه قد علم أن كل قوم يكرهون أن يُصادفَ فيهم مثل ابن عقيل - فبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي في ستين أو سبعين من قيس ، حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل ، فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرّف أنه قد أتى ، فخرج إليهم بسيفه ، واقتحموا عليه الدار ، فشدّ عليهم يضر بهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار ، ثم عادوا إليه ، فشدّ عليهم كذلك ، فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمرى ضربتين ، فضرب بـكبير فمّ مسلم فقطع شفتاه العليا ، وأشرع السيف في السفلى ، ونصلت لها ثنيتاه ، فضربه مسلم ضربةً في رأسه منكّرة ، وثني بأخرى على جبل العاتق كادت تطلّع على جوفه . فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت ، فأخذوا يرمونه بالحجارة ، ويلهبون النار في أطنان القصب ، ثم يلقبونها عليه من فوق

البيت ، فلما رأى ذلك خرج عليهم مصلياً بسيفه في السكة فقاتلهم ، فأقبل عليه محمد بن الأشعث فقال : يا فتى ، لك الأمان ، لا تقتل نفسك ؛ فأقبل يقاتلهم ، وهو يقول :

أَفْسَمْتُ لَا أَقْتُلُ إِلَّا حُرًّا وَإِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَكَرًا

كُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا مُلَاقٍ شَرًّا وَيُخْلَطُ الْبَارِدُ سُخْنًا مَرًّا^(١)

رُدَّ شُعَاعُ الشَّمْسِ فَاسْتَقَرَّا أَخَافُ أَنْ أَكْذِبَ أَوْ أُغَرَّا

فقال له محمد بن الأشعث : إنك لا تكذب ولا تؤخذ ولا تغر ، إن القوم بنو عمك ، وليسوا بقاتليك ولا ضاربك ، وقد أئخن بالحجارة ، وعجز عن القتال وانبهر ، فأسند ظهره إلى جنب تلك الدار ؛ فدنا محمد ابن الأشعث فقال : لك الأمان ، فقال : آمن أنا ؟ قال : نعم ؛ وقال القوم : أنت آمن ؛ غير عمرو بن عبيد الله بن العباس السلمي فإنه قال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل ، وتنحى .

٢٦٣/٢

وقال ابن عقيل : أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم . وأتى بيغلة فحمل عليها ، واجتمعوا حوله ، وانتزعوا سيفه من عنقه ، فكأنه عند ذلك آيس من نفسه ، فدمعت عيناه ، ثم قال : هذا أول الغدر ؛ قال محمد ابن الأشعث : أرجو ألا يكون عليك بأس ؛ قال : ما هو إلا الرجاء ؛ أين أمانكم ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! وبكى ؛ فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس : إن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك ، قال : إني والله ما لنفسي أبكى ، ولا لها من القتل أرثي ، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً ، ولكن أبكى لأهل المستقبلين إلى ، أبكى لحسين وآل حسين ! ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال : يا عبد الله ، إني أراك والله ستعجز عن أمانى ، فهل عندك خير ! تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسينا ، فإني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً ، أو هو خرج غداً هو وأهل بيته ، وإن ما ترى من جزعى لذلك ،

(١) في ابن الأثير :

أو يخلط البارد سُخْنًا مَرًّا رَدَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ فَاسْتَقَرَّا

فيقول : إن ابن عَقِيل بعثني إليك ، وهو في أيدى القوم أسير لا يرى أن
تمشي حتى تُقتل ، وهو يقول : ارجع بأهل بيتك ، ولا يغرك أهل الكوفة
فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ؛ إن أهل
الكوفة قد كذبوك وكذبوني ، وليس لمكذب رأى ؛ فقال ابن الأشعث : والله
لأفعلن ، ولأعلمن ابن زياد أني قد أمتنتك .

قال أبو مخنف : فحدثني جعفر بن حذيفة الطائي - وقد عرف سعيد
ابن شيان الحديث - قال : دعا محمد بن الأشعث إياس بن العثل الطائي من بني مالك
ابن عمرو بن ثمامة ، وكان شاعراً ، وكان لمحمد زوراً ، فقال له : الق
حسناً فأبلغه هذا الكتاب ، وكتب فيه الذي أمره ابن عَقِيل ، وقال له : هذا
زادك وجهارك ، ومتعة لعيالك ؛ فقال : من أين لي براحة ، فإن راحلتي
قد أنضيتُها ؟ قال : هذه راحلة فاركبها برحلتها . ثم خرج فاستقبله بزُباله
لأربع ليال ، فأخبره الخبر ، وبلغه الرسالة ، فقال له حسين : كل ما حم
نازل ، وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا .

وقد كان مسلم بن عَقِيل حيث تحول إلى دار هاني بن عروة وبايعه
ثمانية عشر ألفاً ، قدم كتاباً إلى حسين مع عابس بن أبي شبيب الشاكري :
أما بعد ، فإن الرائد لا يكذب أهله ، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية
عشر ألفاً ، فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي ، فإن الناس كلهم معك ،
ليس لهم في آل معاوية رأى ولا هوى ؛ والسلام .

وأقبل محمد بن الأشعث بابن عَقِيل إلى باب القصر ، فاستأذن فأذن له ،
فأخبر عبيد الله خبر ابن عَقِيل وضرب بكبير إياه ، فقال : بُعداً له ! فأخبره
محمد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إياه ، فقال عبيد الله : ما أنت
والأمان ! كأنا أرسلناك تؤمُّنه ! إنما أرسلناك لتأتيَنا به ؛ فسكت . وانتهى
ابن عَقِيل إلى باب القصر وهو عطشان ، وعلى باب القصر ناس جلوس
ينتظرون الإذن ، منهم عمارة بن عُقبة بن أبي مُعَيْط ، وعمرو بن حُرَيْث ،
ومسلم بن عمرو ، وكثير بن شهاب .

قال أبو مخنف : فحدثني قدامة بن سعد أن مسلم بن عَقِيل حين ٢٦٥/٢

انتهى إلى باب القصر فإذا قلّة باردة موضوعة على الباب ، فقال ابن عَقِيل : اسقُونِي من هذا الماء ، فقال له مسلم بن عمرو : أتراها ما أبردها ! لا والله لا تذوق منها قطرةً أبداً حتى تذوقَ الحميم في نار جهنّم ! قال له ابن عَقِيل : وَيَحْك ! مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا ابن مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ إِذْ أَنْكَرْتَهُ ، ونَصَحَ لِإِمَامِهِ إِذْ غَشَّشْتَهُ ، وسمِعَ وَأطَاعَ إِذْ عَصَيْتَهُ وَخَالَفْتَ ، أنا مسلم بن عمرو الباهليّ ؛ فقال ابن عَقِيل : لَأَمْكُ الثَّكْلُ ! ما أجفاك ، وما أفضلك ؛ وأقسى قلبك وأغلظك ! أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني ؛ ثم جلس متسانداً إلى حائط .

قال أبو مخنف : فحدثني قدامة بن سعد أن عمرو بن حُرَيْث بعث غلاماً يُدعى سليمان ، فجاءه بماء في قلّة فسقاه .

قال أبو مخنف : وحدثني سعيد بن مدرك بن عُمارة ، أن عُمارة بن عُبَبة بعث غلاماً له يُدعى قَيْسًا ، فجاءه بقلّة عليها منديل ومعه قدح فصب فيه ماءً ، ثم سقاه ، فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دمًا ، فلما ملأ القدح المرّة الثالثة ذهب ليشرب فسقطتُ شَيْتَاهُ فيه ، فقال : الحمد لله ! لو كان لي من الرزق المقسوم شربته . وأدخل مسلمٌ على ابن زياد فلم يسلم عليه بالإمرّة ، فقال له الحرّسيّ : ألا تسلم على الأمير ! فقال له : إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه ! وإن كان لا يريد قتلي فلعمري ليكثرُن سلامي عليه ؛ فقال له ابن زياد : لعمري لتقتلكن ؛ قال : كذلك ؟ قال : نعم ؛ قال : فدعني أوص إلى بعض قومي ، فنظر إلى جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد ، فقال : يا عمر ، إن بيني وبينك قرابةً ، ولي إليك حاجة ، وقد يجب لي عليك نُجْحٌ حاجتي ، وهو سرّ ، فأبى أن يمكّنه من ذكرها ، فقال له عبيد الله : لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك ، فقام معه فجلس حيث ينظر إليه ابن زياد ، فقال له : إن عليّ بالكوفة دينًا استدنته منذ قدمت الكوفة ، سبعمائة درهم ، فاقضها عني ، وانظر جثتي فاستوهبها من ابن زياد ، فوارها ، وابعث إلى حسين مَنْ يرده ، فلني قد كتبت إليه أعلمه أن الناس معه ، ولا

أراه إلا مقبلاً ؛ فقال عمر لابن زياد : أتدري ما قال لي ؟ إنه ذكر كذا وكذا ؛ قال له ابن زياد : إنه لا يخونك الأمين ، ولكن قد يؤتمن الخائن ، أمّا مالك فهو لك ، ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت ؛ وأما حسين فإنه إن لم يردنا لم نردّه ، وإن أرادنا لم نكف عنه ، وأما جُشته فإننا لن نشفعك فيها ، إنه ليس بأهل منّا لذلك ، قد جاهدنا وخالفنا ، وجهد على هلاكنا . وزعموا أنه قال : أما جُشته فإننا لا نبالي إذ قتلناه ما صنع بها . ثم إن ابن زياد قال : إيه يابن عَقِيل ! أتيت الناس وأمرهم جميع ، وكلمتهم واحدة ، لتُشتتتهم ، وتُفرّق كلمتهم ، وتَحْمِل بعضهم على بعض ! قال : كلا ، لست أتيت ، ولكن أهل المِصر زعموا أن أباك قتلَ خيارهم ، وسفك دماءهم ، وعمل فيهم أعمالَ كسرى وقیصر ، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب ، قال : وما أنت وذاك يا فاسق ! أولم تكن نعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ! قال : أنا أشرب الخمر ! والله إن الله ليعلم أنك غير صادق ، وأنت قلتَ بغير علم ، وأنى لستُ كما ذكرت . وإن أحقَّ بشرب الخمر مني وأولى بها من يَلْبَغُ في دماء المسلمين ولُغًا ، فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها ، ويقتل النفسَ بغير النفس ، ويسفك الدّم الحرام ، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن ، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً . فقال له ابن زياد : يا فاسق ، إن نفسك تمنّيك ما حال الله دونه ، ولم يترك أهله ؛ قال : فمن أهله يابن زياد ؟ قال : أمير المؤمنين يزيد فقال : الحمد لله على كل حال ، رضيينا بالله حكماً بيننا وبينكم ؛ قال : كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً ! قال : والله ما هو بالظن ، ولكنه اليقين ؛ قال : قتلني الله إن لم أقتلك قِتْلَةً لم يُقتلها أحدٌ في الإسلام ! قال : أما إنك أحقُّ من أحدٍ في الإسلام ما لم يكن فيه ، أما إنك لا تدعُ سوء القِتْلَةِ ، وقبح المِثْلَةِ ، وخُبث السيرة ، ولؤم الغلبة ، ولا أحدَ من الناس أحقَّ بها منك . وأقبل ابن سُمَيّة يشتمه ويشتم حسيناً وعليّاً وعقيلاً ، وأخذ مسلم لا يكلمه . وزعم أهل العلم أن عبيد الله أمر له بماء فسقى بخزفة ، ثم قال له : إنه لم يمنعنا أن نسقيك فيها إلا كراهة أن تحرّم بالشرب فيها ،

ثم نقتلك ، ولذلك سقيناك في هذا ، ثم قال : اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه ، ثم أتبعوا جسده رأسه ، فقال : يابن الأشعث ، أما والله لولا أنك آمنتني ما استسلمت ؛ قم بسيفك دوني فقد أخفرت ذمتك ، ثم قال : يابن زياد ، أما والله لو كانت بيني وبينك قرابة ما قتلتنني ؛ ثم قال ابن زياد : أين هذا الذي ضرب ابن عَقِيل رأسه بالسيف وعانقه ؟ فدُعِيَ ، فقال : اصعد فكن أنت الذي تضرب عنقه ، فصعد به وهو يكبر ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ورسله وهو يقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وأذَلّونا . وأشرف به على موضع الجزارين اليوم ، فضربت عنقه ، وأتبع جسده رأسه .

قال أبو مخنف : حدثني الصقعب بن زهير ، عن عون بن أبي جُحَيْفَةَ قال : نزل الأحمرى بكثير بن حُمران الذي قتل مسلماً ، فقال له ابن زياد : قتلته ؟ قال : نعم ، قال : فما كان يقول وأنتم تصعدون به ؟ قال : كان يكبر ويسبح ويستغفر ، فلمّا أدنيتُه لأقتله قال : اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرّونا وخدَلّونا وقتلونا ؛ فقلت له : ادن مني ، الحمد لله الذي أقادني منك ، فضربته ضربة لم تغن شيئاً ؛ فقال أما ترى في خدش تحذ شنيه وفاءً من دمك أيها العبد ! فقال ابن زياد : أوفخراً عند الموت ! قال : ثمّ ضربته الثانية فقتلته .

٢٦٨/٢

قال : وقام محمد بن الأشعث إلى عبيد الله بن زياد فكلّمه في هاني بن عروة ، وقال : إنك قد عرفت منزلة هاني بن عروة في المصر ، وبيئته في العشيرة ، وقد علم قومه أني وصاحبي سقناه إليك ، فأنشدك الله لمّا وهبته لي ، فلمّا أكره عداوة قومه ، هم أعزّ أهل المصر ، وعدد أهل اليمّسن ! قال : فوعده أن يفعل ، فلما كان من أمر مسلم بن عَقِيل ما كان ، بدا له فيه ، وأبى أن يفي له بما قال .

قال : فأمر بهاني بن عروة حين قُتِل مسلم بن عَقِيل فقال : أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقه ، قال : فأخرج بهاني حتى انتهى إلى مكان من

السوق كان يُباع فيه الغنم وهو مكتوف ، فجعل يقول : وامدّ حجاءه ! ولا مَدْحَجَ لي اليوم ! وامدّ حجاءه ؛ وأين مني مَدْحَج ! فلما رأى أن أحدًا لا ينصره جذبَ يده فترعها من الكتاف ، ثم قال : أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يُجاحش^(١) به رجلٌ عن نفسه !

قال : ووثبوا إليه فشدُّوه وثاقًا ، ثم قيل له : امدد عنقك ، فقال : ما أنا بها مُجدٍ سَخِي ، وما أنا بمعينكم على نفسي .

قال : فضربه مولى لعبيد الله بن زياد — تركي يقال له رشيد — بالسيف ، فلم يصنع سيفه شيئًا ، فقال هاني : إلى الله المَعاد ! اللهم إلى رحمتك ورضوانك ! ثم ضربه أخرى فقتله .

قال : فبصر به عبد الرحمن بن الحصين المرادي بخازر ، وهو مع عبيد الله بن زياد ؛ فقال الناس : هذا قاتلُ هاني بن عروة ؛ فقال ابن الحصين : قتلني الله إن لم أقتله أو أقتلَ دونه ! فحَمَلَ عليه بالرمح فطعنه فقتله . ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلم بن عَقِيل وهاني بن عروة دعا بعبد الأعلى الكلبي الذي كان أخذه كثير بن شهاب في بني فُتَيان ، فأَتَى به ، فقال له : أخبرني بأمرِك ؛ فقال : أصلحك الله ! خرجتُ لأنظرَ ما يصنع الناس ، فأخذني كثير بن شهاب ؛ فقال له : فعليك وعليك ، من الإيمان المغالطة ، إن كان أخرجك إلا ما زعمت ! فأبى أن يحلف ، فقال عبيد الله : انطلقوا بهذا إلى جبّة السَّبيح فاضربوا عنقه بها ؛ قال : فانطلقَ به فضربت عنقه ؛ قال : وأخرج عمارة بن صلخب الأزدي — وكان ممن يريد أن يأتي مسلم بن عَقِيل بالنصرة لينصره — فأَتَى به أيضًا عبيد الله فقال له : ممن أنت ؟ قال : من الأزدي . قال : انطلقوا به إلى قومه ، فضربت عنقه فيهم ، فقال عبد الله بن الزبير الأسدي في قِتْلَةِ مُسلم بن عَقِيل وهاني بن عروة المرادي — ويقال : قاله الفرزدق : إن كنت لاتدرين ما الموتُ فانظري إلى هاني في السوقِ وأبن عَقِيل

(١) يجاحش : يدافع .

٢٧٠/٢ إلى بطل قد هشم السيف وجهه
أصابهما أمر الأمير فأصبحا
ترى جسداً قد غير الموت لونه
فتى هو أحيا من فتاة حية
أيركب أسماء الهماليج آمناً
تطيف حواليه مراد وكلهم
فلن أنتم لم تشاروا بأخيكُم
وآخر يهوى من طمار قتيل
أحاديث من يسرى بكل سبيل
ونضح دم قد سال كل مسيل
وأقطع من ذى شفرتين صقيل
وقد طلبته مدحج بذحول
على رقية من سائل ومسؤل
فكونوا بغايا أرضيت بقليل

قال أبو مخنف : عن أبي جتناب يحيى بن أبي حية الكلبي ، قال : ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلماً وهائناً بعث برؤوسهما مع هاني بن أبي حية^(١) الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي إلى يزيد بن معاوية ، وأمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهاني ، فكتب إليه كتاباً أطال فيه - وكان أول من أطال في الكتب - فلما نظر فيه عبيد الله بن زياد كرهه وقال : ما هذا التطويل وهذه الفضول ؟ اكتُب :

٢٧١/٢ أما بعد ، فالحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقه ، وكفاه مؤنة عدوه . أخبر أمير المؤمنين أكرمهم الله أن مسلم بن عقييل لجأ إلى دار هاني بن عروة المُرادي ، وأننى جعلت عليهما العيون ، ودستُ إليهما الرجال ، وكِدْتُهما حتى استخرجتهما ، وأمكن الله منهما ، فقد متهما فضربت أعناقهما ، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هاني بن أبي حية الهَمْداني والزبير بن الأرواح التميمي - وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة - فليسلهما أمير المؤمنين عما أحب من أمر ، فإن عندهما علماً وصدقاً ، وفهناً وورعاً ، والسلام .

فكتب إليه يزيد : أما بعد ، فإنك لم تعد أن كنت كما أحب ، عملت عمل الحازم ، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش ، فقد أغنيت وكفيت ، وصدقت ظني بك ، ورأيت فيك ، وقد دعوت رسوليك فسألتكما ، وناجيتكما

(١) ابن الأثير : « هاني بن حبة » .

فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت ؛ فاستوص بهما خيراً ، وإنه قد بلغني أن الحسين بن علي^١ قد توجه نحو العراق ؛ فضع المناظر والمسالخ^(١) ، واحترس على الظن ، وخذ على التهمة ، غير ألا تقتل إلا من قاتلك ، واكتب إلى في كل ما يحدث من الخبر ؛ والسلام عليك ورحمة الله .

قال أبو مخنف : حدثني الصقعب بن زهير ، عن عون بن أبي جحيفة ، قال : كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذي الحجة سنة ستين - ويقال يوم الأربعاء لسبع مضين سنة ستين من يوم عرفة بعد مخرج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم - قال : وكان مخرج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان ، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوالاً^٢ وذا القعدة ، ثم خرج منها لثمان مضين من ذي الحجة ٢٧٢/٢ يوم الثلاثاء يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل .

وذكر هارون بن مسلم ، عن علي بن صالح ، عن عيسى بن يزيد ، أن المختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم ، خرج المختار براءة خضراء ، وخرج عبد الله براءة حمراء ، وعليه ثياب حمراء ، وجاء المختار براءته فركرها على باب عمرو بن حريث ، وقال : إنما خرجت لأمنع عمراً ، وإن ابن الأشعث والقعقاع بن شؤر وشبث بن ربعي قاتلوا مسلماً وأصحابه عشية سار مسلم إلى قصر ابن زياد قتالاً شديداً ، وأن شبثاً جعل يقول : انتظروا بهم الليل يفرقوا ؛ فقال له الققعاع : إنك قد سددت على الناس وجه مصيرهم ، فافرج لهم ينسربوا ؛ وإن عبيد الله أمر أن يطلب المختار وعبد الله بن الحارث ، وجعل فيهما جعلاً ، فأتى بهما فحبسهما .

* * *

(١) المناظر : جمع منظره ؛ وهو الموضع يرقب فيه العدو . والمسالخ : جمع مسلحة ؛ وهي موضع يكون فيه أقوام يحملون السلاح ، ويرقبون العدو ؛ لتلا يطرقهم على غفلة .

[ذكر مسير الحسين إلى الكوفة]

وفي هذه السنة كان خروج الحسين عليه السلام من مكة متوجّهاً إلى الكوفة .

* ذكر الخبر عن مسيره إليها وما كان من أمره في مسيره ذلك :

قال هشام عن أبي مخنف : حدثني الصقعب بن زهير ، عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام الخزومي ، قال : لما قدمت كتب أهل العراق إلى الحسين وتبياً للمسير إلى العراق ، أتيتُه فدخلتُ عليه وهو بمكة ، فحمدت الله وأثنيتُ عليه ، ثم قلت : أما بعد ، فإنني أتيتك يا بن عم لحاجة أريد ذكرها لك نصيحة ، فإن كنت ترى أنك تستنصحنني وإلا كففتُ عما أريد أن أقول ؛ فقال : قل ، « فوالله ما أظنك بسيّئ الرأي ، ولا هو للقبيح من الأمر والفعل ^(١) » ؛ قال : قلت له : إنه قد بلغني أنك تريد المسير إلى العراق ، وإني مشفقٌ عليك من مسيرك ؛ إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمرأؤه ، ومعهم بيوت الأموال ، وإنما الناس عبيدٌ لهذا الدرهم والدينار ، ولا آمنُ عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ، ومن أنت أحبّ إليه ممن يقاتلك معه ؛ فقال الحسين : جزاك الله خيراً يا بن عم ؛ فقد والله علمتُ أنك مشيت بنصح ، وتكلمت بعقل ، ومهما يُفَضُّ من أمري يكن ، أخذتُ برأيك أو تركته ، فأنت عندي أحمدٌ مُشير ، وأنصح ناصح .

٢٧٣/٢

قال : فانصرفتُ من عنده فدخلت على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام ، فسألني : هل لقيتَ حسيناً ؟ فقلت له : نعم ؛ قال : فما قال لك ، وما قلت له ؟ قال : فقلت له : قلت كذا وكذا ، وقال كذا وكذا ؛ فقال : نصحتَه وربّ المروّة الشهباء ، أما وربّ البنية إن الرأى لَمَّا رأيتَه ، قَبِلَهُ أو تركه ، ثم قال :

رُبَّ مُسْتَنْصَحٍ يَغُشُّ وَيُرْدِي وَظَنِينٍ بِالْغَيْبِ يُلْفِي نَصِيحًا

(١ - ١) ابن الأثير : « فوالله ما أستغشك ، وما أظنك بشيء من الهوى » .

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن كعب الوالبي^(١)، عن عقبة^(٢) بن سميعان ، أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه عبد الله بن عباس فقال : يا بن عم ، إنك قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق ، فبيِّن لي ما أنت صانع ؟ قال : إني قد أجمعتُ المسير في أحد يومَيَّ هذين إن شاء الله تعالى ؛ فقال له ابن عباس : فإني أعيدك بالله من ذلك ، أخبرني رحمك الله ! أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم ، وضبطوا بلادهم ، ونفذوا عدوهم ؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم ، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم ، وعماله تجبى بلادهم ، فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال ، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ، ويخالفوك ويخذلوك ، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك ؛ فقال له حسين : وإني أستخير الله وأنظر ما يكون .

٢٧٤/٢

قال : فخرج ابن عباس من عنده ، وأتاه ابن الزبير فحدثه ساعة ، ثم قال : ما أدرى ما ترمكنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم ، ونحن أبناء المهاجرين ، وولاة هذا الأمر دونهم ! خبرني ما تريد أن تصنع ؟ فقال الحسين : والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة ، ولقد كتب إلى شيعتي بها وأشراف أهلها ، وأستخير الله ؛ فقال له ابن الزبير : أما لو كان لي بها مثلُ شيعتك ما عدلتُ بها ؛ قال : ثم إنه خشي أن يتهمه فقال : أما إنك لو أقمْتَ بالحجاز ثم أردتَ هذا الأمر هاهنا ما خولفَ عليك إن شاء الله ؛ ثم قام فخرج من عنده ، فقال الحسين : ها إن هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق ، وقد علم أنه ليس له من الأمر معي شيء ، وأن الناس لم يعدلوه بي ، فودَّ أني خرجت منها لتخلو له .

قال : فلما كان من العشي أو من الغد ، أتى الحسين عبد الله بن العباس فقال : يا بن عم إني أتصبر ولا أصبر ، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال ؛ إن أهل العراق قوم غدر ، فلا تقربتهم ، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز ؛ فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم ، ثم أقدم عليهم ، فإن أبيت إلا أنه تخرج فسر إلى اليمامة .

٢٧٥/٢

(١) ط : «عقبة» ، والصواب ما أثبتته ، وانظر الفهرس .

فإن بها حصوناً وشعباً ، وهى أرضٌ عريضة طويلاً ، ولأبيك بها شيعة ، وأنت عن الناس فى عزلة ، فتكتب إلى الناس وترسل ، وتبث دُعائك ، فإني أرجو أن يأتيتك عند ذلك الذى تحبُّ فى عافية ؛ فقال له الحسين : يابن عم ، إني والله لأعلم أنك ناصحٌ مشفقٌ ، ولكنى قد أزعجتُ وأجمعتُ على المسير ؛ فقال له ابن عباس : فإن كنتَ سائراً فلا تسرْ بنسائك وصبيبتك ، فوالله إني لخائف أن تُقتلَ كما قُتِلَ عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه . ثم قال ابن عباس : لقد أقررت عينَ ابنِ الزبير بتخليدك إياه والحجاز والخروج منها ، وهو اليوم لا ينظر إليه أحدٌ معك ، والله الذى لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذتُ بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علىّ عليك الناسُ أطعنتى لفعلتُ ذلك . قال : ثم خرج ابن عباس من عنده ، فرَّ بعبد الله بن الزبير ، فقال : قرَّت عينُك يابن الزبير ! ثم قال :

يالك من قُبرةٍ بمَعْمَرٍ خلا لكِ الجوفُ فيبضى وأصْفِرِي^(١)

* وَنَقَرِي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقَرِي *

هذا حسينُ يخرج إلى العراق ، وعليك بالحجاز .

قال أبو مخنف : قال أبو جناب يحيى بن أبي حية ، عن عدى بن حرملة الأسدى ، عن عبد الله بن سليم والمدرى بن المشعل الأسديين قالا : خرجنا حاجيين من الكوفة حتى قدمنا مكة ، فدخلنا يوم التروية ، فإذا نحن بالحسين وعبد الله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب ، قالا : فتقربنا منهما ، فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين : إن شئت أن تقيم أقم فتوليت هذا الأمر ، فأزرك وساعدناك ، ونصحنك وبابناك ؛ فقال له الحسين : إن أبى حدثنى أن بها كبشاً يستحل حرمتها ، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش ؛ فقال له ابن الزبير : فأقم إن شئت وتوليتنى أنا الأمر فتطاع ولا تُعصى ؛ فقال : وما أريد هذا أيضاً ؛ قالا : ثم إنهما أخفياً

٢٧٦/٢

(١) ينسب الرجز إلى طرفه ؛ ملحق ديوانه ١٩٣

كلامهما دوننا ، فما زالا يتناجيان حتى سمعنا دعاء الناس راثنين متوجهين إلى منى عند الظهر ؛ قالوا : فطاف الحسين بالبيت وبين الصفا والمروة ، وقص من شعره ، وحل من عمرته ، ثم توجه نحو الكوفة ، وتوجهنا نحو الناس إلى منى .

قال أبو مخنف : عن أبي سعيد عقبيصى ، عن بعض أصحابه ، قال : سمعتُ الحسين بن علي وهو بمكة وهو واقف مع عبد الله بن الزبير ، فقال له ابن الزبير إلى يابن فاطمة ، فأصغى إليه ، فساره ، قال : ثم التفت إلينا الحسين فقال : أتدرون ما يقول ابنُ الزبير ؟ قلنا : لا ندري ، جعلنا الله فداك ! فقال : قال : أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس ؛ ثم قال الحسين : والله لأن أقتل خارجاً منها بشير أحب إلى من أن أقتل داخلًا منها بشير ، وإيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم ، والله ليعدن علي كما اعتدت اليهود في السبت .

قال أبو مخنف : حدثني الحارث بن كعب الوالبي ، عن عتبة بن سميان قال : لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسلُ عمرو بن سعيد بن العاص ، عليهم يحيى بن سعيد ، فقالوا له : انصرف ؛ أين تذهب ! فأبى عليهم ومضى ، وتَدافع الفريقان ، فاضطربوا بالسيّاط . ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا امتناعاً قوياً ، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه ، فنادوه : يا حسين ، ألا تتق الله ! تخرج من الجماعة ، وتفرق بين هذه الأمة ! فتأول حسين قول الله عز وجل : ﴿ لِيَعْمَلُوا لَكُمْ عَمَلًا ﴾ (١) .

قال : ثم إن الحسين أقبل حتى مرّ بالتَّسْعِيم ، فلقى بها عيبراً قد أقبل بها من اليمس ، بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية ، — وكان عامله على اليمن — وعلى العير الورس والحلّل ينطلق بها إلى يزيد

فأخذَهَا الحسين ، فانطلق بها ؛ ثم قال لأصحاب الإبل : لا أكرِهكم ، مَنْ أحبَّ أن يمضيَ معنا إلى العراق أوفِينَا كِرَاءَهُ وأحسنَا صحبته ، وَمَنْ أحبَّ أن يفارقَنَا من مكاننا هذا أعطِينَاه من الكِرَاءِ على قدر ما قطع من الأرض ؛ قال : فمن فارقه منهم حوسب فأوفى حقّه ، وَمَنْ مضى منهم معه أعطاه كِرَاءَهُ وكَسَاه .

قال أبو مخنف ؛ عن أبي جَنَاب ، عن عديّ بن حَرَمَلَة ، عن عبد الله ابن سليم والمذرى قالا : أقبلنا حتى انتهينا إلى الصَّفاح ، فلقينَا الفرزدق بن غالب الشاعر ، فواقف حسينًا فقال له : أعطاك الله سؤلَكَ وأملك فيما تحبّ : فقال له الحسين : بَيِّنْ لَنَا نَبَأَ النَّاسِ خَلْفَكَ ، فقال له الفرزدق : مِنَ الْخَيْرِ سَأَلْتُ ، قُلُوبُ النَّاسِ مَعَكَ ، وَسَيُوفُهُمْ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء ؛ فقال له الحسين : صدقت ، لله الأمر ، والله يفعل ما يشاء ، وكلّ يوم ربُّنا في شأن ، إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمد الله على نعمائه ، وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرجاء ، فلم يَستَعدِ مَنْ كَانَ الْحَقُّ نِيَّتَهُ ، والتقوى سريره ؛ ثم حرك الحسين راحلته فقال : السلام عليك ؛ ثم افترقا .

٢٧٨/٢

قال هشام ، عن عَوَانَة بن الحكم ، عن لَبَاطَة بن الفرزدق بن غالب ، عن أبيه ، قال : حججتُ بأمّى ، فأنا أسوق بغيرها حين دخلت الحرم في أيام الحجّ ، وذلك في سنة ستين ، إذ لقيت الحسين بن عليّ خارجًا من مكة معه أسيافه وتِراسُهُ ، فقالت : لمن هذا القطار ؟ فقيل : للحُسين بن عليّ ، فأتيته فقالت : بأبى وأمى يا بن رسول الله ! ما أعجلك عن الحجّ ؟ فقال : لو لم أعجل لأخِذْتُ ؛ قال : ثم سألتني : ممّن أنت ؟ فقالت له : امرؤٌ من العراق ؛ قال : فوالله ما فتشني عن أكثر من ذلك ، واكتفى بها منّي ، فقال : أخبرني عن الناس خلفك ؟ قال : فقالت له : القلوب معك ، والسيوف مع بني أُمَيَّةَ ، والقضاء بيد الله ؛ قال : فقال لي : صدقت ؛ قال : فسألته عن أشياء ، فأخبرني بها من نذور ومناسك ؛ قال : وإذا هو ثقيل اللسان من

بِرِسَام^(١) أَصَابَهُ بِالْعِرَاقِ ؛ قَالَ : ثُمَّ مَضَيْتُ فَإِذَا بِفُسْطَاطٍ مَضْرُوبٍ فِي الْحَرَمِ ، وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ ، فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، فَسَأَلَنِي ، فَأَخْبَرْتُهُ بِلِقَاءِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ لِي : وَيْلَكَ ! فَهَلَا أَتَبَعْتَهُ ، فَوَاللَّهِ لَيْمَلِكُنَّ ، وَلَا يَجُوزُ السَّلَاحُ فِيهِ وَلَا فِي أَصْحَابِهِ ، قَالَ : فَهَمِمْتُ وَاللَّهِ أَنْ أَلْحِقَ بِهِ ، وَوَقَعَ فِي قَلْبِي مِقَالَتُهُ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ الْأَنْبِيَاءَ وَقَتْلَهُمْ ، فَصَدَّقَنِي ذَلِكَ عَنِ اللَّحَاقِ بِهِمْ ، فَقَدِمْتُ عَلَى أَهْلِ بَعْسُفَانَ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَعندهم إِذَا أَقْبَلْتُ غَيْرُ قَدِ امْتَارَتْ مِنَ الْكُوفَةِ ، فَلَمَّا سَمِعْتُ بِهِمْ خَرَجْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى إِذَا أَسْمَعْتَهُمُ الصَّوْتَ وَعَجِلْتُ عَنْ إِيْتَانِهِمْ صَرَحْتُ بِهِمْ : أَلَا مَا فَعَلَ الْحُسَيْنُ ابْنُ عَلِيٍّ ؟ قَالَ : فَرَدُّوا عَلَيَّ : أَلَا قَدْ قُتِلَ ؛ قَالَ : فَانصَرَفْتُ وَأَنَا الْعَنُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ؛ قَالَ : وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ يَقُولُونَ ذَلِكَ الْأَمْرَ ، وَيَنْتَظِرُونَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . قَالَ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو يَقُولُ : لَا تَبْلُغِ الشَّجَرَةَ وَلَا النَّخْلَةَ وَلَا الصَّغِيرَ حَتَّى يَظْهَرَ هَذَا الْأَمْرُ ؛ قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَتَّبِعَ الْوَهْطَ ؟ قَالَ : فَقَالَ لِي : لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى فُلَانٍ - يَعْنِي مَعَاوِيَةَ - وَعَلَيْكَ ؛ قَالَ : فَقُلْتُ : لَا ، بَلْ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ ؛ قَالَ : فزَادَنِي مِنَ اللَّعْنِ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْ حَشْمِهِ أَحَدٌ فَأَلْقَى مِنْهُمْ شَرًّا ؛ قَالَ : فَخَرَجْتُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُنِي - وَالْوَهْطُ حَائِطٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بِالطَّائِفِ ؛ قَالَ : وَكَانَ مَعَاوِيَةَ قَدْ سَاوَمَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ، وَأَعْطَاهُ بِهِ مَالًا كَثِيرًا ، فَأَبَى أَنْ يَبِيعَهُ بِشَيْءٍ - قَالَ : وَأَقْبَلَ الْحُسَيْنَ مُغْذًا لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ حَتَّى نَزَلَ ذَاتَ عِرْقٍ .

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ : حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ الْوَالِبِيُّ ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : لَمَّا خَرَجْنَا مِنْ مَكَّةَ كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ مَعَ ابْنَيْهِ عَوْنٍ وَمُحَمَّدٍ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ لَمَّا انصَرَفْتَ حِينَ تَنْظُرُ فِي كِتَابِي ، فَإِنِّي مُشْفِقٌ عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي تَوَجَّهَ لَهُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ هَلَاكُكَ وَاسْتِثْصَالُ أَهْلِ بَيْتِكَ ، إِنْ هَلَكْتَ الْيَوْمَ طَمَعُ نَوْرُ الْأَرْضِ ، فَإِنَّكَ عَسَلَمُ الْمُهْتَدِينَ ؛ وَرَجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَلَا تَعْجَلْ بِالسَّيْرِ

(١) البرسام : علة يهلى فيها .

فلإني في أثر الكتاب ؛ والسلام .

٢٨٠/٢

قال : وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلّمه .
وقال : اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان ، وتمنيّه فيه البرّ والصّلة ،
وتوثق له في كتابك ، وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع ؛ فقال عمرو
ابن سعيد : اكتب ما شئت وأتني به حتى أختّمه ، فكتب عبد الله بن جعفر
الكتاب ، ثم أتى به عمرو بن سعيد فقال له : اختّمه ، وابعث به مع أخيك
يحيى بن سعيد ، فإنه أحرى أن يطمئن نفسه إليه ، ويعلم أنه الجيد منك ،
ففعل ؛ وكان عمرو بن سعيد عاملاً يزيد بن معاوية على مكة ؛ قال : فلحقه
يحيى وعبد الله بن جعفر ، ثم انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب ، فقالا : أقرأناه
الكتاب ، وجهدنا به ، وكان مما اعتذر به إلينا أن قال : إني رأيت رؤيا
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأميرت فيها بأمر أنا ماضٍ له ، على كان
أولّى ؛ فقالا له : فما تلك الرؤيا ؟ قال : ما حدثت أحداً بها ، وما أنا محدث
بها حتى ألقى ربّي .

قال : وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ : بسم الله الرحمن
الرحيم ، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ ، أما بعد ، فلإني أسأل الله
أن يصرفك عما يوبقك ، وأن يهديك لما يرشدك ؛ بلغني أنك قد توجهت
إلى العراق ، وإني أعينك بالله من الشقاق ، فلإني أخاف عليك فيه الهلاك ،
وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد ، فأقبل إلىّ معهما ،
فإنّ لك عندى الأمان والصّلة والبرّ وحسن الجوار لك ، الله علىّ بذلك شهيد
وكفيل ، ومراعٍ ووكيل ؛ والسلام عليك .

٢٨١/٢

قال : وكتب إليه الحسين : أما بعد ؛ فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا
إلى الله عز وجلّ وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ؛ وقد دعوت إلى
الأمان والبرّ والصّلة ، فخير الأمان أمان الله ، ولن يؤمن الله يوم القيامة
من لم يخفه في الدنيا ، فنسأل الله مخافة في الدنيا تُوجب لنا أمانه يوم

القيامة ، فإن كنت نويت بالكتاب صلتى وبرى ، فجزيت خيراً فى الدنيا والآخرة ؛ والسلام .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمار الدهنى عن أبي جعفر (١) . فحدثني زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدثنا أحمد بن جناب المصيصى قال : حدثنا خالد بن يزيد بن عبد الله القسرى قال : حدثنا عمار الدهنى قال : قلت لأبي جعفر : حدثني عن مقتل الحسين حتى كأني حضرته ، قال : فأقبل حسين بن علي بكتاب مسلم بن عقيل كان إليه ، حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال ، لقيه الحر بن يزيد التميمي ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أريد هذا المصر ؛ قال له : ارجع فإنى لم أدع لك خلى خيراً أرجوه ، فهم أن يرجع ، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل ، فقالوا : والله لا نرجع حتى نصيب بثأراً أو نقتل ؛ فقال : لا خير فى الحياة بعدكم ! فسار فلقبته إوائل خيل عبید الله ، فلما رأى ذلك عدل إلى كربلاء فأسند ظهره إلى قصباء وحنلاً كيلاً يقاتل إلا من وجه واحد ، فترل وضرب أبنيته ، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل ، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولّاه عبید الله بن زياد الرئى وعهد إليه عهده فقال : اكفى هذا الرجل ؛ قال : أعفى ، فأبى أن يعفیه ؛ قال : فأنظرني الليلة ؛ فأخره ، فنظر في أمره فلما أصبح غداً عليه راضياً بما أمر به ، فتوجه إليه عمر بن سعد ، فلما أتاه قال له الحسين : اختر واحدة من ثلاث : إما أن تدعوني فأنصرف من حيث جئت ، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد ، وإما أن تدعوني فألحق بالثغور ؛ فقبل ذلك عمر ، فكتب إليه عبید الله : لا ولا كرامة حتى يضع يده فى يدي ! فقال له الحسين : لا والله لا يكون ذلك أبداً ، فقاتله فقتل أصحاب الحسين كلهم ، وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته ، وجاء سهم فأصاب ابناً له معه فى حجره ، فجعل يمسح الدم عنه ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا ؛ ثم أمر بحبرة فشققها ، ثم

(١) انظر أول الحديث ص ٣٤٧ ، ثم انظر ص ٣٤٩ من هذا الجزء .

لبسها وخرج بسيفه ، فقاتل حتى قُتِلَ صلوات الله عليه ؛ قتله رجلٌ من مدحِجٍ وحزَّ رأسه ، وانطلق به إلى عبيد الله وقال :

أَوْقِرْ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَبًا فَقَدْ قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحْجَبًا
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نَسَبًا
وأوفده إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس ، فوضع رأسه بين يديه وعنده أبو برزة الأسلمي ، فجعل يَنْكُتُ بالقَضِيبِ على فيه ويقول :

يُفْلَقْنَ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا^(١)

فقال له أبو برزة : ارفع قضيبك ، فوالله لربما رأيتُ فارسولَ الله صلى الله عليه وسلم على فيه يَلْتَمِهُ ! وسرَّحَ عمر بن سعد بحرمه وعياله إلى عبيد الله ، ولم يكن بقيَ من أهل بيت الحسين بن علي عليه السلام إلا غلام كان مريضًا مع النساء ، فأمر به عبيد الله ليقتل ، فطرحَتْ زَيْنَبُ نَفْسَهَا عَلَيْهِ وقالت : والله لا يُقْتَلُ حتى تقتلوني ! فرقَ لها ، فترَكَه وكَفَّ عنه .

٢٨٣/٢

قال : فجَهَزَهُمْ وحملهم إلى يزيد ، فلما قدموا عليه جمعَ مَنْ كان بحضرته من أهل الشام ، ثم أدخلوهم ، فهَنَّئُوهُ بالفتح ، قال رجلٌ منهم أزرَقُ أحمر ونظر إلى وصيفةٍ من بناتهم فقال : يا أمير المؤمنين ، هبْ لي هذه ، فقالت زَيْنَبُ : لا والله ولا كرامةَ لك ولا له إلا أن يَخْرُجَ من دين الله ، قال : فأعادها الأزرَقُ ، فقال له يزيد : كُفَّ عن هذا ؛ ثم أدخلهم على عياله ، فجَهَزَهُمْ وحملهم إلى المدينة ، فلما دخلوها خرجتُ امرأةٌ من بني عبد المطلب ناشرةً شعرها ، واضعةً كَتَمَهَا على رأسها تَلْقَاهُمْ وهي تَبْكِي وتقول :

ماذا تقولون إن قال النبيُّ لكم ماذا فعلتم وأنتم آخرُ الأممِ !
بعثتني وبأهلي بعدَ مُفْتَقِدِي منهم أسارى وقتلى ضُرِّحوا بِدَمِ
ما كان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم أن تُخْلِفُونِي بِسُوءِي ذُو رَحِمِي !

(١) للحسين بن الحمام المرى ، ديوان الحماسة ١ : ١٩٣ - بشرح التبريزي .

حدثني الحسين بن نصر قال : حدثنا أبو ربيعة ، قال : حدثنا أبو عوانة ،
عن حصين بن عبد الرحمن قال : بلغنا أن الحسين عليه السلام . . . ٢٨٤/٢
وحدثنا محمد بن عمار الرازي ، قال : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : حدثنا
عباد بن العوام قال : حدثنا حصين ، أن الحسين بن علي عليه السلام كتب
إليه أهل الكوفة : إنه معك مائة ألف ، فبعث إليهم مسلم بن عقيل ، فقدم
الكوفة ، فنزل دار هاني بن عروة ، فاجتمع إليه الناس ، فأخبر ابن زياد
بذلك . زاد الحسين بن نصر في حديثه : فأرسل إلى هاني فأتاه ، فقال : ألم
أوفرّك ! ألم أكرمك ! ألم أفعل بك ! قال : بلى ، قال : فما جزاء ذلك ؟
قال : جزاؤه أن أمنعك ؛ قال : تمنعني ! قال : فأخذ قضيباً مكانه فضربه
به ، وأمر فكّيف ثم ضرب عنقه ، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل ، فخرج
ومعه ناس كثير ، فبلغ ابن زياد ذلك ، فأمر بباب القصر فأغلق ، وأمر
منادياً فنادى : يا خيل الله اركبي ، فلا أحد يجيبه ، فظن أنه في ملا من الناس .
قال حصين : فحدثني هلال بن يساف قال : لقيتهم تلك الليلة في
الطريق عند مسجد الأنصار ، فلم يكونوا يمشون في طريق يميناً ولا شمالاً إلا
وذهبت منهم طائفة ؛ الثلاثون والأربعون ، ونحو ذلك . قال : فلما بلغ
السوق ، وهي ليلة مظلمة ، ودخلوا المسجد ، قيل لابن زياد : والله ما نرى
كثيراً أحد ، ولا نسمع أصوات كثير أحد ، فأمر بسقف المسجد فقلع ،
ثم أمر بحراذي^(١) فيها النيران ، فجعلوا ينظرون ، فإذا قريب خمسين رجلاً .
قال : فنزل فصعد المنبر وقال للناس : تميزوا أرباعاً أرباعاً ؛ فانطلق كل
قوم إلى رأس ربّهم ، فنهض إليهم قوم يقاتلونهم ، فجرح مسلم جراحة^٢
ثقيلة ، وقتل ناس من أصحابه ، وانهزموا ؛ فخرج مسلم فدخل داراً من دور
كيندة ، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد ، فسأره ،
فقال له : إن مسلماً في دار فلان ، فقال ابن زياد : ما قال لك ؟ قال :
إن مسلماً في دار فلان ، قال ابن زياد لرجلين : انطلقا فأتياي به ،
فدخلوا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار ، فهو يغسل عنه الدماء ، فقالا

(١) في اللسان عن ابن الأعرابي : « يقال لخشب السقف الروافد ، ولما يلقى عليها من
أطنان القصب حراذي » .

له : انطلق ، الأمير يدعوك ، فقال : اعقدوا لي عقداً ؛ فقالوا : ما نملك ذاك ؛ فانطلق معهما حتى أتاه فأمر به فكثف ثم قال : هيه هيه يا بن خليّة — قال الحسين في حديثه : يا بن كذا — جئت لتتزعّ سلطاني ! ثم أمر به فضربت عنقه . قال حصين : فحدثني هلال بن يساف أن ابن زياد أمر بأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة ، فلا يدعون أحداً يديج ولا أحداً يخرج ، فأقبل الحسين ولا يشعر بشيء حتى لقي الأعراب ، فسألهم ، فقالوا : لا والله ما ندري ، غير أنا لا نستطيع أن ندج ولا نخرج ؛ قال : فانطلق يسير نحو طريق الشام نحو يزيد ، فلقيته الخيول بكربلاء ، فنزل يناشدهم الله والإسلام ، قال : وكان بعث إليه عمر بن سعد وشمر بن ذى الجوشن وحصين ابن نمير ، فناشدتهم الحسين الله والإسلام أن يسيروه إلى أمير المؤمنين ، فيضع يده في يده ، فقالوا : لا ، إلا على حكم ابن زياد ؛ وكان فيمن بعث إليه الحر بن يزيد الخنظلي ثم النهشلي على خيل ، فلما سمع ما يقول الحسين قال لهم : ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم ! والله لو سألكم هذا الترك والدليم ما حلّ لكم أن تردّوه ! فأبوا إلا على حكم ابن زياد ، فصرف الحرّ وجه فرسه ، وانطلق إلى الحسين وأصحابه ، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلتهم ، فلما دنا منهم قلب ثرسته وسلّم عليهم ، ثم كرّ على أصحاب ابن زياد فقاتلهم ، فقتل منهم رجلين ، ثم قتل رحمة الله عليه .

٢٨٦/٢

وذكر أن زهير بن القين البجليّ لقي الحسين وكان حاجباً ، فأقبل معه ، وخرج إليه ابن أبي بحرية المراديّ ورجلان آخران وعمر بن الحجاج ومعن السلميّ ؛ قال الحصين : وقد رأيتهما .

قال الحصين : وحدثني سعد بن عبيدة ، قال : إن أشياخاً من أهل الكوفة لتوقّف على التلّ يبيكون ويقولون : اللهم أنزل نصرك ، قال : قلت : يا أعداء الله ، ألا تنزلون فتنصرونه ! قال : فأقبل الحسين يكلّم من بعث إليه ابن زياد ، قال : وإني لأنظر إليه وعليه جبة من برود ، فلما كلمهم انصرف ، فرماه رجل من بني تميم يقال له : عمر الطّهويّ بسهم ، فإني لأنظر إلى السهم بين كفيه متعلّقاً في جبته ، فلما أبوا عليه رجع إلى مصافه ، وإني لأنظر إليهم ،

ولأنهم لقريب من مائة رجل، فيهم^(١) لصلب علي بن أبي طالب عليه السلام خمسة، ومن بني هاشم ستة عشر، ورجل من بني سليم حليف لهم، ورجل من بني كنانة حليف لهم، وابن عمر بن زياد.

قال: وحدّثني سعد بن عبيدة، قال: إنا لمستنقون في الماء مع عمر بن سعد، إذ أتاه رجل فسارّه وقال له: قد بعث إليك ابن زياد جُويرية بن بدر التميمي، وأمره إن لم تقا تل القوم أن يضرب عنقك؛ قال: فوثب إلى فرسه فركبه، ثم دعا سلاحه فلبسه، وإنه على فرسه، فنهض بالناس إليهم فقاتلوهم، فجاء برأس الحسين إلى ابن زياد، فوضع بين يديه، فجعل ينكت^(٢) بقضيبه، ويقول: إن أبا عبد الله قد كان شميّ؛ قال: وحي بئسائه وبناته وأهله، وكان أحسن شيء صنعته أن أمر لهنّ بمثزل في مكان معتزل، وأجرى عليهنّ رزقاً، وأمر لهنّ بنفقة وكسوة. قال: فانطلق غلامان منهم لعبد الله بن جعفر - أو ابن ابن جعفر - فأتيا رجلاً من طيئ فلبجا إليه، فضرب أعناقهما، وجاء برؤوسهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد؛ قال: فهم بضرب عنقه، وأمر بداره فهدمت.

قال: وحدّثني مولّي معاوية بن أبي سفيان قال: لما أتى يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه، قال: رأيته يبكي، وقال: لو كان بينه وبينه رحيم ما فعل هذا.

قال حصين: فلما قتل الحسين لبشوا شهرين أو ثلاثة، كأنما تلتطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع.

قال: وحدّثني العلاء بن أبي عاتة قال: حدّثني رأس الجالوت، عن أبيه قال: ما مررت بكر بلاء إلا وأنا أركض دابتي حتى أخلف المكان، قال: قلت: لم؟ قال: كنا نتحدّث أن "ولّد نبيّ مقتول في ذلك المكان؛ قال: وكنت أخاف أن أكون أنا، فلما قتل الحسين قلنا: هذا الذي كنا نتحدّث. قال: وكنت بعد ذلك إذا مررت بذلك المكان أسير ولا أركض. حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: حدّثني علي بن محمد،

(٢) كذا في البلاذري، وفي ط: «يقول».

(١) ط: «فهم».

عن جعفر بن سليمان الضَّبَّعِيِّ قال : قال الحسين : والله لا يدَعُونِي حَتَّى يَسْتَخْرِجُوا هَذِهِ الْعَمَلَةَ مِنْ جَوْفِي ، فَإِذَا فَعَلُوا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يَذْلَهُمْ حَتَّى يَكُونُوا أَذْلَ مَنْ فَرَمَ الْأَمَةَ ^(١) ؛ فَقَدِمَ لِلْعِرَاقِ فَقُتِلَ بِنَيْنَوَى يَوْمَ عَاشُورَاءَ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِينَ .

قال الحارث : قال ابن سعد : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍ ، قَالَ : قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صَفَرِ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِينَ وَهُوَ يَوْمُنَا ابْنِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ .

حدثني بذلك أَفْلَحُ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ ابْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ ، قَالَ الْحَارِثُ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍ ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ ، قَالَ : قُتِلَ الْحُسَيْنُ لِعَشْرِ خُلُوفٍ مِنَ الْحَرَمِ . قَالَ الْوَاقِدِيُّ : هَذَا أَثْبَتُ .

قال الحارث : قال ابن سعد : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَطَاءُ ابْنِ مُسْلِمٍ ، عَمَّنْ أَخْبَرَهُ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ ، عَنْ زُرَّارِ بْنِ حَبِيشٍ ، قَالَ : أَوَّلَ رَأْسٍ رُفِعَ عَلَى خَشْبَةٍ ، رَأْسَ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رُوحِهِ .

قال أبو مخنف : عَنْ هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ ، عَمَّنْ شَهِدَ ذَلِكَ ، قَالَ : أَقْبَلَ الْحُسَيْنُ ابْنَ عَلِيٍّ بِأَهْلِهِ مِنْ مَكَّةَ وَمَعَهُ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ ؛ قَالَ : فَبَلَغَهُ خَبْرُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فِي طَسْتٍ ؛ قَالَ : فَبَكَى حَتَّى سَمِعْتُ وَكُفَّ دَمُوعُهُ فِي الطَّاسِ .

قال أبو مخنف : حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبَّيْعِيِّ ، قَالَ : وَلَمَّا بَلَغَ عَيْدَ اللَّهِ إِقْبَالَ الْحُسَيْنِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْكُوفَةِ ، بَعَثَ الْحَصِينَ بْنِ تَمِيمٍ صَاحِبَ شُرَطِهِ حَتَّى نَزَلَ الْقَادِسِيَّةَ وَنَظَّمَ الْحَيْلَ مَا بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى خَفَّانَ ، وَمَا بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى الْقُطُقُطَانَةِ وَإِلَى لَعْلَعٍ ، وَقَالَ النَّاسُ : هَذَا الْحُسَيْنُ يَرِيدُ الْعِرَاقَ .

قال أبو مخنف : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ قَيْسٍ أَنَّ الْحُسَيْنَ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْحَاجِرَ مِنْ بَطْنِ الرُّمَّةِ بَعَثَ قَيْسَ بْنَ مُسَهَّرٍ الصَّيْدَاوِيَّ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَكُتِبَ مَعَهُ إِلَيْهِمْ :

(١) الفرم : خرقه الحيض .

بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن عليّ إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين ، سلامٌ عليكم ، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنّ كتابَ مسلم بن عَقِيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم ، واجتماع مَلَئِككم على نصرنا ، والطلبِ بحقِّنا ، فسألتُ الله أن يُحسن لنا الصُّنْع ، وأن يبيِّنكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصتُ إليكم من مكّة يومَ الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجة يومَ التروية ، فإذا قدم عليكم رسولُ فاكشوا أمركم وجدّوا ، فإنّي قادم عليكم في أيّامى هذه إن شاء الله ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكان مسلم ابن عَقِيل قد كان كتب إلى الحسين قبل أن يُقتل لسبع وعشرين ليلة : أما بعد ، فإنّ الرائد لا يكذب أهله ، إنّ جمْع أهل الكوفة معك ، فأقبل حين تقرأ كتابي ؛ والسلام عليك .

قال : فأقبل الحسين بالصبيان والنساء معه لا يكلو على شيء ، وأقبل قيس بن مُسهر الصيداوى إلى الكوفة بكتاب الحسين ، حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن تميم فبعث به إلى عبيد الله بن زياد ، فقال له عبيد الله : اصعد إلى القصر فسبّ الكذاب ابن الكذاب ؛ فصعد ثم قال : أيها الناس ، إنّ هذا الحسين بن عليّ خير خلق الله ؛ ابن فاطمة بنت رسول الله ، وأنا رسوله إليكم ، وقد فارقتُه بالحاجر ، فأجيبوه ؛ ثمّ لعن عبيد الله بن زياد وأباه ، واستغفر لعليّ بن أبي طالب . قال : فأمر به عبيد الله ابن زياد أن يُرمى به من فوق القصر ، فرمى به ، فتقطع فمات . ثمّ أقبل الحسين سيرا إلى الكوفة ، فأنتهى إلى ماء من مياه العرب ، فإذا عليه عبدُ الله بن مطيع العدوى ، وهو نازل ها هنا ، فلما رأى الحسين قام إليه ، فقال : بأبى أنت وأمتى يا بن رسول الله ! ما أقدمك ! واحتمله فأنزله ، فقال له الحسين : كان من موت معاوية ما قد بلغك ؛ فكتب إلى أهل العراق يدعونى إلى أنفسهم ، فقال له عبد الله بن مطيع : أذكرك الله يا بن رسول الله وحرمة الإسلام أن تُنتهك ! أنشدك الله فى حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! أنشدك الله فى حرمة العرب ! فوالله لئن طلبت ما فى أيدي بنى أمية ليقْتُلنك ، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحدا أبداً . والله إنها لحرمة الإسلام تُنتهك ، وحرمة قريش

وحرمة العرب ، فلا تفعل ، ولا تأت الكوفة ، ولا تعرض لبنى أمية ؛ قال : فأبى إلا أن يمضى ؛ قال : فأقبل الحسين حتى كان بالماء فوق زرود .

قال أبو مخنف : فحدثني السدي ، عن رجل من بني فزارة قال : لما كان زمن الحجاج بن يوسف كنا في دار الحارث بن أبي ربيعة التي في التمهارين ، التي أقطعت بعد زهير بن القيس ، من بني عمرو بن يشكر من بسجيلة ، وكان أهل الشام لا يدخلونها ، فكنا مختبئين فيها ، قال : فقلت للفزاري : حدثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن علي ؛ قال : كنا مع زهير بن القيس البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين ، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل ، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القيس ، وإذا نزل الحسين تقدم زهير ، حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بداً من أن ننازله فيه ، فنزل الحسين في جانب ، ونزلنا في جانب ، فبينما نحن جلوس نتغذى من طعام لنا ، إذ أقبل رسول الحسين حتى سلم ، ثم دخل فقال : يا زهير بن القيس ، إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه ؛ قال : فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير .

٢٩١/٢

قال أبو مخنف : فحدثني كاهن بنت عمرو امرأة زهير بن القيس ، قالت : فقلت له : أبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه ! سبحان الله ! لو أتيت فسمعت من كلامه ! ثم انصرفت ؛ قالت : فأتاه زهير بن القيس ، فإليه لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه ؛ قالت : فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم ، وحمل إلى الحسين ، ثم قال لامرأته : أنت طالق ، اتقي بأهلك ، فإنني لا أحب أن يصيبك من سبي إلا خير ، ثم قال لأصحابه : من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد ، إني سأحدثكم حديثاً ، غزونا بلسجر ، ففتح الله علينا ، وأصبنا غنائم ، فقال لنا سلمان الباهلي : أفرحتم بما فتح الله عليكم ، وأصبتم من الغنائم ! فقلنا : نعم ، فقال لنا : إذا أدركم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبتم من الغنائم ، فأما

أنا فإنتى أستودعكم الله؛ قال : ثم والله ما زال فى أوّل القوم حتى قُتل .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جتّاب الكلبيّ ، عن عدىّ بن حرملة الأسدىّ ، عن عبد الله بن سليم والمذرى بن المشمعلّ الأسديّين قالا : لما قضينا حجّنا لم يكن لنا همّة إلاّ اللّحاق بالحسين فى الطريق لننظر ما يكون من أمره وشأنه ، فأقبلنا تُرقل بنناقتانا مسرعين حتى لحقناه بزوّد ، فلما دونّا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين ؛ قالا : فوقف الحسين كأنه يريدّه ، ثم تركه ، ومضى ومضينا نحوه ، فقال أحدهما لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا فلنسأله ، فإن كان عنده خبر الكوفة

٢٩٢/٢

علمناه ، فمضينا حتى انتهينا إليه ، فقلنا : السلام عليك ، قال : وعليكم السلام ورحمة الله ، ثم قلنا : فمن الرجل ؟ قال : أسدىّ : فقلنا : فنحن أسديّان فمن أنت ؟ قال : أنا بكير بن المثعبة ، فانتسبنا له ، ثم قلنا : أخبرنا عن الناس وراءك ؛ قال : نعم ، لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عَقِيل وهانىء بن عروة ، فرأيتهما يُجسّران بأرجلهما فى السوق ؛ قالا : فأقبلنا حتى لحقنّا بالحسين ، فسايرناه حتى نزل الثعلبيّة ممسياً ، فجئناه حين نزل ، فسلمنا عليه فردّ علينا ، فقلنا له : يرحمك الله ؛ إنّ عندنا خبراً ، فإن شئت حدثنا علانيةً ، وإن شئت سراً ؛ قال : فنظر إلى أصحابه وقال : ما دون هؤلاء سرّ ؛ فقلنا له : رأيت الراكب الذى استقبلك عشاءً أمس ؟ قال : نعم ، وقد أردتُ مسأله ؛ فقلنا : قد استبرأنا لك خبره ، وكفيناك مسأله ، وهو امرؤ من أسد منا ، ذو رأى وصدق ، وفضل وعقل ، وإنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عَقِيل وهانىء بن عروة ، وحتى رأهما يُجسّران فى السوق بأرجلهما ، فقال : إنا لله وإنا اليه راجعون ! رحمة الله عليهما ، فردّد ذلك مراراً ، فقلنا : ننشدك الله فى نفسك وأهل بيتك إلاّ انصرفت من مكانك هذا ، فإنه ليس لك بالكوفة ناصرٌ ولا شيعة ، بل نتخوّف أن تكون عليك ! قال : فوثب عند ذلك بنو عَقِيل بن أبى طالب .

قال أبو مخنف : حدثني عمر بن خالد ، عن زيد بن علىّ بن حسين ، وعن داود بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، أنّ بنى عَقِيل قالوا : لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا ، أو ندوق ما ذاق أخونا .

٢٩٣/٢

قال أبو مخنف : عن أبي جَنَاب الكلبي ، عن عدى بن حرملة ، عن عبد الله بن سُلَيْم والمذرى بن المشمعل الأسديين ، قالوا : فنظر إلينا الحسين فقال : لا خير في العيش بعد هؤلاء ، قالوا : فعلمنا أنه قد عزم له رأيه على المسير ؛ قالوا : فقلنا : خَارَ الله لك ! قالوا : فقال : رحمكما الله ! قالوا : فقال له بعض أصحابه : إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عَقِيل ، ولو قدمت الكوفة لكان الناسُ إليك أسرع ؛ قال الأسديان : ثم انتظر حتى إذا كان السَّحَر قال لفتيانهِ وغلَمانهِ : أكثرُوا من الماء فاستَقُوا وأكثَرُوا ، ثم ارتحلوا وساروا حتى انتهوا إلى زُبالة .

قال أبو مخنف : حدثني أبو عليّ الأنصاري ، عن بكر بن مصعب المزني ، قال : كان الحسين لا يمرُّ بأهل ماء إلا اتبعوه حتى إذا انتهى إلى زُبالة سقط إليه مَقْتُل أخيه من الرضاعة ، مَقْتُلُ عبد الله بن بُقْطَر ، وكان سرَّحه إلى مسلم بن عَقِيل من الطريق وهو لا يدري أنه قد أصيب ، فتلَقاه خيلُ الحصين بن تميم بالقادسية ، فسرَّح به إلى عُبيد الله بن زياد ، فقال : اصعد فوق القصر فالعنِ الكذاب ابنَ الكذاب ، ثم انزل حتى أرى فيك رأيي ! قال : فصعد ، فلما أشرف على الناس قال : أيُّها الناس ، إني رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنصروه وتوازيروه على ابن مَرْجَانة ابن سَمِيَةِ الدعي . فأمر به عُبيد الله فألقى من فوق القصر إلى الأرض ، فكُسرت عظامُهُ ، وبقي به رَمَقٌ ، فأثاه رجل يقال له عبد الملك بن عُثْمَيْر اللَّخْمِي فذبحه ، فلمّا عيب ذلك عليه قال : إنما أردت أن أريحه .

قال هشام : حدثنا أبو بكر بن عياش عمن أخبره ، قال : والله ما هو عبد الملك بن عمير الذي قام إليه فذبحه ، ولكنه قام إليه رجل جعد طَوَال يشبه عبد الملك بن عمير . قال : فأتي ذلك الخبرُ حسِينًا وهو بُزْبالة ، فأخرج للناس كتابًا ، فقرأ عليهم :

٢٩٤/٢

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فانه قد أتانا خبر فظيع ، قتل مُسلم ابن عَقِيل وهاني بن عروة وعبد الله بن بُقْطَر ، وقد خذلتنا شيعتنا ، فمن

أحبّ منكم الانصراف فلينصرف ، ليس عليه منا ذمام .

قال : ففترق الناس عنه تفرّقاً ، فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ، وإنما فعل ذلك لأنه ظنّ أنما اتبعه الأعراب ، لأنهم ظنّوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله ، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علامة يقدمون ، وقد علم أنّهم إذا بيّّن لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه . قال : فلما كان من السحر أمر فتيانته فاستقوا الماء وأكثروا ، ثم سار حتى مرّ ببطن العقبة ، فنزل بها .

قال أبو مخنف : فحدثني لؤذان أحد بني عكرمة أن أحد عمومته سأل الحسين عليه السلام أين تريد ؟ فحدثه ، فقال له : إنني أنشدك الله لمّا انصرفت ، فوالله لا تقدم إلا على الأسنة وحدث السيوف ، فإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفّوك مؤنة القتال ، ووطئوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً ، فأما على هذه الحال التي تذكرها فلانّي لا أرى لك أن تفعل . قال : فقال له : يا عبد الله ، إنه ليس يخفي عليّ ، الرأى ما رأيت ، ولكن الله لا يغلب على أمره ، ثم ارتحل منها .

* * *

ونزع يزيد بن معاوية في هذه السنة الوليد بن عتبة عن مكة ، ولّاها ٢/٢٩٠ عمرو بن سعيد بن العاص ، وذلك في شهر رمضان منها ، فحجّ بالناس عمرو ابن سعيد في هذه السنة ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وكان عامله على مكة والمدينة في هذه السنة بعد ما عزل الوليد بن عتبة عمرو بن سعيد ، وعلى الكوفة والبصرة وأعمالهما عبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة .

ثم دخلت سنة إحدى وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مقتل الحسين رضوان الله عليه ، قُتل فيها في المحرم لعشر خلون منه ، كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، قال : حدثني مُحدث ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال الواقدي وهشام بن الكلبي ؛ وقد ذكرنا ابتداء أمر الحسين في مسيره نحو العراق وما كان منه في سنة ستين ، ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة إحدى وستين وكيف كان مقتله .

حدثت عن هشام ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو جناب ، عن عدي بن حرمة ، عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشعل الأسديين قالا : أقبل الحسين عليه السلام حتى نزل شراف ، فلما كان في السحر أمر فتيانته فاستقوا من الماء فأكثرُوا ، ثم ساروا منها ، فرسموا صدر يومهم حتى انتصف النهار . ثم إن رجلاً قال : الله أكبر ! فقال الحسين : الله أكبر ما كبرت (١) ؟ قال : رأيت النخل ، فقال له الأسديان : إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قط ؛ قالا : فقال لنا الحسين : فما ترى أنه رأى ؟ قلنا : نراه رأى هوادي الخيل ؛ فقال : وأنا والله أرى ذلك ؛ فقال الحسين : أمّا لنا ملجأ نلجأ إليه ، نجعله في ظهورنا ، ونستقبل القوم من وجه واحد ؟ فقلنا له : بلى ، هذا ذو حُسم إلى جنبك ، تَمِيلُ إليه عن يسارك ، فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد ؛ قالا : فأخذ إليه ذات اليسار ؛ قالا : وملنا معه فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل ، فتبينناها ، وعدنا ، فلما رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأن أسننهم اليعاسيب ، وكأن راياتهم أجنحة الطير ، قال : فاستبقنا إلى ذي حُسم ، فسبقناهم إليه ، ففزّل الحسين ، فأمر بأبنيته فضربت ، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي اليربوعي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حرّ الظّهيرة ، والحسين وأصحابه معتمون متقلدو أسيافهم ، فقال

٢٩٦/٢

(١) ابن الأثير : « م كبرت ؟ » .

الحسين لفتيانه : اسقوا القوم وأرووهم من الماء ورشّفوا الخيل ترشيفاً ،
فقام فتياناه فرشّفوا الخيل ترشيفاً ، فقام فتية وسقّوا القوم من الماء حتى أرووهم ،
وأقبلوا يملئون القصاع والأتوار^(١) والطّساس من الماء ثم يُدَنُونَهَا من الفرس ،
فإذا عبّ فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُرِلَتْ عنه ، وسقّوا آخرَ حتى سقّوا
الخيال كلّها .

قال هشام : حدثني لقيط ، عن عليّ بن الطّعان المحاربيّ : كنت مع
الحُرّ بن يزيد ، فجئت في آخر مَنْ جاء من أصحابه ، فلما رأى الحسين ما بي
وبفرسى من العطش قال : أنخ الراوية - والراوية عندي السقاء - ثم قال :
يا بن أخ ، أنخ الحمل ، فأنخته ، فقال : اشرب ، فجعلت كلما شربتُ
سال الماء من السقاء ، فقال الحسين : اخنث السقاء - أي اعطفه - قال :
فجعلتُ لا أدرى كيف أفعل ! قال : فقام الحسين فخنّثه ، فشربتُ
وسقّيتُ فرسى . قال : وكان محبى الحُرّ بن يزيد ومسيره إلى الحسين من
القادسيّة ، وذلك أنّ عبيد الله بن زياد لما بلغه إقبالُ الحسين بعث الحصين
ابن تميم التميمي - وكان على شرطه - فأمره أن ينزل القادسيّة ، وأن يضع
المسّالِحَ فينظم ما بين القطُقطانة إلى خفّان ، وقدّم الحُرّ بن يزيد بين يديه في
هذه الألف من القادسيّة ، فيستقبل حسيناً . قال : فلم يزل موافقاً حسيناً حتى
حضرت الصّلاة صلاة الظهر ، فأمر الحسين الحجّاج بن مسروق الجعفيّ أن
يؤدّن ، فأدّن ، فلما حضرت الإقامة خرج الحسين في إزار ورداء وزعلين ،
فحمّد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيّها الناس ، إنها معذرة إلى الله عزّ وجلّ
وإليكم ؛ إنّي لم آتكم حتى أتتني كتُوبكم ، وقدمتُ على رُسُلكم : أن أقدم
علينا ، فإنه ليس لنا إمام ، لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى ؛ فإن كنتم على
ذلك فقد جئتمكم ، فإن تُعطوني ما أطمئنُّ إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم
مصركم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفتُ عنكم إلى المكان
الذي أقبلتُ منه إليكم . قال : فسكثوا عنه وقالوا للمؤدّن : أقم ، فأقام الصلاة ،
فقال الحسين عليه السلام للحُرّ : أتريدُ أن تصلّي بأصحابك ؟ قال : لا ، بل

(١) الأتوار : جمع تور ؛ وهو إناء من صفر أو حجارة .

تصلّى أنت ونصلّى بصلّاتك؛ قال : فصلّى بهم الحسين ، ثم إنه دخل واجتمع إليه أصحابه ، وانصرف الحرّ إلى مكانه الذي كان به ، فدخل خيّمته قد ضربت له ، فاجتمع إليه جماعة من أصحابه ، وعاد أصحابه إلى صفّهم الذي كانوا فيه ، فأعادوه ، ثم أخذ كل رجل منهم بعنان دابّته وجلس في ظلّها ، فلما كان وقت العصر أمر الحسين أن يتهيّئوا للرحيل . ثم إنه خرج فأمر مناديه فنادى بالعصر ، وأقام فاستقدم الحسين فصلّى بالقوم ثم سلم ، وانصرف إلى القوم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى الله ، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم ، والساثرين فيكم بالجور والعدوان ، وإن أنتم كرهتمونا ، وجهلتم حقنا ، وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم ، وقدمت به على رُسُلكم ، انصرفت عنكم ، فقال له الحرّ بن يزيد : إنّا والله ما ندرى ما هذه الكتّاب التي تذكر ! فقال الحسين : يا عقبة بن سَمْعان ، أخرج الخرجين اللّذين فيهما كتبهم إلىّ ، فأخرج خرجين مملوءين صحُفًا ، فنشرها بين أيديهم ؛ فقال الحرّ : فإنّا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نُقدّمك على عبيد الله بن زياد ؛ فقال له الحسين : الموتُ أدنى إليك من ذلك ، ثم قال لأصحابه : قوموا فاركبوا ، فركبوا وانظروا حتى ركبت نساؤهم ، فقال لأصحابه : انصرفوا بنا ، فلما ذهبوا لينصرفوا حالّ القومُ بينهم وبين الانصراف ، فقال الحسين للحرّ : ثكلتْك أمّك ! ما تريد ؟ قال : أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركتُ ذكرَ أمه بالشكّل أن أقولَه كائنًا من كان ، ولكنّ والله ما لي إلى ذكرِ أمّك من سبيل إلاّ بأحسن ما يقدر عليه ؛ فقال له الحسين : فما تريد ؟ قال الحرّ : أريد والله أن أنطلق بك إلى عبّيد الله بن زياد ، قال له الحسين : إذن والله لا أتبعك ؛ فقال له الحرّ : إذن والله لا أدعك ؛ فترادّا القول ثلاث مرّات ، ولما كثر الكلامُ بينهما قال له الحرّ : إنّي لم أومر بقتالك ، وإنما أمرت ألا أفارقك حتى أقدمك الكوفة ، فإذا أبيتَ فخذ طريقًا لا تُدخلك الكوفة ، ولا تردّك إلى المدينة ،

تكون بيني وبينك نصفاً حتى أكتب إلى ابن زياد ، وتكتب أنت إلى يزيد ابن معاوية إن أردت أن تكتب إليه ، أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئت ، ففعل الله إلى ذلك أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن ابتلى بشيء من ٣٠٠/٢ أمرك ؛ قال : فعخذ هاهنا فتيا سر عن طريق العُدَيْب والقادسية ، وبينه وبين العُدَيْب ثمانية وثلاثون ميلاً . ثم إن الحسين سار في أصحابه والحر يسايره .

قال أبو مخنف : عن عقبة بن أبي العيزار ، إن الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبليضة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول ، كان حقاً على الله أن يمدخله مدخله . » ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالنيء ، وأحلوا حرام الله ، وحرّموا حلاله ، وأنا أحق من غيّر ، قد أتنى كتبكم ، وقدمت على رؤسكم ببيعكم ؛ أنكم لا تسلموني ولا تتخذوني ، فإن تمتم على بيعكم تصيبيوا رشدكم ، فأنا الحسين بن علي ، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نفسي مع أنفسكم ، وأهلي مع أهليكم ، فلكم في أسوة ، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم ، وخلعتم بيعتي من أعناقكم ، فلتعمرى ما هي لكم بنكير^(١) ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم ، والمغرور من اغتر بكم ، فحظكم أخطأتم ، ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وسيغنى الله عنكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وقال عقبة بن أبي العيزار : قام حسين عليه السلام بذى حُسَم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون ، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت ، وأدبر معروفها واستمرت جداً ، فلم يبقَ منها إلا صُبابة

(١) ابن الأثير : « بنكير » .

كصُباة الإناء ، وخسيس عيش كالمَرعى الوَبيل . ألا ترون أن الحق لا يُعْمَلُ به ، وأنّ الباطل لا يُتَنَاهَى عنه ! ليرغب المؤمن في لقاء الله مُحَقَّقًا ، فإنّي لا أرى الموت إلا شهادة ، ولا الحياة مع الظالمين إلا بَرَمًا .

قال : فقام زهير بن القيس البجليّ فقال لأصحابه : تَكَلَّمُون أم أنكلم ؟ قالوا : لا ، بل تكلم ؛ فَحَمِدَ الله فَأَثْنَى عليه ثم قال : قد سَمِعْنَا هَذَاكَ الله يا ابنَ رسولِ الله مقالَتَكَ ، والله لو كانت الدنيا لنا باقية ، وكنا فيها مَحْلَدِينَ ، إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك ، لآثَرْنَا الخروجَ معك على الإقامة فيها .

قال : فدعا له الحسين ثم قال له خيرًا ؛ وأقبل الحرّ يسايره وهو يقول له : يا حسين ، إني أذكرك الله في نفسك ، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتُقتلن ، ولئن قوتلت لتُهْلَكُنْ فيما أرى ؛ فقال له الحسين : أفبا موت تخونني ! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلونى ! ما أدري ما أقول لك ! ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه ، ولقيته وهو يريد نصرة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أين تذهب ؟ فإنك مقتول ؛ فقال :

سَأْمَضِي وما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا ما نَوَى حقًا وجاهدَ مسلمًا
وَأَسَى الرجالَ الصالحينَ بنفسِهِ وفارقَ مَثْبُورًا يَغُشُّ وَيُرْغَمَا ^(١)

٣٠٢/٢

قال : فلما سمع ذلك منه الحرّ تنحى عنه ، وكان يسير بأصحابه في ناحية وحسين في ناحية أخرى ، حتى انتهوا إلى عذيب الهجانات ، وكان بها هَجَائِنُ النعمان تَرعى هنالك ، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم ، يَجْنِبُونَ فرسًا لنافع بن هلال يقال له الكامل ، ومعهم دليلُهم الطرمّاح بن عدى على فرسه ، وهو يقول :

(١) كذا في ط ، وقبل البيت في ابن الأثير :

ووَاسَى رِجَالًا صَالِحِينَ بِنَفْسِهِ وَخَالَفَ مَثْبُورًا وَفَارَقَ مَجْرِمًا
وَذَكَرَ بَعْدَهُ :

فَإِنْ عِشْتَ لَمْ أُنْذَمْ وَإِنْ مِتَّ لَمْ أَنْمَ كَفَى بِكَ ذُلًّا أَنْ يَعِيشَ وَتُرْغَمَا

يا فاقتي لا تُدعري من زجري / وشمري قبل طلوع الفجر
 بخير رُكبانٍ وخير سفرٍ حتى تحلّي بكريم النجر
 الماجد الحرّ رحيب الصدر أتى به الله لخير أمرٍ

* ثُمّتَ أبقاه بقاء الدهر *

قال : فلما انتهوا إلى الحسين أنشدوه هذه الأبيات ، فقال : أما والله
 ٣٠٣/٢ إني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا ، قُتِلنا أم ظَفَرنا ؛ قال : وأقبل إليهم
 الحرّ بن يزيد فقال : إن هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا بمن أقبل
 معك ، وأنا حابسهم أو رادّهم ، فقال له الحسين : لأمنعتهم مما أُمِنَ منه
 نفسي ، إنما هؤلاء أنصاري وأعواني ، وقد كنت أعطيتني ألاّ تعرّض لي
 بشيء حتى يأتيتك كتاب من ابن زياد ، فقال : أجل ، لكن لم يأتوا معك ؛
 قال : هم أصحابي ، وهم بمنزلة من جاء معي ، فإن تممت على ما كان بيني
 وبينك وإلا ناجزْتُك ؛ قال : فكفّ عنهم الحرّ ؛ قال : ثمّ قال لهم الحسين :
 أخبروني خبر الناس وراءكم ، فقال له جمّع بن عبد الله العائدي ، وهو أحد
 الثّقَر الأربعة الذين جاءوه : أما أشرف الناس فقد أعظمت رِشوتُهم ،
 ومثلت غرائرهم ، يُستمال ودّهم ، ويستخلص به نصيحتهم ، فهم ألب
 واحد عليك ، وأما سائر الناس بعد ، فإن أفئدتهم تهوى إليك ، وسيوفهم
 غداً مشهورة عليك ؛ قال : أخبروني ، فهل لكم برسولي إليكم ؟ قالوا : من
 هو ؟ قال : قيس بن مسهر الصيدائي ؛ فقالوا : نعم ، أخذه الحصين
 ابن تميم فبعث به إلى ابن زياد ، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك ،
 فصلى عليك وعلى أبيك ، ولعن ابن زياد وأباه ، ودعا إلى نُصرتك ، وأخبرهم
 بقدمك ، فأمر به ابن زياد فأُلقي من طَمارِ القصر ؛ ففرقت عينا حسين
 عليه السلام ولم يملك دمعته ، ثم قال : ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ
 يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾ . اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلاً ، واجمع بيننا وبينهم
 ٣٠٤/٢ في مستقر من رحمتك ، ورغائب مذخور ثوابك !

قال أبو مخنف : حدثني جميل بن مَرثد بن بني مَعْن، عن الطرماح ابن عديّ ، أنه دنا من الحسين فقال له : والله إني لأنظر فما أرى معك أحداً ، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم ؛ وقد رأيتُ قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهور الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عيناى فى صعيد واحد جَمْعاً أكثر منه ، فسألت عنهم ، فقيل : اجتمعوا ليُعَرِّضُوا ، ثم يسرّحون إلى الحسين ، فأنشدك الله إن قدرت على ألاّ تقدم عليهم شبراً إلاّ فعلت ! فإن أردت أن تنزل بلدأ يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ، ويستبين لك ما أنت صانع ، فسرّ حتى أنزلك مَناع جبلنا الذى يُدعى أجبأ ، امتنعنا والله به من ملوك غسانَ وحمير ومن النعمان بن المنذر ، ومن الأسود والأحمر (١) ، والله إن دخل علينا ذلّ قطّ ؛ فأسير معك حتى أنزلك القرية ، ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجبأ وسلمى من طيئ ، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى تأتيتك طيئ رجالاً ورُكبناً ، ثم أقم فينا ما بدا لك ، فإن هاجك هَيْج فأنأ زعيم لك بعشرين ألف طائيّ يَضربون بين يديك بأسيافهم ، والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف ؛ فقال له : جزاك الله وقومك خيراً ! إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ، ولا ندرى علامَ تنصرف بنا وبهم الأمور فى عاقبه !

قال أبو مخنف : فحدثني جميل بن مَرثد ، قال : حدثني الطرماح ابن عديّ ، قال : فودعته وقلتُ له : دفع الله عنك شرّ الجن والإنس ، إننى قد امرتُ لأهلى من الكوفة ميرةً ، ومعى نفقة لهم ، فأتيهم فأضع ذلك فيهم ، ثم أقبل إليك إن شاء الله ، فإن ألحقك فوالله لأكوننّ من أنصارك ؛ قال : فإن كنتَ فاعلاً فعجلّ رحمك الله ؛ قال : فعلمتُ أنه مستوحشٌ إلى الرجال حتى يسألنى التعجيل ؛ قال : فلما بلغتُ أهلى وضعتُ عندهم ما يصلحهم ، وأوصيت ، فأخذ أهلى يقولون : إنك لتصنع مَرَّتَكَ هذه شيئاً ما كنتَ

(١) ابن الأثير : « الأحمر والأبيض » .

تصنعه قبل اليوم ، فأخبرتهم بما أريد ، وأقبلتُ في طريق بني ثعلل حتى إذا
 دزوتُ من عُدَيب الهجانات ، استقبلتني سَمَاعَةُ بن بدر ، فنعاها إلى ،
 فرجعت ؛ قال : ومضى الحسين عليه السلام حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل ،
 فنزل به ، فإذا هو بفُسطاط مضرٍوب .

قال أبو مخنف : حدثني المجالد بن سعيد ، عن عامر الشعبي ، أن
 الحسين بن علي رضي الله عنه قال : لِمَنْ هذا الفسطاط ؟ فقيل : لعبيد الله
 ابن الحرّ الجعفي ؛ قال : ادعوه لي ، وبعثت إليه ، فلما أتاه الرسول ، قال :
 هذا الحسين بن علي يدعوك ؛ فقال عبيد الله بن الحرّ : إنّنا لله وإنا إليه راجعون !
 والله ما خرجتُ من الكوفة إلا كراهة أن يدخلها الحسين وأنا بها ، والله ما أريد
 أن أراه ولا يراني ، فأتاه الرسول فأخبره ، فأخذ الحسين نعليه فانتعل ، ثم
 قام فجاءه حتى دخل عليه ، فسأتم وجلس ، ثم دعاه إلى الخروج معه ،
 فأعاد إليه ابن الحرّ تلك المقالة ، فقال : فلا تنصرونا فاتق الله أن تكون ممّن
 يقاتلنا ، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك ؛ قال : أمّا هذا
 فلا يكون أبداً إن شاء الله . ثم قام الحسين عليه السلام من عنده حتى دخل
 رحلته .

٣٠٦/٢

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جُندُب ، عن عقبة بن سَمْعَانَ
 قال : لما كان في آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء ، ثم أمرنا بالرحيل ؛
 ففعلنا ؛ قال : فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل وسرنا ساعة خفق الحسين
 برأسه خفقة ، ثم انتبه وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربّ
 العالمين ؛ قال : ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً ، قال : فأقبل إليه ابنه علي بن
 الحسين على فرس له فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربّ العالمين ،
 يا أبت ، جعلتُ فداك ! مِمَّ حمِدْتَ اللهَ واسترجعت ؟ قال : يا بني ، إني
 خفقتُ برأسي خفقةً فعنّ لي فارس على فرس فقال : القوم يسرون والمنايا
 تسري^(١) إليهم ، فعلمتُ أنها أنفسنا نُعيّتُ إلينا ، قال له : يا أبت ،

(١) ابن الأثير : « تسير » .

لا أراك الله سوءاً ، ألسنا على الحق ! قال : بلى والذي إليه مرجع العباد ؛ قال : يا أبت ، إذاً لانبأى ؛ نموت محققين ؛ فقال له : جزاك الله من ولّد خيرَ ما جزّى ولّدّاً عن والده ؛ قال : فلما أصبح نزل فصلى الغداة ، ثمّ عجل الركوب ، فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم ، فيأتيه الحرّ بن يزيد فيردّهم فيردّه ، فجعل إذا ردّهم إلى الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا ، فلم يزلوا يتسايرون حتى انتهوا إلى نيسوى ؛ المكان الذى نزل به الحسين ؛ قال : فإذا راكبٌ على نجيب له وعليه السلاح متنكبّ قوساً مقبلاً من الكوفة ، فوقفوا جميعاً ينتظرونه ، فلما انتهى إليهم سأم على الحرّ بن يزيد وأصحابه ، ولم يسأم على الحسين عليه السلام وأصحابه ، فدفع إلى الحرّ كتاباً من عبيد الله ابن زياد فإذا فيه : أما بعد ، فجعّج^(١) بالحسين حين يبلغك كتابي ، ويقدم عليك رسولى ، فلا تنزله إلا بالعرءاء فى غير حصن وعلى غير ماء ، وقد أمرت رسولى أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيك بأفئذك أمرى ؛ والسلام .

٣٠٧/٢

قال : فلما قرأ الكتاب قال لهم الحرّ : هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد يأمرنى فيه أن أجمع بكم فى المكان الذى يأتينى فيه كتابه ، وهذا رسوله ، وقد أمره ألا يفارقنى حتى أنفذ رأيه وأمره ، فنظر إلى رسول عبيد الله يزيد ابن زياد بن المهاصر أبو الشعثاء الكندى ثم البهلى فغنّ له ، فقال : أملك بن النسيير البدى ؟ قال : نعم - وكان أحد كندة - فقال له يزيد ابن زياد : ثكلتك أمك ! ماذا جئت فيه ؟ قال : وما جئت فيه ! أطعت إمامى ، ووفيت ببينى ، فقال له أبو الشعثاء : عصيت ربك ، وأطعت إمامك فى هلاك نفسك ، كسبت العار والنار ، قال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾^(٢) ، فهو إمامك . قال : وأخذ الحرّ بن يزيد القوم بالنزول فى ذلك المكان على غير ماء ولا فى قرية ، فقالوا : دعنا ننزل فى هذه القرية ، يعنون نيسوى -

(١) أورد الخبر فى اللسان وقال فى شرحه : « أى أزعجه وأخرجه ، وقال الأصمعى : يعنى أحبسه » .

(٢) سورة القصص : ٣٢ .

أو هذه القرية - يعنون الغاضرية - أو هذه الأخرى - يعنون شُفَيرة .
 فقال : لا والله ما أستطيع ذلك ، هذا رجل قد بُعث إلى عينا ، فقال له
 زهير بن القين : يا بن رسول الله ، إن قتال هؤلاء أهون من قتال من يأتينا
 من بعدهم ، فلعمري ليأتينا من بعد من ترى ما لا قبل لنا به ؛ فقال
 له الحسين : ما كنت لأبدأهم بالقتال ؛ فقال له زهير بن القين : سر بنا إلى
 هذه القرية حتى تنزلها فإنها حصينة ، وهي على شاطئ الفرات ، فإن منعونا
 قاتلناهم ، فقتلهم أهون علينا من قتال من يجيء من بعدهم ؛ فقال له
 الحسين : وأية قرية هي ؟ قال : هي العقر ، فقال الحسين : اللهم إني
 أعوذ بك من العقر ، ثم نزل ، وذلك يوم الخميس ، وهو اليوم الثاني من
 المحرم سنة إحدى وستين . فلما كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن
 أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف . قال : وكان سبب خروج ابن سعد
 إلى الحسين عليه السلام أن عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل
 الكوفة يسير بهم إلى دسستبي ، وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها ،
 فكتب إليه ابن زياد عهده على الرّي ، وأمره بالخروج .

فخرج معسكراً بالناس بمحطام أعين ، فلما كان من أمر الحسين ما كان
 وأقبل إلى الكوفة دعا ابن زياد عمر بن سعد ، فقال : سر إلى الحسين ، فإذا فرغنا
 مما بيننا وبينه سرت إلى عملك ؛ فقال له عمر بن سعد : إن رأيت رحمك الله
 أن تُعفيني فافعل ؛ فقال له عبيد الله : نعم ، على أن ترد لنا عهدنا ؛ قال :
 فلما قال له ذلك قال عمر بن سعد : أمهلني اليوم حتى أنظر ؛ قال : فانصرف
 عمر يستشير نصحاءه ، فلم يكن يستشير أحداً إلا نهاه ؛ قال : وجاء حمزة
 ابن المغيرة بن شعبة - وهو ابن أخته - فقال : أنشدك الله يا خال أن تسير إلى
 الحسين فتأثم بربك ، وتقطع رحمك ! فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك
 وسلطان الأرض كلها لو كان لك ، خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين !
 فقال له عمر بن سعد : فإني أفعل إن شاء الله .

قال هشام : حدثني عوانة بن الحكم ، عن عمار بن عبد الله بن يسار

الْجُهَنِّيَّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ، وَقَدْ أُمِرَ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ لِي : إِنْ الْأَمِيرُ أَمَرَنِي بِالْمَسِيرِ إِلَى الْحُسَيْنِ ، فَأَبَيْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَصَابَ اللَّهُ بِكَ ، أُرْسِدَكَ اللَّهُ ، أَحِلْ فَلَا تَفْعَلْ وَلَا تَسِيرْ إِلَيْهِ . قَالَ : فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ ، فَأَتَانِي آتٌ وَقَالَ : هَذَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ يَسْتَدُبُّ النَّاسَ إِلَى الْحُسَيْنِ ؛ قَالَ : فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ ، فَلَمَّا رَأَى أَنْ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِ ، فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ ؛ قَالَ : فَأَقْبَلَ عُمَرَ ابْنَ سَعْدٍ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! إِنْكَ وَلَيْتَنِي هَذَا الْعَمَلُ ، وَكُتِبَتْ لِيَ الْعَهْدُ ، وَسَمِعَ بِهِ النَّاسُ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَنْفِذَ ذَلِكَ فَافْعَلْ وَابْعَثْ إِلَى الْحُسَيْنِ فِي هَذَا الْجَيْشِ مِنْ أَشْرَافِ الْكُوفَةِ مَنْ لَسْتُ بِأَغْنَى وَلَا أَجْزَأُ عَنْكَ فِي الْحَرْبِ مِنْهُ ؛ فَسَمِيَ لَهُ أَنْاسًا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ : لَا تُعْلِمْنِي بِأَشْرَافِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَلَسْتُ أَسْتَأْمِرُكَ فِيمَنْ أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَ . إِنْ سَرَتْ بِجَنْدَنَا ، وَإِلَّا فَا بْعَثْ إِلَيْنَا بَعْدَنَا ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَدْ لَجَّ قَالَ : فَإِنِّي سَائِرٌ ؛ قَالَ : فَأَقْبَلَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ حَتَّى نَزَلَ بِالْحُسَيْنِ مِنَ الْغَدِ مِنْ يَوْمِ نَزَلَ الْحُسَيْنِ نَيْنَوَى .

قَالَ : فَبَعَثَ عُمرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَزْرَةَ بَنِ قَيْسِ الْأَحْمَسِيِّ ، فَقَالَ : إِنَّهُ فَسَلَّهُ مَا الَّذِي جَاءَ بِهِ ؟ وَمَاذَا يَرِيدُ ؟ وَكَانَ عَزْرَةُ مِنْ كُتُبٍ إِلَى الْحُسَيْنِ فَاسْتَحْيَا مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَهُ . قَالَ : فَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَى الرُّسَاءِ الَّذِينَ كَاتَبُوهُ ، فَكَلَّمَهُمْ أَبِي وَكَرِهَهُ . قَالَ : وَقَامَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ الشَّعْبِيِّ — وَكَانَ فَارِسًا شَجَاعًا لَيْسَ يَرُدُّ وَجْهَهُ شَيْءٌ — فَقَالَ : أَنَا أَذْهَبُ إِلَيْهِ ، وَاللَّهِ لَنْ شَتَّ لَا فَتَكُنْ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ : مَا أُرِيدُ أَنْ يَفْتِكَ بِهِ ، وَلَكِنْ إِنَّهُ فَسَلَّهُ مَا الَّذِي جَاءَ بِهِ ؟ قَالَ : فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو ثَمَامَةَ الصَّائِدِيُّ قَالَ لِلْحُسَيْنِ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! قَدْ جَاءَكَ شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَجْرُوهُ عَلَى دَمٍ وَأَفْتِكَه ، فَقَامَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : ضَعْ سَيْفَكَ ؛ قَالَ : لَا وَاللَّهِ وَلَا كِرَامَةَ ، إِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ فَإِنْ سَمِعْتُمْ مِنِّي أُبَلِّغْتُمْ مَا أُرْسِيَتْ بِهِ إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ أَنْصَرَفْتُ عَنْكُمْ ؛ فَقَالَ لَهُ : فَإِنِّي أَخَذْتُ بِقَائِمِ سَيْفِكَ ، ثُمَّ تَكَلَّمْتُ بِحَاجَتِكَ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، لَا تَمْسُهُ فَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي مَا جِئْتَ بِهِ وَأَنَا أَبْلِغُهُ عَنْكَ ، وَلَا أَدْعُكَ تَدْنُو مِنْهُ ، فَإِنَّكَ فَاجِرٌ ؛ قَالَ : فَاسْتَبَا ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ؛ قَالَ :

فدعا عمر قرّة بن قيس الحنظليّ فقال له : وَيَحْكُ يا قرّة ! القَ حَسِيناً فَسَأَلَهُ
 ما جاء به ؟ وماذا يريد ؟ قال : فَأَتَاهُ قرّة بن قيس ، فلما رآه الحسين مقبلاً
 قال : أتعرفون هذا ؟ فقال حبيب بن مظاهر : نعم ، هذا رجل من حنظلة
 تميمي ، وهو ابن أختنا ، ولقد كنتُ أعرفه بحسُنِ الرأى ، وما كنتُ أراه يشهد
 هذا المشهد ؛ قال : فجاءَ حتى سلّمَ على الحسين ، وأبلغه رسالةَ عمر بن سعد
 إليه له ، فقال الحسين : كتب إلى أهل مصركم هذا أن أقدم ، فأما إذ
 كرهوني فأنا أنصرف عنهم ؛ قال : ثم قال له حبيب بن مظاهر : وَيَحْكُ يا قرّة
 ابن قيس ! أتني ترجع إلى القوم الظالمين ! انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيديك
 الله بالكرامة وإيّانا معك ؛ فقال له قرّة : أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته ،
 وأرى رأيي ؛ قال : فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر ، فقال له عمر بن
 سعد : إني لأرجو أن يعافيتني الله من حربه وقتاله .

قال هشام ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني النضر بن صالح بن حبيب
 ابن زهير العبسيّ ، عن حسان بن فائد بن بكير العبسيّ^(١) ، قال : أشهد أن
 كتاب عمر بن سعد جاء إلى عبيد الله بن زياد وأنا عنده فإذا فيه :
 بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإني حيث نزلتُ بالحسين بعثتُ إليه
 رسولي ، فسألتُهُ عما أقدمه ، وماذا يطلب ويسأل ، فقال : كتب إلى أهل
 هذه البلاد وأتتني رسالهم ، فسألوني القدومَ ففعلت ؛ فأما إذ كرهوني فبدًا لهم
 غير ما أتتني به رُسُلهم فأنا منصرفٌ عنهم ، فلما قرئ الكتاب على
 ابن زياد قال :

الآن إِذْ عَلِقَتْ مَخَالِبُنَا بِهِ يَرْجُوا النجاةَ ولاتَ حِينَ مَنَاصٍ !

قال : وكتب إلى عمر بن سعد :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أما بعد ، فقد بلغني كتابُك ، وفهمتُ ما
 ذكرت ، فاعرض على الحسين أن يبيع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه ،
 فإذا فعل ذلك رأينا رأينا ، والسلام .

قال : فلما أتى عمر بن سعد الكتاب ، قال : قد حسبتُ ألا يقبل ابن زياد العافية .

قال أبو مخنف : حدثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم الأزدي ، قال : جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد : أما بعد ، فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، ولا يذوقوا منه قطرة ، كما صنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان . قال : فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس ، فنزلوا على الشريعة ، وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة ، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث . قال : ونازله عبد الله بن أبي حصين الأزدي - وعداده في بحيلة - فقال : يا حسين ، ألا تنظر إلى الماء كأنه كبّد السماء ! والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً ، فقال حسين : اللهم اقتله عطشاً ، ولا تغفر له أبداً . قال حميد بن مسلم : والله لعدته بعد ذلك في مرضه ، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيتُه يشرب حتى بغر^(١) ، ثم يقى ، ثم يعود فيشرب حتى ييغر فما يروى ، فما زال ذلك دأبه حتى لفظَ عصبه^(٢) . يعنى نفسه - قال : ولما اشتد على الحسين وأصحابه العطش دعا العباس بن علي بن أبي طالب أخاه ، فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ، وبعث معهم بعشرين قربةً ، فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً واستقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال الجملي ، فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي : من الرجل ؟ فجىء فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا^(٣) عنه ؛ قال : فاشرب هنيئاً ، قال : لا والله ، لا أشرب منه قطرةً وحسين عطشان ومن ترى من أصحابه ، فطلّعوا عليه ، فقال : لا سبيل إلى سقى هؤلاء ، إنما وُضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء ، فلما دنا منه أصحابه قال لرجاله : املثوا قربكم ، فشدّ الرجال فملثوا قريبتهم ، وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه ، فحمل عليهم العباس بن علي ونافع بن هلال فكفّوهم ، ثم انصرفوا إلى رحالهم ، فقالوا : امضوا ، ووقفوا دونهم ، فعطف

٣١٢/٢

٣١٣/٢

(١) البغر : الشرب بلا رى .

(٢) في اللسان : « لفظ عصبه ، أى ريقه » .

(٣) يقال : حلأه ، عن الماء : طرده ومنعه منه .

عليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه واطَّردوا قليلاً . ثم إن رجلاً من صُداء طُعِنَ من أصحاب عمرو بن الحجاج ، طعنه نافع بن هلال ، فظنَّ أنها ليست بشيء ، ثم إنها انتقضت بعد ذلك ، فمات منها ، وجاء أصحابُ حسين بالقرب فأدخلوها عليه .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جَسَنَاب ، عن هاني بن ثُبَيْتِ الحضرمي - وكان قد شهد قتلَ الحسين ، قال : بعث الحسينُ عليه السلام إلى عمر بن سعد وعمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري : أن القَتَى الليلَ بين عسكري وعسكرك . قال : فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارساً ، وأقبل حسين في مثل ذلك ، فلما التقوا أمر حسين أصحابه أن يتنحوا عنه ، وأمر عمر بن سعد أصحابه بمِثْل ذلك ؛ قال : فانكشفنا عنهما بحيث لا نسمع أصواتهما ولا كلامهما ؛ فتكلمنا فأطالاً حتى ذهب من الليل هزيعٌ ، ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره بأصحابه ، وتحدث الناس فيما بينهما ؛ ظناً يظنون أنه حسيناً قال لعمر بن سعد : اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين ؛ قال عمر : إذن تُهدم دارى ؛ قال : أنا أبنيتها لك ، قال : إذن تؤخذ ضياعي ؛ قال : إذن أعطيك خيراً منها من مالى بالحجاز . قال : فتكره ذلك عمر ؛ قال : فتحدث الناس بذلك ، وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئاً ولا علموه .

قال أبو مخنف : وأمّا ما حدثنا به المجالد بن سعيد والصَّقْعَب بن زهير الأزدي وغيرهما من المحدثين ، فهو ما عليه جماعة المحدثين ، قالوا : إنه قال : اختاروا منى خصالاً ثلاثاً : إمّا أن أرجع إلى المكان الذي أقبلتُ منه ، وإمّا أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه ، وإمّا أن تسيروني إلى أى ثغر من ثغور المسلمين شتّم ، فأكون رجلاً من أهلِهِ ، لى ما لَهم وعلى ما عليهم .

قال أبو مخنف : فأما عبد الرحمن بن جندب فحدثني عن عقبة بن سِمْعَانَ قال : صحبتُ حسيناً فخرجتُ معه من المدينة إلى مكة ، ومن مكة إلى

العراق ، ولم أفارقه حتى قتل ، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها . ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون ؛ من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ، ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنه قال : دعوني فلاذْهَبَ في هذه الأرض العريضة حتى ننظرَ ما يصير أمرُ الناس .

قال أبو مخنف : حدثني المجالد بن سعيد الهمداني والصقعب بن زهير ، أنهما كانا التقيّا مراراً ثلاثاً أو أربعاً ؛ حسين وعمر بن سعد ؛ قال : فكتب عمر ابن سعد إلى عبيد الله بن زياد : أما بعد ، فإن الله قد أطفأ النائرة ، وجَمَعَ الكلمة ، وأصلَحَ أمر الأمة ، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى ، أو أن نسيّره إلى أى ثغر من ثغور المسلمين شئنا ، فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده ، فيرى فيما بينه وبينه رأيه ، وفي هذا لكم رضا ، وللأمة صلاح . قال : فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال : هذا كتاب رجل ناصح لأمره ، مشفق على قومه ، نعم قد قبلت . قال : فقام إليه شمر بن ذى الجوشن ، فقال : أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك ! والله لئن رحل من بلدك ، ولم يضع يده في يدك ، ليكوننّ أولى بالقوة والعزة ولتكوننّ أولى بالضعف والعجز ، فلا تعطيه هذه المنزلة فإنها من الوهن ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبت فأنت ولى العقوبة ، وإن غفرت كان ذلك لك ، والله لقد بلغنى أن حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدّثان عامة الليل ، فقال له ابن زياد : نعم ما رأيت ! الرأى رأيك .

٣١٥/٢

قال أبو مخنف : فحدثني سليمان بن أبى راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : ثم إن عبيد الله بن زياد دعا شمر بن ذى الجوشن فقال له : اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي ، فإن فعلوا فليبعث بهم إلى سلماء ، وإن هم أبوا فليقاتلهم ، فإن فعل فاسمع له وأطع ، وإن هو أبى فقاتلهم ، فأنت أمير الناس ، وثب عليه فاضرب عنقه ، وابعث إلى برأسه .

٣١٦/٢

قال أبو مخنف: حدثني أبو جَنَاب الكلبي، قال: ثم كتب عبيد الله ابن زياد إلى عمر بن سعد: أما بعد، فإني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا لئطاوله، ولا لتمنيته السلامة والبقاء، ولا لتقعد له عندى شافعاً... انظر، فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعث بهم إلى سلماء، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل حسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنه عاق مشاق، قاطع ظلوم، وليس دهرى في هذا أن يُضَرَّ بعد الموت شيئاً، ولكن على قول لو قد قتلته فعلت هذا به. إن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا، وخل بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر، فإننا قد أمرناه بأمرنا؛ والسلام.

قال أبو مخنف: عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك العامري، قال: لما قبض شمر بن ذى الجوشن الكتاب قام هو وعبد الله بن أبي المحل - وكانت عمته أم البنين ابنة حزام عند علي بن أبي طالب عليه السلام، فولدت له العباس وعبد الله وجعفرًا وعثمان - فقال عبد الله بن أبي المحل بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: أصلح الله الأمير! إن بنى أختنا مع الحسين، فإن رأيت أن تكتب لهم أماناً فعلت؛ قال: نعم ونعمة عين. فأمر كاتبه، فكتب لهم أماناً، فبعث به عبد الله بن أبي المحل مع مولى له يقال له: كزمان، فلما قدم عليهم دعاهم، فقال: هذا أمانٌ بعث به خالكُم؛ فقال له الفتية: أقرئ خالتنا السلام، وقل له: أن لا حاجة لنا في أمانكم، أمانُ الله خيرٌ من أمان ابن سمية. قال: فأقبل شمر بن ذى الجوشن بكتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر ابن سعد، فلما قدم به عليه فقراه قال له عمر: مالك ويلك! لا قرب الله دارك، وقبح الله ما قدمت به على! والله إني لأظنك أنت ثنيتته أن يقبل ما كتبت به إليه، أفسدت علينا أمراً كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إن نفساً أبيّةً لبين جنبته، فقال له شمر: أخبرني ما أنت صانع؟ أمضى لأمر أميرك وتقتل عدوه، وإلا فخل بيني وبين الجند

والعسكر؛ قال: لا ولا كرامة لك، وأنا أتولى ذلك؛ قال: فدونك، وكن أنت على الرجال؛ قال: فنهض إليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرم؛ قال: وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين، فقال: أين بنو أختنا؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي، فقالوا له: مالك وما تريد؟ قال: أنتم يا بني أختي آمنون؛ قال له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك! لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له! قال: ثم إن عمر بن سعد نادى: يا خيل الله اركبي وأبشري. فركب في الناس، ثم زحف نحوهم بعد صلاة العصر، وحسين جالس أمام بيته محتبياً بسيفه، إذ خفق برأسه على ركبتيه، وسمعت أخته زينب الصبيحة فندت من أخيها، فقالت: يا أخي، أما تسمع الأصوات قد اقتربت! قال: فرفع الحسين رأسه فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي: إنك تروح إلينا؛ قال: فلطمت أخته وجهها وقالت: يا ويلتنا! فقال: ليس لك الويل يا أختي، اسكني رحمك الرحمن! وقال العباس بن علي: يا أخي، أتاك القوم؛ قال: فنهض؛ ثم قال: يا عباس، اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم: ما لكم؟ وما بدا لكم؟ وتسألهم عما جاء بهم؟ فأتاهم العباس؛ فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب ابن مظاهر، فقال لهم العباس: ما بدا لكم؟ وما تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم؛ قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم؛ قال: فوقفوا ثم قالوا: القه فأعلمه ذلك، ثم القنا بما يقول؛ قال: فانصرف العباس راجعاً يركض إلى الحسين يخبره بالخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم، فقال حبيب ابن مظاهر لزهير بن القين: كلم القوم إن شئت، وإن شئت كلمتهم، فقال له زهير: أنت بدأت بهذا، فكن أنت تكلمهم، فقال له حبيب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدّمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه عليه السلام وعترته وأهل بيته صلى الله عليه وسلم وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار، والذاكرين الله كثيراً؛ فقال له عزة بن قيس: إنك لتزكّي

٣١٨/٢

٣١٩/٢

نفسك ما استطعت؛ فقال له زهير : يَا عَزْرَةَ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ زَكَّاهَا وَهَدَاهَا ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عَزْرَةُ فَإِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا عَزْرَةَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَعِينُ الضَّلَالِ عَلَى قَتْلِ الْنفُوسِ الزَّكِيَّةِ ! قَالَ : يَا زَهِيرُ ، مَا كُنْتُ عِنْدَنَا مِنْ شِيعَةِ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ ، إِنَّمَا كُنْتُ عُمَانِيًّا ؛ قَالَ : أَفَلَسْتَ تَسْتَدِلُّ بِمَوْفِقِي هَذَا أَنِّي مِنْهُمْ ! أَمَا وَاللَّهِ مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ كِتَابًا قَطُّ ، وَلَا أُرْسَلْتُ إِلَيْهِ رَسُولًا قَطُّ ، وَلَا وَعَدْتُهُ نَصْرَتِي قَطُّ ، وَلَكِنَّ الطَّرِيقَ جَمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَكَانَتَهُ مِنْهُ ، وَعَرَفْتُ مَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ مِنْ عَدُوَّةٍ وَحِزْبِكُمْ ، فَرَأَيْتُ أَنْ أَنْصَرَهُ ، وَأَنْ أَكُونَ فِي حِزْبِهِ ، وَأَنْ أَجْعَلَ نَفْسِي دُونَ نَفْسِهِ ، حِفْظًا لِمَا ضَيَّعْتُمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَالَ : وَأَقْبَلَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ يَرْكُضُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ ، إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تَنْصَرَفُوا ^(١) هَذِهِ الْعِشِيَّةُ حَتَّى يَنْظُرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ يَجْرِبْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ فِيهِ مَطْلُوقٌ ، فَإِذَا أَصْبَحْنَا التَّقِينَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فِيمَا رَضِينَاهُ فَأَتَيْنَا بِالْأَمْرِ الَّذِي تَسْأَلُونَهُ وَتَسْؤَمُونَهُ ، أَوْ كَرِهْنَا فَرَدَدْنَاهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يَرُدَّاهُمْ عَنْهُ تِلْكَ الْعِشِيَّةُ حَتَّى يَأْمُرَ بِأَمْرِهِ ، وَيُوصِي أَهْلَهُ ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ بِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ : مَا تَرَى يَا شَمِيرُ ؟ قَالَ : مَا تَرَى أَنْتَ ، أَنْتَ الْأَمِيرُ وَالرَّأْيَ رَأْيُكَ ؛ قَالَ : قَدْ أَرَدْتُ إِلَّا أَكُونَ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : ٣٢٠/٢
مَاذَا تَرُونَ ؟ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنُ سَلْمَةَ الزُّبَيْدِيُّ : سَبْحَانَ اللَّهِ ! وَاللَّهِ لَوْ كَانُوا مِنَ الدَّيْلَمِ ثُمَّ سَأَلُوكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ لَكَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَجِيبَهُمْ إِلَيْهَا ؛ وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ : أَجِيبُهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوكَ ، فَلَعَمْرِي لِيَصْبُحَنَّكَ بِالْقِتَالِ غُدُوَّةٌ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنْ يَفْعَلُوا مَا أَخْرَجْتُهُمُ الْعِشِيَّةَ ؛ قَالَ : وَكَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ حِينَ أَتَى حُسَيْنًا بِمَا عَرَضَ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهِمْ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُؤَخِّرَهُمْ إِلَى غُدُوَّةٍ وَتُدْفَعَهُمْ عِنْدَ الْعِشِيَّةِ لَعَلَّنَا فَصَلَّتْ لِرَبِّنَا اللَّيْلَةَ وَتُدْعُوهُ وَتَسْتَغْفِرُهُ ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي قَدْ كُنْتُ أَحَبَّ الصَّلَاةِ لَهُ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ وَكَثْرَةِ الدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ !

قال أبو مخنف : حدثني الحارث بن حصيرة ، عن عبد الله بن شريك

(١) ابن الأثير : « أن تنصرفوا عنا » .

العامريّ ، عن عليّ بن الحسين قال : أتانا رسولٌ من قبيل عمر بن سعد
 ققام مثل حيث يُسمَع الصوت فقال : إنا قد أجَلْنَاكم إلى غد ، فإن استسلمتم
 سرّحنا بكم إلى أميرنا عُبيد الله بن زياد ، وإن أبَيْتم فلنسنا تارِكِيكُمْ .
 قال أبو مخنف : وحدّثني عبد الله بن عاصم الفاششيّ ، عن الضحّاك بن عبد الله
 المشرق . — بطن من همدان — أن الحسين بن عليّ عليه السلام جمع أصحابه .
 قال أبو مخنف : وحدّثني أيضاً الحارث بن حصيرة ، عن عبد الله بن
 شريك العامريّ ، عن عليّ بن الحسين ، قال : جمع الحسين أصحابه بعد
 ما رجع عمر بن سعد ، وذلك عند قرب المساء ، قال عليّ بن الحسين : فدنوتُ
 منه لأسمع وأنا مريض ، فسمعتُ أبي وهو يقول لأصحابه : أثنى على الله تبارك
 وتعالى أحسن الثناء ، وأحمده على السراء والضراء ، اللهم إني أحمدك على
 أن أكرمنا بالنبوّة ، وعلمتنا القرآن ، وفقهتنا في الدين ، وجعلت لنا أسماءاً
 وأبصاراً وأفئدة ، ولم تجعلنا من المشركين ؛ أما بعد ، فإني لا أعلم أصحاباً
 أولّى ولا خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم
 الله عني جميعاً خيراً ؛ ألا وإني أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً ، ألا وإني
 قد رأيت^(١) لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ، ليس عليكم مني ذمّام ، هذا ليل
 قد غشيكم ، فاتخذوه جملاً .

٢٢١/٢

قال أبو مخنف : حدّثنا عبد الله بن عاصم الفاششيّ — بطن من همدان —
 عن الضحّاك بن عبد الله المشرق ، قال : قدمت ومالك بن النضر الأرحبيّ على
 الحسين ، فسلمنا عليه ، ثم جلسنا إليه ، فردّ علينا ، ورحّب بنا ، وسألنا عما
 جئنا له ، فقلنا : جئنا لنسلم عليك ، وندعو الله لك بالعافية ، ونحدّث بك
 عهداً ، ونخبرك خبر الناس ، وإنا نحدّثك أنهم قد جمعوا على حربك فرّ
 رأيك . فقال الحسين عليه السلام : حسبي الله ونعم الوكيل ! قال : فتذمنا
 وسلمنا عليه ، ودعونا الله له ، قال : فما يمنعكما من نصركي ؟ فقال مالك
 ابن النضر : عليّ دين ، ولي عيال ، فقلت له : إن عليّ ديناً ، وإن لي
 لعيالاً ، ولكنك إن جعلتني في حلّ من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت

(١) ابن الأثير : « أذنت » .

عنك ما كان لك نافعاً ، وعنك دافعاً ! قال : قال : فأنت في حلّ ؛ فأقمت معه ، فلما كان الليل قال : هذا الليل قد غشيتكم ، فاتخذوه جَمَلاً ، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ، تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله ، فإن القوم إنما يطلبوني ، ولو قد أصابوني لهواً عن طلب غيري ؛ فقال له إخوته وأبنائوه وبنو أخيه وأبنا عبد الله بن جعفر : لِمَ نفعل لنبيّ بعدك ، لا أرانا الله ذلك أبداً ؛ بدأهم بهذا القول العباس بن علي . ثم إنهم تكلموا بهذا ونحوه ، فقال الحسين عليه السلام : يا بني عقيل ، حسبكم من القتل بمسلم ، اذهبوا قد أذنت لكم ؛ قالوا : فما يقول الناس ^(١) ! يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومنا خير الأعمام ، ولم نرم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برمح ، ولم نضرب معهم بسيف ، ولا ندرى ما صنعوا ! لا والله لا نفعل ، ولكن تنفديك ^(٢) أنفسنا وأموالنا وأهلنا ، ونقاتل معك حتى نردّ سورِدك ، فقبح الله العيشَ بعدك !

قال أبو مخنف : حدثني عبد الله بن عاصم ، عن الضحّاك بن عبد الله المشرق ، قال : فقام إليه مسلم بن عَوْسجة الأسديّ فقال : أنحنُ نخليّ عنك ولما نُعذّر إلى الله في أداء حَقِّك ! أما والله حتى أكسرَ في صدورهم رُمحِي ، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمُهُ في يدي ، ولا أفارقك ؛ ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدقتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك . قال : وقال سعيد ^(٣) بن عبد الله الحنفيّ : والله لا نخليّك حتى يعلم الله أنا حفظنا غيبةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك ، والله لو علمتُ أني أقتل ثم أحيا ثم أُحرق حياً ثم أذرّ ؛ يُفعلُ ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حِمَامِي دونك ، فكيف لا أفعل ذلك ! وإنما هي قَتْلَةٌ واحدة ، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً .

قال : وقال زهير بن القَيْن : والله لوددتُ أني قُتِلْتُ ثم نشِرتُ ثم قُتِلْتُ حتى أقتلَ كذا ألف قتلة ، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس

(١) ابن الأثير : « فاقول للناس » .

(٢) ط : « سعد » تعريف .

(٣) ابن الأثير : « نفديك » .

إلا وجه الله الذى خلق الأرض بقدرته ، ويبعث الخلق فيعودون ، وهو فرد وحده ، أبى خير منى ، وأمى خير منى ، وأخى خير منى ، ولى ولم ولكل مسلم برسول الله أسوة ؛ قال : فعزأها بهذا ونحوه ، وقال لها : يا أختي ، إني أقسم عليك فأبرئ قسسى ، لا تشقى على جيباً ، ولا تخمشى على وجهاً ، ولا تدعى على بالويل والثبور إذا أنا هلكت ؛ قال : ثم جاء بها حتى أجلسها عندى ، وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرّبوا بعض بيوتهم من بعض ، وأن يدخلوا الأطناب بعضها فى بعض ، وأن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذى يأتيهم منه عدوهم .

قال أبو مخنف : عن عبد الله بن عاصم ، عن الضحّاك بن عبد الله المِشَرَقِيّ ، قال : فلما أمسى حسين وأصحابه قاموا الليل كله يصلّون ويستغفرون ، ويدعون ويتضرعون ؛ قال : فتمرّ بنا خيلٌ لهم تحرسنا ، وإنّ حسيناً ليقرأ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزدادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۖ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ ﴾ ^(١) . فسمِعَها رجل من تلك الخيل التى كانت تحرسنا ، فقال : نحن وربّ الكعبة الطيّبون ، ميّزنا منكم . قال : فعرفته فقلت لبُرَيْر بن حُصَير : تدري من هذا ؟ قال : لا ؛ قلت هذا أبو حرب السَّبَّيعِيّ عبد الله بن شهر — وكان مِضْحَكًا بَطَّالًا ، وكان شريفًا شجاعًا فاتكًا ، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه فى جناية — فقال له بُرَيْر بن حُصَير : يا فاسق ، أنت يجعلك الله فى الطيّبين ! فقال له : من أنت ؟ قال : أنا بُرَيْر بن حُصَير ؛ قال : إنا لله ! عزّ علىّ ! هلك والله ، هلك والله يا بُرَيْر ! قال : يا أبا حرب ، هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام ! فوالله إنا لنحن الطيّبون ، ولكنكم لأنتم الخبيثون ؛ قال : وأنا على ذلك من الشاهدين ، قلت : ويحك ! أفلا ينفعك معرفتك ! قال : جعلت فداك ! فن ينادم يزيد بن عذرة العنّزى من عنز بن وائل ! قال : ها هو ذا معي ؛ قال : قبح الله رأيك على كل حال ! أنت سفيه . قال : ثم انصرف

٣٢٥/٢

عنا ، وكان الذى يجرُسنا بالليل فى الخيل عَزْرَة بن قيس الأحمسى ، وكان على الخيل ، قال : فلما صلى عمر بن سعد الغداة يوم السبت - وقد بلغنا أيضاً أنه كان يوم الجمعة ، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء - خرج فيمن معه من الناس .

قال : وعبأ الحسين أصحابه ، وصلى بهم صلاة الغداة ، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً ، فجعل زهير بن القين فى ميمنة أصحابه ، وحبيب بن مظاهر فى ميسرة أصحابه ، وأعطى رايته العباس بن على أخاه ، وجعلوا البيوت فى ظهورهم ، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت يُحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم . قال : وكان الحسين عليه السلام أتى بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفض كأنه ساقية ، فحفروه فى ساعة من الليل ، فجعلوه كالخندق ، ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب ، وقالوا : إذا عدوا علينا فقاتلونا ألقينا فيه النار كيلاً نُؤتَى من ورائنا ، وقاتلنا القوم من وجه واحد . ففعلوا ، وكان لهم نافعاً .

٣٢٦/٢

قال أبو مخنف : حدثنى فضيل بن خديج الكندى ، عن محمد بن بشر ، عن عمرو الحضرمي ، قال : لما خرج عمر بن سعد بالناس كان على رُبْع أهل المدينة يومئذ عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي ، وعلى رُبْع مَدْحِج وأسد عبد الرحمن بن أبى سبرة الجعفي^(١) ، وعلى رُبْع ربيعة وكيندة قيس بن الأشعث بن قيس ، وعلى ربع تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحي ؛ فشهد هؤلاء كلهم مقتل الحسين إلا الحر بن يزيد فإنه عدل إلى الحسين ، وقتل معه . وجعل عمر على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي ، وعلى ميسرته شمر بن ذى الجوشن بن شرجبيل بن الأعور بن عمر بن معاوية - وهو الضباب بن كلاب - وعلى الخيل عَزْرَة بن قيس الأحمسى ، وعلى الرجال شبيب بن ربعي الرياحي ، وأعطى الراية ذويد^(٢) مولاة .

قال أبو مخنف : حدثنى عمرو بن مرة الجملي ، عن أبى صالح الحنفى ،

(١) ط : « الحنفى » ، وانظر الفهرس . (٢) ابن الأثير : « دريداً » .

عن غلام لعبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري ، قال : كنت مع مولاي ،
فلما حضر الناس وأقبلوا إلى الحسين ، أمر الحسينُ بفُسْطَاط فضرب ، ثم أمر
بمسك فيث في جفنة عظيمة أو صحفة ؛ قال : ثم دخل الحسين ذلك
الفُسْطَاط فتطلى بالنسوة . قال : ومولاي عبد الرحمن بن عبد ربه وبرير
ابن حُصَير الهمداني على باب الفُسْطَاط تحتك منا كبهما ، فازدحما
أيهما يطل على أثره ، فجعل برير يهازل عبد الرحمن ، فقال له عبد الرحمن :
دعنا ، فوالله ما هذه بساعة باطل ، فقال له برير : والله لقد علم قومي أني
ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ، ولكن والله إنني لمستبشر بما نحن لاقون ،
والله إن بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيا فهم ، ولوددت
أنهم قد مالوا علينا بأسيا فهم . قال : فلما فرغ الحسين دخلنا فاطلينا ؛ قال :
ثم إن الحسين ركب دابته ودعا بمصحف فوضعه أمامه ؛ قال : فاقتل
أصحابه بين يديه قتالا شديداً ، فلما رأيت القوم قد صرعوا أفلت وتركتهم .

قال أبو مخنف ، عن بعض أصحابه ، عن أبي خالد الكاهلي ، قال :
لما صبحت الخليل الحسين رفع الحسين يديه ، فقال : اللهم أنت ثقتي في كل
كرب ، ورجائي في كل شدة ، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة ،
كم من هم يضعف فيه الفؤاد ، وتقل فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ،
ويشمت فيه العدو ، أنزلته بك ، وشكوته إليك ، رغبة مني إليك عمن
سواك ، ففرجته وكشفته ، فأنت ولي كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ،
ومنتهي كل رغبة .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الله بن عاصم ، قال : حدثني الضحاک
المشركي ، قال : لما أقبلوا نحونا فنظروا إلى النار تضطرم في الحطب والقصب
الذي كنا ألبننا فيه النار من ورائنا لثلاً يأتونا من خلفنا ، إذ أقبل إلينا منهم
رجل يركض على فرس كامل الأداة ، فلم يكلّمنا حتى مرّ على أبياتنا ، فنظر
إلى أبياتنا فإذا هو لا يرى إلا حطباً تلهب النار فيه ، فرجع راجعاً ، فنادى
بأعلى صوته : يا حسين ، استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة ! فقال

الحسين : مَنْ هذا ؟ كأنه شَمِير بن ذى الجَوشَن ! فقالوا : نعم ، أصلحك الله ! هو هو ، فقال : يا بن راعية المعزى ، أنت أولى بها صلياً ؛ فقال له مسلم بن عَوْسَجَة : يا بن رسول الله ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ! ألا أرميه بسهم ! فإنه قد أمكننى ، وليس يَسْقُطُ [منى] سهم ، فالفاسق من أعظم الجَبَّارين ؛ فقال له الحسين : لا ترميه ، فإنى أكره أن أبدأهم ، وكان مع الحسين فرس له يُدعى لاحقاً حمل عليه ابنه على بن الحسين ؛ قال : فلما دنا منه القوم عاد براجلته فركبها ، ثم نادى بأعلى صوته دُعَاءً يُسْمِعُ جُلَّ الناس : أيها الناس ؛ اِسْمَعُوا قَوْلِي ، ولا تُعْجِلُونِ حَتَّى أُعْظِمَ كُمْ بِمَا لَحِقُ لَكُمْ عَلَى ، وحتى أَعْتَذَرَ إِلَيْكُمْ مِنْ مَقْدَمِي عَلَيْكُمْ ، فإن قبلتم عذرى ، وصدقم قولى ، وأعطيتمنى النصف ، كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم على سبيل ، وإن لم تقبلوا منى العذر ، ولم تعطوا النصف من أنفسكم ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾ ^(١) ؛ ﴿ إِنَّ وَلِيَّيَّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ ^(٢) . قال : فلما سمع أخواته كلامه هذا صَحْنٌ وبكىن ، وبكى بناته فارتفعت أصواتهن ، فأرسل إليهن أخاه العباس ابن على وعلياً ابنه ، وقال لهما : أسكتاهن ، فليعمرى ليكثرن بكاهن ؛ قال : فلما ذهبا ليُسكِتاهن قال : لا يَبْغِدُ ابن عباس ؛ قال : فظننا أنه إنما قالها حين سُمِعَ بكاهن ، لأنه قد كان نهاه أن يخرج بهن ، فلما سكتن حَمِدَ الله وأثنى عليه ، وَذَكَرَ اللهَ بما هو أهلُه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وعلى ملائكته وأنبيائه ، فذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يُحصى ذكره . قال : فوالله ما سمعتُ متكلماً قطَّ قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه ؛ ثم قال : أمّا بعد ، فانسبوا فانظروا مَنْ أنا ، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها ، فانظروا ؛ هل يحل لكم قتلى وانتهاك حرمتي ؟ أَلَسْتُ ابنَ بِنْتِ نبيِّكم صلى الله عليه وسلم وابنَ وصيِّه وابن عمِّه ، وأوَّلَ المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربِّه ! أو ليس حمزة سيد الشهداء عمِّ أبى ! أو ليس جعفر الشهيد الطيار

٣٢٩/٢

(١) سورة يونس: ٨١ .

(٢) سورة الأعراف: ١٩٦ .

ذوالجناحين عمي ! أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم : إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لي ولأخي : «هذان سيّدَا شبابِ أهل الجنة» ! فإن صدّقتموني بما أقول - وهو الحق - فوالله ما تعمّدت كذباً مذ علمتُ أن الله يمقت عليه أهله ، ويضرّ به من اختلقه ، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم ؛ سلّوا جابرَ بنَ عبد الله الأنصاري ، أو أبا سعيد الخدري ، أو سهل بن سعد الساعدي ، أو زيد بن أرقم ، أو أنس بن مالك ؛ يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لي ولأخي .

أفسمّا في هذا حاجز لكم عن سنّك دمي ! فقال له شمير بن ذى الجوشن : ٢٣٠/٢ هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول ! فقال له حبيب بن مظاهر : والله إنى لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً ، وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول ؛ قد طبع الله على قلبك ؛ ثم قال لهم الحسين : فإن كنتم في شك من هذا القول أفشكون أثراً ما أنى ابن بنت نبيكم ! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم ، أنا ابن بنت نبيكم خاصّة . أخبروني ، أطلبوني بقتيل منكم قتلته ، أو مال لكم استهلكته ، أو بقصاص من جراحة ؟ قال : فأخذوا لا يكلمونه ؛ قال : فنادى : يا شبّث بن ربعي ، ويأحجار بن أبيجر ، ويأقيس بن الأشعث ، ويأيزيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إلى أن قد أينعت الثمار ، واخضرّ الحنّاب ، وطمت الحمام (١) ، وإنما تقدّم على جند لك مجنّد ، فأقبل ! قالوا له : لم نفعل ؛ فقال : سبحان الله ! بلى والله ، لقد فعلتم ؛ ثم قال : أيها الناس ، إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمّتي من الأرض ؛ قال : فقال له قيس بن الأشعث : أو لا تنزل على حكم بني عمك ، فإنهم لن يرؤوك إلا ما تحب ، ولن يصل إليك منهم مكروه ؟ فقال الحسين : أنت أخو أخيك ، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عَقِيل ؛ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الدليل ، ولا أقرّ إقرار العبيد . عباد الله ، إنى عدتُ بربّي وربكم أن ترجّمون

(١) طم الماء : علا وغمر . والحمام : جمع جمة ؛ وهو المكان يجتمع فيه الماء .

٢٣١/٢

أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب؛ قال : ثم إنه أناخ راحلته ، وأمر عقبة بن سيمعان فعقلها ، وأقبلوا يزحفون نحوه .

قال أبو مخنف : فحدثني علي بن حنظلة بن أسعد الشامي ، عن رجل من قومه شهد مقتل الحسين حين قُتِلَ يقال له كثير بن عبد الله الشعبي ؛ قال : لما زحفنا قبيل الحسين خرج إلينا زهير بن قيس على فرس له ذنوب^(١) ، شاك في السلاح ، فقال : يا أهل الكوفة ، نذار لكم من عذاب الله نذار ! إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن إخوة ، وعلى دين واحد وملة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، وأنتم للنصيحة منا أهل ، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة ، وكنا أمة وأنتم أمة ، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصرهم ونحذران الطاغية عبید الله بن زياد ، فإنكم لا تدركون منهما إلا بسوء عمر سلطانهما كله ، ليسملان أعينكم ، ويقطعان أيديكم وأرجلكم ، ويمثلان بكم ، ويرفعانكم على جذوع النخل ، ويقتلن أمانتكم وقرآنكم ، أمثال حُجر بن عدی وأصحابه ، وهاني بن عروة وأشباهه ؛ قال : فسبوه ، وأثنتوا على عبید الله بن زياد ، ودعوا له ، وقالوا : والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه ، أو نبعث به بأصحابه إلى الأمير عبید الله سلمياً ؛ فقال لهم : عباد الله ، إن ولد فاطمة رضوان الله عليها أحق بالود والنصر من ابن سُميعة ، فإن لم تنصروهم فأعيدكم بالله أن تقتلوهم ؛ فخلوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية ، فلعمرى إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ؛ قال : فرماه شمير بن ذى الجوشن بسهم وقال : اسكت أسكت الله نأمتك ، أبرمتنا بكثرة كلامك ! فقال له زهير : يا بن البتوال على عقيبته ، ما إيتاك أخاطب ، إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تحكيم من كتاب الله آيتين ، فأبشِر بالخزى يوم القيامة والعذاب الأليم ؛ فقال له شمير : إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة ؛ قال : أفيالموت تخوفني !

٢٣٢/٢

(١) فرس ذنوب : وافر شعر الذنب .

فوالله للموت معه أحبّ إلىّ من الخلد معكم ؛ قال : ثمّ أقبل على الناس رافعاً صوته ، فقال : عباد الله ، لا يغرّتكم من دينكم هذا الجليّف الجاني وأشباهه ، فوالله لا تنال شفاعةُ محمد صلى الله عليه وسلم قومًا هَرّاقوا دماء ذُرّيته وأهل بيته ، وقتلوا من نصرهم وذبّ عن حريمهم ؛ قال : فناداه رجل فقال له : إنّ أبا عبد الله يقول لك : أقبل ، فلنعمري لئن كان مؤمنٌ آل فرعون نصّح لقومه وأبلغ في الدعاء ، لقد نصّحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصّح والإبلاغ ! قال أبو مخنف : عن أبي جنّاب الكلّبيّ ، عن عدى بن حرملة ، قال : ثمّ إنّ الحرّ بن يزيد لما زحف عمر بن سعد قال له : أصلحك الله ! مُقاتِلٌ أنت هذا الرجل ؟ قال : إى والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي ؛ قال : أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضاً ؟ قال عمر بن سعد : أما والله لو كان الأمر إلىّ لفعلت ، ولكنّ أميرك قد أبى ذلك ؛ قال : فأقبل حتى وقف من الناس موقفًا ، ومعه رجل من قومه يقال له قرّة بن قيس ، فقال : يا قرّة ، هل سقيت فرسك اليوم ؟ قال : لا ؛ قال : إنّما تريد أن تسقيته ؟ قال : فظننت والله أنه يريد أن يتنحّى فلا يشهد القتال ، وكره أن أراه حين يصنع ذلك ، فيخاف أن أرفعه عليه ؛ فقلت له : لم أسقه ، وأنا منطلق فساقيه ؛ قال : فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه ؛ قال : فوالله لو أنه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين ؛ قال : فأخذ يدنو من حُسَيْن قليلاً قليلاً ، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر ابن أوس : ما تريد يا ابن يزيد ؟ أتريد أن تحمل ؟ فسكت وأخذه مثل العرواء^(١) ، فقال له يا ابن يزيد ، والله إنّ أمرك لمريب ، والله ما رأيتُ منك في موقف قطّة مثل شيء أراه الآن ، ولو قيل لي : من أشجع أهل الكوفة رجلاً ما عدوّتُك ، فما هذا الذي أرى منك ! قال : إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار ، والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطعتُ وحرّقتُ ؛ ثم ضرب فرسه فلحق بحسين عليه السلام ، فقال له : جعلني الله فداك يا بن رسول الله ! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع ، وسأبرئك في الطريق ،

(١) العرواء كفلّوا : الرعدة تكون من الحمى .

وجعجعت بك في هذا المكان ، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم
يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً ، ولا يبلغون منك هذه المنزلة . فقلت في
نفسى : لا أبالى أن أطيع القوم في بعض أمرهم ، ولا يرون أنى خرجت من
طاعتهم ، وأما هم فسيقبلون من حسين هذه الخصال التى يعرض عليهم ، والله
لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ماركبته منك ؛ وإنى قد جئتك تائباً بما كان
منى إلى ربى ، ومواسياً لك بنفسى حتى أموت بين يديك ، أفترى ذلك لى توبة ؟
قال : نعم ، يتوب الله عليك ، ويغفر لك ، ما اسمك ؟ قال : أنا الحر بن
يزيد ؛ قال : أنت الحر كما سمتك أمك ، أنت الحر إن شاء الله فى الدنيا
والآخرة ؛ انزل ؛ قال : أنا لك فارساً خيراً منى راجلاً ، أقاتلهم على فرسى
ساعة ، وإلى النزول ما يصير آخر أمرى . قال الحسين : فاصنع يرحمك
الله ما بدا لك . فاستقدم أمام أصحابه ثم قال : أيتها القوم ، ألا تقبلون من
حسين خصلة من هذه الخصال التى عرض عليكم فيعافىكم الله من حربه
وقتاله ؟ قالوا : هذا الأمير عمر بن سعد فكلّمه ، فكلّمه بمثل ما كلمه به
قبل ، وبمثل ما كلم به أصحابه ؛ قال عمر : قد حرصت ، لو وجدت إلى
ذلك سبيلاً فعلت ، فقال : يا أهل الكوفة ، لأمكم الهبيل والعُبُير^(١) إذ
دعوتهم حتى إذا أتاكم أسلمتكموه ، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونهم ، ثم
عدوتم عليه لتقتلوه ، أمسكتهم بنفسه ، وأخذتم بكظمه ، وأحطتم به من كل
جانب ، فنعمتموه التوجه فى بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته ،
وأصبح فى أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً ، ولا يدفع ضرراً ، وحلّأتموه^(٢)
ونساءه وأصبيبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجارى الذى يشربه اليهودى
والجوسى والنصرانى ، وتمرغ^(٣) فيه خنازير السواد وكلابهم وهامهم أولاء قد صرعوهم
العطش ، بثما خلتكم محمدًا فى ذريته ! لا سقاكم الله يوم الظلما إن لم تتوبوا
وتسزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا فى ساعتكم هذه . فحملت عليه رجالة

٢٣٤/٢

٢٣٥/٢

(١) العبر : سحنة العين .

(٢) حلّأتموه عن الماء : صددتموه عنه ومنعتموه إياه . وفى ابن الأثير : « ومنعتموه » .

(٣) ابن الأثير : « وتمرغ » .

لهم ترميه بالنَّيل ؛ فأقبل حتى وقف أمام الحسين .

قال أبو مخنف ، عن الصَّقْعَب بن زهير وسليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : وزحف عمر بن سعد نحوهم ، ثم نادى : يا ذؤيد ، أدن رايبتك ؛ قال : فأدناها ثم وضع سهمه في كبِد قوسه ، ثم رمى فقال : اشهدوا أني أول من رمى .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جناب ، قال : كان منا رجل يدعى عبد الله بن عُمَيْر ، من بني عُلَيم ، كان قد نزل الكوفة ، واتخذ عند بئر الجَمْعَد من هَمْدَان داراً ، وكانت معه امرأة له من النَّسْر بن قاسط يقال لها أم وهب بنت عبد ، فرأى القوم بالنَّخيلة يُعَرِّضُونَ لِيُسَرَّحُوا إلى الحسين ، قال : فسأل عنهم ، فقبل له : يسرَّحون إلى حسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : والله لقد كنتُ على جهاد أهل الشرك حريصاً ، وإنني لأرجو ألا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثواباً عند الله من ثوابه إيتاى في جهاد المشركين ؛ فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع ، وأعلمها بما يريد ، فقالت : أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك ، افعل وأخرجني معك ؛ قال : فخرج بها ليلاً حتى أتى حسيناً ، فأقام معه ، فلما دنا منه عمر بن سعد ورى بهم ارتقى الناس ، فلما أرتجوا خرج يسار مولى زياد بن أبي سفيان وسالم مولى عبَّيد الله بن زياد ، فقالا : مَنْ يبارز؟ ليخرج إلينا بعضكم ، قال : فوثب حبيب بن مظاهر وبرَيْر بن حُضَيْر ، فقال لهما حسين : اجلسا ؛ فقام عبد الله بن عمير الكلبي فقال : أبا عبد الله ، رحمك الله ! ائذن لي فلاخرج إليهما ؛ فرأى حسين رجلاً آدم طويلاً شديداً الساعدين بعيداً ما بين المنكبين ، فقال حسين : إني لأحسبه للأقران قتلاً ، اخرج إن شئت ؛ قال : فخرج إليهما ، فقالا له : مَنْ أنت ؟ فانتسب لهما ، فقالا : لا نعرفك ، ليخرج إلينا زهير بن القيس أو حبيب بن مظاهر أو بُرَيْر بن حُضَيْر ، ويسار مُسْتَنْتِيل^(١) ، أمام سالم ، فقال له الكلبي : يا ابن الزانية ، وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس ، وما يخرج إليك أحد من الناس إلا وهو

٣٣٦/٢

(١) استنزل للأمر : استعد له .

خير منك ؛ ثم شدد عليه فضربه بسيفه حتى برد ، فإنه لمشتغل به بضربه بسيفه
إذ شدد عليه سالم ، فصاح به : قد رهقك العبد ؛ قال : فلم يأبه له حتى
غشيته فبدّره الضربة ، فاتّقاء الكلبى بيده اليسرى ، فأطار أصابع كفه
اليسرى ، ثم مال عليه الكلبى فضربه حتى قتله ، وأقبل الكلبى مرتجيزاً وهو يقول ،
وقد قتلها جميعاً :

إِنْ تُنْكُرُونِي فَأَنَا ابْنُ كَلْبٍ حَسْبِي بَيْتِي فِي عُلْمِ حَسْبِي
إِنِّي امْرُؤٌ ذُو مِرَّةٍ وَعَظْبٍ وَلَسْتُ بِالْخَوَّارِ عِنْدَ النَّكْبِ
إِنِّي زَعِيمٌ لِّكَ أُمَّ وَهَبٍ بِالطَّعْنِ فِيهِمْ مُقَدِّمًا وَالضَّرْبِ
* ضَرْبِ غُلَامٍ مُؤْمِنٍ بِالرَّبِّ * .

٣٢٧/٢

فأخذت أم وهب امرأته عموداً ، ثم أقبلت نحو زوجها تقول له : فداك
أبى وأمى ! قاتل دون الطيبين ذرية محمد ، فأقبل إليها يردّها نحو النساء
فأخذت تجاذب ثوبه ، ثم قالت : إني لن أدعك دون أن أموت معك ،
فناداها ^(١) حسين ، فقال : جزيتم من أهل بيت خيراً ، ارجعي رحمك الله
إلى النساء فاجلسي معهن ، فإنه ليس على النساء قتال ؛ فانصرفت إليهن .
قال : وحمل عمرو بن الحجاج وهو على ميمنة الناس في الميمنة ، فلما أن
دنا من حسين جشّوا له على الركب ، وأشرعوا الرماح نحوهم ، فلم تقدم
خييلهم على الرماح ، فذهبت الخيل لترجع ، فرشقوهم بالنبل ، فصرعوا
منهم رجالاً ، وجرحوا منهم آخرين .

قال أبو مخنف : فحدثني حسين أبو جعفر ، قال : ثم إن رجلاً من بني
تميم — يقال له عبد الله بن حويزة — جاء حتى وقف أمام الحسين ، فقال :
يا حسين ، يا حسين ! فقال حسين : ما تشاء ؟ قال : أبشر بالنار ؛ قال :
كلّا ، إني أقدم على ربّ رحيم ، وشفيع مطاع ، من هذا ؟ قال له أصحابه :
هذا ابن حويزة ؛ قال : ربّ حرّه إلى النار ؛ قال : فاضطرب به فرسه في

جدّوكل فوقع فيه ، وتعلّقت رجله بالركاب ، ووقع رأسه في الأرض ،
ونفّس الفرس ، فأخذ يمرُّ به فيضرب برأسه كلَّ حجرٍ وكلَّ شجرة حتى
مات .

قال أبو مخنف : وأمّا سُويّد بن حَيّة ؛ فزعم لي أنّ عبد الله بن حَوْزَة
حين وقع فرسه بقيت رجله اليسرى في الركاب ، وارتفعت اليمنى فطارت ،
وعندّا به فرسه يضرب رأسه كلَّ حَجَرٍ وأصل شجرة حتى مات .

٣٣٨/٢

قال أبو مخنف عن عطاء بن السائب ، عن عبد الجبار بن وائل الحضرمي ،
عن أخيه مسروق بن وائل ، قال : كنتُ في أوائل الخيل من سار إلى الحسين ،
فقلت : أكون في أوائلها لعلّي أصيب رأس الحسين ، فأصيب به منزلة عند
عبيد الله بن زياد ؛ قال : فلما انتهينا إلى حسين تقدّم رجلٌ من القوم يقال
له ابن حَوْزَة ، فقال : أفیکم حسين ؟ قال : فسكت حسين ؛ فقالها ثانية ،
فأسكت حتى إذا كانت الثالثة قال : قولوا له : نَعَمْ ، هذا حسين ، فما حاجتُك ؟
قال : يا حسين ، أبشرُ بالنار ؛ قال : كذبت ، بل أقدم على ربِّ غفور
وشفيع مطاع ، فمن أنت ؟ قال : ابن حَوْزَة ؛ قال ؛ فرفع الحسين يده حتى
رأينا بياض إبطيه من فوق الثياب ثم قال : اللهم حُرّه إلى النار ؛ قال :
فغضب ابن حَوْزَة ، فذهب ليُقمح إليه الفرس وبينه وبينه نهر ؛ قال : فعسلقتُ
قدمه بالركاب ، وجالت به الفرس فسقط عنها ؛ قال : فانقطعت قدمه
وساقه وفخذُه ، وبقي جانبه الآخر متعلقًا بالركاب . قال : فرجع مسروق
وترك الخيل من ورائه ؛ قال : فسألته ، فقال : لقد رأيتُ من أهل هذا البيت
شيئاً لا أقاتلهم أبداً ؛ قال : ونشب القتال .

قال أبو مخنف : وحدّثني يوسف بن يزيد ، عن عتيف بن زهير بن
أبي الأحنس - وكان قد شهد مقتل الحسين - قال : وخرج يزيد بن معقل
من بني عُميرة بن ربيعة وهو حليف لبني سَلَيْمة من عبد القيس ، فقال : يا بُرَيْرُ
ابن حُضَيْر ، كيف ترى الله صنّع بك ! قال : صنّع الله والله بي خيراً ،

٣٣٩/٢

وصنع الله بك شرًّا ؛ قال : كذبت ، وقبل اليوم ما كنت كذابًا ، هل تذكر وأنا أماشيك في بني لوزان وأنت تقول : إنَّ عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفًا ، وإنَّ معاوية بن أبي سفيان ضالٌّ مُضِلٌّ ، وإنَّ إمام الهدى والحقَّ عليَّ بن أبي طالب ؟ فقال له برير : أشهد أنَّ هذا رأيي وقولي ؛ فقال له يزيد بن معقل : فإني أشهد أنَّك من الضالين ؛ فقال له برير بن حُضَيْر : هل لك فلأُباهلِكَ^(١) ، ولندعُ الله أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل ، ثمَّ اخرج فلأُبارزك ؛ قال : فخرجنا فرفعا أيديهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب ، وأن يقتل المُحقَّ المبطل ؛ ثمَّ برز كل واحد منهما لصاحبه ، فاختلفا ضربتين ، فضرب يزيد بن معقل برير بن حُضَيْر ضربة خفيفة لم تضره شيئًا ، وضربه برير بن حُضَيْر ضربة قدَّت المغفر ، وبلغت الدماغ ، فخر كأنما هوى من حالق ، وإنَّ سيف ابن حُضَيْر لثابت في رأسه ، فكأنني أنظر إليه ينضنضه^(٢) من رأسه ، وحمل عليه رضى بن مُنْقِذ العبدى فاعتنق بريرًا ، فاعتركا ساعة . ثمَّ إنَّ بريرًا قعد على صدره فقال رضى : أين أهل المِصاع^(٣) والدفاع ؟ قال : فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل عليه ، فقلت : إنَّ هذا برير بن حُضَيْر القارئ الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد ؛ فحمل عليه بالرمح حتى وضعه في ظهره ، فلمَّا وجد مسَّ الرمح برك عليه فعضَّ بوجهه ، وقطع طرف أنفه ، فطعنه كعب ابن جابر حتى ألقاه عنه ، وقد غيَّب السنَّان في ظهره ، ثمَّ أقبل عليه يضربه بسيفه حتى قتله ؛ قال عفيف : كأنني أنظر إلى العبدى الصريع قام ينفضُ الترابَ عن قبائه ، ويقول : أنعمت عليَّ يا أخا الأزدي نعمةً لن أنساها أبدًا ؛ قال : فقلت : أنت رأيت هذا ؟ قال : نعم ، رأى عيني وسمعت أذنى .

٣٤٠/٢

فلمَّا رجع كعب بن جابر قالت له امرأته ، أو أخته النِّوار بنت جابر :

(١) باهل القوم بعضهم بعضًا وتباهلوا وابتهلوا : تلاعنوا ، والمباهلة : الملاعة ؛ ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .

(٢) ينضنضه ؛ أى يحركه .

(٣) المِصاع : المحالدة .

أَعْنَتَ عَلَى ابْنِ فَاطِمَةَ ، وَقَتَلْتَ سَيِّدَ الْفُرَّاءِ ؛ لَقَدْ أَتَيْتَ عَظِيمًا مِنَ الْأَمْرِ ،
وَاللَّهِ لَا أَكَلِّمُكَ مِنْ رَأْسِي بِكَلِمَةٍ أَبَدًا .

وقال كعب بن جابر :

سَلِّ تَخْبِرِي عَنِّي وَأَنْتِ ذَمِيمَةٌ	غَدَاةُ حُسَيْنٍ وَالرَّمَاحُ شَوَارِعُ
أَلَمْ أَتِ أَقْصَى مَا كَرِهْتَ وَلَمْ يُخَلِّ	عَلَى غَدَاةِ الرُّوْعِ مَا أَنَا صَانِعُ
مَعِيَ يَزْنِي لَمْ تَخْنَهْ كَعُوبُهُ	وَأَبْيَضُ مَخْشُوبُ الْغِرَارِينَ قَاطِعُ ^(١)
فَجَرَّدْتُهُ فِي غُصْبَةٍ لَيْسَ دِينُهُمْ	بِدِينِي وَإِنِّي بِابْنِ حَرْبٍ لِقَانِعُ
وَلَمْ تَرِ عَيْنِي مِثْلَهُمْ فِي زَمَانِهِمْ	وَلَا قَبْلَهُمْ فِي النَّاسِ إِذْ أَنَا يَافِعُ
أَشَدُّ قِرَاعًا بِالسَّيْفِ لَدَى الْوَعْيِ	أَلَا كُلُّ مَنْ يَحْمِي الذَّمَّارَ مُقَارِعُ
وَقَدْ صَبَرُوا لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ حُسْرًا	وَقَدْ نَازَلُوا لَوْ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُ
فَأَبْلَغُ عَبِيدِ اللَّهِ إِمَامًا لِقَيْتِهِ	بِأَنِّي مُطِيعٌ لِلْخَلِيفَةِ سَامِعُ
قَتَلْتُ بُرَيْرًا ثُمَّ حَمَلْتُ نِعْمَةً	أَبَا مُنْقِذٍ لَمَّا دَعَا : مَنْ يُمَاصِعُ ؟

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب ، قال : سمعته في إمارة
مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ؛ وَهُوَ يَقُولُ : يَا رَبِّ إِنَّا قَدْ وَفَيْتُنَا ، فَلَا تَجْعَلْنَا يَا رَبِّ كَمَنْ
قَدْ غَدَرَ ؛ فَقَالَ لَهُ أَبِي : صَدَقَ ، وَلَقَدْ وَفَيْتُ وَكَتَرْتُ ، وَكَسَبْتُ لِنَفْسِكَ
شَرًّا ؛ قَالَ : كَلَّا ، إِنِّي لَمْ أَكْسِبْ لِنَفْسِي شَرًّا ، وَلَكِنِّي كَسَبْتُ لَهَا خَيْرًا .
قال : وَزَعَمُوا أَنَّ رَضِيَ بْنَ مُنْقِذِ الْعَبْدِيِّ رَدَّ بَعْدُ عَلَى كَعْبِ بْنِ جَابِرٍ
جَوَابَ قَوْلِهِ ، فَقَالَ :

لَوْ شَاءَ رَبِّي مَا شَهِدْتُ قِتَالَهُمْ	وَلَا جَعَلَ النِّعْمَاءَ عِنْدِي ابْنُ جَابِرٍ
لَقَدْ كَانَ ذَاكَ الْيَوْمَ عَارًا وَسُبَّةً	يُعِيرُهُ الْأَبْنَاءُ بَعْدَ الْمَعَاشِرِ
فِيَا لَيْتَ أَنِّي كُنْتُ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ	وَيَوْمَ حُسَيْنٍ كُنْتُ فِي رَمْسِ قَابِرٍ

(١) البزفي : الرمح ؛ وسميت الرماح يزنية ؛ لأن أول من عملت له ذو يزن . وسيف مخشوب ،
أي شحيد . وغرارا السيف : حذاه .

٣٤١/٢

قال : وخرج عمرو بن قَرْظَةَ الأنصاريُّ يُقاتل دون حسين وهو يقول (١) :

قد علمتُ كَيْبِيَّةُ الأنصار أني سَأْخِي حَوْزَةَ الدِّمارِ
ضَرْبَ غُلامٍ غيرِ نَكْيسٍ شاري دون حسينٍ مُهجتي وداري (٢)

قال أبو مخنف : عن ثابت بن هبيرة ، فقتل عمرو بن قَرْظَةَ بن كعب ، وكان مع الحسين ، وكان عليّ أخوه مع عمر بن سعد ، فنادى عليّ بن قَرْيَظَةَ : يا حسين ، يا كَذَّاب ابن الكَذَّاب ، أضللت أخى وغررت به حتى قتلته . قال : إن الله لم يضلّ أخاك ، ولكنه هدى أخاك وأضلك ؛ قال : قَتَلَنِي اللهُ إِنْ لم أَقتلك أو أموتَ دونك ؛ فحمل عليه ، فاعترضه نافع بن هلال الماردى ، فطعنه فصرعه ، فحملة أصحابه فاستنقذوه ، فدُوى بعدُ فبراً .

قال أبو مخنف : حدثني النضر بن صالح أبو زهير العبسيّ أن الحرّ بن يزيد لما لحق بحسين قال رجل من بني تميم من بني شَمْرَةَ وهم بنو الحارث بن تميم ، يقال له يزيد بن سُفْيَان : أما والله لو أني رأيت الحرّ بن يزيد حين خرج لأتبعته السَّنان ؛ قال : فبينما الناس يتجاولون ويقتتلون والحرّ بن يزيد يَحْمِلُ على القوم مقدماً ويتمثّل قولَ عَنَسْرَةَ :

ما زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِشُغْرَةٍ نَحْرِهِ وَلِبَائِهِ حَتَّى تَسْرِبَلَ بِالْدَمِ (٣)

قال : وإن فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبه ، وإن دمائه لتسيل ، فقال الحصين بن تميم — وكان على شُرطة عبيد الله ، فبعثه إلى الحسين ، وكان مع عمر بن سعد ، فولاه عمر مع الشرطة المحففة (٤) — ليزيد بن سُفْيَان : هذا الحرّ بن يزيد الذي كنت تتمنى ؛ قال : نعم فخرج إليه فقال له : هل لك يا حرّ بن يزيد في المبارزة ؟ قال : نعم قد شئتُ ، فبرز له ؛ قال : فأنا سمعتُ الحصين بن تميم يقول : والله لأبرز له ؛ فكأنما كانت نفسه في يده ،

٣٤٢/٢

(١) ف : « يرتجز » . (٢) ف : « جتي وداري » .

(٣) من المعلقة ٢٠٤ — بشرح التبريزي . والبيان : الصدر .

(٤) المحففة : اللابسة التجفاف ، بكسر التاء ؛ اسم آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه .

في الحرب .

فما لبثته الحرّ حين خرج إليه أن قتله .

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني يحيى بن هانئ بن عروة ، أن نافع بن هلال كان يقاتل يومئذ وهو يقول : « أنا الجملكي ، أنا على دين علي » .

قال : فخرج إليه رجل يقال له مزاحم بن حريث ، فقال : أنا على دين عثمان ، فقال له : أنت على دين شيطان ، ثم حمل عليه فقتله ، فصاح عمرو ابن الحجاج بالناس : يا حمقى ، أتدرون من تقاتلون ! فرسان المصير قومًا مستميتين ، لا يبرزن لهم منكم أحد ، فإنهم قليل ، وقتلما يبقون ، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتهم ؛ فقال عمر بن سعد : صدقت ، الرأي ما رأيته ، وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألا يبارز رجل منكم رجلاً منهم .

قال أبو مخنف : حدثني الحسين بن عقبة المرادي ، قال : الزبيدي : إنه سمع عمرو بن الحجاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول : يا أهل الكوفة ، الزموا طاعتكم وجماعتكم ، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين ، وخالف الإمام ، فقال له الحسين : يا عمرو بن الحجاج ، أعلیّ تحرض الناس ؟ أنحن مرقنا وأنتم ثبتتم عليه ؟ أما والله لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم ، وميتتم على أعمالكم ، أيتنا مرق من الدين ، ومن هو أولى بصلي النار ! قال : ثم إن عمرو بن الحجاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات ، فاضطربوا ساعة ؛ فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين ، ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه ، وارتفعت الغيرة ، فإذا هم به صريع ، فبشى إليه الحسين فإذا به رمت ، فقال : رحمتك ربك يا مسلم بن عوسجة ، ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (١) . ودانمه حبيب بن مظاهر فقال : عز علي مصرعك يا مسلم ، أبشر بالجنة ، فقال له مسلم قولاً ضعيفاً : بشرك الله بخير ! فقال له حبيب : لولا أني

٢٤٣/٢

أعلم أنتى فى أثرك لاحتق بك من ساعى هذه لأحييت أن توصينى بكل ماأهمك حتى أحفظك فى كل ذلك بما أنت أهل له فى القرابة والدين ، قال : بل أنا أوصيك بهذارحمك الله - وأهوى بيده إلى الحسين - أن تموت دونه ، قال : أفعل ورب الكعبة ؛ قال : فما كان بأسرع من أن مات فى أيديهم ، وصاحت جارية له فقالت : يا بن عوسجته ! يا سيده ! فتنادى أصحاب عمرو بن الحجاج : قتلنا مسلم بن عوسجة الأسدى ؛ فقال شبث لبعض من حوله من أصحابه : ثكلتكم أمهاتكم ! إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم ، وتذللون أنفسكم لغيركم ، تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة ! أما الذى أسلمت له لرُب موقف له قد رأيته فى المسلمين كريم ! لقد رأيته يوم سلق آذريجان قتلت ستة من المشركين قبل تمام خيول المسلمين ، أفيقتل منكم مثله وتفرحون !

٢٤٤/٢

قال : وكان الذى قتل مسلم بن عوسجة مسلم بن عبد الله الضبباني وعبد الرحمن بن أبي خُسْكَارة البجلي . قال : وحمل شمير بن ذى الجوشن فى الميسرة على أهل الميسرة فثبتوا له ، فطاعنوه وأصحابه ، وحمل على حسين وأصحابه من كل جانب ، فقتل الكلبي وقد قتل رجلين بعد الرجلين الأولين ، وقاتل قتالا شديداً ، فحمل عليه هاني بن ثببت الحضرمي وبُكير ابن حنّ التيمي ، من تيم الله بن ثعلبة ، فقتلاه ، وكان القتل الثانى من أصحاب الحسين ، وقاتلهم أصحاب الحسين قتالا شديداً ، وأخذت خيلهم تحمل وإنما هم اثنان وثلاثون فارساً ، وأخذت لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفته ، فلما رأى ذلك عزرة بن قيس - وهو على خيل أهل الكوفة - أن خيله تنكشف من كل جانب ، بعث إلى عمر بن سعد عبد الرحمن ابن حصن ، فقال : أما ترى ما تلقى خيلي مذ اليوم من هذه العدة اليسيرة ! ابعث إليهم الرجال والرماة ؛ فقال لشبث بن ربعي : ألا تقدم إليهم ! فقال : سبحان الله ! أتعمد إلى شيخ مضر وأهل المصر عامة تبعه فى الرماة ! لم تجد من تنذب لهذا ويجزئ عنك غيرى ! قال : وما زالوا يرون من شبث الكراهة لقتاله . قال : وقال أبو زهير العبسي : فأنا سمعته فى إمارة مصعب

يقول : لا يعطى الله أهلَ هذا المِصرَ خيراً أبداً ، ولا يسدّ دهمَ لرُشد ، ألا
تَعْجَبُونَ أَنَا قَاتِلُنَا معَ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ ومعَ ابْنِهِ من بعده آلِ أَبِي سُفْيَانَ
خمسَ سنينَ ، ثُمَّ عدَّوْنَا عَلَى ابْنِهِ وهو خيرُ أهلِ الأرضِ نقاتلُهُ معَ آلِ معاويةَ
وابنِ سميّةِ الزانيةِ ! ضلالٌ يا لك من ضلال !

قال : ودعا عمر بن سعد الحَصينَ بنَ تميمٍ فبعثَ معه المحففةَ وخمسمائةَ من
المراميةَ ، فأقبلوا حتى إذا دنسوا من الحسينِ وأصحابِهِ رَشَقُوهُمْ بالنبلِ ، فلم
يَلْبَسُوا أنْ عَقَرُوا خيولَهُمْ ، وصاروا رَجَالَةً كُلَّهُمْ .

قال أبو مخنف : حدثني نُمير بن وَعَلَة أن أَيْتوبَ بنَ مِشْرَحَ الخيولانيَّ
كان يقول : أنا والله عَقَرْتُ بِالْحَرِّ بنَ يَزِيدَ فَرَسَهُ ، حشائِثُهُ (١) سَهْمًا ، فإِذَا
لَبِثَ أنْ أَرْعَدَ الفرسَ واضطربَ وكبأ ، فَوَثَبَ عَنْهُ الحَرُّ كَأَنَّهُ لَيْثٌ وَالسَيْفُ فِي
يَدِهِ وهو يقول :

إِنْ تَعَفَّرُوا بِي فَأَنَا ابْنُ الْحَرِّ أَشْجَعُ مِنْ ذِي لَيْدٍ هَزْبَرُ

قال : فما رأيتُ أحداً قطَ يَفْرِي فَرِيَةَ ؛ قال : فقال له أشياخُ من الحِمِّيِّ :
أَنْتَ قَتَلْتَهُ ؟ قال : لا والله ما أَنَا قَتَلْتُهُ ، وَلَكِنْ قَتَلَهُ غَيْرِي ، وما أَحَبُّ أُنِي
قَتَلْتُهُ ، فقال له أَبُو الْوَدَّاءِ : وَلِمَ ؟ قال : إِنَّهُ كَانَ زَعَمُوا مِنَ الصَّالِحِينَ ، فوالله
لَنْ كَانَ ذَلِكَ إِثْمًا لِأَنَّهُ أَلْقَى اللَّهَ بِإِثْمِ الْجِرَاحَةِ وَالْمَوْقِفِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
أَلْقَاهُ بِإِثْمِ قَتْلِ أَحَدٍ مِنْهُمْ ؛ فقال له أَبُو الْوَدَّاءِ : ما أَرَاكَ إِلَّا سَتَلَقَى اللَّهَ بِإِثْمِ
قَتْلِهِمْ أَجْمَعِينَ ؛ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّكَ رَمَيْتَ ذَا فَعَقَرْتَ ذَا ، وَرَمَيْتَ آخَرَ ، وَوَقِفْتَ مَوْقِفًا ،
وَكُرِّرْتَ عَلَيْهِمْ ، وَحَرَضْتَ أَصْحَابَكَ ، وَكَثَّرْتَ أَصْحَابَكَ ، وَحُمِلَ عَلَيْكَ
فَكَرِهْتَ أَنْ تَفْرَ ، وَفَعَلَ آخَرُ مِنْ أَصْحَابِكَ كَفَعَلَكَ ، وَآخَرُ وَآخَرُ ، كَانَ
هَذَا وَأَصْحَابُهُ يَقْتُلُونَ ! أَنْتُمْ شُرَكَاءُ كُلِّكُمْ فِي دِمَائِهِمْ ؛ فقال له : يَا أَبَا الْوَدَّاءِ ،
إِنَّكَ لَتَقْنَطُنَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنْ كُنْتَ وَلِيَّ حِسَابِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا غَفَرَ اللَّهُ
لَكَ إِنْ غَفَرْتَ لَنَا ! قال : هو ما أَقُولُ لَكَ ؛ قال : وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى انْتَصِفَ

(١) حشاه بالسهم ، أى رماه فأصاب به جوفه .

النهار أشدَّ قتال خَلَقَهُ الله ، وأخذوا لا يقدرّون على أن يأتوهم إلّا من وجه واحد لاجتماع أبيّتهم وتقارب بعضيها من بعض .

قال : فلما رأى ذلك عمر بن سعد أرسل رجالاتهم يقوّضونها عن أيّمانهم وعن شمائلهم ليحيطوا بهم ؛ قال : فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخلّلون البيوت فيشدّون على الرجل وهو يقوّض ويتنهب فيقتلونه ويرمونه من قريب ويعقرونه ، فأمر بها عمر بن سعد عند ذلك فقال : أحرّقوها بالنار ، ولا تَدْخُلُوا بيتاً ولا تقوّضوه ، فجاءوا بالنار ، فأخذوا يحرقون ، فقال حسين : دعوهم فليحرقوها ، فإنهم لو قد حرقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها ، وكان ذلك كذلك ، وأخذوا لا يقاتلونهم إلّا من وجه واحد . قال : وخرجت امرأة الكلبي تمشي إلى زوجها حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول : هنيئاً لك الجنة ! فقال شمير بن ذى الجوشن لغلّام يسمّى رستم : اضرب رأسها بالعمود ؛ فضرب رأسها فشدّته ، فأتت مكانها ؛ قال : وحمل شمير بن ذى الجوشن حتى طعن^(١) فسطاط الحسين برمح ، ونادى : على بالنار حتى أحرّق هذا البيت على أهله ؛ قال : فصاح النساء وخرجن من الفسطاط ؛ قال : وصاح به الحسين : يا بن ذى الجوشن ، أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي ، حرّك الله بالنار !

٣٤٧/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : قلت لشمير بن ذى الجوشن : سبحان الله ! إن هذا لا يصلح لك ، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين . تعذب بعذاب الله ، وتقتل الولدان والنساء ! والله إن في قتلك الرجال لما ترضى به أميرك ؛ قال : فقال : من أنت ؟ قال : قلت : لا أخبرك من أنا ، قال : وخشيتُ والله أن لو عرفني أن يضرتني عند السلطان ؛ قال : فجاءه رجل كان أطوّع له مني ؛ شبّهت بن ربّعي ، فقال : ما رأيتُ مقالا أسوأ من قولك ، ولا موقفاً أقبح من موقفك ، أمرعياً للنساء صرت ! قال : فأشهد أنه استحيا ، فذهب لينصرف . وحمل عليه زهير ابن القيس في رجال من أصحابه عشرة ، فشدّ على شمير بن ذى الجوشن

(١) ابن الأثير « بلغ » .

وأصحابه ، فكشَفَهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها ، فصَرَ عوا أبا عزّة الضَّبَّابِي فقتلوه ، فكان من أصحاب شَمِر ، وتعطَّفَ الناس عليهم فكثروهم ، فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل ، فإذا قتل منهم الرجل والرجلان تبيَّن فيهم ، وأولئك كثير لا يتبيَّن فيهم ما يقتل منهم ؛ قال : فلما رأى ذلك أبو ثَمَامَة عمرو بن عبد الله الصائدي قال للحسين : يا أبا عبد الله ؛ نفسي لك الفداء ! إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ، ولا والله لا تُقتل حتى أُقتلَ دونك إن شاء الله ، وأحب أن ألقى ربي وقد صليتُ هذه الصلاة التي دنا وقتها ؛ قال : فرفع الحسين رأسه ثم قال : ذكرت الصلاة ، جعلك الله من المصلين الذاكرين ! نعم ، هذا أول وقتها ؛ ثم قال : سلوهم أن يكفُّوا عنا حتى نصلِّي ؛ فقال لهم الحصين بن تميم : إنها لا تُقبل ؛ فقال له حبيب بن مظاهر : لا تُقبل زعمت ! الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تُقبل وتُقبل منك يا حمار ! قال : فحمل عليهم حصين بن تميم ، وخرج إليه حبيب بن مظاهر ، فضرب وجه فرسه بالسيف ، فشبَّ ووقع عنه ، وحمله أصحابه فاستنقلوه ، وأخذ حبيب يقول :

أَقِمْ لَوْ كُنَّا لَكُمْ أَعْدَادًا أَوْ شَطْرَكُمْ وَلَيْتُمْ أَكْتَادًا^(١)
 * يَا شَرُّ قَوْمٍ حَسْبًا وَآدَا^(٢) *

قال : وجعل يقول يومئذ :

أَنَا حَبِيبٌ وَأَبِي مُظَاهِرٌ فَارِسُ هِجَاءٍ وَحَرْبُ تُسَعْرٍ
 أَنْتُمْ أَعْدَاءُ عُدَّةٍ وَأَكْثَرُ وَنَحْنُ أَوْفَى مِنْكُمْ وَأَضْبَرُ
 وَنَحْنُ أَعْلَى حُجَّةٍ وَأَظْهَرُ حَقًّا وَأَتَقَى مِنْكُمْ وَأَعْدَرُ

وقاتل قتالا شديداً ، فحمل عليه رجلٌ من بني تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله - وكان يقال له : بدیل بن صُرَيْم من بني عُقْفَان - وحمل

(٢) الآد : الأصل .

(١) أكتادا : جراحات .

عليه آخرُ من بني تميم قطعنه فوق ، فذهب ليقوم ، فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف ، فوقع ، ونزل إليه التميمي فاحتزَّ رأسه ، فقال له الحصين : إني لشريكك في قتله ، فقال الآخر : والله ما قتلتَه غيري ؛ فقال الحصين : أعطنيه أعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناسُ ويعلموا أني شركتُ في قتله ؛ ثم خذه أنت بعدُ فامض به إلى عبيد الله بن زياد ، فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إياه . قال : فأبى عليه ، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا ، فدفع إليه رأس حبيب بن مظاهر ، فجال به في العسكر قد علقه في عنق فرسه ، ثم دفعه بعد ذلك إليه ، فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخرُ رأس حبيب فعلقه في لبان^(١) فرسه ، ثم أقبل به إلى ابن زياد في القصر فبصره ابنه القاسم بن حبيب ، وهو يومئذ قد راهق ، فأقبل مع الفارس لا يفارقه ، كلما دخل القصر دخل معه ، وإذا خرج خرج معه ، فارتاب به ، فقال : مالك يا بني تنبغي ! قال : لا شيء ، قال : بلى ، يا بني أخبرني ، قال له : إن هذا الرأس الذي معك رأس أبي ، أفتعطينيه حتى أدفنه ؟ قال : يا بني ، لا يرضى الأميرُ أن يُدفن ، وأنا أريد أن يثيبني الأميرُ على قتله ثوابًا حسنًا ؛ قال له الغلام : لكن الله لا يثيبك على ذلك إلا أسوأ الثواب ؛ أما والله لقد قتلت خيرًا منك ، وبكى . فكث الغلامُ حتى إذا أدرك لم يكن له همة إلا اتباعُ أثر قاتل أبيه ليجد منه غيرةً فيقتله بأبيه ، فلما كان زمان مُصعب بن الزبير وغزا مصعب باجميرا دخل عسكر مصعب فإذا قاتل أبيه في فسطاطه ، فأقبل يختلف في طلبه والتماس غيرته ، فدخل عليه وهو قاتل نصف النهار فضربه بسيفه حتى برد .

قال أبو مخنف : حدثني محمد بن قيس ، قال : لما قُتل حبيب بن مظاهر هذ ذلك حسيًا وقال عند ذلك : احتسب نفسي وحماة أصحابي ، قال : فأخذ الحر يرتجز ويقول :

آليتُ لا أقتلُ حتى أقتلًا ولن أصابَ اليومَ إلا مُقبلاً

(١) لبان الفرس : صدره .

أَضْرَبُوهُمْ بِالسَّيْفِ ضَرْبًا مِقْصَلًا لَا نَاكِيلًا عَنْهُمْ وَلَا مَهْلًا (١) ٣٥٠/٢
وأخذ يقول أيضاً :

أَضْرَبُ فِي أَعْرَاضِهِمْ بِالسَّيْفِ عَنْ خَيْرٍ مَنْ حَلَّ مِنِّي وَالْخَيْفُ

فقاتل هو وزهير بن القَيْن قتالا شديداً ، فكان إذا شدَّ أحدُهما ؛ فإن استلجِمَ (٢) شدَّ الآخر حتى يخلّصه ، ففعلاً ذلك ساعة . ثمَّ إنَّ رجالة شدَّت على الحرِّ بن يزيد فقتل ، وقتل أبو ثمامة الصائدي ابنَ عمِّ له كان عدواً له ، ثمَّ صلّوا الظهر ، صلى بهم الحسين صلاةَ الخوف ، ثمَّ اقتتلوا بعد الظهر فاشتدَّ قتالهم ، ووُصِّل إلى الحسين ، فاستقدم الحنفى أَمَامَهُ ، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً قائماً بين يديه ، فما زال يُرمى حتى سقط . وقاتل زهير بن القَيْن قتالاً شديداً ، وأخذ يقول :

أَنَا زُهَيْرٌ وَأَنَا ابْنُ الْقَيْنِ أَذُوهُمْ بِالسَّيْفِ عَنْ حُسَيْنِ

قال : وأخذ يَضْرِبُ عَلَى مَنْكِبِ حُسَيْنِ وَيَقُولُ :

أَقْدِمْ هُدَيْتَ هَادِيًا مَهْدِيًا فَالْيَوْمَ تَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيَّ
وَحَسَنًا وَالْمُرْتَضَى عَلِيًّا وَذَا الْجَنَاحَيْنِ الْفَتَى الْكَمِيَّ

* وَأَسَدَ اللَّهِ الشَّهِيدَ الْحَيَّ *

قال : فشدَّ عليه كثيرُ بن عبد الله الشعبي ومهاجرُ بن أَوْس فَقَتَلَاهُ ، قال : وكان نافع بن هلال الجملي قد كتب اسمه على أفواق نَبْلِهِ ، فجعل يرمى بها مسومةً وهو يقول : «أَنَا الْجَمَلِي ، أَنَا عَلَى دِينِ عَلِيٍّ» .

فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى مَنْ جرح ؛ قال : ٣٥١/٢
فَضْرِبَ حَتَّى كُسِرَتْ عِظْدَاهُ وَأُخِذَ أَسِيرًا ؛ قال : فأخذه شَمِيرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ

(١) س : « مغللاً » .

(٢) استلجِم : روهق في القتال .

ومعه أصحاب له يسوقون نافعاً حتى أتى به عمر بن سعد ، فقال له عمر بن سعد : وَيَحْك يا نافع ! ما حَمَلَك على ما صنعتَ بنفسك ! قال : إنَّ ربِّي يعلم ما أردتُ ؛ قال : والدِّماء تسيل على لحيته وهو يقول : والله لقد قتلْتُ منكم اثني عشر سَوِيَّ مَنْ جرحْتُ ، وما أُلوم نفسي على الجهد ، ولو بقيتُ لي عضدٌ وساعدٌ ما أسرتُموني ؛ فقال له شمير : اقْتُلْهُ أصلحك الله ! قال : أنت جثتَ به ، فإن شئتَ فاقتله ، قال : فانتضى شمير سيفه ، فقال له نافع : أما والله أنْ لو كنت من المسلمين لَعَظُمَ عليك أن تلقى اللهَ بدمائنا ، فالحمد لله الذي جعل مَنايانا على يديْ شِرارٍ خلقه ؛ فقتله .

قال : ثمَّ أقبل شمير يحمل عليهم وهو يقول :

خَلُّوا عُدَاةَ اللَّهِ خَلُّوا عَنْ شَمِيرٍ يَضْرِبُهُمْ بِسَيْفِهِ وَلَا يَفِرُّ
* وهو لكم صابٌ وسمٌّ ومَقِرٌّ ^(١) *

قال : فلما رأى أصحابُ الحسين أنهم قد كُثِرُوا ، وأنهم لا يقدرُونَ على أن يَمْنَعُوا حَسِينًا ولا أَنْفُسَهُمْ ، تنافَسُوا في أن يُقْتَلُوا بين يديه ، فجاء عبد الله وعبد الرحمن ابنا عَزْرَةَ الْغَفَارِيَّانِ ، فقالا : يا أبا عبد الله ، عليك السلام ، حازنَا العدوَّ إِلَيْكَ ، فَأَحْبَبْنَا أَنْ نَقْتَلَ بين يديكَ ، نَمْنَعُكَ وَنُدْفِعَ عَنْكَ ، قال : مرحباً بكما ! ادنُؤَا مِنِّي ، فدنُؤَا مِنْهُ ، فجعلَا يقاتلان قريباً مِنْهُ ، وأحدهما يقول :

قَدْ عَلِمْتُ حَتْمًا بَنُو غِفَارٍ وَخِنْذِفٌ بَعْدَ بَنِي نِزَارٍ
لَنْضَرْبِنَ مَعْشَرَ الْفُجَّارِ بِكُلِّ عَضْبٍ صَارِمٍ بَتَّارٍ
يَا قَوْمَ ذُودُوا عَنْ بَنِي الْأَحْزَابِ بِالْمُشْرِفِيِّ وَالْقَنَّاسِ الْخَطَّارِ

٣٥٢/٢

قال : وجاء الفَتَيَّانِ الْجَابِرِيَّانِ : سيف بن الحارث بن سُرَيْع ، ومالك ابن عبد بن سريع ، وهما ابنا عمِّ ، وأَخَوَانُ لَأُمِّ ، فَأَتِيَا حَسِينًا فَدَنُؤَا مِنْهُ وَهَمَا

(١) المقر : المر ، قال أبو حنيفة : هو نبات ينبت ورقاً . في غير أُنْثَان .

يبكيان ، فقال : أَيْ ابْنَيْ أَخِي ، مَا يُبْكِيكُمَا ؟ فوالله إني لأرجو أن تكونا عن ساعة قريرى عين ، قالا : جعلنا الله فِداك ! لا والله ما على أنفسنا نبكى ، ولكننا نبكى عليك ، نراك قد أحيط بك ، ولا نقدر على أن نمنعك ؛ فقال : جزا كما الله يا بنى أخى بوحد كما من ذلك ومواساتكما إيتاى بأنفسكما أحسن جزاء المتقين ؛ قال : وجاء حنظلة بن أسعد الشبامى فقام بين يدى حسين ، فأخذ ينادى : ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ * وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (١) يَا قَوْمِ تَقْتُلُوا حُسَيْنًا فَيُسْحِتْكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ (٢) فقال له حسين : يا ابن أسعد ، رحمك الله ، إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق ، ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابك ، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين ! قال : صدقت ، جعلت فداك ! أنت أفقه منى وأحقّ بذلك ، أفلا نروح (٣) إلى الآخرة ونلحق بإخواننا ؟ فقال : رُحْ إلى خير من الدنيا وما فيها ، وإلى ملك لا يبسلى ، فقال : السلام عليك أبا عبد الله ، صلى الله عليك وعلى أهل بيتك ، وعرف بيننا وبينك فى جنته ، فقال : آمين آمين ؛ فاستقدم فقاتل حتى قُتل .

٣٠٣/٢

قال : ثم استقدم الفتيان الجاهليان يلتفتان إلى حسين ويقولان : السلام عليك يا ابن رسول الله ، فقال : وعليكما السلام ورحمة الله ؛ فقاتلا حتى قُتلا ؛ قال : وجاء عابس بن أبى شبيب الشاكرى ومعه شوذب مولى شاكر ، فقال : يا شوذب ، ما فى نفسك أن تصنع ؟ قال : ما أصنع ! أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقتل ؛ قال : ذلك الظن بك ، أمّا لا فتقدم بين يدى أبى عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه ، وحتى احتسبك أنا ، فإنه لو كان معى الساعة أحدٌ أنا أولى

(١) سورة غافر: ٣٠ - ٣٣ . (٢) سورة طه: ٦١ . (٣) ف : « نروح » .

به منى بك لسرتى أن يتقدم بين يدي حتى أحسنه ، فإن هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه ، فإنه لا عمل بعد اليوم ، وإنما هو الحساب ؛ قال : فتقدم فسلم على الحسين ، ثم مضى فقاتل حتى قُتل . ثم قال عابس بن أبي شبيب : يا أبا عبد الله ، أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز على ولا أحب إلى منك ؛ ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز على من نفسي ودعي لفعلته ؛ السلام عليك يا أبا عبد الله ، أشهد الله أنى على هديك وهدي أبيك ؛ ثم مشى بالسيف مصلاً نحوهم وبه ضربة على جبينه . ٣٥٤/٢

قال أبو مخنف : حدثني ثُمير بن وعلة ، عن رجل من بني عبد من همدان يقال له ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم ، قال : لما رأيته مقبلاً عرفته وقد شاهدته في المغازي ، وكان أشجع الناس ، فقلت : أيها الناس ، هذا الأسد الأسود ، هذا ابن أبي شبيب ؛ لا يخرجن إليه أحد منكم ، فأخذ ينادى : ألا رجل لرجل ! فقال عمر بن سعد : ارضخوه بالحجارة ؛ قال : فرمى بالحجارة من كل جانب ، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره ، ثم شد على الناس ، فوالله لرأيت يكرُد^(١) أكثر من مائتين من الناس ؛ ثم إنهم تعطفوا عليه من كل جانب ، فقتل ؛ قال : فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوى عُدّة ؛ هذا يقول : أنا قتله ، وهذا يقول : أنا قتله ، فأتوا عمر بن سعد فقال : لا تختصموا ، هذا لم يقتله سنان واحد ، ففرق بينهم بهذا القول .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الله بن عاصم ، عن الضحّاك بن عبد الله المِشْرَقِي ، قال : لما رأيت أصحاب الحسين قد أصيبوا ، وقد خُلِصَ إليه وإلى أهل بيته ، ولم يبق معه غير سُويْد بن عمرو بن أبي المطاع الخُشْعَمِيّ وبُشَيْر ابن عمرو الحضرمي ، قلت له : يا ابن رسول الله ، قد علمت ما كان بيني وبينك ؛ قلت لك : أقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً ، فإذا لم أر مقاتلاً فأنا في حِلّ من الانصراف ؛ فقلت لي : نعم ؛ قال : فقال : صدقت ، وكيف لك

بالتَّجَاء ! إنَّ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ فَأَنْتَ فِي حَلٍّ ؛ قَالَ : فَأَقْبَلْتُ إِلَى فَرَسِي وَقَدْ كُنْتُ حَيْثُ رَأَيْتُ خَيْلَ أَصْحَابِنَا تُعْفَرُ ، أَقْبَلْتُ بِهَا حَتَّى أَدْخَلْتُهَا فُسْطَاطًا ٣٥٥/٢ لِأَصْحَابِنَا بَيْنَ الْبُيُوتِ ، وَأَقْبَلْتُ أَقَاتِلُ مَعَهُمْ رَاجِلًا ، فَقَتَلْتُ يَوْمَئِذٍ بَيْنَ يَدَيِ الْحُسَيْنِ رَجُلَيْنِ ، وَقَطَعْتُ يَدَ آخَرَ ، وَقَالَ لِي الْحُسَيْنُ يَوْمَئِذٍ مَرَارًا : لَا تُثْشَلْ ، لَا يَقْطَعُ اللَّهُ يَدَكَ ، جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! فَلَمَّا أُذِنَ لِي اسْتَخْرِجْتُ الْفَرَسَ مِنَ الْفُسْطَاطِ ، ثُمَّ اسْتَوَيْتُ عَلَى مَتْنِهَا ، ثُمَّ ضَرَبْتُهَا حَتَّى إِذَا قَامَتْ عَلَى السَّنَابِكِ رَمَيْتُ بِهَا عُرْضَ الْقَوْمِ ، فَأَفْرَجُوا لِي ، وَاتَّبَعَنِي مِنْهُمْ خَمْسَةُ عَشَرَ رَجُلًا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى شُفْيَةٍ ؛ قَرْيَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ شَاطِئِ الْفُرَاتِ ، فَلَمَّا لَحَقُونِي عَظَفْتُ عَلَيْهِمْ ، فَعَرَفْتَنِي كَثِيرٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ الشَّعْبِيِّ وَأَيُّوبُ بْنُ مِشْرَحِ الْحَيَوَانِيِّ وَقَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّائِدِيِّ ، فَقَالُوا : هَذَا الضُّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمِشْرَقِيِّ ، هَذَا ابْنُ عُمِّنَا ، نَنْشُدُكَمُ اللَّهُ لَمَّا كَفَيْتُمْ عَنْهُ ! فَقَالَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ كَانُوا مَعَهُمْ : بَلَى وَاللَّهِ لَنَجِيبَنَّ إِخْوَانَنَا وَأَهْلَ دَعْوَتِنَا إِلَى مَا أَحْبَبُوا مِنَ الْكَفِّ عَنْ صَاحِبِهِمْ ؛ قَالَ : فَلَمَّا تَابَعَ التَّمِيمِيُّونَ أَصْحَابِي كَفَّ الْآخَرُونَ ؛ قَالَ : فَتَجَانَى اللَّهُ .

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ : حَدَّثَنِي فَضِيلُ بْنُ خُدَيْجٍ الْكَنْدِيُّ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ زِيَادٍ ؛ وَهُوَ أَبُو الشَّعْثَاءِ الْكَنْدِيُّ مِنْ بَنِي بَهْدَلَةَ جَسَّأً عَلَى رَكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيِ الْحُسَيْنِ ، فَرَمَى بِمِائَةِ سَهْمٍ مَاسِقُطٍ مِنْهَا خَمْسَةُ أَسْهُمٍ ، وَكَانَ رَامِيًا ، فَكَانَ كَلِمَاتِهِمْ قَالُوا : أَنَا ابْنُ بَهْدَلَةَ ، فَرَسَانِ الْعَرَبِ جَلَّةٌ ؛ وَيَقُولُ حُسَيْنٌ : اللَّهُمَّ سَدِّ دَرَمِيَّتَهُ ، وَاجْعَلْ ثَوَابَهُ الْجَنَّةَ ؛ فَلَمَّا رَمَى بِهَا قَامَ فَقَالَ : مَا سَقَطَ مِنْهَا إِلَّا خَمْسَةُ أَسْهُمٍ ، وَلَقَدْ تَبَيَّنَ لِي أَنِّي قَدْ قَتَلْتُ خَمْسَةَ نَفَرٍ ، وَكَانَ فِي أَوَّلِ مَنْ قُتِلَ ، وَكَانَ رَجُزُهُ ٣٥٦/٢ يَوْمَئِذٍ :

أَنَا يَزِيدُ وَأَبِي مُهَاصِرُ أَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ بِغِيلٍ خَادِرُ^(١)
يَارِبُ إِنِّي لِلْحُسَيْنِ نَاصِرُ وَلَا بِنَ سَعْدٍ تَارِكُ وَهَاجِرُ

وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ بِنَ الْمَهَاصِرِ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَ عُثْمَرَ بْنِ سَعْدٍ إِلَى الْحُسَيْنِ ،

(١) الْغِيلُ بِالْكَسْرِ : الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُلْتَفُّ .

فلما ردّوا الشرّوط على الحسين مال إليه فقاتل معه حتى قُتل ، فأما الصيداوى
عمر بن خالد ، وجابر بن الحارث السلمانيّ ، وسعد مولى عمر بن خالد ،
ومجمّع بن عبد الله العائديّ ، فإنهم قاتلوا في أوّل القتال ، فشدّوا مُقَدِّمِينَ
بأسيافهم على الناس ، فلما وغلوا عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم ،
وقطعوه من أصحابهم غير بعيد ، فحمل عليهم العباس بن عليّ فاستنقذهم ،
فجاءوا قد جرّحوا ، فلما دنا منهم عدوهم شدّوا بأسيافهم فقاتلوا في أوّل
الأمر حتى قُتِلُوا في مكان واحد .

قال أبو مخنف : حدّثني زهير بن عبد الرحمن بن زهير الخثعميّ ، قال :
كان آخر مَنْ بَقِيَ مع الحسين من أصحابه سُويد بن غَمْرٍو بن أبي المطاع
الخثعميّ ، قال : وكان أوّل قتيل من بني أبي طالب يومئذ عليّ الأكبر بن
الحسين بن عليّ ، وأمه ليلي ابنة أبي مُرّة بن عُرّة بن مسعود الثقفيّ ، وذلك
أنه أخذ يشدّ على الناس وهو يقول :

أنا عليّ بنُ حسينِ بنِ عليّ نحن وربّ البيت أوّلُ بالنّبيِّ
* تالله لا يحكُمُ فينا ابنُ الدّعيّ *

قال : ففعل ذلك مراراً ، فبَصَره مُرّة بن منقذ بن النعمان العبديّ ثمّ
الليثيّ ، فقال : عليّ أُنْثِمُ العرب إنْ مَرَّ بي يفعل مِثْلَ ما كان يفعل إنْ
لم أُنْكِله أباه ؛ فمَرَّ يشدّ على الناس بسيفه ، فاعترضه مُرّة بن منقذ ، فطعنه
فصُرْع ، واحتسّوه الناس فقطعوه بأسيافهم .

٢٥٧/٢

قال أبو مخنف : حدّثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم
الأزديّ ، قال : سَمِعْتُ أذُنِي يومئذ من الحسين يقول : قتل الله قوماً قتلك يا بنيّ !
ما أجراًهم على الرحمن ، وعلى انتهاك حرمة الرسول ! على الدنيا بعدك العَفَاء .
قال : وكأني أنظر إلى امرأة خرجت مُسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادى :
يا أخيّاه ! ويا بن أخيّاه ! قال : فسألتُ عليها ، فقيل : هذه زينب ابنة
فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءت حتى أكبّت عليه ، فجاءها

الحسين فأخذ بيدها فردّها إلى الفسطاط ، وأقبل الحسين إلى ابنه ، وأقبل فتياهه إليه ، فقال : احمِلُوا أَخَاكُمْ ، فحملوه مِنْ مَصْرَعِهِ حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه . قال : ثُمَّ إِنَّ عمرو بن صُبَيْح الصَّدَائِقِ رَمَى عَبْدَ اللَّهِ بن مسلم بن عَقِيلَ بِسَهْمٍ فَوَضَعَ كَفَّهُ عَلَى جَبْهَتِهِ ، فَأَخَذَ لَايَسْتِطِيعُ أَنْ يَحْرَكَ كَفَّهُ ، ثُمَّ انْتَحَى لَهُ بِسَهْمٍ آخَرَ ففلق قلبه ، فاعتورهم الناس من كلِّ جانب ، فحمل عبد الله بن قطَيْبَةُ الطَّائِيُّ ثُمَّ النَّبْهَانِيُّ عَلَى عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ جَعْفَرٍ بن أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلْتَهُ ، وحمل عامر بن نَهْشَلٍ التِّيمِيُّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بن جَعْفَرٍ بن أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلْتَهُ ؛ قَالَ : وَشَدَّ عُثْمَانُ بن خَالِدِ ابْنِ أَسَيْسِرَ الْجُهَنِيَّ ، وبشر بن سوط الهَمْدَانِيَّ ثُمَّ الْقَابِضِيَّ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَقِيلٍ بن أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلَاهُ ، ورمى عبد الله بن عَزْرَةَ الْحُثَمِيُّ جَعْفَرَ ابْنَ عَقِيلٍ بن أَبِي طَالِبٍ فَقَتَلْتَهُ .

٣٥٨/٢

قال أبو مخنف : حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بن أَبِي رَاشِدٍ ، عَنْ حُمَيْدِ بن مسلم ، قَالَ : خَرَجَ إِلَيْنَا غَلامٌ كَانَ وَجْهَهُ شَقَّةَ قَمَرٍ ، فِي يَدِهِ السِّيفُ ، عَلَيْهِ قَمِيصٌ وَإِزَارٌ وَنَعْلَانِ قَدْ انْقَطَعَ شَيْعُ أَحَدِهِمَا ، مَا أَنْسَى أَنَّهَا الْيَسْرَى ، فَقَالَ لِي عمرو ابن سعد بن نَفْسِيزِ الْأَزْدِيُّ : وَاللَّهِ لِأَشَدَّنَّ عَلَيْهِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَمَا تَرِيدُ إِلَى ذَلِكَ ! يَكْفِيكَ قَتْلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَرَاهُمْ قَدْ احْتَوَلَوْهُمْ ؛ قَالَ : فَقَالَ : وَاللَّهِ لِأَشَدَّنَّ عَلَيْهِ ؛ فَشَدَّ عَلَيْهِ فَمَا وَلَّى حَتَّى ضَرَبَ رَأْسَهُ بِالسِّيفِ ، فَوَقَعَ الْغَلامُ لَوَجْهِهِ ، فَقَالَ : يَا عَمَّاهُ ! قَالَ : فَجَلَّتِي الْحُسَيْنُ كَمَا يَجَلَّتِي الصَّقَرُ ، ثُمَّ شَدَّ شِدَّةَ لَيْثٍ غَضْبٌ ، فَضَرَبَ عَمْرًا بِالسِّيفِ ، فَاتَقَاهُ بِالسَّاعِدِ ، فَأَطْنَهَا مِنْ لَدُنْ الْمِرْفَقِ ، فَصَاحَ ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنْهُ ، وَحَمَلْتُ خَيْلٌ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ لِيَسْتَنْقِذُوا عَمْرًا مِنْ حُسَيْنٍ ، فَاسْتَقْبَلْتُ عَمْرًا بِصَدُورِهَا ، فَحَرَّكَتْ حَوَافِرَهَا وَجَالَتْ الْحَيْلُ بِفُرْسَانِهَا عَلَيْهِ ، فَوَطَّئَتْهُ حَتَّى مَاتَ ، وَانْجَلَتِ الْغُبَرَةُ ، فَلِذَا أَنَا بِالْحُسَيْنِ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ الْغَلامِ ، وَالْغَلامُ يَفْحَصُ بِرِجْلَيْهِ ؛ وَحُسَيْنٌ يَقُولُ : بَعْدًا لِقَوْمٍ قَتَلُواكَ ؛ وَمَنْ خَصَمَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَبِكَ جَدُّكَ ! ثُمَّ قَالَ : عَزَّ وَاللَّهِ عَلَى عَمِّكَ أَنْ تَدْعُوهُ فَلَا يُجِيبُكَ ، أَوْ يَجِيبُكَ ثُمَّ لَا يَنْفَعُكَ ! صَوْتُ وَاللَّهِ كَثُرَ وَاتَرَهُ ، وَقُلَّ نَاصِرُهُ . ثُمَّ احْتَمَلَهُ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رِجْلَيْ الْغَلامِ يَخْطُئَانِ فِي الْأَرْضِ ،

٣٥٩/٢

وقد وضع حسين صدره على صدره ؛ قال : فقلتُ في نفسي : ما يصنع به ! فجاء به حتى ألقاه مع ابنه عليّ بن الحسين وقتلتني قد قتلتُ حولته من أهل بيته ، فسألتُ عن الغلام ، فقيل : هو القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب . قال : ومكث الحسين طويلاً من النهار كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه ، وكره أن يتولّى قتله وعظيم إثمه عليه ؛ قال : وإن رجلاً من كِنْدَةَ يقال له مالك بن النّسِير من بني بَدَاء ، أتاه فضرّبه على رأسه بالسيف ، وعليه بُرْنُس له ، فقطع البرنس ، وأصاب السيف رأسه ، فأدمى رأسه ، فامتلاً البرنس دمًا ، فقال له الحسين : لا أكلت بها ولا شربت ، وحشرك الله مع الظالمين ! قال : فألقى ذلك البرنس ، ثمّ دعا بقلنسوة فلبسها ، واعتم ، وقد أعيا وبسّلد ، وجاء الكنديّ حتى أخذ البرنس — وكان من خز — فلما قدم به بعد ذلك على امرأته أمّ عبد الله ابنة الحرّ أخت حسين بن الحرّ البديّ ، أقبل يغسل البرنس من الدم ، فقالت له امرأته : أسلب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تدخلُ بيتي ! أخرجهُ عنّي ؛ فذكر أصحابه أنه لم يزل فقيراً بشرّ حتى مات . قال : ولما قعد الحسين أتى بصبيّ له فأجلّسه في حجره زعموا أنه عبد الله بن الحسين .

٣٦٠/٢

قال أبو مخنف : قال عَقْبَةُ بن بشير الأسديّ : قال لي أبو جعفر محمد ابن عليّ بن الحسين : إنّ لنا فيكم يا بني أسد دمًا ؛ قال : قلت : فما ذنبي أنا في ذلك رحمك الله يا أبا جعفر ! وما ذلك ؟ قال : أتيتُ الحسين بصبيّ له ، فهو في حجره ، إذ رماه أحدُكم يا بني أسد بسهم فذبحه ، فتلقى الحسينُ دمه ، فلما ملأ كفيه صبه في الأرض ثمّ قال : ربّ إنّك حبستَ عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير ، وانتقمْ لنا من هؤلاء الظالمين ؛ قال : ورمى عبدُ الله بن عقبة الغنويّ أبا بكر بن الحسين بن عليّ بسهم فقتله ، فلذلك يقول الشاعر ؛ وهو ابن أبي عَقِيب :

وَعِنْدَ غَنِيٍّ قَطْرَةٌ مِنْ دِمَائِنَا وَفِي أَسَدٍ أُخْرَى تَعَدُّ وَتُذَكَّرُ

قال : وزعموا أنّ العباس بن عليّ قال لإخوته من أمّه عبد الله ، وجعفر

وعثمان : يا بني أمي ، تقدّموا حتى أريكم ، فإنه لا ولد لكم ، ففعلوا ، فقتلوا .
 وشدّ هاني بن ثبّيت الحضرمي على عبد الله بن علي بن أبي طالب فقتله ، ثم
 شدّ على جعفر بن علي فقتله وجاء برأسه ، ورمى خذولي بن يزيد الأصبحي
 عثمان بن علي بن أبي طالب بسهم ، ثم شدّ عليه رجل من بني أبان بن دارم
 فقتله ، وجاء برأسه ، ورمى رجل من بني أبان بن دارم محمد بن علي بن
 أبي طالب فقتله وجاء برأسه .

قال هشام : حدثني أبو الهذيل - رجل من السّكون - عن هاني بن
 ثبّيت الحضرمي ، قال : رأيته جالسا في مجلس الحضرميين في زمان خالد بن
 عبد الله وهو شيخ كبير ؛ قال : فسمعتُه وهو يقول : كنت ممن شهد قتل - ٢٠ / ٢٦١
 الحسين ، قال : فوالله إني لواقف عاشر عشرة ليس منا رجل إلا على فرس ،
 وقد جالت الخيل وتصعصعت ، إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك
 بعُود من تلك الأبنية ، عليه إزار وقميص ، وهو مذعور ، يتلفت يمينا وشمالا ،
 فكأنني أنظر إلى درّتين في أذنيه تذبذبان كلما التفتت ، إذ أقبل رجل
 يركض ، حتى إذا دنا منه مال عن فرسه ، ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف .
 قال هشام : قال السّكوني : هاني بن ثبّيت هو صاحب الغلام ، فلما
 عُتِب عليه كَتَبَ عن نفسه .

قال هشام : حدثني عمرو بن شمر ، عن جابر الجعفي ، قال : عطش
 الحسين حتى اشتدّ عليه العطش ، فدنا ليشرب من الماء ، فرماه حصين بن
 تميم بسهم ، فوقع في فمه ، فجعل يتلقى الدم من فمه ، ويرمي به إلى السماء ،
 ثم حمّد الله وأثنى عليه ، ثم جمع يديه فقال : اللهم أحصِهِم عدداً ،
 واقتلهم بدداً ، ولا تَدْرُ على الأرض منهم أحداً .

قال هشام ، عن أبيه محمد بن السائب ، عن القاسم بن الأصمغ بن نُبّاة ،
 قال : حدثني من شهد الحسين في عسكره أن حسيناً حين غلب على
 عسكره ركب المسناة يريد الفرات ، قال : فقال رجل من بني أبان بن
 دارم : ويْلَكم ! حُولُوا بينه وبين الماء لا تنام إليه شيعته ؛ قال : وضرب

فرسه ، وأتبعه الناس حتى حالوا بينه وبين الفرات ، فقال الحسين : اللهم أظميه ، قال : ويتنزع الأباقي بسهم ، فأثبته في حنك الحسين ، قال : فانتزع الحسين السهم ، ثم بسط كفيه فامتلائت دماً ، ثم قال الحسين : اللهم إني أشكو إليك ما يفعله بابن بنت نبيك ؛ قال : فوالله إن مكث الرجل إلا يسيراً حتى صب الله عليه الظماً ، فجعل لا يروى .

قال القاسم بن الأصمغ : لقد رأيتني فيمن يروح عنه والماء يبرّد له فيه السكر وعساس فيها اللبن ، وقلال فيها الماء ، وإنه ليقول : ويلاكم ! اسقوني قتلى الظماً ، فيعطى القلّة أو العسّ كان مروياً أهل البيت فيشر به ، فإذا نزع من فيه اضطجع الهنيهة ثم يقول : ويلاكم ! اسقوني قتلى الظماً ؛ قال : فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انقذ بطنه انقداد بطن البعير .

قال أبو مخنف في حديثه : ثم إن شمر بن ذى الجوشن أقبل في نفر نحو من عشرة من رجالة أهل الكوفة قبل منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله ، فمشى نحوه ، فحالوا بينه وبين رحله ، فقال الحسين : ويلاكم ! إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون يوم المعاد ، فكونوا في أمر دنياكم أحراراً ذوى أحساب ، امنعوا رحلي وأهلي من طغاةكم وجهاتكم ؛ فقال ابن ذى الجوشن : ذلك لك يا بن فاطمة ؛ قال : وأقدم عليه بالرجالة ، منهم أبو الجنوب - واسمه عبد الرحمن الجعفي - والقشعم (١) بن عمرو بن يزيد الجعفي ، وصالح بن وهب اليزني ، وسنان بن أنس النخعي ، وخوّل بن يزيد الأصمعي ، فجعل شمر ابن ذى الجوشن يحرضهم ، فمرّ بأبي الجنوب وهو شاك في السلاح فقال له : أقدم عليه ؛ قال : وما يملكك أن تقدم عليه أنت ! فقال له شمر : ألي تقول ذا ! قال : وأنت لى تقول ذا ! فاستبأ ، فقال له أبو الجنوب - وكان شجاعاً : والله لهممت أن أخضخض السنان في عينك ؛ قال : فانصرف عنه شمر وقال : والله لئن قدرت على أن أضرك لأضرتك قال : ثم إن شمر بن ذى الجوشن أقبل في الرجالة نحو الحسين ؛ فأخذ الحسين يشد عليهم فينكشفون عنه . ثم إنهم أحاطوا به إحاطة ، وأقبل إلى الحسين غلام من أهله ، فأخذته أخته

زينب ابنة عليّ لتحبسه ، فقال لها الحسين : احبسيه ، فأبى الغلام ، وجاء يشتدّ إلى الحسين ، فقام إلى جنبه ؛ قال : وقد أهوى بحر بن كعب بن عبيد الله - من بني تميم - الله بن ثعلبة بن عكابة - إلى الحسين بالسيف ، فقال الغلام : يا بن الخبيثة ، أقتل عمّي ! فضربه بالسيف ، فاتقاه الغلام بيده فأطنّها إلا الجلدة ، فإذا يده معلّقة ، فنادى الغلام : يا أمّته ! فأخذه الحسين فضمّه إلى صدره ، وقال : يا بن أخي ؛ اصبر على ما نزل بك ، واحتسب في ذلك الخير ، فإنّ الله يُلحقك بأبائك الصالحين ؛ برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبي طالب وحزمة وجعفر والحسن بن عليّ ؛ صلى الله عليهم أجمعين .

قال أبو مخنف : حدثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : سمعت الحسين يومئذ وهو يقول : اللهمّ أمسك عنهم قطرَ السماء ، وامنعهم بركات الأرض ، اللهمّ فإنّ متعتهم إلى حين ففرقهم فِرَقاً ، واجعلهم طرائقَ قِدَدًا ، ولا تُرض عنهم الوُلاة أبداً ، فإنهم دَعَوْنَا لينصرونا ، فعَدَّوْا علينا فقتلونا . قال : وضارب الرّجالة حتى انكشفوا عنه ؛ قال : ولما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة ، دعا بسرّاويل محقّقة^(١) يلعب فيها البَصَر ، يسمّاني محقّق ، ففرزه ونكته^(٢) لكيلا يسلبه ، فقال له بعض أصحابه : لو لبست تحته ثياباً^(٣) ! قال : ذلك ثوب مذلة ، ولا ينبغي لي أن ألبسه ؛ قال : فلما قتل أقبل بحر بن كعب فسلبه إياه فتركه مجرّداً .

قال أبو مخنف : فحدثني عمرو بن شعيب ، عن محمد بن عبد الرحمن أنّ يدَي بحر بن كعب كانتا في الشتاء تنضّحان الماء ، وفي الصيف تيبّسان كأنهما عود .

قال أبو مخنف : عن الحجّاج^(٤) ، عن عبد الله بن عمّار بن عبد يغوث البارق ،

(١) ثوب محقق : محكم النسخ .

(٢) نكته ، أى نقص نسجه .

(٣) الثبان كرمّان : سراويل صغيرة مقدار شبر يستر العورة .

(٤) ط : « الحجّاج بن عبد الله » ، وهو خطأ ، وانظر الفهرس .

وعُتِبَ على عبد الله بن عمار بعد ذلك مشهده قتل الحسين، فقال عبد الله بن عمار : إن لي عند بني هاشم لَسِيداً ، قلنا له : وما يدُك عندهم ؟ قال : حملتُ على حسين بالرُّمَح فأنتهيتُ إليه ، فوالله لو شئتُ لَطَعْنَتُهُ ، ثم انصرفتُ عنه غيرَ بعيد، وقلت : ما أصنع بأن أتولّى قتلَه ! يقتله غيري . قال : فشدّ عليه رَجَالُهُ مِمَّنْ عن يمينه وشماله ، فحمل على مَن عن يمينه حتى ابدعروا ، وعلى مَن عن شماله حتى ابدعروا ، وعليه قميص له من خَزٍّ وهو معتمٌ ؛ قال : فوالله ما رأيتُ مكسوراً^(١) قطّ قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ، ولا أمضى جَنَاناً ولا أجراً مقدماً منه ، والله ما رأيتُ قبلَه ولا بعده مثله ؛ أن كانت الرّجالة لتتكشف من عن يمينه وشماله انكشافَ المعزى إذا شدّ فيها الذئب ؛ قال : فوالله إنه كذلك إذ خرجتُ زينبُ ابنة فاطمة أخته ، وكأني أنظر إلى قُرطها يحول بين أذنيها وعاتقها وهي تقول : ليت السماء تطابقتُ على الأرض ! وقد دنا عمر بن سعد من حسين ؛ فقالت : يا عمر بن سعد ، أيقْتَل أبو عبد الله وأنت تنظرُ إليه ! قال : فكأني أنظرُ إلى دموعِ عمرَ وهي تسيل على خديّه ولحيته ؛ قال : وصرف بوجهه عنها .

٣٦٥/٢

قال أبو مخنف : حدثني الصَّقْعَب بن زهير ، عن حُميد بن مسلم ، قال : كانت عليه جُبَّة من خَزٍّ ، وكان معتماً ، وكان مخضوباً بالوسِمة ، قال : وسمعتُه يقول قبل أن يُقتَلَ ، وهو يقاتل على رجله قتالَ الفارس الشجاع يتتق الرمية ، ويفترص^(٢) العورة ، ويشدّ على الخيل ، وهو يقول : أعلى قتلى تحاشون ! أمّا والله لا تقتلون بعدى عبداً من عباد الله أسخط عليكم لقتله منّي ؛ وإيم الله إني لأرجو أن يكريمني الله بهوانكم ، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون ، أمّا والله أن لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم ، وسفك دماءكم ، ثم لا يرضى لكم حتى يضاعفَ لكم العذاب الأليم . قال : ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ، ولكنهم كان يتقى بعضهم ببعض ، ويحبّ هؤلاء أن يكفّهم هؤلاء ؛ قال :

(١) المكسور : الكسير المنهزم . (٢) اقترص العورة : انتهزها .

فنادى شمر في الناس : وَيَحْكُم ، ماذا تنظرون بالرجل ! اقتلوه ثَكَلَيْتُمْ
 أمهاتكم ! قال : فَحُمِّلَ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَضُرِبَتْ كَفُّهُ الْيُسْرَى ضَرْبَةً ،
 ٣٦٦/٢ ضَرْبُهَا زُرْعَةٌ بِنِ شَرِيكِ التَّمِيمِيِّ ، وَضُرِبَ عَلَى عَاتِقِهِ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَهُوَ يَسْتَوِي
 وَيَسْكَبُ ؛ قَالَ : وَحُمِّلَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ سَنَانُ بْنُ أَنَسٍ بِنِ عَمْرِو النَّخَعِيِّ
 فَطَعَمَنَهُ بِالرَّمَحِ فَوَقَعَ ، ثُمَّ قَالَ لِحَوَلِيِّ بْنِ يَزِيدِ الْأَصْبَحِيِّ : احْتَزَّ رَأْسَهُ ، فَأَرَادَ
 أَنْ يَفْعَلَ ، فَضَعَفَ فَأَرْعَدَ ، فَقَالَ لَهُ سَنَانُ بْنُ أَنَسٍ : فَتَ اللَّهُ عَضْدُكَ ^(١) ،
 وَأَبَانَ يَدَيْكَ ! فَتَزَلَّ إِلَيْهِ فَذَبَحَهُ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَى حَوَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ ،
 وَقَدْ ضُرِبَ قَبْلَ ذَلِكَ بِالسَّيْفِ .

قال أبو مخنف ، عن جعفر بن محمد بن عليّ ، قال : وَجِدُ الْحُسَيْنِ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قُتِلَ ثَلَاثُ وَثَلَاثُونَ طَعْنَةً وَأَرْبَعُ وَثَلَاثُونَ ضَرْبَةً ؛ قَالَ :
 وَجَعَلَ سِنَانُ بْنُ أَنَسٍ لَا يَدْنُو أَحَدًا مِنَ الْحُسَيْنِ إِلَّا شَدَّ عَلَيْهِ مَخَافَةً أَنْ يُغْلَبَ
 عَلَى رَأْسِهِ ، حَتَّى أَخَذَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ فَدَفَعَهُ إِلَى حَوَلِيِّ ؛ قَالَ : وَسُلِبَ
 الْحُسَيْنُ مَا كَانَ عَلَيْهِ ، فَأُخِذَ سِرَاوِيلُهُ بِحَرْبِ كَعْبٍ ، وَأُخِذَ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ
 قَطِيفَتَهُ - وَكَانَتْ مِنْ خَزْءٍ ، وَكَانَ يُسَمَّى بَعْدُ قَيْسُ قَطِيفَةَ - وَأُخِذَ نَعْلُهُ رَجُلًا
 مِنْ بَنِي أَوْدٍ يُقَالُ لَهُ الْأَسْوَدُ ، وَأُخِذَ سَيْفُهُ رَجُلًا مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ بِنِ دَارِمٍ ،
 فَوَقَعَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ حَبِيبِ بْنِ بُدَيْلٍ ؛ قَالَ : وَمَالَ النَّاسُ عَلَى الْوَرَسِ
 وَالْحُلَلِ وَالْإِبِلِ وَانْتَهَبُوهَا ؛ قَالَ : وَمَالَ النَّاسُ عَلَى نِسَاءِ الْحُسَيْنِ وَثَقَلَهُ وَمَتَاعِهِ ،
 فَأَنَّ كَانَتْ الْمَرْأَةَ لِمَتَنَازِعِ ثَوْبِهَا عَنْ ظَهَرِهَا حَتَّى تُغْلَبَ عَلَيْهِ فَيُذْهَبَ بِهِ مِنْهَا .

قال أبو مخنف : حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَثْعَمِيُّ ، أَنَّ سُؤْدَةَ بْنَ
 ٣٦٧/٢ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْمَطَاعِ كَانَ صُرِعَ فَأُتِخِنَ ، فَوَقَعَ بَيْنَ الْقَتْلِ مُتَخَنِّنًا ،
 فَسَمِعَهُمْ يَقُولُونَ : قُتِلَ الْحُسَيْنُ ، فَوَجَدَ إِفَاقَةً ، فَإِذَا مَعَهُ سَكِّينَ وَقَدْ أَخَذَ
 سَيْفَهُ ، فَقَاتَلَهُمْ بِسَكِّينِهِ سَاعَةً ، ثُمَّ إِنَّهُ قُتِلَ ، قَتَلَهُ عُرْوَةُ بْنُ بَطَارٍ التَّغْلَبِيُّ ،
 وَزَيْدُ بْنُ رُقَادٍ الْجَنْبِيُّ ، وَكَانَ آخِرُ قَتْلِهِ .

قال أبو مخنف : حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ مُسْلِمٍ ،

قال ، انتهيت إلى عليّ بن الحسين بن عليّ الأصغر وهو منبسط على فراش له ، وهو مريض ، وإذا شَمِر بن ذى الجوشن في رَجالة معه يقولون : ألا نقتل هذا ؟ قال : فقلتُ : سبحان الله ! أنقتل الصبيان ! إنما هذا صبيّ ؛ قال : فما زال ذلك دأبى أدفع عنه كلَّ مَنْ جاء حتى جاء عمر بن سعد ، فقال : ألا لا يدخلنَّ بيتَ هؤلاء النسوة أحد ، ولا يتعرّضنَّ لهذا الغلام المريض ، ومَنْ أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه عليهم . قال : فوالله ما ردّ أحد شيئاً ؛ قال : فقال عليّ بن الحسين : جُزيت من رجل خيراً ! فوالله لقد دفع الله عني بمقاتلتك شرّاً ؛ قال : فقال الناس لسنان بن أنس : قتلتَ حسين بن عليّ وابن فاطمة ابنة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قتلتَ أعظمَ العرب خطراً ؛ جاء إلى هؤلاء يريد أن يزيلهم عن ملكهم ، فأنت أمراءك فاطلب ثوابك منهم ، لو أعطوك بيوتَ أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً ؛ فأقبل على فرسه ، وكان شجاعاً شاعراً ، وكانت به لُؤثة ، فأقبل حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ، ثم نادى بأعلى صوته :

أَوْقِرْ رَكابِي فَضَّةً وَذَهَبًا أَنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحِبَّابَا
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا وَخَيْرَهُم إِذْ يُنْسَبُونَ نَسْبَا

فقال عمر بن سعد : أشهد إنك لحجون ما صححتَ قطّ ، أدخلوه عليّ ، فلما أدخل حذّقه بالقضيب ثم قال : يا مجنون ، أتتكلم بهذا الكلام ! أما والله لو سمعتك ابن زياد لضرب عنقك ؛ قال : وأخذ عمر بن سعد عُقْبَةَ بن سِمْعَانَ — وكان مولّى للرّباب بنت امرئ القيس الكلبيّة ، وهى أمّ سَكِينَةَ بنت الحسين — فقال له : ما أنت ؟ قال : أنا عبدٌ مملوك ، فخلّني سبيّله ، فلم ينجُ منهم أحد غيره ، إلا أن المرقع بن ثمامة الأسديّ كان قد نثر نبله وجثا على ركبتيه ، فقاتل ، فجاءه نفر من قومه ، فقالوا له : أنت آمين ، اُخْرُجْ إلينا ، فخرج إليهم ، فلما قدم بهم عمر بن سعد على ابن زياد وأخبره خبره سيّره إلى الزارة . قال : ثمّ إن عمر بن سعد نادى في أصحابه : مَنْ يَسْتَدْبِ للحسين ويوطئه فرسه ؟ فانتدب عشرة : منهم إسحاق بن حسيوة الحضرمي ،

وهو الذى سلب قميصَ الحسين - فبرِص بعدُ - وأحبش بن مرثد بن علقمة ابن سلامة الحضرمي، فأتوا فدايسوا الحسين بخيولهم حتى رَضُوا ظهره وصدره، فبلغني أن أحبش بن مرثد بعد ذلك بزمان أتاه سهمٌ غَرَب^(١)؛ وهو واقف في قتال ففَلَقَ قلبه، فمات؛ قال: فَقُتِلَ من أصحاب الحسين عليه السلام اثنان وسبعون رجلاً، وَدَفِنَ الحسين وأصحابه أهلُ الغاضرية من بني أسد بعد ما قُتِلوا بيوم، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجَرَحِيِّ، فصلَّى عليهم عمر بن سعد ودَفَنَهُمْ؛ قال: وما هو إلا أن قُتِلَ الحسين، فسرَّح برأسه من يومه ذلك مع خَوَلَى بن يزيد وحמיד بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد، فأقبل به خَوَلَى فأراد القصر، فوجد بابَ القصر مُغْلَقًا، فأتى منزله فوضعه تحت إجمانة في منزله، وله امرأتان: امرأة من بني أسد، والأخرى من الحضرميين يقال لها النُّوَّار ابنة مالك بن عقرب، وكانت تلك الليلة ليلة الحضرمية.

قال هشام: فحدثني أبي، عن النُّوَّار بنت مالك، قالت: أقبل خَوَلَى برأس الحسين فوضعه تحت إجمانة في الدار، ثم دخل البيت، فأوى إلى فراشه، فقلت له: ما الخبر؟ ما عندك؟ قال: جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار؛ قالت: فقلت: ويحك - جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم! لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبداً؛ قالت: فقممت من فراشي، فخرجت إلى الدار، فدعا الأسدية فأدخلها إليه، وجلست أنظر، قالت: فوالله ما زلت أنظر إلى نور يَسْطَعُ مثلَ العمود من السماء إلى الإجمانة، ورأيت طيراً بيضاً تُرْفِرُ حولها. قال: فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد، وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد، ثم أمر حميد بن بكير الأحمرى فأذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان، وعلى ابن الحسين مريض.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو زهير العبسي، عن قرّة بن قيس التميمي،

(١) سهم غرب: لا يدري راميّه.

قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صحن ولطمن وجوههن. قال: فاعترضتهن على فرس، فما رأيت منظرًا من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيتُه منهن ذلك [اليوم]، والله لمن أحسن من مهّا يسرين. قال: فما نسيتُ من الأشياء لأنس قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعًا وهي تقول: يا محمداه، يا محمداه! صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، يا محمداه! وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة، تسفّي عليها الصبا. قال: فأبكت والله كل عدو وصديق؛ قال: وقطف رءوس الباقين، فسرح بائنين وسبعين رأسًا مع شمر بن ذى الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزرة بن قيس، فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: دعاني عمر بن سعد فسرّخني إلى أهله لأبشّره بفتح الله عليه وبعاثيته، فأقبلتُ حتى أتيتُ أهله، فأعلمتهم ذلك، ثم أقبلتُ حتى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس، وأجد الوفد قد قدموا عليه؛ فأدخلهم، وأذن للناس، فدخلتُ فيمن دخل، فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه، وإذا هو ينكتُ بقضيب بين ثيبيه ساعة، فلما رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب، قال له: اعلُ بهذا القضيب عن هاتين الثيبتين، فوالذي لا إله غيره لقد رأيتُ شفّيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم انفضخ الشيخ يبكي؛ فقال له ابن زياد: أبكتي الله عينيك! فوالله لولا أنك شيخ قد خرفتُ وذهب عقلك لضربتُ عنقك؛ قال: فنهض فخرج، فلما خرج سمعتُ الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتلته؛ قال: فقلت: ما قال؟ قالوا: مرت بنا وهو يقول: ملّك عبدٌ عبدًا، فاتخذهم تلدًا؛ أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمرتم ابن مُرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، فرضيتُم بالذلّ، فبعداً لمن رضى بالذلّ!

قال : فلما دُخل برأس حسين وصبياناه وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبست زينب ابنة فاطمة أُرذل^(١) ثيابها ، وتَنَكَّرت ، وحفَّت بها إماموها ، فلما دخلت جلست ، فقال عبيد الله بن زياد : مَنْ هذه الجالسة ؟ فلم تكلِّمْه ؛ فقال ذلك ثلاثا ، كلّ ذلك لا تكلِّمْه ، فقال بعض إمامها : هذه زينب ابنة فاطمة ؛ قال : فقال لها عبيد الله : الحمد لله الذى فضّحككم وقتلكم وأكذبَ أحدُ وثقتكم ! فقالت : الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وطهرنا تطهيراً ، لا كما تقول أنت ، إنما يفتضح الفاسق ، ويكذب الفاجر ؛ قال : فكيف رأيت صنعَ الله بأهل بيتك ! قالت : كُتِبَ عليهم القتل ، فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم ، فتحتاجون إليه ، وتخاصمون عنده ؛ قال : فغضب ابن زياد واستشاط ؛ قال : فقال له عمرو ابن حريث : أصْلَحَ الله الأمير ! إنما هى امرأة ، وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها ! إنها لا تؤاخذ بقول ، ولا تُلام على خطئ ، فقال لها ابن زياد : قد أشنى الله نفسى من طاغيتك ، والعصاة المردة من أهل بيتك ؛ قال : فبكّت ثم قالت : لعمري لقد قتلت كَهْلى ، وأُبرّت^(٢) أهلى ، وقطعت فرعى ، واجتثت أصلى ، فإن يَشْفِكَ هذا فقد اشتفيت ، فقال لها عبيد الله : هذه شجاعة ، قد لعمري كان أبوك شاعراً شجاعاً ؛ قالت : ما للمرأة والشجاعة ! إن لى عن الشجاعة لشُغلاً ، ولكن^(٣) نَفْسِي ما أقول .

قال أبو مخنف ، عن المجالد بن سعيد : إن عبيد الله بن زياد لما نظر إلى على بن الحسين قال لشرطى : انظر هل أدرك ما يدرك الرجال ؟ فكشط لإزاره عنه ، فقال : نعم ، قال انطلقوا به فاضربوا عنقه ، فقال له على : إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهن رجلاً يحافظ عليهن ، فقال له ابن زياد : تعال أنت ، فبعثه معهن .

قال أبو مخنف : وأما سليمان بن أبى راشد ، فحدثني عن حميد بن مسلم

(١) أُرذل الثياب : الردى منها .

(٢) ابن الأثير : « وأُبرزت » .

(٣) ط : « ولكنى » .

قال : إئتني لقائم عند ابن زياد حين عُرِضَ عليه عليّ بن الحسين فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا عليّ بن الحسين ، قال : أو لم يقتل الله عليّ بن الحسين ! فسكت ، فقال له ابن زياد : ما لك لا تتكلم ! قال : قد كان لي أخ يقال له أيضاً عليّ ، فقتله الناس ، قال : إن الله قد قتله ، قال : فسكت عليّ ، فقال له : ما لك لا تتكلم ! قال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ ^(١) ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ، قال : أنت والله منهم ، ويحك ! انظروا هل أدرك؟ والله إئتني لأحسبه رجلاً ؛ قال : فكشف عنه مريّ بن معاذ الأحمرى ، فقال : نعم قد أدرك ؛ فقال : اقتله ؛ فقال عليّ بن الحسين : من توكّل بهؤلاء النسوة ؟ وتعلقت به زينب عمته فقالت : يا ابن زياد ، حسبك منا ، أما رويت من دماننا ! وهل أبقيت منا أحداً ! قال : فاعتنقته فقالت : أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لما قتلتهني معه ! قال : وناداه عليّ فقال : يا ابن زياد ، إن كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلاً تقيّاً يصحبهن بصحبة الإسلام ؛ قال : فنظر إليها ساعة ، ثم نظر إلى القوم فقال : عجباً للرحيم ! والله إئتني لأظنها ودّت لو أتت قتلته أتي قتلتهأ معها ؛ دعوا الغلام ، انطلق مع نسائك .

٢٧٣/٢

قال حميد بن مسلم : لما دخل عبيد الله القصر ودخل الناس ، نودى : الصلاة جامعة ! فاجتمع الناس في المسجد الأعظم ، فصعد المنبر ابن زياد فقال : الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه ، وقتل الكذاب ابن الكذاب ، الحسين بن عليّ وشيعته ؛ فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزديّ ثم الغامديّ ، ثم أحد بني والبة — وكان من شيعة عليّ كرم الله وجهه ، وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الحمل مع عليّ ، فلما كان يوم صيفين ضرب على رأسه ضربة ، وأخرى على حاجبه ، فذهبت عينه الأخرى ، فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلّي فيه إلى الليل ثم ينصرف — قال : فلما سمع مقالة ابن زياد ، قال :

٣٧٤/٢

(١) سورة الزمر: ٤٢ .

(٢) سورة آل عمران: ٤٥ .

يابن مَرَجَانة ، إِنَّ الكَذَّابَ ابْنَ الكَذَّابِ أَنْتَ وَأَبوكَ والذي وَلَّاكَ وأبوه ،
 يابن مرجانة ، أَتَقْتُلُونَ أَبْنَاءَ النَّبِيِّينَ ، وَتَسْكَلُمُونَ بِكَلَامِ الصِّدِّيقِينَ ! فقال ابن
 زياد : عَلَىَّ بِهِ ؛ قال : فَوُثِبَتْ عَلَيْهِ الْجَلَاوِزَةُ فَأَخَذُوهُ ^(١) ؛ قال : فنادى
 بشعار الأزد : يَا مَبْرُور — قال : وعبد الرحمن بن مخنف الأزدى جالس — فقال :
 وَيْحَ غَيْرِكَ ! أَهْلَكَتَ نَفْسَكَ ، وَأَهْلَكَتَ قَوْمَكَ ، قال : وحاضر الكوفة يومئذ
 من الأزد سبعمائة مقاتل ؛ قال : فوُثِبَ إِلَيْهِ فَنِيَّةٌ مِنْ الْأَزْدِ فَانْتَزَعُوهُ فَأَتَوْا بِهِ
 أَهْلَهُ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ مِنْ أَتَاهِ بِهِ ، فَقَتَلَتْهُ وَأَمَرَ بِصُلْبِهِ فِي السَّبِيخَةِ ^(٢) ، فَصُلِبَ
 هُنَاكَ .

قال أبو مخنف : ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ نَصَبَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ بِالْكُوفَةِ ،
 فَجَعَلَ يُدَارُ بِهِ فِي الْكُوفَةِ ، ثُمَّ دَعَا زَحْرَ بْنَ قَيْسٍ فَسَرَّحَ مَعَهُ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ
 وَرَعُوسَ أَصْحَابِهِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَكَانَ مَعَ زَحْرَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَوْفٍ
 الْأَزْدِيُّ وَطَارِقُ بْنُ أَبِي ظَهَّيَّانِ الْأَزْدِيُّ ، فَخَرَجُوا حَتَّى قَدَمُوا بِهَا الشَّامَ عَلَى
 يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ .

قال هشام : فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ رَوْحَ بْنِ زَنْبَاعٍ الْجُدَامِيُّ ،
 عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الْغَازِ بْنِ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيِّ ؛ مِنْ حَمِيرٍ ، قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّا لَعِنْدَ يَزِيدَ
 ابْنِ مَعَاوِيَةَ بِدِمَشْقَ إِذْ أَقْبَلَ زَحْرَ بْنَ قَيْسٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ،
 فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : وَيْلَكَ ! مَا وَرَاعَكَ ؟ وَمَا عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ : أَبْشُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 بِفَتْحِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ ، وَرَدَّ عَلَيْنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي ثَمَانِيَةِ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ
 وَسِتِّينَ مِنْ شِيعَتِهِ ، فَسَأَلْنَاهُمْ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا وَيَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ الْأَمِيرِ
 عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ أَوْ الْقِتَالِ ؛ فَاخْتَارُوا الْقِتَالَ عَلَى الْإِسْتِسْلَامِ ، فَعَدُّنَا عَلَيْهِمْ
 مَعَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، فَأَحْطَنَّا بِهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ السِّيُوفُ
 مَأْخِذَهَا مِنْ هَامِ الْقَوْمِ ، يَهْرَبُونَ إِلَى غَيْرِ وَزَرٍ ، وَيَلُودُونَ مِنَّا بِالْآكَامِ وَالْخَفَرِ ،
 لَوْأَذَّا كَمَا لَاذِ الْحَمَّائِمُ مِنْ صَقَرٍ ، فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ إِلَّا جَزْرٌ

٣٧٥/٢

(١) الجلاوز : الشرطي ؛ وجمعه جلاويزة .

(٢) ابن الأثير : « المسجد » .

جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادهم مجردة ،
وثيابهم مرملة^(١) ، وخذودهم معفرة ، تصهرهم الشمس ، وتسنى عليهم
الريح ، زوارهم العقبان والرخم بقى سبب^(٢) . قال : فدمعت عين
يزيد ، وقال : قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن
سُميئة ! أما والله لو أتى صاحبه لعفوت عنه ، فرحم الله الحسين ! ولم يصله
بشيء .

قال : ثم إن عبيد الله أمر بنساء الحسين وصبياناه فجهزن ، وأمر بعل
ابن الحسين فغُلَّ بغل إلى عنقه ، ثم سرح بهم مع مُحَفِّز بن ثعلبة العائذي ،
عائذة قريش ومع شمر بن ذى الجوشن ، فانطلقا بهم حتى قدموا على يزيد ،
فلم يكن على بن الحسين يكلم أحداً منهما في الطريق كلمة حتى بلغوا ، فلما
انتهوا إلى باب يزيد رفع مُحَفِّز بن ثعلبة صوته ، فقال : هذا مُحَفِّز بن ثعلبة أتى
أمير المؤمنين باللثام الفجرة ، قال : فأجابه يزيد بن معاوية : ما ولدت أم
مُحَفِّز شرُّ وألأم .

قال أبو مخنف : حدثني الصقعب بن زهير ، عن القاسم بن عبد الرحمن
مولى يزيد بن معاوية ، قال : لما وُضعت الرؤوس بين يدي يزيد - رأس الحسين
وأهل بيته وأصحابه - قال يزيد :

يُفْلَقْنَ هَاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلماً^(٣)
أما والله يا حسين ، لو أنا صاحبك ما قتلتك .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جعفر العباسي ، عن أبي عمارة العباسي ، قال :
فقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم :

لهامٌ بجَنبِ الطَّفِّ أذنى قرابةً من ابن زياد العبد ذى الحسب الوغل
سُميئة أمسى نسلها عدد الحصى وبنتُ رسول الله ليس لها نسل

(١) مرملة : أى ملطخة بالدم .

(٢) القى ، من القواء ، وهى الأرض القفر الخالية . والسبب : المغازة .

(٣) الحسين بن همام ، من المفضلية ١٢ .

قال : فضرب يزيدُ بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم وقال : اسكت .

قال : ولما جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله ، ثم دعا بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه ، فأدخلوا عليه والناس ينظرون ، فقال يزيد لعلي : يا علي ، أبوك الذي قطع رحمي ، وجهل حقي ، ونازعني سلطاني ، فصنع الله به ما قد رأيت ! قال : فقال علي : ٣٧٧/٢

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ ^(١) ، فقال يزيد لابنه خالد : ارد عليه ؛ قال : فما درى خالد ما يرد عليه ؛ فقال له يزيد : قل : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ ^(٢) ، ثم سككت عنه ؛ قال : ثم دعا بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه ، فرأى هيئة قبيحة ، فقال : قبح الله ابن مَرَجَانة ! لو كانت بينه وبينكم رحم أو قرابة ما فعل هذا بكم ، ولا بعث بكم هكذا .

قال أبو مخنف ، عن الحارث بن كعب ، عن فاطمة بنت علي ، قالت : لما أجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رقى لنا ، وأمر لنا بشيء ، وألطفنا ؛ قالت : ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي هذه - يعني ، وكنت جارية وضيئة - فأرعدت وفرقت ، وظننت أن ذلك جائز لهم ، وأخذت بثياب أختي زينب ؛ قالت : وكانت أختي زينب أكبر مني وأعقل ، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون ، فقالت : كذبت والله ولؤمت ! ما ذلك لك وله ^(٣) ، فغضب يزيد ، فقال : كذبت والله ، إن ذلك لي ، ولو شئت أن أفعله لفعلت ؛ قالت : كلا والله ، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا ، وتدين بغير ديننا ؛ قالت : فغضب يزيد واستطار ، ثم قال : إياي تستقبلين بهذا ! إنما خرج من الدين أبوك

(١) سورة الحديد: ٢٢ .

(٢) سورة الشورى: ٣٠ .

(٣) ابن الأثير : « ولا له » .

٣٧٨/٢

وأخوك ؛ فقالت زينب : بدين الله ودين أبي ودين أخى وجدى اهتديت أنت وأبوك وجدك ، قال : كذبت يا عدوة الله ؛ قالت : أنت أمير مسلط ، تشتم ظالماً ، وتقهر بسطانك ؛ قالت : فوالله لكأنه استحيا ؛ فسكت ، ثم عاد الشأى فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لى هذه الجارية ؛ قال : اعزب ؛ وهب الله لك حتفاً قاضياً ؛ قالت : ثم قال يزيد بن معاوية : يا نعمان بن بشير ، جهزهم بما يصلحهم ، وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً ، وابعث معه خيلاً وأعواناً فيسير بهم إلى المدينة ، ثم أمر بالنسوة أن ينزلن فى دار على حدة ، معهن ما يصلحهن ، وأخوهن معهن على بن الحسين ، فى الدار التى هن فيها . قال : فخرجن حتى دخلن دار يزيد فلم تبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكى وتنوح على الحسين ، فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً ، وكان يزيد لا يتعدى ولا يتعشى إلا دعا على بن الحسين إليه ؛ قال : فدعاه ذات يوم ، ودعا عمر بن الحسن بن على ^(١) وهو غلام صغير ، فقال لعمر بن الحسن : أتقاتل هذا الفتى ؟ يعنى خالد ابنه ، قال : لا ، ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً ، ثم أقاتله ، فقال له يزيد ؛ وأخذه فضمه إليه ثم قال : « شيشنة أعرفها من أخزم » ؛ هل تكلد الحية إلا حية ؛ قال : ولما أرادوا أن يخرجوا دعا يزيد على بن الحسين ثم قال : لعن الله ابن مرجانة ، أما والله لو أنى صاحبه ما سألنى خصلة أبداً إلا أعطيتها إياه ، ولدفعت الحنف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدى ، ولكن الله قضى ما رأيت ، كاتبتى وأنه كل حاجة تكون لك ؛ قال : وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول ؛ قال : فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه ، فإذا نزلوا تنحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم ، وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يحتشم ، فلم يزل ينازلهم فى الطريق هكذا ، ويسألهم عن حوائجهم ، ويلطفهم حتى دخلوا المدينة . وقال الحارث بن كعب : فقالت لى فاطمة بنت على : قلت لأختى زينب : يا أختية ، لقد أحسن هذا الرجل الشأى إلينا فى صحبتنا ، فهل لك أن نصليه ؟ فقالت : والله ما معنا شئ نصليه به إلا حليتنا ؛ قالت

٣٧٩/٢

(١) ط : « عمرو بن الحسن » ، وانظر الفهرس .

لها : فنعطيه حُلَيْنًا ؛ قالت : فأخذتُ سِوَارِي وَدُمْلُجِي ^(١) وأخذتُ أنْحِي سِوَارَهَا وَدُمْلُجَهَا ، فبعثنا بذلك إليه ، واعتذرنا إليه ، وقلنا له : هذا جزاؤك بصحبتك إيتانا بالحسن من الفعل ؛ قال : فقال : لو كان الذي صنعتُ إنما هو للدنيا كان في حُلَيْكُنَّ ما يرضيني ودونَه ، ولكنَّ والله ما فعلتُه إلا لله ، ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال هشام : وأما عَوَانَةُ بن الحَكَمِ الكلبي فإنه قال : لما قُتِلَ الحسين وجرىء بالأنقال والأسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عُبَيْدِ الله ، فبينما القومُ محتبسون ^(٢) إذ وقع حجرٌ في السجن ، معه كتابٌ مربوط ، وفي الكتاب خرج البريد بأمرهم في يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية ، وهو سائر كذا وكذا يوماً ، وراجع في كذا وكذا ، فإن سمعتم التكبيرَ فأيقنوا بالقتل ، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله ؛ قال : فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد أُلْقِيَ في السجن ، ومعه كتابٌ مربوط ومُسَوًى ، وفي الكتاب : أوصوا وعاهدوا فلنما يُنتظر البريد يوم كذا وكذا . فجاء البريد ولم يُسمع التكبير ، وجاء كتاب بأن سرح الأسارى إلى . قال : فدعا عبيدالله ابن زياد محفز بن ثعلبة وشمر بن ذى الجوشن ، فقال : انطلقوا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ؛ قال : فخرجوا حتى قدموا على يزيد ، فقام مُحَفِّزُ بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته : جئنا برأس أحمقٍ الناس والأُمِهم ؛ فقال يزيد : ما ولدتُ أمَّ مُحَفِّزِ أَلَامٍ وَأحمقُ ، ولكنه قاطعٌ ظالم ؛ قال : فلما نظر يزيد إلى رأس الحسين ، قال :

يفلّقن هاماً من رجالٍ أعزّةً علينا وهم كانوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

ثم قال : أتدرون من أين أُنْتِى هذا ؟ قال : أبى على خيرٍ من أبيه ، وأمّى فاطمة خيرٍ من أمه ، وجدّى رسولُ الله خيرٌ من جدّه ، وأنا خيرٌ منه وأحقّ

(١) الدملج : ما يوضع على العضد من الحلّ .

(٢) ابن الأثير : « في الحبس » .

بهذا الأمر منه ؛ فأما قوله : «أبوه خيرٌ من أبي» ، فقد حاجَ أبي أباه ، وعلم الناسُ أيُّهما حكيمٌ له ؛ وأما قوله : «أمي خيرٌ من أمتي» ، فلعمري فاطمةُ ابنةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم خيرٌ من أمي ؛ وأما قوله : «جدتي خيرٌ من جدتي» ، فلعمري ما أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر يَرى لرسولِ الله فينا عيداً ولا نيداً ، ولكنه إنما أتى من قبلِ فقهه ، ولم يقرأ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) . ثم أدخل نساء الحسين على يزيد ، فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولكن . ثم إنهن أدخلن على يزيد ، فقالت فاطمة بنت الحسين — وكانت أكبر من سَكينة : «أبنات رسول الله سبايا يا يزيد ! فقال يزيد : يا ابنة أخي ، أنا لهذا كنت أكره ؛ قالت : والله ما ترك لنا خُرُص» (٢) ، قال : يا ابنة أخي ما آت إليك أعظم مما أخذ منك ، ثم أخرجنا فدخلنا دارَ يزيد بن معاوية ، فلم تبق امرأةٌ من آل يزيد إلا أتتهن ، وأقمن المأتم ، وأرسل يزيد إلى كل امرأة : ماذا أخذ لك ؟ وليس منهن امرأة تدعى شيئاً بالغاً ما بلغ إلا قد أضعفه لها ، فكانت سَكينة تقول : ما رأيت رجلاً كافراً بالله خيراً من يزيد ابن معاوية . ثم أدخل الأسارى إليه وفيهم عليُّ بن الحسين ، فقال له يزيد : إيه يا علي ! فقال علي : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » . لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٣) فقال يزيد : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٤) ثم جهزه وأعطاه مالا ، وصرَّحه إلى المدينة .

٢٨١/٢

٢٨٢/٢

(١) سورة آل عمران: ٢٦ .

(٢) الخرص : حلقة القروط .

(٣) سورة الحديد: ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) سورة الشورى: ٣٠ .

قال هشام، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو حمزة الثُمَالِيُّ، عن عبد الله الثُمَالِيِّ، عن القاسم بن بُخَيْتٍ، قال: لما أقبل وفدُ أهلِ الكوفةِ برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق، فقال لهم مروان بن الحكم: كيف صنعتُم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً، فأتينَا والله على آخرهم، وهذه الرعوس والسَّبايا، فوثب مروان فانصرف، وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم، فقال: ما صنعتُم؟ فأعادوا عليه الكلام، فقال: حُجِيتُم عن محمد يوم القيامة؛ لن أجامعكم على^(١) أمر أبداً ثم قام فانصرف، ودخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه، وحدثوه الحديث. قال: فسمعتُ دَوْرَ الحديثِ هند بنت عبد الله ابن عامر بن كُرَيْزٍ - وكانت تحت يزيد بن معاوية - فتفتنَّتْ بثوبها، وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين، رأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله! قال: نعم فأعولِي عليه، وحدثني على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرِيحة قريش؛ عجلَ عليه ابن زياد فقتله قَتَلَهُ اللهُ! ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه، ومع يزيد قضيبٌ فهو يَنكُتُ به في ثغره، ثم قال: إن هذا وإيتانا كما قال الحصين بن الحُمام المُرِّي:

بفلقن هاماً من رجالٍ أحبةٍ إلينا وهم كانوا أعقَّ وأظلمَا

قال: فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له أبو برزة الأسلمي: أنتكيت بقضيبك في ثغر الحسين! أما لقد أخذت قضيبك من ثغره مأخذاً، لربما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشِفُه، أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيحك، ويحيى هذا يوم القيامة ومحمد صلى الله عليه وسلم شفيعه؛ ثم قام فوَلَّى.

قال هشام: حدثني عَوَّانة بن الحكم، قال: لما قَتَلَ عبيدُ الله بن زياد الحسين بن عليّ وجيء برأسه إليه، دعا عبد الملك بن أبي الحارث السُّلَمِيُّ فقال: انطلق حتى تقدم المدينة على عمرو بن سعيد بن العاص فبشره بقتل الحسين - وكان عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة يومئذ - قال: فذهب

ليعتلّ له ، فزجره - وكان عبيد الله لا يُصطَلَى بناؤه - فقال : انطلق حتى تأتّى المدينة ، ولا يسبقك الخبر ؛ وأعطاه دنانير ، وقال : لا تعتلّ ، وإن قامت بك راحلتك فاشتر راحلة ؛ قال عبد الملك : فقدمتُ المدينة ، فلقيتُ رجل من قريش ، فقال : ما الخبر ؟ فقلت : الخبر عند الأمير ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قُتِلَ الحسين بن عليّ ؛ فدخلتُ على عمرو بن سعيد فقال : ما وراءك ؟ فقلت : ما سرّ الأمير ، قُتِلَ الحسين بن عليّ ؛ فقال : نادِ بقتله ، فناديّت بقتله ، فلم أسمع والله واعيّة قط^(١) مثل واعيّة نساء بني هاشم في دورهنّ على الحسين ، فقال عمرو بن سعيد وضحك :

عجّت نساء بني زياد عجةً كعجيج نسوتنا غداة الأرنب^(٢) ٢٨٤/٢

والأرنب : وقعةٌ كانت لبني زُبَيْد على بني زياد من بني الحارث بن كعب ، من رهط عبد المدان ، وهذا البيت لعَمرو بن معديكرب ، ثم قال عمرو : هذه واعيّة بواعية عثمان بن عفّان ، ثم صعد المنبر فأعلّم الناس قتله .

قال هشام ، عن أبي مخنف ، عن سليمان بن أبي راشد ، عن عبد الرحمن ابن عبيد أبي الكسود ، قال : لما بلغ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب مقتل ابنه مع الحسين ، دخل عليه بعض مواله والناس يعزّونه - قال : ولا أظنّ مولاه ذلك إلا أبا السّلاس - فقال : هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين ! قال : فسحذّفه عبدُ الله بن جعفر بنعله ، ثم قال : يا بن اللّخناء ، أللّحسين تقول هذا ! والله لو شهدته لأحببتُ ألا أفارقهُ حتى أقتلَ معه ، والله إنه لما يسخّي بنفسى عنهما ، ويهون عليّ المصابَ بهما ، أنهما أصيبا مع أخي وابن عمّي مواسيين له ، صابرين معه . ثم أقبل على جلسائه فقال : الحمد لله عزّ وجلّ على مصراع الحسين ، إلا تكن آستُ حسينا يدي ، فقد آساه وكدى . قال : ولمّا أتى أهل المدينة مقتلُ الحسين خرجتُ ابنة عتّيل بن أبي طالب ومعها نساؤها وهي حاسرة تلوى بثوبها وهي تقول :

(١) الواعيّة : التي تصرخ على الميت .

(٢) اللسان ١ : ٤١٩ ، ونسبه إلى عمرو بن معديكرب ، وروايته : « بنى زبيد » .

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ
بِعِزَّتِي وَبِأَهْلِي بَعْدَ مُفْتَقِدِي مِنْهُمْ أَسَارَى وَمِنْهُمْ ضُرَّجُوا بِدَمٍ ! ٢/٣٨٥

قال هشام : عن عوانة ، قال : قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد بعد قتله الحسين : يا عمر ، أين الكتاب الذي كتبتُ به إليك في قتل الحسين ؟ قال : مضيتُ لأمرِك وضاع الكتاب ؛ قال : لتجيئن به ؛ قال : ضاع ؛ قال : والله لتجيئنني به ؛ قال : تُرك والله يُقرأ على عجائزِ قريش اعتذاراً إليهنَّ بالمدينة ، أمّا والله لقد نصحتك في حسين نصيحةً لو نصحتُها أبي سعد ابن أبي وقاص كنت قد أدّيت حقه ، قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله : صدق والله ، لو ددتُ أنه ليس من بني زياد رجلٌ إلا وفي أنفه خِزامةٌ إلى يوم القيامة وأنَّ حسيناً لم يُقتل ؛ قال : فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله .

قال هشام : حدثني بعض أصحابنا ، عن عمرو بن أبي المقدام ، قال : حدثني عمرو بن عكرمة ، قال : أصبحنا صبيحةً قتل الحسين بالمدينة ، فإذا مولى لنا يحدثنا ، قال : سمعتُ البارحة منادياً ينادى وهو يقول :

أَيُّهَا الْقَاتِلُونَ جَهْلًا حُسَيْنًا أَبْشِرُوا بِالْعَذَابِ وَالتَّنْكِيلِ

كُلُّ أَهْلِ السَّمَاءِ يَدْعُو عَلَيْكُمْ مِنْ نَبِيٍّ وَمَلَكٍ وَقَبِيلٍ ^(١)

قَدْ لُعِنْتُمْ عَلَى لِسَانِ ابْنِ دَاوُدَ وَمُوسَى وَحَامِلِ الْإِنْجِيلِ ^(٢)

قال هشام : حدثني عمر بن حيزوم الكلبي ، عن أبيه ، قال : سمعتُ هذا الصوت .

* * *

ذَكَرَ أَسْمَاءُ مَنْ قُتِلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَعَدَدَ مَنْ قُتِلَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي قَاتَلَتْهُ

قال هشام : قال أبو مخنف : ولما قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ جِيءَ ٢/٣٨٦

(١) ط : « وملك وقبيل » .

(٢) ابن الأثير : « وصاحب الإنجيل » .

برعوس مَن قتل معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره إلى عبيد الله بن زياد ، فجاءت كِنْدَةَ بثلاثة عشر رأساً ، وصاحبهم قيس بن الأشعث ، وجاءت هَوَازِنُ بعشرين رأساً وصاحبهم شَمْر بن ذى الجوشن ، وجاءت نَمِيمُ بسبعة عشر رأساً ، وجاءت بنو أسد بستة أرؤس ، وجاءت مَذْحِجُ بسبعة أرؤس ، وجاء سائرُ الجيش بسبعة أرؤس ، فذلك سبعون رأساً .

قال : وقُتِلَ الحسين — وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم — قَتَلَهُ سنان بن أنس النَّخَعِيّ ثم الأَصْبَحِيّ وجاء برأسه خَوَلِيّ بن يزيد ، وقُتِلَ العباس بن عليّ بن أبي طالب — وأمه أمّ البنين ابنة حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد ، قتله زيد بن رُقَاد الجَنْبِيّ^(١) — وحكيم بن الطفيل السَّنْبِيسِيّ ، وقُتِلَ جعفر بن عليّ بن أبي طالب — وأمه أمّ البنين أيضاً — وقُتِلَ عبد الله بن عليّ ابن أبي طالب — وأمه أمّ البنين أيضاً — وقُتِلَ عُثْمَان بن عليّ بن أبي طالب — وأمه أمّ البنين أيضاً — رماه خَوَلِيّ بن يزيدَ بسهم فقتله ، وقُتِلَ محمد بن عليّ بن أبي طالب — وأمه أم ولد — قتله رجل من بني أبان بن دارم ، وقُتِلَ أبو بكر بن عليّ بن أبي طالب — وأمه ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن ربِيع بن سُلَمَى بن جندل بن نَهْشَل بن دارم ، وقد شُكِّ في قتله — وقُتِلَ عليّ ابن الحسين بن عليّ — وأمه ليلى ابنة أبي مرّة بن عروة بن مسعود بن معتب الثقفي ، وأما ميمونة ابنة أبي سفيان بن حرب — قتله مرّة بن مُنْقِذ بن النعمان العبديّ ، وقُتِلَ عبد الله بن الحسين بن عليّ — وأمه الرّباب ابنة امرئ القيس ابن عدى بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم من كُلب — قتله هانيّ ابن ثُبَيْت الحضرميّ ، واستصغِر عليّ بن الحسين بن عليّ فلم يُقْتَل ، وقُتِلَ أبو بكر بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب — وأمه أم ولد — قتله عبدُ الله بن عقبة الغَسَوِيّ^(٢) ، وقُتِلَ عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب — وأمه أم ولد — قتله حرملة بن الكاهن ، رماه بسهم ؛ وقُتِلَ القاسم بن الحسن بن عليّ — وأمه أم ولد — قتله سعد بن عمرو بن نُفَيْل الأزديّ ، وقُتِلَ عون بن عبد الله

٢٨٧/٢

(١) ابن الأثير : « زيد بن داود » .

(٢) في ابن الأثير : « قتله حرملة الكاهن » .

ابن جعفر^(١) بن أبي طالب - وأمه جمانة ابنة المسيب بن نَجْبة بن ربيعة بن رباح من بني فزارة - قتله عبد الله بن قُطَيْبَةَ الطائي ثم التَّبَهاني ، وقتل محمد ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - وأمه الخوصاء ابنة خَصْفَةَ بن ثقيف بن ربيعة بن عائذ بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل - قَتَلَهُ عامر ابن نَهْشَل التيمي ، وقتل جعفر بن عقيل بن أبي طالب - وأمه أم البنين ابنة الشقر بن الهضاب - قتله بشر بن حَوْط^(٢) الهمداني ، وقتل عبد الرحمن ابن عَقِيل - وأمه أم ولد - قتله عُمَان بن خالد بن أسير الجُهني ، وقتل عبد الله بن عقيل بن أبي طالب - وأمه أم ولد - رماه عمرو بن صُبَيْح الصدائي^(٣) فقتله ؛ وقتل مسلم بن عَقِيل بن أبي طالب - وأمه أم ولد ، وُلِدَ بالكوفة - وقتل عبد الله بن مسلم بن عَقِيل بن أبي طالب - وأمه رُقَيْة ابنة علي بن أبي طالب وأُمها أم ولد - قتله عمرو بن صُبَيْح الصدائي ؛ وقيل : قتله أسيد بن مالك الحضرمي ، وقتل محمد بن أبي سعيد بن عقيل - وأمه أم ولد - قتله لقيط بن ياسر الجُهني ، واستُصغِر الحسن بن الحسن بن علي ، وأمه خولة ابنة منظور بن زَبَان بن سيار الفَزَارِي ، واستصغر عمر بن الحسن بن علي فترك فلم يُقتل - وأمه أم ولد - وقتل من الموالى سليمان مولى الحسين بن علي ، قتله سليمان بن عوف الحضرمي ، وقتل مُنَجِّح مولى الحسين بن علي ، وقتل عبد الله بن بَقَطْر رضيع الحسين بن علي .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي ، أن عبيد الله ابن زياد بعد قتل الحسين تفقّد أشراف أهل الكوفة ، فلم ير عبيد الله بن الحر ، ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه ، فقال : أين كنت يا ابن الحر ؟ قال : كنت مريضاً ؛ قال : مريض القلب ، أو مريض البدن ! قال : أما قلبي فلم يمرض ، وأما بدني فقد منّ الله عليّ بالعافية ، فقال له ابن زياد : كذبت ؛ ولكنك كنت مع عدونا ؛ قال : لو كنت مع عدوك لرئيت مكاني ، وما كان مثل مكاني يخفّي ؛ قال : وغفل عنه ابن زياد غفلةً ، فخرج ابن الحر فقعده

(١) ابن الأثير : « وقتل عون بن أبي جعفر » .

(٢) ويقال « بشر بن حوط » ، وانظر ص ٤٤٧ س ٩

(٣) ابن الأثير : « الصيداوي » .

على فرسه ، فقال ابن زياد : أين ابن الحرّ ؟ قالوا : خرج الساعة ؛ قال :
على به ؛ فأحضرت الشرط فقالوا له : أجب الأمير ؛ فدفع فرسه ثم قال :
أبلغوه أنّي لا آتيه والله طائعاً أبداً ؛ ثم خرج حتى أتى منزل أحمر بن زياد
الطائي فاجتمع إليه في منزله أصحابه ، ثم خرج حتى أتى كربلاء فنظر
إلى مصارع القوم ، فاستغفر لهم هو وأصحابه ، ثم مضى حتى نزل المدائن ،
وقال في ذلك :

٣٨٩/٢

يقولُ أميرُ غادرٍ حقّ غادرٍ :
فيا ندى ألا أكون نصرته
وإنّي لأنّي لم أكن من حمّاه
سقى الله أرواح الذين تآزروا
وقفتُ على أجداثهم ومجالهم
لعمري لقد كانوا مصاليب في الوغى
تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم
فإن يقتلوا فكل نفس تقيّة
وما إن رأى الرّائون أفضل منهم
أقتلهم ظلماً وترجو وداذنا
لعمري لقد راغمتمونا بقتلهم
أهمّ مراراً أن أسير بجحفل
فكفوا وإلاّ ذذتكم في كتائب

ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة !
ألا كل نفس لا تسدّد نادمة
لذو حسرة ما إن تفارق لازمه
على نصره سقياً من الغيث دأمة
فكاد الحشاً ينفض والعين ساجمه
سراعاً إلى الهيجا حمة خصارمة
بأسافهم آساد غيل ضراغمة
على الأرض قد أضحت لذلك واجمة
لدى الموت سادات وزهراً قماقمة
فدع خطّة ليست لنا بلائمة !
فكم ناقيم منّا عليكم وناقمة
إلى فئة زاغت عن الحق ظالمة
أشدّ عليكم من زحوف الديالمة

٣٩٠/٢

[ذكر خبر مقتل مرداس بن عمرو بن حدير]

وفي هذه السنة قتل أبو بلال مرداس بن عمرو بن حدير ، من ربيعة بن
حنظلة .

* ذكر سبب مقتله :

قال أبو جعفر الطبري : قد تقدّم ذكر سبب خروجه ، وما كان من توجيه عبيد الله بن زياد إليه أسلم بن زُرعة الكلابي في ألقى رجل ، والتقاءهم بأسك وهزيمة أسلم وجيشه منه ومن أصحابه فيما مضى من كتابنا هذا .
ولما هزم مرداس أبو بلال أسلم بن زُرعة ، وبلغ عبيد الله بن زياد ، سرح إليه - فيما حدثت عن هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو المخارق الراسبي - ثلاثة آلاف ، عليهم عباد بن الأخضر التميمي ، فأتبعه عباد يطلبه حتى لحقه بتوَج ، فصَفَّ له ، فحمل عليهم أبو بلال وأصحابه ، فقتلوا . وتعطف الناس عليهم فلم يكونوا شيئاً . وقال أبو بلال لأصحابه : مَنْ كان منكم إنما خرج للعزة فليذهب ، ومن كان منكم إنما أراد الآخرة ولقاء ربه فقد سبق ذلك إليه ، وقرأ : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ ﴾ ^(١) ، فنزل ونزل أصحابه معه لم يفارقه منهم إنسان ، فقتلوا من عند آخرهم ، ورجع عباد بن الأخضر ، وذلك الجيش الذي كان معه إلى البصرة ، وأقبل عبيدة بن هلال معه ثلاثة نفر هو رابعهم ، فرصد عباد بن الأخضر ، فأقبل يريد قصر الإمارة وهو مردف ابناً له غلاماً ، صغيراً ، فقالوا : يا عبد الله ، قف حتى نستفتيك ؛ فوقف ، فقالوا : نحن إخوة أربعة ، قُتِلَ أخونا ، فما تَرَى ؟ قال : استَعِدُّوا الأمير ، قالوا : قد استعدينا فلم يُعَدِّنا . قال : فاقتلوه ، قتل الله ! فوثبوا عليه فحكّموا ، وألقى ابنه فقتلوه .

* * *

[ذكر خبر ولاية سلم بن زياد على خراسان وسجستان]

وفي هذه السنة ولّى يزيد بن معاوية سلم بن زياد سجستان وخراسان .
* ذكر سبب توليته إياه :

٣٩٢/٢

حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : حدثنا مسلمة بن

مُحَارِب بن سلم بن زياد ، قال : وفد سَلَمُ بن زياد على يزيد بن معاوية وهو ابن أربع وعشرين سنة ، فقال له يزيد : يا أبا حرب ، أولئك عمل أخويك : عبد الرحمن وعباد ؟ فقال : ما أحبُّ أمير المؤمنين ؛ فولاه خُرَاسان وسجستان ، فوجه سَلَمُ الحارث بن معاوية الحارثي جد عيسى بن شبيب من الشام إلى خُرَاسان ، وقَدِم سلم البصرة ، فتجهز وسار إلى خُرَاسان ، فأخذ الحارث بن قيس بن الهيثم السُلَمي فحبسه ، وضرب ابنه شبيباً ، وأقامه في سراويل ، ووجه أخاه يزيد بن زياد إلى سجستان . فكتب عبيد الله بن زياد إلى عباد أخيه - وكان له صديقاً - يخبره بولاية سَلَم ، فقسم عباد ما في بيت المال في عبيده ، وفضل فضل فنادى مناديه : من أراد سلفاً فليأخذ ، فأسلف كل من أتاه ، وخرج عباد عن سجستان . فلما كان بجيرفت بلغه مكان سَلَم - وكان بينهما جبل - فعدل عنه ، فذهب لعباد تلك الليلة ألف مملوك ، أقل ما مع أحدهم عشرة آلاف . قال : فأخذ عباد على فارس ، ثم قدم على يزيد ، فقال له يزيد : أين المال ؟ قال كنت صاحب ثغر ، فقسمت ما أصبت بين الناس . قال : ولما شخّص سَلَم إلى خُرَاسان شخّص معه عمران بن الفضيل البُرجمي ، وعبد الله بن خازم السلمي ، وطلحة بن عبد الله بن خنكف الخزاعي ، والمهلب بن أبي صفرة ، وحنظلة بن عرادة ، وأبو حُرَابة الوليد بن نهيك أحد بني ربيعة بن حنظلة ، ويحيى بن يعمر العَدَواني حليف هذيل ، وخلق كثير من فُرسان البصرة وأشرافهم ، فقَدِم سَلَم بن زياد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد بنخبة ألفي رجل ينتخبهم - وقال غيره : بل نخبة ستة آلاف - قال : فكان سلم ينتخب الوجوه والفرسان . ورغب قوم في الجهاد فطلبوا إليه أن يُخرجهم ، فكان أول من أخرجهم سلم حنظلة بن عرادة ، فقال له عبيد الله بن زياد : دعه لي ؛ قال : هو بيني وبينك ، فإن اxtارك فهو لك ، وإن اxtارني فهو لي ، قال : فاختر سَلَم ؛ وكان الناس يكلّمون سَلَمًا ويطلبون إليه أن يكتبهم معه ، وكان صلة بن أَشيم العَدَوِي يأتي الديوان فيقول له الكاتب : يا أبا الصّهباء ، ألا أثبت اسمك ، فإنه وجه فيه جهادٌ وفضلٌ ؟ فيقول له : أستخير الله وأنظر ؛ فلم يزل يدافع حتى

فرغ من أمر الناس ، فقالت له امرأته مُعَاذَةُ ابنة عبد الله العَدَوِيَّة : ألا تكتب نفسك ؟ قال : حتى أنظر ، ثم صلى واستخار الله ؛ قال : فرأى في منامه آتياً أتاه ، فقال له : اخرج فإنك تَرَبِّح وتُفْلِح وتُنْجَح ؛ فأتى الكاتب فقال له : أثبتني ؛ قال : قد فرغنا ولن أدعَكَ ، فأثبتته وابنه ، فخرج سلم فصيَّره سلم مع يزيد بن زياد فسار إلى سِجِسْتَان .

قال : وخرج سلم وأخرج معه أمّ محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي ، وهي أول امرأة من العرب قُطِع بها النهر .

٣٩٤/٢

قال : وذكر مسَلَمَة بن محارب وأبو حفص الأزدى عن عثمان بن حفص الكرماني أن عُمَّال خُرَّاسَان كانوا يَغزُون ، فإذا دخل الشتاء قفلوا من مغازيهم إلى مَرَو الشاهجان ، فإذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خُرَّاسَان في مدينة من مدائن خُرَّاسَان مما يلي خَارَزْم ، فيتعاقدون ألا يغزوا بعضهم بعضاً ، ولا يهيج أحد أحداً ، ويتشاورون في أمورهم ، فكان المسلمون يطلبون إلى أمرائهم في غزو تلك المدينة فيأبون عليهم ، فلما قدِم خُرَّاسَان غزا فشتا في بعض مغازيه ؛ قال : فألح عليه المهلب ، وسأله أن يوجهه إلى تلك المدينة ، فوجهه في ستة آلاف - ويقال أربعة آلاف - فحاصروهم ، فسألم أن يُدْعِنُوا له بالطاعة ، فطلبوا إليه أن يصالحهم على أن يفدوا أنفسهم ، فأجابهم إلى ذلك ، فصالحوه على نيّف وعشرين ألف ألف ؛ قال : وكان في صلحهم أن يأخذ منهم عروضاً ، فكان يأخذ الرأس بنصف ثمنه ، والدابة بنصف ثمنها ، والكتيْمُخْت بنصف ثمنه ، فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف ، فحظى بها المهلب عند سلم ، واصطفى سلم من ذلك ما أعجبه ، وبعث به إلى يزيد مع مَرزُبَان مَرَو ، وأوفد في ذلك وفداً .

قال مسلمة وإسحاق بن أيوب : غزا سلم سمرقند بامرأته أمّ محمد ابنة عبد الله ، فولدت لسلم ابناً ، فسماه صُغْدَى .

٣٩٥/٢

قال عليّ بن محمد : ذكر الحسن بن رشيد الجُوزْجَانِي ، عن شيخ من خُزَاعَة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : غزوت مع سلم بن زياد خُوارزم ،

فصالحوه على مال كثير ، ثم عبر إلى سمرقند فصالحه أهلها ، وكانت معه امرأته أمّ محمد ، فولدت له في غزاته تلك ابناً ، وأرسلت إلى امرأة صاحب الصُّغْد تستعير منها حلياً ، فبعثت إليها بتاجها ؛ وقفلوا ، فذهبت بالتاج .

* * *

وفي هذه السنة عزل يزيدُ عمرو بن سعيد عن المدينة وولّاها الوليد بن عتبة ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : نزع يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد ، لهلّال ذى الحجة ، وأمر الوليد بن عتبة على المدينة ، فحجّ بالناس حجّتين سنة إحدى وستين وسنة اثنتين وستين .

وكان عامل يزيد بن معاوية في هذه السنة على البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد ، وعلى المدينة في آخرها الوليد بن عتبة ، وعلى خراسان وسجستان سَلَم بن زياد ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبيرة ، وعلى قضاء الكوفة شريح . وفيها أظهر ابن الزبير الخلاف على يزيد وخلعته . وفيها بويع له .

* * *

ذكر سبب عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة

وتوليته عليها الوليد بن عتبة

وكان السبب في ذلك وسبب إظهار عبد الله بن الزبير الدعاء إلى نفسه — فيما ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، عن عبد الملك بن نوفل — قال : حدثني أبي ، قال : لما قُتل الحسين عليه السلام قام ابن الزبير في أهل مكة وعظم مقتله ، وعاب على أهل الكوفة خاصّة ، ولأمّ أهل العراق عامّة ، فقال بعد أن حمّد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم : إنّ أهل العراق غدرٌ فُجِرٌ إلا قليلاً ، وإنّ أهل الكوفة شرارُ أهل العراق ؛ وإنهم دَعَوْا حُسَيْنًا لينصروه ويولّوه عليهم ، فلما قدّم عليهم ثاروا إليه ^(١) ، فقالوا له : إمّا أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد بن سميّة سلماً فيمضي فيك حكمه ، وإمّا أن تحارب ؛ فرأى والله أنه هو وأصحابه قليل في كثير ، وإن

٣٩٦/٢

(١) ابن الأثير : « عليه » .

كان الله عز وجل لم يُطلع على الغيب أحداً أنه مقتول ، ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة ، فرحم الله حسيناً ، وأخزى قاتل حسين ! لعمري لقد كان من خلافتهم^(١) إيتاه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ ونه عنهم ، ولكنه ما حُمّ نازل ، وإذا أراد الله أمراً لن يُدْفَع . أفبعد الحسين نطمئن إلى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً ! لا ، ولا^(٢) نراهم لذلك أهلاً ؛ أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه ، كثيراً في النهار صيامه ، أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل ، أما والله ما كان يبدل بالقرآن الغناء ، ولا بالبكاء من خشية الله الحُداء ، ولا بالصيام شرب الحرام ، ولا بالمجالس في حلق الذكر الرُكُض في تَطْلُب الصيد — يعرض بيزيد — فسوف يلقون غيًّا^(٣) .

فثار إليه أصحابه فقالوا له : أيها الرجل أظهر بيعتك ، فإنه لم يبق أحد إذ هلك حسين ينازحك هذا الأمر . وقد كان يبايع الناس سرّاً ، ويظهر أنه عائد بالبيت ، فقال لهم : لا تعجلوا — وعمرو بن سعيد بن العاص يومئذ عامل مكة ، وقد كان أشد شيء عليه وعلى أصحابه ، وكان مع شدته عليهم يداري ويرفق — فلما استقر عند يزيد بن معاوية ما قد جمع ابن الزبير من الجُمُوع بمكة ، أعطى الله عهداً لسيوئته في سلسلة ، فبعث بسلسلة من فضة ، فرت بها البريد على مروان بن الحكم بالمدينة ، فأخبر خبر ما قدم له وبالسلسلة التي معه ، فقال مروان :

خُذْهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِخُطَّةٍ وفيها مقالٌ لِمَرِيٍّ مُتَضَعِفٍ
ثم مضى من عنده حتى قدم على ابن الزبير ، فأقَى ابن الزبير فأخبره بممر البريد على مروان ، وتمثل مروان بهذا البيت ، فقال ابن الزبير : لا والله لا أكون أنا ذلك المتضعف ؛ ورد ذلك البريد رداً رقيقاً .
وعلا أمر ابن الزبير بمكة ، وكاتبه أهل المدينة ، وقال الناس : أمّا إذ هلك الحسين عليه السلام فليس أحد ينازع ابن الزبير .

(١) ف : « في خلافتهم » . (٢) ابن الأثير : « والله لا نراهم » .

(٣) يلقون غيًّا ، أى شرًّا وخسراناً ؛ وكل شر عند العرب غي .

حدثنا نوح بن حبيب القوميسي ، قال : حدثنا هشام بن يوسف .
 وحدثنا عبيد الله بن عبد الكريم ، قال : حدثنا عبد الله بن جعفر المديني
 قال : حدثنا هشام بن يوسف - واللفظ لحديث عبيد الله - قال : أخبرني
 عبد الله بن مصعب ، قال : أخبرني موسى بن عوف ، عن ابن شهاب ،
 قال : أخبرني عبد العزيز بن مروان ، قال : لما بعث يزيد بن معاوية بن عصفاه
 الأشعري ومُسعدة وأصحابهما إلى عبد الله بن الزبير بمكة ليؤتَي به في
 جامعة لتبري يمين يزيد ، بعث معهم بجامعة من ورق وبرُئس خَزْر ، فأرسلني
 أبي وأخِي معهم وقال : إذا بَلَغْتَهُ رُسُلُ يزيد الرسالة فعرِّضْها له ، ثم ليتمثل
 أحدُكما :

٣٩٨/٢

فخذُها فليست للعزيز بخُطَّةٍ وفيها مقالٌ لامرئٍ متذللٍ (١)
 أَعَامِرَ إِنِّ الْقَوْمَ سَامُوكَ خُطَّةً وذلك في الجيران غَزَلٌ بِمِغْزَلٍ
 أَرَاكَ إِذَا مَا كُنْتَ لِلْقَوْمِ نَاصِحًا يُقَالُ لَهُ بِالْدُّلُو أَدْبُرٌ وَأَقْبَلُ
 قال : فلما بلغته الرسلُ الرسالة تعرَّضْنَا ، فقال لي أخِي : اِكِفْنِيهَا ،
 فَسَمِعْتَنِي ، فقال : أَي ابْنِي مروان ، قد سمعتُ ما قلتما ، وعلمتُ ما ستقولانه ،
 فَأَخْبِرَا أَبَا كَمَا :

إِنِّي لَجِنٌ نَبْعَةٍ صُمٌّ مَكَاسِرُهَا إِذَا تَنَاوَحَتِ الْقَصَبَاءُ وَالْعُشُرُ
 فَلَا أَلِينُ لَغَيْرِ الْحَقِّ أَسْأَلُهُ حَتَّى يَلِينُ لِضَرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ
 قال : فما أدري أيُّهما كان أعجب !

زاد عبد الله في حديثه ، عن أبي علي ، قال : فذاكرت بهذا الحديث
 مُصْعَبَ بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، فقال :
 قد سمعته من أبي علي نحو الذي ذكرت له ، ولم أحفظ إسناده .

قال هشام ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه سعيد بن عمرو بن سعيد : إن
 عمرو بن سعيد لما رأى الناس قد اشرأبوا إلى ابن الزُّبَيْرِ ومدُّوا إليه أعناقهم ،
 ظَنَّ أَنَّ تِلْكَ الْأُمُورَ تَامَةٌ لَهُ ، فبعث إلى عبد الله بن عمرو بن العاص -

٣٩٩/٢

وكانت له صُحبة ، وكان مع أبيه بِمِصْرَ ، وكان قد قرأ كتب دنياك هنالك ، وكانت قريش إذ ذاك تَعُدُّه عالماً — فقال له عمرو بن سعيد : أخبرني عن هذا الرجل ، أترى ما يطلب تاماً له ؟ وأخبرني عن صاحبي إلى ما ترى أمره صائراً إليه ؟ فقال : لا أرى صاحبك إلا أحد الملوك الذين تمُّ لهم أمورهم حتى يموتوا وهم ملوك . فلم يزد عند ذاك إلا شدةً على ابن الزبير وأصحابه ، مع الرفق بهم ، والمداواة لهم .

ثم إن الوليد بن عتبة^(١) وناساً معه من بني أمية قالوا ليزيد بن معاوية : لو شاء عمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث به إليك ، فسرَّح الوليد بن عتبة على الحجاز أميراً ، وعزل عمرًا .

وكان عزلُ يزيدَ عمرًا عن الحجاز وتأميره عليها الوليد بن عتبة في هذه السنة — أعني سنة إحدى وستين ؛ قال أبو جعفر : حدثت عن محمد بن عمر قال : نزع يزيدُ عمرو بن سعيد بن العاص لهُلال ذى الحجة سنة إحدى وستين وولَّى الوليد بن عتبة ، فأقام الحجة سنة إحدى وستين بالناس ، وأعاد ابن ربيعة العامريَّ على قضائه .

وحدثني أحمد بن ثابت ، قال : حدثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : حجَّ بالناس في سنة إحدى وستين الوليد بن عتبة ، وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل السير .

وكان الولي في هذه السنة على الكوفة والبصرة عبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُريح ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبيرة ، وعلى خراسان سَلَم بن زياد .

(١) ط : « عقبه » ، وانظر الفهرس .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك مقدّم^(١) وفد أهل المدينة على يزيد بن معاوية .

* ذكر الخبر عن سبب مقدمهم عليه :

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر لوط بن يحيى ، عن عبد الملك بن نوفل ابن مساحق ، عن عبد الله بن عروة - أن يزيد بن معاوية لما سرح الوليد ابن عتبة على الحجاز أميراً ، وعزل عمرو بن سعيد ، قدم الوليد المدينة فأخذ غلماناً كثيراً لعمرو وموالي له ، فحبسهم ، فكلّمهم فيهم عمرو ، فأبى أن يخلّيهم ، وقال له : لا تجزع يا عمرو ؛ فقال أخوه أبان بن سعيد بن العاص : أعمرو يجزع ! والله لو قبضتم على الجحمر وقبض عليه ما تركه حتى تركوه ؛ وخرج عمرو سائراً حتى نزل من المدينة على ليلتين ، وكتب إلى غلمانه ومواليه وهم نحو من ثلثمائة رجل : إني باعث إلى كل رجل منكم جملًا وحقيّةً وأداته ، وتناخ لكم الإبل في السوق^(٢) ، فإذا أتاكم رسولى فاكسروا باب السجن ، ثم ليقيم كل رجل منكم إلى جملة فليركبه ، ثم أقبلوا على حتى تأتونى ؛ فجاء رسولهم حتى اشترى الإبل ، ثم جهّزها بما ينبغى لها ، ثم أناخها في السوق ، ثم أتاهم حتى أعلمهم ذلك ، فكسروا باب السجن ، ثم خرجوا إلى الإبل فاستووا عليها ، ثم أقبلوا حتى انتهوا إلى عمرو بن سعيد فوجدوه حين قدم على يزيد بن معاوية . فلما دخل عليه رحّب به وأذن مجلسه .

ثم إنه عاتبه في تقصيره في أشياء^(٣) كان يأمره بها في ابن الزبير ، فلا ينفذ منها^(٤) إلا ما أراد ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، الشاهد يترى ما لا يترى الغائب ، وإنّ جلّ أهل مكة وأهل المدينة قد كانوا مالوا إليه وهوّره وأعطوه الرضا ، ودعا بعضهم بعضاً سرّاً وعلانية ، ولم يكن معى جند أقوى بهم عليه لو ناهضته ، وقد كان يحذرنى ويتحرّز منى ، وكنت أرفق به وأداريه

(١) ف : « فما كان فيها » . (٢) س : « بالسوق » .

(٣) ف : « وأشياء » . (٤) س : « ولا ينفذ منها » .

لأستمكر منه فأثب عليه ، مع أنى قد ضيقت عليه ، ومنعته من أشياء كثيرة لو تركته وإياها ما كانت له إلا معونة ، وجعلت على مكة وطرقها وشعابها رجالاً لا يدعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا إلى باسمه واسم أبيه ، ومن أى بلاد الله هو ، وما جاء به وما يريد ؛ فإن كان من أصحابه أو ممن أرى أنه يريد ردده رددته صاغراً ، وإن كان ممن لا أتهم ، خلطت سبيله . وقد بعث الوليد ، وسيأتيك من عمله وأثره ما لعلك تعرف به فضل مبالغى فى أمرك ، ومناصحتى لك إن شاء الله ؛ والله يصنع لك ، ويسكت عدوك يا أمير المؤمنين .

فقال له يزيد : أنت أصدق ممن رقى هذه الأشياء عنك ، وحملى بها عليك ، وأنت ممن أثق به ، وأرجو معونته ، وأدخره لرأب الصدع ، وكفاية المههم ، وكشف نوازل الأمور العظام ؛ فقال له عمرو : وما أرى يا أمير المؤمنين أن أحداً أولى بالقيام بتشديد سلطانك ، وتوهين عدوك ، والشدة على من نابذك منى . وأقام الوليد بن عتبة يريد ابن الزبير فلا يجده إلا متحذراً متمنعاً ، وثار نجدة بن عامر الحنفى باليامة حين قتل الحسين ، وثار ابن الزبير ، فكان الوليد يفيض من المعترف ، وتفيض معه عامة الناس ، وابن الزبير واقف وأصحابه ، ونجدة واقف فى أصحابه ، ثم يفيض ابن الزبير بأصحابه ونجدة بأصحابه ، لا يفيض واحد منهم بإفاضة صاحبه . وكان نجدة يلقى ابن الزبير فيكثر حتى ظن الناس أنه سيبيعه . ثم إن ابن الزبير عمل بالمكر فى أمر الوليد بن عتبة ، فكتب إلى يزيد بن معاوية : إنك بعثت إلينا رجلاً أخرج ، لا يستجبه لأمر رشده ، ولا يرعوى لعظة الحكم ، ولو بعثت إلينا رجلاً سهل الخلق ، لين الكنف ، رجوت أن يسهل من الأمور ما استوعر منها ، وأن يجتمع ما تفرق ، فانظر فى ذلك ، فإن فيه صلاح خواصنا وعوامنا إن شاء الله ؛ والسلام .

فبعث يزيد بن معاوية إلى الوليد فعزله وبعث عثمان بن محمد بن أبى سفيان — فيما ذكر أبو مخنف ، عن عبد الملك ابن نوفل بن مساحق ، عن حميد ابن حمزة ؛ مولى لبني أمية — قال : فقدّم فتى غرضاً حدث غمر لم يجرب

الأمور ، ولم يحنكه السن ، ولم تُضرّسه التجارب ؛ وكان لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله ، وبعث إلى يزيد وفدًا من أهل المدينة فيهم عبدُ الله بنُ حنظلة الغسيل الأنصاريّ وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزوميّ ، والمنذر بن الزبير ، ورجالًا كثيرًا من أشرف أهل المدينة ، فقدموا على يزيد بن معاوية ، فأكرمهم ، وأحسن إليهم ، وأعظم جوائزهم . ثمّ انصرفوا من عنده ، وقدّموا المدينة كلهم إلّا المنذر ابن الزبير فإنه قدم على عبيد الله بن زياد بالبصرة — وكان يزيد قد أجازَه بمائة ألف درهم — فلما قدم أولئك نفر الوفد المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتمَ يزيد وعُتبه ، وقالوا : إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ، ويعزف بالطناير ، ويضرب عنده القيان ، ويلعب بالكلاب ، ويسامر الخُرّاب والفتيان ، وإنا نُشهدكم أنا قد خلعناه ؛ فتابعهم الناس . قال لوط بن يحيى : فحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، أنّ الناس أتوا عبد الله بن حنظلة الغسيل فبايعوه وولوه عليهم .

٤٠٣/٧

قال لوط : وحدثني أيضًا محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف : ورجع المنذر من عند يزيد بن معاوية ، فقدم على عبيد الله بن زياد البصرة ، فأكرمه وأحسن ضيافته ، وكان لزياد صديقًا ، إذ سقط إليه كتابٌ من يزيد بن معاوية حيث بلغه أمرُ أصحابه بالمدينة . أن أوثق المنذر بن الزبير وأحبسه عندك حتى يأتيك فيه أمرى ؛ فكره ذلك عبيد الله ابن زياد لأنه ضيفه ، فدعاه فأخبره بالكتاب وأقرأه إياه ، وقال له : إنك كنت لزياد ودًّا وقد أصبحت لي ضيفًا ، وقد آتيتُ إليك معروفًا ، فأنا أحبُّ أن أسديّ ذلك كله بإحسان ، فإذا اجتمع الناس عندي فقم فقل : ائذن لي فلا أنصرف إلى بلادى ، فإذا قلتُ : لا بل أقيم عندي فإنّ لك الكرامة والمواساة والأثرة ، فقل : لي ضيعة وشغل ، لا أجد من الانصراف بدًّا فأذن لي ، فإنّي آذنُ لك عند ذلك ؛ فالحق بأهلك .

فلما اجتمع الناس عند عبيد الله قام إليه فاستأذنه فقال : لا بل أقيم عندي فإنّي مكرمك ومواسيك ومؤثرك ؛ فقال له : إنّ لي ضيعة وشغلًا ،

٤٠٤/٧

ولا أجدُ من الانصراف بدًّا فأذن لي ؛ فأذن له . فانطلق حتى لحق بالحجاز ؛ فأتى أهلَ المدينة ، فكان فيمن يحرِّضُ الناسَ على يزيد ، وكان من قوله يومئذ : إنَّ يزيدَ والله لقد أجازني بمائة ألف درهم ، وإنه لا يمنعني ما صنع إلى أن أخبركم خبره ، وأصدُقكم عنه ، والله إنه ليسُ شرب الخمر ، وإنه ليسُ سكرٌ حتى يدع الصلاة ؛ وعابه بمثل ما عابه به أصحابه الذين كانوا معه وأشدَّ ، فكان سعيد بن عمرو يُحدث بالكوفة أنَّ يزيدَ بنَ معاوية بلغه قوله فيه فقال : اللهمَّ إني آثرته وأكرمتُه ، ففعل ما قد رأيتَ ، فاذكره بالكذب والقطيعة .

قال أبو مخنف : فحدثني سعيد بن زيد أبو المثلث أنَّ يزيدَ بنَ معاوية بعث النعمانَ بنَ بشير الأنصاريَّ فقال له : ائتِ الناس وقومك فافتأهم عما يريدون ، فإنهم إن لم ينهضوا في هذا الأمر لم يجترئُ الناسُ على خلافي ، وبها من عشيرتي من لا أحبُّ أن ينهض في هذه الفتنة فيهلك .

فأقبل النعمان بن بشير فأتى قومه ، ودعا الناس إليه عامة ، وأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعة ، وخوَّفهم الفتنة ، وقال لهم : إنه لا طاقة لكم بأهل الشام ؛ فقال عبد الله بن مطيع العدوي : ما يحملك يا نُعمانُ على تفريق جماعتنا ، وفساد ما أصلح الله من أمرنا ! فقال النعمان : أمّا والله لكأنِّي بك لو قد نزلتُ تلك التي تدعو إليها ، وقامت الرجال على الرُكَّاب تنضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ، ودارت رحا الموت بين الفريقين قد هربت^(١) على بغلتك تضرب جنبيها إلى مكّة ، وقد خلفت هؤلاء المساكين - يعني الأنصار - يُقتلون في سيكِّهم ومساجدهم ، وعلى أبواب دورهم ! فعصاه الناس ، فانصرف . وكان والله كما قال .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة الوليدُ بن عتبة . وكانت العمال في هذه السنة على العراق وخراسان العُمال الذين ذكرتُ في سنة إحدى وستين . وفي هذه السنة وُلِدَ - فيما ذكر - محمد بن عبد الله بن العباس .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك ما كان من إخراج أهل المدينة عامل يزيد بن معاوية عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة ، وإظهارهم خلع يزيد بن معاوية ، وحصارهم من كان بها من بني أمية ؛ ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن حبيب بن كرتة ، أن أهل المدينة لما بايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد بن معاوية ، وثبوا على عثمان ابن محمد بن أبي سفيان ومن بالمدينة من بني أمية ومواليهم ومن رأى رأيهم من قريش ، فكانوا نحواً من ألف رجل ، فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دار مروان بن الحكم ، فحاصروهم الناس فيها حصاراً ضعيفاً . قال : فدعت بنو أمية حبيب بن كرتة ، وكان الذي بعث إليه منهم مروان بن الحكم وعمرو ابن عثمان بن عفان ، وكان مروان هو يدبر أمرهم . فأما عثمان بن محمد بن أبي سفيان فلإنما كان غلاماً حدثاً لم يكن له رأى . قال عبد الملك بن نوفل : فحدثني حبيب بن كرتة ، قال : كنت مع مروان ، فكتب معي هو وجماعة من بني أمية كتاباً إلى يزيد بن معاوية ، فأخذ الكتاب عبد الملك بن مروان حتى خرج معي إلى ثنية الوداع ، فدفع إلى الكتاب وقال : قد أجلتك اثنتي عشرة ليلة ذاهباً واثنتي عشرة ليلة مقبلاً ، فوافني لأربع وعشرين ليلة في هذا المكان تجلني إن شاء الله في هذه الساعة جالساً أنتظر . وكان الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإنه قد حُصِرنا في دار مروان بن الحكم ، ومنعنا العذب ، ورُمينا بالجُبوب^(١) ، فياغوثاه يا غوثاه ! قال : فأخذت الكتاب ومضيت به حتى قدمت على يزيد وهو جالس على كرسي ، واضع قدميه في ماء طست من وجع كان يجده فيهما — ويقال : كان به النقرس — فقرأه ثم قال فيما بلغنا متمثلاً :

(١) الجبوب : الأرض الغليظة ، وفي ط : « الجبوب » تصحيف .

لقد بدلوا الحِلْمَ الَّذِي مِنْ سَجِيَّتِي^(١) قَبَدْتُ قَوْمِي غِلَظَةً بَلِيَّانِ
ثم قال : أَمَا يَكُونُ بَنُو أُمَيَّةَ وَمَوَالِيهِمْ أَلْفَ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ ؟ قال^(٢) :

قلت : بلى ، والله وأكثَرُ ؛ قال : فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار !
قال : فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، أجمع الناس كلهم عليهم ، فلم يكن لهم بجمع
الناس طاقةً ؛ قال : فبعث إلى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتابَ ، وأخبره
الخبر ، وأمره أن يسير إليهم في الناس ، فقال له : قد كنتُ ضببْتُ لك
البلاد ، وأحكمْتُ لك الأمور ، فأما الآن إذ صارت إنما هي دِماء قريش
تُهرَقُ بالصَّعِيدِ ، فلا أحبُّ أن أكون أنا أتولى ذلك ، يتولّاها منهم مَنْ
هو أبعد منهم مِنِّي . قال : فبعثني بذلك الكتاب إلى مسلم بن عَقْبَةَ المرتى -
وهو شيخ كبير ضعيف مريض - فدفعْتُ إليه الكتاب ، فقرأه ، وسألني عن
الخبر فأخبرته ، فقال لي مثلَ مقالة يزيد : أَمَا يَكُونُ بَنُو أُمَيَّةَ وَمَوَالِيهِمْ
وَأَنْصَارُهُم بِالْمَدِينَةِ أَلْفَ رَجُلٍ ! قال : قلت : بلى يكونون ؛ قال : فما استطاعوا
أن يقاتلوا ساعةً من نهار ! ليس هؤلاء بأهل أن يُنصَرُوا حتى يَجهَدُوا
أنفسهم في جهاد عدوهم ، وعزَّ سلطانهم ؛ ثم جاء حتى دخل على يزيد
فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تنصر هؤلاء فإنهم الأذلاء ؛ أما استطاعوا أن
يقاتلوا يوماً واحداً أو شَطْرَهُ أو ساعةً منه ! دعهم يا أمير المؤمنين حتى
يجهَدُوا أنفسهم في جهاد عدوهم ، وعزَّ سلطانهم ، ويستبينَ لك من يقاتل
منهم على طاعتك ، ويصبر عليها أو يستسلم ؛ قال : وَيَحْكُ ! إنه لا خير
في العيش بعدهم ، فاخرج فأنبئني نَسَبَكَ ، وسرَّ بالناس ؛ فخرج مناديه
فنادى : أن سيروا إلى الحِجَازِ على أَخْذِ أَعْطِيَاتِكُمْ كَمَلًا ومَعُونَةٍ مائة
دينار توضعُ في يد الرجل من ساعته ، فانتدب لذلك اثنا عشر ألف رجل .

* * *

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، قال : كتب يزيد
إلى ابن مَرْجَانَةَ : أن اغزُ ابنَ الزبير ؛ فقال : لا أجمعهما للفاسق أبداً ،

(١) ابن الأثير : « في بحقي » .

(٢) ابن الأثير : « فقال الرسول » .

أَقْتَلَ ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَغْزَوْا الْبَيْتَ !
 قَالَ : وَكَانَتْ مَرْجَانَةَ امْرَأَةً صَدُقَ ، فَقَالَتْ لِعَبِيدِ اللَّهِ حِينَ قَتَلَ الْحُسَيْنَ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَيْلَكَ ! مَاذَا صَنَعْتَ ! وَمَاذَا رَكِبْتَ !

* * *

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ حَبِيبِ بْنِ كُرَّةَ . قَالَ : فَأَقْبَلْتُ حَتَّى أُوَافِيَ
 عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ أَوْ بَعْدَهَا شَيْئًا .
 قَالَ : فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مُتَقَنِّعًا تَحْتَ شَجَرَةٍ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي كَانَ ، فَسَرَّ
 بِهِ ^(١) ، فَاذْطَلَقْنَا ^(٢) حَتَّى دَخَلْنَا دَارَ مَرْوَانَ عَلَى جَمَاعَةِ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَنَبَأْتَهُمْ ^(٣)
 بِالَّذِي قَدِمْتُ بِهِ ، فَحَمِدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوْفَلٍ : حَدَّثَنِي حَبِيبٌ ، أَنَّهُ بَلَغَهُ فِي عَشْرَةٍ . قَالَ : فَلَمْ
 أَبْرَحْ حَتَّى رَأَيْتُ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ خَرَجَ إِلَى الْخَلِيلِ يَتَصَفَّحُهَا وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا ؛
 قَالَ : فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفًا ، مُتَنَكِّبٌ قَوْسًا عَرَبِيَّةً :

أَبْلَغُ أَبَا بَكْرٍ إِذَا اللَّيْلُ سَرَى وَهَبَطَ الْقَوْمُ عَلَى وَادِي الْقُرَى
 عَشْرُونَ أَلْفًا بَيْنَ كَهْلٍ وَفَى أَجْمَعَ سَكَرَانَ مِنَ الْقَوْمِ تَرَى !
 أَمْ جَمَعَ يَقْظَانَ نَفَى عَنْهُ الْكَرَى يَا عَجَبًا مِنْ مُلْجِدٍ يَا عَجَبًا !
 * مُخَادَعٌ فِي الدِّينِ يَقْفُو بِالْعُرَى * ^(٤)

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوْفَلٍ : وَفَصَّلَ ذَلِكَ الْجَيْشَ مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ وَعَلَيْهِمْ
 مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ ، وَقَالَ لَهُ : إِنْ حَدَّثْتُ بِكَ حَدَّثْتُ فَاسْتَخْلَفْتُ عَلَى الْجَيْشِ
 حُصَيْنُ بْنُ نُسَيْمِ السَّكُونِيِّ ؛ وَقَالَ لَهُ : ادْعُ الْقَوْمَ ثَلَاثًا ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ
 وَإِلَّا فَقَاتِلْهُمْ ، فَإِذَا أَظْهَرْتَ عَلَيْهِمْ فَأَبِحْهَا ثَلَاثًا ، فَمَا فِيهَا مِنْ مَالٍ أَوْ
 رِقَّةٍ ^(٥) أَوْ سِلَاحٍ أَوْ طَعَامٍ فَهُوَ لِلْجَنْدِ ، فَإِذَا مَضَتْ الثَّلَاثُ فَاكْفُفْ عَنِ
 النَّاسِ ؛ وَانْظُرْ عَلَى بَنِي الْحُسَيْنِ ، فَاكْفُفْ عَنْهُ ، ، وَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا ،

٤٠٩/٢

(١) س : « فسر » . (٢) س ، ف : « وانطلقنا » . (٣) ف : « فنبأته » .

(٤) ابن الأثير : « يعفو بالعري » .

(٥) الرقة : الدراهم ، وفي ابن الأثير : « أو دابة » .

وأذن مجلسه ، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه ، وقد أتاني كتابه . وعلى لا يعلم بشيء مما أوصى به يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة ، وقد كان علي بن الحسين لما خرج بنو أمية نحو الشام أوى إليه ثقل مروان بن الحكم ، وامراته عائشة بنت عثمان بن عفان ، وهي أم أبان بن مروان .

* * *

وقد حدثت عن محمد بن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة ، كلم مروان بن الحكم ابن عمر أن يغيب أهله عنده ، فأبى ابن عمر أن يفعل ، وكلم علي بن الحسين ، وقال : يا أبا الحسن ، إن لي رجماً ، وحرى تكون مع حرملك ، فقال^(١) : أفعل ؛ فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين ، فخرج بحرمه وحرّم مروان حتى وضعهم بينبع ، وكان مروان شاكراً لعلي بن الحسين ، مع صداقة كانت بينهما قديمة .

٤١٠/٢

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل ، قال : وأقبل مسلم بن عقبة بالجيش حتى إذا بلغ أهل المدينة إقباله وثبوا على من معهم من بني أمية ، فحصرهم في دار مروان ، وقالوا : والله لانكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم ، أو تعطونا عهد الله وميثاقه لاتنبغونا غائلة ، ولا تدلّوا لنا على عورة ، ولا تظاهروا علينا عدواً ، فنكف عنكم ونخرجكم عنا ، فأعطوهم عهد الله وميثاقه لا نبغيكم غائلة ، ولا ندلّ لكم على عورة ؛ فأخرجوهم من المدينة ، فخرجت بنو أمية بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادي القرى ، وخرجت عائشة بنت عثمان بن عفان إلى الطائف ، فتمرّ بعلي بن حسين وهو بمال له إلى جنب المدينة قد اعتزلها كراهية أن يشهد شيئاً من أمرهم ، فقال لها : أحمليني عبد الله معك إلى الطائف ، فحملته إلى الطائف حتى نقضت أمور أهل المدينة .

ولما قدمت بنو أمية على مسلم بن عقبة بوادي القرى دعا بعمر بن

عثمان بن عفان أول الناس فقال له : أخبرني خبر ما وراءك ، وأشير عليّ ؛ قال : لا أستطيع أن أخبرك ، أخذ علينا العهود والمواثيق ألا ندلّ على عورة ، ولا نظاهر عدوّاً ، فانتهره ثم قال : والله لولا أنّك ابنُ عثمان لضربتُ عنقك ، وأبى الله لا أقبلها قرشياً بعدك . فخرج بما لقي من عنده إلى أصحابه ، فقال مروان بن الحكم لابنه عبد الملك : ادخلْ قبلَ لعله يجتزئ بك غنى ، فدخل عليه عبد الملك ، فقال : هات ما عندك ، أخبرني خبر الناس ، وكيف ترى ؟ فقال له : نعم أرى أن تسير بمن معك ؛ فتنكّب هذا الطريق إلى المدينة ، حتى إذا انتهيت إلى أدنى نخل بها نزلت ، فاستظلّ الناس في ظلّه ، وأكلوا من صقّره^(١) ؛ حتى إذا كان الليلُ أذكيت الحرس الليل كله عقبا بين أهل العسكر ، حتى إذا أصبحت صليت بالناس الغداة ، ثم مضيت بهم وتركت المدينة ذات اليسار ، ثم أدّرت بالمدينة حتى تأتيهم من قبل الحرّة مشرقاً ، ثم تستقبل القوم ، فإذا استقبلتهم وقد أشرق عليهم وطلعت الشمس طلعت بين أكتاف أصحابك ، فلا تؤذيهم ، وتقع في وجوههم فيؤذيهم حرّها ، ويصيبهم أذاها ، ويرون ما دمتُم مشرقين من اتلاق ببيضكم وحرابكم ، وأسنة رماحيكم وسيوفكم ودروعكم وسؤاعدكم ما لا ترونه أنتم لشيء من سلاحهم ما داموا مغربين ، ثم قاتلهم واستعين بالله عليهم ، فإن الله ناصرُك ؛ إذ خالفوا الإمام ، وخرجوا من الجماعة . فقال له مسلم : لله أبوك ! أيّ امرئ ولد إذ ولدك ! لقد رأى بك خلكاً . ثم إن مروان دخل عليه فقال له : إيه ! قال : أليس قد دخل عليك عبد الملك ! قال : بلى ، وأي رجل عبد الملك ! قلّما كلمت من رجال قريش رجلاً به شبيهاً ؛ فقال له مروان : إذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني ؛ قال : أجل ، ثم ارتحل من مكانه ذلك ، وارتحل الناس معه حتى نزل المنزل الذي أمره به عبد الملك ، فصنع فيه ما أمره به ، ثم مضى في الحرّة حتى نزلها ، فأناهم^(٢) من قبيل المشرق . ثم دعاهم مسلم بن عقبة ، فقال : يا أهل المدينة ، إن أمير المؤمنين

٤١١/٢

٤١٢/٢

(١) الصقر : الدبس ، وهو غسل التمر وعصارته .

(٢) س : « حتى أناهم » .

يزيد بن معاوية يزعم أنكم الأصل، وإنى أكره هِرَاقَةَ دماثكم، وإننى أوجبلكم ثلاثاً، فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه، وانصرف عنكم، وسرت إلى هذا المُلحد الذى بمكة، وإن أبَيْتُمْ كُنَّا قد أعذرنا لإيكم - وذلك فى ذى الحجة من سنة أربع وستين؛ هكذا وجدته فى كتابي، وهو خطأ، لأنَّ يزيدَ هلك فى شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، وكانت وقعة الحرّة فى ذى الحجة من سنة ثلاث وستين يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه.

ولما مضت الأيام الثلاثة قال: يا أهل المدينة، قد مضت الأيام الثلاثة، فما تصنعون^(١)؟ اتسلمون أم تحاربون؟ فقالوا: بل نحارب؛ فقال لهم: لا تفعلوا، بل ادخلوا فى الطاعة، ونجعل حدّاً وشوكتنا على هذا المُلحد الذى قد جمع إليه المُرّاقَ والفُسّاقَ من كلِّ أَوْب. فقالوا لهم: يا أعداء الله، والله لو أردتم أن تجوزوا إليهم ما تركناكم حتى نقاتلكم، نحن نَدْعُكم أن تأتوا بيت الله الحرام، وتخيفوا أهله، وتلحدوا فيه، وتستحلّوا حرمة! لا والله لا نفعل.

وقد كان أهل المدينة اتخذوا خندقاً فى جانب المدينة، ونزله جمع منهم عظيم، وكان عليهم عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف ابن عمّ عبد الرحمن ابن عوف الزهرى، وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر فى جانب المدينة، وكان معقيل بن سنان الأشجعى على ربع آخر فى جانب المدينة، وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصارى، فى أعظم تلك الأرباع وأكثرها عدداً.

قال هشام: وأما عوانة بن الحكم الكلبي، فذكر أن عبد الله بن مطيع كان على قریش من أهل المدينة، وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار، ومعقيل بن سنان على المهاجرين.

قال هشام، عن أبي مخنف: قال عبد الملك بن نوفل: وصمد مسلم ابن عُقْبَة بجميع من معه، فأقبل من قِبل الحرّة حتى ضرب^(٢) فسطاطه على

(١) ابن الأثير: «ما تصنعون».

(٢) س: «فضرب».

طريق الكوفة ، ثم وجه الخليل نحو ابن الغسيل ، فحمل ابن الغسيل على الخليل في الرجال الذين معه حتى كشف الخليل ، حتى انتهوا إلى مسلم بن عقبة ، فنهض في وجوههم بالرجال ، وصاح بهم ، فانصرفوا فقاتلوا قتالاً شديداً . ثم إن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء إلى عبد الله ابن حنظلة الغسيل فقاتل في نحو من عشرين فارساً قتالاً شديداً حسناً ، ثم قال لعبد الله : مَرُّ من معك فارساً فليأتني فليقف معي ، فإذا حملت فليحملوا ، فوالله لا أنتهي حتى أبلغ مسلماً ، فإما أن أقتله ، وإما أن أقتل دونه . فقال عبد الله بن حنظلة لعبد الله بن الضحاك من بني عبد الأشهل من الأنصار : نادِ في الخليل فليَتَقَف مع الفضل بن العباس ، فنادى فيهم ^(١) فجمعهم إلى الفضل ، فلما اجتمعت الخليل إليه حمل على أهل الشام فانكشفوا ، فقال لأصحابه : ألا ترونهم كُشِفًا لثاماً ! احملوا أخرى جعلت فداكم ! فوالله لئن عاينت أميرهم ، لأقتله أو لأقتلن دونه ، إن صبر ساعة مُعَقِّبٌ سرور أبدي ، إنه ليس بعدُ لصبرنا إلا النصر . ثم حمل وحمل أصحابه معه ، فانفجرت خيل أهل الشام عن مسلم بن عقبة في نحو من خمسمائة راجل جثاة على الرُكَّاب ، مشرعى الأسنة نحو القوم ، ومضى كما هو نحو رايته حتى يضرب رأس صاحب الراية ، وإن عليه لمغفراً ، فقط المغفر ، وفلق هامته فخر ميتاً ، فقال : خذها مني وأنا ابن عبد المطلب ! فظن أنه قَتَلَ مسلماً ، فقال : قتل طاغية القوم ورب الكعبة ، فقال مسلم : أخطأت استك الحفرة ! وإنما كان ذلك غلاماً له ، يقال له : رومي ، وكان شجاعاً . فأخذ مسلم رايته ونادى : يا أهل الشام ، أهذا القتال قتال قوم يريدون أن يدفعوا به عن دينهم ، وأن يُعزِّزوا به نصر إمامهم ! قَبِّحَ الله قتالكم منذ اليوم ! ما أوجعه لقلبي ، وأغيبه لنفسي ! أمّا والله ما جزاؤكم عليه إلا أن تُجرِّموا العطاء ، وأن تجمروا في أقاصي الثغور . شدوا مع هذه الراية ، ترح الله وجوهكم إن لم تُعْتَبُوا ! ففشي برايته ، وشدت تلك الرجال أمام الراية ، فصرع الفضل بن عباس ، فقتل وما بينه وبين أطناب مسلم بن عقبة إلا نحو

٤١٤/٢

(١) ط : « فنادى فيهم الضحاك » ، والصواب حذف كلمة « الضحاك » ، وانظر الفهرس .

من عشر أذرع ، وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف ، وقتل معه إبراهيم ابن نعيم العدوي ، في رجال من أهل المدينة كثير .

٤١٥/٢ قال هشام ، عن عوانة : وقد بلغنا في حديث آخر أن مسلم بن عقبة كان مريضاً يوم القتال ، وأنه أمر بسريره وكرسی فوضع بين الصفين ، ثم قال : يا أهل الشام ، قاتلوا عن أميركم أو دعوا . ثم زحفوا نحوهم فأخذوا لا يصمدون لرُبعٍ من تلك الأرباع إلا هزموه ، ولا يقاتلون إلا قليلاً حتى تولوا . ثم إنه أقبل إلى عبد الله بن حنظلة فقاتله أشد القتال ، واجتمع من أراد القتال من تلك الأرباع إلى عبد الله بن حنظلة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فحمل الفضل ابن العباس بن ربيعة في جماعة من وجوه الناس وفرسانهم يريد مسلم بن عقبة ، ومسلم على سريرته مريض ، فقال : احمِلُونِي فضعوني في الصف ، فوضعه بعد ما حملوه أمام فسطاطه في الصف ، وحمل الفضل بن العباس هو وأصحابه أولئك حتى انتهى إلى السرير ، وكان الفضل أحمر ، فلما رفع السيف ليضربه صاح بأصحابه : إن العبد الأحمر قاتلي ، فأين أنتم يا بني الحرائر ! اشجروه^(١) بالرماح ، فوثبوا إليه فطعنوه حتى سقط .

٤١٦/٢ قال هشام : قال أبو مخنف : ثم إن خيل مسلم ورجاله أقبلت نحو عبد الله ابن حنظلة الغسيل ورجاله بعده — كما حدثني عبد الله بن منقذ — حتى دنوا منه ، وركب مسلم بن عقبة فرساً له ، فأخذ يسير في أهل الشام ويحرضهم ويقول : يا أهل الشام ، إنكم لستم بأفضل العرب في أحسابها ولا أنسابها ، ولا أكثرها عدداً ، ولا أوسعها بلداً ، ولم يخصكم الله بالذي خصكم به من النصر على عدوكم ، وحسن المنزلة عند أئمتكم ، إلا بطاعتكم واستقامتكم ؛ وإن هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيروا فغير الله بهم ، فتموا على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة يتمم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر والفلاح . ثم جاء حتى انتهى إلى مكانه الذي كان فيه ، وأمر الحيل أن تقدم على ابن الغسيل وأصحابه ، فأخذت الحيل إذا أقدمت على الرجال فثاروا في وجوها بالرماح

(١) اشجروه بالرماح ، أي اطعنوه بها ، وفي ط : « اشجروه » ، بالسين ، تحريف .

والسيوف نفرتْ وابدغرتْ وأحجمتْ ، فنادى فيهم مسلم بن عقبة : يا أهل الشام ، ما جعلهم الله أولى بالأرض منكم ، يا حُصَيْن بن نُسَيْر ، انزل في جندك ؛ فنزل في أهل حِمَص ، فبشى إليهم ، فلما رآهم قد أقبلوا يمشون تحت راياتهم نحو ابن الغسيل قام في أصحابه فقال : يا هؤلاء ؛ إن عدوكم قد أصابوا وجه القتال الذى كان ينبغي أن تقاتلوهم به ، وإنى قد ظننت ألا تلبثوا إلا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم إماماً لكم وإماماً عليكم . أما إنكم أهل البصرة ودار الهجرة ، والله ما أظن ربكم أصبح عن أهل بلد من بلدان المسلمين بأرضى منه عنكم ، ولا على أهل بلد من بلدان العرب بأسخط منه على هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم . إن لكل امرئ منكم مِيتةً هو مِيت بها ، والله ما من مِيتة بأفضل من مِيتة الشهادة ، وقد ساقها الله إليكم فاغتنموها ، فوالله ما كل ما أردتموها وجدتموها . ثم مشى برايته غير بعيد ، ثم وقف ، وجاء ابن نمير برايته حتى أدناها ، وأمر مسلم بن عَقْبَة عبد الله بن عضاض الأشعرى فشى فى خمسمائة مُرامٍ حتى دنا من ابن الغسيل وأصحابه ، فأخذوا ينضحونهم بالنبل ، فقال ابن الغسيل : علام تستهدفون لهم ! من أراد التبعجل ^(١) إلى اللجنة فليلزم هذه الراية ؛ فقام إليه كل مستميت ، فقال ^(٢) : الغدو إلى ربكم ^(٣) ، فوالله إنى لأرجو أن تكونوا عن ساعة قريبى عَيْنٍ ؛ فنهض القوم بعضهم إلى بعض فاقتتلوا أشد قتال رُئى فى ذلك الزمان ساعة من نهار ، وأخذ يقدّم بنيه أمامه واحداً واحداً حتى قتلوا بين يديه ، وابن الغسيل يضرب بسيفه ، ويقول :

٤١٧/٢

بُعْدًا لِمَنْ رَامَ الْفَسَادَ وَطَغَى وَحَانَبَ الْحَقَّ وَأَيَّاتِ الْهَدَى

* لَا يُبْعِدُ الرَّحْمَنُ إِلَّا مَنْ عَصَى *

فقتل ، وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ، استقدم فقاتل حتى قتل ، وقال : ما أحب أن الديلم قتلوني مكان هؤلاء القوم ؛ ثم قاتل حتى قتل وقتل معه محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ، فرّ عليه مروان

(١) س وابن الأثير : « التبعجل » .

(٢) س ، ف : « فقالوا » .

(٣) كذا فى س ، وهو الصواب ، وفى ط : « اتمدوا إلى ربكم » .

ابن الحكمم وكأنه برطيل^(١) من فضة ، فقال : رحمك الله ! فرب سارية قد رأيتك تطيل القيام في الصلاة إلى جنبها .

قال هشام : فحدثني عوانة ، قال : بلغنا أن مسلم بن عقبة كان يجلس على كرسي ويحمله الرجال وهو يقاتل ابن الغسيل يوم الحرية وهو يقول :

٤١٨/٢

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ يَوْمَ الْهَبَاتَيْنِ وَيَوْمَ الْيَعْمَلَةِ
كُلُّ الْمُلُوكِ عِنْدَهُ مُغْرِبَلَةٌ وَرُمَحُهُ لِلْوَالِدَاتِ مُشْكَلَةٌ
لَا يَلْبِثُ الْقَتِيلَ حَتَّى يَجْدِلَهُ يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

قال هشام ، عن أبي مخنف : وخرج محمد بن سعد بن أبي وقاص يومئذ يقاتل ، فلما انهزم الناس مال عليهم يضربهم بسيفه حتى غلبته الهزيمة ، فذهب فيمن ذهب من الناس ، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون الأموال ؛ فأفرغ ذلك من كان بها من الصحابة ، فخرج أبو سعيد الخدري حتى دخل في كهف في الجبل ، فبصر به رجل من أهل الشام ، فجاء حتى اقتحم عليه الغار .

قال أبو مخنف : فحدثني الحسن بن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : دخل إلى الشامي يمشي بسيفه ، قال : فانتضيت سيفي فمشيت إليه لأرعبه لعله ينصرف عني ، فأبى إلا الإقدام علي ، فلما رأيت أن قد جدت شمت سيفي ، ثم قلت له : **لَسْنُ بَسَطْتُ إِلَى يَدِكَ لَتَقْتُلَنِي** مَا أَنَا بِبَسَاطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ^(٢) ، فقال لي : من أنت لله أبوك ! فقلت : أنا أبو سعيد الخدري ؛ قال : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم ؛ فانصرف عني .

قال هشام : حدثني عوانة ، قال : دعا الناس مسلم بن عقبة بقبساء إلى البيعة ، وطلب الأمان لرجلين من قریش : ليزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن

(١) البرطيل : معدن صلب خلقة تنقر به الرماح . (٢) سورة المائدة : ٢٨ .

٤١٩/٢

المطلب بن أسد بن عبد العزى ومحمد بن أبى الجهم بن حذيفة العدوى ولمعقل
ابن سنان الأشجعى ، فأتى بهما بعد الوقعة بيوم فقال : يايعا ، فقال القرشيان :
نبايعك على كتاب الله وسنة نبيه ؛ فقال : لا والله لا أقبلكم هذا أبداً ، فقد مهما
فضرب أعناقهما ، فقال له مروان : سبحان الله ! أتقتل رجلين من قريش
أتيةً ليؤمنا فضربت أعناقهما ! فنخس بالقضيب فى خاصرته ثم قال :
وأنت والله لو قلت بمقاتلتهما ما رأيت السماء إلا برقة .

قال هشام : قال أبو مخنف : وجاء معقل بن سنان ، فجلس مع
القوم ، فدعا بشارب ليُسقى ، فقال له مسلم : أى الشراب أحب إليك ؟
قال : العسل ، قال : اسقوه ، فشرب حتى ارتوى ، فقال له : أقضيت
ريتك من شرايك ؟ قال : نعم ، قال : لا والله لا تشرب بعده شرباً أبداً
إلا الحميم فى نار جهنم ، أتذكر مقاتلك لأمير المؤمنين : سرت شهراً ،
ورجعت شهراً ، وأصبحت صيفراً ، اللهم غيّر - تعنى يزيد ! فقدّمه
فصّرب عنقه .

قال هشام : وأمّا عوانة بن الحكم فذكر أن مسلم بن عقبة بعث عمرو بن
مُحرز الأشجعى فاتاه بمعقل بن سنان فقال له مسلم : مرحباً بأبى محمد !
أراك عطشان ! قال : أجل ، قال : شوبوا له عسلاً بالثلج الذى حملتموه
معنا - وكان له صديقاً قبل ذلك - فشابوه له ، فلما شرب معقل قال له :
سقاك الله من شراب الجنة ؛ فقال له مسلم : أمّا والله لا تشرب بعدها شرباً
أبداً حتى تشرب من شراب الحميم ؛ قال : أنشدك الله والرحيم ! فقال له
مسلم : أنت الذى لقينى بطبرية ليلة خرجت من عند يزيد ، فقلت : سرنا
شهراً ورجعنا من عند يزيد صيفراً ، نرجع إلى المدينة فنخلع هذا الفاسق ،
ونبايع لرجل من أبناء المهاجرين ! فيم غطفان وأشجع من الخلع^(١) والخلافة !
إتى آليت بيمين لا ألقاك فى حرب أقدر فيه على ضرب^(٢) عنقك إلا فعلت ،

٤٢٠/٧

(١) ابن الأثير : « من الخلق » .

(٢) ابن الأثير : « على قتلك » .

ثمّ أمر به فقتل .

قال هشام : قال عوانة : وأتىّ يزيد بن وهب بن زَمْعَة ؛ فقال : بايع ، قال : أبايحك على سنة عمر ؛ قال : اُقتلوه ؛ قال : أنا أبايح ، قال : لا والله لا أقيلك عثرتك ، فكلمه مروان بن الحكم - لصهر كان بينهما - فأمر بمروان فوجئت عنقه ، ثم قال : بايعوا على أنكم خول ليزيد بن معاوية ، ثمّ أمر به فقتل .

قال هشام : قال عوانة ، عن أبي مخنف . قال : قال عبد الملك بن نوفل ابن مساحق : ثمّ إنّ مروان أتىّ بعلّى بن الحسين ، وقد كان علىّ بن الحسين حين أخرجت بنو أميّة منع ثَمَقَل مروان وامرأته وآواها ، ثمّ خرجت إلى الطائف ، فهي أمّ أبان ابنة عثمان بن عفان ، فبعث ابنه عبد الله معها ، فشكر ذلك له مروان - وأقبل علىّ بن الحسين يمشى بين مروان وعبد الملك يلتمس بهما عند مسلم الأمان ، فجاء حتى جلس عنده بينهما ، فدعا مروان بشراب ليتحرّم بذلك من مسلم ، فأقّى له بشراب ، فشرب منه مروان شيئاً يسيراً ، ثمّ ناوله عليّاً ، فلما وقع في يده قال له مسلم : لا تشرب من شرابنا ، فأرعدت كفه ، ولم يأمنه على نفسه ، وأمسك القدح بكفه لا يشربه ولا يضعه ، فقال : إنك إنما جئت تمشى بين هؤلاء لتأمن عندي ؛ والله لو كان هذا الأمر إليهما ^(١) لقتلتك ، ولكنّ أمير المؤمنين أوصاني بك ، وأخبرني أنك كاتبته ، فذلك نافِعُك ^(٢) عندي ، فإن شئت فاشرب شرابك الذي في يدك ، وإن شئت دعونا بغيره ، فقال : هذه التي في كفيّ أريد ؛ قال : اشربها ، ثم قال : إلىّ ها هنا ، فأجلسه معه .

قال هشام : وقال عوانة بن الحكم : لما أتى بعلّى بن الحسين إلى مسلم ، قال : من هذا ؟ قالوا : هذا علىّ بن الحسين ؛ قال : مرحباً وأهلاً ؛ ثمّ أجلسه معه على السرير والطنفسة ، ثم قال : إنّ أمير المؤمنين أوصاني بك قبلاً ، وهو يقول : إنّ هؤلاء الخبثاء شغلوني عنك وعن وُصْلَتك ^(٣) ؛ ثم قال

(٢) س : « نافع » .

(١) س : « بينهما » .

(٣) س : « صلتك » .

لعلى : لعلّ أهلك فزعوا ! قال : إى والله ، فأمر بدابته ^(١) فأسرجت ، ثمّ حمّله فردّه عليها .

قال هشام : وذكر عوانة أنّ عمرو بن عثمان لم يكن فيمن خرج من بني أميّة ، وأنه أتى به يومئذ إلى مسلم بن عّقبة فقال : يا أهل الشام ، تعرفون هذا ؟ قالوا : لا ، قال : هذا الحبيث ابن الطيّب ، هذا عمرو بن عثمان بن عفّان أمير المؤمنين ، هيه يا عمرو ! إذا ظهر أهل المدينة قلت : أنا رجل منكم ، وإن ظهر أهل الشام قلت : أنا ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفّان ، فأمر به فنُتِفِت لحيتّه ، ثمّ قال : يا أهل الشام ، إنّ أمّ هذا كانت تدخّل الجُعلّ في فيها ثمّ تقول : يا أمير المؤمنين حاجيتك ، ما في فمى ؟ وفي فمها ^(٢) ما ساءَها وناءَها ^(٣) ، فخلّى سبيله ، وكانت أمّه من دؤس .

* * *

قال أبو جعفر الطبريّ : فحدثني أحمد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قالوا : كانت وقعة الجرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ثلاث وستين . وقال بعضهم : لثلاث ليالٍ بقيت منه . وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير . حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني عبد الله بن جعفر ، عن ابن عوف ، قال : حجّ ابن الزبير بالناس سنة ثلاث وستين ، وكان يسمّى يومئذ العائد ، ويرون الأمر شورى . قال : فلما كانت ليلة هلال المحرم ونحن في منزلنا إذ قدم علينا سعيد مولى المسور بن مخرمة ، فخبّرنا بما أوقع مسلم بأهل المدينة وما نيل منهم ، فجاءهم أمرٌ عظيم ، فرأيت القوم شهرّوا وجدّوا وأعدّوا وعرفوا أنه نازل بهم .

* * *

(١) ابن الأثير : « فأمر بدابة » . (٢) س : « فيها » .

(٣) ابن الأثير : « شامها وباءها » .

وقد ذكر من أمر وقعة الحرّة ومقتل ابن الغسيل أمرٌ غيرُ الذي روى عن أبي مخنف ، عن الذين روى ذلك عنهم ، وذلك ما حدثني أحمد بن زهير قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا جويرية بن أسماء ، قال : سمعتُ أشياخَ أهل المدينة يحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا يزيدَ فقال له : إنَّ لك من أهل المدينة يومًا ، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة ، فإنه رجل قد عرفتُ نصيحته . فلما هلك معاوية وفد إليه وفدٌ من أهل المدينة ، وكان ممن وفد عليه عبدُ الله بنُ حنظلة بن أبي عامر ، وكان شريفًا فاضلاً سيِّداً عابداً ، معه ثمانية بنين له ، فأعطاه مائة ألف درهم ، وأعطى بنه لكل واحد منهم عشرة آلاف ^(١) سوى كسوتهم وحملاتهم ، فلما قدم المدينة عبد الله بن حنظلة أتاه الناس فقالوا : ما وراءك ؟ قال : جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بنى هؤلاء لجاهدتُهم بهم ؛ قالوا : قد بلغنا أنه أجداك ^(٢) وأعطاك وأكرمك ؛ قال : قد فعل ، وما قبلتُ منه إلا لأتقوى به ؛ وحضضُ الناسَ فبايعوه ، فبلغ ذلك يزيد ، فبعثَ مُسلم بن عَقْبَةَ إليهم ، وقد بعث أهل المدينة إلى كلِّ ماء بينهم وبين الشام ، فصبَّوا فيه زقاً من قَطِرَان ، وعُور ، فأرسل الله السماء عليهم ، فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة ، فخرج إليهم أهلُ المدينة بجموع كثيرة ، وهينة لم يُرَ مثْلُها . فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم ، ومسلم شديدُ الوجع ، فبينما الناس في قتالهم إذ سمعوا التكبيرَ من خلفهم في جوف المدينة ، وأقحم عليهم بنو حارثة أهل الشام ، وهم على الجحد ^(٣) ، فانهزم الناسُ ، فكان من أصيب في الخندق أكثرُ ممن قُتل من الناس ، فدخلوا المدينة ، وهزَمَ الناس وعبد الله بن حنظلة مستندٌ إلى أحد بنيهِ يغطّ نوماً ، فنبتَّه ابنه ، فلما فتح عينيه فرأى ما صنع الناسُ أمرَ أكبرَ بنيهِ ، فتقدَّم حتى قتل ، فدخل مسلم بن عقبة المدينة ، فدعا الناسَ للبيعة على أنهم خولُ يزيدَ بن معاوية ، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء .

(١) س : « عشرين ألفاً » .

(٢) ف : « أجداك » ، وهما بمعنى .

(٣) الجحد هنا : وجه الأرض .

ثم دخلت سنة أربع وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

قال أبو جعفر : فمن ذلك مسيرُ أهل الشام إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير ومن كان على مثل رأيه في الامتناع على يزيد بن معاوية .

٤٢٤/٢

ولما فرغ مسلم بن عقبة من قتال أهل المدينة وإنهاب جنده أموالهم ثلاثاً ، شَخَصَ بمن معه من الجند متوجّهاً إلى مكة ، كالذي ذكر هشام ابن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني عبد الملك بن نوفل ، أن مسلماً خرج بالناس إلى مكة يريد ابن الزبير ، وخلف على المدينة رَوْح بن زُبَاع الجُدَامِيّ .

وأما الواقدي فإنه قال : خلف عليها عمرو بن ميمر الأشجعيّ ؛ قال : ويقال : خلف عليها رَوْح بن زُبَاع الجُدَامِيّ .

* * *

ذكر موت مسلم بن عقبة ورمى الكعبة وإحراقها

رجع الحديث إلى أبي مخنف ^(١) . قال : حتى إذا انتهى إلى المُشَلَّل - ويقال : إلى قفا المشلل - نزل به الموت ، وذلك في آخر المحرم من سنة أربع وستين ، فدعا حصين بن نمير السَّكُونِيّ فقال له : يا بن بردعة الحمار ، أما والله لو كان هذا الأمر إلى ما وَلَّيْتُكَ هذا الجند ، ولكن أمير المؤمنين ولاك بعدى ، وليس لأمر أمير المؤمنين مَرَدٌّ ؛ خُذْ عني أربعاً : أسرع السير ، وعجل الوقاع ، وعم الأخبار ، ولا تُمَكِّنْ قُرَشِيّاً من أذنك . ثم إنه مات ، فدُفِنَ بَقْفَا المشلل .

قال هشام بن محمد الكلبي : وذكر عَوَانة أن مسلماً بن عقبة شخص يريد ابن الزبير ، حتى إذا بلغ ثنية هَرَشَا نزل به الموت ، فبعث إلى رءوس الأجناد ، فقال : إن أمير المؤمنين عهد إلى إن حدثت بي حدث الموت أن أستخلف عليكم حصين بن نمير السَّكُونِيّ ، والله لو كان الأمر إلى ما فعلت ،

٤٢٥/٢

(١) انظر ص ٤٩٤ .

ولكن أكره معصية أمر أمير المؤمنين عند الموت ؛ ثم دعا به فقال : انظر يا يرزعة الحمار فاحفظ ما أوصيك به ؛ عمّ الأخبار ، ولا تُرْعِ سمعك قريشاً أبداً ، ولا تردنّ أهل الشام عن عدوّهم ، ولا تقيمنّ إلا ثلاثاً حتى تناجز ابن الزبير الفاسق ؛ ثم قال : اللهم إني لم أعمل عملاً قطّ بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله أحبّ إلىّ من قتلي أهل المدينة ، ولا أرجى عندي في الآخرة . ثم قال لبي مرة : زرّاعتي ^(١) التي بحوران صدقة على مرة ، وما أغلقت عليه فلانة بابها فهو لها — يعني أمّ ولد — ثم مات . ولما مات خرج حصين بن نمير بالناس ، فقدم على ابن الزبير مكة وقد بايعه أهلها وأهل الحجاز .

قال هشام : قال عوانة : قال مسلم قبل الوصية : إنّ ابني يزعم أنّ أمّ ولدي هذه سقتني السمّ ، وهو كاذب ، هذا داءٌ يُصيّنا في بطوننا أهل البيت . قال : وقدم عليه — يعني ابن الزبير — كلّ أهل المدينة ، وقد قدم عليه نجدة بن عامر الحنفيّ في أناس من الخوارج يمنعون البيت ، فقال لأخيه المنذر : ما لهذا الأمر ولدفع هؤلاء القوم غيري وغيرك — وأخوه المنذر ممن شهد الحرية ، ثمّ لحق به — فجرد إليهم أخاه في الناس ، فقاتلهم ساعة قتالاً شديداً . ثمّ إنّ رجلاً من أهل الشام دعا المنذر إلى المبارزة — قال : والشأميّ على بغلة له — فخرج إليه المنذر ، فضرب كلّ واحد منهما صاحبه ضربةً خرّ صاحبه لها ميتاً ، فجثا عبدُ الله بنُ الزبير على ركبتيه وهو يقول : ياربّ أبرّها من أصلها ولا تشدّها ^(٢) ، وهو يدعو على الذي بارز أخاه . ثمّ إنّ أهل الشام شدّوا عليهم شدّةً منكرةً ، وانكشف ^(٣) أصحابه انكشافاً ، وعثرت بغلته فقال : تعسّاً ^(٤) ! ثمّ نزل وصاح بأصحابه : إلىّ ؛ فأقبلَ إليه المسوّر بن مسخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، ومصعب بن عبد الرحمن ابن عوف الزهريّ ، فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً . وصابرهم ابنُ الزبير بجالداهم

(١) الزراعة : موضع الزرع ، مثل المزرعة .

(٢) س : « ولا تشدّها » .

(٣) س : « فانكشف » .

(٤) س : « فقال لها : لمّا لك » .

حتى الليل ، ثمّ انصرفوا عنه ؛ وهذا في الحصار الأوّل . ثمّ لأنهم أقاموا عليه يقاتلونه بقيّة المحرم وصفر كله ، حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأوّل يوم السبت سنة أربع وستين قنّذوا البيت بالمجانيق ، وحرّقوه بالنار ، وأخذوا يرتجزون ويقولون :

خطّارةٌ مثلُ الفينيقِ المزيدي نرّمِي بها أعوادَ هذا المسجدِ
قال هشام : قال أبو عوّانة : جعل عمرو بنُ حنّوط السدوسيّ يقول :
كيف ترى صنيع أم فروة تأخذُهم بين الصفا والمروة
يعنى بأمّ فروة المنجنيق .

وقال الواقديّ : سار الحُصين بن نمير حين دُفن مسلم بن عُقبة بالمشلل
لسبعٍ بقيّن من المحرم ، وقدم مكة لأربع بقيّن من المحرم ، فحاصر ابن الزبير
أربعاً وستين يوماً حتى جاءهم نعيّ يزيد بن معاوية لهُلال ربيع الآخر .

٤٢٧/٢

* * *

[ذكر الخبر عن حرق الكعبة]

وفي هذه السنة حُرقت الكعبة .

* ذكر السبب في إحراقها :

قال محمد بن عمر : احترقت الكعبة يومَ السبت لثلاثِ ليالِ خلونَ من
شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين قبل أن يأتي نعيّ يزيد بن معاوية بتسعة
وعشرين يوماً ، وجاء نعيه لهُلال ربيع الآخر ليلة الثلاثاء .

قال محمد بن عمر : حدّثنا رياح بن مسلم ، عن أبيه ، قال : كانوا يوقدون
حولَ الكعبة ، فأقبلتُ شرّرة^(١) هبّت بها الريح ، فاحترقت^(٢) ثياب الكعبة ،
واحترق^(٣) خشبُ البيت يومَ السبت لثلاثِ ليالِ خلونَ من ربيع الأوّل .

قال محمد بن عمر : وحدّثني عبد الله بن زيد ، قال : حدّثني عروة بن

(١) س : « شرارة » . (٢) س : « فأحترقت » . (٣) س : « فأحترق » .

أَذْيَنَةُ ، قال : قدمت مكة مع أمي يوم احترقت الكعبة قد حُلِصَتْ إليها النار ، ورأيتها مجردة من الحرير ، ورأيت الركن قد اسودَّ وانصدع في ثلاثة أمكنة ، فقلت : ما أصاب الكعبة ؟ فأشاروا إلى رجل من أصحاب عبد الله بن الزبير ، قالوا : هذا احترقت بسببه ، أخذ قبَسًا في رأس رمح له فطيرت الريح به ، فضربت أستار الكعبة ما بين الركن الباقى والأسود^(١) .

* * *

[ذكر خبر وفاة يزيد بن معاوية]

وفيهما هلك يزيد بن معاوية ، وكانت وفاته بقرية من قرى حمص يقال لها حوَّارين من أرض الشام ، لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة في قول بعضهم .

٤٢٨/٢

حدثني عمر بن شبّة ، قال : حدثنا محمد بن يحيى ، عن هشام بن الوليد المخزومي ، أن الزهري كتب لجدّه أسنان الخلفاء ، فكان فيما كتّبت من ذلك : ومات يزيد بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين ؛ وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر في قول بعضهم ، ويقال : ثمانية أشهر .

وحدثني أحمد بن ثابت عمّن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، أنه قال : توفّي يزيد بن معاوية يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثمان ليالٍ ، وصلى على يزيد ابنه معاوية بن يزيد .

وأما هشام بن محمد الكلبي فإنه قال في سنن يزيد خلاف الذي ذكره الزهري ؛ والذي قال هشام في ذلك - فيما حدثنا عنه - : استُخلف أبو خالد يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وأشهر في هلال رجب سنة ستين ، وولى ستين وثمانية أشهر ، وتوفّي لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وهو ابن خمس وثلاثين ، وأمّه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة بن عدى بن زهير بن حارثة الكلبي .

(١) الخبر في الأغاني ٢١ : ١٠٦ (سأى) .

ذكر عدد ولده

فمنهم معاوية بن يزيد بن معاوية ، يُكنى أبا ليلى ، وهو الذى يقول
فيه الشاعر :

٤٢٩/٢

إِنى أَرى فتنةً قد حانَ أولُها والمُلْكُ بعدَ أبى لَيْلى لِمَن غلبَا
ونخالد بن يزيد - وكان يُكنى أبا هاشم ، وكان يقال : إنه أصاب
عَمَلُ الكِيمياء - وأبوسُفَيان ، وأمُّهُما أمّ هاشم بنت أبى هاشم بن عتبة بن
ربيعه بن عبد شمس ، تزوجها بعدَ يزيد مروان ، وهى التى يقول لها الشاعر :

إِنعِى أُمَّ خالِدٍ رُبَّ ساعٍ لقاعِدِ
وعبد الله بن يزيد ، قيل : إنه مِن أرمى العرب فى زمانه ، وأمُّهُ أمّ كلثوم
بنت عبد الله بن عامر ، وهو الأسوار ، وله يقول الشاعر :

زَعَمَ النَّاسُ أَنَّ خَيْرَ قَرِيشٍ كُلُّهُمْ حِينَ يُذَكَّرُ الْأَسْوَارُ
وعبد الله الأصغر ، وعُمَرُ ، وأبو بكر ، وعُتْبَةُ ، وحَرْبُ ، وعبد الرحمن ،
والربيع ، ومحمد ، لأمتهاتِ أولادٍ شَتَّى .

خلافة معاوية بن يزيد

وفي هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بالشام بالخلافة ، ولعبد الله بن الزبير بالحجاز .

ولما هلك يزيد بن معاوية مكث الحصين بن نمير وأهل الشام يقاتلون ابن الزبير وأصحابه بمكة — فيما ذكر هشام عن عوانة — أربعين يوماً ، قد حصروهم حصاراً شديداً ، وضيقوا عليهم . ثم بلغ موته ابن الزبير وأصحابه ، ولم يبلغ الحصين بن نمير وأصحابه ؛ فحدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : حدثنا عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعاني أبو محمد قال : حدثنا زياد بن جيل ^(١) ، قال : بينا حصين بن نمير يقاتل ابن الزبير ، إذ جاء موت يزيد ؛ فصاح بهم ابن الزبير ، فقال : إن طاعيتكم قد هلك ، فمن شاء منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل ، فمن كرهه فليلحق بشأمة ، فغداً وأُ عليه يقاتلونه . قال : فقال ابن الزبير للحصين بن نمير : أدن مني أحدثك ، فدنا منه فحدثته ، فجعل فرس أحدهما يحفل — والجحفل : الروث — فجاء حمام الحرم يلتقط من الجحفل ، فكف الحصين فرسه عنهن ، فقال له ابن الزبير : ما لك ؟ قال : أخاف أن يقتل فرسي حمام الحرم ؛ فقال له ابن الزبير : أتحرج من هذا وتريد أن تقتل المسلمين ! فقال له : لا أقاتلك ؛ فأذن لنا نطف بالبيت ، ونصرف عنك ، ففعل فانصرفوا .

وأما عوانة بن الحكم فإنه قال — فيما ذكر هشام ، عنه — قال : لما بلغ ابن الزبير موت يزيد — وأهل الشام لا يعلمون بذلك ، قد حصروه حصاراً شديداً وضيقوا عليه — أخذ يناديهم هو وأهل مكة : علام تقاتلون ؟ قد هلك طاعيتكم ؛ وأخذوا لا يصدقونه حتى قدم ثابت بن قيس بن المثنى النخعي من أهل الكوفة في رءوس أهل العراق ، فرّ بالحصين بن نمير — وكان له صديقاً ، وكان بينهما صهر ، وكان يراه عند معاوية ، فكان يعرف فضله

(١) ف : « جيل » .

٤٣١/٢

وإسلامه وشرفه - فسأل عن الخبر ، فأخبره بهلاك يزيد ، فبعث الحصين ابن نعيم إلى عبد الله بن الزبير ، فقال : موعد ما بيننا وبينك الليلة الأبطح ، فالتقيا ، فقال له الحصين : إن بك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر ؛ هلم فلنبايعك ، ثم أخرج معي إلى الشام ، فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم ، فوالله لا يختلف عليك اثنان ، وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك ، والتي كانت بيننا وبين أهل الحرّة ؛ فكان سعيد بن عمرو يقول : ما منعه أن يبايعهم ويخرج إلى الشام إلا تطير ، لأن مكة التي منعه الله بها ؛ وكان ذلك من جند مروان ، وإن عبد الله والله لو سار معهم حتى يدخل الشام ما اختلف عليه منهم اثنان . فزعم بعض قريش أنه قال : أنا أهدر ^(١) تلك الدماء ! أما والله لا أرضى ^(٢) أن أقتل بكل رجل منهم عشيرة ^(٣) ، وأخذ الحصين يكلمه سرا ، وهو يجهر جهرا ، وأخذ يقول : لا والله لا أفعل ؛ فقال له الحصين بن نعيم : قبح الله من يعدك بعد هذه ^(٤) داهيا قط أو أديبا ^(٥) ! قد كنت أظن أن لك رأيا . ألا أراني أكلمك سرا وتكلمني جهرا ، وأدعوك إلى الخلافة ، وتعدني القتل والهلكة !

ثم قام فخرج وصاح في الناس ، فأقبل فيهم نحو المدينة ، وندم ابن الزبير على الذي صنع ، فأرسل إليه : أما أن أسير إلى الشام فلست فاعلا ، وأكره الخروج من مكة ، ولكن بايعوا لي هنالك فإنني مؤمنكم وعادل فيكم . فقال له الحصين : أرايت إن لم تقدم بنفسك ، ووجدت هنالك أناسا كثيرا من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس ، فما أنا صانع ؟ فأقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة ، فاستقبله علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومعه قس ^(٦) وشعير ، وهو على راحلة له ، فسلم على الحصين ، فلم يكذب يلتفت

٤٣٢/٢

(١) ابن الأثير : « لا أهدر » . (٢) ابن الأثير : « لأرضى » .

(٣) بعدها في ابن الأثير : « منكم » .

(٤) ف : « بعدها » .

(٥) الداهي : العاقل ، وفي ابن الأثير : « قبح الله من يعدك بعد داهيا وآبيا » .

(٦) القت : الرطبة من علف الدواب .

إليه ، ومع الحصين بن نمير فرسٌ له عتيق ، وقد فَنَنِي قَتَتُهُ وشَعِيرُهُ ، فهو غَرَضٌ ، وهو يسبّ غلامه ويقول : من أين نجد هنا لدابتنا علفاً ! فقال له عليّ بن الحسين : هذا علفٌ عندنا ، فاعلف منه دابتك ، فأقبل على عليّ عند ذلك بوجهه ، فأمر له بما كان عنده من علف ، واجترأ أهل المدينة وأهلُ الحجاز على أهل الشام فذَلُّوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلاّ أخذَ بلجام دابته ثم نُكِسَ عنها ، فكانوا يجتمعون في معسكرهم فلا يفرقون . وقالت لهم بنو أمية : لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام ، ففعلوا ، ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشام ، وقد أوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية ابن يزيد ، فلم يلبث إلاّ ثلاثة أشهر حتى مات .

وقال عَوَانة : استخلف يزيد بن معاوية ابنه معاوية بن يزيد ، فلم يمكث إلا أربعين يوماً حتى مات .

وحدثني عمر ، عن عليّ بن محمد ، قال : لما استُخلف معاوية بن يزيدَ وجمع عُمَّالُ أبيه ، وبويع له بدمشق ، هلك بها بعد أربعين يوماً من ولايته . ويكنى أبا عبد الرحمن ، وهو أبو ليلى ، وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم ابن عتبة بن ربيعة ، وتوفّي وهو ابن ثلاث عشرة سنةً وثمانية عشر يوماً .

* * *

وفي هذه السنة بايع أهلُ البصرة عبيد الله بن زياد ، على أن يقوم لهم بأمرهم حتى يصطّلع الناسُ على إمام يرتضونه لأنفسهم ، ثم أرسل عبيد الله رسولا إلى الكوفة يدعوهم إلى مثل الذي فعل من ذلك أهل البصرة ، فأبوا عليه ، وحصبوا الوالى الذى كان عليهم ، ثم خالفه أهلُ البصرة أيضاً ، فهاجت بالبصرة فتنة ، ولحق عبيد الله بن زياد بالشام .

ذكر الخبر عما كان من أمر عبيد الله بن زياد وأمر أهل البصرة معه بها بعد موت يزيد

وحدثني عمر بن شبة، قال: حدثني موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن الحسن، قال: كتب الضحاک ابن قيس إلى قيس بن الهيثم حين مات يزيد بن معاوية: سلامٌ عليك، أما بعد، فإن يزيد بن معاوية قد مات، وأنتم إخواننا، فلا تسبقونا بشيء حتى نختار لأنفسنا.

حدثني عمر، قال: حدثنا زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن حماد، قال: حدثنا محمد بن أبي عيسى، قال: حدثني شهرک، قال: شهدت عبيد الله بن زياد حين مات يزيد بن معاوية قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا أهل البصرة، أنسبوني^(١)، فوالله لتجدن مهاجر والدي^(٢) ومولدي فيكم، وداري، ولقد وليتكم وما أحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل ولقد أحصى اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين ألفاً، وما أحصى ديوان عمّالكم إلا تسعين ألفاً، ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفاً، وما تركت لكم ذا ظينة^(٣) أخافه عليكم إلا وهو في سجنكم هذا. وإن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفي، وقد اختلف أهل الشام، وأنتم اليوم^(٤) أكثر الناس عدداً، وأعرضه فناءً، وأغناه عن الناس، وأوسعهُ بلاداً^(٥)، فاختراروا لأنفسكم رجلاً ترتضونه لدينكم وجماعتكم، فأنا أول راض من رضيتموه وتابع، فإن اجتمع أهل الشام على رجل ترتضونه، دخلتم فيما دخل فيه المسلمون، وإن كرهتم ذلك كنتم على جسد يلتكم حتى تعطوا حاجتكم، فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجة، وما يستغني الناس عنكم.

٤٣٤/٢

(١) ف: «أنسبوني». (٢) ابن الأثير: «إن مهاجرنا اليكم».

(٣) ابن الأثير: «قاطبة».

(٤-٤) ابن الأثير: «أكثر الناس عدداً، وأعرضهم فناء، وأغنى عن الناس وأوسعهم بلاداً».

فقامت خطباءُ أهل البصرة فقالوا : قد سمعنا مقاتلتك أيها الأمير ، وإنا والله ما نعلم أحداً أقوى عليها منك ، فهلم فلنبايعك ؛ فقال : لا حاجة لي في ذلك ، فاختاروا لأنفسكم ؛ فأبوا عليه ، وأبى عليهم ، حتى كرروا ذلك عليه ثلاث مرّات ، فلما أبوا بسط يده فبايعوه ، ثم انصرفوا بعد البيعة وهم يقولون : لا يظن^(١) ابن مرجانة أننا نستقاد^(٢) له في الجماعة والفرقة ، ككذب والله ! ثم وثبوا عليه^(٣) .

حدثني عمر ، قال زهير : قال : حدثنا وهب ، قال . وحدّثنا الأسود ابن شيبان ، عن خالد بن سمير ، أن شقيق بن ثور ومالك بن مسمع وحضين^(٤) ابن المنذر أتوا عبيد الله ليلاً وهو في دار الإمارة ، فبلغ ذلك رجلاً من الحميّ من بني سدّوس ؛ قال : فانطلقت فلزمت دار الإمارة ، فلبثوا معه حتى مضى عليه الليل ، ثم خرجوا معهم بغل موقر^(٥) مالا ؛ قال : فأتيت حضيناً فقلت : مرّ لي من هذا المال بشيء ، فقال : عليك ببني عمك ، فأتيت شقيقاً فقلت : مرّ لي من هذا المال بشيء — قال : وعلى المال مولّي له يقال له : أيوب — فقال : يا أيوب ، أعطه مائة درهم ؛ قلت^(٥) : أما مائة درهم والله لا أقبلها ، فسكت عني ساعة ، وسارَ هنيئته ، فأقبلت عليه فقلت : مرّ لي من هذا المال بشيء ، فقال : يا أيوب ، أعطه مائتي درهم ، قلت : لا أقبل والله مائتين ، ثم أمر بثلاثمائة ثم أربعمائة ، فلما انتهينا إلى الطفاوة قلت : مرّ لي بشيء ؛ قال : أرايت إن لم أفعل ما أنت صانع ؟ قلت : أنطلق والله حتى إذا توسّطت دور الحميّ وضعت إصبعي في أذني ، ثم صرخت بأعلى صوتي : يا معشر بكر بن وائل ، هذا شقيق بن ثور وحضين بن المنذر ومالك بن المسمع ، قد انطلقوا إلى ابن زياد ، فاختلفوا في دمائكم ؛ قال : ما له فعّل الله به وفعل ! ويلك أعطه خمسمائة درهم ؛ قال : فأخذتها ثم صبّحت غادياً على مالك — قال وهب : فلم أحفظ ما أمر له به مالك — قال :

(١) ف : « لا يظن » ، ابن الأثير : « أظن » . (٢) ابن الأثير : « فققاد » .

(٣) ف : « به » . (٤) ط « حصين » ، تحريف .

(٥) ف : « فقلت » .

ثم رأيت حَضِينًا فدخلت عليه ، فقال : ما صنع ابن عمك ؟ فأخبرته وقلت : أعطني من هذا المال ؛ فقال : إننا قد أخذنا هذا المال ونجونا به ، فلن نخشى من الناس شيئًا ، فلم يعطيني شيئًا .

قال أبو جعفر : وحدثني أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى أن يونس بن حبيب الجرمي حدثه ، قال : لما قتل عُبَيْدُ اللَّهِ بن زياد الحسين بن علي عليه السلام وبني أبيه ، بعث برعوسهم إلى يزيد بن معاوية ، فسُـرَّ بقتلهم أولًا ، وحسنت بذلك منزلة عُبَيْدِ اللَّهِ عنده ، ثم لم يلبث إلا قليلًا حتى ندم على قتل الحسين ، فكان يقول : وما كان علي لو احتملت الأذى وأنزلته معي في داري ، وحكمته فيما يريد ؛ وإن كان علي في ذلك وكف ووهن في سلطاني ، حفظًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورعاية لحقة وقربته ! لعن الله ابن مَرْجَانَةَ ، فإنه أخرجه واضطره ، وقد كان سأله أن يُخَلِّيَ سبيلَه ويرجع^(١) ، فلم يفعل ، أو يضع يده في يدي ، أو يلحق بشعر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله عز وجل فلم يفعل ، فأبى ذلك وردّه عليه وقتله ، فبغضني بقتله إلى المسلمين ، وزرع لي في قلوبهم العداوة ، فبغضني البسر والفاجر ، بما استعظم الناس من قتلي حُسينًا ؛ مالى ولا بن مرجانة لعنه الله وغضب عليه ! ثم إن عبيد الله بعث مولى يقال له أيوب بن حُمران إلى الشام ليأتيه بخبر يزيد ، فركب عبيد الله ذات يوم حتى إذا كان في رَحْبَةِ القَصَّابِينَ ، إذا هو بأيوب بن حُمران قد قدِم ، فلحقه فأسرّ إليه موت يزيد بن معاوية ، فرجع عبيد الله من مسيره ذلك فأتى منزله ، وأمر عبد الله بن حصن أحد بنى ثعلبة بن يربوع فنَادى : الصلاة جامعة .

قال أبو عبيدة : وأما عمير بن معن الكاتب ، فحدثني قال : الذي بعثه عُبَيْدُ اللَّهِ حُمران مولاه ، فعاد عُبَيْدُ اللَّهِ عبد الله بن نافع أخى زياد لأمه ، ثم خرج عبيد الله ماشيًا من خَوْخَة كانت في دار نافع إلى المسجد ، فلما كان في صحته إذا هو بمولاه حُمران أدنى ظلمة عند المساء - وكان حُمران رسول عبيد الله بن زياد إلى معاوية حياته وإلى يزيد - فلما رآه ولم يكن [آن]^(٢)

٤٣٦/٢

٤٣٧/٢

له أن يقدم — قال : مَهْنِم ! قال : خيرٌ ، قال : وما وراءك ؟ قال : أدنو منك ؟ قال : نعم — وأسرَّ إليه موتَ يزيد واختلاف أمر الناس بالشَّام ، وكان يزيدُ ماتَ يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين — فأقبل عبيد الله مِن فَوْرِهِ ، فأمر منادياً فنادى : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس صعد المنبرَ فَنَعَى يزيدَ ، وعَرَضَ بثلبه لِقَصْدِ يزيد إياه قبل موته حتى يخافه عبيد الله ، فقال الأحنف لعبيد الله : إنه قد كانت ليزيدَ في أعناقنا بَسِيعَةٌ ، وكان يقال : أَعْرِضْ عن ذِي فَنَسْنَن ، فأعرض عنه ، ثم قام عبيد الله يذكر اختلاف أهل الشَّام ، وقال : إني قد وليتكم ... ثم ذكر نحو حديث عمر بن شُبَّة ، عن زهير بن حرب إلى : فبايعوه عن رِضًا منهم ومشورة . ثم قال : فلما خرجوا من عنده جعلوا يمسحون أكفهم بباب الدار وحيطانها ، ويقولون : ظَنَّ ابن مرجانة أنا نوليه أمرنا في الفرقة ! قال : فأقام عبيد الله أميراً غيرَ كثير حتى جعل سلطانه يضعف ، ويأمرنا بالأمر فلا يقضَى ، ويرى الرأي فيُردَّ عليه ، ويأمر بحبس المخطئ فيُحال بين أعوانه وبينه .

قال أبو عبيدة : فسمعتُ غيلانَ بن محمد يحدث عن عثمان البتيّ ، قال : حدثني عبد الرحمن بن جَوْشَن^(١) ، قال : تَبِعْتُ جَنَازَةً فلما كان في سوق الإبل إذا رجلٌ على فرسٍ شهباء متفتَحٌ بِسِلَاحٍ^(٢) وفي يده لواء ، وهو يقول : أيها الناس ، هلموا إلى أدعُكم إلى ما لم يدعُكم إليه أحد ، أدعوكم إلى العائد بالحرَم — يعني عبد الله بن الزبير . قال : فتجمعَ إليه نُؤَيْسٌ^(٣) ، فجعلوا يصفقون على يديه ، ومضينا حتى صلينا على الجنازة ، فلما رجعنا إذا هو قد انضمَّ إليه أكثر من الأولين ، ثم أخذ بين دار قيس بن الهيثم بن أسماء بن الصلت السلمي ودار الحارثيين قِبَلْ بني تميم في الطريق الذي يأخذ عليهم ، فقال : ألا مَنْ أرادني فأنا سلمة بن دُؤَيْب — وهو سلمة بن دُؤَيْب بن عبد الله بن محكم بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة — قال : فلقينِي عبد الرحمن بن بكر عند الرَّحبة ،

(١) ط : « حوشب » ، وصوابه من ميزان الاعتدال .

(٢) في النقائض : « متلفع بساج » ، أى طيلسان .

(٣) ابن الأثير : « فاجتمع إليه ناس » .

فأخبرته بخبر سلمة بعد رجوعي ، فأتى عبد الرحمن عبيد الله فحدثه بالحديث عني ، فبعث إليّ ، فأتيته ، فقال : ما هذا الذي خبر به عنك أبو بحر ؟ قال : فاقترضت عليه القصة حتى أتيتُ على آخرها ، فأمر فنودي على المكان : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فأنشأ عبيد الله يقصّ أمره وأمرهم ، وما قد كان دعاهم إلى مَنْ يرتضونه ، فيبايعه معهم ، وإنكم أبيتم غيري ، وإنه بلغني أنكم مسحتم أكفكم بالحيطان وباب الدار ، وقلتم ما قلتم ، وإنّي أمرُ بالأمر فلا يُنفذ ، ويردّ عليّ رأيي ، وتحول القبائل بين أعواني وطلبي^(١) ، ثم هذا سلمة بن ذؤيب يدعو إلى الخلاف عليكم ، إرادة أن يفرّق جماعتكم ، ويضرب بعضكم جباه^(٢) بعض بالسيف . فقال الأحنف صخر بن قيس ابن معاوية بن حصين بن عبادة بن النّزال بن مُرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، والناس جميعاً : نحن نأتيك بسلمة ؛ فأتوا سلمة ، فإذا جمعه قد كشف ، وإذا الفتق قد اتسع على الرأتق ، وامتنع عليهم ، فلما رأوا ذلك قعدوا عن عبيد الله بن زياد فلم يأتوه .

٤٣٩/٢

قال أبو عبيدة : فحدثني غير واحد ، عن سبرة بن الجارود الهذلي ، عن أبيه الجارود ، قال : وقال عبيد الله في خطبته : يا أهل البصرة ، والله لقد لبسنا الخبز واليُسنة^(٣) واللين من الثياب حتى لقد أجمنا^(٤) ذلك وأجمته جلودنا ، فما بنا إلى أن نعقبها الحديد ! يا أهل البصرة ، والله لو اجتمعتم على ذنب عير لتكسروه ما كسرتُموه . قال الجارود : فوالله ما رمي بجمّاح^(٥) حتى هرب ، فتوارى عند مسعود فلما قُتل مسعود لحق بالشأم .

قال يونس : وكان في بيت مال عبيد الله يوم خطب الناس قبل خروج سلمة ثمانية آلاف ألف أو أقلّ — وقال عليّ بن محمد : تسعة عشر ألف

(١) ابن الأثير : « وبين طلبي » .

(٢) ابن الأثير : « رقاب بعض » . (٣) اليُسنة : ضرب من برود اليمن .

(٤) أجمه : أراحه ؛ وأصله من أجم الفرس ؛ إذا تركه فلم يركبه . والجمام بالفتح :

الراحة .

(٥) الجمّاح : سهم صغير بلا فصل مدور يتعلم به الصبيان الرمي .

ألف - فقال للناس : إن هذا فيكم ، فخذوا أعطياتكم وأرزاق ذراريكم منه ، وأمر الكتبة بتحصيل الناس وتخريج الأسماء ، واستعجل الكتاب في ذلك حتى وكل بهم من يحبهم بالليل في الديوان ، وأسرجوا بالشمع . قال : فلما صنعوا ما صنعوا وقعدوا عنه ، وكان من خلاف سلمة عليه ما كان ، كف عن ذلك ، ونقلها حين هرب ، فهي إلى اليوم تردد في آل زياد ، فيكون فيهم العرس أو المأتم فلا يرى في قريش مثلهم ، ولا في قريش أحسن منهم في الغضارة^(١) والكسوة . فدعا عبيد الله رؤساء خاصة^(٢) السلطان ، فأرادهم أن يقاتلوا معه ، فقالوا : إن أمرنا قوادنا قاتلنا معك ، فقال إخوة عبيد الله لعبيد الله : والله ما من خليفة فتقاتل^(٣) عنه فإن هزمت فتت^(٤) إليه وإن استمددت أمدك ، وقد علمت أن الحرب دُول ، فلا ندرى لعلها تدول عليك ، وقد اتخذنا بين أظهر هؤلاء القوم أموالا ، فإن ظفروا أهلكونا وأهلكوها ، فلم تسبق لك باقية . وقال له أخوه عبد الله لأبيه وأمه مرجانة : والله لئن قاتلت القوم لأعتمدن على ظبة السيف حتى يخرج من صلبى . فلما رأى ذلك عبيد الله أرسل إلى حارث بن قيس بن صُهبان بن عون بن علاج بن مازن بن أسود بن جهضم بن جديمة بن مالك بن فهم ، فقال له : يا حار ، إن أبى كان أوصانى إن احتججت إلى الحرب يوماً أن أختاركم ، وإن نفسى تأبى غيركم ، فقال الحارث : قد أبلوك في أبيك^(٥) ما قد علمت ، وأبلوه فلم يجدوا عنده ولا عندك مكافأة ، وما لك مرد إذا اخترتنا ، وما أدرى كيف أتأتى^(٦) لك إن أخرجتك نهاراً ! إني أخاف ألا أصل بك إلى قومي حتى تقتل وأقتل ، ولكنى أقيم معك حتى إذا وارى دمساً^(٧) دمساً وهدت أقدام ، ردت خلنى لثلا تعرف ، ثم أخذتك على أخوالى بنى ناجية ،

(١) الغضارة: الرواء ومظاهر النعمة .

(٢) ابن الأثير : « محاربة السلطان » .

(٣) ابن الأثير : « فتقاتل » . (٤) ابن الأثير : « رجعت » .

(٥) أبلوك في أبيك ، أى أنعموا عليك . (٦) كذا في أصول ط ، وفي ابن الأثير : « أمانى » .

(٧) في اللسان عن أبي زيد : يقال : « أتانى حيث وارى دمس دمساً وحيث وارى رؤى

رؤيا ، والمعنى واحد ؛ وذلك حين يظلم أول الليل شيئاً ، ومثله أتانى حين تقول : أخوك أم الذئب ! » .

قال عبيد الله : نِعَمَ ما رأيت ، فأقام حتى إذا قيل : أخوك أم الذئب ؛ حملة
 خَلْفَهُ ، وقد نَقَلَ تلك الأموال فأحرزها ، ثم انطلق به يمرّ به على الناس ،
 وكانوا يتحارسون مخافة الحُرُورِية فيسأل عبيد الله أين نحن ؟ فيخبره ؛ فلما
 كانوا في بني سليم قال عبيد الله : أين نحن ؟ قال : في بني سليم ؛ قال :
 سلمنا إن شاء الله ، فلما أتى بني ناجية قال : أين نحن ؟ قال : في بني ناجية ؛
 قال : نجونا إن شاء الله ؛ فقال بنو ناجية : مَنْ أنت ؟ قال : الحارث بن
 قيس ؛ قالوا : ابن أختِكَمْ ؛ وعرف رجل منهم عبيد الله فقال : ابن مرجانة !
 فأرسل سهماً فوقع في عمامته ، ومضى به الحارث حتى ينزله دارَ نفسه في
 الجهاضم ، ثم مضى إلى مسعود بن عمرو بن عدى بن محارب بن صُتَيْم بن
 مُلَيْح بن شَرَطان بن مَعْن بن مالك بن فهم ، فقالت الأزد ^(١) ومحمد بن أبي عيينة ،
 فلما رآه مسعود قال : يا حارِ ، قد كان يُتَعَوَّذُ من سوء طوارق الليل ، فنعوذ
 بالله من شرّ ما طرقتنا به ؛ قال الحارث : لم أطرُقك إلا بخير ، وقد علمتُ
 أنّ قومك قد أنجوا زياداً فوفوا له ، فصارت لهم مكرُمة في العرب يفتخرون
 بها عليهم ، وقد بايَعْتُم عبيد الله ببيعة الرضا ؛ رضاً عن ^(٢) مَشُورَةٍ ، وبيعةٍ أخرى
 قد كانت في أعناقكم قبل البيعة — يعني بيعة الجماعة — فقال له مسعود :
 يا حارِ ، أترى لنا أن نعادي أهلَ مِصْرَنا في عبيد الله ، وقد أبلينا في أبيه
 ما أبلينا ، ثم لم نُكافأ عليه ، ولم نُشكّر ! ما كنتُ أحسب أن هذا من رأيك ؛
 قال الحارث : إنه لا يُعاديك أحد على الوفاء ببيعتك حتى تبلغه مأمنه .

٤٤١/٢

قال أبو جعفر : وأمّا عمر فحدثني قال : حدثني زهير بن حرب ،
 قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا أبي ، عن الزبير بن الحريّ ،
 عن أبي لبيد الجَهْضَمي ، عن الحارث بن قيس ، قال : عَرَضَ نفسه
 — يعني عبيد الله بن زياد — على ، فقال : أمّا والله إنّي لأعرف سوءَ رأي كان
 في قومك ؛ قال : فوقفتُ له ، فأردفته على بغلي — وذلك ليلاً — فأخذتُ
 على بني سليم ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قلت : بنو سليم ؛ قال : سلمنا
 إن شاء الله ؛ ثم مررنا ببني ناجية وهم جلوسٌ ومعهم السلاح — وكان الناس

٤٤٢/٢

(١) في التصويبات : أي رواية الأزد (أبو مخنف) . (٢) ط : « من » .

يتحارسون إذ ذاك في مجالسهم - فقالوا : من هذا ؟ قلت : الحارث بن قيس ، قالوا : امض راشداً ، فلما مضينا قال رجل منهم : هذا والله ابن مرجانة خلفه ، فرماه بسهم ، فوضعه في كُورِ عمامته ، فقال : يا أبا محمد ، من هؤلاء ؟ قال : الذين كنت تزعم أنهم من قريش ، هؤلاء بنو ناجية ؛ قال : نَجُونَا إن شاء الله ، ثم قال : يا حارث ، إنك قد أحسنت وأجملت ، فهل أنت صانع ما أشير عليك ؟ قد علمت منزلة مسعود بن عمرو في قومه وشرفه وسنّه وطاعة قومه له ، فهل لك أن تذهب بي إليه فأكون في داره ، فهي وسط الأزد ، فإنك إن لم تفعل صدع^(١) عليك أمر قومك ؛ قلت : نعم ؛ فانطلقتُ به ، فما شعر مسعودُ بشيء حتى دخلنا عليه وهو جالسٌ ليلتئذٍ يوقد بقضيب على لبنة ، وهو يعالج خفّيه قد خلع أحدهما وبقى الآخر ، فلما نظر في وجهنا عرفنا وقال : إنه كان يتعوّذُ من طوارق السوء ، فقلتُ له : أفتُخرجه بعد ما دخل عليك بيتك ! قال : فأمره فدخل بيت عبد الغافر بن مسعود وامرأة عبد الغافر يومئذ خبيّرة بنت خُفاف بن عمرو - قال : ثم ركب مسعود من ليلته ومعه الحارث وجماعة من قومه ، فطافوا في الأزد ومجالسهم ، فقالوا : إن ابن زياد قد فقّد ، وإنا لا نأمن أن تلتطّخوا^(٢) به ، فأصبحوا في السلاح ، وفقد الناس ابن زياد فقالوا : أين توجه ؟ فقالوا : ما هو إلا في الأزد .

قال وهب : فحدثنا أبو بكر بن الفضل ، عن قبيصة بن مروان أنهم جعلوا يقولون : أين ترونه توجه ؟ فقالت عجوز من بني عقيل : أين ترونه توجه ! اندحسَ والله في أجمة أبيه .

وكانت وفاة يزيد حين جاءت ابن زياد وفي بيوت مال البصرة ستة عشر ألف ألف ، ففرّق ابن زياد طائفةً منها في بني أبيه ، وحمل الباقي معه ، وقد كان دعا البخارية إلى القتال معه ، ودعا بني زياد إلى ذلك فأبوا عليه .

حدثني عمر ، قال : حدثني زهير بن حرب ، قال : حدثنا الأسود بن شيبان ، عن عبد الله بن جرير المازني ، قال : بعث إلى شقيق بن ثور فقال لي : إنه قد بلغني أن ابن منجوف هذا وابن مسمع يُدبجان بالليل إلى دار

(١) ابن الأثير : « فرق » . (٢) ابن الأثير : « تلطخوا » .

مسعود ليردّ ابن زياد إلى الدار ليصلوا بين هذَيْن الغارين، فيهريقوا دماءكم، ويُعزّوا أنفسهم، ولقد هممتُ أن أبعثَ إلى ابن منجوف فأشدّه وثاقاً، وأُخرجَه عني؛ فاذهب إلى مسعود فاقرأ عليه السلام منّي، وقل له: إن ابن منجوف وابن مسمع يفعلان كذا وكذا، فأخرجَ هذين الرجلين عنك. قال: وكان معه عبيد الله وعبد الله ابنا زياد. قال: فدخلتُ على مسعود وابنا زياد عنده: أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، فقلت: السلام عليك أبا قيس، قال: وعليك السلام؛ قلتُ: بعثني إليك شقيق بن ثور يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنه بلغني، فردّ الكلام بعينه إلى «فأخرجهما عنك»؛ قال مسعود: والله فعلت^(١) ذاك؛ فقال عبيد الله: كيف أبا ثور — ونسي كُنْيَتَه، إنما كان يُكنّى أبا الفضل — فقال أخوه عبد الله: إنا والله لا نخرج عنكم، قد أجرتُمونا، وعقدتم لنا ذِمَّتكم، فلا نخرج حتى نُقتلَ بين أظهركم، فيكون عاراً عليكم إلى يوم القيامة.

٤٤/٢

قال وهب: حدثنا الزبير بن الحرّيت، عن أبي ليبد، أن أهل البصرة اجتمعوا فقلدوا أمرهم النعمان بن صُهَبان الراسبيّ ورجلاً من مضر ليختارا لهم رجلاً فيسُولوه عليهم، وقالوا: مَنْ رَضِينَا لَنَا فَقَدْ رَضِينَاهُ. وقال غير أبي ليبد: الرجل المضرّي قيسُ بن الهيثم السُلَاسميّ. قال أبو ليبد: ورأى المضرّي في بني أمية، ورأى النعمان في بني هاشم، فقال النعمان: ما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر من فلان — لرجل من بني أمية — قال: وذلك رأيك؟ قال: نعم؛ قال: قد قلدتُك أمرى، ورضيتُ مَنْ رَضِيتَ. ثمّ خرجا إلى الناس، فقال المضرّي: قد رَضِيتُ مَنْ رَضِيَ النعمان، فمن سَمِيَ لكم فأنا به راضٍ؛ فقالوا للنعمان: ما تقول! فقال: ما أرى أحداً غيرَ عبد الله ابن الحارث — وهو بيّة — فقال المضرّي: ما هذا الذي سَمِيتَ لي؟ قال: بلي، لعمري إنه هو، فرضى الناس بعبد الله وبايعوه.

قال أصحابنا: دعت مضرٌ إلى العباس بن الأسود بن عوف الزهرّي، ابن أخي عبد الرحمن بن عوف، ودَعَتِ السِّمَن إلى عبد الله بن الحارث بن نوفل، فتراضى الناسُ أن يحْكُموا قيسُ بن الهيثم والنعمان بن صُهَبان الراسبيّ لينظرا في أمر الرجلين، فاتفق

(١) كذا في ب، وفي ط: «قلت».

رَأَيْهُمَا عَلَى أَنْ يُولِيَا الْمَضْرَى الْمَاشِيَّ إِلَى أَنْ يَجْتَمَعَ أَمْرُ النَّاسِ عَلَى إِمَامٍ ؛
فَقِيلَ فِي ذَلِكَ :

نَزَعْنَا وَوَلَّيْنَا وَبَكَرُ بْنُ وَائِلٍ تَجَرُّ خُصْمَاهَا تَبَتَّغِي مِنْ تَحَالِفٍ
فَلَمَّا أَمَرُوا بَيْتَةَ عَلَى الْبَصْرَةِ وَلَتَى شَرْطَتَهُ هِمِّيَّانُ بْنُ عَدَى السَّدُوسِيَّ .
قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ فَإِنَّهُ -- فِيهَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، عَنْ
أَبِي سَعْدَانَ ، عَنْهُ -- قَصٌّ مِنْ خَيْرِ مَسْعُودٍ وَعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَأَخِيهِ غَيْرِ الْقِصَّةِ
الَّتِي قَصَّهَا وَهَبُ بْنُ جَرِيرٍ ، عَمَّنْ رَوَى عَنْهُمْ خَبَرَهُمْ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُسْلِمَةُ
ابْنُ مَحَارِبٍ بْنُ سَلَمٍ بْنُ زِيَادٍ وَغَيْرُهُ مِنْ آلِ زِيَادٍ ، عَمَّنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَمِنْ
مَوَالِيهِمْ وَالْقَوْمِ أَعْلَمُ بِحَدِيثِهِمْ ، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ قَيْسٍ لَمْ يَكَلِّمْ مَسْعُودًا ، وَلَكِنَّهُ
أَمَّنْ عُبَيْدَ اللَّهِ ، فَحَمَلَ مَعَهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى أُمِّ بَسْطَامَ امْرَأَةَ
مَسْعُودٍ ، وَهِيَ بِنْتُ عَمِّهِ ، وَمَعَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنَا زِيَادٍ ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا ،
فَأَذْنَتْ لَهُ ، فَقَالَ لَهَا الْحَارِثُ : قَدْ أَتَيْتُكَ بِأَمْرِ تَسْعُودِيْنَ بِهِ نِسَاءُكَ (١)
وَتَتَمِّينَ بِهِ شَرَفَ قَوْمِكَ ، وَتَتَعَجَّلِينَ (٢) غَنًى وَدُنْيَا لَكَ خَاصَّةً ، هَذِهِ مِائَةُ
أَلْفِ دِرْهَمٍ فَاقْبُضِيهَا ، فَهِيَ لَكَ ، وَضُمْتِي عُبَيْدَ اللَّهِ . قَالَتْ ، إِنِّي أَخَافُ إِلَّا
يَرْضَى مَسْعُودٌ بِذَلِكَ وَلَا يَقْبَلُهُ ؛ فَقَالَ الْحَارِثُ : أَلْبَسِيهِ ثَوْبًا مِنْ أَثَوَابِي ، وَأَدْخُلِيهِ
بَيْتَكَ ، وَخَلَّتِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَسْعُودٍ ؛ فَقَبِضْتَ الْمَالَ ، وَفَعَلْتَ ، فَلَمَّا جَاءَ مَسْعُودٌ
أَخْبَرْتُهُ ، فَأَخَذَ بِرَأْسِهَا ، فَخَرَجَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَالْحَارِثُ مِنْ حَجَّجَلَتِهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ
عُبَيْدُ اللَّهِ : قَدْ أَجَارْتَنِي ابْنَةُ عَمِّكَ عَلَيْكَ ، وَهَذَا ثَوْبُكَ عَلَى ، وَطَعَامُكَ فِي
بَطْنِي ، وَقَدْ التَفَّ عَلَى بَيْتِكَ ؛ وَشَهِدَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَارِثُ ، وَتَلَطَّفَ لَهُ حَتَّى رَضِيَ .

٤٤٦/٢

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَأَعْطَى عُبَيْدَ اللَّهِ الْحَارِثَ نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا ، فَلَمْ
يَزَلْ عُبَيْدُ اللَّهِ فِي بَيْتِ مَسْعُودٍ حَتَّى قُتِلَ مَسْعُودٌ ؛ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : فَحَدَّثَنِي
يَزِيدُ بْنُ سُمَيْرٍ الْجَحْرَمِيُّ ، عَنْ سَوَّارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ الْجَحْرَمِيِّ ؛ قَالَ : فَلَمَّا
هَرَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ غَبَرَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بِغَيْرِ أَمِيرٍ ، فَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ يُوَثِّرُونَ عَلَيْهِمْ ،
ثُمَّ تَرَاضَوْا بِرَجُلَيْنِ يَخْتَارَانِ لَهُمْ خَيْرَةً ، فَيَرْضَوْنَ بِهَا إِذَا اجْتَمَعَا عَلَيْهَا ، فَتَرَاضَوْا
بِقَيْسِ بْنِ الْهَيْثَمِ السُّلَمِيِّ ، وَبِنَعْمَانَ بْنِ سُفْيَانَ الرَّاسِبِيِّ -- رَاسِبُ بْنُ جَرَّامٍ

(١) ابْنُ الْأَثِيرِ : « نِسَاءُ الْعَرَبِ » . (٢) ابْنُ الْأَثِيرِ : « وَتَتَعَجَّلِينَ » .

ابن رَبَّان بن حُلْوَان بن عمران بن الحاف بن قُضَاعَة - أن يختاراً مَنْ يرضيان لهم ، فذكرَا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب - وأمه هند بنت أبي سُفْيَان بن حرب بن أمية - وكان يلقب بَبَّة ، وهو جد سليمان ابن عبد الله بن الحارث ، وذكرَا عبد الله بن الأسود الزَّهْرِي . فلما أطبقا عليهما اتَّعَدَا المِرْبَد ، وواعدا الناس أن تجتمع آراؤهم على أحد هذَيْن . قال : فحضر الناس ، وحضرت معهم قارعة المِرْبَد ؛ أى أعلاه ، فجاء قيس ابن الهيثم ، ثم جاء النعمان بعد ، فتجاوَل قيس والنعمان ، فأرى النعمان قيساً أن هواه في ابن الأسود ، ثم قال : إِنَّا لَا نستطيع أن نتكلم معاً ، وأراده أن يجعل الكلام إليه ، ففعل قيس وقد اعتقد أحدهما على الآخر ، فأخذ النعمان على الناس عهداً لِيَرْضَوْهُ بِمَا يختار . قال : ثم أتى النعمان عبد الله ابن الأسود فأخذ بيده ، وجعل يشترط عليه شرائط حتى ظنَّ الناس أنه مبايعه ، ثم تركه ، وأخذ بيد عبد الله بن الحارث ، فاشتراط عليه مثل ذلك ، ثم حمِد الله تعالى وأثنى عليه ، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحقَّ أهل بيته وقربته ، ثم قال : يَأْتِيهَا الناس ، مَا تَنْقِمُونَ من رجل من بني عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وأمه هند بنت أبي سُفْيَان ! فَإِنْ كَانَ فِيهِمْ ^(١) فهو ابن أختكم ؛ ثم صفق على يده وقال : أَلَا إِنِّي قَدْ رَضِيتُ لَكُمْ بِهِ ، فنادَوْا : قَدْ رَضِينَا ؛ فَأَقْبَلُوا بعبد الله بن الحارث إلى دار الإمارة حتى نزلها ، وذلك في أوَّل جُمَادَى الآخِرَةِ سنة أربع وستين ، واستعمل على شُرْطَتِهِ هَمِيَان بن عَدَى السُدُوسِي ، ونادى في الناس : أَنْ احْضَرُوا البيعة ، فحضرُوا فبايعوه ، فقال الفرزدق حين بايعه :

٤٤٧/٢

وبايعتُ أَقْوَاماً وَفَيْتُ بِعَهْدِهِمْ
وَبَيَّةٌ قَدْ بَايَعْتُهُ غَيْرَ نَادِمٍ

قال أبو عبيدة : فحدثني زهير بن هُنَيْد ^(٢) ، عن عمرو بن عيسى ، قال : كَانَ مَنْزِلُ مَالِكِ بْنِ مَسْمَعٍ الجَحْدَرِيّ فِي الْبَاطِنَةِ عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللَّهِ الْإِسْهَانِيّ فِي خُطِّ بَنِي جَحْدَرٍ ، الَّذِي عِنْدَ مَسْجِدِ الْجَامِعِ ، فَكَانَ مَالِكٌ يَحْضُرُ الْمَسْجِدَ ، فَبَيْنَا هُوَ قَاعِدٌ فِيهِ - وَذَلِكَ بَعْدَ يَسِيرٍ مِنْ أَمْرِ بَبَّة - وَافِيَ الْحُلُقَةَ

(١) ابن الأثير : « قد كان الأمر فيهم »

(٢) ط : « هنية » ، وانظر الفهرس .

رجلٌ من ولد عبد الله عامر بن كُرَيْزِ القرشيّ يريد بيّته ، ومعه رسالة من عبد الله ابن خازم ، وبيعت بهرّة ، فتنازعوا ، فأغلظ القرشيّ مالكا ، فلطم رجلٌ من بكر بن ولعل القرشيّ ، فتهايج من ثمّ من مضر وربيعة ، وكثرتهم ربيعة الذين في الحلقة ، فنأدى رجل : يال تميم ! فسمعت الدّعوة عصبيةً من ضبّة ابن أدّ - كانوا عند القاضي - فأخذوا رماح حرس من المسجد وتبرستهم ، ثمّ شدّوا على الرّبعيين فهزمهم ، وبلغ ذلك شقيق بن ثور السدوسيّ - وهو يومئذ رئيس بكر بن وائل - فأقبل إلى المسجد فقال : لا تجدنّ مضريّاً إلا قتلتموه ، فبلغ ذلك مالكا بن مسمع ، فأقبل متفضّلاً يسكن الناس ، فكفّ بعضهم عن بعض ، فكث الناس شهراً أو أقلّ ، وكان رجل من بني يشكر يجالس رجلاً من بني ضبّة في المسجد ، فتذاكراً اطمة البكرى القرشيّ ، ففخر اليشكريّ . قال : ثمّ قال : ذهبت ظلفاً^(١) . فأحفظ الضبيّ بذلك ، فوجأ عنقه ، فوقعه الناس في الجمعة ، فحمّل إلى أهله ميتاً - أعنى اليشكريّ - فنارت بكر إلى رأسهم أشيم بن شقيق ، فقالوا : سرّ بنا ؛ فقال : بل أبعث إليهم رسولا ، فإن سيّبوا^(٢) لنا حقنا وإلا سرنا إليهم ، فأبى ذلك بكر ، فأتوا مالكا بن مسمع - وقد كان قبل ذلك مملّكا عليهم قبل أشيم ، فغلب أشيم على الرّئاسة حين شخص أشيم إلى يزيد بن معاوية ؛ فكتب له إلى عبيد الله بن زياد أن ردّوا الرّئاسة إلى أشيم ، فأبى اللّهّازم ، وهم بنو قيس بن ثعلبة وحلفاؤهم عسرة وشيخ اللات وحلفاؤها عجل حتى توافواهم وآل ذهل بن شيبان وحلفاؤها يشكر ، وذهل بن ثعلبة وحلفاؤها ضبيّة بن ربيعة بن نزار ؛ أربع قبائل وأربع قبائل ، وكان هذا الحلف في أهل التّوبر في الجاهلية ، فكانت حنيفة بقيت من قبائل بكر لم تكن دخلت في الجاهلية في هذا الحلف ، لأنهم أهل مدّر ، فدخلوا في الإسلام مع أخيه عجل ، فصاروا لهزيمة ، ثمّ تراضوا بحكم عمران بن عيصام العسريّ أحد بني هُمَيْم ، وردّها إلى أشيم ، فلما كانت هذه الفتنة استخفت بكر مالكا بن مسمع ، فخفّ وجمع وأعدّ ،

(١) ذهبت ظلفاً ، أى من غير فائدة ، وفي ط : « طلقاً » ، تحريف .

(٢) سيّبوا ، أى تركوا .

فطلب إلى الأزد أن يجدوا الحلف الذي كان بينهم قبل ذلك في الجماعة على يزيد بن معاوية ، فقال حارثة بن بدر في ذلك :

نزعنا وأمرنا وبكر بن وائل تجر خصاها تبتغي من تحالف
وما بات بكرى من الدهر ليلة فيُصبح إلا وهو للدُّل عارف

قال : فبلغ عبيد الله الخبر - وهو في رحل مسعود - من تباعد ما بين بكر وتميم ، فقال لمسعود : إني ألقى مالكا فوجدت الحلف الأول ؛ فلقية ، فترادى ذلك ، وتأبى عليهما نفر من هؤلاء وأولئك ، فبعث عبيد الله أخاه عبد الله مع مسعود ، فأعطاه جزىلا من المال ، حتى أنفق في ذلك أكثر من مائتي ألف درهم على أن يبايعوهما ، وقال عبيد الله لأخيه : استوثق من القوم لأهل اليمن ، فجددوا الحلف ، وكتبوا بينهم كتابا سوى الكتابين اللذين كانا كتبنا بينهما في الجماعة ، فوضعوا كتابا عند مسعود بن عمرو .

قال أبو عبيدة : فحدثني بعض ولد مسعود ، أن أول تسمية من فيه ، الصلت بن حريث بن جابر الحنفي ، ووضعوا كتابا عند الصلت بن حريث أول تسميته ابن رجاء العوذى ، من عوذ بن سود ، وقد كان بينهم قبل هذا حلف .

قال أبو عبيدة : وزعم محمد بن حفص ويونس بن حبيب وهبيرة بن حدير وزهير بن هنيد ، أن مضر كانت تسكن ربيعة بالبصرة ، وكانت جماعة الأزد آخر من نزل بالبصرة ، كانوا حيث مضرت البصرة ، فحول عمر بن الخطاب رحمه الله من تنوخ^(١) من المسلمين إلى البصرة ، وأقامت جماعة الأزد لم يتحولوا ، ثم لحقوا بالبصرة بعد ذلك في آخر خلافة معاوية ، وأول خلافة يزيد بن معاوية ، فلمّا قدموا قالت بنو تميم للأحنف : بادِر إلى هؤلاء قبل أن تسبقنا إليهم ربيعة ، وقال الأحنف : إن أتوكم فاقبلوهم ، وإلا لا تأتوهم فإنكم إن أتيتموهم صرتم لهم أتباعا . فأتاهم مالك بن مسمع ورئيس الأزد يومئذ مسعود بن عمرو المعنى ، فقال مالك : جدّدوا حلفنا وحلف كندة في الجاهلية ، وحلف بني ذهل بن ثعلبة في طيى بن أدد من ثعلل ؛

٤٥٠/٢

(١) كذا في ط ، ولعلها : « من تنخ » ، أى أقام .

فقال الأحنف : أما إذ أتوهم فلن يزالوا لهم أتباعاً أذناناً .

قال أبو عبيدة : فحدثني هبيرة بن خديرة ، عن إسحاق بن سويد ، قال : فلما أن جرت بكر إلى نصر الأزد على مضر ، وجدّوا الحلف الأوّل ، وأرادوا أن يسيروا ، قالت الأزد : لا نسير معكم إلا أن يكون الرئيس منّا ، فرأسوا مسعوداً عليهم .

قال أبو عبيدة : فحدثني مسلمة بن محارب ، قال : قال مسعود لعبيد الله : سرّ معنا حتى نعيدك في الدار ؛ فقال : ما أقدر على ذلك ، امض أنت ، وأمر برواحله فشدا عليها أدواتها وسوادها ، وتزمت في أهبة السفر ، وألقوا له كرسيّاً على باب مسعود ، فقعده عليه ؛ وسار مسعود ، وبعث عبيد الله غلماناً له على الخيل مع مسعود ، وقال لهم : إني لا أدرى ما يحدث فأقول : إذا كان كذا ؛ فليأتني بعضكم بالخبر ، ولكن لا يحدثنّ خير ولا شرّ إلا أتاني بعضكم به ، فجعل مسعود لا يأتي على سكة ، ولا يتجاوز قبيلة إلا أتى بعض أولئك الغلمان بخبر ذلك ، وقدم مسعود ربيعة ، وعليهم مالك بن مسمع ، فأخذوا جميعاً سكة المريد ، فجاء مسعود حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر ، وعبد الله بن الحارث في دار الإمارة ، فقبل له : إن مسعوداً وأهل اليمن وربيعة قد ساروا ، وسيهيج بين الناس شرّ ، فلو أصلحت بينهم أو ركبت في بني تميم عليهم ! فقال : أبعدهم الله ! لا والله لا أفسدت نفسي في إصلاحهم ، وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول :

لَأُنْكِحَنَّ بَيْتَهُ جَارِيَةً فِي قَبْئِهِ

* تَمْشُطُ رَأْسَ لَعْبَةٍ *

فهذا قول الأزد وربيعة ، فأما مضر فيقولون : إن أمه هند بنت أبي سفيان كانت ترقصه وتقول هذا ؛ فلما لم يحلّ أحد بين مسعود وبين صعود المنبر ، خرج مالك بن مسمع في كتيبته حتى علا الجبّان من سكة المريد ، ثم جعل يمرّ بعيداً دور بني تميم حتى دخل سكة بني العدوية من قبل الجبّان ، فجعل يحرق دورهم للشحناء التي في صدورهم ، لقتل الضبيّ اليشكري ، ولاستعراض ابن خازم ربيعة بهرة ؛ قال : فبينما هو في ذلك إذ أتوه فقالوا : قتلوا

مسعوداً ، وقالوا : سارت بنو تميم إلى مسعود ، فأقبل حتى إذا كان عند مسجد بنى قيس فى سكة المربد ، وبلغه قتل مسعود ، وقف .

قال أبو عبيدة : فحدثنى زهير بن هنيذ ، قال : حدثنا الضحاك— أو الوضاح بن خيثمة أحد بنى عبد الله بن دارم— قال : حدثنى مالك بن دينار ، قال : ذهبت فى الشباب الذين ذهبوا إلى الأحنف ينظرون ؛ قال : فأتيته وأتته بنو تميم ، فقالوا : إن مسعوداً قد دخل الدار وأنت سيدنا ، فقال : لست بسيدكم ، إنما سيدكم الشيطان .

وأما هيرة بن حدير ، فحدثنى عن إسحاق بن سويد العدوى ، قال : أتيت منزل الأحنف فى النظارة ، فأتوا الأحنف فقالوا : يا أبا بحر ، إن ربيعة والأزد قد دخلوا الرحبة ، فقال : لستم بأحق بالمسجد منهم ؛ ثم أتوه فقالوا : قد دخلوا الدار ؛ فقال : لستم بأحق بالدار منهم ؛ ففسر سلمة بن ذؤيب الرياحى ، فقال : إلى يا معشر الفتيان ، فإنما هذا جيبس لا خير لكم عنده ، فبدرت ذؤبان بنى تميم فانتدب معه خمسمائة ، وهم مع ماه أفريدون^(١) ، فقال لهم سلمة : أين تريدون ؟ قالوا : إياكم أردنا ؛ قال : فتقدموا .

قال أبو عبيدة : فحدثنى زهير بن هنيذ ، عن أبى نعامة ، عن ناشب ابن الحسحاس وحמיד بن هلال ، قالا : أتينا منزل الأحنف بحضرة المسجد ، قالا : فكنا فيمن ينظر ، فأتته امرأة بمجمر فقالت : مالك وللرياسة ! تجمر فإنما أنت امرأة ؛ فقال : است المرأة أحق بالمجمر ؛ فأتوه فقالوا : إن عليّة بنت ناجية الرياحى— وهى أخت مطر ، وقال آخرون : عزة بنت الحر الرياحية— قد سلبت خلاخيلها من ساقينها ، وكان منزلها شارعاً فى رحبة بنى تميم على الميضأة ، وقالوا : قتلوا الصباغ الذى على طريقك ، وقتلوا المقعد الذى كان على باب المسجد ، وقالوا : إن مالك بن مسمع قد دخل سكة بنى العدوية من قبل الجبان ، فحرق دوراً ، فقال الأحنف : أقيموا البيّنة على هذا ، فى دون هذا ما يُحِلّ قتالهم ؛ فشهدوا عنده على ذلك ،

٤٥٣/٢

(١) النقائص : « فرودين » .

فقال الأحنف : أجا عباد ؟ وهو عباد بن حصين بن يزيد بن عمرو بن
أوس بن سيف بن عزم بن حِلْزَة بن بيسان بن سعد بن الحارث الحبيطة بن عمرو
ابن تميم ؛ قالوا : لا ، ثم مكث غير طويل ، فقال : أجا عباد ؟ قالوا : لا ؛
قال : فهل ها هنا عبيس بن طلق بن ربيعة بن عامر بن بسطام بن الحَكَم
ابن ظالم بن صريم بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد ؟ فقالوا : نعم ؛
فدعاه ، فانتزع معجراً في رأسه ، ثم جثا على ركبتيه ، فعقده في رُمح ثم
دفعه إليه ، فقال : سر . قالوا : فلما ولّى قال : اللهم لا تخزها اليوم ،
فإنك لم تخزها فيما مضى . وصاح الناس : هاجت زبراء - وزبراء أمة للأحنف ، وإنما
كنوا بها عنه - قالوا : فلما سار عبيس جاء عباد في ستين فارساً فسأل ،
ما صنع الناس ؟ فقالوا : ساروا ؛ قال : ومن عليهم ؟ قالوا : عبيس بن طلق
الصريمي ؛ فقال عباد : أنا (٢) أسير تحت لواء عبيس ! فرجع والفرسان إلى أهله .

فحدثني زهير ، قال : حدثنا أبو ريحانة العُرَيْنيّ ، قال : كنت يومَ قتل
مسعود تحت بطن فرس الزرد بن عبد الله السعديّ أعدو حتى بلغنا شريعة
القديم .

قال إسحاق بن سويد : فأقبلوا ، فلما بلغوا أفواه السكك وقفوا ، فقال لهم
ماه أفريدون (٣) بالفارسية : ما لكم يا معشر الفتيان ؟ قالوا : تلقونا بأسنّة
الرماح ؛ فقال لهم بالفارسية : صكّوهم بالفنجان - أى بخمس نشابات في
رمية ، بالفارسية - والأساور أربعمائة ، فصكّوهم بالنّى نشابة في دفعة ،
فأجلوا عن أبواب السكك ، وقاموا على باب المسجد ، ودلّفت التميمية إليهم ،
فلما بلغوا الأبواب وقفوا ، فسألهم ماه أفريدون : ما لكم ؟ قالوا : أسندوا إلينا
أطرافَ رماحهم ؛ قال : ارموهم أيضاً ؛ فرمّوهم بالنّى نشابة ، فأجلوهم عن
الأبواب ، فدخلوا المسجد ، فأقبلوا ومسعود يخطب على المنبر ويحضّض ،
فجعل غطّاقان بن أنيف بن يزيد بن فهدة ، أحد بني كعب بن عمرو بن

(١) ط : « زبراء » تصحيف ، صوابه من التاموس .

(٢) ابن الأثير : « لا » . (٣) في النفاض : « فرودين » .

تميم ، وكان يزيد بن فهدة فارساً في الجاهلية يقاتل ويحضر قومه ويرتجز :

يال تميم إنها مذكورة إن فات مسعود بها مشهورة

١٥٠/٢

* فاستمسكوا بجانب المقصورة *

أى لا يهرب فيفوت .

قال إسحاق بن يزيد : فأتوا مسعوداً وهو على المنبر يحضر ، فاستنزلوه فقتلوه ، وذلك في أول شوال سنة أربع وستين ، فلم يكن القوم شيئاً ، فانهزموا . وبادر أشيم بن شقيق القوم بباب المقصورة هارباً ، فطعنه أحدُهم ، فنجى بها ، ففى ذلك يقول الفرزدق :

لو أن أشيم لم يسبق أسنتنا وأخطأ الباب إذ نيرائنا نَقِدْ^(١)

إذا لصاحب مسعوداً وصاحبه وقد تهافتت الأعفاج والكبد^(٢)

قال أبو عبيدة : فحدثني سلام بن أبي خيرة ، وسمعتُه أيضاً من أبي الحسناء كُسيب العنبري يحدث في حلقة يونس ، قال : سمعنا الحسن ابن أئى الحسن يقول في مجلسه في مسجد الأمير : فأقبل مسعود من ها هنا - وأشار بيده إلى منازل الأزْد في أمثال الطير - معلماً بقاء ديباج أصفر مغير^(٣) بسواد ، يأمر الناس بالسنة ، وينهى عن الفتنة : ألا إن من السنة أن تأخذ فوق يدك ، وهم يقولون : القمّر القمّر ، فوالله ما لبثوا إلا ساعة حتى صار قمرهم قميراً ، فأتوه فاستنزلوه عن المنبر وهو عليه - قد علم الله - فقتلوه .

قال سلام في حديثه : قال الحسن : وجاء الناس من ها هنا - وأشار بيده إلى دور بني تميم .

(١) ديوانه ١٩٣ ، والباب هنا هو باب الفتنة .

(٢) رواية الديوان :

* كِلَاهُمَا خَارِجُ الْأَعْفَاجِ وَالْكَبِدِ *

على الإبطاء ، والأعفاج : الأعماء .

(٣) فى النقائص : « معين » :

قال أبو عبيدة : فحدثني مسلمة بن محارب ، قال : فأتوا عبيد الله فقالوا : قد صعد مسعود المنبر ، ولم يرم دون الدار بكثاب^(١) ، فبيناه في ذلك يتهيأ ليجيء إلى الدار ، إذ جاءوا فقالوا : قد قتل مسعود ، فاغترز في ركابه فلحق بالشأم ، وذلك في شوال سنة أربع وستين .

قال أبو عبيدة : فحدثني رواد الكعبي ، قال : فأتى مالك بن مسمع أناس من مضر ، فحصره في داره ، وحرقوا ، ففي ذلك يقول غطفان بن أنيف الكعبي في أرجوزة :

وَأَصْبَحَ ابْنُ مِسْمَعٍ مَحْصُورًا يَبْغِي قُصُورًا دُونَهُ وَدُورًا
* حَتَّى شَبَبْنَا حَوْلَهُ السَّعِيرَا *

ولما هرب عبيد الله بن زياد اتبعوه ، فأعجز الطلبة ، فانتهبوا ما وجدوا له ، ففي ذلك يقول واقد بن خليفة بن أسماء ، أحد بني صخر بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد :

يَا رَبَّ جَبَّارٍ شَدِيدِ كُلْبَةٍ قَدْ صَارَ فِينَا تَاجُهُ وَسَلْبَةٌ
مِنْهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ حِينَ نَسْلُبُهُ جِيَادُهُ وَبِزُهُ وَنَنْهَبُهُ
يَوْمَ التَّقَى مِقْنَبُنَا وَمِقْنَبُهُ لَوْ لَمْ يُنْجِ ابْنَ زِيَادٍ هَرَبُهُ
وقال جرهم^(٢) بن عبد الله بن قيس ، أحد بني العلوية في قتل مسعود في كلمة طويلة :

ومسعود بن عمرو إذ أتانا صَبَحْنَا حَدَّ مَطْرُورٍ سَنِينَا^(٣)
رَجَا التَّأْمِيرَ مَسْعُودٌ فَأَصْحَى صَرِيحاً قَدْ أَرْزَنَاهُ الْمَنُونَا
قال أبو جعفر محمد بن جرير : وأما عمر ؛ فإنه حدثني في أمر خروج عبيد الله إلى الشأم ، قال : حدثني زهير ، قال : حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، قال : حدثنا الزبير بن الخريت ، قال : بعث مسعود مع ابن زياد

(١) قال في اللسان : الكتاب : السهم عامة ، وما رماه بكثاب ، أى بسهم ، وفي ط :

« بكتاب » تحريف . (٢) في اللسان ٩ : ١٧٩ « عوم » .

(٣) سنينا ، بفتح السين أى مستوفا ، فاعيل بمعنى مفعول .

مائة من الأزد ، عليهم قرّة بن عمرو بن قيس ، حتى قدموا به الشام .

وحدثني عمر ، قال : حدثنا أبو عاصم النبيل ، عن عمرو بن الزبير
 ٥٧/٢ وخلاّد بن يزيد الباهليّ والوليد بن هشام ، عن عمّه ، عن أبيه ، عن عمرو بن
 هُبيرة^(١) ، عن يَسَاف^(٢) بن شَرِيح اليشكريّ ، قال ؛ وحدثني عليّ بن
 محمد ، قال — قد اختلفوا فزاد بعضهم على بعض — إنّ ابن زياد خرج من
 البَصْرَة ، فقال ذات ليلة : إنه قد ثَقُلَ على ركوب الإبل ، فوطئوا لي على
 ذى حافر ؛ قال : فألقيت له قطيفةً على حمار ، فركبه وإنّ رجليه لتكادان
 تخدّان في الأرض . قال اليشكريّ : فإنه ليسير أمامي إذ سكت سكّنةً
 فأطالها ، فقلت في نفسي : هذا عبّيد الله أميرُ العراق أمس نائماً الساعة على
 حمار ، لو قد سقط منه أعنّته ؛ ثمّ قلت : والله لئن كان نائماً لأتغصن
 عليه نومته ؛ فدنوتُ منه ، فقلت : أناأم أنت ؟ قال : لا ؛ قلت : فما أسكتك ؟
 قال : كنتُ أحدث نفسي ؛ قلتُ : أفلا أحدثك ما^(٣) كنت تحدث به
 نفسك ؟ قال : هات ، فوالله ما أراك تكيس ولا تصيب ، قال : قلتُ : كنت
 تقول : ليتني لم أقتل الحسين ، قال : وماذا ؟ قلتُ : تقول : ليتني لم أكن قتلْتُ
 من قتلْتُ ؛ قال : وماذا ؟ قلتُ : كنت تقول : ليتني لم أكن بنيتُ البيضاء ؛
 قال : وماذا ؟ قلتُ : تقول : ليتني لم أكن استعملت الدّهاقين ، قال : وماذا ؟
 قلتُ : تقول : ليتني كنت أسخى مما كنت ؛ قال : فقال : والله ما نطقْتُ بصواب ،
 ولا سكّت عن خطي ، أما الحسين فإنه سار إلى يريد قتلي ، فاخترت قتله على
 أن يقتلني ؛ وأما البيضاء فإنّي اشتريتها من عبد الله بن عثمان الثقفيّ ، وأرسل^(٤)
 ٥٨/٢ يزيد بألف ألف فأنفقتها عليها ، فإن بقيت فلاهلي ، وإن هليكت لم آس
 عليها مما لم أعنّف فيه ؛ وأما استعمال الدّهاقين فإنّ عبد الرحمن بن أبي بكر
 وزاذان فروخ وقعا في عند معاوية حتى ذكرا قشور الأرز ، فبلغا بخراج
 العراق مائة ألف ألف ، فخيرني معاوية بين الضّمان والعزل ؛ فكرهتُ العزل ،

(١) في التصويبات : « لعله » عمر بن هبيرة . (٢) ابن الأثير : « مسافر » .

(٣) ابن الأثير : « بما » .

(٤) ابن الأثير : « وأرسل إلى » .

فكنت إذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج ، فتقدّمت إليه أو أغرمت صدور قومه ، أو أغرمت عشيرته أضرت بهم ، وإن تركته تركتُ مالَ الله وأنا أعرف مكانه ، فوجدتُ الدّهاقين أبصر بالحبابة ، وأوفى بالأمانة ، وأهون في المطالبة ^(١) منكم ، مع أني قد جعلتكم أمناء عليهم ^(٢) لئلا يظلموا أحداً . وأما قولك في السخاء ، فوالله ما كان لي مال فأجودَ به عليكم ، ولو شئتُ لأخذتُ بعضَ ماليكم فخصّصْتُ به بعضكم دون بعض ، فيقولون : ما أسخاه ! ولكني عمستكم ، وكان عندي أنفع لكم . وأما قولك : ليتني لم أكن قتلْتُ من قتلْتُ ؛ فإعملت بعد كلمة الإخلاص عملاً هو أقربُ إلى الله عندي من قتلي ^(٣) من قتلْتُ من الخوارج ، ولكني سأخبرك بما حدثت به نفسي ؛ قلت : ليتني كنتُ قاتلتُ أهلَ البصرة ، فإنهم بايعوني طائعين غيرَ مكرهين ، وآيمُ الله لقد حرصتُ على ذلك ؛ ولكن بني زياد أتوني فقالوا : إنك إذا قاتلتهم فظهِروا عليك لم يبقوا منا أحداً ، وإن تركتهم تغيب ^(٤) الرجل منا عند أخواله وأصهاره ؛ فرفقت لهم فلم أقاتل . وكنتُ أقول : ليتني كنت أخرجتُ أهلَ السجن فضربتُ أعناقهم ، فأما إذ فاتت هاتان فليتني كنت أقدم الشام ولم يُبرِموا أمراً .

قال بعضهم : فقدم الشام ولم يُبرِموا أمراً ، فكأنما كانوا معه صبياناً ؛

وقال بعضهم : قدم الشام وقد أبرموا ، فنقض ما أبرموا إلى رأيه . ٤٥٩/٢

* * *

وفي هذه السنة طرد أهلُ الكوفة عمرو بن حُرَيْث وعزّله عنهم ، واجتمعوا على عامر بن مسعود .

ذكر الخبر عن عزلهم عمرو بن حُرَيْث وتأخيرهم عامراً

قال أبو جعفر : ذكر الهيثم بن عديّ ، قال : حدثنا ابن عيّاش ، قال :

(١) ابن الأثير : « بالمطالبة » .

(٢) ابن الأثير : « عليه » .

(٣) ابن الأثير : « من قتل من قتل » .

(٤) ط : « يغيب » .

كان أول من جُمع له المِصران : الكوفة والبصرة زياداً وابنه ، فقتلا من الخوارج ثلاثة عشر ألفاً ، وحبس عبيد الله منهم أربعة آلاف ، فلما هلك يزيد قام خطيباً ، فقال : إن الذي كنا نقاتل عن طاعته قد مات ، فإن أمرتموني جِئْتُ فَيَشْكُم ، وقاتلتُ عدوكم . وبعث بذلك إلى أهل الكوفة مُقاتِل ابن مِسمَع وسعيد بن قرحا ، أحد بنى مازن ، وخليفته على الكوفة عمرو بن حُرَيْث ، فقاما بذلك ، فقام يزيد بن الحارث بن رُويم الشيباني فقال : الحمد لله الذي أراحنا من ابن سُمَيَّة ، لا ولا كرامة ! فأمر به عمرو فلبَّس ومُضِيَ به إلى السجن ، فحالت بكر بينهم وبينه ، فانطلق يزيد إلى أهله خائفاً ، فأرسل إليه محمد بن الأشعث : إنك على رأيك ، وتتابعت عليه الرُّسل بذلك ، وصعد عمرو المنبر فحَصَّبُوهُ ، فدخل داره ، واجتمع الناس في المسجد فقالوا : نؤمِّر رجلاً إلى أن يجتمعَ الناسُ على خليفة ، فأجمعوا على عمر^(١) بن سعد ، فجاءت نساء هَمْدان يبيكين حُسيناً ، ورجالهم متقلدو السيف ، فأطافوا بالمنبر ، فقال محمد بن الأشعث : جاء أمرٌ غير ما كنا فيه ، وكانت كِنْدَةَ تقوم بأمرِ عُمر بن سَعْدٍ لأنهم أخواله ، فاجتمعوا على عامر ابن مسعود ، وكتبوا بذلك إلى ابن الزبير ، فأقره .

وأما عَوَّانَةُ بن الحَكَم ، فإنه قال فيما ذكر هشام بن محمد عنه : لما بايع أهلُ البصرة عُبَيْدَ اللَّهِ بن زياد بعث وافدين من قبيله إلى الكوفة : عمرو بن مِسمَع ، وسعد بن القرحا التميمي ، ليعلم أهل الكوفة ما صنع^(٢) أهل البصرة ، ويسألانهم البيعة لعُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد ، حتى يصططح الناس ، فجمع الناس عمرو بن حُرَيْث ، فحَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : إن هذين الرجلين قد أتياكم من قبيل أميركم يدعوانكم إلى أمر يجمع الله به كلمتكم ، ويُصلح به ذاتَ بينكم ، فاسمعوا منهما ، واقبلوا عنهما ، فإنهما يرشداً ما أتياكم .

فقام عمرو بن مسمع ، فحَمِدَ الله وأثنى عليه ، وَذَكَرَ أهل البصرة واجتماع رأيهم على تأمير عُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد حتى يرى الناس رأيهم فيمن يولون عليهم ؟

(١) ط : « عمرو » ، تحريف . (٢) ف : « بما صنع » .

وقد جئناكم لنجمع أمرنا وأمركم فيكون أميرنا وأميركم واحداً ، فإنما الكوفة من البصرة والبصرة من الكوفة ، وقام ابن القرحة فتكلم نحواً من كلام صاحبه . قال : فقام يزيد بن الحارث بن يزيد الشيباني - وهو ابن رويم - فحصبهما أول الناس ، ثم حصبهما الناس بعد ، ثم قال : أنحن نباع لابن مَرْجَانة ! لا ولا كرامة ؛ فشرفت تلك الفسلة يزيد في المِصر ورفعته ، ورجع الوفد إلى البصرة فأعلم الناس الخبر فقالوا : أهل الكوفة يخلعون ، وأنتم تولونه وتبايعونه ! فوثب به الناس ، وقال : ما كان في ابن زياد وصمة إلا استجارته بالأزد .

قال : فلمّا نابذه الناس استجار بمسعود بن عمرو الأزدي ، فأجاره ومنعه ، ٦١/٢ ؛ فكث تسعين يوماً بعد موت يزيد ، ثم خرج إلى الشام ، وبعث الأزدي وبكر ابن وائل رجلاً منهم معه حتى أوردوه الشام ، فاستخلف حين توجه إلى الشام مسعود بن عمرو على البصرة ، فقالت بنو تميم وقيس : لا نرضى ولا نجيز ولا نولّي إلا رجلاً ترضاه جماعتنا ، فقال مسعود : فقد استخلفني فلا أدع ذلك أبداً ؛ فخرج في قومه حتى انتهى إلى القصر فدخله ، واجتمعت تميم إلى الأحنف بن قيس فقالوا له : إن الأزدي قد دخلوا المسجد ؛ قال : ودخل المسجد فمه ! إنما هو لكم ولهم ، وأنتم تدخلونه ؛ قالوا : فإنه قد دخل القصر ، فصعد المنبر . وكانت خوارج قد خرجوا ، فزلوا بنهر الأساورة حين خرج عبيد الله بن زياد إلى الشام ، فزعم الناس أن الأحنف بعث إليهم أن هذا الرجل الذي قد دخل القصر لنا ولكم عدو ، فما يمتنعكم من أن تبدعوا به ! فجاءت عصاة منهم حتى دخلوا المسجد ، ومسعود بن عمرو على المنبر يبائع من أتاه ، فيرميه على ما يقال له : مسلم من أهل فارس ، دخل البصرة فأسلم ثم دخل في الخوارج ، فأصاب قلبه فقتله وخرج ، وجال الناس بعضهم في بعض فقالوا : قتل مسعود بن عمرو ، قتلته الخوارج ، فخرجت الأزدي إلى تلك الخوارج فقتلوا منهم وجرحوا ، وطردهم عن البصرة ، ودفنوا مسعوداً ، فجاءهم الناس فقالوا لهم : تعلمون أن بني تميم يزعمون أنهم قتلوا مسعود بن عمرو ، فبعثت الأزدي تسأل عن ذلك ؛ فإذا أناس منهم يقولونه ، فاجتمعت الأزدي عند ذلك فرأوا عليهم زياد بن عمرو العتكي ، ثم ازدكفوا إلى بني تميم

٦٢/٢ : وخرجت مع بني تميم قيس ، وخرج مع الأزدي مالك بن مسمع وبكر بن وائل فأقبلوا نحو بني تميم . وأقبلت تميم إلى الأحنف يقولون : قد جاء القوم ، اخرج . وهو متمكث ، إذ جاءته امرأة من قومه بمسحرجة فقالت : يا أحنف اجلس على هذا ، أي إنما أنت امرأة ؛ فقال : استك أحق بها ، فما سمع منه بعد كلمة كانت أرفث منها ، وكان يعرف بالحلم . ثم إنه دعا برأيه فقال : اللهم انصرها ولا تدللها ، وإن نصرتها ألا يظهر بها ولا يظهر عليها ؛ اللهم احقن دماءنا ، وأصلح ذات بيننا . ثم سار وسار ابن أخيه إلياس بن معاوية بين يديه ، فالتقى القوم فاقتتلوا أشد القتال ، فقتل من الفريقين قتلى كثيرة ، فقالت لهم بنو تميم : الله الله يا معشر الأزدي دمائنا ودمائكم ! بيننا وبينكم القرآن ومن شتم من أهل الإسلام ، فإن كانت لكم علينا بيعة أنا قتلنا صاحبكم ، فاخترنا أفضل رجل فينا فاقتلوه بصاحبكم ، وإن لم تكن لكم بيعة فإننا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ، ولا نعلم لصاحبكم قاتلاً ، وإن لم تريدوا ذلك فنحن ندي صاحبكم بمائة ألف درهم . فاصطلحوا ، فأتاهم الأحنف بن قيس في وجوه مضر إلى زياد بن عمرو العنكي ، فقال : يا معشر الأزدي ، أنتم جبرتنا في الدار ، وإخوتنا عند القتال ، وقد أتيناكم في رجالكم لإطفاء حشيشكم ، وسل سخيمتكم ، ولكم الحكم مرسل ، فقولوا على أعلامنا وأموالنا ، فإنه لا يتعاضدنا ذهاب شيء من أموالنا كان فيه صلاح بيننا ، فقالوا : أتدرون صاحبنا عشر ديات ؟ قال : هي لكم ؛ فانصرف الناس واصطلحوا ؛ فقال الهيثم بن الأسود :

٦٣/٢ : أَعْلَى بِمَسْعُودِ النَّاعِي فَقُلْتُ لَهُ نِعْمَ الْيَمَانِي تَجَرُّوْا عَلَي النَّاعِي
أَوْفَى ثَمَانِينَ مَا يَسْطِيعُهُ أَحَدٌ فَتَنِي دَعَاهُ لِرَأْسِ الْعِدَّةِ الدَّاعِي
أَوَى ابْنِ حَرْبٍ وَقَدْ سُدَّتْ مَذَاهِبُهُ فَأَوْسَعَ السَّرْبِ مِنْهُ أَيَّ إِسَاعٍ
حَتَّى تَوَارَتْ بِهِ أَرْضٌ وَعَامِرُهَا وَكَانَ ذَا نَاصِيَةٍ فِيهَا وَأَشْيَاعِ

وقال عبيد الله بن الحر :

ما زلت أرجو الأزد حتى رأيتها تقصّر عن بنيانها المتناول
أيقتل مسعود ولم يشاروا به وصارت سيوف الأزد مثل المناجل
وما خير عقل أوزت الأزد ذلة تسب به أحياءهم في المحافل
على أنهم شمت كأن لحاهم ثعالب في أعناقها كالجلجل

واجتمع أهل البصرة على أن يجعلوا عليهم منهم أميراً يصلى بهم حتى
يجتمع الناس على إمام ، فجعلوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر شهراً ، ثم جعلوا
بيته - وهو عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب - فصلى بهم شهرين ، ثم
قدم عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر من قبل ابن الزبير ، فكث شهره ٤٦٤/٢
ثم قدم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي بعزله ، فوليها الحارث
وهو القبايع .

قال أبو جعفر : وأما عمر بن شبة ، فإنه حدثني في أمر عبد الملك بن
عبد الله بن عامر بن كرز و أمرببة ومسعود وقتله ، وأمر عمر بن عبيد الله
غير ما قال هشام عن عوانة . والذي حدثني عمر بن شبة في ذلك أنه قال :
حدثني علي بن محمد ، عن أبي مقرر عبيد الله الدهني ، قال : لما بايع الناس
بيته ولّى بيته شرطته هميان بن عدى ، وقدم على بيته بعض أهل المدينة ،
وأمر هميان بن عدى بإنزاله قريباً منه ، فأتى هميان داراً للليل مولى زياد التي
في بني سليم وهم بتفريغها لئلا يأتها ، وقد كان هرب وأقفل أبوابه ، فنعت
بنو سليم هميان حتى قاتلوه ، واستصرخوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن
كرز ، فأرسل بخاريته ومواليه في السلاح حتى طردوا هميان ومنعوه الدار ،
وغدا عبد الملك من الغد إلى دار الإمارة ليسلم على بيته ، فلقيه على الباب رجل
من بني قيس بن ثعلبة ، فقال : أنت المعين علينا بالأمس ! فرفع يده فطمه ،
فضرب قوم من البخارية يد القيسي فأطارها ؛ ويقال : بل سليم القيسي ،
وغضب ابن عامر فرجع ، وغضبت له مضر فاجتمعت وأنت بكر بن

وائل أشيم بن شقيق بن ثور فاستصرخوه ، فأقبل ومعه مالك بن مسمع حتى
 صعد المنبر فقال : أيّ مضرى وجدتموه فاسلبوه . وزعم بنو مسمع أن مالكاً
 جاء يومئذ متفضلاً في غير سلاح ليردّ أشيم عن رأيه . ثمّ انصرفت بكر وقد
 ٤٦٥/٢ تهاجروا هم والمضريّة ، واغتنمت الأزْد ذلك ، فحالفوا بكرًا ، وأقبلوا مع مسعود
 إلى المسجد الجامع ، وفزعَتْ تميم إلى الأحنف ، فعقد عمامته على قناة ،
 ودفعها إلى سلمة بن ذؤيب الرياحي ، فأقبل بين يديه الأساورة حتى دخل
 المسجد ومسعود يخطب ، فاستنزلوه فقتلوه ، وزعمت الأزْد أن الأزارقة
 قتلوه ، فكانت الفتنة ، وسفر بينهم عمر بن عبيد الله بن معمر وعبد الرحمن
 ابن الحارث بن هشام حتى رَضِيت الأزْد من مسعود بعشر دينات ، ولزم
 عبد الله بن الحارث بيته ، وكان يتدين ، وقال : ما كنت لأصلح الناس
 بفساد نفسى .

قال عمر : قال أبو الحسن : فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير ، فكتب
 إلى أنس بن مالك يأمره بالصلاة بالناس ، فصلّى بهم أربعين يوماً .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ بن محمد ، قال : كتب ابن الزبير إلى عمر
 ابن عبيد الله بن معمر التيميّ بعهدته على البصرة ، ووجه به إليه ، فوافقه
 وهو متوجه يريد العُمرة ، فكتب إلى عبيد الله يأمره أن يصلّى بالناس ، فصلّى
 بهم حتى قدم عمر .

حدثني عمر ، قال : حدثني زهير بن حرب ، قال : حدثنا وهب بن جرير ،
 قال : حدثني أبي ، قال : سمعتُ محمد بن الزبير ، قال : كان الناس اصطَلحوا
 على عبد الله بن الحارث الهاشمي ، فولّى أمرهم أربعة أشهر ، وخرج نافع بن
 الأزرق إلى الأهواز ، فقال الناس لعبد الله : إن الناس قد أكل بعضهم بعضاً ؛
 تؤخذ المرأة من الطريق فلا يَمْنَعُها أحد حتى تُفَضَّح ؛ قال : فتريدون ماذا ؟
 قالوا : : تضع سيفك ، وتشدّ على الناس ؛ قال : ما كنت لأصلحهم
 ٤٦٦/٢ بفساد نفسى ، يا غلام ، ناوِلْنِي نعلِي ، فانتعل ثمّ لحق بأهله ، وأمر الناس
 عليهم عُمر بن عبيد الله بن معمر التيميّ ؛ قال أبي ، عن الصَّعْب بن زيد :

إن الجحارف وقع وعبد الله على البصرة ، فمات أمه في الجحارف ، فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة أعلاج فحملوها إلى حفرتها ، وهو الأمير يومئذ .

حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : كان بيته قد تناول في عمله على البصرة أربعين ألفاً من بيت المال ، فاستودعها رجلاً ، فلما قدم عمر بن عبيد الله أميراً أخذ عبد الله بن الحارث فحبسه ، وعذب مولى له في ذلك المال حتى أغرمه إياه .

حدثني عمر قال : حدثني علي بن محمد ، عن القافلاني ، عن يزيد ابن عبد الله بن الشخير ، قال : قلت لعبد الله بن الحارث بن نوفل : رأيتك زمان استعملت علينا أصببت من المال ، واتقيت الدم ، فقال : إن تبعة المال أهون من تبعة الدم .

* * *

[ذكر الخبر عن ولاية عامر بن مسعود على الكوفة]

وفي هذه السنة ولّى أهل الكوفة عامر بن مسعود أمرهم ، فذكر هشام ابن محمد الكلبي ، عن عوانة بن الحكم ، أنهم لما ردوا وافدئ أهل البصرة اجتمع أشراف أهل الكوفة ، فاصطلحوا على أن يصلّي بهم عامر بن مسعود - وهو عامر بن مسعود بن خلف القرشي ، وهو دحرجة الجعل الذي يقول فيه عبد الله بن همام السلولي :

أشدُّ يدك يزيد إن ظفرت به واشف الأراميل من دحرجة الجعل

وكان قصيراً - حتى يرى الناس رأيهم ، فكث ثلاثة أشهر من مهلك ٤٦٧/٢ يزيد بن معاوية ، ثم قدم عليهم عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الحطمي على الصلاة ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة^(١) بن عبيد الله على الخراج ، فاجتمع

(١) ابن الأثير : « طليحة » .

لابن الزبير أهل الكوفة وأهل البصرة ومن بالقبلة من العرب وأهل الشام ،
وأهل الجزيرة إلا أهل الأردن .

* * *

[خلافة مروان بن الحكم]

وفي هذه السنة بُويع لمروان بن الحكم بالخلافة بالشام .
* ذكر السبب في البيعة له :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال :
لما بُويع عبدُ الله بنُ الزبير ولَّى المدينةَ عُبَيْدَةَ بنَ الزبير ، وعبد الرحمن بن
جَحْدَمَ الفِهْرِيَّ مصرَ ، وأُخْرِجَ بنى أُمَيَّةَ ومروان بن الحكم إلى الشام —
وعبد الملك يومئذ ابن ثمان وعشرين — فلما قدم حصين بن نمير ومن معه إلى
الشام أخبر مروانَ بما خلَّفَ عليه ابن الزبير ، وأنه دعاه إلى البيعة ، فأبى
فقال له ولبنى أُمَيَّة : نراكم في اختلاط شديد ، فأقيموا أمركم ^(١) قبل أن
يدخل عليكم شأموكم ، فتكون فتنة عمياء صماء ؛ فكان من رأى مروانَ أن
يرحل فينطلق إلى ابن الزبير فيبايعه ، فقدم عبيد الله بن زياد واجتمعت عنده
بنو أُمَيَّةَ ، وكان قد بلغ عبيد الله ما يريد مروان ، فقال له : استحييتُ لك
مما تريد ! أنت كبيرُ قريش وسيدّها ، تصنع ما تصنعه ! فقال : ما فات
شيءٌ بعد ؛ فقام معه بنو أُمَيَّةَ ومواليهم ، وتجمع إليهم أهلُ اليمن ، فسار وهو
يقول : ما فات شيءٌ بعد ؛ فقدم دمشقَ ومن معه ، والضحاك بن قيس الفهريّ
قد بايعه أهلُ دمشق على أن يصلّيَ بهم ؛ ويقيمَ لهم أمرهم حتى يجتمع أمرُ
أُمَّةٍ محمد .

وأما عوانة فإنه قال — فيما ذكر هشام عنه — إن يزيد بن معاوية لما مات وابنه
معاوية من بعده ، وكان معاوية بن يزيد بن معاوية — فيما بلغني — أمرَ بعد ولايته
فنودى بالشام : الصلاة جامعة ! فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ،
فإني قد نظرت في أمركم فضعفتُ عنه ، فابتغيث لكم رجلاً مثلَ عمر بن

(١) ابن الأثير : « أميركم » .

الخطّاب رحمة الله عليه حين فزع إليه أبو بكر فلم أجده ، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر ، فلم أجدها ، فأنتم أولي بأمركم ، فاختاروا له من أحببتهم . ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس ، وتغيّب حتى مات . فقال بعض الناس : دُسّ إليه فسُقَى سمّاً ، وقال بعضهم : طعن .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عوانة . ثم قدم عبيد الله بن زياد دمشق وعليها الضحّاك ابن قيس الفهرى ، فثار زُفَر بن الحارث الكلّابى بقينسرين يبايع لعبد الله بن الزبير ، وبايع النعمان بن بشير الأنصارى بحمص لابن الزبير ، وكان حسان ابن مالك بن محدّك الكلّابى بفلسطين عاملاً لمعاوية بن أبى سفيان ، ثم ليّزید ابن معاوية بعده ، وكان يهوى هوى بنى أمية ، وكان سيّد أهل فلسطين ، فدعا حسان بن مالك بن محدّك الكلّابى رَوْح بن زنباع الجُدّامى ، فقال : إني مستخلفك على فلسطين ، وأدخل هذا الحى من لَحْم وجُدّام ، ولست بدون رجل إذ كنت عينهم قاتلت بمن معك من قومك . وخرج حسان بن مالك إلى الأردنّ ٤٦٩/٢ واستخلف رَوْح بن زنباع على فلسطين ، فثار ناتل بن قيس بروح بن زنباع فأخرجه ، فاستولى على فلسطين ، وبايع لابن الزبير ، وقد كان عبد الله بن الزبير كتب إلى عامله بالمدينة أن ينهى بنى أمية من المدينة ، فنصّوا بعيالاتهم ونسائهم إلى الشام ، فقد مت بنو أمية دمشق وفيها مروان بن الحكم ، فكان الناس فريقين : حسان بن مالك بالأردنّ يهوى هوى بنى أمية ، ويدعو إليهم ؛ والضحّاك ابن قيس الفهرى بدمشق يهوى هوى عبد الله بن الزبير ، ويدعو إليه . قال : فقام حسان بن مالك بالأردنّ ، فقال : يا أهل الأردنّ ، ما شهادتكم على ابن الزبير وعلى قتلتى أهل الحرة ؟ قالوا : نشهد أن ابن الزبير منافق وأنّ قتلتى أهل الحرة فى النار ؛ قال : فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلاككم بالحرة ؟ قالوا : نشهد أن يزيد على الحقّ ، وأنّ قتلانا فى الجنة ؛ قال : وأنا أشهد لأن كان دينُ يزيد بن معاوية وهو حى حقّاً يومئذ إنه اليوم وشيعته على حقّ ؛ وإن كان ابن الزبير يومئذ وشيعته على باطل إنه اليوم على باطل وشيعته ؛ قالوا له : قد صدقت ، نحن نبايعك على أن نقاتل من

خالفك من الناس ، وأطاع ابن الزبير ، على أن تجنبنا هذين الغلامين ، فإنما نكره ذلك - يعنون ابنى يزيد بن معاوية عبد الله وخالدًا - فإنهما حديثه أسنانهما ، ونحن نكره أن يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي . وقد كان الضحاك ابن قيس بدمشق يهوى هوى ابن الزبير ؛ وكان يمنعه من إظهار ذلك أن بنى أمية كانوا بحضرته ، وكان يعمل في ذلك سرًا ، فبلغ ذلك حسان بن مالك ابن بحدل ، فكتب إلى الضحاك كتابًا يعظم فيه حق بنى أمية ، ويذكر الطاعة والجماعة وحسن بلائ بنى أمية عنده وصنيعهم إليه ، ويدعوه إلى طاعتهم ، ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ، ويذكر أنه منافق ، قد خلع خليفتين ، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس . ودعا رجلا من كُتُوب يدعى ناغضة فسرّح بالكتاب معه إلى الضحاك بن قيس ، وكتب حسان بن مالك نسخة ذلك الكتاب ، ودفعه إلى ناغضة ، وقال : إن قرأ الضحاك كتابي على الناس وإلا فقم فاقرأ هذا الكتاب على الناس ؛ وكتب حسان إلى بنى أمية يأمرهم أن يحضروا ذلك ، فقدم ناغضة بالكتاب على الضحاك فدفعه إليه ودفع كتاب بنى أمية إليهم ، فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك المنبر فقام إليه ناغضة ، فقال : أصلح الله الأمير ! ادع بكتاب حسان فاقرأه على الناس ، فقال له الضحاك : اجلس ، فجلس ؛ ثم قام إليه الثانية فقال له : اجلس ؛ ثم قام إليه الثالثة فقال له : اجلس ؛ فلما رآه ناغضة لا يفعل أخرج الكتاب الذى معه فقرأه على الناس ، فقام الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فصدّق حسانًا وكذب ابن الزبير وشتمه ، وقام يزيد بن أبى النّمس^(١) الغساني ، فصدّق مقالة حسان وكتابته ، وشتم ابن الزبير ، وقام سفيان بن الأبرد الكلبى فصدّق مقالة حسان وكتابته ، وشتم ابن الزبير .

٤٧١/٢ وقام عمرو بن يزيد الحكمى فشم حسان وأثنى على ابن الزبير ، واضطرب الناس تبعًا لهم ، ثم أمر الضحاك بالوليد بن عتبة ويزيد بن أبى النّمس وسفيان

(١) ابن الأثير : «أبو الغمس» ، قال : «بالسين المهلهلة، وقيل بالشين المعجمة ، وكان قد ارتد عن الإسلام ودخل الروم مع جبلة بن الأيهم ؛ ثم عاود الإسلام ، وشهد صفين مع معاوية وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان » .

ابن الأبرد الذين كانوا صدقوا مقالة حسان وشتموا ابن الزبير فحبسوا ، وجال الناس بعضهم في بعض ، ووثبت كلب على عمرو بن يزيد الحكمي فضر به وحرّقه بالنار ، وخرّقوا ثيابه .

وقام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرقأتين من المنبر ^(١) وهو يومئذ غلام ، والضحاك بن قيس على المنبر ، فتكلّم خالد بن يزيد بكلام أوجز فيه لم يسمع مثله ، وسكن الناس ونزل الضحاك فصلّى بالناس الجمعة ، ثم دخل فجاءت كلب فأخرجوا سفيان بن الأبرد ، وجاءت غسان فأخرجوا يزيد بن أبي النّمس ، فقال الوليد بن عتبة : لو كنت من كلب أو غسان أخرجت .

قال : فجاء ابنا يزيد بن معاوية : خالد وعبد الله ؛ معهما أخوالهما من كلب فأخرجوه من السجن ، فكان ذلك اليوم يسميه أهل الشام يوم جئرون الأول . وأقام الناس بدمشق ، وخرج الضحاك إلى مسجد دمشق ، فجلس فيه فذكر يزيد بن معاوية ، فوقع فيه ، فقام إليه شاب من كلب بعضا معه فضر به بها ، والناس جلوس في الحلق متقلدى السيوف ، فقام بعضهم إلى بعض في المسجد ، فاقتلوا ؛ قيس تدعو إلى ابن الزبير ونصرة الضحاك ، وكتب تدعو إلى بني أمية ثم إلى خالد بن يزيد ، ويتعصبون ليزيد ، ودخل الضحاك دار الإمارة ، وأصبح الناس فلم يخرج إلى صلاة الفجر ، وكان من الأجناد ناس يهوون هوى بني أمية ، وناس يهوون هوى ابن الزبير ، فبعث الضحاك ٤٧٢/٢ إلى بني أمية فدخلوا عليه من الغد ، فاعتذر إليهم ، وذكر حسن بلائهم ^(٢) عند مواله وعنده ، وأنه ليس يريد شيئا يكرهونه .

قال : فتكتبون إلى حسان ونكتب ، فيسير من الأردن حتى ينزل الجابية ، ونسير نحن وأنتم حتى نوافيه بها ، فنبايع لرجل منكم ، فرضيت بذلك بنو أمية ، وكتبوا إلى حسان ، وكتب إليه الضحاك ، وخرج الناس وخرجت بنو أمية واستقبلت الرايات ، وتوجهوا يريدون الجابية ، فجاء ثور بن معن بن يزيد ابن الأخنس السلمى إلى الضحاك ، فقال : دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعناك

(١) في ابن الأثير : « فصعد مرقأتين من المنبر وسكن الناس » .

(٢) ف : « بلائه » .

على ذلك ، وأنت تسير إلى هذا الأعرابي من كَلْب تستخلف ابن أخيه خالد ابن يزيد ! فقال له الضحّاك : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن نُظهر ما كنا نسرّ وندعو إلى طاعة ابن الزبير ، ونقاتل عليها ، فقال الضحّاك بمن معه من الناس فعطفهم ، ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط .

واختلف في الواقعة التي كانت بمرج راهط بين الضحّاك بن قيس ومروان ابن الحَكَم ، فقال محمد بن عمر الواقدي : بُويج مروان بن الحَكَم في المحرم سنة خمس وستين ، وكان مروان بالشّام لا يُحدث نفسه بهذا الأمر حتى أطمعته فيه عبّيد الله بن زياد حين قدّم عليه من العراق ، فقال له : أنت كبير قريش ورئيسها ، يلي عليك الضحّاك بن قيس ! فذلك حين كان ما كان ، فخرج إلى الضحّاك في جيش ، فقتلهم مروان والضحّاك يومئذ في طاعة ابن الزبير ، وقتلت قيس بمرج راهط مقتلةً لَمْ يُقتل مثلها في موطن قط . ٤٧٣/٢

قال محمد بن عمر : حدثني ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، قال : قُتِل الضحّاك يومَ مَرَجٍ راهط على أنه يدعو إلى عبد الله بن الزبير ، وكتبَ به إلى عبد الله لما ذُكر عنه من طاعته وحسن رأيه (١) .

وقال غير واحد : كانت الواقعة بمرج راهط بين الضحّاك ومروان في سنة أربع وستين .

وقد حدّثت عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثني موسى ابن يعقوب ، عن أبي (٢) الحَوَيْرِث ، قال : قال أهل الأردن وغيرهم لمروان : أنت شيخ كبير ، وابن يزيد غلام وابن الزبير كَهْلٌ ، وإنما يُقرع الحديدُ بعضه ببعض ، فلا تبارِه بهذا الغلام ، وارم بنحرك في نحره ، ونحن نابعك ، ابسط يدك ، فبسطها ، فبايعوه بالجابية يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين .

قال محمد بن عمر : وحدّثني مصعب بن ثابت ، عن عامر بن عبد الله أن الضحّاك لما بلغه أن مروان قد بايعه من بايعه على الخلافة ، بايع من معه

(١) ط : « لنا وذكر من طاعته لنا » . (٢) ط : « بني » ، وانظر الفهرس .

لابن الزبير ، ثم سار كل واحد منهما إلى صاحبه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل الضحاك وأصحابه .

قال محمد بن عمر : وحدثنى ابن أبي الزناد ، عن أبيه ؛ قال : لما ولي المدينة عبد الرحمن بن الضحاك كان فتى شاباً ، فقال : إن الضحاك ابن قيس قد كان دعا قيساً وغيرها إلى البيعة لنفسه ، فبايعهم يومئذ على الخلافة ، فقال له زُفر بن عقيل الفهري : هذا الذي كنا نعرف ونسمع ، وإن بني الزبير يقولون : إنما كان بايع لعبد الله بن الزبير ، وخرج في طاعته حتى قتل ، الباطل والله يقولون ؛ كان أول ذاك أن قريشاً دعتهم إليها ، فأبى عليها حتى دخل فيها كارهاً .

* * *

ذكر الخبر عن الواقعة بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم وتمام الخبر عن الكائن من جليل الأخبار والأحداث في سنة أربع وستين قال أبو جعفر : حدثنا نوح بن حبيب ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، عن عوانة بن الحكم الكلبى ، قال : مال الضحاك بن قيس بمن معه من الناس حين سار يريد الجابية للقاء حسّان بن مالك ، فعطّفهم ، ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط ، وأظهر البيعة لابن الزبير وخلع بنى أمية ، وبايعه على ذلك جلّ أهل دمشق من أهل اليمن وغيرهم .

قال : وسارت بنو أمية ومن تبعهم حتى وافوا حسّان بالجابية ، فصلّى بهم حسّان أربعين يوماً ، والناس يتشاورون ، وكتب الضحاك إلى النعمان بن بشير وهو على حمص ، وإلى زُفر بن الحارث وهو على قنسرين ، وإلى نائل ابن قيس وهو على فلسطين يستمدّهم ، وكانوا على طاعة ابن الزبير ، فأمدّه النعمان بشُرْحَبِيل بن ذى الكلاع ، وأمدّه زُفر بأهل قنسرين ، وأمدّه نائل بأهل فلسطين ، فاجتمعت الأجناد إلى الضحاك بالمرج .

وكان الناس بالجابية لهم أهواء مختلفة ، فأما مالك بن هيرة السكوني فكان يهوى هوى بنى يزيد بن معاوية ، ويحب أن تكون الخلافة فيهم ، وأما الحصين بن نمير السكوني فكان يهوى أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم ،

فقال مالك بن هبيرة لحصين بن نمير : هلم فلنباع^(١) لهذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه ، وهو ابن أختنا ، فقد عرفت منزلتنا كانت من أبيه ، فإنه يحملنا على رقاب العرب غداً — يعني خالد بن يزيد — فقال الحصين : لا ، لعمر الله ، لا تأتينا العرب بشيخ وأتيتهم بصبي ؛ فقال مالك : هذا ولم تردى^(٢) تهامة ولما يسلم الحزام الطَّبَّيِّين ؛ فقالوا : مهلاً يا أبا سليمان ! فقال له مالك : والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها ؛ إن مروان أبو عشيرة ، وأخو عشيرة ، وعم عشيرة ، فإن بايعتموه كنتم عبيد ألهم ، ولكن عليكم بآبن أختكم خالد ، فقال حصين : إنني رأيت في المنام قنديلاً معلقاً من السماء ، وإن من يمدّ عنقه إلى الخلافة تناوكته فلم ينله ، وتناوله مروان فناله ، والله لنستخلفنه ؛ فقال له مالك : ويحك يا حصين ! أتباع لمروان وآل مروان وأنت تعلم أنهم أهل بيت من قيس ! فلما اجتمع رأيهم للبيعة لمروان بن الحكم قام روح بن زباع الجذامي ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنكم تذكرون عبد الله بن عمر ابن الخطاب وصُحْبَتَهُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدمه في الإسلام ، وهو كما تذكرون ؛ ولكن ابن عمر رجل ضعيف ، وليس بصاحب أمة محمد ٧٦/٢ الضعيف ، وأمّا ما يذكر الناس من عبد الله بن الزبير ويدعون إليه من أمره فهو والله كما يذكرون بأنه لابن الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أسماء ابنة أبي بكر الصديق ذات النطاقين ، وهو بعد كما تذكرون في قدّمه وفضله ؛ ولكن ابن الزبير منافق ، قد خلع خليفتين : يزيد وابنه معاوية ابن يزيد ، وسفك الدماء ، وشق عصا المسلمين ، وليس صاحب أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم المنافق ؛ وأمّا مروان بن الحكم ؛ فوالله ما كان في الإسلام صدع قط إلا كان مروان ممّن يشعب ذلك الصدع ، وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار ، والذي قاتل على بن أبي طالب يوم الجمل ، وأنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبهوا^(٣) الصغير —

(١) ف وابن الأثير : « نباع هذا الغلام » .

(٢) ف : « تردى » .

(٣) ابن الأثير : « ويستشبهوا » .

يعني بالكبير مروان بن الحكم ، وبالصغير خالد بن يزيد بن معاوية . قال :
فأجمع رأى الناس على البيعة لمروان ، ثم لخالد بن يزيد من بعده ، ثم لعمر
ابن سعيد بن العاص من بعد خالد ، على أن إمارة دمشق لعمر بن سعيد
ابن العاص ، وإمارة حمص لخالد بن يزيد بن معاوية . قال : فدعا حسان
ابن مالك بن بجدل خالد بن يزيد فقال : أبني أختي ، إن الناس قد أبوك
لحدائث سنك ، وإني والله ما أريد هذا الأمر إلا لك ولأهل بيتك ، وما أباع
مروان إلا نظراً لكم ؛ فقال له خالد بن يزيد : بل عجزت عنا ، قال : لا
والله ما عجزت عنك ، ولكن الرأي لك ما رأيت . ثم دعا حسان بمروان فقال :
يا مروان ، إن الناس والله ما كلهم يرضى بك ، فقال له مروان : إن يرد الله
أن يعطينها لا يمنعني إياها أحد من خلقه ، وإن يرد أن يمنعيها لا يعطينها
أحد من خلقه . قال : فقال له حسان : صدقت ، وصعد حسان المنبر يوم
الاثنين ، فقال : يا أيها الناس ، إنا نستخلف يوم الخميس إن شاء الله ؛ فلما
كان يوم الخميس بايع لمروان ، وبايع الناس له ، وسار مروان إلى الجابية في
الناس حتى نزل مرج راهط على الضحاك في أهل الأردن من كلب ، وأتته
السكاسك والسكون وغسان ، وربع حسان بن مالك بن بجدل إلى الأردن .
قال : وعلى ميمته - أعني مروان - عمرو بن سعيد بن العاص ، وعلى ميسرته
عبيد الله بن زياد ، وعلى ميمنة الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العُقيلي
وعلى ميسرته رجل آخر لم أحفظ اسمه ، وكان يزيد بن أبي النمس الغساني لم
يشهد الجابية ؛ وكان مخبئاً بدمشق ، فلما نزل مروان مرج راهط ثار يزيد
ابن أبي نمس بأهل دمشق في عبيدها ، فغلب عليها ، وأخرج عامل الضحاك
منها ، وغلب على الخزائن وبيت المال ، وبايع لمروان وأمدّه بالأموال والرجال
والسلاح ، فكان أول فتح فتح على بني أمية . قال : وقاتل مروان الضحاك
عشرين ليلة كان ، ثم هزم أهل المرج ، وقتلوا وقتل الضحاك ، وقتل يومئذ
من أشرف الناس من أهل الشام ممن كان مع الضحاك ثمانون رجلاً كلهم كان
يأخذ القطيفة ، والذي كان يأخذ القطيفة يأخذ ألفين في العطاء ، وقتل أهل
الشام يومئذ مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قط من القبائل كلها ، وقتل مع الضحاك

يومئذ رجل من كلب من بني عُلَيْم يقال له مالك بن يزيد بن مالك بن كعب ، وقتل يومئذ صاحب لواء قُضَاعَةَ حيث دخلت قضاة الشام ، وهو جد مُدَلِّج ابن المقدم بن زَمْل بن عمرو بن ربيعة بن عمرو الجُرَشِي ، وقتل ثور بن معن بن يزيد السُّلَمِي ، وهو الذي كان رد الضحاك عن رأيه . قال : وجاء برأس الضحاك رجل من كلب ؛ وذكروا أن مروان حين أتى برأسه ساء ذلك وقال : الآن حين كبرت سنّي ودقّ عظمي وصرت في مثل ظم الحمار ^(١) ، أقبلت بالكتائب أضرب بعضها ببعض !

قال : وذكروا أنه مرّ يومئذ برجل قتيل فقال :

وَمَا ضَرَّهُمْ غَيْرَ حِينَ النُّفُو سِ أَيُّ أَمِيرٍ قَرِيشَ غَلَبَ

وقال مروان حين بُويع له ودعا إلى نفسه :

لَا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا نَهَبًا سِيرْتُ ^(٢) غَسَّانَ لَهُمْ وَكَلَبًا
وَالسَّكْسَكِيِّينَ رَجَالًا غُلَبًا وَطَيْئًا تَابَاهُ إِلَّا ضَرْبًا
وَالْقَيْنَ تَمْشِي فِي الْحَدِيدِ نَكَبًا وَمَنْ تَنَوَّخَ مَشْمَخِرًا صَعْبًا
لَا سَاخِذُونَ الْمُلْكَ إِلَّا غَضَبًا وَإِنْ دَنَتْ قَيْسُ فَقُلْ لَا قَرَبًا

قال هشام بن محمد : حدثني أبو مخنف لوط بن يحيى ؛ قال : حدثني رجل من بني عبد ودّ من أهل الشام ، قال : حدثني من شهد مقتل الضحاك ابن قيس ، قال : مرّ بنا رجل من كلب يقال له زُحْنَةُ بن عبد الله ، كأنما يرى بالرجال الجَدَاءَ ، ما يطعن رجلاً إلا صَرَعه ، ولا يضرب رجلاً إلا قتله ، فجعلت أنظر إليه أتعجب من فعله ومن قتله الرجال ، إذ حمل عليه رجل فصرّعه زُحْنَةُ وتركه ، فأتيتُه فنظرت إلى المقتول فإذا هو الضحاك بن قيس ، فأخذت رأسه فأتيت به إلى مروان ، فقال : أنت قتلت ؟ فقلت : لا ، ولكن قتله زُحْنَةُ بن عبد الله الكلبي ، فأعجبه صدقي إياه ، وتركى ادعائه ، فأمر لي بمعروف ، وأحسن إلى زُحْنَةَ .

(١) الظم : ما بين الشربتين ، وفي اللسان : « وقولهم : ما بقى منه إلا قدر ظم الحمار ، أي لم يبق من عمره إلا اليسير ، يقال : إنه ليس شيء من الدواب أقصر ظمًا من الحمار » .

(٢) ط : « سرت » ، والأجود ما أثبتته من ابن أبي الحديد .

قال أبو مخنف : وحدثنني عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن حبيب بن كرة ، قال : والله إن راية مروان يومئذ لمعني ، وإنه ليدفع بنعل سيفه في ظهري ، وقال : ادنُ برأيتك لا أبالك ! إن هؤلاء لو قد وجدوا لهم حد السيوف انفرجوا انفراج الرأس ، وانفراج الغنم عن راعيها . قال : وكان مروان في ستة آلاف ، وكان على خيله عبيد الله بن زياد ، وكان على الرجال مالك ابن هبيرة ؛ قال عبد الملك بن نوفل : وذكروا أن بيشر بن مروان كانت معه يومئذ راية يقاتل بها وهو يقول :

إِنَّ عَلَى الرَّئِيسِ حَقًّا حَقًّا أَنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقًا

قال : وضُرِعَ يومئذ عبد العزيز بن مروان ؛ قال : ومروان يومئذ برجل ٨٠/٢ من محارب وهو في نفر يسير تحت راية يقاتل عن مروان ، فقال مروان : يرحمك الله ! لو أنك انضمت بأصحابك ، فإني أراك في قلة ! فقال : إن معنا يا أمير المؤمنين من الملائكة مدداً أضعاف من تأمرنا ننضم إليه ، قال : فُسِرَ بذلك مروان وضحك ، وضم أناساً إليه ممن كان حوله ؛ قال : وخرج الناس منهزمين من المرج إلى أجنادهم ، فانتهى أهل حمص إلى حمص والنعمان بن بشير عليها ، فلما بلغ النعمان الخبر خرج هارباً ليلاً ومعه امرأته نائلة بنت عُمارة الكلبيّة ، ومعه ثقله وولده ، فتحير ليلته كلّها ، وأصبح أهل حمص يطلبوه ؛ وكان الذي طلبه رجل من الكلاعيّين يقال له عمرو بن الحليّ فقتره ، وأقبل برأس النعمان بن بشير وبناثلة امرأته وولدها ، فألقى الرأس في حجر أم أبان ابنة النعمان التي كانت تحت الحجاج بن يوسف بعد . قال : فقالت نائلة : ألقوا الرأس إلى فأنا أحق به منها ، فألقى الرأس في حجرها ، ثم أقبلوا بهم وبالرأس حتى انتهوا بهم إلى حمص ، فجاءت كلب من أهل حمص فأخذوا نائلة وولدها ؛ قال : وخرج زفر بن الحارث من قنسرين هارباً فلحق بقرقيسيّا ، فلما انتهى إليها وعليها عياض الحرثيّ^(١) وهو ابن أسلم بن كعب بن مالك بن لغز بن أسود بن كعب بن

(١) ابن الأثير : « الحرثي » .

حدس بن أسلم - وكان يزيد بن معاوية ولّاه قرقيسيا ، فحال عياض بين زُفر وبين دخول قرقيسيا ، فقال له زفر: أوثق لك بالطلاق والعِتاق إذا أنا دخلت حمّامها أن أخرج منها ؛ فلما انتهى إليها ودخلها لم يدخل حمّامها وأقام بها ، وأخرج عياضاً منها ، وتحصّن زُفر بها وثابت إليه قيس . قال : وخرج نائل بن قيس الجُدائي صاحب فلسطين هارباً ، فلحق بابن الزبير بمكة ، وأطبق أهل الشام على مروان ، واستوثقوا له ، واستعمل عليها عمّاله . ٤٨١/٢

قال أبو مخنف : حدثني رجل من بني عبد ودّ من أهل الشام - يعني الشرقي - قال : وخرج مروان حتى أتى مصرَ بعد ما اجتمع له أمرُ الشام ، فقدم مصرَ وعليها عبد الرحمن بن جَسَدَم القرشيّ يدعو إلى ابن الزبير ، فخرج إليه فيمن معه من بني فِهْر ، وبعث مروانُ عمرو بن سعيد الأشدق من ورائه حتى دخل مصرَ ، وقام على منبرها يخطب الناس ، وقيل لهم : قد دخل عمرو مصر ، فرجعوا ، وأمّر الناسُ مروانَ وبايعوه ، ثمّ أقبل راجعاً نحو دمشق ، حتى إذا دنا منها بلغه أنّ ابن الزبير قد بعث أخاه مصعب بن الزبير نحو فلسطين ، فسرّح إليه مروانُ عمرو بن سعيد بن العاص في جيش ، واستقبله قبل أن يدخل الشام ، فقاتله فهزم أصحاب مصعب ، وكان معه رجلٌ من بني عُدْرَة يقال له محمد بن حُرَيْث بن سليم ، وهو خال بني الأشدق ، فقال : والله ما رأيت مثلاً لمصعب بن الزبير رجلاً قطّ أشدّ قتالاً فارساً وراجلاً ، ولقد رأيت في الطريق يترجّل فيطرّد بأصحابه ، ويشدّ على رجله ، حتى رأيتهما قد دميتا . قال : وانصرف مروانُ حتى استقرّت به دمشق ، ورجع إليه عمرو بن سعيد .

قال : ويقال : إنه لما قدم عبيد الله بن زياد من العراق ، فنزل الشام أصاب بني أميّة بدمر ، قد نفاهم ابن الزبير من المدينة ومكة ، ومن الحجاز كله ، فنزلوا بدمر ، وأصابوا الضحّاك بن قيس أميراً على الشام لعبد الله بن الزبير ، فقدم ابن زياد حين قدم ومروان يريد أن يركب إلى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة ، فيأخذ منه الأمان لبني أميّة ؛ فقال له ابن زياد: أنشدك الله ألا

تفعل، ليس هذا برأى أن تَسْطَلِقِ وَأَنْتِ شَيْخُ قَرِيشٍ إِلَى أَبِي خُبَيْبٍ بِالْخِلَافَةِ ،
ولكن ادعِ أَهْلَ تَدْمُرَ فَبَايِعِهِمْ ، ثُمَّ سَرُّ بِهِمْ وَبِمَنْ مَعَكَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَى
الضُّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ حَتَّى تَخْرِجَهُ مِنَ الشَّامِ ؛ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ :
صَدَقَ وَاللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ، ثُمَّ أَنْتِ سَيِّدَةُ قَرِيشٍ وَفَرَعُهَا ، وَأَنْتِ أَحَقُّ
النَّاسِ بِالْقِيَامِ بِهَذَا الْأَمْرِ ، إِنَّمَا يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَى هَذَا الْغَلَامِ - يَعْنِي خَالِدَ بْنَ
يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ - فَتَرْوِجُ أُمَّهُ فَيَكُونُ فِي حِجْرِكَ ؛ قَالَ : فَفَعَلَ مَرْوَانَ ذَلِكَ ،
فَتَرْوِجُ أُمَّ خَالِدِ بْنِ يَزِيدٍ ، وَهِيَ فَاحْتَهُ ابْنَةُ أَبِي هَاشِمٍ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ
عَبْدِ شَمْسٍ . ثُمَّ جَمَعَ بَنِي أُمَيَّةَ فَبَايَعُوهُ بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ ، وَبَايَعَهُ أَهْلُ تَدْمُرَ
ثُمَّ سَارَ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ إِلَى الضُّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِدَمَشَقَ ، فَلَمَّا بَلَغَ
الضُّحَّاكُ مَا صَنَعَ بَنُو أُمَيَّةَ وَمَسِيرَتُهُمْ إِلَيْهِ ، خَرَجَ بِمَنْ تَبِعَهُ مِنْ أَهْلِ دَمَشَقَ
وغيرهم ، فِيهِمْ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ ، فَالْتَقَوْا بِمَرْجٍ رَاهِطٍ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا
فَقَتِلَ الضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْقَهْرِيُّ وَعَامَّةُ أَصْحَابِهِ ، وَانْهَزَمَ بَقِيَّتُهُمْ ، فَتَفَرَّقُوا ،
وَأَخَذَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ وَجْهًا مِنْ تِلْكَ الْوُجُوهِ ، هُوَ وَشَابَتَانِ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ
فَجَاءَتِ خَيْلُ مَرْوَانَ تَطْلُبُهُمْ ، فَلَمَّا خَافَ السُّلَمِيُّانَ أَنْ تَلْحَقَهُمَا خَيْلُ مَرْوَانَ
قَالَا لَزُفَرَ : يَا هَذَا ، انْجُ بِنَفْسِكَ ، فَأَمَّا نَحْنُ فَمَقْتُولَانِ ^(١) ، فَضَى زُفَرُ وَتَرَكَهُمَا ٤٨٣/٢
حَتَّى أَتَى قَرْقِيسِيَا ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قَيْسٌ ، فَرَأَسُوهُ عَلَيْهِمْ ، فَذَلِكَ ^(٢) حَيْثُ
يَقُولُ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ :

أَرِيْنِي سَلَاحِي لَا أَبَا لَكَ إِنَّنِي أَرَى الْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا ^(٣)
أَتَانِي عَنْ مَرْوَانَ بِالْغَيْبِ أَنَّهُ مَقِيدٌ دَمِي أَوْ قَاطِعٌ مِنْ لِسَانِيَا
فَفِي الْعَيْسِ مَنْجَاةٌ فِي الْأَرْضِ مَهْرَبٌ ^(٤) إِذَا نَحْنُ رَفَعْنَا لَهُنَّ الْمَثَانِيَا
فَلَا تَحْسِبُونِي إِنْ تَغَيَّبْتُ غَافِلًا وَلَا تَفْرَحُوا إِنْ جِئْتُكُمْ بِلِقَائِيَا

(١) ف : « فَإِنَّا نَحْنُ مَقْتُولَانِ » .

(٢) ف : « فَلَذَلِكَ » .

(٣) انظر شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١ : ١٥٣ ، والأغاني ١٧ : ١١٢ (سامي) .

(٤) ابن الأثير : « فِي الْعَيْسِ مَنْجَاةٌ » .

وَتَبَقَّى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيََا ^(١)
وَتُتْرَكُ قَتْلَى رَاهِطٍ هِيََا مَا هِيََا!
لِحَسَّانٍ صَدْعًا بَيْنًا مَتْنَائِيَا
وَمُقْتَلٍ هَمَامٍ أُمْنَى الْأَمَانِيَا ^(٢)!
فِرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبِي وَرَائِيَا ^(٣)
مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ عَلَى وَلَا لِيَا ^(٤)
بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بَلَاتِيَا!
وَتَشَارَ مِنْ نِسْوَانٍ كُلِّبَ نِسَائِيَا
تَنُوخًا وَحَيٍّ طَيِّبٍ مِنْ شِفَائِيَا

عَلَى زُفَرٍ دَاءٌ مِنَ الدَّاءِ بَاقِيَا ^(٥)
وَبَيْنَ الْحَشَا أَعْيَا الطَّبِيبِ الْمُدَاوِيَا
وَذُبْيَانٍ مَعْدُورًا وَتُبْكِي الْبَوَاكِيَا
سُيُوفَ جَنَابٍ وَالطَّوَالَ الْمَذَاكِيَا ^(٦)

فَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الشَّرَى
أَتَذْهَبُ كُلُّبٌ لَمْ تَنْدَلْهَا رِمَاحُنَا
لَعَمْرِي لَقَدْ أَبَقْتُ وَقِيعَةُ رَاهِطٍ
أَبْعَدُ ابْنِ عَمْرٍ وَابْنِ مَعْنٍ تَتَابَعَا ^{٨٤/٢}
فَلَمْ تُرْ مَنِي نَبُوءَةً قَبْلَ هَذِهِ
عَشِيَّةَ أَغْدُو بِالْقِرَانِ فَلَا أَرَى
أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَاتُهُ
فَلَا ضُلُحَ حَتَّى تَنْحِطَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا ^(٥)
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تُصَيِّنُ غَارِقِي
فَأُجَابُهُ جَوَّاسُ بْنُ قَعَطَلٍ ^(٦) :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَبَقْتُ وَقِيعَةُ رَاهِطٍ ^{٨٥/٢}
مَقِيمًا ثَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ مَحَلُّهُ
تُبْكِي عَلَى قَتْلَى سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ
دَعَا بِسِلَاحٍ ثُمَّ أَحْجَمَ إِذْ رَأَى

(١) رواية ابن الأثير :

لَهُ وَرَقٌ مِنْ تَحْتِهِ الشَّعْرُ بَادِيَا
وَتَبَقَّى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيََا
وَنَمَضَى وَلَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ دِمْنَةُ

(٢) الأغاني : « أبعد ابن سقر وابن عمرو » .

(٣) في شرح التبريزي : « يعني ابنه كعباً ومولاه مسكان » .

(٤) التبريزي : « عشيّة أجزى بالصعيد ولا أرى » ، ابن الأثير : « عشيّة أدمعوني » .

القران » .

(٥) في اللسان : « النحط والنحيط : صوت الخيل من الثقل والإعياء » ، وفي ابن الأثير

« حتى تشحط الخيل » .

(٦) في الأغاني : « فقال ابن المخلاة الكلبي يحبيه » ؛ وذكر البيهقي : الأول والثالث .

(٧) ابن الأثير : « مرا من الداء » .

(٨) ابن الأثير : « دعا بالسلاح » .

عليها كأشد الغابِ فتيانُ نجدَةٍ إِذَا شَرَعُوا نحوَ الطَّعانِ العواليَا
فأجابه عمر بن المِخللة الكلبي من تيم اللات بن رُفَيْدَة، فقال :

بكى زُفَرُ القَيْسِيُّ من هُلكِ قَوْمِهِ بَعْبَرَة عَيْنٍ ما يَجِفُّ سُجُومُهَا
يُبَكِّي عَلَى قَتْلِي أُصِيبَتْ بِرَاهِطٍ تَجَاوَبُهُ هَامُ القِفَارِ وَبَوْمُهَا
أَبْخَنَا حِمَى للحَيِّ قَيْسٍ بِرَاهِطٍ وَوَلَتْ شِلَالًا وَاسْتَبِيحَ حَرِيمُهَا
يُبَكِّيهِمْ حَرَانٌ تَجْرَى دُمُوعُهُ يُرَجِّي نِزَارًا أَنْ تَثُوبَ حُلُومُهَا ٤٨٦/٢
فُمْتُ كَمَدًا أَوْ عَشْ ذَلِيلًا مُهْضَمًا بِحُسْرَةِ نَفْسٍ لَا تَنَامُ هُمُومُهَا
إِذَا خَطَرَتْ حَوْلِي قُضَاعَةٌ بِالْقَنَا تَخْبِطُ فِعْلَ المُصْعَبَاتِ قُرُومُهَا
خَبَطْتُ بِهِمْ من كَادَنِي مِنْ قَبِيلَةٍ فَمِنْ ذَا إِذَا عَزَّ الخُطُوبُ يَرُومُهَا
وقال زُفَر بن الحارث أيضًا :

أَفَى اللَّهِ أَمَّا بَحْدَلُ وَابْنُ بَحْدَلٍ فَيَحْيَا وَأَمَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَيُقْتَلُ ^(١) !
كَذَبْتُمْ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَا تَقْتُلُونَهُ وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمٌ أَغْرُ مُحَجَّلُ
وَلَمَّا يَكُنْ لِلْمَشْرِقِيَّةِ فَوْقَكُمْ شُعَاعٌ كَقَرْنِ الشَّمْسِ حِينَ تَرَجَّلُ ^(٢)

(١) ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٢ : ١٩٩ ؛ قال في شرحه : « كان معاوية بن أبي سفيان لما جعل يزيد ابنه ولي عهده بايعة الناس إلا الحى من قيس فإنهم قالوا : والله لا نبايع ابن الكلبية ؛ وذلك أن أم يزيد ميسون بنت مالك بن بحدل الكلبي ؛ فصار في نفس يزيد ضغن ؛ وابتدأ الشر بينهم وبين بني أمية ؛ فلما هلك يزيد استخلف ابنه معاوية بن يزيد ، وأمه أيضاً كلبية ؛ وصار حسان بن مالك بن بحدل أخو ميسون كالمالك للأمر ؛ وكانت خلافة معاوية بن يزيد أياماً قليلة ، وتحركت فتنة ابن الزبير ، فاضطرب حسان بن مالك في الأمر اضطراباً شديداً ، وصار يدعو الناس إلى نفسه تارة ، وإلى من يختارونه من بني أمية أخرى ؛ حتى قال الشاعر :

وما الناس إلا بحدلي على الهدى وإلا زُبَيْرِي عَصَى فتزبرا

إلى أن وقع الاختيار على مروان بن الحكم ، فلما قام بالدعوة صارت البجدلية معه ، فسموا مروانية فيقول زفر : « أفى الله » يريد : أفى ذات الله ومرضى حكمه أن تطلب حياة ابن بحدل والمتعصبة لبني أمية ويطلب قتل عبد الله بن الزبير مع فضله وشرفه . . . وهذا الكلام تقريرع للناس .

(٢) قرن الشمس : أول ما يظهر منها . والترجل : هو أن تنبسط الشمس ولما يشتد حرها بعد .

فأجابه عبد الرحمن بن الحكم ، أخو مروان بن الحكم ، فقال :
 أتذهب كلب قد حمتها رماحها وتترك قتلى راهط ما أُجِنَتْ^(١) !
 لحا الله قَيْساً قَيْسَ عَيْلَانَ إنها أضاعت ثُغُورَ المسلمين وولّت
 فباه بَقَيْسٍ في الرِّخاء ولا تكن أخاها إذا ما المَشْرِفِيَّةُ سُلّت^(٢)

٤٨٧/٢ قال أبو جعفر : ولما بايع حصين بن نمير مروان بن الحكم وعصا مالك بن
 هيرة فيما أشار به عليه من بيعة خالد بن يزيد بن معاوية ، واستقرّ لمروان بن
 الحكم الملك ، وقد كان الحصين بن نمير اشترط على مروان أن يُتْرَلَ البَلْقاءُ
 من كان بالشأم من كندة ، وأن يجعلها لهم مأكلةً ، فأعطاه ذلك ؛ وإن
 بنى الحكم لما استوثق الأمر لمروان ، وقد كانوا اشترطوا لخالد بن يزيد بن معاوية
 شروطاً ؛ قال مروان ذات يوم وهو جالس في مجلسه ومالك بن هيرة جالس
 عنده : إن قوماً يدعون شروطاً منهم عطارة مكحلة — يعنى مالك بن هيرة
 وكان رجلاً يتطيب ويكتحل — فقال مالك بن هيرة : هذا ولما تردى تهامة ،
 ولما يبلغ الحزام الطَّبَّيَّين ؛ فقال مروان : مهلاً يا أبا سليمان ، إنما داعبناك ؛
 فقال مالك : هو ذاك . وقال عويج الطائي يمتدح ككلباً وحُميد بن بَحْدَل :
 لقد عليمَ الأَقْوامُ وقع ابنِ بَحْدَلٍ وأخرى عليهم إن بقى سَيُعِيدُها
 يَقُودُونَ أولادَ الوجِيةِ ولاحقٍ من الرِّيفِ شهراً ما ينهى من يَقُودُها
 فهذا لهذا ثم إلى لنافِضٍ على الناسِ أقواماً كثيراً حُدُودُها
 فلولا أمير المؤمنين لأضِبحَتْ قُضاعةُ أرباباً وقَيْسٌ عبيدُها

* * *

وفي هذه السنة بايع جُنْدُ خُرَّاسانَ لسلم بن زياد بعد موت يزيد بن
 معاوية ، على أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة . ٤٨٨/٢

* * *

(١) الثاني والثالث في ديوان الحماسة — بشرح المروزقي ١٤٩٩ ، ١٥٠٠

(٢) الحماسة : « فشاوَل لقيس » ؛ أى خاطر .

[ذكر الخبر عن فتنة عبد الله بن خازم وبيعة سلم بن زياد]

وفيها كانت فتنة عبد الله بن خازم بخراسان .

* ذكر الخبر عن ذلك :

حدثني عمر بن شبة، قال : حدثنا علي بن محمد، قال : أخبرنا مسلمة ابن محارب، قال : بعث سلم بن زياد بما أصاب من هدايا سمرقند وخوارزم إلى يزيد بن معاوية مع عبد الله بن خازم ، وأقام سلم والياً على خراسان حتى مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ، فبلغ سلماً موته ، وأناه مقتل يزيد بن زياد في سجستان وأسر أبي عبيدة بن زياد ، وكم الخبر سلم ، فقال ابن عرادة :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُغْلَقُ بَابَهُ	حَدَّثْتُ أُمُورَ شَأْنُهُنَّ عَظِيمُ
قَتَلِي بِجُنْزَةٍ وَالَّذِينَ بِكَابُلٍ ^(١)	ويزيدُ أعلنُ شأنهُ المكتومُ
أَبْنَى أُمِّيَّةَ إِنْ آخِرَ مَلِكِكُمْ	جسدُ بحوَّارينَ ثمَّ مُقيمُ
طَرَقَتْ مَنِيَّتُهُ وَعِنْدَ وَسَادِهِ	كُوبُ وَزِقُ رَاعِفُ مَرثُومُ ^(٢)
وَمِرْنَةٌ تَبْكِي عَلَى نَشْوَانِهِ	بِالصَّنَجِ تَقْعُدُ تَارَةً وَتَقُومُ ^(٣)

قال مسلمة : فلما ظهر شعر ابن عرادة أظهر سلم موت يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ، ودعا الناس إلى البيعة على الرضا حتى يستقيم أمر الناس ٤٨٩/٢ على خليفة ، فبايعوه ، ثم مكثوا بذلك شهرين ، ثم نكثوا به .

قال علي بن محمد : وحدثنا شيخ من أهل خراسان ، قال : لم يحب أهل خراسان أميراً قط حبَّتهم سلم بن زياد ، فسُمِّي في تلك السنين التي كان بها سلم أكثر من عشرين ألف مولود بسلم ، من حبَّتهم سلماً .

(١) ابن الأثير : « قتل بحرة » .

(٢) يقال : رثم أنفه ، أى كسر حتى تقطر منه الدم .

(٣) ابن الأثير : « بالصبح تقعد مرة وتقوم » .

قال : وأخبرنا أبو حفص الأزدي ، عن عمه قال : لما اختلف الناس بخراسان ونكثوا بيعة سلم ، خرج سلم عن خراسان وخلّف عليها المهلب بن أبي صفرة ، فلما كان بسرّخس لقيه سليمان بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة ، فقال له : من خلّفت على خراسان ؟ قال : المهلب ؛ فقال : ضاقت عليك نزار حتى وليت رجلا من أهل اليمّين ! فولاه مرّو الروذ والفارياب والطالقان والجوزجان ، وولى أوس بن ثعلبة بن زفر — وهو صاحب قصر أوس بالبصرة — هراة ، ومضى فلما صار بنيسابور لقيه عبد الله بن خازم فقال : من وليت خراسان ؟ فأخبره ، فقال : أمّا وجدت في مضر رجلا تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل ومزون عمّان^(١) ! وقال له : اكتب لي عهداً على خراسان ؛ قال : أوالي خراسان أنا^(٢) ! قال : اكتب لي عهداً وخلّاك ذم . قال : فكتب له عهداً على خراسان ؛ قال : فأعنتي الآن بمائة ألف درهم فأمر له بها ، وأقبل إلى مرّو ، وبلغ الخبر المهلب بن أبي صفرة ، فأقبل واستخلف رجلا^(٣) من بني جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

قال : وأخبرنا الفضل بن محمد الضبي ، عن أبيه ، قال : لما صار عبد الله بن خازم إلى مرّو بعهد سلم بن زياد ، منعه الجشمي ، فكانت بينهما مناوشة ، فأصاب الجشمي رمية^{٩٠/٢} بحجر في جبهته ، وتحاجزوا وخلّى الجشمي بين مرّو الروذ وبينه ، فدخلها ابن خازم ، ومات الجشمي بعد ذلك بيومين .

قال علي بن محمد المدائني : حدثنا الحسن بن رشيد الجوزجاني ، عن أبيه ، قال : لما مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وثب أهل خراسان بعصمّهم فأخرجهم ، وغلب كل قوم على ناحية ، ووقعت الفتنة ، وغلب ابن خازم على خراسان ، ووقعت الحرب .

قال أبو جعفر : وأخبرنا أبو الذّيال زهير بن هنيّد ، عن أبي نعام ، قال : أقبل عبد الله بن خازم فغلب على مرّو ، ثم سار إلى سليمان بن مرثد فلقية

(١) ابن الأثير : «واليمين» . (٢) ساقطة من ف .

(٣) هو عرفة بن الورد .

بمرو الروذ ، فقاتلته أياماً ، فقتل سليمان بن مرثد ، ثم سار عبد الله بن خازم إلى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان في سبعمائة ، وبلغ عمرًا إقبالُ عبد الله إليه وقتله أخاه سليمان ، فأقبل إليه ، فالتقوا على نهر قبل أن يتوافى إلى ابن خازم أصحابه ، فأمر عبد الله من كان معه فزلوا ، فنزل وسأل عن زهير بن ذؤيب العدوي ، فقالوا : لم يبق حتى أقبل وهو على حاله ، فلما أقبل قيل له : هذا زهير قد جاء ؛ فقال له عبد الله : تقدم ، فالتقوا فاقتلوا طويلا ، فقتل عمرو بن مرثد ، وانهزم أصحابه ، فلاحقوا بهرة بأوس بن ثعلبة ، ورجع عبد الله ابن خازم إلى مرو .

قال : وكان الذي ولي قتل عمرو بن مرثد زهير بن حيّان العدوي فيما يروون فقال الشاعر :

أَتَذْهَبُ أَيَّامُ الْحُرُوبِ وَلَمْ تُبَيِّ
زهير بن حيّان بعمرو بن مرثد ! ٤٩١/٢
قال : وحدثنا أبو السريّ الخراساني - وكان من أهل هرة - قال : قتل عبد الله بن خازم سليمان وعمراً ابني مرثد المرثديين من بني قيس بن ثعلبة ثم رجع إلى مرو ، وهرب من كان بمرو الروذ من بكر بن وائل إلى هرة ، وانضم إليها من كان بكور خراسان من بكر بن وائل ، فكان لهم بها جمع كثير عليهم أوس بن ثعلبة ؛ قال : فقالوا له : نبايعك على أن تسير إلى ابن خازم ، وتخرج مضراً من خراسان كلها ؛ فقال لهم : هذا بغى ، وأهل البغي مخدولون ، أقيموا مكانكم هذا ، فإن ترككم ابن خازم - وما أراه يفعل - فارضوا بهذه الناحية ، وخلّوه وما هو فيه ؛ فقال بنو صهيب - وهم موالى بنى جحدر : لا والله لا نرضى أن نكون نحن ومضراً في بلد ، وقد قتلوا ابني مرثد ، فإن أجبتنا إلى هذا وإلا أمرنا علينا غيرك ؛ قال : إنما أنا رجل منكم ، فاصنعوا ما بدا لكم ؛ فبايعوه ، وسار إليهم ابن خازم ، واستخلف ابنه موسى ، وأقبل حتى نزل على واد بين عسكره وبين هرة ؛ قال : فقال البكريون لأوس : اخرج فخذق خندقاً دون المدينة فقاتلهم فيه ، وتكون المدينة من ورائنا ، فقال لهم أوس : الزموا المدينة فإنها حصينة ، وخلّوا ابن خازم ومنزله الذي هو فيه ؛ فإنه إن طال مقامه ضجير فأعطاكم ما ترضون

به ، فإن اضطرتهم إلى القتال قاتلتهم ، فأبَوْا وخرجوا من المدينة فخذقوا خندقاً دونها ، فقاتلهم ابن خازم نحواً من سنة .

٩٢/٢

قال وزعم الأحنف بن الأشهب الضبيّ ، وأخبرنا أبو الذيال زهير بن المهسّد ؛
 سار ابن خازم إلى هراة وفيها جمعٌ كثيرٌ لبكر بن وائل قد خندقوا عليهم ،
 وتعاقدوا على إخراج مضرٍ إن ظفروا بخُرَّاسان ، فنزل بهم ابن خازم ، فقال
 له هلال الضبيّ أحد بني ذُهل ، ثم أحد بني أوس : إنما تقاتل إخوانك من
 بني أبيك ، والله إن نلت منهم فما تريد ما في العيش بعدهم من خير ، وقد
 قتلت بمرور الروذ منهم من قتلت ، فلو أعطيتهم شيئاً يرضون به ، أو أصلحت
 هذا الأمر ! قال : والله لو خرجت^(١) لهم عن خُرَّاسان ما رَضُوا به ، ولو
 استطاعوا أن يُخرجوكم من الدنيا لأخرجوكم ؛ قال : لا ، والله لا أرى معك
 بسهم ، ولا رجلٌ يطيعني من خندف حتى تُعذر^(٢) إليهم ؛ قال : فأنت
 رسول إليهم فأرضهم ، فأتى هلال إلى أوس بن ثعلبة فناشدَه الله والقراية ،
 وقال : أذكرك الله في نزار أن تسفك دماءها ، وتضرب بعضها ببعض^(٣) !
 قال : لقيت بني صهيب ؟ قال : لا والله ؛ قال : فالفهم ؛ فخرج فلقي
 أرقم بن مطرف الحنفيّ ، وضَمَضَمَ بن يزيد — أو عبد الله بن ضمضم بن
 يزيد — وعاصم بن الصلت بن الحرث الحنفيّين ، وجماعة من بكر بن وائل
 وكلمهم بمثل ما كلم به أوساً ، فقالوا : هل لقيت بني صهيب ؟ فقال : لقد
 عظم الله أمر بني صهيب عندكم ، لا لم ألقهم ، قالوا : القهم ، فأتى بني
 صهيب فكلّمهم ، فقالوا : لولا أنك رسولٌ لقتلناك ؛ قال : أفأيرضيكُم شيء ؟
 قالوا : واحدةٌ من اثنتين ، إما أن تخرجوا عن خُرَّاسان ولا يدعوا فيها لمُضرٍ
 داعٍ ، وإما أن تقيموا وتنزلوا لنا عن كل كُراع وسلاح وذهب وفضة ؛ قال :
 أفأشئ غير هاتين ؟ قالوا : لا ، قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ! فرجع إلى
 ابن خازم ، فقال : ما عندك ؟ قال : وجدتُ إخواننا قُطْعاً للرَّحيم ، قال :
 قد أخبرتك أن ربيعة لم تزل غَضاباً على ربّها منذ بعث اللهُ النبيَّ صلى الله
 عليه وسلم من مضر .

(١) ابن الأثير : «خرجنا» . (٢) ابن الأثير : «تعذر» . (٣) ف : «تضرب أعناقها» .

قال أبو جعفر : وأخبرنا سليمان بن مجالد الضبيّ ، قال : أغارت الترك على قصر إسفاد^(١) وابن خازم ببهارة ، فحصرُوا أهله ، وفيه ناس من الأزد هم أكثر من فيه ، فهزمتهم ، فبعثوا إلى من حولهم من الأزد فجاءوا لينصروهم^(٢) فهزمتهم الترك^(٣) ، فأرسلوا إلى ابن خازم ، فوجه إليهم زهير بن حيان في بني تميم وقال له : إياك ومشاولة الترك^(٤) ، إذا رأيتموهم فاحملوا عليهم ، فأقبل فوافاهم في يوم بارد ، قال : فلما التقوا شدوا عليهم فلم يشبثوا لهم ، وانهمزت الترك واتبعوهم حتى مضى عامة الليل حتى انتهوا إلى قصر في المفازة ، فأقامت الجماعة ومضى زهير في فوارس يتبعهم ، وكان عالماً بالطريق ، ثم رجع في نصف من الليل ، وقد يبست يده على رُحبه من البرد ، فدعا غلامه كعباً ، فخرج إليه ، فأدخله ، وجعل يسخن له الشحم فيضعه على يده ، ودهنوه وأوقدوا له ناراً حتى لان ودفى ؛ ثم رجع إلى هرة ، فقال في ذلك كعب بن معدان الأشقريّ :

أَتَاكَ أَتَاكَ الْغَوْتُ فِي بَرَقِ عَارِضٍ دُرُوعٌ وَبَيْضُ حَشَوْنٍ تَمِيمٌ
أَبَوْا أَنْ يَضُمُّوا حَشَو مَا تَجَمُّعُ الْقُرَى فَضَمُّهُمْ يَوْمَ اللَّقَاءِ صَمِيمٌ ٤٩٤/٢
وَرَزَقَهُمْ مِنْ رَائِحَاتٍ تَزِينُهَا ضُرُوعٌ عَرِيضَاتِ الْخَوَاصِرِ كَوْمٌ

وقال ثابت قطنة :

قَدَّتْ نَفْسِي فَوَارِسَ مِنْ تَمِيمٍ عَلَى مَا كَانَ مِنْ ضَنْكِ الْمَقَامِ
بِقَصْرِ الْبَاهِلِيِّ وَقَدْ أَرَانِي أَحَامِي حِينَ قَلَّ بِهِ الْمُحَامِي
بَسْنَى بَعْدَ كَسْرِ الرُّمَحِ فِيهِمْ أَذَوْدُهُمْ بِذِي شَطَبِ حُسَامِ
أَكْرُ عَلَيْهِمُ الْيَحْمُومَ كَرًّا كَكَرَ الشَّرْبِ آتِيَةَ الْمُدَامِ
فَلَوْلَا اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَضُرْبِي قَوْنَسَ الْمَلِكِ الْهُمَامِ

(١) ابن الأثير : « إسفاد » .

(٢-٢) ف : « فلم تغن شيئاً » .

(٣) في اللسان عن أبي زيد : « تشاول القوم تشاولا ؛ إذا تناول بعضهم بعضاً عند القتال

بالرماح ، ومثله المشاولة » ، وفي ابن الأثير : « ومناواة » .

إِذَا فَاطِطُ نِسَاءِ بَنِي دِثَارٍ أَمَامَ التُّرْكِ بَادِيَةِ الْخِدَامِ

* * *

قال أبو جعفر : وحدّني أبو الحسن الخُراساني ، عن أبي حمّاد السُّلَمي قال : أقام ابن خازم بهرّةً يقاتل أوسَ بنَ ثعلبة أكثرَ من سنة ، فقال يوماً لأصحابه : ٩٠/٢ قد طال مُقامُنَا على هؤلاء ، فنادُوهم : يا معشرَ ربيعة ، إنكم قد اعتصمتم بخندقكم ، أفرضيتُم من خُراسان بهذا الخندق ! فأحفظَهم ذلك ، فتنادى الناسُ ^(١) للقتال ، فقال لهم أوسُ بن ثعلبة : الزموا خندقكم وقاتلوهم كما كنتم تقاتلونهم ، ولا تَخرجوا إليهم يجماعتكم ؛ قال : فعصّوه وخرجوا إليهم ، فالتقى الناس ، فقال ابن خازم لأصحابه : اجعلوه يومكم فيكونَ المُلكَ لمنْ غلب ، فإن قُتِلَ فأميركم شماسُ بن دِثَارِ العُطَارِدِي ، فإن قُتِلَ فأميركم بكيرُ بن وشاح الثَّقَفِي .

قال عليّ : وحدّنا أبو الذِّبَالِ زهير بن هُنَيد ، عن أبي نَعَامَةَ العَدَوِيّ عن عبيد بن نقيد ، عن إياس بن زهير بن حيّان : لما كان اليوم الذي هرب فيه أوسُ بن ثعلبة وظفر ابن خازم بيكر بن وائل ، قال ابن خازم لأصحابه حين التقوا : إني قُلِعُ ^(٢) ، فشدّوني على السرج ، واعلموا أن عليّ من السلاح ما لا أقتل قدرَ جَزَرٍ جَزَوْرَيْنِ ، فإن قيل لكم : إني قد قُتِلت فلا تصدّ قوا . قال : وكانت رايةُ بني عدِيّ مع أبي وأنا على فرسٍ مُحزَمٍ ^(٣) ، وقد قال لنا ابن خازم : إذا لقيتم الخيلَ فاطعنوها في مناخيرها ، فإنه لن يطعن فرسٌ في نخْرته إلا أدبر أو رمى بصاحبه ، فلما سمع فرسي قَعَقَعَةَ السلاح وثب بي وادياً كان بيني وبينهم ؛ قال : فتلقاني رجل من بكر بن وائل قطعنت فرسه في نخْرته ^(٤) ، فصرعه ، وحمل أبي ببني عدِيّ ، واتبعته بنو تميم من كلّ وجه ، فاقتتلوا ساعةً ، فانهزمتُ بكر بن وائل حتى انتهوا إلى خندقهم

(١) ابن الأثير : « فتنادوا » .

(٢) القلع : الذي لا يثبت على الخيل .

(٣) محزَم : مهجاً للركوب .

(٤) النخرة : رأس الأنف .

وأخذوا يميناً وشمالاً ، وسقط ناسٌ في الخندق فقتلوا قتلاً ذريعاً ، وهرب أوسُ
ابن ثعلبة وبه جراحات ، وحلف ابن خازم لا يؤتى بأسيرٍ إلا قَتَلَهُ حتى تغيب
الشمس ، فكان آخرَ مَنْ أتى به رجلٌ من بني حنيفة يقال له حَمِيَّة
فقالوا لابن خازم : قد غابت الشمس ، قال : وفؤابه القَتَلَى ؛ فقتل .
قال : فأخبرني شيخٌ من بني سعد بن زيد مناة أن أوس بن ثعلبة هرب
وبه جراحاتٌ إلى سجستان ، فلما صار بها أو قريباً منها مات .
وفي مقتل ابن مرثد وأمر أوس بن ثعلبة يقول المغيرةُ بن حَبْناء ، أحد
بني ربيعة بن حنظلة :

وفي الحرب كنتم في خراسانَ كلُّها قتيلاً ومسجوناً بها ومسيراً
ويومَ اختواكم في الحفيرِ ابنُ خازمٍ فلم تجدوا إلا الخنادقَ مقبراً
ويومَ تركتم في الغبارِ ابنَ مرثدٍ وأوساً تركتم حيثُ سار وعسكراً
قال : وأخبرني أبو الذِّيال زهير بن هنيذ ، عن جدِّه أبي أمِّه ، قال :
قتل من بكر بن وائل يومئذ ثمانيةُ آلاف .

قال : وحدثنا التميمي ، رجل من أهل خراسان ، عن مولِّي لابن خازم ،
قال : قاتل ابن خازم أوس بن ثعلبة وبكر بن وائل ، فظفر بهراً ، وهرب
أوس وغلبه ابن خازم على هرة ، واستعمل عليها ابنه محمداً ، وضم إليه
شَماش بن دثار العطاردي ، وجعل بكثير بن وشاح على شرطته ، وقال لهما :
ربِّياه فإنه ابن أختكما ، فكانت أمه من بني سعد يقال لها صفية ، وقال له :
لا تخالفهما ، ورجع ابن خازم إلى مرو .

* * *

[ذكر الخبر عن تحريك الشيعة للطلب بدم الحسين]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة ، واتعدوا الاجتماع ٤٩٧/٢
بالنخيلة في سنة خمس وستين للمسير إلى أهل الشام للطلب بدم الحسين بن
علي ، وتكاتبوا في ذلك .

* ذكر الخبر عن مبدل أمرهم في ذلك :

قال هشام بن محمد : حدثنا أبو مخنف ، قال : حدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي ، قال : لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخسيلة ، فدخل الكوفة ، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم^(١) ، ورأت أنها قد أخطأت خطأ كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم لإجابته ، ومقتله إلى جانبهم لم ينصروه ، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم^(٢) في مقتله إلا بقتل من قتلته ، أو القتل فيه ، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رعوس الشيعة إلى سليمان بن صرد الخزاعي ، وكانت له صُحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلى المسيب بن نجبة الفزاري ، وكان من أصحاب علي وخيارهم ، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيال الأزدي ، وإلى عبد الله بن وال التيمي ، وإلى رفاعه بن شداد السجكي .

ثم إن هؤلاء نفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد ، وكانوا من خيار أصحاب علي ، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوهم .

قال : فلما اجتمعوا إلى منزل سليمان بن صرد بدأ المسيب بن نجبة القوم بالكلام ، فتكلم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال :

٤٩٨/٢

أما بعد ، فإننا قد ابتلينا بطول العمر ، والتعرض لأنواع الفتن فرغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غداً : ﴿ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾^(٣) ؛ فإن أمير المؤمنين قال : العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة ، وليس فينا رجل إلا وقد بلغه ، وقد كنا مغرمين بتزكية أنفسنا ، وتقريب شيعتنا ، حتى ببلا الله أخيارنا فوجدنا كاذبين في مواطن^(٤) من مواطن ابن ابنة نبيتنا^(٥) صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغتنا قبل ذلك كتبته ، وقدمت علينا رسله ، وأعذر إلينا يسألنا^(٦) نصره عوداً

(١) ابن الأثير : « المداومة » .

(٢) ابن الأثير : « عليهم » .

(٣) سورة فاطر : ٣٧ .

(٤) ابن الأثير : « في كل موطن » .

(٥) ابن الأثير : « نبيته » .

(٦) ابن الأثير : « فآلنا » .

وبدءاً ، وعلانيةً وسراً ، فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا ، لا نحن نصرناه بأيدينا ؛ ولا جادلنا عنه بالسِّنِّينَا ، ولا قوينا به بأموالنا ، ولا طلبنا له النُّصْرَةَ إلى عشائرتنا ، فما عُدُّرنا إلى ربِّنا وعند لقاء نبيِّنا صلى الله عليه وسلم وقد قُتِلَ فينا ولدُه وحبيبه ، وذريَّتُه ونَسْلُه ! لا والله ، لا عُدُّرَ دون أن تَقْتُلُوا قاتلَه والمُؤالين عليه ، أو تَقْتُلُوا في طلب ذلك ، فعسى ربُّنا أن يَرْضَى عَنَّا عند ذلك ، وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمين . أيها القوم ، ولِّوا عليكم رجلا منكم فإنه لا بدَّ لكم من أمير تَفْرَعُونَ إليه ، وراية تحفون بها ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

٤٩٩/٢

قال : فبدر القوم رِفَاعَةَ بن شدَّاد بعد المِسيَّب الكلام ، فحَمِدَ الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : أما بعد ، فإنَّ الله قد هداك لأصوَبَ القول ، ودعوت إلى أرشَدِ الأمور ^(١) ، بدأت بحمد الله والثناء عليه ، والصلاة على نبيِّه صلى الله عليه وسلم ، ودعوت إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم ، فسموعٌ منك ، مستجابٌ لك ، مقبول قولك ؛ قلت : ولِّوا أمركم رجلا منكم تَفْرَعُونَ إليه ، وتحفون برأيه ، وذلك رأى قد رأينا مِثْلَ الذي رأيتَ ، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيًّا ، وفينا متنصِّحًا ، وفي جماعتنا محبًّا ^(٢) ، وإن رأيتَ رأى أصحابنا ذلك ولِّينا هذا الأمر شيخَ الشيعة صاحبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذو السابقة والقَدَمِ سليمان ابن صُرْدَ المحمود في بأسه ودينه ، والموثوق بحزمه . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

قال : ثم تكلم عبد الله بن وال وعبد الله بن سعد ، فحَمِدَا ربَّهما وأثنيا عليه ، وتكلما بنحو من كلام رِفَاعَةَ بن شدَّاد ، فذكرا المِسيَّب بن نجبة بفضلِه ، وذكرا سليمان بن صُرْدَ بسابقته ، ورضاهما بتوليَّته ، فقال المِسيَّب ابن نجبة : أصبتم ووقفتم ، وأنا أرى مِثْلَ الذي رأيتم ، فولِّوا أمركم سليمان ابن صُرْدَ .

(١) ف وابن الأثير : « وبدأت بأرشد الأمور » .

(٢) ابن الأثير : « محبوباً » .

قال أبو مخنف : فحدثت سليمان بن أبي راشد بهذا الحديث ، فقال : حدثني حميد بن مسلم ، قال : والله إنني لشاهدٌ بهذا اليوم ، يوم ولّوا سليمان ابن صُرد ، وإننا يومئذ لأكثر من مائة رجل من فرسان الشيعة ووجوههم في داره .

٥٠٠/٢ قال : فتكلم سليمان بن صرد فشدّ د ، وما زال يردّد ذلك القول في كل جمعة حتى حفظته ، بدأ فقال : أثني على الله خيراً ، وأحمد آلاءه وبلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسوله ، أمّا بعد ، فإنّي والله لخائف ألا يكون آخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة ، وعظمت فيه الرزية وشمل في الجور أولى الفضل من هذه الشيعة لما هو خير ؛ إنا كنا نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل نبيّنا ، ونمنّيهم النصر ، ونحثّهم على القدوم ، فلما قدّموا ونبيّنا وعجزنا ، وادّهنّا ^(١) ، وتربّصنا ، وانظرنا ما يكون حتى قُتل فينا ولدُ نبيّنا وسلالته وعُصارتُه وبضعةٌ من لحمه ودمه ، إذ جعل يستصرخ فلا يصرخ ، ويسأل النصف فلا يُعطاه ، اتخذته الفاسقون غرضاً للنبل ، ودرية للرماح حتى أقصدوه ، وعدّوا عليه فسلبوه . ألا انهضوا فقد سخّط ربّكم ، ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله ، والله ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا من قتله ، أو تبيروا . ألا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه امرؤ قطّ إلا ذلّ ، كونوا كالأولى من بني إسرائيل إذ قال لهم نبيّهم : ﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ ﴾ ^(٢) ، فما فعل القوم ؟ جشّوا إلى الركب والله ، ومدّوا الأعناق ورضوا بالقضاء حتى حين علموا أنه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا الصبر ٥٠١/٢ على القتل ، فكيف بكم لو قد دُعيتُم إلى مثل ما دُعِيَ القوم إليه ! اشحدوا ^(٣) السيوف ، وركبوا الأسنة ، ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ ^(٤) ، حتى تدعوا حين تُدْعَوْنَ وتُسْتَفْرُونَ .

(١) ابن الأثير : « وأذهلنا » . (٢) سورة البقرة : ٥٤

(٣) ابن الأثير : « أحدوا » . (٤) سورة الأنفال : ٦٠

قال : فقام خالد بن سعد بن نُفيل ، فقال : أما أنا فوالله لو أعلم أن قتل^(١) نفسي يُخرجني من ذنبي ويَرْضَى رَبِّي لقتلتُها ؛ ولكن هذا أمير به قوم كانوا قبلنا ونُهيينا عنه ، فأشهد اللهَ ومَن حضر من المسلمين أن كلَّ ما أصبحت أملكه سوى سلاحى الذى أقاتل به عدوى صدقةً على المسلمين ، أقوىهم به على قتال القاسطين .

وقام أبو المعتمر حَنَش بن ربيعة الكِنَانِي فقال : وأنا أشهدكم على مثل ذلك .

فقال سليمان بن صُرد : حَسْبُكُمْ ؛ مَن أراد من هذا شيئاً فليأت بماله عبدَ الله بن وال التيميّ تيم بكر بن وائل ، فإذا اجتمع عنده كلُّ ما تريدون إخراجَه من أموالكم جهّزنا به ذوى الحِلَّة والمسكنة من أشياءكم .

قال أبو مخنف لوط بن يحيى ، عن سليمان بن أبي راشد ، قال : فحدثنا حميد بن مسلم الأزديّ أن سليمان بن صُرد قال لخالد بن سعد بن نفيل حين قال له : والله لو علمت أن قتل نفسي يُخرجني من ذنبي ويَرْضَى عني ربِّي لقتلتُها ، ولكن هذا أمير به قوم غيرنا كانوا من قبلنا ونُهيينا عنه ، قال : أخوكم هذا غداً فَرِيسُ أولِ الأسنة ؛ قال : فلما تصدّق بماله على المسلمين قال له : أبشر بجزيل ثواب الله للذين لأنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ .

قال أبو مخنف : حدثني الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نُفيل ٥٠٢/٢ . قال : أخذت كتاباً كان سليمان بن صُرد كتب به إلى سعد بن حذيفة بن اليمان بالمدائن ، فقرأته زمانَ ولى سليمان ، قال : فلما قرأته أعجبني ، فتعلّمته فما نسيته ، كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من سليمان بن صُرد إلى سعد بن حذيفة ومَن قبله من المؤمنين . سلام عليكم ، أما بعد ؛ فإن الدنيا دارٌ قد أدبر منها ما كان معروفاً ، وأقبل منها ما كان مُسكراً ، وأصبحت قد تشنأت إلى ذوى الألباب ، وأزمتع بالترحال منها عبادُ الله الأخيار ، وباعوا قليلاً من الدنيا

لا يَبْقَى بِجَزِيلِ مَثُوبَةٍ عِنْدَ اللَّهِ لَا تَنْفَى . إِنَّ أَوْلِيَاءَ مِنْ إِخْوَانِكُمْ ، وَشِيعَةِ آلِ نَبِيِّكُمْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ فِيمَا ابْتَلَوْا بِهِ مِنْ أَمْرِ ابْنِ بَنْتِ نَبِيِّهِمُ الَّذِي دُعِيَ فَأَجَابَ ، وَدَعَا فَلَمْ يَحْسَبْ ، وَأَرَادَ الرِّجْعَةَ فَحُبِّسَ ، وَسَأَلَ الْأَمَانَ فَفُتِحَ ، وَتَرَكَ النَّاسَ فَلَمْ يَتْرَكُوهُ ، وَعَدَوْا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ سَلَبُوهُ وَجَرَّدُوهُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا وَغَيْرَةً بِاللَّهِ وَجَهْلًا ، وَبَعَيْنِ اللَّهِ مَا يَعْمَلُونَ ، وَإِلَى اللَّهِ مَا يَرْجِعُونَ ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْصَلِبُونَ﴾ ، ^(١) فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى إِخْوَانِكُمْ وَتَدَبَّرُوا عَوَاقِبَ مَا اسْتَقْبَلُوا رَأَوْا أَنْ قَدْ خَطِئُوا بِخِذْلَانِ الزَّكِيِّ الطَّيِّبِ وَإِسْلَامِهِ وَتَرْكِ مَوَاسَاتِهِ ، وَالنَّصْرِ لَهُ خَطَأٌ كَبِيرٌ لَيْسَ لَهُمْ مِنْهُ مَخْرَجٌ وَلَا تَوْبَةٌ ، دُونَ قَتْلِ قَاتِلِيهِ أَوْ قَتْلِهِمْ حَتَّى تَنْفَى عَلَى ذَلِكَ أَرْوَاحَهُمْ ؛ فَقَدْ جَنَدَ إِخْوَانَكُمْ فِجْدًا ، وَأَعَدَّ وَاسْتَعَدَّ ، وَقَدْ ضَرَبْنَا لِإِخْوَانِنَا أَجْلًا يَؤَافُونَنَا إِلَيْهِ ، وَمَوْطِنًا يَلْقَوْنَنَا فِيهِ ؛ فَأَمَّا الْأَجَلُ فَغُرَّةُ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ، وَأَمَّا الْمَوْطِنُ الَّذِي يَلْقَوْنَنَا فِيهِ فَالْمُخَيَّلَةُ . ٥٠٣/٢

أَنْتُمْ الَّذِينَ لَمْ تَزَالُوا لَنَا شِيعَةً وَإِخْوَانًا ، وَإِلَّا وَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نَدْعُوَكُمْ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ بِهِ إِخْوَانَكُمْ فِيمَا يَزْعُمُونَ ، وَيُظْهِرُونَ لَنَا أَنَّهُمْ يَتُوبُونَ ، وَإِنَّا لَنَكْمُحُ جُدْرَاءُ بَتَطَلُّابِ الْفَضْلِ ، وَالتَّهَامِ الْأَجْرِ ، وَالتَّوْبَةِ إِلَى رَبِّكُمْ مِنَ الذَّنْبِ ، وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ حَزُّ الرِّقَابِ ، وَقَتْلُ الْأَوْلَادِ ، وَاسْتِيفَاءُ الْأَمْوَالِ ، وَهَلَكَ الْعَشَائِرُ ؛ مَا ضَرَّ أَهْلَ عِزِّ الدِّينِ قَتْلُوهُ إِلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، شُهَدَاءَ قَدْ لَقُوا اللَّهَ صَابِرِينَ مُحْتَسِبِينَ ، فَأَثَابَهُمْ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ — يَعْنِي حُجْرًا وَأَصْحَابَهُ — وَمَا ضَرَّ إِخْوَانَكُمْ الْمُقْتَلِينَ صَبْرًا ، الْمُصْلَبِينَ ظُلْمًا ، وَالْمُمَثَّلَ بِهِمْ ، الْمُعْتَدَى عَلَيْهِمْ ، إِلَّا يَكُونُوا أَحْيَاءَ مُبْتَلِينَ بِخَطَايَاكُمْ ، قَدْ خَيْرَ لَهُمْ فَلَقُوا رَبَّهُمْ ، وَوَفَّاهُمُ اللَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَجْرَهُمْ ، فَاصْبِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَلَى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، وَتَوَبُوا إِلَى اللَّهِ عَنْ قَرِيبٍ ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَكْمُحُ لِأَحْرِيَاءَ إِلَّا يَكُونُ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ صَبَرَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبَلَاءِ إِرَادَةً ثَوَابِهِ إِلَّا صَبَرْتُمُ التَّهَامَ الْأَجْرَ فِيهِ عَلَى مِثْلِهِ ، وَلَا يَطْلُبُ رِضَاءَ اللَّهِ طَالِبٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَلَوْ أَنَّهُ الْقَتْلُ إِلَّا طَلَبْتُمْ رِضَاءَ اللَّهِ بِهِ . إِنَّ التَّقْوَى أَفْضَلُ الزَّادِ فِي الدُّنْيَا ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ يَبُورُ وَيَفْنَى ، فَلْتَعْرِضْ عَنْهَا أَنْفُسُكُمْ ، وَلْتَكُنْ رَغْبَتُكُمْ فِي دَارِ عَافِيَتِكُمْ ، وَجِهَادِ عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّكُمْ ، وَعَدُوِّ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ

حتى تقدموا على الله تائبين راغبين ، أحيانا الله وإياكم حياة طيبة ، وأجارنا ٥٠٤/٢ وإياكم من النار، وجعل مناينا قتلًا في سبيله على يدي أبغض خلقه إليه وأشدّهم عداوة له ؛ إنه القدير على ما يشاء ، والصانع لأوليائه في الأشياء ؛ والسلام عليكم .

قال : وكتب ابن صرّد الكتاب وبعث به إلى سعد بن حذيفة بن اليمان مع عبد الله بن مالك الطائي ، فبعث به سعد حين قرأ كتابه إلى من كان بالمدائن من الشيعة ، وكان بها أقوام من أهل الكوفة قد أعجبهم فأوطنوها وهم يقدمون الكوفة في كل حين عطاء ورزق ، فيأخذون حقوقهم ، وينصرفون إلى أوطانهم ، فقرأ عليهم سعد كتاب سليمان بن صرد . ثم إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنكم قد كنتم مجتمعين مزمعين على نصر الحسين وقتال عدوه ، فلم يَفْجَأْكم أول من قتله ، والله مثيركم على حُسن النية وما أجمعتم عليه من النصر أحسن المثوبة ، وقد بعث إليكم إخوانكم يستنجدونكم ويستمدونكم ، ويدعونكم إلى الحق وإلى ما ترجون لكم به عند الله أفضل الأجر والحظ ، فإذا ترون ؟ وماذا تقولون ؟ فقال القوم بأجمعهم : نجيبهم ونقاتل معهم ، ورأينا في ذلك مثل رأيهم .

فقام عبد الله بن الحنظل الطائي ثم الحزيمري ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإننا قد أجبنا إخواننا إلى ما دعونا إليه ، وقد رأينا مثل الذي قد رأوا ، فسرّحتني إليهم في الخيل ، فقال له : رويداً ، لا تعجل ، استعدوا للعدو ، وأعدوا له الحرب ، ثم نسروا وتسبوا .

وكتب سعد بن حذيفة بن اليمان إلى سليمان بن صرّد مع عبد الله بن مالك الطائي :

بسم الله الرحمن الرحيم . إلى سليمان بن صرد ، من سعد بن حذيفة ٥٠٥/٢ ومن قبله من المؤمنين ، سلام عليكم ، أما بعد ، فقد قرأنا كتابك ، وفهمنا الذي دعوتنا إليه من الأمر الذي عليه رأى الملا من إخوانك ، فقد هدّيت لحظك ، ويُسّرّت لرشدك ، ونحن جادون مجذون ، معدون مسرجون ملجسون ننتظر الأمر ، ونستمع الداعي ؛ فإذا جاء الصريخ أقبلنا ولم نُعرج إن شاء الله ؛ والسلام .

فلما قرأ كتابه سليمان بن صُرَد قرأه على أصحابه ، فسُرّوا بذلك .
قالوا : وكتب إلى المثنى بن مخزبة العبدى نسخة الكتاب الذى كان كتب
به إلى سعد بن حذيفة بن اليمان وبعث به مع ظبّيان بن عُمارة التميمى من بنى
سعد ، فكتب إليه المثنى : أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وأقرأته إخوانك ،
فحمدوا رأيك ، واستجابوا لك ، فنحن مُوافقوك إن شاء الله للأجل الذى ضربت
وفى الموطن الذى ذكرت ؛ والسلام عليك . وكتب فى أسفل كتابه :

تَبَصَّرُ كَأَنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ مُعَلِّمًا عَلَى أَتْلَعِ الْهَادَى أَجَشُّ هَزِيمِ-
طَوِيلِ الْقَرَأَةِ نَهْدِ الشَّوَاةِ مَقْلَصِ مُلِحٌّ عَلَى فَأْسِ اللَّجَامِ أَزُومِ-
بِكُلِّ فِتْنَى لَا يَمْلَأُ الرُّوعَ نَحْرَهُ مُحِجْسٌ لِعَعْصِ الْحَرْبِ غَيْرِ سُومِ-
أَخَى ثِقَةٍ يَنْوِي الْإِلَهَ بِسَعْيِهِ ضَرْوبٌ بِنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرِ أَثِمِ

٥٥٦/٢ قال أبو مخنف لوط بن يحيى ، عن الحارث بن حصيرة ، عن عبد الله بن
سعد بن نفيل ، قال : كان أوّل ما ابتدعوا به من أمرهم سنة إحدى وستين ، وهى
السنة التى قُتلَ فيها الحسين رضى الله عنه ، فلم يزل القومُ فى جمع آله
الحرب والاستعداد للقتال ، ودعاء الناس فى السرّ من الشيعة وغيرها إلى الطلب
بدم الحسين ، فكان يجيبهم القوم بعد القوم ، والنّفَر بعد النّفَر .

فلم يزالوا كذلك فى ذلك حتى مات يزيدُ بن معاوية يوم الخميس لأربع
عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين ، وكان بين قتل
الحسين وهلاك يزيدَ بن معاوية ثلاث سنين وشهران وأربعة أيام ، وهلك يزيدُ
وأُمير العراق عبيدُ الله بن زياد ، وهو بالبصرة ، وخليفته بالكوفة عمرو بن
حُرَيْث المخزومى ، فجاء إلى سليمان أصحابه من الشيعة ، فقالوا : قد مات
هذا الطاغية ، والأمر الآن ضعيف ، فإن شئت وثبنا على عمرو بن حُرَيْث
فأخرجناه من القصر ، ثم أظهرنا الطلبَ بدم الحسين ، وتبّعنا قَتَلَتَهُ ، ودَعَوْنَا
الناس إلى أهل هذا البيت المستأثَر عليهم ، المدفوعين عن حقهم ، فقالوا فى
ذلك فأكثروا ؛ فقال لهم سليمان بن صُرَد : رُويَدُ ، لا تعجلوا ، إني قد نظرت
فيما تذكرون ، فرأيت أن قَتَلَتَهُ الحسين هم أشرف أهل الكوفة ، وفُرسان العرب
وهم المطالبون بدمه ، ومتى علموا ما تريدون ، وعلموا أنهم المطلوبون ، كانوا

أشدّ عليكم . ونظرت فيمن تبعني منكم فعلمت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم ، ولم يشفوا أنفسهم ، ولم ينكوا في عدوهم ، وكانوا لهم جزراً ، ولكن بشوا ٥٠٧/٢ دعاتكم في مصر ، فادعوا إلى أمركم هذا ، شيعتكم وغير شيعتكم ، فإني أرجو أن يكون الناس اليوم حيث هلك هذا الطاغية أسرع إلى أمركم استجابةً منهم قبل هلاكه . ففعلوا ؛ وخرجت طائفة منهم دُعاةٌ يدعون الناس ، فاستجاب لهم ناسٌ كثير بعد هلاك يزيد بن معاوية أضعافُ من كان استجاب لهم قبل ذلك .

قال هشام : قال أبو مخنف : وحدّثنا الحصين بن يزيد ، عن رجل من مزيّنة قال : ما رأيتُ من هذه الأمة أحداً كان أبلغ من عبيد الله بن عبد الله المزيّ في منطق ولا عظة ، وكان من دُعاةِ أهل مصر زمانَ سليمان بن صُرد ، وكان إذا اجتمعت إليه جماعةٌ من الناس فوعظهم بدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : أما بعد ، فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه بنبوته ، وخصّه بالفضل كلّهُ ، وأعزكم باتباعه وأكرمكم بالإيمان به ، فحقّقن به دماءكم المسفوكة ، وأمنن به سبيلكم المسخوفة ، ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ ، كذلك يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ^(١) . فهل خلق ربكم في الأولين والآخرين أعظم حقاً على هذه الأمة من نبينا ؟ وهل ذرية أحد من النبيين والمرسلين أو غيرهم أعظم حقاً على هذه الأمة من ذرية رسولها ؟ لا والله ، ما كان ولا يكون . الله أنتم ! ألم تروا ويبلغكم ما اجتُرّم إلى ابن بنت نبيكم ! أما رأيتم إلى انتهاك القوم حرمة ، واستضعافهم وحدّته ، وترميلهم إياه بالدم ، وتجراهموه على الأرض ! ٥٠٨/٢ لم يرقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ اتخذوه للنبل غرضاً ، وغادروه للضباع جزراً ، فليله عيناً من رأى مثله ! والله حسين بن عليّ ، ماذا غادروا به ذا صدق وصبر ، وذا أمانة ونجدة وحزم ! ابنُ أوّل المسلمين إسلاماً ، وابن بنت رسول رب العالمين ، قلّت حُماته ، وكثرت عدائته حولته ، فقتلته عدوه ، وخذّله وليّه . فويل للقاتل ، وملامة

للخاذل ! إن الله لم يجعل لقاتله حُجَّةً ، ولا لخاذله مَعْدِرَةٌ ، إلا أن ينصيح
 لله في التوبة ، فيجاهد القاتلين ، وينابذ القاسطين ؛ فعسى الله عند ذلك أن
 يقبل التوبة ، ويثقل العثرة ؛ إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه ، والطلب
 بدماء أهل بيته ، وإلى جهاد المُحَلِّين والمارقين ، فإن قُتِلْنَا فما عند الله خيرٌ
 للأبرار ، وإن ظَهَرْنَا ردّنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبيّنا .

قال : وكان يعيد هذا الكلامَ علينا في كلِّ يوم حتى حَفِظْهُ عامتنا .
 قال : ووثب الناس على عمرو بن حُرَيْث عند هلاك يزيد بن معاوية ، فأخرجوه
 من القصر ، واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجُمُحَى .
 وهو دُحْرُوجَةُ الجُعَلِ الذي قال له ابنُ هَمَّام السَّلُولِيّ :

اشدُّ يديك بزيدٍ إن ظفِرتَ به واشفِ الأرايلَ من دُحْرُوجَةِ الجُعَلِ^(١)
 وكان كأنه إبهامٌ قِصراً ، وزيد مولاه وخازنُهُ ، فكان يصلّي بالناس .
 وبابع لابن الزبير ، ولم يزل أصحاب سليمان بن صُرَد يدعون شعيتهم وغيرهم
 من أهل مصرهم حتى كثر تبعهم ، وكان الناس إلى اتباعهم بعد هلاك يزيد
 ابن معاوية أسرعَ منهم قبل ذلك ، فلما مضت ستة أشهر من هلاك يزيد
 ابن معاوية ، قدم المختارُ بن أبي عُبَيْد الكوفة ، فقدم في النصف من شهر
 رمضان يوم الجمعة . قال : وقَدِمَ عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخطمي
 مِن قِبَل عبد الله بن الزبير أميراً على الكوفة على حربها وثغرها ، وقدم
 معه من قِبَل ابن الزبير إبراهيمُ بن محمد بن طلحة بن عبيد الله الأعرج
 أميراً على خِراج الكوفة ، وكان قدوم عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخطمي
 يوم الجمعة لثمانٍ بقين من شهر رمضان سنة أربع وستين .

قال : وقدم المختار قبل عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بثمانية أيام ،
 ودخل المختار الكوفة ، وقد اجتمعت رهوس الشيعة ووجوهها مع سليمان بن صُرَد
 فليس يعدّ لونه به ، فكان المختار إذا دعاهم إلى نفسه^(٢) وإلى الطلب بدم الحسين
 قالت له الشيعة : هذا سليمان بن صُرَد شيخ الشيعة ، قد انقادوا له واجتمعوا

(١) في اللسان : « الدحروجة : ما يدرجه الجعل من البنادق » .

(٢) ف : « لنفسه » .

عليه ، فأخذ يقول للشيعة : إني قد جئتكم^١ من قبل المهدي محمد بن علي ابن الحنفية^١ مؤمناً مأموناً، منتجباً ووزيراً ، فوالله ما زال بالشيعة حتى انشعبت إليه طائفة^٢ تعظمه وتجييه ، وتنتظر أمره، وعظم الشيعة مع سليمان ابن صرد ، فسليمان أنقل خلق الله على المختار .

وكان المختار يقول لأصحابه : أتدرون ما يريد هذا؟ يعني سليمان بن صرد - إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم ، ليس له بصراً بالحروب ، ولا له ١٠/٢ علم بها .

قال : وأتى يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني عبد الله بن يزيد الأنصاري فقال : إن الناس يتحدّثون أن هذه الشيعة خارجة عليك مع ابن صرد ، ومنهم طائفة أخرى مع المختار ، وهي أقل الطائفتين عدداً، والمختار فيما يذكر الناس لا يريد أن يخرج حتى ينظر إلى ما يصير إليه أمر سليمان بن صرد ، وقد اجتمع له أمره ، وهو خارج من أيامه هذه ، فإن رأيت أن تجمع الشرط والمقاتلة ووجوه الناس ، ثم تنهض إليهم ، ونهض معك ، فإذا دفعت إلى منزله دعوته ، فإن أجابك فحسبته ، وإن قاتلك قاتلته ، وقد جمعت له وعبأت وهو مغتر ، فإني أخاف عليك إن هو بدأك وأقرته حتى يخرج عليك أن تشد شوكته ، وأن يتفاهم أمره .

فقال عبد الله بن يزيد : الله بيننا وبينهم ، إن هم قاتلونا قتلناهم ، وإن تركونا لم نطلبهم ، حدّثني ما يريد الناس ؟ قال : يذكر الناس أنهم يطلبون بدم الحسين بن علي ، قال : فأنا قتلت الحسين ! لعن الله قاتل الحسين ! قال : وكان سليمان بن صرد وأصحابه يريدون أن يشبوا بالكوفة ، فخرج عبد الله بن يزيد حتى صعد المنبر ، ثم قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فقد بلغني أن طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا ، فسألت عن الذي دعاهم إلى ذلك ما هو ؟ فقيل لي : زعموا أنهم يطلبون بدم الحسين بن علي ، فرحم الله هؤلاء القوم ، قد ١١/٢ والله دلّيت على أماكنتهم ، وأمريت بأخذهم ، وقيل : ابدأهم قبل

أن يبدعوك ، فأبيت ذلك ، فقلت : إن قاتلوني قاتلتهم ، وإن تركوني لم أطلبهم ؛ وعلام يقاتلونني ! فوالله ما أنا قتلُ حسيناً ، ولا أنا من قاتلته ، ولقد أصيبت بمقتله رحمة الله عليه ! فإن هؤلاء القوم آمنون ، فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا إلى مَنْ قاتل الحسين ، فقد أقبل إليهم ، وأنا لهم على قاتله ظهير ؛ هذا ابن زياد قاتل الحسين ، وقاتل خياركم وأمائلكم ، قد توجه إليكم ؛ عهدهُ العاهد به على مسيرة ليلة من جسر منبج ، فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم ، فيقتل بعضكم بعضاً ، ويسفك بعضكم دماء بعض ، فيلقاكم ذلك العدو غداً وقد رققتم ، وتلك والله أمنيّة عدوكم ، وإنه قد أقبل إليكم أعدى خلق الله لكم ، مَنْ وُلّي عليكم هو وأبوه سبع سنين ، لا يُقلّعان عن قتل أهل العتاف والدين ، هو الذي قتلكم ، ومن قبله أيتيم ، والذي قتل مَنْ تثارون بدمه ، قد جاءكم فاستقبلوه بحدكم وشوكتكم ، واجعلوها به ، ولا تجعلوها بأنفسكم ؛ إني لم آلكم نصحاً ، جمع الله لنا كلمتنا ، وأصلح لنا أئمتنا !

قال : فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة : أيّها الناس ، لا يغررتكم من السيف والغشم مقالة هذا المدهين الموادع ؛ والله لئن خرج علينا خارج لقتلته ، ولئن استقيننا أن قوماً يريدون الخروج علينا لنأخذنّ الوالد بولده ، والمولود بوالده ، ولنأخذنّ الحميم بالحميم ، والعريف بما في عرافته حتى يدّينوا^(١) للحقّ ، ويدلّوا^(٢) للطاعة . فوثب إليه المسيّب بن نجبة ففقط عليه منطقه ثم قال : يا بن الناكثين^(٣) ، أنت تهدّ دنا بسيفك وغشمك ! أنت والله أذلّ من ذلك ؛ إنا لا نلومك على بغضنا ، وقد قتلنا أباك وجدك ، والله إني لأرجو ألا يخرجك الله من بين ظهراني أهل هذا المصر حتى يشلّوا بك جدك وأباك ، وأمّا أنت أيّها الأمير فقد قلت قولاً سديداً ، وإني والله لأظنّ مَنْ يريد هذا الأمر مستنصيحاً لك ، وقابلاً قولك .

فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة : إني والله ، ليقتلنّ وقد أدهنّ ثم أعلن .

(١) ف : « حتى تدينوا » . (٢) ابن الأثير : « يدلّوا » .

(٣) ف : « أيابن الناكثيه » .

فقام إليه عبد الله بن وال التيمي، فقال: ما اعتراضك يا أخا بني تيم بن مرة فيما بيننا وبين أميرنا! فوالله ما أنت علينا بأمر، ولا لك علينا سلطان، إنما أنت أمير الحزبية، فأقبل على خراجك، فلعمر الله لئن كنت مفسداً ما أفسد أمر هذه الأمة إلا والدك وجدك الناكثان، فكانت بهما اليدان، وكانت عليهما دائرة السوء.

قال: ثم أقبل مسيب بن نجبة وعبد الله بن وال على عبد الله بن يزيد فقالا: أما رأيك أيها الأمير فوالله إنا لنرجو أن تكون به عند العامة محموداً وأن تكون عند الذي عنييت واعتريت مقبولا. فغضب أناس من عمال إبراهيم بن محمد بن طلحة وجماعة ممن كان معه، فقتلوا دونه، فستهم ٥١٣/٢ الناس وخصمهم.

فلما سمع ذلك عبد الله بن يزيد نزل ودخل، وانطلق إبراهيم بن محمد وهو يقول: قد داهن عبد الله بن يزيد أهل الكوفة، والله لأكتبن بذلك إلى عبد الله بن الزبير، فأتى شبث بن ربعي التيمي عبد الله بن يزيد فأخبره بذلك، فركب به وبيزيد بن الحارث بن رويم حتى دخل على إبراهيم بن محمد بن طلحة، فحلف له بالله ما أردت بالقول الذي سمعت إلا العافية وصلاح ذات البين، إنما أتاني يزيد بن الحارث بكذا وكذا، فرأيت أن أقوم فيهم بما سمعت إرادة ألا تختلف الكلمة، ولا تتفرق الألفة، وألا يقع بأس هؤلاء القوم بينهم. فعذره وقبيل منه.

قال: ثم إن أصحاب سليمان بن صرد خرجوا ينشرون السلاح ظاهرين، ويتجهزون يجاهرون بجهازهم وما يوصلهم.

* * *

[ذكر الخبر عن فراق الخوارج عبد الله بن الزبير]

وفي هذه السنة فارق عبد الله بن الزبير الخوارج الذين كانوا قد موا عليه مكة، فقاتلوا معه حصين بن نمير السكوني، فصاروا إلى البصرة، ثم افترقت كلمتهم فصاروا أحزاباً.

ذكر الخبر عن فراقهم ابن الزبير والسبب الذى من أجله فارقه والذى من أجله افترقت كلمتهم :

٥١٤/٢ حَدَّثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيِّ ، عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ لُوطِ بْنِ يَحْيَى قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْخَارِقِ الرَّاسِبِيُّ ، قَالَ : لَمَّا رَكِبَ ابْنُ زِيَادٍ مِنَ الْخَوَارِجِ بَعْدَ قَتْلِ أَبِي بَلَالٍ مَا رَكِبَ ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ لَا يَكْفُ عَنْهُمْ وَلَا يَسْتَبْقِيهِمْ غَيْرَ أَنَّهُ بَعْدَ قَتْلِ أَبِي بَلَالٍ تَجَرَّدَ لِمُتَصَالِهِمْ وَهَلَائِكِهِمْ ، وَاجْتَمَعَتِ الْخَوَارِجُ حِينَ ثَارَ ابْنُ الزَّبِيرِ بِمَكَّةَ ، وَسَارَ إِلَيْهِ أَهْلُ الشَّامِ ، فَتَدَاكُرُوا مَا أَتَى إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ ، وَفَرَّضَ عَلَيْكُمْ فِيهِ الْجِهَادَ ، وَاحْتَجَّ عَلَيْكُمْ بِالْبَيَانِ ، وَقَدْ جَرَّدَ فِيكُمْ السِّيُوفَ أَهْلُ الظُّلْمِ وَأُولُو الْعِدَا وَالْغَشَمِ ، وَهَذَا مِنْ قَدْ ثَارَ بِمَكَّةَ ، فَاخْرُجُوا بِنَا نَأْتِ الْبَيْتَ وَنُلْقِ هَذَا الرَّجُلَ ، فَإِنْ يَكُنْ عَلَى رَأْيِنَا جَاهِدُنَا مَعَ الْعَدُوِّ ، وَإِنْ يَكُنْ عَلَى غَيْرِ رَأْيِنَا دَافِعُنَا عَنِ الْبَيْتِ مَا اسْتَطَعْنَا ، وَنَظَرْنَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي أُمُورِنَا. فَخَرَجُوا حَتَّى قَدَمُوا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الزَّبِيرِ ، فَسَّرَ بِمَقْدَمِهِمْ ، وَنَبَّأَهُمْ أَنَّهُ عَلَى رَأْيِهِمْ ، وَأَعْطَاهُم الرِّضَامَ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ وَلَا تَفْتِيشٍ ؛ فَقَاتَلُوا مَعَهُ حَتَّى مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، وَانْصَرَفَ أَهْلُ الشَّامِ عَنْ مَكَّةَ . ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ لَقِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَقَالُوا : إِنَّ هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ أَمْسَ بَغِيرٌ ^(١) رَأَى وَلَا صَوَابَ مِنَ الْأَمْرِ ، تَقَاتِلُونَ مَعَ رَجُلٍ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّهُ لَيْسَ عَلَى رَأْيِكُمْ ، إِنَّمَا كَانَ أَمْسَ يَقَاتِلُكُمْ هُوَ وَأَبُوهُ يَنَادِي : يَا لَثَارَاتِ عُمَانَ ! فَأَتَوْهُ وَسَلَّوْهُ عَنْ عُمَانَ ، فَإِنْ بَرَى مِنْهُ كَانَ وَلِيِّكُمْ ، وَإِنْ أَبَى كَانَ عَدُوَّكُمْ . فَشَوْا نَحْوَهُ فَقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّا قَدْ قَاتَلْنَا مَعَكَ ، وَلَمْ نُفْتَشْكَ عَنْ رَأْيِكَ حَتَّى نَعْلَمَ أَمِنَّا أَنْتَ أَمْ مِنْ عَدُوَّنَا ! خَبَرْنَا مَا مَقَالُتُكَ فِي عُمَانَ ؟ فَنَظَرَ فَإِذَا مَنَّ حَوْلَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ قَلِيلٌ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّكُمْ أَتَيْتُمُونِي فِصَادَ فَتَمُونِي حِينَ أَرَدْتُ الْقِيَامَ ، وَلَكِنْ رُوحُوا إِلَى الْعِشْيَةِ حَتَّى أَعْلَمَكُمْ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي تَرِيدُونَ . فَانْصَرَفُوا ، وَبَعَثَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : الْبِسُوا السِّلَاحَ ، وَاحْضُرُونِي بِأَجْمَعِكُمُ الْعِشْيَةَ ، ففعلوا ، وجاءت الخوارج ، وقد أقام أصحابه حوله سِمَاطِينَ عَلَيْهِمْ

(١) ابن الأثير : « لغير رأى » .

السلاح، وقامت جماعة منهم عظيمة على رأسه بأيديهم الأعمدة^(١)، فقال ابن الأزرقي لأصحابه: خشى الرجل غائلةكم، وقد أزمع بخلافكم^(٢) واستعد لكم؛ ما ترون؟

فدنا منه ابن الأزرقي، فقال له: يا بن الزبير، اتق الله ربك، وأبغض الخائن المستأثر، وعاد أول من سن الضلالة، وأحدث الأحداث، وخالف حكم الكتاب، فإنك إن فعل ذلك تُرض ربك، وتنج من العذاب الأليم نفسك، وإن تركت ذلك فأنت من الذين استمتعوا بخلافهم، وأذهبوا في الحياة الدنيا طيباتهم.

يا عبيدة بن هلال، صيف لهذا الإنسان ومن معه أمرنا الذي نحن عليه، والذي ندعو الناس إليه، فتقدم عبيدة بن هلال.

قال هشام: قال أبو مخنف: وحدثنى أبو علقمة الخثعمي، عن قبيصة^(٣) بن عبد الرحمن القحافي، من خثعم، قال: أنا والله شاهد عبيدة بن هلال، إذ تقدم فتكلم، فما سمعت ناطقاً قط ينطق كان أبلغ ولا أصوب قولاً منه، وكان يرى رأى الخوارج.

قال: وإن كان ليجتمع القول الكثير، في المعنى الخطير، في اللفظ

اليسير.

قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الله بعث محمداً

صلى الله عليه وسلم يدعو إلى عبادة الله، وإخلاص الدين، فدعا إلى ذلك، ٥١٦/٢ فأجابه المسلمون، فعمل فيهم بكتاب الله وأمره، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه، واستخلف الناس أبا بكر، واستخلف أبو بكر عمر، فكلاهما عمل بالكتاب وسنة رسول الله، فالحمد لله رب العالمين. ثم إن الناس استخلفوا عثمان بن عفان، فحمى الأحماء، وآثر القربى، واستعمل الفتى^(٤) ورفع الدرّة، ووضع السوط، ومزق الكتاب، وحقر المسلم

(١) ابن الأثير: «العمد».

(٢) ابن الأثير: «خلافكم».

(٣) ط: «عن أبي قبيصة»، والصواب ما أثبت.

(٤) ابن الأثير: «الغنى».

وضرب مُنْكَرِي^(١) الجُورَ ، وآوى طريدَ الرسولِ صلى الله عليه ، وضرب السابقين بالفضل ، وسَيَّرَهم وحَرَمَهم ، ثم أخذ فيءَ الله الذي أفاءه عليهم فقسَّمه بين فُسَّاقِ قريش ، ومُجَانِ العرب ، فسارت إليه طائفةٌ من المسلمين أخذوا الله ميثاقَهم على طاعته ، لا يُبَالون في الله لومةَ لائمٍ ، فقتلوه ، فنحن لهم أولياءُ ، ومن ابنِ عفان وأوليائه بُراءُ ، فما تقول أنت يا ابنَ الزبير ؟ قال : فحَمِدَ الله ابنَ الزبير وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فقد فهمتُ الذي ذكرتم ، وذكرتُ به النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو كما قلت صلى الله عليه وفوق ما وصفته ، وفهمتُ ما ذكرتُ به أبا بكر وعمر ، وقد وُفِّقَتْ وأُصِبتُ ، وقد فهمتُ الذي ذكرتُ به عثمان بن عفان رحمة الله عليه ، وإنِّي لا أعلم مكانَ أحدٍ من خلق الله اليومَ أعلمُ بابنِ عفان وأمره منِّي ، كنتُ معه حيثُ نَقِمَ القومُ عليه ، واستعتبوه فلم يَدْعُ شيئاً استعتبتهُ القومُ فيه إلا أعتبهم منه . ثم إنهم رجعوا إليه بكتابٍ له يزعمون أنه كتبه فيهم ، يأمر فيه بقتلهم فقال لهم : ما كتبتُهُ ، فإن شئتم فهااتوا بيئتكم ؛ فإن لم تكن حلفتُ لكم ؛ فوالله ما جاءوه بيئتهُ ، ولا استحلّفوه . ووثبوا عليه فقتلوه ، وقد سمعتُ ما عتبه به ، فليس كذلك ، بل هو لكل خير أهلٍ ، وأنا أشهدكم ومن حضر^(٢) أني وليُّ لابنِ عفان في الدنيا والآخرة ، ووليُّ أوليائه ، وعدوُّ أعدائه ، قالوا : فبرئ الله منك يا عدو الله ؛ قال : فبرئ الله منكم يا أعداء الله .

٥١٧/٢

وتفرَّقَ القومُ ، فأقبل نافع بن الأزرق الحنظلي ، وعبد الله بن صفّار السعديّ من بني صرّيم بن مقاعس ، وعبد الله بن إباح أيضاً من بني صرّيم ، وحنظلة بن بسّيس ، وبنو الماحوز : عبد الله ، وعبيد الله ، والزبير ، من بني سَلِيط ابن يربوع ، حتّى أتوا البصرة ، وانطلق أبو طالوت من بني زَمَان بن مالك بن صعب بن عليّ بن مالك بن بكر بن وائل وعبد الله بن ثور أبو فُدَيْك من بني قيس بن ثعلبة وعطيّة بن الأسود اليشكريّ إلى اليمامة ، فوثبوا باليمامة مع أبي طالوت ، ثمّ أجمعوا بعد ذلك على نجدة ابن عامر الحنفيّ ، فأما البصريّون

(١) ابن الأثير : « منكر الجود » .

(٢) ابن الأثير : « حضري » .

منهم فإنهم قدّموا البصرة وهم مُجمِعون على رأى أبى بلال .

قال هشام : قال أبو مخنف لوط بن يحيى : فحدثني أبو المثنى ، عن رجل من إخوانه من أهل البصرة ، أنهم اجتمعوا فقالت العامة منهم : لو خرج منّا خارجون فى سبيل الله ، فقد كانت منّا فترة منذ خرج أصحابنا ، فيقوم علماءنا فى الأرض فيكونون مصاييح الناس يدعونهم إلى الدين ، ويخرج أهل الورع والاجتهاد فيلحقون بالرب ، فيكونون شهداء مرزوقين عند الله أحياء . فانتدب لها نافع بن الأزرق ، فاعتقد على ثلثمائة رجل ، فخرج ، وذلك

عند وثوب الناس بعبيد الله بن زياد ، وكسّر الخوارج أبواب السجون وخرجهم ٥١٨/٢ منها ، واشتغل الناس بقتال الأزد وربيعة وبنى تميم وقيس فى دم مسعود بن عمرو ، فاغتنمت الخوارج اشتغال الناس بعضهم ببعض ، فتسهّثوا واجتمعوا ، فلما خرج نافع بن الأزرق تبعوه ، واصطلح أهل البصرة على عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب يصلّى بهم ، وخرج ابن زياد إلى الشام ، واصطلحت الأزد وبنى تميم ، فتجرد الناس للخوارج ، فاتبعوهم وأخافوهم حتى خرج من بقى منهم بالبصرة ، فلاحق بابن الأزرق ، إلا قليلا منهم ممن لم يكن أراد الخروج يومه ذلك ، منهم عبد الله بن صفّار ، وعبد الله ابن إياض ، ورجالٌ معهما على رأيهما . ونظر نافع بن الأزرق ورأى أنّ ولاية من تخلف عنه لا تنبغى ، وأنّ من تخلف عنه لا نجاة له ، فقال لأصحابه : إنّ الله قد أكرمكم بمُخرجكم ، وبصّركم ما عمي عنه غيركم ؛ ألستم تعلمون أنكم إنما خرجتم تطالبون شريعته وأمره ! فأمره لكم قائد ، والكتاب لكم إمام ، وإنما تتبعون سننّه وأثره ، فقالوا : بلى ؛ فقال : أليس حكمكم فى وليّكم حكم النبيّ صلى الله عليه وسلم فى وليّه ، وحكمكم فى عدوّكم حكم النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى عدوّه ، وعدوّكم اليوم عدوّ الله وعدوّ النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم ، كما أنّ عدوّ النبيّ صلى الله عليه وسلم يومئذ هو عدوّ الله وعدوّكم اليوم ! فقالوا : نعم ؛ قال : فقد أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(١) .

وقال : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ 》^(١) ، فقد حرّم الله ولايتهم ، والمقام بين أظهرهم ، وإجازة شهادتهم ، وأكل ذبائحهم وقبول علم الدين عنهم ، ومناحتهم ، ومواريتهم ، وقد احتجّ الله علينا بمعرفة هذا ، وحق علينا أن نعلم هذا الدين الذين خرجنا من عندهم ، ولا نكتم ما أنزل الله ، والله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ 》^(٢) ، فاستجاب له إلى هذا الرأي جميع أصحابه .

فكتب : من عبید الله نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن صفّار وعبد الله ابن إياض ومن قبلهما من الناس . سلامٌ على أهل طاعة الله من عباد الله ، فإنّ من الأمر كيت وكيت ؛ فقصّ هذه القصة ، ووصف هذه الصفة ، ثمّ بعث بالكتاب إليهما . فأتيّابه ، فقرأه عبد الله بن صفّار ، فأخذه فوضعه خلفه ، فلم يقرأه على الناس خشية أن يتفرّقوا ويختلفوا ، فقال له عبد الله بن إياض : ما لكَ الله أبوك ! أىّ شيء أصبت ! أن قد أصيب إخواننا ، أو أسير بعضهم ! فدفع الكتاب إليه ، فقرأه ، فقال : قاتله الله ! ، أىّ رأى رأى ! صدق نافع ابن الأزرق ، لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً وحكماً فيما يشير به ، وكانت سيرته كسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المشركين ، ولكنه قد كذب وكذّبنا فيما يقول ، إنّ القوم كفار بالنعمة والأحكام ، وهم برّاء من الشرك ، ولا تحلّ لنا إلا دماؤهم ، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام ؛ فقال ابن صفّار : برئ الله منك ، فقد قصّرت ، وبرئ الله من ابن الأزرق فقد غلا ، برئ الله منكما جميعاً ؛ وقال الآخر : ٥٢٠/٢ فبرئ الله منك ومنه .

وتفرّق القوم ، واشتدّت شوكة ابن الأزرق ، وكثرت جموعه^(٣) ، وأقبل

(١) سورة البقرة: ٢٢١ .

(٢) سورة البقرة: ١٥٩ .

(٣) بعدها في ابن الأثير : « وأقام بالأهواز يحيى الخراج ويتقوى به » .

نحو البصرة حتى دنا من الجسر ، فبعث إليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عُبَيْس^(١) بن كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف في أهل البصرة .

* * *

[ذكر الخبر عن مقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة]

قال أبو جعفر : وفي النصف من شهر رمضان من هذه السنة كان مقدّم المختار بن أبي عُبَيْد الكوفة .

* ذكر الخبر عن سبب مقدمه إليها :

قال هشام بن محمد الكلبي : قال أبو مخنف : قال النضر بن صالح : كانت الشيعة تشتم المختار وتعتبه^(٢) لما كان منه في أمر الحسن بن علي يوم طعن في مظلم سباط ، فحمل إلى أبيّض المدائن ، حتى إذا كان زمن الحسين ، وبعث الحسين مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، نزل دار المختار ، وهي اليوم دار سلم بن المسيّب ، فبايعه المختار بن أبي عُبَيْد فيمن بايعه من أهل الكوفة ، وناصحه ودعا إليه من أطاعه ، حتى خرج ابن عقيل يوم خرج والمختار في قرية له بخطريّة تدعى لقفا ، فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر أنه قد ظهر بالكوفة ، فلم يكن خروجه يوم خرج على ميعاد من أصحابه ، إنما خرج حين قيل له : إن هاني بن عروة المرادي قد ضرب وحبس ، فأقبل المختار في موال له^(٣) حتى انتهى إلى باب الفيل بعد الغروب ، وقد عقد ٥٢١ / ٢ عبيد الله بن زياد لعمر بن حريث راية على جميع الناس ، وأمره أن يقعد لهم في المسجد ، فلما كان المختار وقف على باب الفيل مرّ به هاني بن أبي حية^(٤) الوادعي ، فقال للمختار : ما وقوفك ها هنا إلا أنت مع الناس ، ولا

(١) ضبطه ابن الأثير بالعين المهملة المضمومة والباء الموحدة والياء المشناة من تحت وبالسين المهملة .

(٢) ابن الأثير : « وتعيبه » .

(٣) ابن الأثير : « حواله » .

(٤) ابن الأثير : « هافع بن جبة » .

أنت في رحلك ؛ قال : أصبح رأبي مرتجياً لعظم خطيئتك ؛ فقال له : أظنك والله قاتلاً نفسك ، ثم دخل على عمرو بن حُرَيْث فأخبره بما قال للمختار وما ردّ عليه المختار .

قال أبو مخنف : فأخبرني النضر بن صالح ، عن عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي ؛ قال : كنت جالساً عند عمرو بن حُرَيْث حين بلغه هاني بن أبي حية عن المختار هذه المقالة ، فقال لي : قم إلى ابن عمك فأخبره أن صاحبه لا يدرى أين هو ! فلا يعلن على نفسه سبيلاً ، فقممت لآتيه ، ووثب إليه زائدة بن قدامة بن مسعود ، فقال له : يأتيك على أنه آمين ؟ فقال له عمرو بن حُرَيْث : أمّا مني فهو آمن ، وإن رُفّي إلى الأمير عبيد الله بن زياد شيء من أمره أقمته له بمحضرة الشهادة ، وشفّعت له أحسن الشفاعة ، فقال له زائدة بن قدامة : لا يكونن مع هذا إن شاء الله إلا خير .

قال عبد الرحمن : فخرجت ، وخرج معي زائدة إلى المختار ، فأخبرناه^(١) بمقالة ابن أبي حية وبمقالة عمرو بن حُرَيْث ، وناشدناه بالله ألا يجعل على نفسه سبيلاً ، فنزل إلى ابن حُرَيْث ، فسلم عليه ، وجلس تحت رايته حتى أصبح ، وتذاكر الناس أمر المختار وفعله ، فشى عمارة بن عقبة بن أبي معيط بذلك إلى عبيد الله بن زياد ، فذكر له ، فلما ارتفع النهار فُتِح بابُ عبيد الله ابن زياد وأذن للناس ، فدخل المختار فيمن دخل ، فدعاه عبيد الله ، فقال له : أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عَقِيل ! فقال له : لم أفعل ، ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حُرَيْث ، وبِتّ معه وأصبحت ، فقال له عمرو : صدق أصلحك الله ! قال : فرفع القضيْب ، فاعترض به وجه المختار فحبط به عينه فشتَرها^(٢) وقال : أولى لك ! أمّا والله لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك ؛ انطلقوا به إلى السجن فانطلقوا به إلى فحبس فيه فلم يزل في السجن حتى قُتل الحسين . ثم إن المختار بعث إلى زائدة بن قدامة ، فسأله أن يسير إلى عبد الله بن عمر بالمدينة فيسأله أن يكتب له إلى يزيد بن معاوية ، فيكتب

(١) ف : « وأخبرناه » .

(٢) الشتر : انقلاب جفن العين من أعلى إلى أسفل وتشنجه .

إلى عبيد الله بن زياد بتخيلة سبيله ، فركب زائدةً إلى عبد الله بن عمر فقَدِم عليه ، فبلَّغَه رسالةَ المختار ، وعلمتُ صَفِيَّةُ أختُ المختار بِمَحَبِّسِ أَخِيهَا وهي تحت عبد الله بن عمر ، فبكت وجزعت ، فلما رأى ذلك عبد الله بن عمر كتب مع زائدة إلى يزيد بن معاوية : أماً بعد ، فإنَّ عبيد الله بن زياد حبس المختار ، وهو صهرى ، وأنا أحبُّ أن يعافى ويُصلَحَ من حاله ، فإن رأيتَ رحمنا الله وإياك أن تكتب إلى ابن زياد^(١) فتأمره بتخليته ففعلت . والسلام عليك .

ففضى زائدة على رواحله بالكتاب حتى قدم به على يزيد بالشَّام ، ٥٢٣/٢ فلما قرأه ضحك ثم قال : يشفع أبو عبد الرحمن ، وأهلُ ذلك هو . فكتب له إلى ابن زياد : أما بعد ، فخلَّ سبيلَ المختار بن أبي عبيد حين تَنظَرُ في كتابي ، والسلام عليك .

فأقبل به زائدة حتى دفعه ، فدعا ابن زياد بالمختار ، فأخرجه ، ثم قال له قد أَجَلَّتْكَ ثلاثاً ، فإن أدركتُك بالكوفة بعدَها قد برئتُ منك الذَّمةُ . فخرج إلى رحله . وقال ابن زياد : والله لقد اجترأ على زائدة حين يرسل إلى أمير المؤمنين حتى يأتيني بالكتاب في تخيلة رجل قد كان من شأنى أن أطيل حبسه ، على به . فرَّ به عمرو بن نافع أبو عثمان - كاتبُ لابن زياد - وهو يُطلَبُ ، وقال له : النَّجاءَ بنفسك ، واذكرها يدألى عندك .

قال : فخرج زائدة ، فتوارى يومه ذلك . ثمَّ إنه خرج في أناس من قومه حتى أتى القعقاع بن شَورَ الذَّهَلِيَّ ، ومسلم بن عمرو الباهليَّ ، فأخذا له من ابن زياد الأمان .

قال هشام : قال أبو مخنف : ولما كان اليوم الثالث خرج المختار إلى الحجاز ، قال : فحدثني الصقعب بن زهير ، عن ابن العِرْق ، مولى لثقيف . قال : أقبلتُ من الحجاز حتى إذا كنت بالبسيطة من وراء واقصة استقبلتُ المختار بن أبي عبيد خارجاً يريد الحجاز حين خلَّي سبيله ابن زياد ، فلما استقبلته رحبتُ به ، وعظفتُ إليه ، فلما رأيت شتَرَ عينه استرجعتُ له ، وقلتُ له بعد ما توجهت له : ما بال عينك ، صرف الله عنك السوء !

(١) ف : « رحمك الله أن تكتب إلى ابن زياد » .

٥٢٤/٢

فقال : خَبِطَ عيني ابن الزانية بالقَصْبِ خبطةً صارت إلى ما ترى . فقلتُ له : ما لَه شَلَّتْ أُناملُه ! فقال المختار : قتلني الله إن لم أقطع أُناملَه وأباجِلَه وأعضاءَه إربًا إربًا ؛ قال : فعجبتُ لمقالته ، فقلتُ له : ما علمك بذلك رحمك الله ؟ فقال لي : ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه . قال : ثم طَفِقَ يسألني عن عبد الله بن الزبير ، فقلتُ له : لجأ إلى البيت ، فقال : إنما أنا عائدٌ بربِّ هذه البنية ، والناس يتحدّثون أنه يباع سرًّا ، ولا أراه إلا لو قد^(١) اشتدَّت شوكتُه واستكثف من الرجال إلا سيُظهر الخلاف ؛ قال : أجل ، لا شك في ذلك^(٢) ، أمّا إنه رجلُ العرب اليوم ، أمّا إنه إن يخطُّ في أثري ، ويسمعُ قولي أكفِه أمرُ الناس ، وإلا يفعلُ فوالله ما أنا بدون أحد من العرب ، يا بنَ العِرْق ، إن الفتنه قد أرعدت وأبرقت ، وكأنَّ قد انبعثت^(٣) فوطئت في خطامها ، فإذا رأيتَ ذلك وسمعتَ به بمكان قد ظهرتُ فيه فقل : إن المختار في عصائبه من المسلمين ، يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطِّفِّ ، سيِّد المسلمين ، وابن سيِّدها ، الحسين ابن عليٍّ ، فوربك لأقتلن بقتله عِدَّةَ القتل التي قتلت على دم يحيى بن زكرياء عليه السلام ؛ قال : فقلتُ له : سبحان الله ! وهذه أعجوبة مع الأحذوثة الأولى ؛ فقال : هو ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه . ثم حرَّك راحلته ، فضيَّ ومضيتُ معه ساعةً أدعو الله له بالسلامة ، وحُسن الصحابة . قال : ثم إنه وقف فأقسم علىَّ لما انصرفتُ ، فأخذتُ بيده ! فودَّعته ، وسلمت عليه ، وانصرفت عنه ، فقلت في نفسي : هذا الذي يذكر لي هذا الإنسان ، — يعني المختار — مما يزعم أنه كائن ، أشيءٌ حدَّث به نفسه ! فوالله ما أطلع الله على الغيب أحدًا ، وإنما هو شيءٌ يتمناه فيرى أنه كائن ، فهو يوجب^(٤) رأيَه ، فهذا والرأي الشعاع ، فوالله ما كلُّ ما يرى الإنسان أنه كائن يكون ؛ قال : فوالله ما مُتَ حتى رأيتُ كلَّ ما قاله . قال : فوالله

٥٢٥/٢

(١) ف : « وقد » .

(٢) ف : « فيه » .

(٣) ابن الأثير : « أينمت » .

(٤) ف : « : » فيوجب .

لئن كان ذلك من علمٍ ألقى إليه لقد أثبت له ، ولئن كان ذلك رأياً رآه ، وشيئاً
تمناه ، لقد كان .

قال أبو مخنف : فحدثني الصقعب بن زهير ، عن ابن العريق ، قال :
فحدثت بهذا الحديث الحججاج بن يوسف ، فضحك ثم قال لي : إنه كان
يقول أيضاً :

ورافعة ذيلها * وداعية ويلها

* يدجلة أو حولها *

فقلت له : أترى هذا شيئاً كان يخترعه ، وتخرصاً يتخرصه ، أم هو
من علم كان أوتيه ؟ فقال : والله ما أدري ما هذا الذي تسألني عنه ، ولكن
لله دره ! أي رجل ديناً ، وميسر حرب ، ومقارع أعداء كان !

قال أبو مخنف : فحدثني أبو سيف الأنصاري من بني الخزرج ، عن
عباس بن سهل بن سعد ، قال : قدم المختار علينا مكة ، فجاء إلى عبد الله
ابن الزبير وأنا جالس عنده ، فسلم عليه ، فردّ عليه ابن الزبير ، ورحّب به ،
وأوسع له ، ثم قال : حدثني عن حال الناس بالكوفة يا أبا إسحاق ؟ قال :
هم لسلطانهم في العلانية أولياء ، وفي السرّ أعداء ؛ فقال له ابن الزبير : هذه
صفة عبّيد السوء ، إذا رأوا أربابهم خدموهم وأطاعوهم ، فإذا غابوا عنهم
شتّموهم ولعنوهم ؛ قال : فجلس معنا ساعة ، ثم إنه مال إلى ابن الزبير
كأنه يساره ، فقال له : ما تنتظر ! أبسط يدك أبايعك ، وأعطنا ما يرضينا ، ٥٢٦/٢

وثب على الحجاز فإن أهل الحجاز كلهم معك . وقام المختار فخرج ، فلم
يرحّل ؛ ثم إنني بينا أنا جالس مع ابن الزبير إذ قال لي ابن الزبير : متى
عهدك بالمختار بن أبي عبيد ؟ فقلت له : ما لي به عهد منذ رأيتُه عندك عاماً
أول ؛ فقال : أين تراه ذهب ! لو كان بمكة ، لقد رثي بها بعد ، فقلت له :
إني انصرفت إلى المدينة بعد إذ رأيتُه عندك بشهر أو شهرين ، فلبثت بالمدينة
أشهرًا ، ثم إنني قدمت عليك ، فسمعت نفرًا من أهل الطائف جاءوا معتمرين

يزعمون أنه قدم عليهم الطائف ، وهو يزعم أنه صاحب الغضب ، ومُبِير^(١) الجبَّارين ، قال : قاتله الله^(٢) ! لقد انبعث كذاباً متكهِّناً ، إنَّ الله إنَّ يَهْلِكَ الجبَّارين يكن المختار أحدهم^(٣) . فوالله ما كان إلا ريث فراغنا من منطقنا حتى عنَّ لنا في جانب المسجد ، فقال ابن الزبير : اذكرْ غائباً ترهْ ، أين تظنُّه يهوى ؟ فقلت : أظنه يريد البيت ، فأتى البيت فاستقبل الحجر ، ثم طاف بالبيت أسبوعاً ، ثم صلى ركعتين عند الحجر ، ثم جلس ، فما لبث أن مرَّ به رجال من معارفه من أهل الطائف وغيرهم من أهل الحجاز ، فجلسوا إليه ، واستبطأ ابن الزبير قيامه إليه ، فقال : ما ترى شأنه لا يأتينا ! قلت : لا أدري ، وسأعلم لك علمه ، فقال : ما شئت ، وكأن ذلك أعجبه .

قال : فقمْتُ فمررتُ به كأنِّي أريد الخروجَ من المسجد ، ثم التفتُ إليه ، ٥٢٧/٢ فأقبلت نحوه ثم سلَّمت عليه ، ثم جلستُ إليه ، وأخذت بيده ، فقلتُ له : أين كنت ؟ وأين بلغت بعدى ؟ أيا لطائف كنت ؟ فقال لي : كنتُ بالطائف وغير الطائف ، وعمَّس^(٤) على أمره ، فلتُ إليه ، فناجسيته ، فقلتُ له : مثلك يغيب عن مثلي ما قد اجتمع عليه أهلُ الشرف وبيوتاتِ العرب من قریش والأنصار وثقيف ! لم يبق أهلُ بيت ولا قبيلة إلا وقد جاء زعيمُهم وعُميدُهم فباع هذا الرجل ، فعجباً لك ولرأيك ألا تكون أتيته فبايعته ، وأخذت بحظك من هذا الأمر ! فقال لي : وما رأيته ؟ أتيته العامَ الماضي ، فأشرت عليه بالرأى ، فطوى أمره دوني^(٥) ، وإني لما رأيته استغنى عني أحببت أن أريه أني مستغن عنه ، إنه والله هو أحوجُّ إلى مني إليه ؛ فقلتُ له : إنك كلمته بالذى كلمته وهو ظاهر في المسجد ، وهذا الكلام لا ينبغي أن يكون إلا والمستور دونه مُرخاة والأبواب دونه مُغلقة ، القمه الليلة إن شئت وأنا معك ؛ فقال لي : فإني فاعل

(١) ابن الأثير : « ومسير » .

(٢) ابن الأثير : « قال ابن الزبير : ماله قاتله الله ! » .

(٣) ابن الأثير : « أولهم » .

(٤) عمس عليه الأمر : خلطه ولبسه ولم يبينه .

(٥) ابن الأثير : « فكتم عني خبره » .

إذا صليّنا^(١) العتمة أتيناها ، واتعدنا الحجر .

قال : فنهضتُ من عنده ، فخرجتُ ثم رجعتُ إلى ابن الزبير ، فأخبرته بما كان من قولي وقوله ، فسرّ بذلك ، فلما صليّنا العتمة ، التقيّنا بالحجر ، ثم خرجنا حتى أتينا منزل ابن الزبير ، فاستأذنتنا عليه ، فأذن لنا ، فقلت : أخليكما ؟ فقالا^(٢) جميعاً : لا سِرّ دونك ، فجلستُ ، فإذا ابن الزبير قد أخذ بيده ، فصافحه ورحّب به ، فسأله عن حاله وأهل بيته ، وسكّتنا جميعاً غير طويل .

فقال له المختار وأنا أسمع بعد أن تبدّأ في أوّل منطقته ، فحمّد الله وأثنى عليه ثم قال : إنه لا خير في الإكثار من المنطق ، ولا في التقصير عن الحاجة ، ٥٢٨/٢
إني قد جئتكَ لأبائعكَ على ألا تقضى الأمور دوني ، وعلى أن أكون في أوّل مَنْ تَأْذَن له ، وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك . فقال له ابن الزبير : أبائعكَ على كتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : وشرّ غلّمانى أنت مبياعه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ما لي في هذا الأمر من الخطّ ما ليس لأقصى الخلق منك ؛ لا والله لا أبائعكَ أبداً إلا على هذه الحصال .

قال عبّاس بن سهل : فالتقمتُ أذن ابن الزبير ، فقلت له : اشتر منه دينه حتى ترى من رأيك ؛ فقال له ابن الزبير : فإنّ لك ما سألتّه ، فبسط يده فباعه ، ومكّث معه حتى شاهد الحصار الأوّل حين قدم الحصين بن نمير السكّوني مكة ؛ فقاتل في ذلك اليوم ، فكان من أحسن الناس يومئذ بلاءً ، وأعظمهم غناءً . فلما قُتل المنذر بن الزبير والمسور بن مخرّمة ومصعب بن عبد الرحمن ابن عوف الزهريّ ، نادى المختار : يا أهل الإسلام ، إلىّ إلىّ ! أنا ابن أبي عبيد ابن مسعود ، وأنا ابن الكُرّار لا الفرّار ، أنا ابن المُقدّمين غير المُحجمين^(٣) ؛ إلىّ يا أهل الحفاظ وحُماة الأوتار . فحمي الناس يومئذ ، وأبلى وقاتل قتالاً حسناً .

(١) ف : « صليت » .

(٢) ف : « قالّا » .

(٣) ف : « لا المحجمين » .

ثم أقام مع ابن الزبير في ذلك الحصار حتى كان يوم أحرق البيت، فإنه أحرق يوم السبت لثلاث مضيّن من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ، فقاتل المختار يومئذ في عصابة معه نحو من ثلثائة أحسن قتال قاتله أحد من الناس ، إن كان لسيقاتل حتى يتبلّد ، ثم يجلس ويحيط به أصحابه ، فإذا استراح نهض فقاتل ، فما كان يتوجّه نحو طائفة من أهل الشام إلاّ ضاربهم حتى يكشفهم .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يوسف محمد بن ثابت ، عن عباس بن سهل بن سعد ، قال : تولّى قتال أهل الشام يوم تحريق الكعبة عبد الله بن مطيع وأنا والمختار ، قال : فما كان فينا يومئذ رجل أحسن بلاء من المختار .

قال : وقاتل قبل أن يطالع أهل الشام على موت يزيد بن معاوية بيوم قتالاً شديداً ، وذلك يوم الأحد لخمس عشرة ليلة مضت من ربيع الآخر سنة أربع وستين ، وكان أهل الشام قد رجّوا أن يظفروا بنا ، وأخذوا علينا سيكك مكة .

قال : وخرج ابن الزبير ، فبايعة رجال كثير على الموت ؛ قال : فخرجت في عصابة معي أقاتل في جانب ، والمختار في عصابة أخرى يقاتل في جُمُيعَة من أهل اليمامة في جانب ، وهم خوارج ، وإنما قاتلوا ليدفعوا عن البيت ، فهم في جانب ، وعبد الله بن المطيع في جانب .

قال : فشدّ أهل الشام علىّ ، فحازوني في أصحابي حتى اجتمعت أنا والمختار وأصحابه في مكان واحد ، فلم أكن أصنع شيئاً إلا صنع مثله ، ولا يصنع شيئاً إلا تكلفت أن أصنع مثله ، فما رأيت أشدّ منه قطّ ؛ قال : فإذا لنتال إذ شدت علينا رجال وخيل من خيل أهل الشام ، فاضطروني وإياه في نحو من سبعين رجلاً من أهل الصبر إلى جانب دار من دور أهل مكة ، فقاتلهم المختار يومئذ ، وأخذ يقول رجل لرجل :

* لا وألت نفس امرئ يفر *

قال : فخرج المختار ، وخرجت معه ، فقلت : ليخرج منكم إلى رجل

فخرج إلى رجل وإليه رجل آخر ، فشيت إلى صاحبي فأقتله ، ومشى المختار ٥٣٠/٢ إلى صاحبه فقتله ، ثم صَحْنَا بأصحابنا ، وشدَدْنَا عليهم ، فوالله لضربناهم حتى أخرجناهم من السَّكِّ كُلِّهَا ، ثم رجعنا إلى صاحبيْنَا اللَّذَيْنِ قَتَلْنَا . قال : فإذا الذى قتلْتُ رجلٌ أحمرٌ شديدُ الحمرة كأنه رومى ، وإذا الذى قتل المختار رجل أسودٌ شديدُ السواد ، فقال لى المختار : تعلمُ والله إننى لأظنُّ قَتِيلَيْنَا هَذَيْنِ عَبدَيْنِ ؛ ولو أن هَذَيْنِ قَتَلَاْنَا لَفُجِّعَ بنا عِشَاثُنَا وَمَنْ يَرْجُونَا ، وما هَذَانِ وَكِلَابَانِ مِنَ الْكِلَابِ عِنْدِي إِلَّا سُوءٌ ، ولا أُخْرِجُ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا لِرَجُلٍ أَبَدًا إِلَّا لِرَجُلٍ أَعْرَفَهُ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : وَأَنَا وَاللَّهِ لَا أُخْرِجُ إِلَّا لِرَجُلٍ أَعْرَفَهُ .

وأقام المختار مع ابن الزبير حتى هلك يزيدُ بنُ معاوية ، وانقضى الحصار ، ورجع أهلُ الشَّامِ إلى الشَّامِ ، واصطَلَحَ أهلُ الكوفة على عامر بن مسعود ، بعد ما هلك يزيد يصلى بهم حتى يجتمع الناس على إمام يرضونه ، فلم يلبث عامر إلا شهرًا حتى بعث ببيعتيه وبيعة أهل الكوفة إلى ابن الزبير ، وأقام المختار مع ابن الزبير خمسة أشهر بعد مهلك يزيد وأياما .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، قال : والله إنى لمع عبد الله بن الزبير ومعه عبد الله ابن صفوان بن أمية بن خلف ، ونحن نطوف بالبيت ، إذ نظر ابن الزبير فإذا هو بالمختار ، فقال لابن صفوان : انظر إليه ؛ فوالله ليهو أحدُ رُ من ذئب قد أطافت به السباع ؛ قال : فضى ومضينا معه ، فلما قضينا طوافنا وصلينا الركعتين بعد الطواف لحقنا المختار ، فقال لابن صفوان : ما الذى ذكرنى به ابن الزبير ؟ قال : فكتمته ، وقال : لم يذكرك إلا بخير ؛ قال : بلى ورب ٥٣١/٢ هذه البنية إن كنتُ لمن شأنكما ، أما والله ليخطئن فى أثرى أو لأقدتها عليه سَعْرًا . فأقام معه خمسة أشهر ، فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحدٌ من الكوفة إلا سألَه عن حال الناس وهيتهم .

قال أبو مخنف : فحدثني عطية بن الحارث أبو رَوْق الهمداني ؛ أن هانى ابن أبى حية الوادعى قدم مكة يريد عُمرَةَ رَمَضَانَ ، فسأله المختار عن حاله

وحال الناس بالكوفة وهيتهم ؛ فأخبره عنهم بصلاح واتساق على طاعة ابن الزبير ، إلا أن طائفة من الناس إليهم عدد أهل المصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض إلى يومٍ ما ؛ فقال له المختار : أنا أبو إسحاق أنا والله لهم ! أنا أجمعهم على مَرِّ الحق ، وأننى ^(١) بهم ركبان الباطل ، وأقتل بهم كلَّ جبَّار عنيد ؛ فقال له هاني بن أبي حية : ويحك يا بن أبي عبيد ! إن استطعتَ ألاَّ تُوضِعَ في الضلال ليكن صاحبهم غيرك ، فإنَّ صاحب الفتنة أقربُ شيءٍ أجلاً ، وأسوأُ الناس عملاً ؛ فقال له المختار : إني لا أدعو إلى الفتنة إنما أدعو إلى الهدى والجماعة ، ثم وثب فخرج وركب رَاحلته ، فأقبل نحو الكوفة حتى إذا كان بالقرعاء لقيه سلمة بن مرثد أخو بنت مرثد القابضي من هَمْدان - وكان من أشجع العرب ، وكان ناسكاً - فلما التقيا تصافحا وتساءلا ، فخبَّره المختار ؛ ثم قال لسلمة بن مرثد : حدثني عن الناس بالكوفة ؛ قال : هم كغفمٍ ضلَّ راعيها ؛ فقال المختار بن أبي عبيد : أنا الذي أحسن رعايتها ، وأبلغ نهايتها ؛ فقال له سلمة : اتق الله واعلم أنك ميت ومبعوث ، ومحاسب ومجزى بعملك إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، ثم افترقا . وأقبل المختار حتى انتهى إلى بحر الحيرة يوم الجمعة ، فنزل فاغتسل فيه ، وادَّهَن دُهناً يسيراً ، ولبس ثيابه واعتم ، وتقادَّ سيفه ، ثم ركب راحلته فمرَّ بمسجد السَّكون وحيَّانة كِنْدَةَ ؛ لا يمرَّ بمجلس إلا سلَّم على أهله ، وقال : أبشروا بالنصر والفلج ، أنا كم ما تحبُّون ، وأقبل حتى مرَّ بمسجد بني ذُهل وبني حُجْر ، فلم يجدَ ثمَّ أحداً ، ووجد الناس قد راحوا إلى الجمعة ، فأقبل حتى مرَّ ببني بداء ، فوجد عبيدة بن عمرو البَدَدي من كِنْدَةَ ، فسلم عليه ، ثم قال : أبشر بالنصر واليسر والفلج ، إنك أبا عمرو على رأى حَسَن ، لن يَدَعَ اللهُ لك معه مأثماً إلا غفره ، ولا ذنباً إلا سَتَرَه - قال : وكان عبيدة من أشجع الناس وأشعرهم ، وأشدَّهم حباً لِعلى رضى الله عنه ، وكان لا يصبر عن الشراب - فلما قال له المختار هذا القول قال له عبيدة : بشرك الله بخير

٥٣٢/٢

إنك قد بشرتنا ، فهل أنت مفسرٌ لنا ؟ قال : نعم ، فالقنِي في الرَّحْل الليلةَ
ثم مضى .

قال أبو مخنف : فحدثني فضيل بن خديج ، عن عبيدة بن عمرو
قال : قال لي المختار هذه المقالة ، ثم قال لي : القنِي في الرَّحْل ، وبلغ أهل
مسجدكم هذا عنِّي أنهم قومٌ أخذ الله ميثاقهم على طاعته ، يقتلون المُحِلِّين ،
ويطلبون بدماء أولاد النبيين ، ويهديهم للنور المبين ، ثم مضى فقال لي :
كيف الطريق إلى بني هند ؟ فقلت له : أنظرنِي أدانك ، فدعوتُ بفرسي وقد
أسرج لي فركبته ؛ قال : ومضيت معه إلى بني هند ، فقال : دلتني على
منزل إسماعيل بن كثير . قال : فضيتُ به إلى منزله ، فاستخرجته ، فحيّاه
ورحب به ، وصافحه وبشره ، وقال له : القنِي أنت وأخوك الليلة وأبو عمرو
فإني قد أتيتكم بكل ما تحبون ؛ قال : ثم مضى ومضينا معه حتى مرَّ بمسجد
جُهينة الباطنة ، ثم مضى إلى باب الفيل ، فأناخ راحلته ، ثم دخل المسجد
واستشرف له الناس ، وقالوا : هذا المختار قد قدِم ، فقام المختار إلى جنب سارية
من سوارى المسجد ، فصلَّى عندها حتى أقيمت الصلاة ، فصلَّى مع الناس
ثم ركد إلى سارية أخرى فصلَّى ما بين الجمعة والعصر ، فلما صلى العصر مع
الناس انصرف .

قال أبو مخنف : فحدثني المجالد بن سعيد ، عن عامر الشعبي ، أن المختار
مرَّ على حلقة همدانَ وعليه ثياب السَّقَر ، فقال : أبشروا ، فإني قد قدمت
عليكم بما يسركم ، ومضى حتى نزل داره ، وهى الدار التى تدعى دارَ سلم
ابن المسيب ، وكانت الشيعة تختلف إليها وإليه فيها .

قال أبو مخنف : فحدثني فضيل بن خديج ، عن عبيد بن عمرو ،
ولإسماعيل بن كثير من بني هند ، قالوا : أتينا من الليل كما وعدنا ، فلما دخلنا
عليه وجلسنا ساء لَنَا عن أمر الناس وعن حال الشيعة ، فقلنا له : إن الشيعة
قد اجتمعت لسليمان بن صرد الخزاعي ، وإنه لن يلبث إلا يسيراً حتى يخرج ؛
قال : فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

أما بعد ، فإن المهديّ ابن الوصيّ ، محمد بن عليّ ، بعثني إليكم أميناً ووزيراً
ومنتخباً وأميراً ، وأمرني بقتال الملحدين ، والطلب بدماء أهل بيته والدفع
عن الضعفاء .

قال أبو مخنف : قال فضيل بن خديج : فحدثني عبدة بن عمرو
وإسماعيل بن كثير ، أنهما كانا أول خلق الله إجابةً وضرباً على يده ، وبايعاه .
قال : وأقبل المختار يبعث إلى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان بن صرد ، فيقول
لهم : إني قد جئتكم من قبل وليّ الأمر ، ومعدن الفضل ، ووصيّ الوصيّ
والإمام المهديّ ، بأمر فيه الشفاء ، وكشف الغطاء ، وقتل الأعداء ، وتمام
النعماء ؛ إن سليمان بن صرد يرحمنا الله وإياه إنما هو عَشَمَةٌ من العَشَمِ (١)
وحفش بال ، ليس بذى تجربة للأمر ، ولا له علم بالحروب ؛ إنما يريد
أن يُخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم . إني إنما أعمل على مثال قد مُثِّل لي ، وأمر
قد بُيِّن لي ، فيه عزّ وليّكم ، وقتل عدوكم ، وشفاء صدوركم ، فاسمعوا مني
قولي ، وأطيعوا أمري ، ثم أبشروا وتباشروا ؛ فإنني لكم بكل ما تأملون خير زعيم .
قال : فوالله ما زال بهذا القول ونحوه حتى استمال طائفة من الشيعة ، وكانوا
٥٣٥/٢ يختلفون إليه ويعظمونه ، وينظرون أمره ، وعظم (٢) الشيعة يومئذ ورؤساؤهم
مع سليمان بن صرد ، وهو شيخ الشيعة وأسنتهم ، فليس يعدّ لون به أحداً ؛
إلا أن المختار قد استمال منهم طائفة ليسوا بالكثير ، فسليمان بن صرد أثقل
خلق الله على المختار ، وقد اجتمع لابن صرد يومئذ أمره ، وهو يريد الخروج
والمختار لا يريد أن يتحرك ، ولا أن يهتج أمراً حتّى (٣) ينظر إلى ما يصير إليه
أمر سليمان ، رجاء أن يستجمع له أمر الشيعة ، فيكون أقوى له على درك
ما يطلب (٤) ، فلما خرج سليمان بن صرد ومضى نحو الجزيرة قال عمر بن
سعد بن أبي وقاص وشبّث بن ربعيّ ويزيد (٥) بن الحارث بن رُوَيْم لعبد الله
ابن يزيد الخطمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبدة بن عبيد الله : إن المختار أشدّ

(١) رجل عشة : يابس من الهزال . (٢) ابن الأثير : « وعظماء » .

(٣) كذا في س ، وفي ط : « رجاء أن » . (٤) ف : « ما يريد » .

(٥) ابن الأثير : « وزيد » .

عليكم من سليمان بن صرد، إن سليمان إنما خرج يقاتل عدوكم، ويدلهم لكم، وقد خرج عن بلادكم؛ وإن المختار إنما يريد أن يثب عليكم في مصركم، فسيروا إليه فأوثقوه في الحديد، وخلّدوه^(١) في السجن حتى يستقيم أمر الناس، فخرجوا إليه في الناس، فما شعر بشيء حتى أحاطوا به وبداروه فاستخرجوه، فلما رأى جماعتهم قال: ما بالكم! فوالله بعد ما ظفرت أكفكم! قال: فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله لعبد الله بن يزيد: شدّه كتافاً، ومشّه حافياً؛ فقال له عبد الله بن يزيد: سبحان الله! ما كنت لأمشيه ولا لأحفيه^(٢) ٥٣٦/٢ ولا كنت لأفعل هذا برجل لم يظهر لنا عداوة ولا حرباً، وإنما أخذناه على الظن. فقال له إبراهيم بن محمد: ليس بعشك فادرجي^(٣)، ما أنت وما يبلغنا عنك يابن أبي عبيد! فقال له: ما الذي بلغك عني إلا باطل، وأعوذ بالله من غش كغش أبيك وجدك!

قال: قال فضيل: فوالله إنى لأنظرُ إليه حين أخرج وأسمع هذا القول حين قال له، غير أنى لا أدرى أسمع منه إبراهيم أم لم يسمعه؛ فسكت حين تكلم به، قال: وأتى المختار ببغلة دهماء يركبها، فقال إبراهيم لعبد الله بن يزيد: ألا تشدّ عليه القيود؟ فقال: كفى له بالسجن قيداً.

قال أبو مخنف: وأما يحيى بن أبي عيسى فحدثني أنه قال: دخلت إليه مع حميد بن مسلم الأزدي نزوره وبتعاهده، فرأيت مقيداً؛ قال: فسمعتُه يقول: أما وربّ البحار، والنخيل والأشجار، والمهامي والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الأخيار، لأقتلن كلّ جبار، بكلّ لدن خطار، ومهند بتار، في جموع^(٤) من الأنصار، ليسوا بميل^(٥) أغمار^(٦)، ولا بعزل أشرار، حتى إذا أقمت عمود الدين، ورأيت شعب صدع المسلمين، وشفيت

(١) ف: «وخلّفوه»، ابن الأثير: «واسجنوه».

(٢) ف: «أمشيه حافياً».

(٣) ابن الأثير: «هذا يغشك فادرجي».

(٤) ف: «وجموع»، ابن الأثير: «بجموع».

(٥) ميل: جمع أميل؛ وهو الذي لا رمح معه.

(٦) الأغمار: جمع غمر، بضم فسكون؛ وهو الذي لا تجربة له بالأمور.

غليلَ صدور المؤمنين ، وأدركتُ بثأر النبيِّين ، ولم يكبرُ على زوال الدنيا
ولم أحفل بالموت إذا أتى .

٥٣٧/٢ قال : فكان إذا أتيناؤه وهو في السجن ردّد علينا هذا القول حتى خرج
منه ؛ قال : وكان يتشجّع لأصحابه بعد ما خرج ابن صُرَد .

* * *

[ذكر الخبر عن هدم ابن الزبير الكعبة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة ، وكانت قد مال
حيطانُها مما رُميت به من حجارة الحِجَانيق ، فذكر محمد بن عمر الواقدي أنَّ
إبراهيم بن موسى حدثه عن عكرمة بن خالد ، قال : هدم ابن الزبير البيتَ حتى
سوّاه بالأرض ، وحفر أساسه ، وأدخل الحِجَر فيه ، وكان الناس يطوفون من
وراء الأساس ، ويصلُّون إلى موضعه ، وجعل الركن الأسود عنده في تابوت
في سَرَقَةٍ^(١) من حرير ، وجعل ما كان من حُلِّي البيت وما وجد فيه من ثياب
أو طيب عند الحِجَبَةِ في خِزانة البيت ، حتى أعادها لمّا أعاد بناءه .

قال محمد بن عمر : وحدّثني معقل بن عبد الله ، عن عطاء ، قال : رأيت
ابنَ الزبير هدم البيت كله حتى وضعه بالأرض .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير .
وكان عامله على المدينة^(٢) فيها أخوه عبيدة بن الزبير ، وعلى الكوفة عبد الله
ابن يزيد الخطمي ، وعلى قضائها سعيد^(٣) بن نِمران .
وأبسى شُرَيْح أن يقضى فيها ، وقال فيما ذكر عنه : أنا لا أقضى في الفتنة .
وعلى البصرة عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر التيمي ، وعلى قضائها هشامُ بن هُبيرة ،
وعلى خراسان عبد الله ابن خازم .

(١) السرق : شقائق الحرير ، واحده سرقة . (٢) ط : « مدينة » .

(٣) ط : « سعد » وانظر الفهرس .

ثم دخلت سنة خمس وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما كان من أمر التوآيين وشيوخهم للطلب بدم الحسين بن علي إلى عبيد الله بن زياد .

قال هشام : قال أبو مخنف : حدثني أبو يوسف ، عن عبد الله بن عوف الأحمرى ، قال : بعث سليمان بن صُرد إلى وجوه أصحابه حين أراد الشخوص وذلك في سنة خمس وستين ، فأتوه ، فلما استهلّ الهلال هلال شهر ربيع الآخر ، خرج في وجوه أصحابه ، وقد كان واعد أصحابه عامّة للخروج في تلك الليلة للمعسكر بالثخيلة فخرج حتى أتى عسكره ، فدار في الناس ووجوه أصحابه ، فلم يعجبه عدّة الناس ، فبعث حكيم بن مُنقذ الكندي في خيل ، وبعث الوليد بن غُصَيْن الكِنَافِي في خيل ، وقال : اذهبا حتى تدخلوا الكوفة فناديا : يا لثارات الحسين ! وابلغا المسجد الأعظم فناديا بذلك ، فخرجا ، وكانا أوّل خلق الله دَعَوَا : يا لثارات الحسين ! قال : فأقبل ^(١) حكيم بن منقذ الكندي في خيل ^(٢) والوليد بن غُصَيْن في خيل ، حتى مرّا ببني كثير ، وإن رجلاً من بني كثير من الأزد يقال له عبد الله بن خازم مع امرأته سهيلة بنت سبرة بن عمرو من بني كثير ، وكانت من أجمل الناس وأحبهم إليه ، سمع الصوت : يا لثارات الحسين ! وما هو ممن كان يأتيهم ، ^{٥٣٩/٢} ولا استجاب لهم . فوثب إلى ثيابه فلبسها ، ودعا بسلاحه ، وأمر بإسراج فرسه ، فقالت له امرأته : ويحك ! أجننت ! قال : لا والله ، ولكنني سمعت داعي الله ، فأنا مجيبه ، أنا طالب بدم هذا الرجل حتى ^(٣) أموت ، أو يقضى الله من أمري ما هو أحبّ إليّ ، فقالت له : إلى من تدعُ بنسيك هذا ؟ قال : إلى الله وحده لا شريك له ؛ اللهم إني أستودِعُك أهلي ووالدي ،

(١) ف : «أقبل» .

(٢) ف : « الخيل » .

(٣) ف : « أو » .

اللهم احفظني فيهم ؛ وكان ابنه ذلك يُدعى عَزْرَة ، فبقي حتى قتل بعدُ مع مصعب بن الزبير ؛ وخرج حتى لحق بهم ، فقعدت^(١) امرأته تبكيه واجتمع إليها نساؤها ، ومضى مع القوم ، وطافت تلك الليلة الخيل بالكوفة ، حتى جاءوا المسجد بعد العتمة ، وفيه ناس كثير يصلُّون ، فنادوا : يا ثارات الحسين ! وفيهم أبو عَزْرَة القابضي^(٢) وكرب بن نمِران يصلِّي ، فقال : يا ثارات الحسين ! أين جماعة القوم ؟ قيل : بالنَّخيلة ، فخرج حتى أتى أهله ، فأخذ سلاحه ، ودعا بفرسه ليركبه ، فجاءته ابنته الرُّواح - وكانت تحت ثُبَيْت بن مرثد القابضي . فقالت : يا أبت ، مالى أراك قد تقلدت سيفك ، وليست سلاحك ! فقال لها : يا بنية ، إن أباك يفرّ من ذنبه إلى ربه ، فأخذت تَمْتَحِب وتبكي ، وجاءه أصهاره وبنو عمه ، فودّعهم ؛ ثم خرج^(٣) فلحق بالقوم ؛ قال : فلم يصبح سليمان بن صرَد حتى أتاه نحو ممّن^(٤) كان في عسكره حين دخله ؛ قال : ثم دعا بديوانه لينظر فيه إلى عدّة من بايعه^(٥) حين أصبح ، فوجدهم ستة عشر ألفاً ، فقال : سبحان الله ! ما وإفانا إلا أربعة آلاف من ستة عشر ألفاً .

قال أبو مخنف : عن عطية بن الحارث ، عن حميد بن مسلم ، قال : قلت لسليمان بن صرَد : إن المختار والله يثبّط الناس عنك ، إني كنت عنده أوّل ثلاث ، فسمعتُ نفرًا من أصحابه يقولون : قد كملنا ألفي^(٦) رجل ؛ فقال : وهب أن ذلك كان ؛ فأقام عنّا عشرة آلاف ، أمّا هؤلاء بمؤمنين ! أمّا يخافون الله ! أمّا يذكرون الله ، وما أعطونا من أنفسهم من العهود والمواثيق ليُجاهدُنَّ وليُتصرَّنَّ ! فأقام بالنَّخيلة ثلاثاً يبعث ثِقَاتَه من أصحابه إلى ممّن تخلف عنه يذكّرهم الله وما أعطوه من أنفسهم ، فخرج إليه نحو من ألف رجل ، فقام المسيّب بن نجبة إلى سليمان بن صرَد ، فقال : رحماك

(٢) ف : « القاضى » .

(٤) ابن الأثير : « بما » .

(٦) ف : « ألفين » .

(١) ف : « وقعدت » .

(٣) ف : « وخرج » .

(٥) ابن الأثير : « تابعه » .

الله ، إنه لا ينفعك الكاره ، ولا يقاتل معك إلا مَنْ أخرجتهُ النية ، فلا ننتظر^(١) أحداً ، واكش^(٢) في أمرك . قال : فإنك والله لنعمًا رأيت ! فقام سليمان بن صُرد في الناس متوكئًا على قوس له عربية . فقال : أيها الناس ، مَنْ كان إنما أخرجته إرادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، فرحمة الله عليه حيًا وميتًا ، ومَنْ كان إنما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما نأى فيئًا نستفيئه ، ولا غنيمة نغنمها ، ما خلا رضوان الله رب العالمين ، وما معنا من ذهب ولا فضة ، ولا خبز ولا حرير^(٣) ، وما هي إلا سيوفنا في عواتقنا ، ورماحنا في أكفنا ، وزاد قدر البُلغة إلى لقاء عدونا ، فمن كان غير هذا ينوى فلا يصحبنا .

فقام صُخَيْر بن حذيفة بن هلال بن مالك المُزَنِّي ، فقال : آتاك الله رشدك ، ولقأك حُجَّتكَ ؛ والله الذي لا إله غيره ما لنا خير في صحبة مَنْ الدنيا ٥٤١/٢ همتُه^(٤) ونيتُه . أيها الناس ، إنما أخرجتنا التوبة من ذنبنا ، والطلب بدم من نبينا ، صلى الله عليه وسلم ليس معنا دينار ولا درهم ، إنما نقدّم على حدّ السيوف وأطراف الرماح ؛ فتنادى الناس من كل جانب : إنّا لا نطلب الدنيا ، وليس لها خرجنا .

قال أبو مخنف : عن إسماعيل بن يزيد الأزدي ، عن السري بن كعب الأزدي ، قال : أتينا صاحبنا عبد الله بن سعد بن نفيّل نودّعه ، قال : فقام فقمنا معه ، فدخل على سليمان ودخلنا معه ، وقد أجمع سليمان بالمسير ، فأشار عليه عبد الله بن سعد بن نُفَيْل أن يسير إلى عبيد الله بن زياد ، فقال هو ورعوس أصحابه : الرأى ما أشار به عبد الله بن سعد بن نُفَيْل أن نسير إلى عبيد الله بن زياد قاتل صاحبنا ، ومن قبلكه أتينا ، فقال له عبد الله بن سعد وعنده رعوس أصحابه جلوس حوله : إنّي قد رأيت رأيًا إن يكن صوابًا فالله

(١) ابن الأثير : « فلا تنتظر » .

(٢) كش الرجل في أمره : مضى وأسرع وفي ابن الأثير : « جد » .

(٣) ابن الأثير : « ولا متاع » . (٤) ابن الأثير : « همه » .

وفَّق ، وإن يكن ليس بصواب^(١) فَمِنْ قِبَلِي ، فإني ما آلوكم ونفسي نصحاء ؛
خطأ كان أم صواباً ، إنما خرجنا نطلب بدم الحسين ، وقتلة الحسين كلهم
بالكوفة ، منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ، ورؤوس الأرباع وأشراف
القبائل ، فأتى نذهب هاهنا وندع الأقتال والأوتار! فقال سليمان بن صُرد :

فاذا ترون ؟ فقالوا : والله لقد جاء برأى ، وإن ما ذكر لكما ذكر ، والله ما

نلقى من قتلة الحسين إن نحن مضينا نحو الشام غير ابن زياد^(٢) ، وما

طلبنا إلا هاهنا بالمصّر ؛ فقال سليمان بن صُرد : لكن أنا ما أرى ذلك

لكم ، إن الذى قتل صاحبكم ، وعبياً الجنود إليه ، وقال : لا أمان له عندي

دون أن يستسلم فأمضى فيه حكمى هذا الفاسق ابن الفاسق ابن مَرَّجانة ،

عبيد الله بن زياد ؛ فسيروا إلى عدوكم على اسم الله^(٣) ؛ فإن يظهركم الله عليه

رجونا أن يكون من بعده أهون شوكته منه ، ورجونا أن يدين لكم من وراءكم

من أهل مصركم فى عافية ، فتنتظرون^(٤) إلى كل من شرك فى دم الحسين

فقتلونه ولا تغشموا^(٥) ، وإن^(٦) تستشهدوا فلنما قاتلتم المحلّين ، وما عند الله

خيرٌ لِلْأَبْرَارِ وَالصَّادِقِينَ ؛ إني لأحب أن تجعلوا حدّكم^(٧) وشوكتكم بأول

المحلّين القاسطين . والله لو قاتلتم غداً أهل مصركم ما عدتم رجلٌ أن يرى رجلاً

قد قتل أخاه وأباه وحميمه ، أو رجلاً لم يكن يريد قتله ؛ فاستخبروا الله

وسيروا . فتهيأ الناس للشخص . قال : وبلغ عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن

محمد بن طلحة خروج ابن صُرد وأصحابه ، فنظروا فى أمرهما ، فرأيا أن يأتيهما

فيعرضاً عليهما الإقامة ، وأن تكون أيديهم واحدة ، فإن أبوا إلا الشخص

سألوهم التّظيرة حتى يعبّوا معهم جيشاً فيقاتلوا عدوهم بكشفٍ واحد ؛ فبعث

عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة سويد بن عبد الرحمن إلى سليمان

ابن صُرد ، فقال له : إن عبد الله وإبراهيم يقولان : إننا نريد أن نجيثك

(١) ابن الأثير : « صواباً » .

(٢) ابن الأثير : « بركة الله » .

(٣) ابن الأثير : « ولا يفشوا » .

(٤) ابن الأثير : « جدكم » .

(٥) ف : « إلا ابن زياد » .

(٦) ابن الأثير : « فينتظرون » .

(٧) ابن الأثير : « فإن » .

الآن لأمر عسى الله أن يجعل لنا ولك فيه صلاحاً ؛ فقال : قل لهما فليأتيانا ، وقال سليمان لرفاعة بن شداد البجليّ : قم أنت فأحسن تعبئة الناس ؛ فإن هذين الرجلين قد بعثا بكيت وكيت ، فدعاهم وأوصاهم فجلسوا حوله فلم يمكنوا إلا ساعة حتى جاء عبد الله بن يزيد في أشرف أهل الكوفة والشرط وكثير من مقاتلة ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة في جماعة من أصحابه ، فقال عبد الله بن يزيد لكل رجل معروف قد علم أنه قد شَرَك في دم الحسين : لا تصحبني إليهم مخافة أن ينظروا إليهم فيعدوا عليه ؛ وكان عمر بن سعد تلك الأيام التي كان سليمان معسكراً فيها بالنخيلة لا يبيت إلا في قصر الإمارة مع عبد الله بن يزيد مخافة أن يأتيه القوم في داره ، ويدمروا عليه في بيته وهو فاعل لا يعلم فيقتل . وقال عبد الله بن يزيد : ياعمرو بن حريث ، إن أنا أبطأت عنك فصل بالناس الظهر .

فلما انتهى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد إلى سليمان بن صرد دخلا عليه ، فحمد الله عبد الله بن يزيد وأثنى عليه ثم قال : إن المسلم أخو المسلم لا يخنه ، ولا يغشه ، وأنتم إخواننا ، وأهل بلدنا ، وأحب أهل مصر خلقه الله إلينا ، فلا تفجعونا بأنفسكم ، ولا تستبذوا علينا برأيكم ، ولا تنقصوا عدونا بخروجكم من جماعتنا ؛ أقيموا معنا حتى ننتصر وننتهي ، فإذا علمنا أن عدونا قد شارف بلدنا خرجنا إليهم بجماعتنا فقاتلناهم . وتكلم إبراهيم بن محمد بنحو من هذا الكلام . قال : فحمد الله سليمان بن صرد وأثنى عليه ثم قال لهما : إنني قد علمت أنكما قد تحضما في النصيحة ، واجتهدتما في المشورة ، فنحن بالله وله ، وقد خرجنا لأمر ، ونحن نسأل الله العزيمة على الرشد والتسديد لأصوبه ، ولا نرانا إلا شاخصين ^(١) إن شاء الله ذلك . فقال عبد الله بن يزيد : فأقيموا حتى نعبئ معكم جيشاً كثيفاً ، فتلقوا عدوكم بكثف وجمع واحد . فقال سليمان : تنصرفون ، ونرى فيما بيننا ، وسيأتيكم إن شاء الله رأي .

(١) ابن الأثير : « سائر » .

قال أبو مخنف: عن عبد الجبار - يعني ابن عباس الهمداني - عن عَوْن ابن أبي جُحَيْفَةَ السَّوَّائِي، قال: ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ عَرَّضَا عَلَى سُلَيْمَانَ أَنْ يَقِيمَ مَعَهُمَا حَتَّى يَلْقُوا جَمُوعَ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى أَنْ يَخْصَّاهُ وَأَصْحَابَهُ بِخَرَجِ جُؤَيْحَى خَاصَّةً لَهُمْ دُونَ النَّاسِ ، فَقَالَ لَهُمَا سُلَيْمَانُ : إِنَّا لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَرَجُنَا ؛ وَإِنَّمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ لِمَا قَدْ كَانَ بَلْغُهُمَا مِنْ إِقْبَالِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ نَحْوِ الْعِرَاقِ . وَانْصَرَفَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَأَجْمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الشَّخْصِ وَاسْتَقْبَالَ ابْنَ زِيَادٍ ، وَنَظَرُوا فَلِذَا شِيعَتُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَمْ يُوَافِقُوهُمْ لِمِيعَادِهِمْ وَلَا أَهْلَ الْمَدَائِنِ ، فَأَقْبَلَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَلْزَمُونَهُمْ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : لَا تَلْزَمُوهُمْ فَإِنِّي لَا أَرَاهُمْ إِلَّا سَيُسْرِعُونَ ٥٥٠/٢ إِلَيْكُمْ ، لَوْ قَدْ انْتَهَى إِلَيْهِمْ خَبْرُكُمْ وَحِينَ مُسِيرِكُمْ ، وَلَا أَرَاهُمْ خَلَقَهُمْ وَلَا أَقْعَدَهُمْ إِلَّا قَلَّةٌ الْفَقَّةُ وَسُوءُ الْعُدَّةِ ، فَأَقِيمُوا لِيَتَيَسَّرُوا وَيَتَجَهَّزُوا وَيَلْحَقُوا بِكُمْ وَبِهِمْ قُوَّةٌ ، وَمَا أَسْرَعَ الْقَوْمَ فِي آثَارِكُمْ . قَالَ: ثُمَّ إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ صُرْدٍ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا ، فَحَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

أَمَا بَعْدَ أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلِمَ مَا تَنْوُونَ ، وَمَا خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ ، وَإِنَّ لِلدُّنْيَا تَجَارًا ، وَلِلْآخِرَةِ تَجَارًا ، فَأَمَّا تَاجِرُ الْآخِرَةِ فَسَاعِدٌ إِلَيْهَا ، مَتَنَصَّبٌ بَتَّطْلَابِهَا ، لَا يَشْتَرِي بِهَا ثَمَنًا ، لَا يُرَى إِلَّا قَائِمًا وَقَاعِدًا ، وَرَاكِعًا وَسَاجِدًا ، لَا يَطْلُبُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً ، وَلَا دُنْيَا وَلَا لَذَّةً ، وَأَمَّا تَاجِرُ الدُّنْيَا فَكَبُورٌ عَلَيْهَا ، رَاتِعٌ فِيهَا ، لَا يَبْتَغِي بِهَا بَدَلًا ؛ فَعَلَيْكُمْ بِرَحْمَتِ اللَّهِ فِي وَجْهِكُمْ هَذَا بَطُولُ الصَّلَاةِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَبَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ بِكُلِّ خَيْرٍ قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ ، حَتَّى تَلْقَوْا هَذَا الْعَدُوَّ وَالْمُسْحِلَ الْقَاسِطَ فَتَجَاهِدُوهُ ، فَإِنَّ تَتَوَسَّلُوا إِلَى رَبِّكُمْ بِشَيْءٍ هُوَ أَعْظَمُ عِنْدَهُ ثَوَابًا مِنَ الْجِهَادِ وَالصَّلَاةِ ؛ فَإِنَّ الْجِهَادَ سَتَامُ الْعَمَلِ . جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْعِبَادِ الصَّالِحِينَ ، الْمُجَاهِدِينَ الصَّابِرِينَ عَلَى السَّالَاءِ ! وَإِنَّا مُدْلِجُونَ اللَّيْلَةَ مِنْ مَنَزِلِنَا هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَادْبَحُوا .

فَادْبَحَ عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ لِحَمْسٍ مَضِيِّينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ لِلْهَجْرَةِ .

قال: فلما خرج سليمان وأصحابه من النخيلة دعا سليمان بن صُردَ حكيم ابن منقذ فنادى في الناس: «ألا لا يبيتَنَّ رجل منكم دون دَيْرِ الأعور» (١). فبات الناس بدير الأعور، وتخلّف عنه ناسٌ كثير، ثم سار حتى نزل الأقسام؛ أقسام مالك على شاطئ الفرات، فعرض الناس، فسقط منهم نحو من ألف رجل، فقال ابن صُرد: «ما أحبّ أن من تخلّف عنكم معكم، ولو خرجوا معكم» (٢). ما زادوكم إلا خبالاً؛ إن الله عزّ وجلّ كره انبعاثهم فثبّطهم، وخصّصكم بفضل ذلك، فاحمدوا ربكم. ثم خرج من منزله ذلك دُجّةً، فصبّحوا قبر الحسين، فأقاموا به ليلةً ويوماً يصلّون عليه، ويستغفرون له؛ قال: فلما انتهى الناس إلى قبر الحسين صاحوا صيحةً واحدةً، وبكوا؛ فما رُئِيَ يومٌ كان أكثرَ باكياً منه.

قال أبو مخنف: وقد حدّث عبد الرحمن بن جندب، عن عبد الرحمن ابن غزّية، قال: لما انتهينا إلى قبر الحسين عليه السلام بكى الناس بأجمعهم، وسمعتُ جُلّ الناس يتمنّون أنهم كانوا أصيبوا معه؛ فقال سليمان: اللهم ارحم حسيناً الشهيد، ابن الشهيد، المهديّ ابن المهديّ، الصديق ابن الصديق، اللهم إنا نُشهدك أنا على دينهم وسبيلهم، وأعداء قاتليهم (٣)، وأولياء محبّتهم. ثم انصرف ونزل، ونزل أصحابه.

قال أبو مخنف: حدّثنا الأعمش، قال: حدّثنا سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، قال: لما انتهى سليمان بن صُرد وأصحابه إلى قبر الحسين نادوا صيحةً واحدةً: يا رب إنا قد خدّنا ابن بنت نبينا، فاغفر لنا ما مضى منا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين، وإنا نُشهدك يا رب أنا على مثل ما قُتلوا عليه، فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين؛ قال: فأقاموا عنده يوماً وليلة يصلّون عليه ويبكون ويتضرعون؛ فما انفكّ الناس من يومهم ذلك يترحمون عليه وعلى

(١) ابن الأثير: «دار الأهواز».

(٢) ابن الأثير: «قاتلهم».

(٣) ابن الأثير: «فيكم».

أصحابه ، حتى صلّوا الغداة من الغد عند قبره ، وزادهم ذلك حسنة . ثم ركبوا ، فأمر سليمانُ الناسَ بالمسير ، فجعل الرجل لا يمضي حتى يأتي قبر الحسين فيقوم عليه ، فيترحم عليه ، ويستغفر له ، قال : فوالله لرأيتهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود .

قال : ووقف سليمان عند قبره ، فكلّمنا دعا له قوم وترحموا عليه قال لهم المسيّب بن نجبة وسليمان بن صرد : الحقوا ياخوانكم رحمكم الله ! فما زال كذلك حتى بقي نحو من ثلاثين من أصحابه ، فأحاط سليمان بالقبر هو وأصحابه ، فقال سليمان : الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين ، اللهم إذ حرمتناها معه فلا تحرمناها فيه بعده .

وقال عبد الله بن وال : أما والله إني لأظنّ حسيناً وأباه وأخاه أفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وسيلةً عند الله يوم القيامة ، أفما عجبتم لما ابتليت به هذه الأمة منهم ! إنهم قتلوا اثنين ، وأشفوا بالثالث على القتل ؛ قال : يقول المسيّب بن نجبة : فأنا من قتلتهم ومن كان على رأيهم برىء ، إياهم أعادى وأقاتل . قال : فأحسن الرعوس كلّهم المنطق ، وكان المشي بن مخربة صاحب أحد الرعوس والأشراف ، فسأني حيث لم أسمعهم تكلم مع القوم بنحو ما تكلموا به ؛ قال : فوالله ما لبث أن تكلم بكلمات ما كنّ بدون كلام أحد من القوم ، فقال : إن الله جعل هؤلاء الذين ذكّرتهم بمكانهم من نبيّهم صلى الله عليه وسلم أفضل ممن هو دون نبيّهم ، وقد قتلهم قوم نحن لهم أعداء ، ومنهم براء ، وقد خرجنا من الديار والأهلين والأموال إرادة استئصال من قتلهم ؛ فوالله لو أنّ القتال فيهم بمغرب الشمس أو بمنقطع التراب يحقّ علينا طلبه حتى نناله ، فإنّ ذلك هو الغنم ، وهي الشهادة ^(١) التي ثوابها الجنة ، فقلنا له : صدقت وأصبت ووفقت .

قال : ثم إنّ سليمان بن صرد سار من موضع قبر الحسين وسرنا معه ، فأخذنا على الحصاصة ، ثم على الأنبار ، ثم على الصدود ، ثم على القيّارة . قال أبو مخنف : عن الحارث بن حصيرة وغيره : إنّ سليمان بعث على

مقدمته كُريِّبَ بن يزيد الحميري .

قال أبو مخنف : حدثني الحصين بن يزيد ، عن السري بن كعب ، قال : خرجنا مع رجال الحى نشيّعهم ، فلما انتهينا إلى قبر الحسين وانصرف سليمان بن صُرد وأصحابه عن القبر ، ولزموا الطريق ، استقدمهم عبد الله ابن عوف بن الأحمر على فرس له مهلوب كُمِيتٌ مربوع ، يتأكل تأكلاً^(١) ، وهو يرتجز ويقول :

خرجنَ يَلْمَعَنَ بنا أَرْسالا عوايساً يَحْمِلُنَا أَبْطالاً
نُرِيدُ أَنْ نَلْقَى به الْأَقْتالاً الْقَاسِطِينَ الْغُدْرَ الضُّلَّالاً
وقد رَفَضْنَا الْأَهْلَ وَالْأَمْوَالَ وَالْخَفَرَاتِ الْبَيْضَ وَالْحِجَالَ
* نُرْضَى به ذا النِّعَمِ الْمِفْضَالاً *

قال أبو مخنف : عن سعد بن مجاهد الطائي ، عن المُحَلِّ بن خليفة الطائي ، أن عبد الله بن يزيد كتب إلى سليمان بن صُرد ، أحسبه قال : بعثني ٥٤٩/٢ به ، فلحقته بالقيارة ، واستقدم أصحابه حتى ظن أن قد سبقهم ؛ قال : فوقف وأشار إلى الناس ، فوقفوا عليه ، ثم أقرأهم^(٢) كتابه ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله بن يزيد إلى سليمان بن صُرد ومن معه من المسلمين . سلامٌ عليكم ، أما بعد فإن كتابي هذا إليكم كتابٌ ناصح ذى إرعاء ، وكم من ناصح مستغشش ، وكم من غاش مستنصح مُحَبَّب ، إنه بلغني أنكم تريدون المسير بالعدَد اليسير إلى الجمع الكثير ، وإنه من يرد أن ينقل الجبال عن مراتبها تكل معاوله ، وينزع وهو مذموم العقل والفعل . يا قومنا لا تُطعموا^(٣) عدوكم فى أهل بلادكم ، فإنكم خيارٌ كلكم ، ومتى ما يُصيبكم عدوكم يعلموا أنكم أعلامُ مصركم ، فيُطعمهم ذلك فيمن وراءكم

(١) فرس مهلوب : مستأصل شعر الذنب . والكفة في الخيل : لون بين السواد والحمرة . والمرابع من الخيل : المجتمعة الخلق . والمتأكل : الهائج .

(٢) ف : « وأقرأهم » .

(٣) ف وابن الأثير : « لا تطعموا » .

يا قومنا، ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلَحُوا إِذَا أُنْذِرَ ﴾^(١) ، يا قوم ، إن أيدينا وأيديكم اليوم واحدة ، وإن عدونا وعدوكم واحد ، ومتى تجتمع كلمتنا نَظْهَرُ على عدونا ، ومتى تختلف تهن شوكتنا على من خالفنا ؛ يا قومنا لا تستغشوا نصحي ، ولا تخالفوا أمري ، وأقبلوا حين يُقرأ عليكم كتابي ، أقبل الله بكم إلى طاعته ، وأدبر بكم عن معصيته ، والسلام .

قال : فلما قرئ الكتاب على ابن صرد وأصحابه قايل للناس : ماترون ؟ قالوا : ماذا ترى ؟ قد أبينا هذا عليكم وعليهم ، ونحن في مصرنا وأهلنا ، ٥٥٠/٢ فالآن خرجنا ووطننا^(٢) أنفسنا على الجهاد ، ودنونا من أرض عدونا ! ما هذا برأى . ثم نادوه أن أخبرنا برأيك ، قال : رأيي والله أنكم لم تكونوا قط أقرب من إحدى الحسنيين منكم يومكم هذا ؛ الشهادة والفتح ، ولا أرى أن تنصرفوا عما جمعتكم الله عليه من الحق ، وأردتم به من الفضل ؛ إنا وهؤلاء مختلفون ؛ إن هؤلاء لو ظهروا دعونا إلى الجهاد مع ابن الزبير ، ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالا ، وإنا إن نحن ظهروا ردنا هذا الأمر إلى أهله ، وإن أصبنا فعلى نيأتنا ، تائبين من ذنوبنا ، إن لنا شكلا ، وإن لابن الزبير شكلا ؛ إنا وإياهم كما قال أخو بني كنانة :

أرى لك شكلا غير شكلي فأقصر عني اللوم إذ بدلت واختاف الشكل

قال : فانصرف الناس معه حتى نزل هيت ، فكتب سليمان :

بسم الله الرحمن الرحيم . للأمير عبد الله بن يزيد ، من سليمان بن صرد ومن معه من المؤمنين ، سلام عليك ، أما بعد ، فقد قرأنا كتابك ، وفهمنا ما نويت ، فنعم والله الوالي ، ونعم الأمير ، ونعم أخو العشرة ، أنت والله من تأمنه بالغيب ، ونستنصحه في المشورة ، ونحمده على كل حال ؛ إنا سمعنا الله عز وجل يقول في كتابه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ - إلى قوله : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) . إن القوم قد استبشروا ببيعتهم

(١) سورة الكهف : ٢٠ . (٢) ابن الأثير : « ووطننا » .

(٣) سورة التوبة : ١١١ ، ١١٢ .

التي بايعوا، إنهم قد تابوا من عظيم جرهمهم ، وقد توجهوا إلى الله ، وتوكلوا عليه ٥٥١/٢ .
ورضوا بما قضى الله ، ﴿ رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) ،
والسلام عليك .

فلما أتاه هذا الكتاب قال : استمات القوم ، أول خبر يأتيكم عنهم
قتلهم ، وإيم الله ليُقتلن كراماً مسلمين ، ولا والذي هو ربهم لا يقتلهم عدوهم
حتى تشتد شوكتهم ، وتكثر القتل فيما بينهم .

قال أبو مخنف : فحدثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن
الأحمر ، وعبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الرحمن بن غزوة ، قال : خرجنا
من هيت حتى انتهينا إلى قرقيسيا ، فلما دنونا منها وقف سليمان بن صرد فعبأنا
تعبية حسنة حتى مرنا بجانب قرقيسيا ، فنزلنا قريباً منها ، وبها زُفر بن
الحارث الكلابي قد تحصن بها من القوم ، ولم يخرج إليهم ، فبعث سليمان
المسيب بن نجبة ، فقال : أئت ابن عمك هذا فقل له : فليخرج إلينا سوفاً ،
فإننا لسنا إياه نريد ، إنما صمنا هؤلاء المحلين . فخرج المسيب بن نجبة حتى
انتهى إلى باب قرقيسيا ، فقال : افتحوا ، ممن تحصنوا ؟ فقالوا : من أنت ؟
قال : أنا المسيب بن نجبة ، فأتى الهذيل بن زفر أباه فقال : هذا رجل حسن
الهيئة ، يستأذن عليك ، وسألناه من هو ؟ فقال : المسيب بن نجبة — قال :
وأنا إذ ذاك لا أعلم لي بالناس ، ولا أعلم أى الناس هو — فقال لي أبى : أما
تدري أى بئى من هذا ؟ هذا فارس مضر الحمراء كلها ، وإذا عُد من
أشرافها عشرة كان أحدهم ، وهو بعد رجل ناسك له دين ، ائذن له . ٥٥٢/٢

فأذنت له ، فأجلسه أبى إلى جانبه ، وساءلته وألطفه في المسألة ، فقال المسيب
ابن نجبة : ممن تتحصن ؟ إنا والله ما إياكم نريد ، وما اعترينا إلى شيء إلا أن
تعيننا على هؤلاء القوم الظلمة المحلين ، فاخرج لنا سوفاً ، فإننا لا نقيم
بساحتكم إلا يوماً أو بعض يوم . فقال له زُفر بن الحارث : إنا لم نُغلق
أبواب هذه المدينة إلا لنعلم إيانا اعتريت أم غيرنا ! إنا والله ما بنا عجز عن
الناس ما لم تدهمنا حيلة ، وما نحب أنا بلينا بقتالكم ، وقد بلغنا عنكم

صلاح ، وسيرة حسنة جميلة .

ثم دعا ابنه فأمره أن يضع لهم سوقاً ، وأمر للمسيب بألف درهم وفرس ، فقال له المسيب : أما المال فلا حاجة لي فيه ، والله ما له خرجنا ، ولا إياه طلبنا ، وأما الفرس فلاني أقبله لعلني أحتاج إليه إن طالع فرسي ، أو غمّز تحتي . فخرج به حتى أتى أصحابه وأخرجت لهم السوق ، فتسوقوا ، وبعث زفر بن الحارث إلى المسيب بن نجبة بعد إخراج الأسواق والأعلاف والطعام الكثير بعشرين جزوراً ، وبعث إلى سليمان بن صرد مثل ذلك ، وقد كان زفر أمر ابنه أن يسأل عن وجوه أهل العسكر ، فسُئِلَ له عبد الله بن سعد بن نفيّل وعبد الله بن والٍ ورفاعة بن شدّاد ، وسُئِلَ له أمراء الأرباع . فبعث إلى هؤلاء الرؤوس الثلاثة بعشر جزائر عشر جزائر ، وعلف كثير وطعام ، وأخرج للعسكر عيراً عظيمةً وشعيراً كثيراً ، فقال غلمان زفر : هذه عير فاجتزروا منها ما أحببتم ، وهذا شعير فاحتملوا منه ما أردتم ، وهذا دقيق فتزودوا منه ما أطقتم ، فظلّ القوم يومهم ذلك مُخَصِّبين لم يحتاجوا إلى شراء شيء من هذه الأسواق التي وضعت ، وقد كُفُوا اللحم والدقيق والشعير إلا أن يشتري الرجل ثوباً أو سوطاً . ثم ارتحلوا من الغد ، وبعث إليهم زفر : إني خارج إليكم فشيّعكم ، فأتاهم وقد خرجوا على تعبئة حسنة ، فسأيرهم ، فقال زفر لسليمان : إنه قد بعث خمسة أمراء قد فصلوا من الرقة فيهم الحصين بن نمير السكوني ، وشريحبيل بن ذى كلاع ، وأدهم بن محرز الباهلي وأبو مالك بن أدهم ، وربيع بن المخارق الغنوي ، وجبلة بن عبد الله الخثعمي ؛ وقد جاءوكم في مثل الشوك والشجر ، أناكم عدد كثير ، وحدٌ حديد ، وإيم الله لقلّ ما رأيت رجالاً هم أحسن هيئة ولا عدّة ، ولا أخلق لكل خير من رجال أراهم معك ؛ ولكنه قد بلغني أنه قد أقبلت إليكم عدّة لا تحصى ؛ فقال ابن صرد : على الله توكلنا ، وعليه فليتوكل المتوكلون ، ثم قال زفر : فهل لكم في أمر أعرضه عليكم ؛ لعل الله أن يجعل لنا ولكم فيه خيراً ؟ إن شئتم فتحنا لكم مدينتنا فدخلتموها فكان أمرنا واحداً وأيدينا واحدة ، وإن شئتم نزلتم على باب مدينتنا ، وخرجنا فعسكرنا إلى جانبكم ؛ فإذا جاءنا هذا العدو

قاتلناهم جميعاً . فقال سليمان لزفر : قد أردنا أهل مصرنا على مثل ما ٥٥٤/٢
أردتنا عليه ، وذكروا مثل الذي ذكرت ، وكتبوا إلينا به بعد ما فصلنا ، فلم يوافقنا
ذلك ، فلسنا فاعلين ؛ فقال زفر : فانظروا ما أشير به عليكم فاقبلوه ، وخذوا
به ، فإنني للقوم عدو ، وأحب أن يجعل الله عليهم الدائرة ، وأنا لكم وادئ ،
أحب أن يحوطكم الله بالعافية ؛ إن القوم قد فصلوا من الرقة ، فبادروهم إلى
عين الوردة ، فاجعلوا ^(١) المدينة في ظهوركم ، ويكون الرستاق والماء والمادة
في أيديكم ، وما بين مدينتنا ومدينتكم فأنتم له آمنون ، والله لو أن خيول
كرجالي لأمددتكم ، اطووا المنازل الساعة إلى عين الوردة ؛ فإن القوم يسرون
سير العساكر ، وأنتم على خيول ، والله لقل ما رأيت جماعة خيل قط أكرم
منها ؛ تأهبوا لها من يومكم هذا فإنني أرجو أن تسبقوهم إليها ، وإن بدرتموهم إلى
عين الوردة فلا تقاتلوهم في فضاء ترامونهم وتطاعنونهم ، فإنهم أكثر منكم
فلا آمن أن يحيطوا بكم ، فلا تقفوا لهم ترامونهم وتطاعنونهم ، فإنه ليس لكم
مثل عددهم ، فإن استهدفتم لهم لم يلبثوكم أن يصرعوكم ، ولا تصفوا لهم حين
تلقونهم ، فإنني لا أرى معكم رجالة ، ولا أراكم كلكم إلا فرسانا ، والقوم
لا قوكم بالرجال والفرسان ؛ فالفرسان تحمي رجالها ، والرجال تحمي فرسانها ،
وأنتم ليس لكم رجال تحمي فرسانكم ، فالقوهم في الكتائب والمقائب ، ثم
بشوها ما بين ^(٢) ميمتهم وميسرتهم ، واجعلوا مع كل كتية كتية إلى جانبها
فإن حمل على إحدى الكتيتين رجالت الأخرى فنفتست عنها الخيل ٥٥٥/٢
والرجال ، ومتى ما شاءت كتية ارتفعت ، ومتى ما شاءت كتية انحطت ،
ولو كنتم في صف واحد ^(٣) فرحفت إليكم الرجال فدفعتم عن الصف انتقض
وكانت الهزيمة ؛ ثم وقف فودعهم ، وسأل الله أن يصحبهم وينصرهم . فأنشئ
الناس عليه ، ودعوا له ، فقال له سليمان بن صرد : نعم المستزول به أنت !
أكرمت النزول ، وأحسن الضيافة ، ونصحت في المشورة . ثم إن القوم
جدوا في المسير ، فجعلوا يجعلون كل مرحلتين مرحلة ؛ قال : فررنا بالمدن حتى

(٢) ابن الأثير : « فيما بين » .

(١) ف : « واجعلوا » .

(٣) ف وابن الأثير : « صفوا واحداً » .

بلغنا ساعا . ثم إن سليمان بن صرد عبى الكتائب كما أمره زفر ، ثم أقبل حتى انتهى إلى عين الوردة فقتل في غريبها ، وسبق القوم إليها ، فعسكروا ، وأقام بها خمسا لا يبرح ، واستراحوا واطمأنوا ، وأراحوا خيلهم .

قال هشام : قال أبو مخنف ، عن عطية بن الحارث ، عن عبد الله بن غزيرة ، قال : أقبل أهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة ، قال عبد الله بن غزيرة : فقام فينا سليمان فحميد الله فأطال ، وأثنى عليه فأطنب ، ثم ذكر السماء والأرض ، والجبال والبحار وما فيهن من الآيات ، وذكر آلاء الله ونعمته ، وذكر الدنيا فزهد فيها ، وذكر الآخرة فرغب فيها ، فذكر من هذا ما لم أحصه ، ولم أقدر على حفظه ، ثم قال : أما بعد ، فقد أتاكم الله بعدوكم الذي دأبتم في المسير إليه ^(١) آناء الليل والنهار ، تريدون فيما تظهرون التوبة النصوح ، ولقاء الله معذرين ، فقد جاءوكم بل جثثهم أنتم في دارهم وحيزهم ، فإذا لقيتموهم فاصدقوهم ، واصبروا إن الله مع الصابرين ، ولا يوليئهم امرؤ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة . لا تقتلوا مدبرا ، ولا تسجروا على جريح ، ولا تقتلوا أسيرا من أهل دعوتكم ، إلا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه ^(٢) ، أو يكون من قتلة إخواننا بالطف رحمة الله عليهم ، فإن هذه كانت سيرة أمير المؤمنين على بن أبي طالب في أهل هذه الدعوة . ثم قال سليمان : إن أنا قتلت فأمير الناس المسيب بن نجبة فإن أصيب المسيب فأمير الناس عبد الله بن سعد بن نفي ، فإن قتل عبد الله ابن سعد فأمير الناس عبد الله بن وال ، فإن قتل عبد الله بن وال فأمير الناس رفاعه بن شداد ، رحم الله امرأ صدق ما عاهد الله عليه ! ثم بعث المسيب ابن نجبة في أربعمئة فارس ، ثم قال : سر حتى تلقى أول عسكر من عساكرهم فشن فيهم الغارة ، فإذا رأيت ما تحبه وإلا انصرفت إلى أصحابك ؛ وإياك أن تنزل أو تدع أحدا من أصحابك أن ينزل ، أو يستقبل آخر ذلك ، حتى لا تجده منه بدّا .

(١) ف وابن الأثير : « إليه في السير » .

(٢) ف : « تأسروهم » .

قال أبو مخنف : فحدثني أبي عن حُمَيْد بن مسلم أنه قال : أشهد أني في خيل المسيب بن نجبة تلك ، إذ أقبلنا نسير آخر يومنا كآله وليلتنا ، حتى إذا كان في آخر السحر نزلنا فعلقنا على دوابنا مَخَالِيهَا ، ثم هَوَمْنَا تهويمَةً بمقدار تكون مقدار قَضَمِهَا ثم ركبناها ، حتى إذا انبلج لنا الصبح نزلنا فصلينا ، ثم ركب فركبنا . فبعث أبا الجَوَيْريّة العبدى بن الأحمر في مائة ٥٥٧/٢ من أصحابه ، وعبد الله بن عوف بن الأحمر في مائة وعشرين ، وحش بن ربيعة أبا المعتمر الكنانى في مثلها ، وبقى هو في مائة ؛ ثم قال : انظروا أول من تلقون فأتوني به ، فكان أول من لقينا أعرابى يطرد أحمره وهو يقول :
يا مالٍ لا تعجلْ إلى صَحْبِي وأسرحْ فَإِنَّكَ آمِنُ السَّرْبِ

قال : يقول عبد الله بن عوف بن الأحمر : يا حُمَيْد بن مسلم ، أبشر بُشْرَى رَبِّ الكعبة ، فقال له ابن عوف بن الأحمر : ممّن ^(١) أنت يا أعرابى ؟ قال : أنا من بنى تغليب ؛ قال : غلبتم ربّ الكعبة إن شاء الله . فأنتهى إلينا المسيب بن نجبة ، فأخبرناه بالذى سمعنا من الأعرابى وأتينا به ، فقال المسيب ابن نَجْبة . أما لقد سررتُ بقولك : أبشر ، وبقولك : يا حُمَيْد بن مسلم ، وإني لأرجو ^(٢) أن تبشروا بما يسركم ، وإنما سرّكم أن تحمدوا أمركم ، وأن تسلموا من عدوكم ، وإنّ هذا القول هو القول الحسن ، وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعجبه القول . ثم قال المسيب بن نجبة للأعرابى : كم بيننا وبين أدنى هؤلاء القوم منا ؟ قال : أدنى عسكر من عساكرهم منك عسكرُ ابن ذى الكلاع ، وكان بينه وبين الحصين اختلاف ، ادّعى الحصين أنه على جماعة الناس ، وقال ابن ذى الكلاع : ما كنت لتولّى علىّ ، وقد تكاتبا إلى عبيد الله بن زياد ، فهما ينتظران أمره ، فهذا عسكر ابن ذى الكلاع منكم على رأس ميل ؛ قال : فركبنا الرجل ، فخرجنا نحوهم مُسرّعين ، فوالله ٥٥٨/٢ ما شعروا حتى أشرقنا عليهم وهم غارون ، فحملنا في جانب عسكرهم ^(٣) فوالله ما قاتلوا كثيرَ قتال حتى انهزموا ، فأصبنا منهم رجالاً ، وجرحنا فيهم

(٢) ف : « أرجو » .

(١) ف : « فن » .

(٣) ف : « عسكره » .

فأكثرنا الجراح ، وأصبنا لهم دواب ، وخرجوا عن عسكرهم وخلّوه لنا ، فأخذنا منه ماخفت علينا ، فصاح المسيّب فينا : الرجعة ، إنكم قد نصّرتهم ، وغنّيتهم وسكّيتهم ، فانصرفوا ، فانصرفنا حتى أتينا سليمان .

قال : فأتى الخبرُ عبيد الله بن زياد ، فسرّح إلينا الحصين بن نمير مسرعاً حتى نزل في اثني عشر ألفاً ، فخرجنا إليهم يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى ، فجعل سليمان بن صرّد عبد الله بن سعد بن نقيب على ميمنته ، وعلى ميسرته المسيّب بن نجبة ، ووقف هو في القلب ، وجاء حصين بن نمير وقد عبأ لنا جُنْدَه ، فجعل على ميمنته جبلة بن عبد الله ، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغسّوى ، ثم زحفوا إلينا ، فلما دَنَوْا دَعَوْنَا إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان وإلى الدخول في طاعته ، ودَعَوْنَاهُمْ إلى أن يدفعوا إلينا عبيد الله بن زياد فنقتله ببعض من قتل من إخواننا ، وأن يَخْلَعُوا عبد الملك بن مروان ، وإلى أن يُخْرِجَ مَنْ بِلَادِنَا من آل ابن الزبير ، ثم نردّ هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا الذين آتانا الله من قبيلهم بالنعمة والكرامة ؛ فأبى القومُ وأبينا .

٥٥٩/٢

قال حميد بن مسلم : فحملت ميمنتنا على ميسرتهم وهزمتهم ، وحملت ميسرتنا على ميمنتهم ، وحمل سليمان في القلب على جماعتهم ، فهزمتناهم حتى اضطروناهم إلى عسكرهم ، فما زال الظفر لنا عليهم حتى حجز الليل بيننا وبينهم ، ثم انصرفنا عنهم وقد حجزناهم في عسكرهم ، فلما كان الغد صبّحهم ابن ذى الكلاع في ثمانية آلاف ، أمدهم بهم عبيد الله ابن زياد ، وبعث إليه يشتمه ، ويقع فيه ، ويقول : إنما عملتَ عملَ الأغمار ، تُضيع عسكرك ومسالحك ! سر إلى الحصين بن نمير حتى توافيه وهو على الناس ، فجاءه ، فغدّوا علينا وغاديناهم ، فقاتلناهم قتالاً لم يَرَ الشيبُ والمُردُّ مثله قط يومئذٍ ، لا يحجز بيننا وبين القتال إلا الصلاة حتى أمسينا فتحاجزنا ، وقد والله أكثروا فينا الجراح ، وأفسيناها فيهم ؛ قال : وكان فينا قصاصٌ ثلاثة : رفاعه بن شدّاد البسجلى ، وصُحَيْر بن حذيفة بن هلال بن مالك المرّى ، وأبو الجَوَيْرِيّة العبدى ، فكان رفاعه يقصّ ويُحَضِّضُ الناس في الميمنة ، لا يبرحها ، وجرح أبو الجَوَيْرِيّة اليوم الثانى في أوّل النهار ، فلزم الرّحال ، وكان صُحَيْر ليلته كلها يدور

فينا ويقول : أبشروا عباد الله بكرامة الله ورضوانه ، فحقّ والله لمنّ ليس بينه وبين لقاء الأحبة ودخول الجنة والراحة من إبرام الدنيا وأذاها إلا فراق هذه النفس الأمّارة بالسوء أن يكون بفراقها سَخِيًّا ، وبلقاء ربه مسروراً . فكشّنا كذلك حتى أصبحنا ، وأصبح ابن نعيم وأدهم بن محرز الباهليّ في نحو من عشرة آلاف ، فخرجوا إلينا ، فاقتتلنا اليوم الثالث يوم الجمعة قتالاً شديداً إلى ارتفاع الضحى . ثمّ إنّ أهل الشام كثّرونا وتعطّفوا علينا ٥٦٠/٢ من كلّ جانب ، ورأى سليمان بن صُرْد ما لى أصحابه ، فنزل فنادى : عباد الله ، من أراد البُكور إلى ربه ، والتوبة من ذنبه ، والوفاء بعهده ، فإلى ؛ ثمّ كسر جفن سيفه ، ونزل معه ناسٌ كثير ، فكسروا جفون سيوفهم ، ومشّوا معه ، وانزوت خيلهم حتى اختلطت مع الرجال ، فقاتلوهم حتى نزلت الرجال تشتدّ مُصلّيةً بالسيوف ، وقد كسروا الجفون ، فحمل الفرسان على الخيل ولا يثبتون ، فقاتلوهم وقتلوا من أهل الشام مقتلةً عظيمةً ، وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح . فلما رأى الحصين بن نعيم صَبَرَ القوم وبأسهم ، بعث الرجال ترميهم بالنبل ، واكتفتهم الخيل والرجال ، فقتل سليمان بن صُرْد رحمه الله ، رماه يزيد بن الحصين بسهم فوق ، ثمّ وثب ثم وقع ؛ قال : فلما قتل سليمان بن صُرْد أخذ الراية المسيّب بن نَجْبَة ، وقال لسليمان بن صُرْد : رحماك الله يا أخى ! فقد صدقت ووفيت بما عليك ، وبقي ما علينا ، ثمّ أخذ الراية فشدها بها ، فقاتل ساعةً ثمّ رجع ، ثمّ شدّها بها فقاتل ثمّ رجع ، ففعل ذلك مراراً بشدّة ثم يرجع ، ثمّ قُتل رحمه الله .

قال أبو مخنف : وحدّثنا فروة بن لقيط ، عن مولّى للمسيّب بن نَجْبَة الفزاريّ ، قال : لقيته بالمدائن وهو مع شبيب بن يزيد الخارجيّ ، فجرى الحديث حتى ذكرنا أهل عين الوردة .

قال هشام عن أبي مخنف ؛ قال : حدّثنا هذا الشيخ ، عن المسيّب بن نَجْبَة ، قال : والله ما رأيت أشجع منه إنساناً قطّ ، ولا من العصابة التي كان فيهم ، ولقد رأيتُه يوم عين الوردة يقاتل قتالاً شديداً ، ما ظننتُ أن ٥٦١/٢

رجلاً واحداً يقدر أن يُبَلِّغَ مِثْلَ ما أُبَلِّغُ ، ولا ينكأ في عدوه ^(١) مثل ما نكأ ، لقد قتل رجالاً ؛ قال : وسمعتُه يقول قبل أن يُقتل وهو يقاتلهم ^(٢) :

قد علمتُ مِثَالَهُ الذَّوَابِ واضِحَةُ اللَّبَاتِ والتَّرائِبِ
أَنْتِ غَدَاةُ الرُّوعِ والتَّغَالِبِ أَشْجَعُ مِنْ ذِي لَبَدٍ مُوَاتِبِ
* قَطَّاعُ أَقْرَانٍ مَخُوفُ الْجَانِبِ *

قال أبو مخنف : حدثني أبي ونحالي ، عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزوة . قال أبو مخنف : وحدثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف ، قال : لما قتل المسيب بن نجيبة أخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفييل ، ثم قال رحمه الله : أخوتى منهم من قضى نحبه ، ومنهم من يستنظر وما بدّلوا تبديلاً . وأقبل بمن كان معه من الأزد ، فحذقوا برايته ، فوالله إنا لكذلك إذ جاءنا فرسان ثلاثة : عبد الله بن الحضيض الطائي ، وكثير بن عمرو المزني ، وسعر بن أبي سعر الحنقي ، كانوا خرجوا مع سعد بن حذيفة بن اليمان في سبعين ومائة من أهل المدائن ، فسرّحهم يوم خرج في آثارنا على خيول متلّمة مقدّحة ، فقال لهم : اطبّوا المنازل حتى تلحقوا بإخواننا فتبشّروهم ^(٣) ، بخروجنا إليهم لتشتدّ بذلك ظهورهم ، وتخبروهم بمجيء أهل البصرة أيضاً ، كان المشي بن مخربة العبديّ أقبلي في ثلثمائة من أهل البصرة ، فجاء حتى نزل مدينة بهرسير بعد خروج سعد بن حذيفة من المدائن لحمس ليال ، وكان خروجه من البصرة قبل ذلك قد بلغ سعد بن حذيفة قبل أن يخرج من المدائن ، فلما انتهوا إلينا قالوا : أبشروا فقد جاءكم إخوانكم من أهل المدائن وأهل البصرة ؛ فقال عبد الله بن سعد بن نفييل : ذلك لو جاءونا ونحن أحياء ؛ قال : فنظروا إلينا ، فلما رأوا مصارع إخوانهم وما بنا من الجراح ، بكى القوم وقالوا : وقد بلغ منكم ما نرى ! إننا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فنظروا والله

(٢) ف : « يقاتل » .

(١) ف : « العدو » .

(٣) ف : « فبشروهم » .

إلى ما ساء أعينهم؛ فقال لهم عبد الله بن نَفِيل : إنا لهذا خرجنا ، ثم اقتتلنا
فما اضطررنا إلا ساعة حتى قتل المزنّي ، وطعن الحنفّي فوقع بين القتلى ، ثم
ارتثت بعد ذلك فنجّا ، وطعن الطائي فجزّم أنفُسُه ، فقاتل قتالا شديداً ، وكان
فارساً شاعراً ، فأخذ يقول :

قد علِمْتُ ذاتُ القَوامِ الرُودِ أن لَسْتُ بالوَإِي ولا الرُعَيدِ
* يوماً ولا بالفرقِ الحَيودِ *

قال : فحمل علينا ربيعةُ بن المخارق حملةً منكراً ، فاقتتلنا قتالاً شديداً .
ثم إنه اختلف هو وعبد الله بن سعد بن نفيل ضربتين ، فلم يصنع سيفهما
شيئاً ، واعتنق كل واحد منهما صاحبه ، فوقعا إلى الأرض ، ثم قاما فاضطربا ،
ويحمل ابن أخى ربيعة بن المخارق على عبد الله بن سعد ، فطعنه في شُغرة نحره ،
فقتله ، ويحمل عبد الله بن عوف بن الأحمر على ربيعة بن المخارق ، فطعنه
فصرّعه . فلم يُصَبْ مقتلاً ؛ فقام فكرّ عليه الثانية ، فطعنه أصحابُ ربيعة
فصرّعوه ؛ ثم إن أصحابه استنقذوه . وقال خالد بن سعد بن نفيل : أرؤني
قاتل أخى ، فأرّيناه ابن أخى ربيعة بن المخارق ، فحمل عليه فقتلّه بالسيف
واعتقه الآخر فخرّ إلى الأرض ، فحمل أصحابه وحملنا ، وكانوا أكثر منا
فاستنقذوا صاحبهم ، وقتلوا صاحبنا ، وبقيت الرّاية ليس عندها أحد .
قال : فناديناه عبد الله بن والٍ بعد قتلهم فرساننا ، فإذا هو قد استلحم في
عصابة معه إلى جانبنا ، فحمل عليه رفاعه بن شدّاد ، فكشفهم عنه ، ثم
أقبل إلى رايته وقد أمسكها عبد الله بن خازم الكثيري ، فقال لابن وال :
أمسك عنى رايته ؛ قال : أمسكها عنى رحمتك الله ، فإننى بنى مثل حالك
فقال له : أمسك عنى رايته ، فإنى أريد أن أجاهد ؛ قال : فإن هذا الذى أنت
فيه جهاد وأجر ؛ قال : فصيحنا : يا أبا عزّة ، أطع أميرك يرحمك الله !
قال : فأمسكها قليلا ، ثم إن ابن والٍ أخذها منه .

قال أبو مخنف : قال أبو الصلت التيمي الأعور : حدثني شيخ للحى

كان معه يومئذ ، قال : قال لنا ابن وال : مَنْ أراد الحياة التي ليس بعدها موت ، والراحة التي ليس بعدها نصيب ، والسرور الذي ليس بعده حزن ، فليقترب إلى ربه بجهاد هؤلاء المحلّين ، والرواح إلى الجنة رحمكم الله ! وذلك عند العصر ؛ فشدّ عليهم ، وشدّدنا معه ، فأصبنا والله منهم رجالاً ، وكشفناهم طويلاً ، ثمّ لأنهم بعد ذلك تعطّفوا علينا من كل جانب ، فحازونا حتى بلغوا بنا المكان الذي كنا فيه ، وكنا بمكان لا يقدرون أن يأتونا فيه إلّا من وجه واحد ، وولّى قتالنا عند المساء أدهم بن مُحَرِّز الباهليّ ، فشدّ علينا في خيله ورجاله ، فقتل عبد الله بن وال التيمي .

٥٦٤/٢

قال أبو مخنف ، عن فروة بن لقيط ، قال : سمعت أدهم بن مُحَرِّز الباهليّ في إمارة الحجاج بن يوسف وهو يحدث ناساً من أهل الشام ، قال : دفعت إلى أحد أمراء العراق رجل منهم يقولون له عبد الله بن وال وهو يقول : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فرحين . . . (١) ، الآيات الثلاث ، قال : فغاضني ، فقلت في نفسي : هؤلاء يبعدوننا بمنزلة أهل الشرك ، يرون أن من قتلنا منهم كان شهيداً . فحملت عليه أضرب يده اليسرى فأطننتها ، وتنحيت قريبا ، فقلت له : أما إني أراك وددت أنك في أهلك ، فقال : بشما رأيت ! أما والله ما أحب أنها يدك الآن إلّا أن يكون في فيها من الأجر مثل ما في يدي ؛ قال : فقلت له : لم ؟ قال : لكيما يجعل الله عليك وزرها ، ويعظم لي أجرها ؛ قال : فغاضني فجمعت خيلي ورجالي ؛ ثمّ حملنا عليه وعلى أصحابه ، فدفعت إليه فطعنته فقتلته ، وإنه لمقبل إلى ما يزول ؛ فزعموا بعد أنه كان من فقهاء أهل العراق الذين كانوا يكثررون الصوم والصلاة ويقتنون الناس .

قال أبو مخنف : وحدّثني الثقة ، عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزيرة

قال : لما هلك عبد الله بن والٍ نظرنا ، فإذا عبد الله بن خازم قتيلاً إلى جنبه ،
ولحن نرى أنه رفاعه بن شدّاد البجليّ ، فقال له رجل من بني كنانة يقال له
الوليد بن غصين : أمسك رايبتك ؛ قال : لا أريدها ؛ فقلت له : إنا لله ! ٥٦٥/٢
ما لك ! فقال : ارجعوا بنا لعلّ الله يجمعنا ليوم شرّ لهم ، فوثب عبد الله بن
عوف بن الأحمر إليه ، فقال : أهلكتنا ، والله لئن انصرفت ليركبسنّ أكتافنا
فلا نبلغ فرسخاً حتى نهلك من عند آخرنا ، فإن نجا منا ناج أخذه الأعراب
وأهل القرى ، فتقربوا إليهم به فيقتل صبراً ، أنشدك الله أن تفعل ، هذه
الشمس قد طفلت للمغيب ، وهذا الليل قد غشيتنا ، فنقاتلهم على خيلنا هذه
فلما الآن ممتنعون ، فإذا غسق الليل ركبنا خيولنا أوّل الليل فرمينا بها ، فكان
ذلك الشأن حتى نصبح ونسير ونحن على مهل ، فيحمل الرجل منا جريحه
وينتظر صاحبه ، وتسير العشرة والعشرون معاً ، ويعرف الناس الوجه الذي
يأخذون ، فيتبع فيه بعضهم بعضاً ؛ ولو كان الذي ذكرت لم تقف أمّ على
ولدها ، ولم يعرف رجل وجهه ، ولا أين يسقط ، ولا أين يذهب ! ولم
نصبح إلا ونحن بين مقتول ومأسور . فقال له رفاعه بن شدّاد : فإنك نعم
ما رأيت ؛ قال : ثمّ أقبل رفاعه على الكنانيّ فقال له : أتمسكها أم آخذها
منك ؟ فقال له الكنانيّ : إني لا أريد ما تريد ، إني أريد لقاء ربّي ، واللّحاق
بإخواني ، والخروج من الدنيا إلى الآخرة ، وأنت تريد ورق الدنيا ، وتهوى
البقاء ، وتكره فراق الدنيا ؛ أما والله إني لأحبّ لك أن ترشد ، ثمّ دفع إليه
الراية ، وذهب ليستقدم . فقال له ابن أحمر : قاتل معنا ساعة رحمك الله
٥٦٦/٢ ولا تلتق بيدك إلى التهلكة ، فما زال به يناشده حتى احتبس عليه ، وأخذ
أهل الشام يتنادون : إن الله قد أهلكهم ؛ فأقدموا عليهم فافرغوا منهم قبل
الليل . فأخذوا يقدمون عليهم ، فيقدمون على شوكة شديدة ؛ ويقاتلون فرساناً
شجعاناً ليس فيهم سقّط رجل ، وليسوا لهم بمصجرين فيتمكنوا منهم ؛ فقاتلوهم
حتى العشاء قتالاً شديداً ، وقَتِل الكنانيّ قبل المساء ، وخرج عبد الله بن عزيز
الكنديّ ومعه ابنه محمد غلام صغير ، فقال : يا أهل الشام ، هل فيكم
أحد من كندة ؟ فخرج إليه منهم رجال ، فقالوا : نعم ، نحن هؤلاء ،

فقال لهم : دونكم أحوكم فابعثوا به إلى قومكم بالكوفة ، فأنا عبد الله بن عزيز الكندي ، فقالوا له : أنت ابنُ عمنا ، فإنك آمن ؛ فقال لهم : والله لا أُرغب عن مَصَارِعِ إخواني الذين كانوا للبلاد نوراً ، وللأرض أوتاداً ، وبمثلهم كان الله يُذكر ؛ قال : فأخذ ابنه يبكي في أثر أبيه ، فقال : بابني ، لو أن شيئاً كان آثرَ عندي من طاعة ربِّي إذاً لكنتَ أنتَ ، وناشدَه قومه الشَّاميون لما رأوا من جزع ابنه وبكائه في أثره ، وأرؤوا الشَّاميون له ولابنه رِقَّةً شديدة حتى جزعوا وبكوا ، ثم اعتزل الجانب الذي خرج إليه منه قومه ، فشدَّ على صفهم عند المساء ، فقاتل حتى قُتل .

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج ، قال : حدثني مسلم بن زحَر الحولاني ، أن كريب بن زيد الحميري مشى إليهم عند المساء ومعه راية بلكاء في جماعة ، فلما تنقَّص من مائة رجل إن نقصت ، وقد كانوا تحدثوا بما يريد رفاة أن يصنع إذا أمسى ، فقام لهم الحميري وجمع إليه رجالاً من حمير وهَمْدان ، فقال : عباد الله ! رُوحوا إلى ربكم ، والله ما في شيء من الدنيا خَلَفَ من رضاء الله والتوبة إليه ، إنه قد بلغني أن طائفة منكم يريدون أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه إلى دنياهم ، وإن هم ركنوا إلى دنياهم رجعوا إلى خطاياهم ، فأما أنا فوالله لا أولي هذا العدو ظهري حتى أُرِدَ مَوَارِدُ إخواني ؛ فأجابوه وقالوا : رأينا مثل رأيك . ومضى برايته حتى دنا من القوم ، فقال ابن ذى الكلاع : والله إنى لأرى هذه الراية حَمِيرِيَّة أو هَمْدَانِيَّة ، فدنا منهم فسألهم ، فأخبروه ، فقال لهم : إنكم آمنون ، فقال له صاحبهم : إنا قد كنا آمنين في الدنيا ، وإنما خرجنا نطلب أمانَ الآخرة ؛ فقاتلوا القوم حتى قُتلوا ، ومشى صُخَيْر بن حذيفة بن هلال بن مالك المُرْتَنِي في ثلاثين من مُزَيْنَة ، فقال لهم : لا تهابوا الموت في الله ، فإنه لا قبيحكم ، ولا ترجعوا إلى الدنيا التي خرجتم منها إلى الله فإنها لا تَبْقَى لكم ، ولا تَزْهَدُوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله فإنَّ ما عند الله خيرٌ لكم ؛ ثم مضوا فقاتلوا حتى قُتلوا ، فلما أمسى الناسُ ورجع أهلُ الشَّام إلى معسكرهم ، نظر رفاة إلى كل رجل قد عُقر به ، وإلى

كل جريح لا يُعِينُ على نفسه ؛ فدفعه إلى قومه ، ثم سار بالناس ليلته كلها حتى أصبح بالتَّنْشِيرِ فَعَبَّرَ الخَابُورَ ، وقطع المعابر ، ثم مضى لا يمر بمعبر ٥٦٨/٢ إلا قطعه ، وأصبح الحصين بن نمير فبعث فوجدهم قد ذَهَبُوا ، فلم يبعث في آثارهم أحداً ، وسار بالناس فأسرع ، وخلف رفاة وراءهم أبا الجُوَيْرِيَةَ العبدى في سبعين فارساً يَسْتُرُونَ الناس ؛ فإذا مروا برجل قد سقط حمله ، أو بمناخ ^(١) قد سقط قَبْضُهُ حتى يعرفه ، فإن طُلب أو ابتغى بعث إليه فأعلمه ، فلم يزالوا كذلك حتى مروا بقرْقِيسِيَا من جانب البر ، فبعث إليهم زُفَرٌ من الطعام والعلف مثل ما كان بعث إليهم في المرة الأولى ، وأرسل إليهم الأطباء وقال : أقيموا عندنا ما أحبيتم ، فإن لكم الكرامة والمواساة ؛ فأقاموا ثلاثاً ، ثم زود كل امرئ منهم ما أحب من الطعام والعلف ؛ قال : وجاء سعد بن حذيفة بن اليمان حتى انتهى إلى هيت ، فاستقبله الأعراب فأخبروه بما لقي الناس ، فانصرف ، فتلقي المثنى بن مخزبة العبدى بصندوداء ، فأخبره ، فأقاموا حتى جاءهم الخبر : إن رفاة قد أظلمكم ، فخرجوا حين دنا من القرية ، فاستقبلوه فسلم الناس بعضهم على بعض ، وبكى بعضهم إلى بعض ، وتناعوا لإخوانهم فأقاموا بها يوماً وليلة ؛ فانصرف أهل المدائن إلى المدائن ، وأهل البصرة إلى البصرة ، وأقبل أهل الكوفة إلى الكوفة ، فإذا المختار محبوس .

قال هشام : قال أبو مخنف ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن أدهم بن مُحَرِّزِ الباهلي ، أنه أتى عبد الملك بن مروان ببشارة الفتح ، قال : فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن الله قد أهلك من رعوس أهل العراق مَلَقَحَ فتنة ، ورأس ضلالة ، سليمان بن صُرد ، ألا وإن السيوف تركت رأس المسيب بن نجبة خذ آريف ، ألا وقد قتل الله من رعوسهم رأسين عظيمين ضالين مضلين : عبد الله بن سعد أخا الأزدي ، وعبد الله بن وال أخا بكر بن وائل ، فلم يبق بعد هؤلاء أحدٌ عنده دفاع ولا امتناع . ٥٦٩/٢

قال هشام ، عن أبي مخنف : وحُدِّثت أن المختار مكث نحواً من خمس

عشرة ليلة ، ثم قال لأصحابه : عدوا لغازيكم هذا أكثر من عشر ، ودون الشهر ، ثم يبيثكم نأ هتير ، من طعن نتر ، وضرب هبر ، وقتل جيم ، وأمر رجم . فمن لها ؟ أنا لها ، لا تكذبين ، أنا لها .

قال أبو مخنف : حدثنا الحصين بن يزيد ، عن أبان بن الوليد ، قال : كتب المختار وهوني السجن إلى رفاعه بن شداد حين قدم من عين الوردية : أما بعد ، فرحباً بالعصّب الذين أعظم الله لهم الأجر حين انصرفوا ، ورضى انصرفهم حين قتلوا . أما وربّ البنية التي بنى ماخطا خطا منكم خطوة ، ولا رتاً رتوة ^(١) ، إلا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا . إن سليمان قد قضى ما عليه ، وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين ، ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون ، إني أنا الأمير المأمور ، والأمين المأمون ، وأمير الجيش ، وقاتل الجبارين ، المنتقم من أعداء الدين ، والمقيد من الأوتار ، فأعدوا واستعدوا ، وأبشروا واستبشروا ؛ أدعوكم إلى كتاب الله ، وستة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وإلى الطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء ، وجهاد الملحّين ؛ والسلام . ٥٧٠/٢

قال أبو مخنف : حدثني أبو زهير العبسي ، أن الناس تحدّثوا بهذا من أمر المختار ، فبلغ ذلك عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد ، فخرجوا في الناس حتى أتيا المختار ، فأخذه .

قال أبو مخنف : فحدثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم قال : لما تهيأنا للانصراف قام عبد الله بن غزّية ووقف على القتلى فقال : يرحمكم الله ، فقد صدقتم وصبرتم ، وكذبنا وفترنا ؛ قال : فلما سرنا وأصبحنا إذا عبد الله بن غزّية في نحو من عشرين قد أرادوا الرجوع إلى العدو والاستقتال ، فجاء رفاعه وعبد الله بن عوف بن الأحمر وجماعة الناس فقالوا لهم : ننشدكم الله ألاّ تزيدونا قلولاً ونقصاناً ، فإننا لا نزال بخير ما كان فينا مثلكم من ذوى النيات ، فلم يزالوا بهم كذلك يناشدونهم حتى ردّوهم غير

(١) ابن الأثير : « ولا رباربوة » .

رجل من مزينة يقال له عبيدة بن سفيان، رحل مع الناس، حتى إذا غفيل عنه انصرف حتى لقي أهل الشام، فشدّ بسيفه يضاربهم حتى قُتل.

قال أبو مخنف: فحدثني الحصين بن يزيد الأزدي، عن حميد بن مسلم الأزدي، قال: كان ذلك المزيّ صدّيقاً لي، فلما ذهب لينصرف ناشدته الله، فقال: أما إنك لم تكن لتسألني شيئاً من الدنيا إلا رأيتُ لك من الحقّ على إيتاء كفه، وهذا الذي تسألني أريد الله به؛ قال: فقارفتي حتى لقي القوم فقتل؛ قال: فوالله ما كان شيء بأحبّ إليّ من أن ألقى إنساناً يحدثني عنه كيف صنّع حين لقي القوم! قال: فلقيتُ عبد الملك بن جزء بن الحدّرجان الأزدي بمكة، فجرى حديث بيننا، جرى ذكر ذلك اليوم، فقال: أعجب ما رأيتُ يوم عَيْن الوردة بعد هلاك القوم أن رجلاً أقبل حتى شدّ على بسيفه، فخرجنا نحوه، قال: فأنتهى إليه وقد عقربه وهو يقول:

لأني من الله إلى الله أفرّ
رضوانك اللهم أبدي وأسرّ

قال: فقلنا له: ممن أنت؟ قال: من بني آدم؛ قال: فقلنا: ممن؟ قال: لا أحبّ أن أعرفكم ولا أن تعرفوني يا مخزبي البيت الحرام؛ قال: فتزل إليه سليمان بن عمرو بن محصن الأزدي من بني الخيار؛ قال: وهو يومئذ من أشدّ الناس؛ قال: فكلاهما أنخنّ صاحبه؛ قال: وشدّ الناس عليه من كلّ جانب، فقتلوه؛ قال: فوالله ما رأيتُ واحداً قطّ هو أشدّ منه؛ قل: فلماً ذكر لي، وكنتُ أحبّ أن أعلم علمه، دمت عيناى، فقال: أيسنك وبينه قرابة؟ فقلت له: لا، ذلك رجل من مضر كان لي ودّاً وأخاً، فقال لي: لا أرقأ الله دمعتك، أتبكي على رجل من مضر قُتل على ضلالة! قال: قلت: لا، والله ما قُتل على ضلالة، ولكنه قتل على بيّنة من ربه وهُدًى؛ فقال لي: أدخلك الله مدخله؛ قلت: آمين، وأدخلك الله مدخل حصين بن نمير، ثمّ لا أرقأ الله لك عليه دمعاً؛ ثمّ قمت وقام.

وكان مما قيل من الشعر في ذلك قول أعشى همدان، وهي إحدى المكشّات، كنّ يكشّمن في ذلك الزمان:

٥٧٢/٢

أَلَمْ خَيَالٌ مِنْكَ يَا أُمَّ غَالِبٍ
وَمَا زِلْتُ لِي شَجَوًا وَمَا زِلْتُ مُقْصِدًا^(١)
فَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ انْفِتَالَكِ فِي الضُّحَى
تَرَاءَتْ لَنَا هَيْفَاءَ مَهْضُومَةِ الْحَشَا
مُبْتَلَّةٌ غَرَاءَ، رُوْدُ شَبَابُهَا
فَلَمَّا تَغَشَّاهَا السَّحَابُ وَحَوْلُهُ
فَتَلَكَ الْهَوَى وَهِيَ الْجَوَى لِي وَالْمُنَى
وَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ الشَّابَّ وَذِكْرُهُ
ويزدادُ مَا أَحْبَبْتُهُ مِنْ عِتَابِنَا
فإِنِّي^(٢) وَإِنْ لَمْ أَنَسْهُنَّ لَذَاكِرُ
تَوَسَّلَ بِالتَّقْوَى إِلَى اللَّهِ صَادِقًا
وَحَلَّى عَنِ الدُّنْيَا فَلَمْ يَلْتَبِشْ بِهَا
تَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا وَقَالَ أَطْرَحْتُهَا^(٣)
وَمَا أَنَا فِيمَا يُكْبَرُ النَّاسُ فَقَدُهُ^(٤)
فَوَجَّهَهُ نَحْوَ الثَّوِيَّةِ سَائِرًا
بِقَوْمٍ هُمْ أَهْلُ التَّقِيَّةِ وَالنُّهَى
مَضَوْا تَارِكِي رَأَى ابْنَ طَلْحَةَ حَسْبُهُ
فَسَارُوا وَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْتَمِسِ التَّقَى

٥٧٣/٢

فَحَيِّتِ عَنَّا مِنْ حَبِيبٍ مُجَانِبٍ^(١)
لِيَهُمْ عَرَانِي مِنْ فِرَاقِكَ نَاصِبٍ
إِلَيْنَا مَعَ الْبَيْضِ الْوَسَامِ الْخَرَابِ^(٢)
لَطِيفَةً طَى الْكَشْحَ رِيًّا الْحَقَائِبِ
كَشَمْسِ الضُّحَى تَنْكَلُ بَيْنَ السَّحَابِ
بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبِ
فَأَحْبَبْتُ بِهَا مِنْ خُلَّةٍ لَمْ تُصَاقِبِ
وَحُبُّ تَصَافِي الْمَعْصِرَاتِ الْكَوَاعِبِ
لُعَابًا وَسُقْيَا لِلْحَدِيدِ الْمُقَارِبِ
رَزِيذَةً مِغْبَاتٍ كَرِيمِ الْمَنَاصِبِ^(٣)
وَتَقْوَى الْإِلَهِ خَيْرٌ تَكْسَابِ كَاسِبِ
وَتَابَ إِلَى اللَّهِ الرَّفِيعِ الْمَرَاتِبِ
فَلَسْتُ إِلَيْهَا مَا حَيَّتُ بِآيِبِ
وَيَسْعِي لَهُ السَّاعُونَ فِيهَا بِرَاغِبِ
إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فِي الْجُمُوعِ الْكَبَاكِبِ^(٤)
مَصَالِيْتُ أَنْجَادٍ سُرَّاهُ مَنَاجِبِ
وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلْأَمِيرِ الْمُخَاطِبِ
وَأَخَّرَ مِمَّا جَرَّ بِالْأَمْسِ نَائِبِ

(٢) ابن الأثير : « وما زلت في شجو » .

(١) ديوان الأعشى ٣١٥ - ٣١٧

(٣) ابن الأثير : « من البيض الحسان » . (٤) ابن الأثير : « غير أني » .

(٦) ابن الأثير : « أطرحها » .

(٥) س : « المضارب » .

(٨) ابن الأثير : « الكتاب » .

(٧) ابن الأثير : « يكره الناس » ..

فَلَا قُوا بَعِينَ الْوَرْدَةِ الْجَيْشِ فَاصِلًا^(١) يَمَانِيَّةٍ تَذْرَى الْأَكْفَ ، وَتَارَةً
فَجَاءَهُمْ جَمْعٌ مِنَ الشَّامِ بَعْدَهُ
فَمَا بَرَحُوا حَتَّى أُبِيدَتْ سُرَاتُهُمْ
وَعُودِرَ أَهْلُ الصَّبْرِ صَرْعِي فَأَصْبَحُوا
فَأَضْحَى الْخَزَاعِيُّ الرَّئِيسُ مُجْدَلًا^(٢)
وَرَأْسُ بَنِي شَمْخٍ وَفَارِسُ قَوْمِهِ
وَعَمْرُو بْنُ بَشِيرٍ وَالْوَلِيدُ وَخَالِدُ
وَضَارِبُ مِنْ هَمْدَانَ كُلِّ مُشْعِ
وَمِنْ كُلِّ قَوْمٍ قَدْ أُصِيبَ زَعِيمُهُمْ
أَبَوْا غَيْرَ ضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ وَقَعُهُ
وَأَنَّ سَعِيدًا يَوْمَ يَذْمُرُ عَامِرًا
فِيَاخِيرَ جَيْشٍ لِلْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ
فَلَا يَبْعَدُنْ فُرْسَانُنَا وَحُمَاتُنَا
فَإِنْ يُقْتَلُوا فَالْقَتْلُ أَكْرَمُ مِيتَةٍ
وَمَا قُتِلُوا حَتَّى أَثَارُوا عِصَابَةً
وَقُتِلَ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرْدٍ وَمَنْ قُتِلَ مَعَهُ
بَعِينَ الْوَرْدَةِ مِنَ التَّوَّابِينَ فِي شَهْرِ
رَبِيعِ الْآخِرِ .

(١) ابن الأثير : « فاصلا » .

(٢) ابن الأثير : « وأضحى » ، وفيه أن الخزاعي الذي في الشعر هو سليمان بن صرد الخزاعي .

(٤) ابن الأثير : « رأس بني شمش » هو المسيب بن نجدة الفزاري ، وفارس شنوءة هو

عبد الله بن سعد بن فليل الأزدي ، والتميمي هو عبد الله بن وال التيمي من تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

(٥) ابن الأثير : « الوليد هو ابن عصير الكتافي ، وخالد هو ابن سعد بن فليل ، أخو عبد الله » .

إِلَيْهِمْ فَحَسُّوهُمْ بَبِيضٍ قَوَاضِبٍ^(٢)
بَخِيلٍ عِتَاقٍ مُقَرَّبَاتٍ سَلَاهِبٍ
جُمُوعٌ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ ثُمَّ غَيْرُ عَصَائِبٍ
تُعَاوِرُهُمْ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
كَأَنَّ لَمْ يِقَاتِلَ مَرَّةً وَيُحَارِبِ
شَنْوَةَ وَالتَّمِيمِيَّ هَادِي الْكَتَائِبِ^(٤)
وَزَيْدُ بْنُ بُكْرٍ وَالْحُلَيْسُ بْنُ غَالِبٍ^(٥)

إِذَا شَدَّ لَمْ يَنْكُلْ كَرِيمُ الْمَكَاسِبِ
وَذُو حَسْبٍ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ ثَاقِبِ
وَطَعْنٍ بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ صَائِبِ
لَأَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ يَدْرُنِي مُوَاتِبِ
سُقَيْتِمِ رَوَايَا كُلِّ أَسْحَمٍ سَاكِبِ
إِذَا الْبَيْضُ أَبَدَتْ عَنْ خِلْدَامِ الْكَوَاعِبِ
وَكُلُّ فَتَى يَوْمًا لِإِحْدَى الشَّوَاعِبِ
مُجَلِّينَ ثَوْرًا كَاللُّبُوثِ الصَّوَارِبِ
مَعَهُ بَعِينَ الْوَرْدَةِ مِنَ التَّوَّابِينَ فِي شَهْرِ

[ذكر الخبر عن بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان]

وفي هذه السنة أمر مروان بن الحَكَمَ أهل الشام بالبيعة من بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز ، وجعلتهما وليَّ العهد .

* ذكر الخبر عن سبب عقد مروان ذلك لها :

قال هشام ، عن عوانة قال : لما هَزَمَ عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق مصعب بن الزبير حين وجهه أخوه عبدُ الله إلى فلسطين وانصرف راجعاً إلى مروان ، ومروانُ يومئذٍ بدمشق ، قد غلب على الشام كلها ومصر ، وبلغ مروان أن عمرأ يقول : إن هذا الأمر لي من بعد مروان ، ويدعى أنه قد كان وعده وعداً ، فدعا مروانُ حسان بن مالك بن بحدل فأخبره أنه يريد أن يبايع لعبد الملك وعبد العزيز ابنيه من بعده ، وأخبره بما بلغه عن عمرو بن سعيد ، فقال : أنا أكفيك عمراً ، فلما اجتمع الناس عند مروان عشيّاً قام ابن بحدل فقال : إنه قد بلغنا أن رجلاً يتمنون أمانى ، قوموا فبايعوا لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده ، فقام الناس ، فبايعوا من عند آخرهم .

* * *

[ذكر الخبر عن موت مروان بن الحكم]

وفي هذه السنة مات مروانُ بنُ الحَكَمَ بدمشق مستهلاً شهر رمضان .

* ذكر الخبر عن سبب هلاكه :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني موسى بن يعقوب ، عن أبي الحويرث ، قال : لما حضرت معاوية ابن يزيد أبا ليلى الوفاة ، أبى أن يستخلف أحداً ، وكان حسان بن مالك بن بحدل يريد أن يجعل الأمر بعد معاوية بن يزيد لأخيه خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان صغيراً ، وهو خال أبيه يزيد بن معاوية ، فبايع لمروان ، وهو يريد أن يجعل الأمر بعده لخالد بن يزيد ، فلما بايع لمروان وبايعه معه أهل الشام قيل لمروان : تزوج أم خالد — وأمّه أم خالد ابنة أبي هشام بن عتبة — حتى تصغر

شأنه ، فلا يطلب الخلافة ؛ فترتّبها ، فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة كثيرة ، وهو يمشی بين الصفین ، فقال : إنه والله ما علمت لأحق ، تعال يا بن الرّطبة الاست - یقصر به لیسقطه من أعین أهل الشام - فرجع إلى أمه فأخبرها ، فقالت له أمه : لا یعرفنّ ذلك منك ، واسكت فإني أكفيكه ؛ فدخل عليها مروان ، فقال لها : هل قال لك خالد فی شیئاً ؟ فقالت : وخالد يقول فيك شیئاً ! خالد أشدّ لك إعظاماً من أن يقول فيك شیئاً ؛ فصدّقها ، ثمّ مكثت أياماً ، ثمّ إنّ مروان نأّم عندها ، فغطّته بالسّادة حتى قتلتّه .

قال أبو جعفر : وكان هلاك مروان في شهر رمضان بدمشق ، وهو ابن ثلاث وستين سنة في قول الواقدي ؛ وأمّا هشام بن محمد الكلبي فإنه قال : كان يوم هلك ابن إحدی وستين سنة ؛ وقيل : توفّي وهو ابن إحدی وسبعين سنة ؛ وقيل : ابن إحدی وثمانين سنة ؛ وكان یکنی أبا عبد الملك ، وهو مروان بن الحکم بن أبی العاص بن أمیّة بن عبد شمس ، وأمّه أمّة بنت علقمة ابن صفوان بن أمیّة الکنانی ، وعاش بعد أن بویع له بالخلافة تسعة أشهر ؛ وقيل : عاش بعد أن بویع له بالخلافة عشرة أشهر إلاّ ثلاث لیل ، وكان قبل هلاكه قد بعث بعثین : أحدهما إلى المدينة ، عليهم حبیش بن دلجة القسبي ، والآخر منهما إلى العراق ، عليهم عبید الله بن زياد ، فأما عبید الله ابن زياد فسار حتى نزل الجزيرة ، فأتاه الخبر بها بموت مروان ، وخرج إليه التّوابون من أهل الكوفة طالبن بدم الحسين ، فكان من أمرهم ما قد مضى ذكره ، وسنذكر إن شاء الله باقي خبره إلى أن قُتل .

* * *

[ذكر خبر مقتل حبیش بن دلجة]

وفي هذه السنة قتل حبیش بن دلجة . وأمّا حبیش بن دلجة ؛ فإنه سار حتى انتهى - فيما ذكر عن هشام ، عن عوانة بن الحکم - إلى المدينة ، وعليهم جابر ابن الأسود بن عوف ، ابن أخی عبد الرحمن بن عوف ؛ من قبيل عبد الله بن

الزبير ، فهرب جابر من حُبَيْش . ثمَّ إنَّ الحارث بن أبي ربيعة — وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة — وجَّه جيشًا من البصرة ، وكان عبد الله بن الزبير قد ولَّاه البصرة ، عليهم الحنيف بن السجَّف التيميَّ لحرب حُبَيْش ابن دُلْجَة ، فلما سمع حُبَيْش بن دُلْجَة سار اليهم من المدينة ، وسرَّح عبد الله ابن الزبير عبَّاس^(١) بن سهل بن سعد الأنصاريَّ على المدينة ، وأمره أن يسيرَ في طلب حُبَيْش بن دُلْجَة حتى يوافيَ الجند من أهل البصرة الذين جاءوا يَنْصُرُون ابنَ الزبير ، عليهم الحنيف ، وأقبل عبَّاس في آثارهم مُسرِّعًا حتى لحقهم بالربذة ، وقد قال أصحاب ابن دلجة له : دَعْنِهِمْ ، لا تعجلْ إلى قتالهم ؛ فقال : لا أنزل حتى آكلَ من مُقَنَّدهم ، — يعنى السَّوِيق الذى فيه القَنْد — فجاءه سهمٌ غَرَّبَ فَقَتَلَهُ ، وقتل معه المنذر بن قيس الجذامى ، وأبو عتاب مولى أبى سُفْيَان ، وكان معه يومئذ يوسفُ بن الحكم ، والحجاج بن يوسف ، وما نَجَّجُوا يومئذ إلا على جَسَل واحد ، وتحرَّزَ منهم نحوٌ من خمسمائة في عمود المدينة ، فقال لهم عبَّاس : انزلوا على حُكْمى ، فنزلوا على حُكْمِهِ فضرب أعناقهم ، ورجع فلٌ حُبَيْش إلى الشام .

٥٧٩/٢

حدثني أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد أنه قال : الذى قتل حُبَيْش ابن دُلْجَة يوم الربذة يزيد بن سِيَّاه الأسوارى ، رماه بنُشَابَة فقتله ، فلما دخلوا المدينة وقف يزيد بن سياه على بَرْدَوْنٍ أَشْهَبَ وعليه ثيابٌ بياض ، فما لبث أن اسودَّت ثيابه ، ورأيتُه ممَّا مسح الناسُ به ومما صبَّوا عليه من الطَّيِّب .

* * *

[ذكر خبر حدوث الطاعون الجارف]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وقع بالبصرة الطاعونُ الذى يقال له الطاعون الجارف ، فهلك به خلقٌ كثيرٌ من أهل البَصْرَة .

حدثني عمرُ بنُ شُبَّة ، قال : حدثني زهير بن حرب ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثني أبى ، عن المصعب بن زيد أن الجارف وقع وعبيد الله بن

٥٨٠/٢

(١) ط : « عياش » ، وانظر الفهرس .

عبيد الله بن معمر على البصرة ، فأتت أمه في الجارف ، فها وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة علوج فحملوها إلى حفرتها وهو الأمير يومئذ .

[مقتل نافع بن الأزرق واشتداد أمر الخوارج]

وفي هذه السنة اشتدت شوكة الخوارج بالبصرة ، وقتل فيها نافع بن الأزرق .
* ذكر الخبر عن مقتله :

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا زهير بن حرب ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا أبي ، عن محمد بن الزبير ، أن عبيد الله بن عبيد الله بن معمر بعث أخاه عثمان بن عبيد الله إلى نافع بن الأزرق في جيش ، فلقبهم بدولاب ، فقتل عثمان وهزم جيشه .

قال عمر : قال زهير : قال وهب : وحدثنا محمد بن أبي عيينة ، عن سبرة بن نخف ، أن ابن معمر عبيد الله بعث أخاه عثمان إلى ابن الأزرق ، فهزم جنده وقتل ، قال وهب : فحدثنا أبي أن أهل البصرة بعثوا جيشاً عليهم حارثة بن بدر ، فلقبهم ، فقال لأصحابه :

كَرَبُوا وَدَوَلِبُوا وَحَيْثُ شَتَمُوا فَادْهَبُوا

حدثنا عمر ، قال : حدثنا زهير ، قال : حدثنا وهب ، قال : حدثنا أبي ومحمد بن أبي عيينة ، قالا : حدثنا معاوية بن قرّة ، قال : خرجنا مع ابن عبيس فلقيناهم ، فقتل ابن الأزرق وابنان أو ثلاثة للماحوز ، وقتل ابن عبيس .
قال أبو جعفر : وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف ، عن أبي المخارق الراسبي من قصة ابن الأزرق ، وبنى الماحوز قصة هي غير ما ذكره عمر ، عن زهير بن حرب ، عن وهب بن جرير ، والذي ذكر من خبرهم أن نافع بن الأزرق اشتدت شوكته باشتغال أهل البصرة بالاختلاف الذي كان بين الأزرق وربيعه وتميم بسبب مسعود بن عمرو ، وكثرت جموعه ، فأقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر ، فبعث إليه عبد الله بن الحارث مسلم ابن عبيس بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف في أهل

البصرة ، فخرج إليه ، فأخذ يحوزه عن البصرة ، ويدفعه عن أرضها ، حتى بلغ مكاناً من أرض الأهواز يقال له : دُولَاب ، فتهيأ الناس بعضهم لبعض وتراحفوا ، فجعل مسلم بن عبيس على ميمنته الحجاج بن باب الحميرى ، وعلى ميسرته حارثة بن بدر التميمى ، ثم الغدأتى ، وجعل ابنُ الأزرُق على ميمنته عبيدة بن هلال اليشكري ، وعلى ميسرته الزبير بن الماحوز التميمى ؛ ثم التقوا فاضطربوا ، فاقتتل الناس قتالاً لم يُر قتال قط أشد منه ، فقتل مسلم ابن عبيس أمير أهل البصرة ، وقتل نافع بن الأزرُق رأس الخوارج ، وأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميرى ، وأمرت الأزارقة عليهم عبد الله ابن الماحوز ، ثم عادوا فاقتتلوا أشد قتال ، فقتل الحجاج بن باب الحميرى أمير أهل البصرة ، وقتل عبد الله بن الماحوز أمير الأزارقة . ثم إن أهل البصرة أمروا عليهم ربيعة الأجذم التميمى ، وأمرت الخوارج عليهم عبيد الله بن الماحوز ، ثم عادوا فاقتتلوا حتى أمسوا ، وقد كثره بعضهم بعضاً ، وماتوا القتال ، فإنهم لمُتوا ففون^(١) متحاجزون حتى جاءت الخوارج سرية لهم جامعة لم تكن شهدت القتال ، فحملت على الناس من قبل عبد القيس ، فانهزم الناس ، وقاتل أمير البصرة ربيعة الأجذم^(٢) ، فقتل ، وأخذ راية أهل البصرة حارثة بن بدر ، فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه ، فقاتل من وراء الناس فى حمايتهم ، وأهل الصبر منهم ، ثم أقبل بالناس حتى نزل بهم منزلاً بالأهواز فى ذلك يقول الشاعر من الخوارج :

٥٨٢/٢

يا كَبِداً من غيرِ جُوعٍ ولا ظَمًا ويا كَبِداً من حُبٍّ أمَّ حَكِيمٍ^(٣)
ولو شَهِدْتَنى يومَ دُولَابٍ أبْصرتُ طِعانَ امرئٍ فى الحربِ غيرِ لَثِيمٍ^(٤)

(١) ف : « لكذلك متوافقون » . (٢) الكامل : « الربيع بن عمرو الأجذم الغداني » .

(٣) الكامل ٦١٨ ، ٦١٩ طبع أوربا ؛ بزيادة فى الأبيات : ونسبها إلى قطرى بن الفجاءة .

وأم حكيم : امرأة من الخوارج كانت معه ؛ وكانت تحمل على الناس وترتجز :

أَحْمِلُ رَأْساً قد سَمِمتُ حَمْلَهُ وقد مللتُ دَهَنَهُ وغَسَلَهُ
* ألا فتى يحمل عني ثِقَلَهُ *

(٤) الكامل : « فتى فى الحرب غير ذميم » .

غَدَاةَ طَفَّتْ فِي الْمَاءِ بِكَرُ بْنُ وَائِلٍ وَعُجْنَا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمٍ^(١)
وَكَانَ لَعَبْدِ الْقَيْسِ أَوَّلُ حَدَّنَا وَذَلَّتْ شُيُوخُ الْأَزْدِ وَهِيَ تَعُومُ^(٢)

وبلغ ذلك أهل البصرة ، فهالهم وأفرعهم ، وبعث ابن الزبير الحارث ابن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي على تلك الحيرة ، فقدم ، وعزل عبد الله ابن الحارث ، فأقبلت الخوارج نحو البصرة ، وقدم المهلب بن أبي صفرة على تلك^(٣) من حال الناس^(٤) من قبل عبد الله بن الزبير ، معه عهده على خراسان ، فقال الأحنف للحارث بن أبي ربيعة وللناس عامة : لا والله ، ما لهذا الأمر إلا المهلب [بن أبي صفرة]^(٥) ، فخرج أشراف الناس ، فكلّموه أن يتولّى قتال الخوارج ، فقال : لا أفعل ، هذا عهد أمير المؤمنين معي على خراسان ، فلم أكن لأدع عهده وأمره ، فدعاه ابن أبي ربيعة فكلّمه في ذلك ، فقال له مثل ذلك ، فاتفق رأى ابن أبي ربيعة ورأى أهل البصرة على أن كتبوا على لسان ابن الزبير :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإن الحارث بن عبد الله كتب إلى أن الأزاقة المارقة أصابوا جنداً

(١) رواية الكامل : « علكم » .

(٢) رواية الكامل :

غَدَاةَ طَفَّتْ عِلْمَاءُ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ
وَكَانَ لَعَبْدِ الْقَيْسِ أَوَّلُ جَدَّهَا
وَوَلَّتْ شُيُوخُ الْأَزْدِ فِي حَوْمَةِ الْوَعْيِ
فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مُقْعَصًا
وَضَارِبَةً خَدًا كَرِيمًا عَلَى فَتَى
أَصِيبَ بَدُولَابٍ وَلَمْ تَكْ مَوْطِنًا
فَلَوْ شَهِدْتَنَا يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَا
رَأَتْ فَتِيَّةً بَاعُوا إِلَهُ نَفْسَهُمْ
(٣) ف : « ذلك » . (٤) ف : « المسلمين » . (٥) من ف .

وَعُجْنَا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمٍ
وَأَحْلَافُهَا مِنْ يَحْصُبٍ وَسَلِيمٍ
تَعُومُ وَظَلْنَا فِي الْجَلَادِ نَعُومٍ
يَمِجُ دَمًا مِنْ فَائِظٍ وَكَلِيمٍ
أَغْرَ نَجِيبِ الْأَمْهَاتِ كَرِيمٍ
لَهُ أَرْضُ دُولَابٍ وَدِيرِ حَمِيمٍ
تَبِيحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمٍ
بَجَنَاتٍ عَدَنَ عِنْدَهُ وَنَعِيمٍ

للمسلمين كان عددهم كثيراً ، وأشرافهم كثيراً ، وذكر أنهم قد أقبلوا نحو البصرة ، وقد كنت وجهتُك إلى خُرَاسانَ ، وكتبت لك عليها عهداً ، وقد رأيتُ حيث ذكر هذه الخوارج أن تكون أنت تلى قتالهم ، فقد رجوتُ أن يكون ميموناً طائرك ، مباركاً على أهل مصرِك ، والأجر في ذلك أفضل من المسير إلى خُرَاسان ، فسرُ إليهم راشداً ، فقاتلُ عدوَّ الله وعدوَّك ، ودافع عن حقلِك وحقوقِ أهل مصرِك ، فإنه لن يفوتك من سلطاننا خُرَاسانُ ولا غيرُ خُرَاسانَ إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله . ٥٨٤/٢

فأتيتُ^(١) بذلك الكتاب ، فلما قرأه قال : فإنِّي والله لا أسير إليهم إلا أن تجعلوا لي ما غلبتُ عليه ، وتُعْطوني من بيت المال ما أقوى به من معي ، وأنتخب من فُرسان الناس وجوههم وذَوِي الشرف من أحببت ؛ فقال جميعُ أهل البصرة : ذلك لك ؛ قال : فاكتبوا لي على الأخماس بذلك كتاباً ففعلوا ، إلا ما كان من مالك بن مسمِع وطائفة من بكر بن وائل ، فاضطغنَتْها عليهم المهلب ، وقال الأحنف وعبيد الله بن زياد بن ظبيان وأشراف أهل البصرة للمهلب : وما عليك ألا يَكُتَب لك مالك بن مسمع ولا من تابعه من أصحابه ، إذا أعطاك الذي أردت من ذلك جميع أهل البصرة ! ويستطيع مالك خلاف جماعة الناس أوله ذلك ! انكمشُ أيها الرجل ، واعزم على أمرِك ، وسرُ إلى عدوِّك ؛ ففعل ذلك المهلب ، وأمرَ على الأخماس ، فأمرَ عبيد الله بن زياد بن ظبيان على خمس بكر بن وائل ، وأمرَ الحرَيش ابن هلال السعدي على خمس بني تميم ، وجاءت الخوارج حتى انتهت إلى الجسر الأصغر ، عليهم عبيد الله بن الماحوز ، فخرج إليهم في أشراف الناس وفُرسانهم وجوههم ، فحازهم^(٢) عن الجسر ، ودفعهم عنه ، فكان أولُ شيء دفعهم عنه أهل البصرة ، ولم يكن بقي لهم إلا أن يدخلوا ؛ فارتفعوا إلى الجسر الأكبر . ثم إنه عبأ لهم ، فسار إليهم في الخيل والرجال ، فلما أن رأوا أن قد أظْلَ عليهم ، وانتهى إليهم ، ارتفعوا فوق ذلك مَرَحَلَة أخرى ، فلم يزل يحوزهم ويرفعهم مَرَحَلَة بعد مَرَحَلَة ، ومترلة بعد مترلة ، حتى انتهوا إلى منزل

٥٨٥/٢

(٢) ف : « فعاربهم » .

(١) ف : « وأتى » .

من منازل الأهواز يقال له سَلْتَى وسَلْتَبَرَى ، فأقاموا به ؛ ولما بلغ حارثة بن بدر الغد أنى أن المهلب قد أمّر على قتال الأزارقة ، قال لمن معه من الناس :

كَرَّيْبُوا وَذُولِيْبُوا وَحَيْثُ شَتَمُ فَأَذْهَبُوا

* قد أمّر المهلب *

فأقبل من كان معه نحو البصرة ، فصرّفهم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة إلى المهلب ؛ ولما نزل المهلب بالقوم خندَقَ عليه ، ووضع المسالِحَ ، وأذكى العيون ، وأقامَ الأحراسَ ، ولم يزل الجندُ على مصافّهم ، والناس على زياتهم وأخماسهم ، وأبواب الخنادق عليها رجال موكّلون بها ، فكانت الخوارج إذا أرادوا إبيات المهلب وجدوا أمراً مُحْكَمًا ، فرجعوا ، فلم يقاتلهم إنسان قطّ كان أشدّ عليهم ولا أغيظَ لقلوبهم منه .

قال أبو مخنف : فحدثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، أن رجلاً كان في تلك الخوارج حدثه أن الخوارج بعثت عبيدة ابن هلال والزبير بن الماحوز في خيلين عظيمين ليلا إلى عسكر المهلب ، فجاء الزبير من جانبه الأيمن ، وجاء عبيدة من جانبه الأيسر ، ثمّ كبروا وصاحوا بالناس ، فوجدوهم على تعبيتهم ومصافّهم حذرين مُغْدِّين ، فلم يصيبوا للقوم غيرةً ، ولم يظفروا منهم بشيء ، فلما ذهبوا ليرجعوا ناداهم عبيد الله ابن زياد بن ظبيان فقال :

وَجَدْتُمُونَا وَقُرَّا أَنْجَادَا لَا كُشْفًا خُورًا وَلَا أَوْغَادَا^(١)

هيهات ! إننا إذا صبحَ بنا أتيَسْنَا ، يا أهل النار ، ألا ابكروا إليها غدًا ، فإنها مأواكم ومثواكم ؛ قالوا : يا فاسق ، وهل تُدّخر النار إلا لك ولأشباهك ! إنها أعدت للكافرين وأنت منهم ؛ قال : أسمعون ! كلُّ مملوك لي حرّ

(١) الكامل ٦٦٩ (طبع أوربا) ؛ ونسبه إلى الحريش بن هلال ؛ وذكر معه بيتاً آخر بهذه

الرواية :

لَقَدْ وَجَدْتُمْ وَقُرَّا أَنْجَادَا لَا كُشْفًا مَيْلًا وَلَا أَوْغَادَا

هيهات ! تُلْفُونَنَا رُقَادَا لَا بَلْ إِذَا صَبَحَ بَنَا آسَادَا

إِنْ دَخَلْتُمْ أَنْتُمْ الْجَنَّةَ إِنْ بَقِيَ فِيهَا بَيْنَ سَفَوَانٍ إِلَى أَقْصَى حَجَرٍ مِنْ أَرْضِ خُرَّاسَانَ
مَجُوسِيٌّ يَنْكُحُ أُمَّهُ وَابْنَتَهُ وَأَخْتَهُ إِلَّا دَخَلَهَا ؛ قَالَ لَهُ عَبِيدَةُ : اسْكُتْ يَا فَاسِقُ
فَإِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ لِلْجَبَّارِ الْعَنِيدِ ، وَوَزِيرٌ لِلظَّالِمِ الْكَافُورِ ؛ قَالَ : يَا فَاسِقُ ، وَأَنْتَ
عَدُوٌّ الْمُؤْمِنِ التَّقِيِّ ، وَوَزِيرُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ؛ فَقَالَ النَّاسُ لِابْنِ ظَبْيَانَ : وَفَقَلْتُ
اللَّهُ يَا بَنَ ظَبْيَانَ ؛ فَقَدْ وَاللَّهِ أَجَبْتَ الْفَاسِقَ بِجَوَابِهِ ، وَصَدَقْتَهُ . فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ
أَخْرَجَهُمْ الْمُهَلَّبُ عَلَى تَعْيِيَتِهِمْ وَأَخْمَاسِهِمْ ، وَمُوَاقِفِهِمْ الْأَزْدُ ، وَتَمِيمِ مِيمَنَةِ النَّاسِ ،
وَبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَعَبْدِ الْقَيْسِ مِيسَرَةَ النَّاسِ ، وَأَهْلَ الْعَالِيَةِ فِي الْقَلْبِ وَسُطَّ
النَّاسِ .

وَخَرَجَتْ الْخَوَارِجُ عَلَى مِيمَنَتِهِمْ عَبِيدَةُ بْنُ هَلَالِ الْيَشْكُرِيِّ ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِمْ
الزَّيْبِرُ بْنُ الْمَاحُوزِ ، وَجَاءُوا وَهُمْ أَحْسَنُ عُدَّةٍ ، وَأَكْرَمُ خَيْلٍ ، وَأَكْثَرُ سِلَاحًا
مَنْ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ نَخَرُوا الْأَرْضَ وَجَرَدُوهَا ، وَأَكَلُوا مَا بَيْنَ كَرْمَانَ
إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَجَاءُوا عَلَيْهِمْ مَغَافِرُ تَضْرِبُ إِلَى صُدُورِهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ دُرُوعٌ
يَسْحَبُونَهَا ، وَسُوقٌ مِنْ زَرْدٍ يَشْدُونَهَا بِكَلَالِبِ الْحَدِيدِ إِلَى مَنَاطِقِهِمْ ، فَالْتَقَى
النَّاسُ فَاقْتَتَلُوا كَأَشَدِّ الْقِتَالِ ، فَصَبَرَ بَعْضُهُمْ عَامَّةَ النَّهَارِ . ثُمَّ إِنَّ الْخَوَارِجَ
شَدَّتْ عَلَى النَّاسِ بِأَجْمَعِهَا شِدَّةً مُنْكَرَةً ، فَأَجْفَلَ النَّاسُ وَانْصَاعُوا مِنْهَزِمِينَ
لَا تَلْوِي أُمَّ عَلَى وَلَدٍ ^(١) حَتَّى بَلَغَ الْبَصْرَةَ هَزِيمَةُ النَّاسِ ، وَخَافُوا السَّبَاءَ ، وَأَسْرَعَ
الْمُهَلَّبُ حَتَّى سَبَقَهُمْ إِلَى مَكَانٍ يَتَفَاعُ فِي جَانِبِ عَنِ سَنَنِ الْمُنْهَزِمِينَ .

ثُمَّ إِنَّهُ نَادَى النَّاسَ : إِلَى إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ، فَثَابَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِ ،
وَثَابَتْ إِلَيْهِ سَرِّيَّةُ عُثْمَانَ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، فَلَمَّا
نَظَرَ إِلَى مَنْ قَدْ اجْتَمَعَ رَضِيَ جَمَاعَتَهُمْ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ رَبَّنَا يَكْثُرُ الْجَمْعُ الْكَثِيرَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فِيهِمْ هَزَمُونَ ، وَيُنْزِلُ
النَّصْرَ عَلَى الْجَمْعِ الْيَسِيرِ فَيُظْهِرُونَ ، وَلَسَعَمْرَى مَا بِكُمْ الْآنَ مِنْ قَلَّةٍ ، إِنِّي
لَجَمَاعَتِكُمْ لِرَاضٍ ؛ وَإِنَّكُمْ لِأَنْتُمْ أَهْلُ الصَّبْرِ ، وَفُرْسَانُ أَهْلِ الْمِصْرِ ، وَمَا أَحَبُّ
أَنْ أَحَدًا مِنْهُمْ أَنْهَزَ مَعَكُمْ ، فَإِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا زَادَكُمْ إِلَّا خَبَالًا . عَزَمْتُ
عَلَى كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْكُمْ لَمَّا أَخَذَ عَشْرَةَ أَحْجَارٍ مَعَهُ ، ثُمَّ امْشَوْا بَنَاتِنَا نَحْوُ

عسكرهم ، فإنهم الآن آمنون ، وقد خرجت خيلهم في طلب لإخوانكم ؛ فوالله
 لئن لأرجو ألا ترجع إليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم ، وتقتلوا أميرهم .
 ففعلوا ، ثم أقبل بهم راجعاً ، فلا والله ما شعرت الخوارج إلا بالمهلب يضاربهم
 بالمسلمين في جانب عسكرهم . ثم استقبلوا عبيد الله بن الماحوز وأصحابه ،
 وعليهم الدروع والسلاح كاملاً ، فأخذ الرجل من أصحاب المهلب يستقبل
 الرجل منهم ، فيستعرض وجهه بالحجارة فيرميه حتى يشخنه ، ثم يطعنه بعد
 ذلك برمح ، أو يضربه بسيفه ، فلم^(١) يقاتلهم إلا ساعة حتى قُتل عبيد الله
 ابن الماحوز ، وضرب الله وجوه أصحابه ؛ وأخذ المهلب عسكر القوم وما فيه ،
 وقتل الأزارقة قتلاً ذريعاً ، وأقبل من كان في طلب أهل البصرة منهم راجعاً ؛
 وقد وضع لهم المهلب^(٢) خيلاً ورجالاً في الطريق تختطفهم وتقتلهم ، فانكفثوا
 راجعين مفلولين ، مقتولين محروبين^(٣) ، مغلوبين ؛ فارتفعوا إلى كرم مان
 وجانب أصفهان ، وأقام المهلب بالأهواز ، ففي ذلك اليوم يقول الصلّتان^٤
 العبدى :

بِسِلِّي وَسِلْبَرِي مَصَارِعُ فَتِيَةٍ كَرَامٍ وَقَتَلَى لَمْ تُوسِدْ خَدُودَهَا^(٤)
 وانصرفت الخوارج حين انصرفت ؛ وإن أصحاب النيران الخمس والست
 لسيجتمعون على النار الواحدة من الفلول وقلة العدد ، حتى جاءتهم مادة^٥ لهم من
 قبل البحرين ، فخرجوا نحو كرم مان وأصفهان ؛ فأقام المهلب بالأهواز
 فلم يزل ذلك مكانه حتى جاء مُصعب البصرة ، وعزل الحارث بن عبد الله بن
 أبي ربيعة عنها .

ولما ظهر المهلب على الأزارقة كتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . للأمر الحارث بن عبد الله ، من المهلب بن
 أبي صفرة . سلام عليك ؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد
 فالحمد لله الذي نصر أمير المؤمنين ، وهزم الفاسقين ، وأنزل بهم نقمته ، وقتلهم
 كل قتلة ، وشردهم كل مشرد . أخبر الأمير أصلحه الله أننا لقينا الأزارقة

(١) ف : « ولم » . (٢) ف : « المهلب لهم » . (٣) ف : « محزونين » .

(٤) الكامل ٦٣٨ ، وروايته : « كرام وجرحي » .

بأرض من أرض الأهواز يقال لها سِلَى وسِلْبَرَى؛ فرحنا إليهم ثم ناهضناهم، فاقتلنا كأشد القتال ملياً من النهار. ثم إن كتائب الأزارقة اجتمع بعضها إلى بعض، ثم حملوا على طائفة من المسلمين فهزموهم؛ وكانت في المسلمين جولة قد كنت أشفت أن تكون هي الأصرى منهم. فلما رأيت ذلك عمدت إلى مكان يتقاع فعلوته، ثم دعوت إلى عشيرتي خاصة والمسلمين عامة، فثاب إلى أقوام شرواً أنفسهم ابتغاء مرضاة الله من أهل الدين والصبر والصدق والوفاء، فقصدت بهم إلى عسكر القوم؛ وفيه جماعتهم وحدهم وأميرهم قد أطاف^(١) به أولو فضلهم فيهم، وذوو النيات منهم؛ فاقتلنا ساعة رمياً بالنبل، وطعنا^(٢) بالرماح. ثم خلص الفريقان إلى السيوف؛ فكان الجلال بها ساعة من النهار مبالطة ومبالدة. ثم إن الله عز وجل أنزل نصره على المؤمنين، وضرب وجوه الكافرين ونزل طاغيتهم في رجال كثير من حماتهم وذوى نياتهم، فقتلهم الله في المعركة. ثم اتبعت الخيل شراذمهم^(٣) فقتلوا في الطريق والآخاذ^(٤) والقرى، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليك ورحمة الله.

فلما أتى هذا الكتاب الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بعث به إلى الزبير فقرأ على الناس بمكة.

٥٩٠ / ٢

وكتب الحارث بن أبي ربيعة إلى المهلب:

أما بعد؛ فقد بلغني كتابك، تذكر فيه نصر الله إليك، وظفر المسلمين، فهنيئاً لك يا أخا الأزدي بشرف الدنيا وعزها، وثواب الآخرة وفضلها، والسلام عليك ورحمة الله.

فلما قرأ المهلب كتابه ضحك ثم قال: أما تظنونني يعرفني إلا بأخي الأزدي! ما أهل مكة إلا أعراب.

قال أبو مخنف: فحدثني أبوالمُخَارِق الراسبي أن أبا علقمة السحْمَدِي قاتل يوم سِلَى وسِلْبَرَى قتالاً لم يقاتله أحد من الناس؛ وأنه أخذ ينادي في

(٢) ف: «واطنا».

(٤) ف: «والأخايد».

(١) ف: «أطافت».

(٣) ف: «شذاذهم».

شَبَاب الأَرْد وفتيان اليَحْمَد : أعبرونا جَمَاعِمِكم ساعةً من نهار؛ فأخذ فتیانٌ منهم يَكْرُونَ، فيقاتلون ثم يرجعون إليه؛ يضحكون ويقولون: يا أبا علقمة، القدورُ تُستعار! فلما ظهر المهلبُ ورأى من بلائه ما رأى وفاءه مائة ألف . وقد قيل : إنَّ أهلَ البصرة قد كانوا سألوا الأحنفَ قبيلَ المهلب أن يقاتل الأزارقة، وأشار عليهم بالمهلب، وقال: هو أقوى على حربهم مني، وإن المهلب إذ أجابهم إلى قتالهم شَرَطَ على أهل البصرة أن ما غلب عليه من الأرض فهو له ولن خفَّ معه من قومه وغيرهم ثلاث سنين، وأنه ليس لمن تخلف عنه منه شيء . فأجابوه إلى ذلك، وكتب بذلك عليهم كتاباً، وأوفدوا بذلك وفداً إلى ابن الزبير .

وإنَّ ابن الزبير أمضى تلك الشروط كلَّها للمهلب وأجازها له، وإنَّ المهلب لما أُجيب إلى ما سأل وبَّه ابنه حبيباً في ستمائة فارس إلى عمرو القنساء، وهو معسكر خلف الجسر الأصغر في ستمائة فارس، فأمر المهلب بعقد الجسر الأصغر، فقطع حبيب الجسر إلى عمرو ومن معه؛ فقاتلهم حتى نفاهم عما بين الجسر، وانهزموا حتى صاروا من ناحية القنرات، وتجهَّز المهلب فيمن خفَّ من قومه^(١) معه، وهم اثنا عشر ألف رجل، ومن سائر الناس سبعون رجلاً، وسار المهلب حتى نزل الجسر الأكبر، وعمرو القنات بإزائه في ستمائة . فبعث المغيرة بن المهلب في الخيل والرجالة، فهزمتهم الرجالة بالنبل، واتبعتهم الخيل، وأمر المهلب بالجسر فعُقد، فعبر هو وأصحابه، فلاحق عمرو القنات حينئذ بابن الماحوز وأصحابه؛ وهو بالمتفتِّح، فأخبروهم الخبر، فساروا فغسكروا دون الأهواز بثمانية فراسخ، وأقام المهلب بقية سنته، فجبى كُور دجلة، ورزق أصحابه، وأتاه المدد من أهل البصرة لما بلغهم ذلك؛ فأثبتهم في الديوان وأعطاهم حتى صاروا ثلاثين ألفاً .

قال أبو جعفر : فعلى قول هؤلاء كانت الواقعة التي كانت فيها هزيمة الأزارقة وارتحلهم عن نواحي البصرة والأهواز إلى ناحية أصبهان وكرمان في

(١) ف : « معه من قومه » .

سنة ست وستين . وقيل : إنهم ارتحلوا عن الأهواز وهم ثلاثة آلاف ، وإنه قتل منهم في الواقعة التي كانت بينهم وبين المهلب بسلى وسلبرى سبعة آلاف .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وجّه مروان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمدًا إلى الجزيرة ، وذلك قبل مسيره إلى مصر .

٥٩٢/٢

* * *

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير عبد الله بن يزيد عن الكوفة ، وولّاها عبد الله بن مطيع ، ونزع عن المدينة أخاه عبيدة بن الزبير ، وولّاها أخاه مُصعب بن الزبير ، وكان سبب عزله أخاه عبيدة عنها أنه - فيما ذكر الواقدي - خطب الناس فقال لهم : قد رأيتم ما صنّع بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فسمي مقوم الناقة ؛ وبلغ ذلك ابن الزبير فقال : إن هذا هو التكلّف .

* * *

[ذكر خبر بناء عبد الله بن الزبير البيت الحرام]

وفي هذه السنة بنى عبد الله بن الزبير البيت الحرام ، فأدخل الحجر فيه . أخبرنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : حدثني عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعاني أبو محمد ، قال : حدثني زياد بن جيل أنه كان بمكة يوم غلب ابن الزبير ، فسمعه يقول : إن أي أسماء بنت أبي بكر حدثتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة : لولا حداثة عهد قومك بالكفر رددت الكعبة على أساس إبراهيم ؛ فأزيد في الكعبة من الحجر . فأمر به ابن الزبير فحفر ، فوجدوا قِلاعًا أمثال الإبل ، فحرقوا منها صخرة ، فبرقت بارقة فقال : أقرّوها على أساسها ، فبناها ابن الزبير ، وجعل لها بايين : يُدخل من أحدهما ويُخرج من الآخر .

* * *

قال أبو جعفر : وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكان على المدينة أخوه مصعب بن الزبير ، وعلى الكوفة في آخر السنة عبد الله بن مطيع ، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ؛ وهو الذي

٥٩٣/٢

يقال له القُصَباء . وعلى قضائها هشام بن هُبَيْرَة ، وعلى خراسان عبد الله بن خازم .

* * *

[خروج بني تميم بخراسان على عبد الله بن خازم]

وفي هذه السنة خالف مَن كان بخُراسان من بني تميم عبد الله بن خازم حتى وقعت بينهم حروب .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان السبب في ذلك — فيما ذكر — أن مَن كان بخُراسان من بني تميم أعانوا عبد الله بن خازم على مَن كان بها من ربيعة ، وعلى حرب أوس بن ثعلبة حتى قَتَلَ من قَتَلَ منهم ، وظَفِر به ؛ وصفا له خراسان ، فلما صفا له ولم يَنَازعه به أحد جِغَافهم . وكان قد ضمَّ هَرَاةَ إلى ابنه محمد واستعمله عليها ؛ وجعل بكير بن وِشَاح على شُرطته ، وضمَّ إليه شَمَّاس بن دِثَار العُطَارِدِيّ ؛ وكانت أمُّ ابنه محمد امرأةً من تميم تدعى صَفِيَّة ، فلما جفا ابن خازم بني تميم أنُوا ابنه مُحَمَّدًا بهَرَاةَ ؛ فكتب ابن خازم إلى بكير وِشَاس يأمرهما بمنع بني تميم من دخول هَرَاةَ ؛ فأما شَاس بن دِثَار فأبَى ذلك ، وخرج من هَرَاةَ ، فصار من بني تميم ، وأما بُكَيْر فَمَنَعهم من الدخول .

٥٩٤/٢

فذكر على بن محمد أن زهير بن الهُنَيْد حَدَّثَهُ أَنَّ بُكَيْر بن وِشَاح لما منع بني تميم من دخول هَرَاةَ أقاموا ببلاد هَرَاةَ ، وخرج إليهم شَمَّاس بن دِثَار فأرسل بكير إلى شَاس : إني أعطيك ثلاثين ألفًا ، وأعطى كلَّ رجل من بني تميم ألفًا على أن ينصرفوا ، فأبوا ، فدخلوا المدينة ، وقتلوا محمد بن عبد الله ابن خازم . قال على : فأخبرنا الحسن بن رُشيد ، عن محمد بن عزيز الكندي قال : خرج محمد بن عبد الله بن خازم يتصيّد بهَرَاةَ ، وقد منع بني تميم من دخولها ، فرصدوه ، فأخذوه فشدّوه وثاقًا ، وشربوا ليلتهم ، وجعل كلُّهم أراد رجل منهم البول بال عليه ، فقال لهم شَاس بن دِثَار : أما إذ بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبَيْكما اللَّذَيْن قتلتهما بالسياط . قال : وقد كان أخذ قبيل

ذلك رجلين من بني تميم ، فضر بهما بالسياط حتى ماتا . قال : فقتلوه ، قال :
 فزعم لنا عمن شهد قتله من شيوخهم أن جسيهان^(١) بن مشجعة الضبيّ نهاهم
 عن قتله ، وألقى نفسه عليه ، فشكر له ابن خازم ذلك ، فلم يقتله فيمن قتل
 يوم فرّتنا^(٢) . قال : فزعم عامر بن أبي عمر أنه سمع أشياخهم من بني تميم
 يزعمون أن الذي ولّى قتل محمد بن عبد الله بن خازم رجلا من بني مالك بن
 سعد ، يقال لأحدهما : عجلة ، وللاخر كسيب . فقال ابن خازم : بشس
 ما اكتسب كسيب لقومه ، ولقد عجل عجلة لقومه شرّا .

٥٩٥/٢

قال عليّ : وحدّثنا أبو الذّيال زهير بن هنيّد العدويّ ، قال : لما قتل
 بنو تميم محمد بن عبد الله بن خازم انصرفوا إلى مَرَوْ ، فطلبهم بكبير بن وشاح
 فأدرك رجلا من بني عطارد يقال له شُمَيْخ ؛ فقتله ، وأقبل شماس وأصحابه
 إلى مَرَوْ ، فقالوا لبني سعد : قد أدركنا لكم بثأركم ؛ قتلنا محمد بن عبد الله
 ابن خازم بالجشمي الذي أصيب بمَرَوْ ، فأجمعوا على قتال ابن خازم ، وولّوا
 عليهم الحريش بن هلال القرينيّ .

قال : فأخبرني أبو الفوارس عن طفيل بن مرداس ، قال : أجمع أكثر
 بني تميم على قتال عبد الله بن خازم ، قال : وكان مع الحريش فرسان لم يدرك
 مثلهم ؛ إنما الرجل منهم كتيبة ؛ منهم شماس بن دثار ، وبجير بن ورقاء
 الصُّرميّ ، وشعبة بن ظهير النهشليّ ، ووَرْد بن الفلق العبّريّ ، والحجاج بن
 ناشب العدويّ - وكان من أرمى الناس - وعاصم بن حبيب العدويّ ، فقاتل
 الحريش بن هلال عبد الله بن خازم ستين .

قال : فلمّا طال الحرب والشرّ بينهم ضجّروا ، قال : فخرج الحريش
 فنادى ابن خازم ، فخرج إليه فقال : قد طال الحرب بيننا ؛ فعلام تقتل
 قومي وقومك ! ابرز لي ، فأبينا قتل صاحبه صارت الأرض له ؛ فقال ابن خازم :
 وأبيك لقد أنصفتني ؛ فبرز له ، فتصاولا^(٣) تصاول الفحلين ، لا يقدر أحد

٥٩٦/٢

(١) ف : وابن الأثير : « حيان » . (٢) س : « فرنبا » .

(٢) ف : « فتصاولا وتصاربا » .

منهما على ما يريد. وتغفل ابن خازم غفلة، وضربه ^(١) الحريش على رأسه، فرمى بفروء رأسه على وجهه، وانقطع ركابا الحريش، وانتزع السيف. قال: فلزم ابن خازم عسق فرسه راجعاً إلى أصحابه وبه ضربة قد أخذت من رأسه، ثم غاداهم القتال، فكثوا بذلك بعد الضربة أياماً؛ ثم ملّ الفريقان ففترقوا ثلاث فِرَق؛ فضى بحير بن ورقاء إلى أبرش شهر في جماعة، وتوجه شماس بن دثار العطاردي ناحية أخرى، وقيل: أتى سجستان، وأخذ عثمان بن بشر بن المحتفز إلى فترتنا، فنزل قصرأ بها، ومضى الحريش إلى ناحية مَرَوَ الرُّوذ، فاتبعه ابن خازم؛ فلحقه بقرية من قرأها يقال لها قرية الملحمة - أو قصر الملحمة - والحريش بن هلال في اثنتي عشر رجلاً؛ وقد تفرق عنه أصحابه؛ فهم في خربة؛ وقد نصب رماحاً كانت معه وتيرسة.

قال: وانتهى إليه ابن خازم؛ فخرج إليه في أصحابه، ومع ابن خازم مولى له شديد البأس، فحمل على الحريش فضربه فلم يصنع شيئاً، فقال رجل من بني ضبة للحريش: أما ترى ما يصنع ^(٢) العبد! فقال له الحريش: عليه سلاح كثير، وسيفي لا يعمل في سلاحه، ولكن انظر لي خشبة ثقيلة؛ ففقطعه له عوداً ثقيلاً من عُنَاب - ويقال: أصابه في القصر - فأعطاه إياه؛ فحمل به على مولى ابن خازم؛ فضربه فسقط وقيداً. ثم أقبل على ابن خازم؛ فقال: ما تريد إلى وقد خليتك والبلاد! قال: إنك تعود إليها، قال: فإني لا أعود، فصالحه على أن يخرج له من خراسان ولا يعود إلى قتاله، فوصله ابن خازم بأربعين ألفاً. قال: وفتح له الحريش باب القصر، فدخل ابن خازم، فوصله وضمن له قضاء دينه، وتحدثا طويلاً. قال: وطارت قُطْنة كانت على رأس ابن خازم مُلصقة على الضربة التي كان الحريش ضربه، فقام الحريش فتناولها، فوضعها على رأسه، فقال له ابن خازم: مسك اليوم يا أبا قدامة أليس من مسك أمس، قال: معذرة إلى الله وإليك؛ أما والله لولا أن ركابي انقطعاً لحالط السيف أضراسك. فضحك ابن خازم، وانصرف عنه، وتفرق

(١) ف: «فضربه».

(٢) ف: «ما صنع».

جمع بنى تميم ، فقال بعض شعراء بنى تميم :

فلو كنتم مثل الحريش صبرتم وكنتم بقصر الملح خير فوارس
إذا لمقيتم بالعوالي ابن خازم سجال دم يورثن طول وساوس

قال : وكان الأشعث بن ذؤيب أخو زهير بن ذؤيب العدوي قتل في
تلك الحرب ، فقال له أخوه زهير وبه رمتي : من قتلك ؟ قال : لا أدري ؛
طعني رجل على برذون أصفر ، قال : فكان زهير لا يرى أحداً على برذون
أصفر إلا حمل عليه ؛ ففهم من يقتله ، ومنهم من يهرب ؛ فتحامى أهل
العسكر البراذين الصفر ؛ فكانت مخلاة في العسكر لا يركبها أحد . وقال
الحريش في قتاله ابن خازم :

أزال عظم يميني عن مركبه حمل الرديني في الإذلاج والسحر^(١)
حوليني ما اغتمضت عيني بمنزلة إلا وكفى وساد لي على حجري
بزى الحديد وسربالي إذا هجعت عني العيون محال القارح الذكر

٥٩٨/٧

تم الجزء الخامس من تاريخ الطبري

ويليه الجزء السادس ، وأوله : ذكر حوادث سنة ست وستين

(١) ابن الأثير : « بالسحر » .